تأملات في سفر المزامير

اهداءات ٢٠٠٢

كنيسة الانجيلية بالعطارين

الاسكندرية

تأملات
في سفر المزامير

مواعظ تفسيرية

مزمور ١ – ٧٢

الدكتور القس منيس عبد النور

راعي الكنيسة الإنجيلية

قصر الدوبارة – القاهرة

اسم الكتـــاب: تأملات في سفر المزامير (مواعظ تفسيرية)
اسم المؤلـــف: الدكتور القس منيس عبد النور
راعي الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة ـ القاهرة.
الطبعة العربية الأولى – أغسطس ١٩٩٦
المطبعــــــة: دار الطباعة القومية بالفجالة
ت ٥٩٠٥٤٨٦ – فاكس ٥٨٨٢٩٧٦
رقم الإيـــداع: ٨٠٢٠/ ٩٦
الناشــــــــر: الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة
جاردن سيتي – القاهرة – مصر

هذا الكتاب

انشغلتُ بالوعظ التفسيري من سفر المزامير منذ سنوات طويلة، وبدأته عام ١٩٨٣، فكنتُ ألقي من منبر الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة عظة تفسيرية لنحو عشرة مزامير كل سنة، سُجّلت كلها على أشرطة كاسيت، وسُجّل معظمها على أشرطة فيديو. وقد تلقّاها المؤمنون الذين يعرفون اللغة العربية في مختلف بلاد العالم بقبول طيب، شجّعني كثيراً. ثم نشرتُ ملخّصاً لمزامير ١-٧١ في مجلة «أجنحة النسور» القاهرية، وقدّمتُ الكثير منها في سلسلة أحاديث بالراديو، وبالتلفزيون، من محطات عالمية متنوّعة.

وطلب مني الشيخ المهندس نبيل اسكندر أن أنشر هذه المواعظ في كتاب، كما طلبت مني دار نشر «نداء الرجاء» بألمانيا أن أنقلها إلى اللغة الإنكليزية، لفائدة قراء هذه اللغة، ولتسهيل ترجمتها منها إلى لغات أخرى.. فكان لا بد من تفريغها من أشرطة التسجيل، وكتابتها على الكمبيوتر. ثم الاستعانة بالمذكرات المختصرة المحتوية على أقسام المزمور، والتي كنت آخذها معي إلى المنبر وقت الوعظ، وبها معلومات قد لا تتّضح للمستمع أثناء الوعظ (مثل أقسام المزمور)، كما أن بها معلومات لم يسمح الوقت المخصّص للوعظ بإلقائها.. فأضفتُ ما جاء بها إلى ما كنت أُلقيه أثناء الوعظ. ثم بدأتُ تعديل الأسلوب الوعظي إلى أسلوب كتابي، لأن الأسلوب المقروء يختلف عن الأسلوب المسموع.. وهذه هي الطريقة نفسها التي اتّبعتُها عندما أعانني الرب على إصدار بعض كتبي، مثل «معجزات المسيح» و«المحبة لا تسقط أبداً» و«ثمر الروح» و«أمثال المسيح» والتي تُرجمت جميعها إلى الإنكليزية.

وقد منحني الرب عوناً من أشخاص عديدين ساعدوني في هذا العمل، ولولا معونتهم ما تمكنتُ من إصدار هذا الكتاب في هذه الصورة. وأود أن أسجل شكري القلبي لهذه المجموعة الرائعة التي عملت معي بكل قلبها، وصرفت الشهور الطويلة في تفريغ العظات من الأشرطة، وكتابتها بالكمبيوتر، وذلك قبل أن أحوّلها من أسلوب الوعظ المسموع إلى أسلوب الكتابة المقروء.. ثم قيامهم بمراجعة البروفات، وتقديم التعليقات، وعمل التنسيق الطباعي للمخطوطة لتظهر كما هي بين أيديكم. لهم جميعاً شكري القلبي وتقديري العميق، ولهم أطلب مكافأة السماء.

وصلاتي أن يكون هذا الكتاب سبب بركة لكل قارئ، يرشد حياتنا جميعاً لتكون كلمة الله سراجاً لأرجلنا ونوراً لسبيلنا، وواقعاً مُعاشاً، لخيرنا الروحي، ولخير من نخدمهم.

د. القس منيس عبد النور

مقدمة

المزامير تسابيحٌ لله. ونلتقي في سفر الخروج ١٥ بأول مزمور تسبيح لموسى احتفاءً بالخلاص من عبودية فرعون، فأخذت مريم النبيّة الدفّ، وتبعها رجال ونساء بني إسرائيل يرنمون: «رنموا للرب فإنه قد تعظم! الفرس وراكبه طرحهما في البحر» (خر ١٥: ٢٠ و٢١). ثم نقرأ ترنيمة النبية دبورة في سفر القضاة ٥، وبعدها ترنيمة حنة أم النبي صموئيل (١صم ٢). ثم نقرأ رثاء داود للملك شاول (٢صم ١). أما القسم الأعظم من المزامير فهو في سفر المزامير (وفي العبرية: تهلّيم، ومعناه: تسبيحة). ويبدأ السفر بتطويب الإنسان الذي باركه الله، وينتهي بالتهليل لتمجيد الله الذي بارك الإنسان. والمزامير أناشيد حمدٍ وسجود وتمجيد لله، كانت تُرتّل بمصاحبة العزف على الآلات الموسيقية. وهي عامرة بالأمل في صلاح الله ومحبته وحكمته وقدرته وقداسته وأمانته. إنه الإله اللامحدود البار الصالح. ويتحدث المرنمون عن الله أكثر من حديثهم عن أنفسهم أو عن البشر، لأنهم يدركون أنه قريبٌ منهم، وأنه إله الخلاص والإنقاذ من الظلم والاضطهاد، وهو معين البائسين والمظلومين والمهمّشين الذين لا يجدون من يهتم بهم، وهو الفاعل في الطبيعة وفي البشر وفي التاريخ. وهو سامع الصارخين المستغيثين والمحبين المتعبّدين، ويستجيب دعاءهم. وهو غافر الخطايا ومطهّر القلوب. وحسناً قال مارتن لوثر: «في المزامير نمعن النظر في قلوب كل القديسين».

ويسبّح المرنمون الله لأنه ينقذ الفرد كما ينقذ الأمة، فهو إله الفرد، وإله العائلة، وإله الشعب كله. إنه المخلّص والمنقذ من الضيق والحرب والجوع والخطية.

كُتّاب المزامير:

أوحى الله بالروح القدس إلى مجموعة من أنبيائه بكتابة المزامير، لا نفرّق بين أحدٍ منهم. وقد أُطلق على سفر المزامير اسم «مزامير النبي داود» لأننا من دراسة عناوين سفر المزامير نكتشف أنه كتب ٧٣ مزموراً، فسُمّي السفر باسمه من باب التغليب. ويتّضح من العهد القديم أن داود كتب مزموري ٩٦ و١٠٥ (راجع ١أي ١٦: ٢٣-٢٦ و١أي ١٦: ٧-٢٢)، ويعزو العهد الجديد إليه أيضاً أنه كتب مزمور ٢ (أع ٤: ٢٥) ومزمور ٩٥ (عب ٤: ٧). وكتب آساف ١٢ مزموراً، وأولاد قورح ١٠ مزامير، وسليمان مزموري ٧٢ و١٢٧، وهيمان مزمور ٨٨، وإيثان مزمور ٨٩، وموسى مزمور ٩٠. وهناك ٤٩ مزموراً لا نعرف من كتبها.

وقد جمع النبي عزرا هذه المزامير بإرشاد الروح القدس في كتاب واحد.

أقسام سفر المزامير:

قسّم اليهود المزامير إلى خمسة كتب، يتوافق كل كتاب منها مع واحد من أسفار موسى الخمسة،

وينتهي كل كتاب منها بتمجيد ختامي:

الكتاب الأول من مزمور ١-٤١ وهو يتناسق مع سفر التكوين، الذي يتحدث عن سموّ الإنسان، وعن سقوطه.

والكتاب الثاني من مزمور ٤٢-٧٢ وهو يتناسق مع سفر الخروج، الذي يركّز على الأمة كمركز للسفر.

والكتاب الثالث من مزمور ٧٣-٨٩ ويتناسق مع سفر اللاويين الذي يتحدث عن المقدس.

والكتاب الرابع من مزمور ٩٠ - ١٠٦ ويتناسق مع سفر العدد الذي يتحدث عن الأرض المقدسة.

والكتاب الخامس من مزمور ١٠٧-١٥٠ ويتناسق مع سفر التثنية الذي ينبّر على كلمة الله.

مزامير لمناسبات خاصة:

هناك سبعة مزامير توبة، وهي: ٦ و٣٢ و٣٨ و٥١ و١٠٢ و١٣٠ و١٤٣.

وهناك سبعة مزامير لداود الطريد أمام شاول، وهي: ٧ و٣٤ و٥٢ و٥٤ و٥٦ و٥٧ و١٤٢.

وهناك سبعة مزامير لتسبيح الله الملك، وهي: ٩٣ و٩٥-١٠٠.

وهناك ستة مزامير «التهاليل المصرية»، وهي: ١١٣-١١٨.

وهناك ١٥ مزموراً للمصاعد، وهي: ١٢٠-١٣٤.

وهناك ستة مزامير تهليل ختامية، وهي: ١٤٥-١٥٠.

مزامير طلب الانتقام:

نجد في الكثير من المزامير صلوات طلب انتقام، ولعل أهمها مزامير ٣٥ و٦٩ و١٠٩ و١٣٧. وهي تتفق مع روح شريعة موسى التي نادت أن العين بالعين والسن بالسن (لا ٢٤:١٩)، ولكنها تتعارض مع روح تعاليم المسيح التي تنادي بالغفران للأعداء والصلاة من أجل المسيئين (مت ٤٣:٥-٤٨). وقد عاش المرنمون في عهد الشريعة الموسوية، فرفعوا صلواتهم لله بضمائر صالحة بغير انفعال ولا تهوُّرٍ عاطفي، لأنهم كرهوا الخطية، وبالتالي كرهوا الخاطئ الذي يرتكبها. وقد طالب المرنم تسليم الخطاة للرب لينفذ فيهم عدالته (مز ٨:٣٧ و٩) فيرى الصدّيقون ويخافون (مز ٦:٥٢). وكان اليهود يقولون إن السماء تفرح بخاطئ واحد يهلك لتستريح الأرض من شرّه، بينما علّمنا المسيح أن السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب (لو ٧:١٥ و١٠) فتستريح الأرض من شره بتوبته، وليس بهلاكه.

ولكن بعض المفسرين يرون أن المرنم كان يتحدث عن السبب والنتيجة، فالخاطئ لا بد أن ينال أجرة خطيته. وعلى هذا فاللعنات نبوّات عمّا سيحلّ بالخاطئ. فيكون طلب الانتقام صلواتٍ مرفوعةً للإله العادل الذي لا بد ينصف المظلوم ويعاقب الظالم.

عدد المزامير:

عدد المزامير ١٥٠ مزموراً كما جاء في التوراة العبرية. وفي منتصف القرن الثاني قبل المسيح تُرجمت المزامير إلى اللغة اليونانية لخدمة اليهود الذين تشتتوا في أرجاء العالم المعروف وقتها، وهي الترجمة المعروفة باسم «السبعينية» والتي عنها أخذ القديس إيرونيموس (جيروم) ترجمته إلى اللاتينية، والمعروفة بـ «الفولجاتا». وقد أدمجت «السبعينية» مزموري ٩ و١٠ في مزمور واحد، كما أدمجت ١١٤ و١١٥ في مزمور واحد. وقسمت كلاً من مزموري ١١٦ و١٤٧ إلى مزمورين، فبقي عدد المزامير ١٥٠ مزموراً.

واحتوت الترجمة السبعينية على مزمور إضافي هو مزمور ١٥١، وله أصل عبري في المخطوطات التي اكتُشفت في الكهف الثاني من كهوف وادي قمران (ونُشرت في ١٩٦٥-١٩٦٧). إلا أن النص اليوناني يذكر أن مزمور ١٥١ هو «خارج العدد». وواضحٌ أن الاختلافات في الترجمة السبعينية عنها في الأصل العبري لا يؤثر على مضمون المزامير، ولكنه يؤثر على «الترقيم» الذي أخذت عنه الفولجاتا وباقي الترجمات التي نُقلت عن الفولجاتا.

عناوين المزامير:

هناك ٣٤ مزموراً بدون عناوين، أما بقية المزامير (وعددها ١١٦ مزموراً) فتحمل عناوين، منها ٣٢ مزموراً تذكر مناسبة كتابة المزمور (هي ٣ و٧ و١٨ و٣٠ و٣٤ و٥١ و٥٢ و٥٤ و٥٦ و٥٧ و٥٩ و٦٠ و٦٣ و٩٠ و٩٢ و١٠٢ و١٢٠-١٣٤ و١٤٢).. وهناك ١٢ مزموراً تذكر اسم اللحن الذي يُرتّل به المزمور.. وهناك ١٦ مزموراً تذكر اسم الآلة الموسيقية التي تصاحب ترنيم المزمور.. وهناك مئة مزمور تحمل اسم الكاتب، منها ٧٣ مزموراً لداود (هي ٣-٩ و١١-٣٢ و٣٤-٤١ و٥١-٦٥ و٦٨-٧٠ و٨٦ و١٠١ و١٠٣ و١٠٨-١١٠ و١٢٢ و١٢٤ و١٣١ و١٣٣ و١٣٨-١٤٥)، و١٢ مزموراً لآساف (هي ٥٠ و٧٣-٨٣)، و١٠ مزامير لبني قورح (هي ٤٢ و٤٤-٤٩ و٨٤ و٨٥ و٨٧)، ومزموران لسليمان (هما ٧٢ و١٢٧)، ومزمور واحد لكل من هَيْمان الأزراحي (هو مز ٨٨) وأيْثان الأزراحي (هو مز ٨٩) وموسى (هو مز ٩٠). ويقول المفسرون إن عنونة المزمور بالقول «لداود» لا يعني بالضرورة أن داود هو الكاتب، لأن التعبير «لداود» أو «لسليمان» أو «لإمام المغنين» له ثلاثة معانٍ: أولها أن الكاتب هو داود (وهو الأغلب)، وثانيها: أن المزمور مُهدَى لداود، وثالثها: أنه يختص بحالةٍ مرّ بها داود.

معاني بعض كلمات وتعبيرات متكررة في المزامير:

سلاه: هذا تعبير موسيقي ورد ٧١ مرة في ٣٩ مزموراً، لا نعرف معناه بالضبط. ويقول بعض المفسرين إنه يعني تقوية اللحن وتوقيعه بشِدّة، فيتوقف المرنمون عن الترتيل لتعزف الآلة الموسيقية وحدها. ويقول آخرون إن معناه وقفة موسيقية، فتتوقّف الآلات الموسيقية والمرتلون، ليتأملوا معنى ما رتّلوه. ويقول يعقوب (الذي من الرها) إنها تشبه «آمين» بعد الصلاة، ومعناها «استجب» فيكون معنى «سلاه» «أعطِ بركتك». (وردت «سلاه» أيضاً ثلاث مرات في نبوة حبقوق).

لإمام المغنين: وردت في عنوان ٥٥ مزموراً، هي ٤-٦ و٨ و٩ و١١-١٤ و١٨-٢٢ و٣١ و٣٦ و٣٩-٤٢ و٤٤-٤٧ و٤٩ و٥١-٦٢ و٦٤-٧٠ و٧٥-٧٧ و٨٠ و٨١ و٨٤ و٨٥ و٨٨ و١٠٩ و١٣٩ و١٤٠. وهناك تفسيرات كثيرة لهذا العنوان، أقربها إلى الصواب أن قائد فرقة ترنيم الهيكل (إمام المغنّين) كان يقود العابدين في ترنيم هذا المزمور بالهيكل. وقد يكون أن أحد الشعراء أهدى المزمور لإمام المغنين، كما جاء عنوان المزمور الرابع «لإمام المغنّين .. مزمور لداود» لأن داود كتب المزمور وأهداه لإمام المغنين.

على القرار: وردت في عنوان مزموري ٦ و١٢. وهي ترجمة لكلمة عبرية معناها «الثامنة» قال بعض المفسرين إنها آلة موسيقية ذات ثمانية أوتار، وقال البعض إنها تشير إلى خفض الصوت في السلّم الموسيقى، ولو أن البعض قالوا إن السلم الموسيقي لم يكن معروفاً عند بني إسرائيل.

شجوية: وردت عنواناً للمزمور السابع، وهي غالباً من أصل أكادي، وتعني ترنيمة شجوى وحزن. وفي اللغة العربية: شجاه الأمر شجواً، أحزنه. (وردت أيضاً في صيغة الجمع في حبقوق ١:٣).

الجتيَّة: وردت في عنوان مزامير ٨ و٨١ و٨٤. وقد تكون آلة موسيقية اختُرعت أو استُخدمت في العاصمة الفلسطينية «جت» وعرفها منهم بنو إسرائيل. أو قد يكون اسم لحنٍ تُغنّى به أغنية قطاف العنب، الذي كان يوافق موعد عيد المظال.

موت الإبن: وردت في عنوان المزمور التاسع. وربما كان اسم لحن حزين وُضع لرثاء ابنٍ مات، استُعير ليُرتّل به المزمور.

ضرب الأوتار: وردت في مزمور ٩:١٦. وهي توجيه للموسيقيين، قد يعني تهدئة العزف ليعطي المرنمين فرصة التفكير الهادئ والتأمل في معاني كلمات المزمور.

مذهَّبة: وردت في عنوان مزامير ١٦ و٥٦-٦٠. وهي تعني «مغطاة برقائق الذّهب» أي أن كلمات المزمور لامعة ثمينة كالذهب.

على أيِّلة الصبح: وردت في عنوان مزمور ٢٢. ولا نعرف معناها، والأغلب أنها اسم اللحن الذي يُرتّل به المزمور.

قصيدة: وردت في عنوان ١٣ مزموراً هي ٣٢ و٤٢ و٤٤ و٤٥ و٥٢-٥٥ و٧٤ و٧٨ و٨٨ و٨٩ و١٤٢. وهي تعني في الأصل العبري «ما يعطي فطنة وحكمة» وترجمتها السبعينية «مزمورُ فَهْم».

للتذكير: وردت في عنوان مزموري ٣٨ و٧٠. وتعني تذكير المرنم بأحداث مقدسة لا يجب أن ينساها.

على السوسن: وردت في عنوان مزامير ٤٥ و٦٠ و٦٩ و٨٠. والسوسن آلة موسيقية تشبه في شكلها زهرة السوسن. وكلمة «سوسن» قريبة من كلمة «ستة» في اللغة العبرية، وربما كانت آلة «السوسن» ذات ستة أوتار.

على الجواب: وردت في عنوان مزمور ٤٦. وهو اسم اللحن الذي يُرتَّل به المزمور، ويمكن ترجمته «لحن العذارى».

على الحمامة البكماء بين الغرباء: وردت في عنوان مزمور ٥٦. ومعناه غير معروف، والأغلب أنه اسم اللحن الذي يُرتَّل به المزمور.

على لا تُهلِك: وردت في عنوان مزامير ٥٧-٥٩ و٧٥. ربما تشير إلى لحن كانت تُرتَّل به صلاة موسى في تثنية ٢٦:٩ «وصلّيتُ للرب: يا سيد الرب، لا تُهلك شعبك وميراثك الذي فديته بعظمتك». ثم استُخدم اللحن لترتيل هذه المزامير الأربعة.

على يدوثون: وردت في عنوان مزموري ٦٢ و٧٧. ويدوثون اسم عبري معناه «حامد أو مُسبِّح» من سبط لاوي، وأحد الموسيقيين الثلاثة الكبار الذين عيَّنهم الملك داود لقيادة التسبيح في الهيكل (١أي ١٦:٤١-٤٣ و٢٥:١-٣). والأغلب أن يدوثون هو واضع اللحن الذي يُرنَّم به المزمور.

ترنيمة المصاعد: وردت عنواناً لخمسة عشر مزموراً هي مزامير ١٢٠-١٣٤. كان بنو إسرائيل يرنمونها وهم صاعدون إلى أورشليم للاحتفال بالعيد.

الإنجيل في سفر المزامير:

يحب المسيحيون المزامير كما أحبها اليهود، لأنهم يكتشفون فيها المعاني الروحية والاختبارات الدينية التي يعلنها العهد الجديد، وهم ينتقلون من قراءة الإنجيل إلى قراءة المزامير دون أن يشعروا بأي اختلاف في مستوى الفكر الروحي.

١ - **المسيح في المزامير:** كان لقب «المسيح» يُطلق على ملوك بني إسرائيل (مز ٨٩:٣٨ و٥١) كما كان يشير إلى الابن الأكبر لداود، ملك بني إسرائيل المخلِّص الآتي (مز ٢:٢). ويصف لقب «المسيح» أيضاً كل من يمسحونه ليتولى منصباً خاصاً، كالأنبياء (مز ١٠٥:١٥). وهناك نبوّات كثيرة في المزامير عن حياة المسيح، كما قال: «لا بد أن يتمّ جميع ما هو مكتوب عنّي في ناموس موسى والأنبياء والمزامير» (لو ٢٤:٤٤)، فقد استشهد بمز ٨:٣ حين هتف الأولاد له يوم دخوله الانتصاري إلى أورشليم (مت ٢١:١٦)، وعندما كان معلّقاً على الصليب اتّجه فكره إلى سفر المزامير، فدعا الآب بأول كلمات مز ٢٢ (مت ٢٦:٤٦)، واستودع روحه إليه بكلمات مز ٣١:٥ (لو ٢٣:٤٦)، وفي عطشه سقوه خلاً كما جاء في مز ٦٩:٢١ (يو ١٩:٢٩). ويصوِّر مز ٢٢ آلام الصليب. وقد وصفت المزامير المسيح بأنه «ابن الله» الذي يهزم أعداءه (مز ٢ و٧٢ و١١٠) ولا بد أن يَهلك كلُّ مقاوميه.. كما تحدثت المزامير عن امتداد ملكوته في كل العالم (مز ٤٧ و٦٧ و٩٦-١٠٠ و١١٧). وقد حوَت مزامير ٢ و٨ و١٦ و٢٢ و٤٠ و٤٥ و٦٩ و٧٢ و٨٩ و١٠٢ و١٠٩ و١١٠ و١١٨ و١٣٢ نبوات واضحة عن حياة المسيح وموته وقيامته.

٢ - **الأُنس بالله في المزامير:** يرى المرنم قداسة الله، فيتعبَّد له (كما في مزامير ٩٥-١٠٠) ويشتاق إليه ويعطش للوجود في حضرته (كما في مز ٤٢ و٤٣ و٦٣) ويسبحه (كما في مز ٣٣ و٣٤

و٤٠ و٩٢ و١٠٥) ويحب بيته (كما في مز ٨٤ و١٢٢)، ويحب كلمته (مز ١٩ و١١٩)، ويختبر حضوره الدائم معه (مز ٢٣ و٩١).

٣ – الخلاص من الخطية: تركز المزامير على أن الإنسان خطّاء، فيقول المرنم: «إن كنتَ تراقب الآثام يا رب، يا سيد، فمن يقف؟» (مز ١٣٠:٣) وهو يرى أن الخطية هي أساساً ضد الله «إليك وحدك أخطأتُ والشرَّ قدام عينيك صنعتُ» (مز ٥١:٤). وتوضح المزامير أن الأمل الوحيد في الخلاص من الخطية وأجرتها يكمن في الفداء، ولا يمكن للإنسان أن يفدي نفسه، ولا يقدر أخٌ أن يفدي أخاه «الأخ لن يفدي الإنسان فداءً، ولا يعطي اللهَ كفارةً عنه. وكريمة هي فدية نفوسهم، فغلقت إلى الدهر (وفي ترجمة دار المشرق: فدية نفوسهم باهظة، وهي للأبد ناقصة)» (مز ٤٩:٧ و٨). أما الفدية المقبولة فهي الذبيحة الدموية كما أوضحت شريعة موسى (مز ٥١:١٩) والتي كانت ترمز إلى المسيح حمل الله، الذي يرفع خطية العالم (يو ١:٢٩). ويقول المرنم: «لأن عندك المغفرة، لكي يُخاف منك» (مز ١٣٠:٤) «طوبى لرجلٍ لا يحسب له الرب خطية» (مز ٣٢:٢). ويجد الإنسان خلاصه من خطاياه بالاعتراف والتوبة (مزمور ٣٢ و٥١) فيتمتع بفرح الخلاص (مز ٥١:١٢).

٤ – الحياة الأبدية في المزامير: لم تكن فكرة الحياة الأبدية واضحة في فكر كُتّاب العهد القديم، فإن المسيح هو الذي أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل (٢تي ١:١٠). ويبدو من بعض آيات المزامير أن تسبيح الله سينتهي بنهاية حياة المرنم على الأرض، فيقول: «ليس في الموت ذكرك. في الهاوية من يحمدك؟» (مز ٦:٥). ولكن لا يوجد إنكار للحياة الأبدية، كما قال المرنم: «جسدي أيضاً يسكن مطمئناً، لأنك لن تترك نفسي في الهاوية. لن تدع تقيّك يرى فساداً» (مز ١٦:٩ و١٠). وهو يرى الفرح بوجه الله بعد الموت «أشبع إذا استيقظتُ بشبَهك» (مز ١٧:١٥) ويقول: «برأيك تهديني، وبعدُ إلى مجدٍ تأخذني» (مز ٧٣:٢٤). ويقول: «إنما الله يفدي نفسي من يد الهاوية، لأنه يأخذني» (مز ٤٩:١٥).

* * *

والآن تعالوا نتأمل مزامير الكتابين الأول والثاني (مزامير ١–٧٢) فنسبح الله الذي خلق الإنسان أسمى من كل ما سواه، ولكنه سقط، فأوجد الله له الفداء والخلاص. إننا صاعدون مع أصحاب المزامير إلى مستوى أعلى. فلنطلب أن تكون أقدامنا كالأيائل و يمشّينا على مرتفعاتنا (حب ٣:١٩).

الجزء الأول

المزمور الأول إلى المزمور الحادي والأربعين

المزمور الأول

١ طُوبَى لِلرَّجُلِ ٱلَّذِي لَمْ يَسْلُكْ فِي مَشُورَةِ ٱلْأَشْرَارِ، وَفِي طَرِيقِ ٱلْخُطَاةِ لَمْ يَقِفْ، وَفِي
مَجْلِسِ ٱلْمُسْتَهْزِئِينَ لَمْ يَجْلِسْ. ٢ لٰكِنْ فِي نَامُوسِ ٱلرَّبِّ مَسَرَّتُهُ، وَفِي نَامُوسِهِ يَلْهَجُ نَهَاراً
وَلَيْلاً. ٣ فَيَكُونُ كَشَجَرَةٍ مَغْرُوسَةٍ عِنْدَ جَدَاوِلِ ٱلْمِيَاهِ، ٱلَّتِي تُعْطِي ثَمَرَهَا فِي أَوَانِهِ،
وَوَرَقُهَا لَا يَذْبُلُ. وَكُلُّ مَا يَصْنَعُهُ يَنْجَحُ.
٤ لَيْسَ كَذٰلِكَ ٱلْأَشْرَارُ، لٰكِنَّهُمْ كَٱلْعُصَافَةِ ٱلَّتِي تُذَرِّيهَا ٱلرِّيحُ. ٥ لِذٰلِكَ لَا تَقُومُ
ٱلْأَشْرَارُ فِي ٱلدِّينِ وَلَا ٱلْخُطَاةُ فِي جَمَاعَةِ ٱلْأَبْرَارِ. ٦ لِأَنَّ ٱلرَّبَّ يَعْلَمُ طَرِيقَ ٱلْأَبْرَارِ، أَمَّا
طَرِيقُ ٱلْأَشْرَارِ فَتَهْلِكُ.

الناس نوعان

قسّم اليهود سفر المزامير إلى خمسة كتب، يتوافق كل كتاب منها مع واحد من أسفار موسى الخمسة، فقالوا إن مزامير ١-٤١ تتوافق مع سفر التكوين، الذي يبدأ بذِكر سموّ الإنسان الذي خلقه الله على صورته وشبَهه، فالإنسان على صورة الرحمان. ولكنه سقط في الخطية بعد أن أساء استخدام إرادته الحرة وعصى خالقه. ويصوّر مز ١ الإنسان في سموّه، ويصوّره مز ٢ في ثورته ضد الله.

يبدأ مز ١ بكلمة «طوبى» ومعناها: يا لسعادة! وهي ما بدأ به المسيح موعظته على الجبل، فطوَّب المساكين بالروح وغيرهم (مت ٥:٣-١٣). والكلمة في صيغة الجمع، وتعني تعدُّد البركات.

ومن تطويب مز ١ والموعظة على الجبل يتّضح أن السعيد هو الذي يستمدّ سعادته من شيء داخل نفسه، هو وجود النعمة في قلبه، فتنعكس على مسلكه الخارجي، وتكوّن عنده اكتفاءً ذاتياً. فالسعيد حقاً لا يستمد فرحه من الظروف المحيطة به، ولا من خارج نفسه، بل من داخله. فإن كنا نستمد سعادتنا وسلامنا مما هو خارج نفوسنا، فقد نجد ما يسبِّب لنا الفرح والسلام يوماً، ولا نجده بذات الكمية والنوعية في يوم تالٍ، وقد يجيء يومٌ لا نجده فيه أبداً. فالذي يتكل على الظروف لتسعده يرتفع تارةً وينخفض أخرى. وتكون انخفاضاته أكثر من ارتفاعاته كمّاً ونوعاً. أما الذي يستمد سعادته مما بداخل نفسه، فهو السعيد حقاً. ونرى في الرسول بولس نموذجاً لهذا، إذ قال: «تعلّمتُ أن أكون مكتفياً بما أنا فيه. أعرف أن أتّضع وأعرف أيضاً أن أستفضل. في كل شيء وفي جميع الأشياء قد تدرّبتُ أن أشبع وأن أجوع، وأن أستفضل وأن أنقُص. أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني» (في ٤:١١-١٣).

في هذا المزمور نجد:

أولاً - الإنسان البار (آيات ١-٣)

ثانياً - الإنسان الشرير (آيتا ٤ و٥)

ثالثاً - سبب النجاح وسبب الفشل (آية ٦)

أولاً - الإنسان البار

(آيات ١-٣)

هنا ثلاث صور للإنسان البار: صورة سلبية، وأخرى إيجابية، وثالثة وصفيَّة:

١ - صورة سلبية: «طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار، وفي طريق الخطاة لم يقف، وفي مجلس المستهزئين لم يجلس» (آية ١). والمشورة هي تقديم النصيحة لتوجيه شخصٍ ليعتنق فكراً معيناً، أو ليؤدي عملاً معيناً. والسعيد هو الذي لم يتَّجه في حياته إلى فكر الأشرار، فلم يقف في طريق الخطاة، ونتيجة لذلك لم يجلس في مجلس المستهزئين، لأن فكر الأشرار يقود إلى وقفة، والوقفة تؤدي إلى الجلوس. والتعيس هو الذي يسلك في مشورة الأشرار وفكرهم، فيجد نفسه واقفاً في طريق الخطاة، وينتهي به الأمر إلى الجلوس في مجلس المستهزئين. ثلاث خطوات تؤدي كلٌّ منها إلى الخطوة التالية، وتنتهي بانحدار كامل.

تبدأ الخطية بفكر بسيط، وتنتهي بالانهيار. ويرجع هذا إلى مكر إبليس، فلو جرَّبنا في البداية أن نخطئ خطية كبيرة تجعلنا ننهار انهياراً أخلاقياً كاملاً، فإننا سنرفضها. لكنه بخداعه يعرض علينا مجرد فكرة تبدو صالحة، ويلعب دور الناصح المخلِص الذي يهتم بمصلحتنا. وقد ظهر مكره هذا في تقديم مشورته لأمِّنا حواء في صورة تساؤل يبدو بريئاً، وقدَّم اقتراحاً ونصيحة: «أحقاً قال الله: لا تأكلا من كل شجر الجنة؟.. لن تموتا»! فاستهوت المشورة والفكرة أبوينا الأوَّلين، ووقفا أمام الشجرة الممنوعة وقفة تأمل، فوجدا «الشجرة بهِجَة للعيون وشهية للنظر». وقادتهما الوقفة إلى الجلوس والأكل من الشجرة الممنوعة (تك ٣:١-٧). فإن قبلنا مشورة إبليس يتبلور ما قبلناه إلى وقفة تأمل، وينتهي بنا الأمر إلى اعتناق هذا الفكر وتنفيذه في جلسةٍ مع المستهزئين.

وكما أن السلوك يؤدي إلى الوقوف وينتهي بالجلوس، فيجيء الانحدار تدريجياً، هكذا التعامل مع فكر «الأشرار» يؤدي بنا إلى طريق «الخطاة» الذي ينتهي بمجلس «المستهزئين». والأشرار هم المتسيِّبون الذين لا تحكمهم القوانين الروحية. قد يستجيبون للروحيات، ولكن عندما لا تتفق مع أهوائهم وراحتهم الجسدية يرفضونها. والشرير هو غير المستقر، الذي لا يبقى على حال واحدة. إنه غير متوافق مع نفسه، لأنه متذبذب متقلقل. سعيد هو الإنسان الذي لا يقف ليتلقَّى نصيحةً من الشرير المتسيِّب، غير المستقر، الذي ينتقل من فكر لا أخلاقي إلى فكر لا أخلاقي آخر.

أما «الخطاة» فهم الذين أخطأوا الهدف، فلم يستطيعوا أن يحققوا قصد الله في حياتهم. وهم أشرُّ حالاً من الأشرار.

أما «المستهزئون» فهم نوع أكثر شراً من الأشرار، وأكثر خطية من الخطاة. إنهم الذين لا يفعلون شيئاً إلا السخرية من الدّين والمتديّنين. هم الذين يضحكون على الذين يتعبّدون. وقد تكون مكانة المستهزئ عالية، لأنه يجتذب الناس إليه فيلتفون حوله ضاحكين. لكنه قريب من أبواب الجحيم، ولا بد يهلك.

هذا هو الوصف السلبي للإنسان البار الذي لم يرتكب أياً من هذه الأخطاء الثلاثة.

٢ - **صورة إيجابية:** «لكن في ناموس الرب مسرّته، وفي ناموسه يلهج نهاراً وليلاً» (آية ٢). هنا نجد تصويراً لعواطف الإنسان السعيد: «في شريعة الرب مسرّته». إنه يحب كلام الله. مسرّته بالشريعة تغنيه عن التلذذ بمشورة الأشرار.

ونجد تصويراً لعقليّته: إنه يلهج في كلمة الله نهاراً وليلاً، فيتأملها بشغف. وكلمة «يلهج» في اللغة العبرية تعني «الاجترار». فالجَمَل مثلاً يأكل ويزدرد بسرعة، وبعد ذلك يجترّ ما أكله على مهل، مستمتعاً بما سبق وأكله على عَجَل! والمؤمن يلتهم كلمة الله بسرعة، مسروراً بها، ثم يجلس بعد ذلك ليلهج فيها، فيستعيدها في عقله وقلبه ويتأملها. يفكر فيها أكثر ليحلّل معانيها، ويعمل على تطبيق ما رآه فيها على حياته اليومية. إنه يبذل جهداً عقلياً في أن يعرف معاني هذه الكلمات المقدسة، مثل مؤمني بيرية الذين وُصفوا بأنهم «أشرف من الذين في تسالونيكي، فقبلوا الكلمة بكل نشاط، فاحصين الكتب كل يوم» (أع ١٧: ١١).

ومسرّة البار بكلمة الرب تحميه من الجلوس في مجلس المستهزئين، لأنها تغنيه عن مجلسهم. إنه يفتش فيها ليعرف مشيئة الله الصالحة، فتسكن فيه الكلمة بغنى، فيسلك بالتقوى مبتعداً عن الشر. طوبى للذي لم يجلس مع المستهزئين، لا لأنه يُبعِد نفسه بالقوة عنهم، لكن لأنه يشبَع بكلمة الله، فتعطيه الاكتفاء الداخلي.

والمؤمنون لا يهربون من الخطية خوفاً من عقاب يحل بهم، لكن لأن الرب يُشبع قلوبهم. إنهم ليسوا محرومين، لكنهم شبعانون. وكلما شبعوا لهجوا في كلمة الله نهاراً وليلاً، فيجدون سعادة نفوسهم: سلباً، بأن يبتعدوا عن الفكر الشرير، الذي يؤدي إلى وقفة مع الخطأ، وينتهي بجلسة مع المستهزئين. وفي الوقت نفسه يفرحون لأنهم في ناموس الرب يُسرُّون ويلهجون نهاراً وليلاً. «بِمَ يزكّي الشاب طريقه؟ بحفظه إياه حسب كلامك. خبأتُ كلامك.. في قلبي لكيلا أخطئ إليك» (مز ١١٩: ٩ و١١).

٣ - **صورة وصفية:** نتيجةً للمواقف السلبية مع الخطية، وللموقف الإيجابي مع كلمة الله، يصير المؤمن:

(ا) **شجرة مرتوية:** «كشجرة مغروسة عند مجاري المياه» (آية ٣أ). لم يغرس نفسه، لكن نعمة الله هي التي غرسته. «مباركٌ الرجل الذي يتكل على الرب وكان الرب مُتَّكله، فإنه يكون كشجرة مغروسة على مياهٍ، وعلى نهر تمدُّ أصولها، ولا ترى إذا جاء الحر، ويكون ورقها أخضر، وفي سنة القحط لا تخاف، ولا تكفّ عن الإثمار» (إر ١٧: ٧ و٨).

وليس المؤمن مغروساً على نهر واحد، لكن على أنهار كثيرة، كلها مياه حية جارية تتجدَّد كل يوم، فيرتوي دائماً من «نهر سواقيه تفرّح مدينة الله» (مز ٤:٤٦).

* يرتوي من نهر الغفران الذي يغسله، فيقول: «اغسلني فأبيضّ أكثر من الثلج.. قلباً نقياً اخلُق فيّ يا الله، وروحاً مستقيماً جدد في داخلي» (مز ٧:٥١ و١٠).

* ويرتوي من نهر مواعيد الله في كل ظرف مؤلم أو مفرح، فيشجعه الله بكلمته الصادقة ووعوده الأمينة، ويسمعه يهمس له: «ثِق. أنا هو. لا تخف». مواعيد الله تبدد الخوف وتسدد الأعواز وترشد في الحيرة.

* ويرتوي من نهر الأُنس بالله. يتلذذ بإلهه ويفرح بصلاحه ويرتوي بحبه.

(ب) **شجرة مثمرة**: «تعطي ثمرها في أوانه» (آية ٣ب). إنه كشجرة تثمر دوماً في موسمها، وأوراقها دائمة الاخضرار. ولكن لماذا ذكر المرنم الثمر أولاً والورق ثانياً، بينما تورق الشجرة أولاً وتحمل الثمر ثانياً؟.. لعله كان يفكر في شخصية كاملة كشخصية المسيح، الذي قيل عنه: «جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلّم به» (أع ١:١). يفعله أولاً، ويعلّم به ثانياً. وهذا يعني أن ثمر المسيح جاء قبل ورقه، وفعله قبل قوله «يسوع الناصري الذي كان إنساناً نبياً مقتدراً في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب» (لو ١٩:٢٤). الفعل أولاً والقول ثانياً.

المؤمن الثابت المغروس عند المياه الجارية يهتم بالثمر أولاً والورق ثانياً. ولا يمكن أن نأتي بثمر دون أن يكون لنا ورق، فالمؤمن فعلاً جميل في داخله وخارجه. جميل في فعله وقوله. جميل في كل شيء، لأن الله «يجمّل الودعاء بالخلاص» (مز ٤:١٤٩).

(ج) **شجرة خضراء الورق**: «ورقها لا يذبل» (آية ٣ج). المؤمن دائم الخضرة، لا تدمّره برودة الشتاء، ولا يُسقط جليد الحياة أوراقه. إنه «كالنخلة يزهو. كالأرز في لبنان ينمو. مغروسين في بيت الرب، في ديار إلهنا يزهرون. أيضاً يثمرون في الشَّيبة. يكونون دِساماً وخُضراً» (مز ١٢:٩٢-١٤). شعاره: «جعلتُ الرب أمامي في كل حين. لأنه عن يميني فلا أتزعزع.. إن نزل عليّ جيشٌ لا يخاف قلبي. إن قامت عليّ حربٌ ففي ذلك أنا مطمئن.. ثابتٌ قلبي يا الله، ثابتٌ قلبي» (مز ٨:١٦ و٣:٢٧ و٧:٥٧).

وقد تبدو أعمال المؤمن الحقيقي بسيطة كورق الشجر، لكنها تسبّب بركة. أقل ما تفعله أنها تظلل على المحيطين به في المكان الحار المُحرق. فما أسعد المؤمن الذي تقصده لتتحدث إليه وأنت متعَب، فتخرج من عنده وأنت مستريح، لأنه يقدر أن يقول: «أعطاني السيد الرب لسان المتعلمين لأعرف أن أُغيث المعيي بكلمة» (إش ٤:٥٠). فلنكن كشجرة زاهية لأنها مزروعة عند أنهار مياه جارية، نعطي ثمرنا دائماً في أوانه. لا يقصدنا أحد يطلب منا ثمراً إلا ويجد، فتشبع نفسه بما أعطانا الله من بركته ومن نعمته. وليكن «ورق الشجرة لشفاء الأمم» (رؤ ٢:٢٢). كونوا شفاءً للمحيطين بكم، وظلاً للحيارى والمتعَبين الباحثين عن ملجأ.

(د) إنسان ناجح: «كل ما يصنعه ينجح» (آية ٣د). وهذا يلخّص حياة المؤمن، فالرب يُنجح طريق الصدّيق إذ يحوّل متاعبه وأشواك حياته إلى ورود تسرّ الناظرين. حتى ما يفشل فيه، يؤدي إلى شيء جميل. أبسط كلمة ينطق بها تثبُت إلى الأبد، وأصغر أعمال المحبة التي يؤديها تكون لذكرٍ أبدي، فيبقى ثمره كما يبقى ورقه أيضاً! لا يفقد جماله ولا ثمره، لأن إلهنا في محبته يحوّل أخطاءه إلى دروس يتعلم منها. فعندما يخطئ يسرع إلى أبيه السماوي معترفاً، فيُطمئنه ويُحسن إليه، ويُخرج من الآكل أكلاً ومن الجافي حلاوة (قض ١٤:١٤).

هناك بركات مختفية داخل تجارب الأبرار وأحزانهم. قال أيوب: «إذا جرّبني أخرج كالذهب» (أي ٢٣:١٠). وكان هذا اختبار يوسف لما باعه إخوته، ولكن الرب كان معه فكان ناجحاً (تك ٣٩:٢). وقد باركه يعقوب أبوه وقال: «يوسف غصن شجرة مثمرة، غصن شجرة مثمرة على عين. مرّرتهُ ورَمَتْهُ واضطهدته أرباب السهام، ولكن ثبتت بمتانةٍ قوسُه» (تك ٤٩:٢٢-٢٤).

ثانياً - الإنسان الشرير

(آيتا ٤ و٥)

يقدم لنا المرنم صورة سوداء للإنسان الشرير، ليوضح لنا مقدار بياض صورة الأبرار، لأننا كلما أردنا أن نبيّن بياض شيء نحيطه بالسواد، فيتّضح بياضه أكثر. صحيحٌ إن الرب قد ميّز تقيّه (مز ٤:٣).

١ - الشرير في حياته الحاضرة: «ليس كذلك الأشرار! إنهم كالعصافة التي تذرّيها الريح» (آية ٤) ما أبعد الفرق بين الشجرة الخضراء الحية والقش اليابس الميت! الشجرة غرسها الكرّام، أما العُصافة فميّتة بلا جذور ولا ثمر ولا قيمة، تطير ولا تبقى، فتذريها الريح إلى حيث لا تعلم وإلى حيث لا تشاء. والشر يحمل الشرير إلى حيث لا يعلم ولا يشاء. عندما يبدأ في ارتكاب المعصية يظن نفسه صاحب الكلمة الأولى والأخيرة، ولكن سرعان ما يجد نفسه عبداً للخطية، يدفع ثمن جرمه! لا يستطيع الشرير أن يتحكم في حاضره ولا مستقبله، مهما ظن أنه صاحب سلطان.

أيها المؤمنون، دعونا نشكر الرب لأنه هو الذي غرسَنا. كنّا عُصافة فجعلنا بنعمته أشجاراً خضراء. لكن إن كنتَ كالعُصافة التي تذريها الريح، فالرب يوجّه الدعوة إليك الآن ليغرسك عند المياه الجارية، فتصبح شجرة زاهية.

٢ - الشرير في حياته الآتية: «لذلك لا تقوم الأشرار في الدين ولا الخطاة في جماعة الأبرار» (آية ٥). عاقبة الأشرار أنهم لا يستطيعون أن يقوموا على أقدامهم في يوم الدين لأنهم مرتعبون من الله، تصطك ركبهم وترتعب أرجلهم.

وهم لا يقدرون أن ينهضوا أو يقفوا لأنهم طالما سقطوا في الخطية، حتى صارت حياتهم سقوطاً مستمراً، فما عادوا يعرفون كيف يقفون، فينكّسون رؤوسهم خجلاً. وعندما تُفتح الأسفار وتُعلَن

خطاياهم، يظهرون على حقيقتهم، ويسمعون عقوبتهم المخيفة: «اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية» (مت ٢٥: ٤١).

ولا يقدر الأشرار أن يقفوا يوم الدين أمام الفحص الإلهي. قال المرنم: «إن كنتَ تراقب الآثام يا رب يا سيد، فمن يقف؟» (مز ١٣٠: ٣). من يقدر أن يقف في المحكمة الإلهية؟ من يجرؤ على الدفاع عن نفسه؟

ثالثاً - سبب النجاح وسبب الفشل

(آية ٦)

١ – **سبب النجاح:** «لأن الرب يعلم طريق الأبرار». والقول «الرب يعلم» في اللغة العبرية يعني «يعلم بحب». «أما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة» أي أنها مرقّمة! (مت ١٠: ٣٠) والمسيح الراعي الصالح يعرف خرافه الخاصة ويدعوها بأسماء (يو ١٠: ٣). يعرف الرب المؤمنين ويعرف طريقهم أيضاً!

اطمئن أيها المؤمن فأنت لست وحدك. يمكنك أن تقول: «إذا سرتُ في وادي ظل الموت لا أخاف شراً، لأنك أنت معي» (مز ٢٣: ٤). ما أجمل أن تدرك أن المسيح يعلم طريقك، لأنه سار فيه قبلك. تألم مجرَّباً فيقدر أن يعين المجرَّبين. نحن ننتمي إليه. نحن شعبه، غنم مرعاه (مز ١٠٠: ٣).

٢ – **سبب الفشل:** «أما طريق الأشرار فتهلك». قال الله: «الحائدون عني في التراب يُكتبون لأنهم تركوا الرب ينبوع المياه الحية» (إر ١٧: ١٣). أرجوك ألاّ تُطمئن نفسك بوهمٍ كاذب، لأن طريق الأشرار تهلك.

والآن، بعد أن رأينا وصف الوحي الإلهي للأشرار والأبرار، من يحب أن يستمر شريراً بعيداً عن الرب؟ إن الرب يقدم لنا أعظم دعوة للتوبة، وأعظم نداء للخلاص المجاني.

ليت كل شرير يفيق من أمانه الكاذب، ويدرك أن طريقه مهما بدت سعيدةً ستنتهي حتماً بالجحيم، فيحيد عنه الآن. وليت كل بار يتشجَّع، وهو يقول للرب: «أنت يا رب عرفتني. رأيتني واختبرتَ قلبي من جهتك» (إر ١٢: ٣). طوبى للإنسان البار لأن له الحياة الخالدة في المسيح .. وويل للإنسان الشرير في هذه الحياة، وفي الحياة الأبدية.

١ لِمَاذَا ٱرْتَجَّتِ ٱلْأُمَمُ وَتَفَكَّرَ ٱلشُّعُوبُ فِي ٱلْبَاطِلِ؟ ٢ قَامَ مُلُوكُ ٱلْأَرْضِ وَتَآمَرَ
ٱلرُّؤَسَاءُ مَعاً عَلَى ٱلرَّبِّ وَعَلَى مَسِيحِهِ، قَائِلِينَ: ٣ «لِنَقْطَعْ قُيُودَهُمَا، وَلْنَطْرَحْ عَنَّا
رُبُطَهُمَا».
٤ اَلسَّاكِنُ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ يَضْحَكُ. ٱلرَّبُّ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ. ٥ حِينَئِذٍ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِمْ بِغَضَبِهِ
وَيَرْجُفُهُمْ بِغَيْظِهِ. ٦ أَمَّا أَنَا فَقَدْ مَسَحْتُ مَلِكِي عَلَى صِهْيَوْنَ جَبَلِ قُدْسِي.
٧ إِنِّي أُخْبِرُ مِنْ جِهَةِ قَضَاءِ ٱلرَّبِّ. قَالَ لِي: «أَنْتَ ٱبْنِي. أَنَا ٱلْيَوْمَ وَلَدْتُكَ.
٨ اِسْأَلْنِي فَأُعْطِيَكَ ٱلْأُمَمَ مِيرَاثاً لَكَ وَأَقَاصِيَ ٱلْأَرْضِ مُلْكاً لَكَ. ٩ تُحَطِّمُهُمْ بِقَضِيبٍ مِنْ
حَدِيدٍ. مِثْلَ إِنَاءِ خَزَّافٍ تُكَسِّرُهُمْ».
١٠ فَٱلْآنَ يَا أَيُّهَا ٱلْمُلُوكُ تَعَقَّلُوا. تَأَدَّبُوا يَا قُضَاةَ ٱلْأَرْضِ. ١١ اُعْبُدُوا ٱلرَّبَّ بِخَوْفٍ
وَٱهْتِفُوا بِرَعْدَةٍ. ١٢ قَبِّلُوا ٱلِٱبْنَ لِئَلَّا يَغْضَبَ فَتَبِيدُوا مِنَ ٱلطَّرِيقِ. لِأَنَّهُ عَنْ قَلِيلٍ يَتَّقِدُ
غَضَبُهُ. طُوبَى لِجَمِيعِ ٱلْمُتَّكِلِينَ عَلَيْهِ.

الخزف يتآمر

قدم لنا مزمور ١ الإنسان في سموّه، فقال: «طوبى للذي لم يسلك في مشورة الأشرار. لكن في شريعة الرب مسرّته». ويقدم مز ٢ الإنسان وقد سقط من سموّه الروحي وارتكب الخطية وثار ضد الله، وهي ثورة فاشلة، ضد العقل السليم. لذلك يبدأ المزمور باستفهام استنكاري: «لماذا ارتجّت الأمم؟»».

وقد قال رسُل المسيح إن داود هو كاتب هذا المزمور، وذلك في صلاتهم (بعد إطلاق بطرس ويوحنا من السجن الذي أُلقيا فيه بعد شفاء المولود أعرج) إذ قالوا: «أيها السيد، أنت هو الإله الصانع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، القائل بفم داود فتاك: لماذا ارتجّت الأمم، وتفكّر الشعوب بالباطل؟ قامت ملوك الأرض واجتمع الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه». ثم فسّر التلاميذ كلمات المزمور في نور ما حدث، وقالوا: «لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع الذي مسحته، هيرودس وبيلاطس البنطي مع أمم وشعوب إسرائيل، ليفعلوا كل ما سبقت فعيّنت يدُك ومشورتُك أن يكون» (أع ٤:٢٤-٢٨).

إذاً، فهذه الثورة التي حدثت لم تكن في حقيقتها ضد الله، بل كانت تنفيذاً لمشيئته الصالحة والمرضيّة والكاملة. لقد حقّقوا مقاصده في الفداء. صحيحٌ أن الثائرين في جهلهم ثاروا، لكن ثورتهم حقّقت مشيئة الله الملك الحقيقي، دون أن يقصدوا!

واستمرَّ التلاميذ في صلاتهم يقولون: «والآن يا رب انظر إلى تهديداتهم، وامنح عبيدك أن يتكلموا بكلامك بكل مجاهرة بمدّ يدك للشفاء، ولتُجْرَ آياتٌ وعجائب باسم فتاك القدوس يسوع» (أع ٤: ٢٩). لم يقولوا «انتقِم لنا منهم».ولا «أبِدْهم». بل: «مُدّ يدك لشفائهم»! فتزعزع المكان الذي كانوا مجتمعين فيه، وامتلأ الجميع من الروح القدس، وكانوا يتكلمون بكلام الله بمجاهرة (أع ٤: ٣١).ارتجَّت الأمم بالباطل ضد الرب، وتزعزع المكان بالحق بقوة الرب. ارتجاج الأمم باطل، لأنه ضجّة لا معنى لها. أما اهتزاز المكان فهو نتيجة بركة الرب للذين امتلأوا من الروح القدس، فغفروا لأعدائهم، وصلّوا لأجل مضطهديهم، وكانوا يتكلمون بكلام الله بمجاهرة.

يقدم لنا مز ٢ أول نبوّة وردت في المزامير عن عمل المسيح ومجده، والمقاومة التي يلقاها، وانتصاره النهائي. وهي نبوّة تتكرر باستمرار على صفحات الكتاب المقدس، وقد تحققت في تاريخ الكنيسة، ولكن تحقيقها الكامل والنهائي سيتم عند مجيء المسيح ثانيةً في مجد سماوي عظيم، ليُرهب الذين يقاومون مشيئته ويجعلهم يدفعون ثمن ثورتهم الفاشلة، فيحطمهم بقضيب من حديد ومثل إناء خزاف يكسرهم. فاليوم نرى المسيح ملكاً مرفوضاً من كثيرين، ولكن وقت إعلان انتصاره آتٍ «لأنه لمَن مِن الملائكة قال قط: أنت ابني، أنا اليوم ولدتك. وأيضاً أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً» و«كذلك المسيح أيضاً لم يمجد نفسه ليصير رئيس كهنة، بل الذي قال له أنت ابني. أنا اليوم ولدتك» (عب ١: ٥ و٥: ٥).

هذا المزمور ترتيلة من أربعة أعداد، يتكوّن كل عدد منها من ثلاث آيات، تقول إن الله سينفّذ قصده في ابنه وفي مسيحه، وسيؤسس مملكته. والخطر كل الخطر على من يقاومه. والبركة كل البركة لمن يملّك هذا الملك القوي المنتصر على قلبه.

سينفّذ الله مقاصده رغم مقاومة بعض البشر الجاهلين، ولو كره الكارهون، فتهتف كل المسكونة: «أنت مستحقٌ أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة، لأنك أنت خلقت كل الأشياء، وهي بإرادتك كائنة وخُلقت» (رؤ ٤: ١١).

ثورة البشر ضد الله ثورة غير منطقية، وفاشلة.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – ثورة الناس ضد الرب (آيات ١-٣)

ثانياً – جواب الله الآب على هذه الثورة (آيات ٤-٦)

ثالثاً – جواب المسيح على هذه الثورة (آيات ٧-٩)

رابعاً – نداءٌ للتعقّل (آيات ١٠-١٢)

أولاً - ثورة الناس ضد الرب

(آيات ١-٣)

يبدأ أول عدد في ترتيلة مزمور ٢ بالتساؤل: «لماذا ارتجّت الأمم؟ لماذا قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه، قائلين: لنقطع قيودهما ولنطرح عنا ربطهما؟». وهذا وصفٌ للكراهية التي تملأ نفوس كثيرين من البشر للمسيح، فيثورون عليه ويعصونه في حماقة، كما فعل هيرودس وهو يحاول أن يقتل المسيح الوليد خوفاً على عرشه ونفوذه (مت ٢:١٦)، وكما قال قيافا: «خيرٌ لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب، ولا تهلك الأمة كلها» (يو ١١:٥٠)، وكما حنق شيوخ اليهود على تلاميذ المسيح الذين كانوا يعظون بالمسيح المخلِّص، فتشاوروا أن يقتلوهم (أع ٥:٣٣).

لقد اعتقد هؤلاء الجهلة أن الشريعة الإلهية قيود ورُبط تضايقهم، بينما هي لخيرهم. هل سمعت عن قطار يثور على القضبان لأنها تحدُّ حريته؟ ألا ترى أن الذين يقاومون إرادة الله هم أطفال في التفكير الروحي، لا يعرفون أن القيود لازمة لهم؟

العالم كله في ثورة ضد الرب وضد المسيح. الأمم والشعوب والملوك والرؤساء يرتجّون كالبحر الهائج، يفكرون ويقاومون ويتآمرون، ليقطعوا ما يظنونه «قيود الرب» وليطرحوا ما يعتقدون أنه «رُبط» تحرمهم من السعادة. يتّفقون على محاربة رئيس السلام، فيثورون ضد الحكم الإلهي! يريدون أن يكونوا أحراراً في ارتكاب ما يشتهون، وهذا التفكير «باطل» عاطل عن الصواب، وبلا نتيجة، فالله هو الخالق وضابط الكل وصاحب السلطان في السماء والأرض.

ثم أن الرب لا بد أن يملك، لأنه الملك وصاحب السلطان، و«يوم مجيئه.. مثل نار الممحّص (المنقّي)، ومثل أشنان (مادة حمضية تدخل في تصنيع الصابون) القصَّار (مبيِّض الثياب).. فهوذا يأتي اليوم المتَّقد كالتّنور، وكل المستكبرين وكل فاعلي الشر يكونون قشاً، ويحرقهم اليوم الآتي.. فلا يُبقي لهم أصلاً ولا فرعاً» (ملا ٣:٢ و٤:١).

عندما سمع الملك هيرودس أن مولوداً ملكياً وُلد في بيت لحم حاول أن يقتله ليحتفظ بالعرش لنفسه ولأولاده من بعده. فهل العرش عرش هيرودس؟ إنه أمانة أوكلها ملك الملوك إليه! وأمر هيرودس بقتل كل طفل عمره سنتان فما دون. ولكن الرب أمر يوسف أن يأخذ الطفل وأمه إلى مصر. وانتهى مُلك هيرودس وسيظل ملكوت الله إلى أبد الآبدين!

تعلَّم نبوخذنصَّر ملك بابل، أعظم حكام زمانه، درساً في سلطان الذي لا يُقاوم، فقال: «أنا نبوخذنصَّر أسبّح وأعظّم وأحمد ملك السماء، الذي كل أعماله حق وطرقه عدل. ومَن يسلك بالكبرياء فهو قادر على أن يُذلّه» (دا ٤:٣٧).

لماذا تفكّر الشعوب في الباطل؟ إنهم جهّال! فلننحنِ أمام الله الخالق صاحب السلطان، المحب المعتني الذي يستحق السجود والطاعة والعبادة. وإن كان نير المسيح قاسياً على من لا يحب المسيح، فإنه هيِّنٌ وخفيف على من تمتّع بخلاص المسيح.

ثانياً - جواب الله الآب على هذه الثورة

(آيات ٤-٦)

يعلن العدد الثاني من ترتيلة مزمور ٢ ردَّ الفعل الإلهي على الثورة الفاشلة:

١ - الرب يضحك: «الساكن في السماوات يضحك» (آية ٤). الأمم يرتجّون وهو يضحك سخريةً، لأن الخليقة تقاوم خالقها! هل تقول الجبلة لجابلها: ماذا تفعل؟ إنها ثورة باطلة وعاجزة. هي ضوضاء بلا نتيجة. هم كطفلٍ يصرخ ثائراً على والديه، ويهرب منهما بالاختباء تحت سريره! ولكن يد أبيه تطوله، لأنه لا بد من تنفيذ خطة الأب المحب الذي لا يفكر إلا في فائدة ولده ومصلحته. ونلاحظ الهدوء الذي يشعُّ من جلال الله كلي القدرة، والسخرية من الخاطئ الثائر على الإله الذي به يحيا ويتحرك ويوجد!

إلى أين نهرب من الرب؟ نزل يونان إلى جوف السفينة، وهناك امتدَّت يد المحبة الكبيرة لترسل ريحاً، ولتُعِدّ حوتاً يبتلع يونان ويُرجعه إلى حيث يجب أن يكون. ألا نفعل ذلك كثيراً عندما يكلمنا الله برسالة فنتشاغل عنها؟.. وعندما نتصرف بطريقة خاطئة يقول الرب لنا: أنت تدمر حياتك وتبتعد عني.. إلى أين؟ هل تهرب من المشيئة الإلهية؟ حتى متى ترتكب الحماقات؟!

٢ - الرب يوبِّخ: «حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه» (آية ٥). لمسهم لمسة الحب، فلم يستجيبوا، فجاء موعد التوبيخ. عندما يجري أولادنا منا نضحك أولاً، ثم نوبخهم لأنهم لم يستجيبوا لنداء الحب، ولم يفهموا مقاصدنا الأبوية لصالحهم.

لا تزال السماء صامتةً رغم تجاديف الثائرين ضد الله، ولا زال الله يعلن أخبار غفرانه وخلاصه. لكن لا بد أن يجيء الوقت الذي يضع الله فيه أعداءه موطئاً لقدميه، ويرجف أعداءه بغيظه في يوم الانتقام والغضب!

٣ - الرب يعلن: «أما أنا فقد مسحتُ ملكي على صهيون جبل قدسي» (آية ٦). في آية ٢ رأينا التآمر ضد مسيح الرب. ولكن الرب يعلن أنه قد مسح مَلِكه بمسحة الروح القدس، ليتحقق ما يريده الله، وهو مُلك مسيحه. وعليهم أن يقبلوا مشيئته لأنها لخيرهم ولأنه يحبهم.

الله يضحك. الله يوبخ. الله يعلن أن مشيئته هي الصالحة المَرْضيَّة الكاملة التي سبق تعيينها. فلتكن مشيئة رب الجنود.

وهذا الإعلان الإلهي يرينا أن المسيح ملك شعبه، يدافع عنهم ويدبِّر أمورهم ويرسم لهم خطة حياتهم، «لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمالٍ صالحة، قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها» (أف ٢:‏١٠). وهو ملكٌ على أعدائه، يُخضِعهم ليحققوا خططه وهم لا يدرون، كما قال بطرس ويوحنا لليهود: «إن إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، إله آبائنا، مجَّد فتاه يسوع، الذي أسلمتموه أنتم، وأنكرتموه.. ورئيس الحياة قتلتموه، الذي أقامه الله من الأموات» (أع ٣:‏١٣-١٦) . لقد أعلن الله أنه مسح مَلِكه على صهيون «الحصن» جبله المقدس، الذي تُقام فيه العبادة لملك السماء والأرض.

ثالثاً - جواب المسيح على هذه الثورة

(آيات ٧-٩)

«تآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه» فأعلن الآب أنه مسح ملكه، فلن يقاومه أحد. ويجاوب المسيح على ثورة الأمم ضده بأن:

١ - **يعلن أزليته:** «إني أخبر من جهة قضاء الرب. قال لي: أنت ابني. أنا اليوم ولدتك» (آية ٧). يقول الأب البشري لابنه: «اليوم ولدتك، فأنت ابني». أما الآب السماوي فيقول للمسيح: «أنت ابني. أنا اليوم ولدتك». فهو ابنٌ من قبل مولده، ووجوده سابق لميلاده. إنه ابن الله قبل كل الدهور، وولادته من العذراء أعطته الجسد الإنساني. فالمسيح هو المولود غير المخلوق، المساوي للآب في الجوهر. هو الكلمة الأزلي، الواحد مع الآب، لا بداية أيام له، ومخارجه منذ القديم، منذ أيام الأزل (مي ٥:٢). ولكن «اليوم ولدتك» وهكذا دخل المسيح إطار الزمن لأنه «لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس» (غل ٤:٤). المسيح هو ابن الله من الأزل، وفي ملء الزمان جاء وتمم العمل الذي كُلِّف به، ثم قال للآب: «العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته. والآن مجّدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم» (يو ١٧: ٤ و٥).

يقول الابن الملك: «أخبركم من جهة الترتيب الإلهي بقضاء الرب. قال لي: أنت ابني. أنا اليوم ولدتك». وهنا يعلن المسيح حقوقه كالملك الممسوح من الله. في آية ٢ رأينا مؤامرة فاشلة «تآمروا». وفي آية ٧ نرى «قضاء الرب» والتدبير الإلهي المقدس.

٢ - **يعلن مُلكه:** يقول إن الآب قال له: «اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض ملكاً لك» (آية ٨). كان الملوك العظماء يعطون المقرَّبين ما يطلبونه «ولو إلى نصف المملكة» (أس ٥:٦ ومت ١٤:٧). فهذا الابن الأزلي الذي دخل إطار الزمن والمكان، يعطيه الآب السماوي المُلك. «تذكر وترجع إلى الرب كل أقاصي الأرض، وتسجد قدامك كل قبائل الأمم» (مز ٢٢:٢٧). فلا بد أن «تجثو باسم يسوع كل ركبة ممَّن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب» (في ٢:١٠ و١١).

وإعلان المسيح لمُلكه يعلّمنا أن إلهنا ديمقراطي يسمح بقيام حزب معارضة، ويقبل أن إبليس رئيس هذا العالم، وأتباعه من الأمم والشعوب، يرتجّون ويفكرون ويقومون ويتآمرون ويقولون: «لنقطع قيودهما ولنطرح عنا ربطهما» ومع ذلك فإنه يرزقهم ويمنحهم الحياة ويعطيهم إمكانية الثورة ضده. إنه يُطيل أناته عليهم لعلهم يتوبون، لأنه يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يُقبِلون. ورغم المعارضة الفاشلة فإنه هو الحاكم الأعلى، وصاحب السلطان الكامل.

٣ - **يعلن تأكيد انتصاره:** يقول المسيح للآب: «تحطمهم بقضيب من حديد. مثل إناء خزّاف تُكسِّرهم» (آية ٩). قاموا ضده فيحطمهم تحطيماً لا قيام لهم من بعده، فإناء الخزف المكسور لا يمكن إصلاحه، ولا يصلح لشيء، ولا يمكن إعادة تشكيله مرة أخرى. لقد دعا الله البشر دعوة محبة

ليرجعوا إليه ويخضعوا له. وكل من يقبل دعوته ينال البركة، وكل مَن يرفضها يتحمّل العواقب، فكل ما لا يتأسس على الصخر ينهار.

رابعاً - نداءٌ للتعقُّل

(آيات ١٠-١٢)

بعد أن تساءل النبي داود عن سبب الثورة الفاشلة ضد الله وشرائعه، وبعد أن شرح ردّ الفعل الإلهي، وردّ فعل المسيح على هذه الثورة، يدعو كل الأمم والشعوب للتعقّل والتأدّب في حضرة الله، لأنه ملك الملوك ورئيس القضاة، وصاحب السلطان في السماء وعلى الأرض.

١ - يدعوهم للحكمة: «يا أيها الملوك تعقّلوا. تأدّبوا يا قضاة الأرض» (آية ١٠). إنهم ملوك وقضاة لأن الله منحهم هذه الرُّتب، والله هو الملك والقاضي الأعلى، وله يؤدّون الحساب! إن مخافة الرب هي الحكمة، والحيدان عن الشر هو الفهم، ومخافة الرب هي رأس المعرفة، أما الجاهلون فيحتقرون الحكمة والأدب (أي ٢٨:٢٨ وأم ١:٧). من الحكمة أن نصغي لنتعلّم، لأن التعليم السماوي يخلّصنا إن قبلناه، وهو ينصحنا أن نحكّم عقولنا وأن نخضع له بسرور.

وقد يقول قائل: لستُ ملكاً ولا قاضياً. فنجيب أن كل واحد منا رب بيت أو رب عمل. وكلنا مسؤولون نصدر أحكاماً كل يوم: على أولادنا وعلى إخوتنا وعلى زملائنا. فلنطع المسيح ولنتعقّل ونتأدّب في مخافة الرب، ولنطلب منه الرحمة والحكمة.

٢ - يدعوهم للعبادة: «اعبدوا الرب بخوف واهتفوا برعدة» (آية ١١). والعبادة هي خدمة الله، فإن كلمتي «عَبَد» و«عبْد» من أصل واحد. فالذي يعبد هو الذي يخدم. والعبادة هي خدمة نؤديها لله، لا بالكلام ولا باللسان ولكن بالعمل والحق. إنها دعوة أن نخدم بخوف التقوى الممتزج بالطاعة. ويجب أن يمتزج هتاف الفرح بالخوف المقدس، فالخوف بدون فرح هو عذاب، والفرح بدون خوف هو مجرّد ادّعاء!

٣ - يحذّرهم من الثورة: «قبّلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق، لأنه عن قليل يتّقد غضبه» (آية ١٢). وللقُبلة في الكتاب المقدس ثلاثة معانٍ:

(أ) قُبلة التسليم: فتقول التوراة إن النبي صموئيل أخذ قنّينة الدهن وصبّ على رأس شاول الملك وقبّله وقال له: «الرب قد مسحك على ميراثه رئيساً» (١صم ١:١٠). وهذا ما يجب أن نفعله مع الابن الحبيب، مسيح الرب. نقبّله فنقبل سلطانه على حياتنا.

(ب) قبلة العبادة: قال الله لإيليا: «أبقيتُ في إسرائيل سبعة آلاف، كل الرُّكب التي لم تجثُ للبعل، وكل فم لم يقبّله» (١مل ١٨:١٩). فالتقبيل هنا يعني العبادة. فلننحنِ للمسيح الابن، ولنقُل له مع توما: «ربي وإلهي» (يو ٢٠:٢٨).

(ج) **قُبلة الحب:** وقد أمر الرسول بطرس مسيحيي الكنيسة الأولى: «سلّموا بعضكم على بعض بقبلة المحبة» (١بط ٥:١٤). فلنقبّل الابن بقبلة المحبة، متمّمين الوصية الأولى والعظمى: «تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك» (مر ١٢:٣٠).

فلنقدم للمسيح الابن الملك كل التسليم، وكل العبادة والتكريم، وكل المحبة، لأنه وحده يستحق هذا كله. فإن كنا نغتنم هذه الفرصة نتبارك وإن رفضناها نهلك.

٤ – **يدعوهم للاتكال عليه:** «طوبى لجميع المتكلين عليه» (آية ١٢). والاتكال هو السلوك بناءً على الثقة التي لنا في المسيح، والعمل بحسب ما يقول، لأننا نثق في توجيهاته ووعوده. فليكن اتكالنا على المسيح حقيقياً، فنخضع مشيئتنا لمشيئته الإلهية.

وفي ختام تأملنا في هذا المزمور أعود بكم إلى أعمال ٤:٣١ حيث يقول: «لما صلّوا تزعزع المكان». فلنطع الأمر السماوي «قبّلوا الابن» ليتزعزع المكان من حضوره، ولنتبارك لأنه هنا، حاضرٌ في قلوبنا وفي بيوتنا وفي كنيستنا. قدّموا له السجود واهتفوا برعدة التقوى، ليمتلئ المكان بحضوره وسطنا، ولنمتلئ جميعنا بالروح القدس، ثم ننطلق لنخبر بكلمة الرب بمجاهرة.

المزمور الثالث

مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ حِينَمَا هَرَبَ مِنْ وَجْهِ أَبْشَالُومَ ٱبْنِهِ
١ يَا رَبُّ مَا أَكْثَرَ مُضَايِقِيَّ. كَثِيرُونَ قَائِمُونَ عَلَيَّ. ٢ كَثِيرُونَ يَقُولُونَ لِنَفْسِي: «لَيْسَ
لَهُ خَلَاصٌ بِإِلٰهِهِ». سِلَاهْ.
٣ أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَتُرْسٌ لِي. مَجْدِي وَرَافِعُ رَأْسِي. ٤ بِصَوْتِي إِلَى ٱلرَّبِّ أَصْرُخُ
فَيُجِيبُنِي مِنْ جَبَلِ قُدْسِهِ. سِلَاهْ.
٥ أَنَا ٱضْطَجَعْتُ وَنِمْتُ. ٱسْتَيْقَظْتُ لِأَنَّ ٱلرَّبَّ يَعْضُدُنِي. ٦ لَا أَخَافُ مِنْ رِبَوَاتِ
ٱلشُّعُوبِ ٱلْمُصْطَفِّينَ عَلَيَّ مِنْ حَوْلِي. ٧ قُمْ يَا رَبُّ. خَلِّصْنِي يَا إِلٰهِي. لِأَنَّكَ ضَرَبْتَ كُلَّ
أَعْدَائِي عَلَى ٱلْفَكِّ. هَشَّمْتَ أَسْنَانَ ٱلْأَشْرَارِ. ٨ لِلرَّبِّ ٱلْخَلَاصُ. عَلَى شَعْبِكَ بَرَكَتُكَ. سِلَاهْ.

رافع رأسي

كتب النبي داود مزموري ٣ و٤ حين هرب من وجه ابنه أبشالوم، بعد أن حاول أبشالوم القيام بانقلاب ضده. وكان الموقف قاسياً جداً على داود، فهو ملك مرفوض من أغلبية شعبه، وأبٌ مرفوض من ابنه! وانحازت أغلبية الشعب إلى صف أبشالوم، وإن كانت جماعة أمينة قليلة العدد بقيت مع داود، فاضطر أن يهرب من قصره حافي القدمين، لأن الفرصة لم تسنح له أن يستعد للخروج من القصر. في هذا الموقف القاسي وجد داود تعزيته في الرب، فرفع صلاته في هذا المزمور، وهو مزمور صباحي، كتبه بعد ليلة صرفها في خوفٍ بالغ، قال بعدها: «أنا اضطجعتُ ونمت. استيقظتُ لأن الرب يعضدني» (آية ٥). ورفع صلاته في المزمور الرابع، وهو مزمور مسائي، كتبه بعد يوم خطير انتهى بالخير، فقال فيه: «بسلامةٍ أضطجع بل أيضاً أنام، لأنك أنت يا رب منفرداً في طمأنينة تُسكّنني» (آية ٨).

هرب الملك من قصره ليلاً. ولما أشرق عليه الصباح بخير كتب مزمور ٣. وفي نهاية اليوم الأول من هروبه كتب مزمور ٤. لقد انقضى يوم قاسٍ استودع داود بعده نفسه بين يدي إلهه. فإن جاءت مشاكلنا في بدء يومنا، نستطيع أن نختم يومنا بين يدي إله محب. وإن جاءت في ليلنا فإننا ندرك أنه «عند المساء يبيت البكاء وفي الصباح ترنم» (مز ٣٠:٥) لأن إلهنا معنا. وإذا جاءتنا مشاكل الحياة في بدئها ندرك أننا لا بد سنختم حياتنا بين يدي إله محب. وإذا داهمتنا المتاعب عند نهايتها ندرك أن شمسنا لا بد تغرب بين يدي إله محب.

يملأ المزموران ٣ و٤ قلوبنا باطمئنان عظيم، لأن إلهنا هو الألف والبداية كما أنـه اليـاء والنهايـة. ألِفنا منه وياؤنا إليه. له نرفع ترنيمة الصباح، وإليه نرتل حمد المساء.

رأينا في مزمور ٢ ثورة من الخارج على مسيح الرب، ونرى في مزمور ٣ داود يواجه ثورة من داخل بيته ومملكته، من ناس لم يدُر بخلده أن يتوقع منهم ذلك. ولئن كان الضيق الذي يواجهنا من الذين هم من خارج صعباً، فالذي يواجهنا من القريبين منا أكثر صعوبـة. لكـن داود (فـي مزموريـه ٣ و٤) يرينـا رعاية الله واطمئنان أولاده، سواء جاء الضيق من بعيد أو مـن قريـب. لقد قـال فـي ختـام مزمـور ٢ «طوبى لجميع المتكلين عليه». وختم مزمور ٣ بقولـه: «للـرب الخـلاص». ويختـم مزمـور ٤ بقولـه: «في طمأنينة تسكّنني».

وردت قصة محاولة انقـلاب أبشـالوم الفاشـلة ضـد أبيـه داود فـي ٢صموئيـل ١٥-١٨. رتـل داود بعدها هذا المزمور.

في هذا المزمور نجد،

أولاً - شكوى المرنم (آيتا ١ و ٢)

ثانياً - ثقة المرنم (آيتا ٣ و ٤)

ثالثاً - طمأنينة المرنم (آيتا ٥ و ٦)

رابعاً - صلاة المرنم (آيتا ٧ و٨)

أولاً - شكوى المرنم

(آيتا ١ و٢)

لداود كل الحق أن يشكو، فإن ابنه انقلب عليـه وثـار ضـده، وعندمـا مشـى حـافي القدمين منحنـي الرأس لم يستطع أن يجد تبريراً لذلك. ربما قال القليلون من أصحابـه إنـه لـم يحسـن تربيـة ولـده. أمـا أعداؤه فلا بد قالوا إن خطايا داود وسوء قدوته ألّبت ابنه عليه، ولا بـد أن إلهـه تركـه حتـى ثـار ابنـه ضده، ولا بد أن عبادته وتراتيله رياءٌ ونفاق!

وكم من مرة وجدنا أنفسنا في موقف لا نستطيع أن نشكو فيه للناس، لأننا نرى في عيونـهم الانتقـاد الموجّه إلينا. ولذلك توجّه داود إلى الله يقول: «سأحكي لك همّي لأني أعرف النتيجة المضمونـة لهـذه الشكوى. يا رب ما أكثر مضايقيَّ. كثيرون قائمون علـيَّ. كثـيرون يقولـون لنفسـي: ليـس لـه خـلاص بإلهه». ويقول المؤرخ المقدس: «انطلق مع أبشالوم مئتا رجل من أورشليم قد دُعوا وذهبـوا ببسـاطة، ولم يكونوا يعلمون شيئاً» (٢صم ١٥:١١). ألم يكن داود ملكاً عظيماً قدم خدمـات لهـؤلاء الكبـار فـي مملكته؟ لكن ها هم الآن ينقلبون عليه، بعضهم بمعرفة وبعضهم بجهل. غير أن الخطـورة الأكبر كانت من الذين وقفوا ضد داود يقولون له: «ليس لك خلاص بإلهك». ويبدو أن هذه الكلمات حطمـت نفسـية

داود، فأدخلت الشكوى إلى أعماقه. لو أنهم قالوا «لعقلي» لطردتُ الفكرة، لكن الشكوى بدأت تدخل إلى أعماقي: إنك لم تعد تقف إلى جواري، هل حقاً يا رب طردتني من محضرك؟

لكن شكراً لله، فقد عرف داود أن يتجه بشكواه إلى من ينصفه، وكان هذا سبب إنقاذه. حتى لو قالوا له إن الله تركه فإنه يلجأ إليه، إذ ليس له سواه. «مَن لي في السماء؟ ومعك لا أريد شيئاً في الأرض» (مز ٧٣:٢٥).

ويحكي داود شكواه إلى الله، ويسجّلها مزموراً يرتله الأتقياء من بعده، ليخبر بفضل الله الذي لا يخيب من يشكو إليه.

ثانياً - ثقة المرنم

(آيتا ٣ و٤)

يبدأ المرنم القسم الثاني من هذا المزمور بالاتجاه إلى الله، فيقول: «أما أنت يا رب فترسٌ لي». والترس قطعة خشب مغطاة بالجلد، يتلقّى الجندي بها السهام الموجهة ضده، فينغرس فيها سنُّ السهم.

وكأن داود يقول: يا رب أُحوّل نظري من المشكلة إليك. الموقف عصيب، ويبدو للناظر أنه لا أمل، فأنا هارب طريد. ولكني أرى ما لا يُرى: أراك أنت، فألتفت لا للأمم ولا لأمّتي، لكن إليك أنت وحدك.

ويرى المرنم في إلهه: الترس، والمجد، ورفع الرأس، وسامع الصلاة:

١ - **الرب ترس المرنم**: «أما أنت يا رب فترسٌ لي» (آية ٣أ). الرب ترس الحماية الكاملة. تذكر وقوفه أمام جليات الجبار! مجرد ولد صغير أمام الجبار المتسلح الذي لم يكن يستطيع رغم جبروته أن يحمل كل ما معه من سلاح، فكان يتبعه رجل آخر يحمل له سلاحه. ولم يكن سلاح داود سوى عصا ومقلاع وخمسة أحجار! ولكن الترس لم يستطع أن يحمي الجبار، فسقط أمام داود. ولم يكن داود يملك ترساً خشبياً، لكنه كان يملك الترس الحقيقي «أما أنت يا رب فترس لي». أنت حمايتي، أنت قلعتي. إليك أتوجه وأحتمي بك.

وردت كلمة «ترس» لأول مرة في الكتاب المقدس في قول الله لإبراهيم خليله: «لا تخف يا أبرام. أنا ترس لك. أجرك كثير جداً» (تك ١٥:١). وتذكّر داود موقف الله مع إبراهيم الذي كان قد قاد معركة حربية (كانت الأولى والأخيرة في حياته) لينقذ ابن أخيه لوطاً من الذين أسروه، ونصر الله خليله! وتوقّع إبراهيم أن الملك كدرلعومر المهزوم والملوك المحيطين به لا بد أن يعودوا ليحاربوه بعد أن أصبحت قوته الحربية تهديداً لهم. ولعل إبراهيم خاف. لقد أنقذ ابن أخيه، ولكن لوطاً لم يشكره (مع أن ملك سدوم وعمورة شكره). ولا طلب لوط أن يعود للعيش مع عمه إبراهيم. كان إبراهيم في موقف ضعف وخوف، فأمّنه الله من خوفه وقال له: «لا تخف. أنا ترس لك».

ورأى داود أن الله سيتصرف معه بنفس الطريقة، فقال له: «أنت ترسٌ لي».

٢ – **الرب مجد المرنم:** «أنت مجدي» (آية ٣ب). مجده حتى في وحدته. كان قبل محاولة الانقلاب ملكَ البلاد. كان مجده في مملكته وعرشه وجيشه وعائلته. أما الآن فهو مطارَد هارب حافي القدمين يبكي. كل مجده السياسي والأرضي انتهى، والذين أحاطوا به من أصدقائه كانوا يشفقون عليه أكثر مما يحترمونه.

ولكن إن كان مجد داود المنظور قد ضاع، فإن الرب مجدٌ له لا يمكن أن يُضيع منه أبداً.

ربما نستمد مجدنا من أسرة مشهورة ننتمي إليها، أو من درجة علمية نعتزّ بها، أو من ذكاء نحسب أنه يمكن أن ينقذنا من كل مأزق، أو من صحة نظن أنها تنفعنا. لكن في لحظة قد يضيع هذا كله، ويبقى الرب وحده لنا إن كان هو مجدنا، وإن كنا قد أقمنا علاقة محبة شخصية بيننا وبينه. إن صاحب المجد الحقيقي هو الذي يقدر أن يقف موقف داود، وقد ضاع منه كل شيء، يقول: «أما أنت يا رب فترسٌ لي».

٣ – **الرب رافع رأس المرنم:** «رافع رأسي» (آية ٣ج). يصف المؤرخ المقدس هروب داود بقوله: «أما داود فصعد في مصعد جبل الزيتون. كان يصعد باكياً ورأسه مغطى ويمشي حافياً، وجميع الشعب الذين معه غطوا كل واحد رأسه، وكانوا يصعدون وهم يبكون» (٢صم ١٥: ٣٠). لقد غطوا رؤوسهم حزناً وخزياً، ولن يرفع رؤوسهم إلا الرب. لئن أحني العالم رؤوسنا فإن الرب وحده هو الذي يرفعها، إن كنا نتبعه وإن كنا من محبّيه.

٤ – **الرب سامع صلاة المرنم:** «بصوتي إلى الرب أصرخ فيجيبني من جبل قدسه» (آية ٤). كان تابوت العهد موجوداً في جبل الرب المقدس، وهو يرمز إلى حلول الرب وسط شعبه. في التابوت حفظوا لوحي الوصايا العشر، وقسطاً من المن، وعصا هارون اليابسة التي أفرخت. وهذه كلها تشير إلى أمانة الرب وهدايته وإرشاده لشعبه.

لقد تعوَّد داود أن يدعو الله ويصلي في وقت الرحب كما في وقت الضيق، وتعوَّد على تلقّي الرد في كل وقت. وها هو يصلي الآن واثقاً أن الله الذي وقف معه دائماً سيقف معه في هذا اليوم العصيب.

ثالثاً - طمأنينة المرنم

(آيتا ٥ و٦)

في الآيتين ٥ و٦ من المزمور نرى السلام الذي ملأ قلب داود. لقد أعلن ثقته في الله ترسه ومجده ورافع رأسه وسامع صلاته، فاطمأن قلبه.

١ – **راحة المطمئن:** «أنا اضطجعت ونمت» (آية ٥أ). كان يمكن أن يهاجم أحد رجال أبشالوم داود ويقتله وهو نائم. وكان يمكن أن يكون أحد المحيطين به جاسوساً لأبشالوم يقتل داود أثناء نومه. كل هذا محتمَل. ومع هذا فقد نام نوماً هادئاً، لأن الله «يعطي حبيبه نوماً» (مز ١٢٧: ٢) لا نوم

المخدوعين، بل نوم الواثقين في عناية الرب، المطمئنين لعنايته. ولما استيقظ قال: «استيقظتُ لأن الرب يعضدني» (آية ٥ب) فيقظته تؤكد أن الله حفظه.

نام بطرس في السجن نوماً عميقاً، رغم أن الملك هيرودس كان سيقتله في اليوم التالي! نام بين عسكريين مربوطاً بسلسلتين. وكان أمام الباب حراس. وجاء ملاك الرب فأضاء نورٌ سماوي غرفة السجن. ولم يستيقظ بطرس! فضرب الملاك جنبه وأيقظه قائلاً: «قُم عاجلاً». فسقطت السلسلتان من يديه (أع ١٢:٦-٨). نام بطرس لأنه كان يدرك أن الموت لن يؤذيه بل سيوصّله إلى مقرّه الأبدي ليستريح عند أبيه السماوي. الموت لا يُخيف المؤمن لأنه انتقال. يبدأ المؤمن حياته الأبدية هنا والآن، ثم ينتقل ليكون في حياة أبدية مع الرب لا تنتهي أبداً. إنه ينام مطمئناً. لقد أسند رأسه على كتف إلهه فنام مطمئناً تحت جناحي ربه، فاستيقظ في أمان. وسواء كانت يقظته في محضر الرب في المجد، أو بين أحبائه على الأرض، فإنه يقول للرب في الحالتين: «أنا اضطجعت ونمت. استيقظت لأن الرب يعضدني».

٢ – سلام المطمئن: «لا أخاف من ربوات الشعوب المصطفّين عليّ من حولي» (آية ٦). كان سلامه بالرغم من الظروف وليس بسببها. لم يقلّل داود من حجم مشكلته. كان أعداؤه كثيرين ومتحمسين وحكماء، لكنه رأى نقاط القوة في جانبه. كان عشرات الآلاف مصطفّين حوله، ولكنه مع الله أغلبية. لم يحسب نفسه عظيماً فإنه ليس كذلك، لكنه قدّر قوة الإله الذي يعبده، وقارن حجم المشكلة التي تواجهه بحجم السلطان الإلهي، فامتلأت نفسه بالطمأنينة.

رابعاً - صلاة المرنم

(آيتا ٧ و٨)

بعد أن بثّ داود شكواه، وأعلن ثقته في الرب رافع رأسه، وامتلأت نفسه بالسلام، فعاد يصلي. في مطلع المزمور قال: «يا رب، ما أكثر مضايقيَّ» وهو لحن حزين منكسر. ولكن صلاة نهاية المزمور لحن فرحٍ ظافر، تقول: «للرب الخلاص. على شعبك بركتك». وبهذه النهاية المنتصرة يتم ختام كل موقف قاسٍ يمرُّ فيه أحباء الله. يبدأون بالدموع وينتهون بالابتهاج.

ونجد في صلاة داود طلبتين:

١ – طلبة لنفسه: «قُم يا رب. خلّصني يا إلهي» (آية ٧أ). في ضيقه دعا الرب ليقوم ويعمل، لأنه حي ويهتم، فناداه ليُعينه. إلى مَن يذهب إلا إليه! إنه رب الجنود، الذي يقود جيوش الملائكة لينقذ داود الضعيف في موقفه المخيف. ماضي الله مع داود يشهد للخلاص العظيم الذي ناله من إلهه، فقال له: «لأنك ضربت كل أعدائي على الفك. هَشّمت أسنان الأشرار» (آية ٧ب). راجع داود اختباراته الماضية، وتذكر كيف أن أسداً هاجم قطيعه، وأخذ شاة، فقتله وأنقذها من فمه (١صم ١٧:٣٥). وتذكر هجوم جليات عليه، فقتله وسقط الجبار أمامه (١صم ١٧:٤٨-٥٠). وتذكر مطاردة الملك شاول

وجيشه له وكل محاولات قتله، ولكنها جميعها باءت بالفشل. مملكة قامت ضد رجل واحد، فقال داود لشاول: «وراء مَن خرج ملك إسرائيل؟ وراء مَن أنت مطارِد؟ وراء كلب ميت! وراء برغوثٍ واحد!». (اصم ١٤:٢٤ و٢٠:٢٦). ولكن كل المملكة لم تستطع أن تؤذي داود الذي أطلق على نفسه وصف «برغوث واحد» يقفز من مكان لمكان هارباً أمام مطارده. لم يصلّ داود طالباً الانتقام من عدوّه، لكنه وصف ما فعله الله بالأشرار الذين يقاومون مشيئته الصالحة. لا بد أن يضربهم الرب على عظمة الفك الناطق بالتجاديف، الذي سنّ أسنانه ليلتهم شعب الرب. يحطم الرب رأس التنين!

٢ – **طلبة لشعبه:** «للرب الخلاص. على شعبك بركتك» (آية ٨). إنه واثق أن الرب صاحب الخلاص. صحيحٌ أن داود أرسل أحد مستشاريه المخلصين إلى أبشالوم ليُبطل مشورة أخيتوفل مستشار أبشالوم المشهور بحكمته. وصحيحٌ أنه أرسل كاهنين عظيمين لينقلا إليه أخبار معسكر أبشالوم. لكن هذا وحده لا ينفع داود بشيء، فالخلاص لا يجيء من ذكائه ولا من تدبيره ولا من استحقاقه، مع أنه يجب أن يفكر ويدبر. إنما الخلاص يجيء من الله وحده.

«للرب الخلاص» فهو من أوله إلى آخره بالنعمة. هو عمل الله المرتفع فوق الجميع، صاحب اليد العليا الممتدّة إلى أسفل لتنتشل الضائعين. نعمته تختار خاصته، وروحه يحييهم، وقوته تحفظهم. «فإذاً ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى، بل لله الذي يرحم» (رومية ١٦:٩).

«على شعبك بركتك». هنا يطلب داود البركة للشعب السائر معه، والثائر عليه. وهذا يذكرنا بموقف ابن داود الذي طلب البركة والغفران لصالبيه وقال: «يا أبتاه اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لو ٣٤:٢٣).

قام كثيرون ضد داود، ولكنه يقول: يا رب، من فضلك بارك شعبك. هل عملت خيراً لإنسان فردّه لك شراً؟ لا تندم على الخير الذي فعلتَه ولا تيأس. بارِك الذين يسيئون، ويسبّبون لك الضيق، لأن للرب الخلاص. «باركوا على الذين يضطهدونكم. باركوا ولا تلعنوا» (رو ١٤:١٢).

تعالوا نرفع للرب ترنيمة كل صباح من كلمات المزمور الثالث. ولنختم يومنا بكلمات المزمور الرابع. ولنتصرَّف في كل مشكلة تواجهنا كما تصرف داود، فنشكو لله لأننا نثق فيه، ثم نعيش في سلام، على صلة عميقة بإله المحبة الذي يُخرجنا من كل مأزق منتصرين.

المزمور الرابع

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ عَلَى ذَوَاتِ ٱلْأَوْتَارِ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

١ عِنْدَ دُعَائِي ٱسْتَجِبْ لِي يَا إِلَهَ بِرِّي. فِي ٱلضِّيقِ رَحَّبْتَ لِي. تَرَاءَفْ عَلَيَّ وَٱسْمَعْ صَلَاتِي.
٢ يَا بَنِي ٱلْبَشَرِ، حَتَّى مَتَى يَكُونُ مَجْدِي عَاراً! حَتَّى مَتَى تُحِبُّونَ ٱلْبَاطِلَ وَتَبْتَغُونَ
ٱلْكَذِبَ! سِلَاهْ. ٣ فَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱلرَّبَّ قَدْ مَيَّزَ تَقِيَّهُ. ٱلرَّبُّ يَسْمَعُ عِنْدَ مَا أَدْعُوهُ.
٤ اِرْتَعِدُوا وَلَا تُخْطِئُوا. تَكَلَّمُوا فِي قُلُوبِكُمْ عَلَى مَضَاجِعِكُمْ وَٱسْكُتُوا. سِلَاهْ. ٥ اِذْبَحُوا
ذَبَائِحَ ٱلْبِرِّ وَتَوَكَّلُوا عَلَى ٱلرَّبِّ.
٦ كَثِيرُونَ يَقُولُونَ: «مَنْ يُرِينَا خَيْراً؟» ٱرْفَعْ عَلَيْنَا نُورَ وَجْهِكَ يَا رَبُّ. ٧ جَعَلْتَ
سُرُوراً فِي قَلْبِي أَعْظَمَ مِنْ سُرُورِهِمْ إِذْ كَثُرَتْ حِنْطَتُهُمْ وَخَمْرُهُمْ. ٨ بِسَلَامَةٍ أَضْطَجِعُ بَلْ
أَيْضاً أَنَامُ، لِأَنَّكَ أَنْتَ يَا رَبُّ مُنْفَرِداً فِي طُمَأْنِينَةٍ تُسَكِّنُنِي.

من يُرينا خيراً؟

رنَّم داود المزمورين ٣ و٤ صباح ومساء يوم حاول أبشالوم القيام بانقلاب فاشل ضده (راجع مقدمة مز ٣). مزمور ٣ مزمور صباحي، قال فيه: «أنا اضطجعت ونمت. استيقظت لأن الرب يعضدني». ثم في نهاية اليوم كتب مزمور ٤ كمزمور مسائي، ختمه بقوله: «بسلامةٍ اضطجع بل أيضاً أنام، لأنك أنت يا رب منفرداً في طمأنينة تسكنني».

ويشرح مزمور ٤ عمق العلاقة الشخصية بين المؤمن والرب، وهذا هو الإيمان الحقيقي. لقد تعوَّد داود أن يتذكر مراحم الرب السابقة، وعلى أساسها يطلب معونة جديدة. وهو هنا يشارك صموئيل في نصب «أحجار المعونة» والقول: «إلى هنا أعاننا الرب» (١صم ٧:١٢) واثقاً في الرب أنه أبوه وصديقه وحبيبه، يشعر معه ويتجاوب معه ويُميل أذنه إليه عندما يدعوه، فيقدر أن يواجه الناس بشجاعة، لأنه يحيا حياة الأُنس الدائم بالله.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – المرنم يخاطب الله (آية ١)

ثانياً – المرنم يخاطب أعداءه (آيات ٢–٥)

ثالثاً – المرنم يتساءل: أين نجد الخير؟ (آيات ٦–٨)

أولاً - المرنم يخاطب الله

(آية ١)

«عند دعائي استجب لي يا إله بري. في الضيق رحَّبت لي. تراءف عليّ واسمع صلاتي» (آية ١). كان موقف داود صعباً للغاية. ابنه انقلب عليه وحاول أن يأخذ المُلك منه! ولم يكن للموقف علاج سوى الصلاة وطلب الإنصاف. عندما تواجهنا مشكلة لنبدأ حلّها بأن نخاطب الله عنها. قبل أن تذهب إلى الطبيب أو تقصد المحامي أو تستشير الصديق، اقصد باب الرب، فهذه هي البداية الصحيحة. الصلاة هي الملجأ الأمين لشعب الله في كل وقت لأن «الرب قريب لكل الذين يدعونه.. بالحق» (مز ١٨:١٤٥) يقول: «قبلما يدعون أنا أُجيب، وفيما هم يتكلمون بعد أنا أسمع» (إش ٢٤:٦٥) فنقول: «في ضيقي دعوتُ الرب وإلى إلهي صرخت، فسمع من هيكله صوتي وصراخي قدامه دخل أذنيه» (مز ٦:١٨).

ويطلق داود على الرب ثلاث صفات:

١ - **إله البر:** «استجب لي يا إله برّي». والبر هو العدالة، والاستقامة، والموقف السليم مع الله. والله هو إله البر لأنه يعطي الذين يلوذون بحمايته وكفارته وغفرانه براً. الرب برّ المؤمن لأنه يبرره فتظهر براءته، ويضعه في موقف سليم لا يخزى فيه من الله، ولا من نفسه، ولا من الآخرين.

الله يمنح البر، ويضمن استمرار المؤمن فيه، لأنه بعمل الروح القدس يقدّس المبرَّر، ويطهّره من خطاياه.

والله هو نموذج البر والعدالة والاستقامة والموقف السليم. هو القدوة والمثال، حتى أننا نريد أن نفعل ما يفعل. لقد ترك المسيح لنا مثالاً لكي نتّبع خطواته (١بط ٢١:٢).

والله قاضٍ بالبر، لأنه الإله البار العادل. لا يظلم أحداً ولا يشاء أن يهلك أحد. وقد دبّر تبريراً كريماً يكفّر عنا ذنوبنا. قال شخصٌ يظن نفسه صالحاً: «إني ألفُّ نفسي في رداء فضائلي» فجاوبه شخص حكيم يعرف كلمة الله: «رداء فضائلنا ثوب مهلهل لأن فضائلنا مختلطة بالشر. لذلك ألفُّ نفسي برداء بر المسيح. ألجأ إليه خاطئاً، عرياناً، تائباً، أطلب رحمته وستره وغفرانه».. «فإذ قد تبرَّرنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح» (رو ١:٥). «وليس لي بري الذي من الناموس، بل (البر) الذي بإيمان المسيح، البر الذي من الله بالإيمان» (في ٩:٣). فعندما نضع ثقتنا في الرب يسترنا برداء بره.

هل تعتقد أنك تستطيع أن تستر نفسك أمام الله بما تعمل من صلاح، وبما تؤدي من فضائل؟ إذاً يجب أن تدرك أن أعمال برك كلها بلا فائدة. هذه نقطة البداية. لم يكن ممكناً لداود أن يتعامل مع الله لولا أن رآه إله البر الذي يبرره ويستره.

٢ - **إله الرحب:** «في الضيق رَحَّبت لي». ضيَّق الأعداء عليه ففتح الله أمامه سُبل السلام والخير. كم كان داود رائعاً قوي الذاكرة! الكارثة التي ألمَّت به من داخل بيته على غير انتظار منه لم

تطمس ذاكرته فينسى فضل الله عليه. ليعطنا الله الذاكرة التي لا تنسى حسناته، والمنطق السليم الذي يجعلنا ندرك أنه ولو سمح أن نُجرَّب فهو يقف معنا في وسطها لأن وعده صادق: «أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨:٢٠). «لا أهملك ولا أتركك» (عب ١٣:٥). «عيني عليك» (مز ٣٢:٨). إن أعظم البركات تأتينا ونحن نعبر وادي الدموع، فعندما يضغط علينا العدو، نتطلع إلى الرب فيرحب لنا.

٣ - **إله الرأفة:** «تراءف عليَّ واسمع صلاتي». لم يلجأ إلى عدالة قضيته، بل إلى رحمة الله. هل أنت في ضيق، وهل يفتري عليك الناس؟ هل أنت في مأزق من أسرتك، أو المجتمع المحيط بك؟ الجأ أولاً إلى إله البر، وإله الرحب، وإله الرأفة، فإنه في الضيق يرحّب لك، ويرحمك.

بعد أن كلم داود ربَّه في الآية الأولى، استطاع أن يكلم أعداءه في الآيات التالية، فإن الذي يخاطب ربه لا يرتعب أمام أعدائه، والشفاه التي طهَّرتها الصلاة تكلم الأعداء بمجاهرة وبغير خجل. سنكلّم أعداءنا بشجاعة لو أننا كلّمنا الله أولاً.

ثانيا - المرنم يخاطب أعداءه

(آيات ٢-٥)

بعد أن صلى داود إلى إلهه، وجَّه نصيحتين إلى أعدائه، بمن فيهم أبشالوم ابنه:

١ - **مقاومتكم عديمة الفائدة:** «يا بني البشر حتى متى يكون مجدي عاراً؟ حتى متى تحبون الباطل وتبتغون الكذب؟» (آية ٢). ونداؤه لهم «يا بني البشر» معناه أنهم إخوته من آدم، وجميعهم مخلوقون من التراب. إنهم بشر محدودون ضعفاء، ولو أنهم أيضاً مخلوقون على صورة الله في البر وقداسة الحق. فهم عشيرته وهو واحد منهم، ولو أن الله أفرزه لنفسه ودعاه لخدمته. وقبل هو دعوة الله فخصَّص نفسه لله، وهذا مجدٌ له. كما أنه يعلم أنه سيدخل مجده الأبدي بعد أن يكمل خدمته بمشورة الله.

كان داود يتساءل: حتى متى يهتزّ مركزي أمامكم؟ حتى متى ترفضونني هذا الرفض المهين؟ حتى متى تضعون المجد الذي منحه الله لي في التراب؟

قال: «أما أنت يا رب فترسٌ لي. مجدي، ورافع رأسي» (مز ٣:٣) وهنا يقول: «حتى متى يكون مجدي عاراً؟» أي: حتى متى يكون «الله» مجدي محل تعييري؟

قال: «كثيرون يقولون لنفسي: ليس له خلاص بإلهه» (مز ٣:٢) وكأنه يقول: أنا واثق أن إلهي ينقذني ويقف إلى جواري. وهنا يقول: «يا بني البشر، حتى متى تحبون الباطل وتبتغون الكذب؟» لقد افتروا عليه، ولكنهم سيدركون سريعاً أنه لا فائدة من مقاومتهم له.. ويقدم المرنم سببين لعدم فائدة مقاومتهم له:

(أ) **الرب يميّز تقيّه:** «فاعلموا أن الرب قد ميّز تقيّه» (آية ٣أ). لا شك أن أعداءه لو سمعوا كلماته هذه لسخروا منه، وقالوا: هل تعتبر نفسك تقيّه؟ كيف ميّزك وأنت تهرب من أمام ابنك؟ لقد ضاعت المملكة منك. أنت تقول ما لا يسنده الواقع الحاضر المنظور! لكن داود الممتلئ بالإيمان والرجاء رأى ما لم يرَه أعداؤه. لقد اختاره الله وجعله تقيّه ومن خاصته، وميّزته النعمة عندما أخذته من وراء الغنم ونصّبته ملكاً على شعب الله، وهذه حقيقة ثابتة لأنها مؤسسة على صخر التمييز والاختيار الإلهيين!

(ب) **الرب يسمع تقيّه:** «الرب يسمع عندما أدعوه» (آية ٣ب). ما أعظم مكانة المؤمن في نظر الله. «الرب قد اختار يعقوب لذاته، وإسرائيل لخاصته». (مز ١٣٥:٤). ويقول الرب: «أنا صانع خاصةً» (ملا ٣:١٧). ويقول المسيح عن كنيسته إنها «جنّةٌ مغلقة» مخصَّصة له وحده (نش ٤:١٢). ما أعظم مكانة داود، ومكانة كل من يحب الله في عيني الله!

٢ - **دعوة الأعداء للتوبة:** (آيتا ٤ و٥). نسي تعبه وفكر في خير أعدائه فدعاهم للتوبة قائلاً:

(أ) **خافوا الله:** «ارتعدوا ولا تخطئوا» (آية ٤أ). وكأنه يقول: أرجوكم أن تخافوا مما تفعلون. تهيّبوا. لا تتسرّعوا. دعاهم ليقفوا في خوف من نتائج ما يفعلون، ليتمكنوا من إصلاح الخطأ قبل فوات الفرصة. إنه ينصحهم: خطّطوا قبل أن تنفذوا. أثناء تخطيطكم لا تنسوا أن الرب قد ميّز تقيه، ويسمع عندما أدعوه. صحيحٌ إن رأس الحكمة هي مخافة الرب، ولا بد أن كل إنسان سيقدم لله حساباً عما فعل. فلنقف أمامه موقف المرتعد التائب.

(ب) **فكروا في موقفكم:** «تكلموا في قلوبكم على مضاجعكم واسكتوا» (آية ٤ب). دعا كل واحد ليجري حواراً داخلياً بينه وبين نفسه ليسألها: هل ما أفعله صواب؟ أحياناً نجد أنفسنا منساقين مع الجمهور، نفعل ما يفعلون بدون تفكير شخصي متأنٍّ. وداود يريد من أعدائه أن يفكروا في هدوء، بعيداً عن الضجيج ليعيدوا التفكير ويقيّموا مواقفهم ويتوبوا. إن ساعات الليل الهادئة هي أفضل وقت لفحص النفس، عندما يخلو الإنسان لنفسه وضميره وربّه.

(ج) **تعبَّدوا لله:** «اذبحوا ذبائح البر» (آية ٥أ). بدل أن تذبحوني أنا اذبحوا للرب ذبيحة تجعلكم أبراراً أمامه. قدّموا له ذبيحة مقبولة عنده. أصلحوا أموركم مع الله، فتتحقق لكم بركة موسى لسبطي زبولون ويساكر: «إلى الجبل يدعوان القبائل. هناك يذبحان ذبائح البر» (تث ٣٣:١٩).

(د) «**توكلوا على الرب**» (آية ٥ب). والتوكل هو السلوك المتناسب مع المعرفة، والتصرف المبني على الثقة بالله. فعندما يقدمون لله ذبائح البر يصبحون أبراراً في عينيه، لأن الذبيحة توجِد سلاماً بينهم وبين الله، وينتج عن ذلك سلام يغمر النفس. وقتها يتوكلون على الله بثقة في غفرانه.

وندرك اليوم أن الذبائح التي طالبت بها شريعة موسى كانت ترمز للمسيح «حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو ١:٢٩ و٣٦). فبدون ذبيحة كفارية لا نجاة من أجرة الخطية التي هي موت، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة (عب ٩:٢٢). لقد جاء المسيح مخلّصنا وقدم نفسه فداءً عنا، فأوجد لنا السلام مع الله، الذي يمنحنا السلام مع نفوسنا ومع المحيطين بنا.

ثالثاً - المرنم يتساءل: أين نجد الخير؟

(آيات ٦-٨)

في الجزء الأخير من مزمورنا يجاوب داود على سؤال يسأله كثيرون: «من يرينا خيراً؟». ولا بد أن أعداءه سيسألونه لو أنهم قبلوا نداءه لهم بالتوبة.

ويقدم إجابتين لهذا السؤال الأساسي والمهم:

١ - ظنّ أبشالوم أنه يجد الخير عندما يخطف المملكة من أبيه داود، وظن الذين انضموا إليه في انقلابه الفاشل أنهم سيحصلون على مراكز جديدة في الدولة، فيصبحون أصحاب مكانة أفضل. فأين نجد الخير؟ فنجد في غير المؤمن ثلاثة أمور:

(أ) يسأل «من يُرينا؟» لأنه يجهل أو يتجاهل أن الله هو مصدر الخير كله. وما أغناه عن السؤال، فالإجابة معروفة: إن الله هو المصدر الوحيد لكل خير. «بركة الرب هي تُغني، ولا يزيد (الرب) معها تعباً» (أم ١٠:٢٢).

(ب) يريد أن «يرى» بعيني جسده، فلا يتمتّع ببركة: «طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (يو ٢٠:٢٩).

(ج) يظن أن خيره في ما يمتلكه من ماديات «حنطة» وهي نتاج الحقل «وخمر» وهو نتاج الكروم. ١

٢ - أما المؤمن فيعرف أن:

(أ) **الرب نفسه هو الخير:** كما أنه هو مصدر الخير، فلا يفتش على الخير ويسأل أين يجده، بل يقول: «ارفع علينا نور وجهك يا رب» بمعنى: ارضَ علينا يا رب وابتسم لنا. ورفع نور وجه الله علينا يعني التفاته إلينا وعنايته بنا. فنحن لا نحتاج إلا إلى رضى الرب علينا. قال المسيح: «اطلبوا أولاً ملكوت الله وبرّه وهذه كلها تُزاد لكم» (مت ٦:٣٣). وكل من يرفع الرب نور وجهه عليه، يرفع هو عينيه إلى أعلى، لأن نبع حياته من فوق، ومعه لا يحتاج إلى شيء.

(ب) **خير الرب أعظم خير:** «جعلتَ سروراً في قلبي أعظم من سرورهم إذ كثُرت حنطتهم وخمرهم» (آية ٧) لأن أصحاب العلاقة السليمة مع الله يعلمون أنه وحده يشبعهم بشخصه كما يشبعهم بعطاياه، ويعطيهم كل ما يحتاجون إليه، ولا يحرمهم من شيء. إن سيادة المسيح على الحياة أفضل من كل ممتلكات العالم، فالحنطة والخمر ثمار الأرض، أما نور وجه الله فهو ثمار السماء. ولما يبتسم الرب لك يضيء لك عالم الأرض وعالم الأبد.

(ج) **السلام الداخلي هو الخير الأسمى:** السلام الداخلي يبقى قوياً مهما كانت المتاعب الخارجية فقال: «بسلامة أضطجع» (آية ٨أ) لأنه ليس قلقاً ولا خائفاً «بل أيضاً أنام، لأنك أنت يا رب منفرداً في طمأنينة تسكّنني» (آية ٨ب). ضاعت ثقته في أبشالوم ابنه الذي خانه، وضاعت في كثيرين من رجال حاشيته الذي تركوه لينضموا لأبشالوم، وبقيت ثقته في الرب وحده. كان الرب منفرداً يحرسه،

وحده يحفظه. قال المسيح ابن داود لتلاميذه: «تتركونني وحدي. وأنا لست وحدي لأن الآب معي» (يو ١٦:٣٢).

صار داود كطفل يسند رأسه على صدر أمه ويغط في نوم عميق، لأنه يدرك أن الحب كله يحيط به. فليتنا نصبح مثله، حتى لو كنا منفردين، فإننا مع الله جماعة عظيمة، لأن الأقلية إلى جوار الرب هم الأغلبية، ورحمة الله أفضل من الحياة.

المزمور الخامس

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ عَلَى ذَوَاتِ ٱلنَّفْخِ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

١ لِكَلِمَاتِي أَصْغِ يَا رَبُّ. تَأَمَّلْ صُرَاخِي. ٢ اَسْتَمِعْ لِصَوْتِ دُعَائِي يَا مَلِكِي وَإِلٰهِي،
لِأَنِّي إِلَيْكَ أُصَلِّي. ٣ يَا رَبُّ، بِٱلْغَدَاةِ تَسْمَعُ صَوْتِي. بِٱلْغَدَاةِ أُوَجِّهُ صَلَاتِي نَحْوَكَ
وَأَنْتَظِرُ.
٤ لِأَنَّكَ أَنْتَ لَسْتَ إِلٰهاً يُسَرُّ بِٱلشَّرِّ، لَا يُسَاكِنُكَ ٱلشِّرِّيرُ. ٥ لَا يَقِفُ ٱلْمُفْتَخِرُونَ قُدَّامَ
عَيْنَيْكَ. أَبْغَضْتَ كُلَّ فَاعِلِي ٱلْإِثْمِ. ٦ تُهْلِكُ ٱلْمُتَكَلِّمِينَ بِٱلْكَذِبِ. رَجُلُ ٱلدِّمَاءِ وَٱلْغِشِّ
يَكْرَهُهُ ٱلرَّبُّ. ٧ أَمَّا أَنَا فَبِكَثْرَةِ رَحْمَتِكَ أَدْخُلُ بَيْتَكَ. أَسْجُدُ فِي هَيْكَلِ قُدْسِكَ بِخَوْفِكَ.
٨ يَا رَبُّ، ٱهْدِنِي إِلَى بِرِّكَ بِسَبَبِ أَعْدَائِي. سَهِّلْ قُدَّامِي طَرِيقَكَ. ٩ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي
أَفْوَاهِهِمْ صِدْقٌ. جَوْفُهُمْ هُوَّةٌ. حَلْقُهُمْ قَبْرٌ مَفْتُوحٌ. أَلْسِنَتُهُمْ صَقَلُوهَا. ١٠ دِنْهُمْ يَا ٱللّٰهُ.
لِيَسْقُطُوا مِنْ مُؤَامَرَاتِهِمْ. بِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِمْ. طَوِّحْ بِهِمْ لِأَنَّهُمْ تَمَرَّدُوا عَلَيْكَ.
١١ وَيَفْرَحُ جَمِيعُ ٱلْمُتَّكِلِينَ عَلَيْكَ. إِلَى ٱلْأَبَدِ يَهْتِفُونَ، وَتُظَلِّلُهُمْ. وَيَبْتَهِجُ بِكَ مُحِبُّو
ٱسْمِكَ. ١٢ لِأَنَّكَ أَنْتَ تُبَارِكُ ٱلصِّدِّيقَ يَا رَبُّ. كَأَنَّهُ بِتُرْسٍ تُحِيطُهُ بِٱلرِّضَا.

تحيطه بالرضا

هذا مزمور صباحي، رنّمه داود بعد ليلة قضاها في خطر، قال بعدها: «يا رب، بالغداة (في الصباح) تسمع صوتي. بالغداة أوجّه صلاتي نحوك وأنتظر» (آية ٣). وهو كمزموري ٣ و ٤ اللذين رنّمهما في وقتٍ تعرّض فيه للأخطار من أعداءٍ منافقين. وربما كتب داود هذا المزمور أثناء عمله في بلاط الملك شاول، أو في وقت ثورة ابنه أبشالوم الفاشلة ضده.

يبدأ المزمور بصرخة دعاء إلى الرب، هي صلاة إيمان من قلب يدرك أن الله ترسٌ للمحتمين به، ولا يرضى بشرّ الأشرار، ويجازي الذين يطلبونه، وفي رحمته يقبل مثول المرنّم في محضره المقدس. ويتخلل المزمور إحساسٌ عميق بمدى انتشار الشر والبُعد عن الله، الأمر الذي يعذّب نفس البار وهو يرى الأفعال الأثيمة. ويطلب المرنم من الله أن يحفظه من غدر أعدائه، وأن يعاقبهم، كبرهان على عدالته السماوية. ووسط ضباب الشر والضيق يشرق الله بنوره على المؤمن، فينشئ الضيق صبراً، والصبر تعزية، والتعزية رجاءً وتشجيعاً للمؤمنين المضطهَدين (رو ٥:٤).

في هذا المزمور نجد،

أولاً - صلاة (آيات.١-٣)

ثانياً - الرب يعاقب الأشرار (آيات ٤-٦)

ثالثاً - الرب يبارك المؤمنين (آيات ٧-١٢)

أولاً - صلاة

(آيات ١-٣)

١ - **طرق الصلاة:** «لكلماتي أصغ يا رب». ثم يقول: «تأمل صراخي» (آية ١). ثم يقول: «استمِع لصوت دعائي» (آية ٢). فهو يكلم الرب، ويصرخ إليه، ويدعوه. فالرب ملجأ المؤمن، وهو العادل المنصِف، وهو الرجاء الأكيد لأنه يسمع ويستجيب. إنه قوة الضعيف، وسلام الخائف، وعزاء المتضايق. ونجد أنفسنا مع المرنم محتاجين إلى الكلام مع الرب، والصراخ إليه والدعاء له:

(أ) **نكلم الرب:** «لكلماتي أصغ يا رب» (آية ١أ). إنه يكلمنا في الكتاب المقدس، وفي الوعظ: ونحن نجاوبه بالصلاة. كأنّ داود يقول: أنا أصغيتُ لكلماتك فشجعتني، وملأت قلبي بالسلام والتعزية. والآن أدعوك لتسمع كلماتي التي تعبّر عن شكري وأشواق قلبي واحتياجاتي. كم أحبك يا رب. أريد أن ينشأ حوارٌ مستمر بيني وبينك، لأنه ينبغي أن أصلي في كل حين ولا أملّ.

(ب) **نصرخ للرب:** «تأمل صراخي» (آية ١ب). وكأن داود يقول: أنا في ضيق، وأنت أبي ومنقذي وصديقي. من الضيق أخرِج نفسي. إن كان ما أطلبه صالحاً فأعطه لي. وإن كان ناقصاً أكمِله. وإن كان رديئاً ارفُضه. إني كطفلٍ لا يملك قدرة التعبير عن نفسه بالكلام، فيصرخ. وأنا طفل أمام المشكلة، فأدعو أبي. أجِبني في الوقت المعيَّن وامسح دموعي.

(ج) **ندعو الرب:** «استمع لصوت دعائي» (آية ٢أ). كأن داود يقول: أدعوك وأطلب منك، لا تطفُّلاً مني، لكن لأنك قلت: اسألوا تعطوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يُفتح لكم. فأنا أناديك وأدعوك وأقرع بابك يا سيدي. استمع لصوت دعائي.

يحدّث المؤمن الرب دائماً وفي كل الظروف، ويطلب منه أن «يصغي» إليه، بمعنى «يُعيره اهتمامه». وهنا صرخة النفس المرة المتألمة، التي تطلب من الرب أن يتأملها، أي يُدخل صراخها في اعتباره، ويفكر فيها لأنها متضايقة. وهنا دعاء الاحتياج. والمحتاج يطالب الرب بالاستماع له، فالرب يعرف صوته ويميّزه، كما يعرف هو صوت أبيه السماوي ويميّزه.

٢ - **سامع الصلاة:** يدعوه «يا ملكي وإلهي».

(أ) **يدعو ملكه:** كان داود ملكاً، يحكم شعبه ويقضي له، لكنه يعلم أن الله ملك الملوك وحاكمهم وقاضيهم، فيقدم ولاءه الكامل للملك الأعظم، إله الكون، صاحب السلطان في السماء وعلى الأرض.

(ب) **ويدعو إلهه:** القادر على كل شيء، السرمدي، صاحب العهود الصادقة والأمينة.

٣ - **موعد الصلاة:** «يا رب بالغداة (في الصباح) تسمع صوتي. بالغداة أوجّه صلاتي (بمعنى أعرض طلبي وأرفع رغباتي) نحوك، وأنتظر» (آية ٣).

في الصباح، وفي مطلع كل يوم، يبدأ المرنم يومه مع الله، لأنه لا يستطيع أن يواجه العالم بدون القوة التي يستمدها من إلهه، لذلك يوجّه صلاته نحوه وينتظر. كان داود يرمي سهاماً بقوسه. وفي هذه الآية يُشبّه نفسه برامي السهم الذي يضع سهمه في قوسه ويشدُّه ثم يطلقه نحو الهدف. ويرفع عينيه إلى حيث ينطلق السهم ليحقق القصد منه. وكأنه يقول: يا رب، صلاتي تندفع نحوك كسهم، وأنا أرفع عينيَّ إليها واثقاً أنها ستصل إليك. ولا بد أنك تستجيب، لذلك أنتظر البركة والاستجابة. إنك موجود وحي وسامع وفعّال، وستعطيني احتياجي.

«أما منتظرو الرب فيجدّدون قوة. يرفعون أجنحة كالنسور. يركضون ولا يتعبون. يمشون ولا يُعيون» (إش ٤٠:٣١). أحياناً نواجه مسؤولية عاجلة تحتاج لسرعة الطيران للقيام بها. وأحياناً تزيد مسؤوليات اليوم عن عدد ساعاته فنركض لنؤدّيها. وأحياناً تكفينا سرعة المشي لأداء عمل اليوم. وفي هذه جميعها ننتظر الرب الذي يعطينا القوة الكافية للوفاء بالتزاماتنا. فنقول: «انتظاراً انتظرت الرب، فمال إليّ وسمع صراخي» (مز ٤٠:١).

ثانياً - الرب يعاقب الأشرار
(آيات ٤-٦)

١ - **أوصاف الشرير:** «الشرير» هو الذي يعبر الخط الذي رسمه الله لنا، ويتخطى الأوامر الإلهية، ويدخل دائرة الممنوع. ويقدم داود في هذه الآيات (٤-٦) مجموعة أوصاف للشرير:

(أ) «**المفتخر امام عينيك**»: غريب أن التراب المخلوق يتكبَّر في محضر الله العظيم الخالق. والله «يقاوم المستكبرين، وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة» (يع ٤:٦).

(ب) «**فاعل إثم**»: والإثم هو العِوَج، والذي يرتكبه يحب الطريق الأعوج.

(ج) «**متكلم بالكذب**»: فهو من أبٍ هو إبليس، وإبليس هو الكذاب وأبو الكذاب (يو ٨:٤٤).

(د) «**رجل الدماء**»: لأنه قتل حياةً أو سُمعة.

(هـ) «**رجل الغش**»: لأنه لا يقول الحق.

(و) **الله يكرهه:** بمعنى يكره أفعاله، فالرب يكره الشر لكنه يحب الشرير.

٢ - **أوصاف الله:** «لأنك لست إلهاً يُسَرُّ بالشر». فالله صالح وإلى الأبد رحمته. ليس هو قاسياً شريراً مخيفاً كآلهة الوثنيين، ولا منعزلاً بعيداً عنا، لكنه قريب منا. يقول عنه الرسول يعقوب: «الله غير مجرَّب بالشرور، ولا يجرِّب أحداً (بالشرور)» (١:١٣) لو أن شريراً ذهب إلى السماء ما استطاع

أن يجد راحته هناك، لأنه يختلف عن كل الموجودين، ولا يستريح إلى جوّ المكان.

ونحن نتفق تماماً مع داود أن الله يبغض الخطية، ولا يسّر بالشر، لكننا في نور العهد الجديد ندرك أن الله يحب الخاطئ، ويريده أن يتوب. كان اليهود يقولون: «إن السماء تفرح بخاطئ يهلك لتستريح الأرض من شره». لكن المسيح يقول: «يكون فرحٌ في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة» (لو ١٥:٧). وهذا يعلّمنا أن الله يحب الخاطئ ليتوّبه، ويحب البعيد ليقرّبه، ويحب الضعيف ليقوّيه، ويحب النجس ليطهّره.

٣ - عقوبة الشرير:

(أ) «**لا يساكنك الشرير**» (آية ٤). سيظل الشرير بعيداً عن محضر الله وعن دائرة رضاه إلى أن يتوب. لا تلاقي بين شر الشرير وقداسة الله. لا يطيق الشرير أن يساكن الرب، فهو محروم من التمتع بالأنس به، وهذه أكبر عقوبة له. وسيأتي اليوم الذي فيه يهلك فاعلو الإثم وجميع الكذبة.

(ب) «**لا يقف المفتخرون امام عينيك**» (آية ٥) لأنهم لا يجرؤون، ولأن الله لا يسمح لهم. قال المرنم مخاطباً الرب: «الأعين المرتفعة تضعها» (مز ٢٧:١٨). وقال الله: «مستكبر العين ومنتفخ القلب لا أحتمله» (مز ٥:١٠١). وقال الرسول بطرس: «تسربلوا بالتواضع، لأن الله يقاوم المستكبرين، وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة» (١بط ٥:٥).

(ج) «**تُهلك المتكلمين بالكذب**» (آية ٦) فالبحيرة المتقدة بالنار والكبريت هي نصيب إبليس وكل من يسيرون معه.

فلنصلّ: «قلباً نقياً اخلق فيّ يا الله، وروحاً مستقيماً جدّد في داخلي» (مز ١٠:٥١). أعطني نقاوة القلب لأستطيع أن أساكنك وأتواجد في محضرك وأقول: تشتاق نفسي إلى الرب.

ثالثاً - الرب يبارك المؤمنين

(آيات ٧-١٢)

في هذه الآيات الست يتحدث داود عن موقف المؤمنين من الرب وموقف الرب من المؤمنين، وهذا يشغل النصف الثاني من المزمور. فيقول داود: «أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك». وكلمة «أما» تعني أنه يوجد اختلاف بين المرنم والأشرار، لا لأنه أفضل منهم، فإننا كلنا كغنم ضللنا، لكن «بكثرة رحمتك» لأن رحمة الله الغنيّة أدركت المرنم ورضيت عليه، لأنه رجع إلى الله تائباً.

ذكر داود في آيات ٤-٦ شرور الأشرار، وكأنه يقول: «الله الذي هو غنيّ في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبّنا بها، ونحن أمواتٌ بالخطايا أحيانا مع المسيح» (أف ٢:٤ و٥). فقد مدَّ الرب يد الحب للشرير لينتشله من بين الأشرار ولينقذه من العقاب، وتداركته الرحمة الإلهية وفتحت عينيه للخلاص. وما كان ليدرك هذا الخلاص والحياة الجديدة لولا أن الرحمة أدركته.

ويقدم لنا النبي داود في الآيات الست الأخيرة فكرتين رئيسيتين:

١ - موقف المؤمن من الرب: (آيات ٧-١٠)

(أ) موقف العبادة: «أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك. أسجد في هيكل قدسك بخوفك» (آية ٧). لن يقف بعيداً، بل سيدخل بيت أبيه مرتمياً في أحضان محبته، معتمداً على الرحمة الكثيرة. كان داود طريداً، بعيداً عن مكان العبادة، مشتاقاً لبيت الرب. لم يكن الهيكل قد بُني بعد، غير أن قلبه كان يتّجه نحو مكان العبادة، أينما كان، وهو يعلم أنه لا يقدر أن يفعل ذلك إلا إن تداركه الرب برحمته، وأرجعه إلى مكانته. وكان واثقاً أن الله، في مراحمه، سيحقق له أشواق قلبه العابد. وعندما يدخل بيت الله يسجد في الهيكل المقدس بخوف المهابة والاحترام. وخوف الرب رأس الحكمة، وهو التقوى العملية.

ونحن اليوم نتّجه بقلوبنا إلى السماء بيت الرب، فليس السجود واجباً في جبل معين أو مكان محدد، فقد قال المسيح للمرأة السامرية: «لا في هذا الجبل، ولا في أورشليم تسجدون للآب.. الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا» (يو ٤: ٢١ و٢٤). وقد أعطانا المسيح ثقة بالدخول إلى الأقداس بدمه الكريم، فلنتقدّم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة، ونجد نعمةً عوناً في حينه (عب ١٠: ١٩ و٤: ١٦).

(ب) موقف طلب الهداية: «يا رب، اهدني إلى برّك بسبب أعدائي. سهّل أمامي طريقك» (آية ٨). إن كان داود قد كتب هذا المزمور وقت هروبه أمام أبشالوم، فيكون معنى طلبه: يا رب، اجعلني ملكاً عادلاً حتى لا يجد أعدائي فيّ ما يشتكون به عليّ، واجعل طريقك سهلاً أمامي، مهما كانت التكلفة والتضحية. «ادخلوا من الباب الضيق، لأنه واسع الباب ورحبٌ الطريق الذي يؤدي إلى الهلاك. وكثيرون هم الذين يدخلون منه! ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة. وقليلون هم الذين يجدونه» (مت ٧: ١٣ و١٤). وكأن الملك داود يطلب الهداية إلى الباب الضيق، ويطلب المعونة الإلهية ليجد الطريق الكرب سهلاً.

ونحن نحتاج إلى هداية الرب اليومية كأطفال يمسكون بيد أبيهم، فتصبح طريق حياتنا مأمونة ومريحة، لأننا نسلك في برّه هو، ونسير في طريقه، التي هي «الطريق المقدسة.. من سلك في الطريق حتى الجهال لا يضل» (إش ٣٥: ٨).

(ج) موقف طلب الدينونة للخطاة: «دِنْهم يا الله.. طوّحْ بهم لأنهم تمرّدوا عليك» (آيتا ٩ و١٠). يُدان الخطاة الذين يصفهم بأنهم الكاذبون، الذين يلتهمون سمعة الآخرين، أصحاب الحلق المفتوح الذي يخرج رائحة عفنة كالقبور، وألسنتهم مصقولة كالسيوف! قال البعض إن المرنم يطالب بالنقمة من الأشرار. فإن كان هذا هو المعنى، فإن المرنم يطبّق شريعة موسى: «عينٌ بعين وسن بسن» (خر ٢١: ٢٤). وهذا بالطبع يختلف عن روح المسيح الذي يعلّمنا أن نطلب الغفران للمسيئين إلينا.. وقال البعض إن المرنم يعلن العقوبة التي لا بد ستجيء على الخاطئ بسبب عدالة الله. وفي هذه الحالة يكون المرنم قد أعلن النتائج قبل حدوثها.

٢ – موقف الرب من المؤمن:

(أ) الرب يُفرّح المؤمن: «يفرح جميع المتكلين عليه. إلى الأبد يهتفون لأنك تظللهم، ويبتهج بك محبّو اسمك» (آية ١١). تمتلئ حياة المؤمن بالبهجة الروحية كنتيجة طبيعية لموقفه من الرب، فيقول إنه موضوع فرحه، يفرح به أكثر مما يفرح بكل ما في العالم. «جعلتَ سروراً في قلبي أعظم من سرورهم، إذ كثُرت حنطتهم وخمرهم. بسلامةٍ أضطجع بل أيضاً أنام، لأنك أنت يا رب منفرداً في طمأنينة تسكّنني» (مز ٤:٧ و٨). يبتهج من نبع البهجة الفائض، بعد أن استراح قلبه في الله، وشبعت نفسه من الغذاء الروحي اليومي.

ويقدم المرنم في هذه الآية صفتين للمؤمنين الفرحين بالرب:

* إنهم «متكلون عليك». لا يتكلون على بِرّهم، بل على رحمة الله وفدائه. ولا يتكلون على ذكائهم أو غناهم أو علاقاتهم الاجتماعية، لكن على العطايا الإلهية. إنهم يثقون ويتصرفون بناءً على ثقتهم، فيعتمدون على الله ويسلّمون أنفسهم لرعايته.

* وهم «محبّو اسمه» الذي يستحق الحب. قائلين: «نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً» (١يو ٤:١٩). حبنا له صدىً لحبه. دعونا نقُل له مع الرسول بطرس: «يا رب، أنت تعلم أني أحبك» (يو ٢١:١٥).

(ب) الرب يبارك المؤمن: «لأنك أنت تبارك الصدّيق يا رب» (آية ١٢). عيَّن الرب شعبه ورثةً للبركة، فيشبعهم بالخير الإلهي الأسمى. والرب يبارك المؤمن بأن يمنحه نعمة بلا حدود وبمجد لا يُنطَق به. بارك الرب إبراهيم وقال له: «أجعلك أمة عظيمة، وأباركك وأعظّم اسمك، وتكون بركة. وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض» (تك ١٢:٢ و٣). وبارك المسيح تلاميذه قبل صعوده، ومنحهم بركة الروح القدس (لو ٢٤:٥٠ و٥١). ويصف المرنم المؤمن الذي يباركه الرب أنه «صدّيق». والصدّيق هو البار المستقيم، الذي أنعم الله عليه ببرّه.

(ج) الرب يحمي المؤمن: «كأنه بترس تحيطه بالرضا» (آية ١٢). يحيطه بترس الإيمان الذي به يطفئ جميع سهام الشرير الملتهبة. فما الذي يؤذينا إن كان الله يحيطنا بمحبته؟ إن الله يجرّد العدو من سلاحه، ويبطل أفكاره، ثم يسحقه تحت أرجلنا سريعاً.

والترس قطعة من الخشب يغطونها بالجلد، يواجه به الجندي السهام الموجّهة ضده، فينغرس سنّ السهم في الخشبة المغطاة بالجلد. والترس الذي يحمينا هو رضا الله علينا، لأننا في المسيح، ولأننا أعضاء جسده، منتمون إليه، ثابتون فيه. هذه الكلمات تشوّقنا لأن نكون من الصدّيقين الذين تبرّروا بتبريرات المسيح، واحتموا في كفارته. وهي دعوة موجّهة لك لتكون من رعية المسيح، الذي يفرحك ويحميك بترس رضاه، فتفرح به، وإلى الأبد تهتف لأنه يظللك، فقد طلب لأجلك لكيلا يفنى إيمانك (لو ٢٢:٣٢).

المزمور السادس

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ عَلَى ذَوَاتِ ٱلْأَوْتَارِ عَلَى ٱلْقَرَارِ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ
١ يَا رَبُّ، لَا تُوَبِّخْنِي بِغَضَبِكَ وَلَا تُؤَدِّبْنِي بِغَيْظِكَ. ٢ ٱرْحَمْنِي يَا رَبُّ لِأَنِّي ضَعِيفٌ.
ٱشْفِنِي يَا رَبُّ لِأَنَّ عِظَامِي قَدْ رَجَفَتْ، ٣ وَنَفْسِي قَدِ ٱرْتَاعَتْ جِدّاً. وَأَنْتَ يَا رَبُّ، فَحَتَّى
مَتَى!

٤ عُدْ يَا رَبُّ. نَجِّ نَفْسِي. خَلِّصْنِي مِنْ أَجْلِ رَحْمَتِكَ. ٥ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي ٱلْمَوْتِ ذِكْرُكَ.
فِي ٱلْهَاوِيَةِ مَنْ يَحْمَدُكَ؟ ٦ تَعِبْتُ فِي تَنَهُّدِي. أُعَوِّمُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ سَرِيرِي بِدُمُوعِي. أُذَوِّبُ
فِرَاشِي. ٧ سَاخَتْ مِنَ ٱلْغَمِّ عَيْنِي. شَاخَتْ مِنْ كُلِّ مُضَايِقِيَّ.
٨ اُبْعُدُوا عَنِّي يَا جَمِيعَ فَاعِلِي ٱلْإِثْمِ، لِأَنَّ ٱلرَّبَّ قَدْ سَمِعَ صَوْتَ بُكَائِي. ٩ سَمِعَ
ٱلرَّبُّ تَضَرُّعِي. ٱلرَّبُّ يَقْبَلُ صَلَاتِي. ١٠ جَمِيعُ أَعْدَائِي يُخْزَوْنَ وَيَرْتَاعُونَ جِدّاً. يَعُودُونَ
وَيُخْزَوْنَ بَغْتَةً.

أعوِّم سريري بدموعي

هناك سبعة مزامير تُسمَّى مزامير التوبة (هي مزامير ٦ و٣٢ و٣٨ و٥١ و١٠٢ و١٣٠ و١٤٣)، لأنها توضّح الحزن والتذلل وكراهية الخطية، وهي علامة الروح المنكسر الذي يرجع لله تائباً معترفاً بالخطايا. وهذا المزمور هو أوَّلها، أما ثانيها فهو مزمور ٣٢ الذي يبدأ بالقول: «طوبى للذي غُفر إثمه وسُترت خطيته.. أعترف لك بخطيتي ولا أكتم إثمي». وثالثها مزمور ٣٨ الذي يقول فيه المرنم: «لأن آثامي قد طمَت فوق رأسي، كحملٍ ثقيل أثقل مما أحتمل». ورابعها مزمور ٥١ المشهور الذي يقول مطلعه: «ارحمني يا الله حسب رحمتك. حسب كثرة رأفتك امحُ معاصيَّ». وخامسها مزمور ١٠٢ الذي يقول فيه المرنم: «لا تحجب وجهك عني في يوم ضيقي. أمِل إليَّ أذنك في يوم أدعوك. استجب لي سريعاً». وسادسها مزمور ١٣٠ الذي يقول فيه المرنم: «إن كنتَ تراقب الآثام يا رب يا سيد، فمَن يقف؟». وسابعها مزمور ١٤٣ الذي يقول فيه المرنم: «لا تدخل في المحاكمة مع عبدك، فإنه لن يتبرَّر قدامك حي».

ويمكن تلخيص كل مزمور من مزامير التوبة بالقول: «من يكتم خطاياه لا ينجح، ومن يقرُّ بها ويتركها يُرحم» (أم ٢٨:‏١٣) وبالقول: «إن قُلنا إنه ليس لنا خطية نُضل أنفسنا وليس الحق فينا. إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل، حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم» (١يو ١:‏٨ و٩).

يوضح المزمور الاختبار الأول الأساسي الذي يجب أن يختبره كل إنسان قبل أن ينال رضى الرب. إنه اختبار التوبة والرجوع للرب. وقد طلب القديس أغسطينوس في أثناء مرضه الأخير أن يكتبوا له مزامير التوبة السبعة ويضعوها على حائط غرفة نومه في مواجهته ليتمكن من قراءتها كلها. وكان يقول «رأس الحكمة هو أن تعرف نفسك: إنك خاطئ». فمزمور التوبة يردّده الخاطئ الذي يتوب، كما يردده المؤمن الذي يطلب من الله أن يغسله كل يوم من خطيته. وقال مارتن لوثر: «سأظل طول حياتي شحّاذاً أستجدي رحمة الله». وهذا يعني أن كل إنسان يجب أن يردد مزمور التوبة وهو يرجع إلى الرب، كما يجب أن يردده كل من رجع إلى الله، يطلب منه اغتسالاً يومياً.

إننا نعيش في عالم خاطئ، والظروف من حولنا تدفعنا للخطأ، لأن الخطية محيطة بنا بسهولة. كما أن لكل واحد منا نقاط ضعفه الشخصية. فإن كنا لا نرتكب الخطأ بقصدٍ وبسوء نية، سنجد الأخطاء من حولنا تتناثر على ثوب خلاصنا الأبيض، فنحتاج إلى اغتسال يومي. هناك التوبة الأولى التي فيها يفتح الإنسان قلبه للرب، ويعلن انتماءه له، فيصير في المسيح خليقة جديدة. ولكن هناك التوبة اليومية المستمرة لنضمن لنفوسنا حياة نقية تُرضي الرب. هناك التطهير الأول عندما يغفر الله لنا ذنوبنا ويكفر عنّا سيئاتنا، ويُنعم علينا بالتبني. وهناك أيضاً الاحتياج اليومي إلى «غسل أرجلنا» فإن «الذي قد اغتسل ليس له حاجة إلا إلى غسل رجليه، بل هو طاهر كله» (يو ١٣:١٠). لأن سيرنا في برية الحياة يعرّضنا للكثير من الأوساخ، ولذلك نحتاج دائماً كمؤمنين إلى صلاة توبة.

وفي مزمور التوبة هذا يتحدث داود عن تأديب الرب له بسبب سقوطه، الأمر الذي ألجأه للتوبة. ويقول الإنجيل: «الذي يحبه الرب يؤدّبه، ويجلد كل ابن يقبله» (عب ١٢:٦).

في هذا المزمور نجد:

أولاً – الرب يؤدّب المخطئ (آية ١)

ثانياً – المخطئ يستغيث من التأديب (آيات ٢–٧)

ثالثاً – الرب يستجيب المستغيث التائب (آيات ٨–١٠)

أولاً – الرب يؤدب المخطئ

(آية ١)

يعترف داود للرب بأنه أخطأ، ويعلن أنه يستحق التوبيخ. لقد ارتكب خطأً كان يجب ألاّ يرتكبه، فيطلب من الرب أن يطيل أناته عليه، ولا يوبّخه وهو في حالة الغضب، ولا يؤدّبه وهو في حالة الغيظ. فقال: «يا رب، لا توبّخني بغضبك، ولا تؤدّبني بغيظك».

لا شك أن داود كأبٍ وبّخ أولاده وأدّبهم عندما أخطأوا وهو في حالة غضب عليهم وغيظٍ منهم. ولم يعطِ ذلك التأديب الغاضب أفضل النتائج، لأن داود في حالة غضبه لم يكن قادراً على إصلاح

الخطأ، بل إنه أثار عناد أولاده أكثر. وأدرك داود أن الله هو المربي الأفضل، فقال له: «يا رب، أنا أستحقّ التوبيخ والتأديب، لكن لا توبّخني بغضبك، ولا تؤدّبني بغيظك. أنت تعرف جبلتي. أنت توبّخني وتؤدبني لا لتسحقني ولا لتدمّرني، بل لتُصلح من أمري. وتأديبك لي لا يدوم، بل هو وقتي، وعندما تقتضي الضرورة. فأنت تؤدبني لتخلق مني الوعاء الذي ترضى عليه ويَحسُن في عينيك. وكما أن الريح لازم لينقي الحنطة من التبن، هكذا تحتاج نفسي إلى التأديب.. أنا لا أرفض التأديب، لكني أطلب الرحمة فيه.. «أدّبني يا رب ولكن بالحق، لا بغضبك لئلا تفنيني» (إر ١٠:٢٤). أنت تعمل الخير كله. أنت تُسقِط من حسابك خطاياي، وتطرح في أعماق البحر خطاياي فلا تعود تذكر تعدياتي (مي ٧:١٩ وعب ٨:١٢). اعترفتُ لك بها، ورفعتُ قلبي إليك تائباً، وأنت قبلتَ توبتي وغفرت لي وتبدأ معي دوماً من جديد. قال مارتن لوثر: «يتوسّل المرنم إلى الله أن يكون التوبيخ والتأديب مصحوباً بالرحمة، لا بالغضب. وهذا يعلّمنا أن عند الله عصوين للتأديب، إحداهما للتأديب بالرحمة والأخرى للتأديب بالغضب»».

هذه الآية الأولى تعلّم الآباء كيف يربّون أولادهم، فلا يعاقبونهم وهم غاضبون. كما أنها تكشف لنا صفة عظيمة في إلهنا، هي أنه يؤدبنا ويقوّمنا في حب حقيقي، ليُصلح من أمرنا، لنكون أواني أكثر صلاحية لتأدية خدمته ولتحقيق مشيئته.

ثانياً - المخطئ يستغيث من التأديب

(آيات ٢-٧)

يستغيث داود من الغضب الإلهي الذي حلّ به بسبب خطيته، ويذكر أسباب هذه الاستغاثة.

١ - **يستغيث لأنه ضعيف:** «ارحمني يا رب لأني ضعيف» (آية ٢أ). وكأنه يقول: إن كنتَ توقّع عليّ العقاب الذي أستحقه فسأهلك. إذاً يا رب أنا ألجأ إلى مراحمك على شخصي الضعيف. والأغلب أن الضعيف يلجأ للبكاء، ودموع توبتنا تجعل إلهنا يتعطف علينا برحمته، كما تعطف السامري الصالح على الجريح الضعيف.

ولا يطلب داود أن يرفع عنه الله غضبه فقط، بل يطلب أن يرفع عنه أيضاً سبب ذلك الغضب، الذي هو خطيته الناتجة عن ضعفه. وعندما نعترف بضعفنا وخطايانا تدركنا رحمته دائماً.

٢ - **يستغيث لأنه انكسر:** «اشفني يا رب لأن عظامي قد رجفت، ونفسي قد ارتاعت جداً. وأنت يا رب فحتى متى؟» (آيتا ٢ب و٣). يبدو أن التأديب الإلهي مسّ جسده، فأصابه المرض الذي جعل عظامه ترتجف. وارتكاب الخطية يرجف أعماق الإنسان.. كما أن هذا التأديب جعله يرتعب خوفاً من وقوع المزيد من التأديب عليه، فارتاعت نفسه.. كما أن إحساسه بالذنب جعله يرتعب أكثر لأنه فقد رضا الله عليه، فضاعت منه بهجة خلاصه. وكأن المرنم يقول: «إن كنتَ تراقب الآثام يا رب، يا سيد، فمن يقف أمامك؟.. نعم أنا أخطأت، ولكني أجيء إليك الآن في حالة انكسار جسدي، وأنت الذي تقبل توبتي».

يقول المرنم: «حتى متى؟». فهناك زمان حدده الله لكل من يحمل صليباً. حدد لبني إسرائيل ٤٣٠ سنة في مصر، وسبعين في بابل، وحدّد ليوسف نحو ١٣ سنة في سجن فرعون، وحدّد لملاك كنيسة سميرنا ضيق عشرة أيام (رؤ ٢:١٠). ولا بد أن ينتهي ضيق كل من يلجأ إلى الله تائباً.

٣ - يستغيث لأن الله مخلّصه: «عُدْ يا رب. نجّ نفسي. خلّصني من أجل رحمتك» (آية ٤). أحدثت الخطية فجوة بين المرنم والله، وهو يطلب أن يعود إليه الأُنس بالله، كما قال: «لا تطرحني من أمام وجهك، وروحك القدوس لا تنزعه منّي، رُدّ لي بهجة خلاصك» (مز ٥١: ١١ و١٢).

والمرنم يطلب النجاة من عقوبة الخطية، ومن نتائجها السيئة عليه، لأنه لا مخلّص إلا هو. وكما كان بُعده عن الله سبب بؤسه، يكون رجوعه إلى الله سبب خلاصه. وعندما نعود إلى الله تائبين، يعود الله إلينا منجّياً.

«خلّصني من أجل رحمتك» ونحن في نور الصليب ندرك معنى هذه الآية بأكثر عمق «لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلّصة لجميع الناس.. منتظرين .. مخلّصنا يسوع المسيح، الذي بذل نفسه لأجلنا، لكي يفدينا من كل إثم» (تي ٢: ١١-١٤).

٤ - يستغيث لأنه يعتقد أن الموتى لا يسبّحون الرب: «لأنه ليس في الموت ذكرك. في الهاوية من يحمدك؟» (آية ٥). هذا يعني أن المرنم يعتقد أنه إذا أماته الرب ودُفن فلن يحمده في القبر. أما إن رحمه ومنحه حياة طويلة فسيسبّحه هنا على الأرض دائماً وأبداً. ولما كان المرنم يريد أن يُعلن خلاص الرب، ويحمده ليلاً ونهاراً، فإنه يطلب من الرب أن يطيل حياته.

أو لعل المرنم خاف أن يموت في خطيته فيمضي إلى جحيم أبدي، فطلب من الله أن ينجي نفسه وأن يفتديه ويخلّصه من الجحيم، من أجل رحمته، ليتمكن من تقديم التسبيح لله في الأرض وعندما ينتقل إلى حضرته في السماء.

٥ - يستغيث لأنه تائب: «تعبتُ في تنهّدي. أعوّم كل ليلة سريري بدموعي. أذوّب فراشي. ساخت من الغم عيني. شاخت من كل مضايقيّ» (آيتا ٦ و٧). والقول «ساخت عيني» يعني أنها تآكلت من كثرة البكاء، كما يأكل العثّ الثياب. فكم تنهّد المرنم حزيناً على خطيته، وكان يعوّم كل ليلة سريره بدموعه في بكاء مر، كما خرج بطرس إلى الخارج وبكى بكاءً مُراً لأنه أنكر المسيح (لو ٢٢: ٦٢).

صحيحٌ إن الخطية لا تستحق الثمن المدفوع فيها، فعلى كل من يخطئ أن يرجع إلى الله تائباً بأسرع ما يستطيع.

وأقدّم ثلاث ملاحظات عن الحزن على الخطية:

(أ) ليس المهم كمية الحزن بل نوعه: قد لا تكون لنا كمية دموع داود الذي عوّم كل ليلة سريره بدموعه. وقد لا تكون لنا رأس مليئة بالماء كما تمنّى النبي إرميا فقال: «يا ليت رأسي ماء وعينيّ

ينبوع دموع فأبكي نهاراً وليلاً» (إر ٩:١). وقد لا نبكي بكاءً مُراً كما فعل بطرس. فليست الكمية هي المطلوبة، بل نوع الحزن الصادق. إن التعبير العميق يكفي.

(ب) **ليس المطلوب أن نُظهر حزننا أمام الناس**، بل أن يكون حزننا صادقاً. لسنا في حاجة أن نقول للآخرين إننا مخطئون محتاجون لغفران الله، لكن نحتاج أن نكون صادقين، فقد يكون إناءٌ مليئاً بالماء دون أن تنضح منه قطرة، وقد تكون قلوبنا مليئة بالدموع على خطيتنا دون أن تظهر دموعنا للآخرين.

(ج) **ليس المطلوب مدة الحزن**، بل المطلوب هو إخلاصنا فيه. هناك أسطورة قديمة تقول إنه بعد أن ارتكب داود خطيته المشهورة، أخذ يبكي فسقطت دمعتان من دموعه على الأرض، فنبتت شجرتان: شجرة «الصفصاف المتهدّل» التي ترمز إلى حزن المؤمن الباكي أمام الله، وشجرة «البَخور» التي ترمز لإيمان التائب ومحبته لله، لأن الذي يغفر له الله الكثير يحب الله كثيراً، لأنه يشعر بفضل محبة الله له.

ثالثاً - الرب يستجيب المستغيث التائب

(آيات ٨-١٠)

في الجزء الأخير من المزمور نرى فكرتين:

١ - عدّل المرنم موقفه من أعدائه: «ابعُدوا عني يا جميع فاعلي الإثم، لأن الرب قد سمع صوت بكائي. سمع الرب تضرُّعي. الرب يقبل صلاتي» (آيتا ٨ و ٩). استجاب الله لتوبة داود فعدّل موقفه مع أعدائه الذين قادوه إلى ارتكاب الخطأ. ولا عجب، فإن المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة (١كو ١٥:٣٣).

سار المرنم التائب في طريق الخطاة، ولكن بعد توبته وغفران خطاياه ابتعد عنهم وعن طريقهم، فلا شركة للنور مع الظلمة. وبعد أن أصلح موقفه مع الله أصلح الله موقف داود مع أعدائه. فإن كان هناك ما يُبكيك، وإن كنت تطلب من الرب أن يمسح دموعك، فأصلح أولاً ما بينك وبين الرب، وعدّل مواقفك معه، فتتعدّل مواقفك مع الذين يضرّونك. إن معركتنا ليست أساساً مع البشر من خارجنا، بل مع نفوسنا من داخلنا، فعندما نطرد الخطية من داخلنا بالاعتراف والتوبة، تتعدّل مواقفنا مع الآخرين.

٢ - نجا المرنم من أعدائه: «جميع أعدائي يُخزَون ويرتاعون جداً. يعودون ويُخزَون بغتةً» (آية ١٠). لقد تحقق معه القول: «إذا أرضت الربَّ طرقُ إنسان جعل أعداءه أيضاً يسالمونه» (أم ١٦:٧).

إن أفضل علاج للتخلُّص من المعاشرات الردية هو أن نبتعد عنها. «باعِد رِجلك عن الشر» (أم ٤:٢٧). لا يكفي أن نبكي على خطايانا، بل يجب أن نبتعد عنها وعن مسبِّباتها، فالخطية والنعمة لا يجتمعان.

المزمور السابع

شَجَوِيَّةٌ لِدَاوُدَ، غَنَّاهَا لِلرَّبِّ بِسَبَبِ كَلَامِ كُوشَ ٱلْبِنْيَامِينِيِّ

١ يَا رَبُّ إِلٰهِي عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ. خَلِّصْنِي مِنْ كُلِّ ٱلَّذِينَ يَطْرُدُونَنِي وَنَجِّنِي، ٢ لِئَلَّا
يَفْتَرِسَ كَأَسَدٍ نَفْسِي هَاشِماً إِيَّاهَا وَلَا مُنْقِذَ.

٣ يَا رَبُّ إِلٰهِي، إِنْ كُنْتُ قَدْ فَعَلْتُ هٰذَا. إِنْ وُجِدَ ظُلْمٌ فِي يَدَيَّ. ٤ إِنْ كَافَأْتُ
مُسَالِمِي شَرّاً، وَسَلَبْتُ مُضَايِقِي بِلَا سَبَبٍ، ٥ فَلْيُطَارِدْ عَدُوٌّ نَفْسِي وَلْيُدْرِكْهَا، وَلْيَدُسْ إِلَى
ٱلْأَرْضِ حَيَاتِي، وَلْيَحُطَّ إِلَى ٱلتُّرَابِ مَجْدِي. سِلَاهْ.

٦ قُمْ يَا رَبُّ بِغَضَبِكَ. ٱرْتَفِعْ عَلَى سَخَطِ مُضَايِقِيَّ وَٱنْتَبِهْ لِي. بِٱلْحَقِّ أَوْصَيْتَ. ٧ وَمَجْمَعُ
ٱلْقَبَائِلِ يُحِيطُ بِكَ، فَعُدْ فَوْقَهَا إِلَى ٱلْعُلَى. ٨ ٱلرَّبُّ يَدِينُ ٱلشُّعُوبَ. ٱقْضِ لِي يَا رَبُّ
كَحَقِّي وَمِثْلَ كَمَالِي ٱلَّذِي فِيَّ. ٩ لِيَنْتَهِ شَرُّ ٱلْأَشْرَارِ وَثَبِّتِ ٱلصِّدِّيقَ. فَإِنَّ فَاحِصَ ٱلْقُلُوبِ
وَٱلْكُلَى ٱللّٰهُ ٱلْبَارُّ. ١٠ تُرْسِي عِنْدَ ٱللّٰهِ مُخَلِّصِ مُسْتَقِيمِي ٱلْقُلُوبِ.

١١ اَللّٰهُ قَاضٍ عَادِلٌ وَإِلٰهٌ يَسْخَطُ فِي كُلِّ يَوْمٍ. ١٢ إِنْ لَمْ يَرْجِعْ يُحَدِّدْ سَيْفَهُ. مَدَّ
قَوْسَهُ وَهَيَّأَهَا، ١٣ وَسَدَّدَ نَحْوَهُ آلَةَ ٱلْمَوْتِ. يَجْعَلُ سِهَامَهُ مُلْتَهِبَةً.

١٤ هُوَذَا يَمْخَضُ بِٱلْإِثْمِ. حَمَلَ تَعَباً وَوَلَدَ كَذِباً. ١٥ كَرَا جُبّاً. حَفَرَهُ، فَسَقَطَ فِي
ٱلْهُوَّةِ ٱلَّتِي صَنَعَ. ١٦ يَرْجِعُ تَعَبُهُ عَلَى رَأْسِهِ وَعَلَى هَامَتِهِ يَهْبِطُ ظُلْمُهُ. ١٧ أَحْمَدُ ٱلرَّبَّ
حَسَبَ بِرِّهِ. وَأُرَنِّمُ لِٱسْمِ ٱلرَّبِّ ٱلْعَلِيِّ.

ترسي عند الله

هناك سبعة مزامير أطلق عليها القديس أغسطينوس اسم «مزامير الطريد» (هي ٧ و٣٤ و٥٢ و٥٤ و٥٦ و٥٧ و١٤٢) كتبها داود أثناء هروبه من مطاردات الملك شاول له، متنقلاً من بلد إلى بلد، ومن كهف إلى كهف، وحتى إلى بلاد الفلسطينيين.

عنوان هذا المزمور «شجوية لداود غناها للرب»، و«شجوية» معناها ترتيلة حزن أو شجوى. وهو نفس عنوان «صلاة لحبقوق النبي على الشجوية» (حب ٣:١). أليس غريباً أن المؤمن «يغني» للرب «شجوية»؟ الحقيقة أن كل متاعب العالم لا يمكن أن تحرم المؤمن من الترنيم، لأن منابع حياته ليست من ظروفه، لكنها من الرب. إن كل آلام الحياة لا تحرم المؤمن مطلقاً من أن يغني ويرتل للرب، لأنه يختبر دائماً أن الله معه وسط الأتون!

رنم داود هذه الشجوية لأن كوش البنياميني وشى به إلى الملك شاول، وقال إن داود يتآمر ليقتل الملك (١صم ٢٢:٨). وبهذه الوشاية الكاذبة زادت ثورة غضب الملك المجنون على داود. ونحن لا نعرف شيئاً عن كوش إلا أنه من سبط بنيامين، وغالباً يكون أحد أقرباء شاول. وبسبب هذه الوشاية خرج الملك بجيشه ليقبض على داود البريء ويقتله، فرفع داود صلاته في هذه الشجوية متنوّعة الموضوعات، فمن الحديث عن قمة النصرة، إلى الحديث عن الألم المُرّ. وهي نموذج لاختبارات المؤمن المتنوّعة.

ونجد فرقاً كبيراً بين بداية المزمور السابع ونهايته. ففي مطلعه تبدو عدالة الله غامضة، وفي نهايته نراها فاعلة وقوية. في بدايته يبدو الشرير مفترياً غالباً، وفي نهايته نراه ضعيفاً مهزوماً. في بدايته نرى المؤمن باكياً صارخاً، وفي نهايته نراه هاتفاً منتصراً. وهذا ما يحدث دوماً مع الذين يحبون الله. يبدو لنا أحياناً كأن عدالة الله قد غابت، فانتصر الشرير وانسحق المؤمن. ولكن المؤمن الحقيقي في النهاية ينتصر دائماً، فيحمد الرب على برّه وعدله، ويرنّم لاسم الرب العلي، لأن كل آلةٍ صُوِّرت ضده لا تنجح، وهو يحكم على كل لسان يقيم قضيَّةً ضده (إش ٥٤:١٧).

في هذا المزمور نجد،

أولاً – خطورة موقف المرنم (آيتا ١ و٢)

ثانياً – المرنم يعلن براءته (آيات ٣-٥)

ثالثاً – المرنم يطلب النجدة من الله (آيات ٦-١٠)

رابعاً – المرنم يخاطب أعداءه (آيات ١١-١٧)

أولاً - خطورة موقف المرنم

(آيتا ١ و٢)

يبدأ المرنم مزموره بالاتجاه إلى الله قائلاً: «يا رب إلهي عليك توكلتُ» (آية ١أ) فيتّجه إلى سيد حياته، ويناديه: «يا رب». ويدعوه: «إلهي». فهناك صلة أُنس شخصية حميمة بينهما. الرب إلهه، وهو الخادم والتابع والمنتمي لهذا الإله. لقد سلّم حياته للرب، واتّخذه سيداً وقائداً له، فأصبح ملكاً لله، وشعاره: «الإله الذي أنا له، والذي أعبده» (أع ٢٧:٢٣). ولما كانت هذه العلاقة الشخصية عميقة وواثقة، فإنه يلقي بكل نفسه وبكل همومه على الرب إلهه، ويقول له «عليك توكلت». «مُلقين كل همّكم عليه، لأنه هو يعتني بكم» (١بط ٥:٧). ولهذا يصرخ إليه: «خلّصني» من الوشاية الكاذبة. ويعلن براءته منها.

ويوضح داود خطورة موقفه، فيقول: «خلّصني من كل الذين يطردونني، ونجّني لئلا يفترس كأسدٍ نفسي، هاشماً إياها ولا منقذ» (آية ١ب و٢).

١ – **أعداؤه كثيرون:** كأنهم فرقة كاملة «لجئون» فيقول: «كل الذين يطردونني». أينما يتوجّه يحيطون به ويهجمون عليه.

٢ – **عدوُّه جبار خبيث:** «يفترس كأسد نفسي هاشماً إياها». إنه لا يسكت حتى يقتل داود. كان شاول كالأسد في بطشه وشراسته، ولكن عدوّنا دائماً ليس «أسداً» بل «كالأسد» (١بط ٥:٨).

٣ – **عدوُّه مُميت:** «لا منقذ» يبدو أنه لا سبيل للنجاة! فلماذا يعرض على الله حالـةً ميئوساً منها بهذا الشكل؟.. لا بد أنه تذكّر اختباراته الشخصية السابقة، عندما كان يرعى أغنام أبيه، فجاء أسدٌ وأخذ شاةً من القطيع، فخرج وراءه وضربه وأنقذ الشاة منه. ولما قام عليه الأسد أمسكه من ذقنه وضربه وقتله (١صم ١٧:٣٤-٣٦). فهل يكون الله مع داود أقل حباً منه مع غنمه؟.. مستحيل! لن يقف الرب ساكتاً وابنه في خطر. ولذلك رأى داود الرجاء رغم الخطر، ورفع صلاة الواثق، وصلاة الإيمان هي ثروة أولاد الله، فالإيمان يؤكد لنا قدرة الله ومحبته، والصلاة توصّلنا بالعرش الإلهي!

ثانياً - المرنم يعلن براءته

(آيات ٣-٥)

كان داود بريئاً. فأعلن براءته من اتهام كوش الظالم له بقوله: «يا رب إلهي، إن كنتُ قد فعلتُ هذا. إن وُجد ظلمٌ في يديَّ. إن كافأتُ مسالمي شراً وسلبتُ مضايقي بلا سبب، فليطارد عدوٌّ نفسي وليدركها، وليدُس إلى الأرض حياتي، وليحطَّ إلى التراب مجدي» (آيات ٣-٥).

أشهد داود السماء على براءته، وأعلن استعداده لقبول العقاب إن كان مخطئاً. إن السماء تعلم أنه لم يؤذِ عدوَّه الذي وقع في يديه مرتين: في برية عين جدي، وفي برية زيف (١صم ٢٤ و٢٦). كان ضمير داود مستريحاً من جهة شاول، يصدق عليه القول: «فخرنا هو شهادة ضميرنا» (٢كو ١:١٢) و«إن لم تلُمنا قلوبنا فلنا ثقة من نحو الله» (١يو ٣:٢١).

لا يستطيع إنسان أن يقول إنه بريء تماماً من كل ذنب، لأنه «إن قلنا إنه ليس لنا خطية نُضِل أنفسنا وليس الحق فينا .. إن قلنا إننا لم نخطئ نجعله كاذباً وكلمته ليست فينا» (١يو ١:٨ و١٠). لكن داود يعلن براءته من هذه التهمة الواحدة التي وجّهها كوش ضده. وكأن داود يقول لله: «في هذا الموضوع يا رب أنا لم أخطئ».

وقد جاز أيوب اختباراً مشابهاً عندما اتّهمه أصحابه أنه لا بد ارتكب خطايا جعلت الرب يوقّع عليه العقاب، فقال لأصحابه إنه بريء، وإن كل ما حلّ به ليس بسبب خطاياه. ثم أخذ يذكر مبادئه الأخلاقية التي سار عليها، فقال: «إن كنتُ منعتُ المساكين عن مرادهم، أو أفنيتُ عينَي الأرملة، أو أكلتُ لقمتي وحدي فما أكل منها اليتيم.. فلتسقط عضدي من كتفي، ولتنكسر ذراعي من قصبتها» (أي ٣١:١٦-٢٢).

وحتى لو استطعنا أن نعلن براءتنا أمام الناس فلن نستطيع أن نعلنها أمام الله، لأن مقاييس الله تعلن أنه ليس إنسان صالحاً. على أننا نستطيع أن نعلن براءتنا أمام الله إن احتمينا بكفارة المسيح، فتكون براءتنا نابعة من نعمته وفدائه وفضله وحبه لنا، فنقول: «إذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح» (رو ٥:١). ونقول: «لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح» (رو ٨:١).

يمكن أن يعلن الإنسان براءته أمام الله والناس من تهمة واحدة. ويمكن أن يعلن براءته أمام الناس من كل خطإٍ يعرف أنه لم يرتكبه. لكنه لا يقدر أن يعلن براءته أمام الله، الذي لن يتبرر أمامه حيٌّ (مز ١٤٣:٢).

ثالثاً - المرنم يطلب النجدة من الله

(آيات ٦-١٠)

بعد أن أعلن داود براءته طلب النجدة من الله:

١ - **طلب أن يُقيم الله محكمة علنية:** ينصف فيها نبيّه المظلوم، يكون الله فيها القاضي العادل الجالس على عرشه المرتفع ليفحص التُهمة الزائفة، فقال: «قُم يا رب بغضبك. ارتفع على سخط مضايقيَّ وانتبه لي. بالحق أوصيتَ» (آية ٦). يطلب منه أن يقوم مرتفعاً على الظلم والظالمين، لأنه في خوفه من أعدائه خشي من سكوت الرب عنه أو تركه له، فتجاسر عليه وقال له: «انتبه» مع أنه الذي لا تدركه سِنةٌ ولا نوم (مز ١٢١:٤).

٢ - **طلب أن يشاهد الأمم هذه المحاكمة:** ليشهدوا عدالة الله القاضي العادل فوق الجميع: فوق الملك شاول الظالم، وكوش الواشي الكاذب، فقال: «مجمع القبائل يحيط بك، فعُدْ فوقها إلى العُلى» (آية ٧). والمعنى: اجمع الأمم من حولك يا رب، واجلس فوقها في الأعالي، لأن قدّيسيك المظلومين سيأتون بشكاواهم إلى محكمتك العليا.

٣ - **علم أن الله يقضي بالعدل:** لأنه يرى كل الظروف والملابسات، فيقول: «الرب يدين الشعوب. اقضِ لي يا رب كحقّي، ومثل كمالي الذي فيّ» (آية ٨).

٤ - **علم أن عدالة الله ستضع نهاية للشرور:** وكل من يشبههما، فيدعو الله: «لينتهِ شر الأشرار» (آية ٩أ) إما بتوبة الشرير، فلا يصبح بعد صانع شر، ويتم فيه القول الرسولي: «لا يسرق السارق في ما بعد، بل بالحري يتعب عاملاً الصالح بيديه، ليكون له أن يعطي من له احتياج» (أف ٤:٢٨). أو ينتهي الشرير بنهاية حياته على الأرض، وبنهايته الأبدية في الجحيم «لأن أجرة الخطية هي موت» (رو ٦:٢٣).

٥ - **علم أن الله سينقذه:** ويعطيه الثبات على الحق والإيمان، لأن الله يعرف الذين هم له، فيقول: «ثبّت الصدّيق، فإن فاحص القلوب والكُلى الله البار. ترسي عند الله، مخلّص مستقيمي القلوب» (آيتا ٩ب و١٠). و«القلوب والكُلى» تعبير عبري معناه أعماق الإنسان وأسراره وأفكاره

وعواطفه ونياته. ويقول داود إن الله يعرف دواخله، وسيثبّته في الحق والخير، فكل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا (عب ٤:‏١٣). إنه يدرك أن ترسه عند الله. والترس قطعة من الخشب مغطاة بالجلد يتلقى الجندي عليها سهام الأعداء. فالرب يحمي المؤمن. لقد وجّه كوش سهماً ليؤذي داود، لكن الله لن يترك مستقيمي القلوب، بل لا بد أن يخلّصهم وينقذهم.

ما أسعد مستقيمي القلوب الذين يحامي الله عنهم، ويخيّب مؤامرات الشرير ضدهم. يقول الوحي لهم: «الضيقات التي تحتملونها بيّنة على قضاء الله العادل أنكم تُؤهَّلون لملكوت الله الذي لأجله تتألمون أيضاً، إذ هو عادلٌ عند الله أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً، وإياكم الذين تتضايقون راحةً معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته، في نار لهيب، معطياً نقمةً للذين لا يعرفون الله ولا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح» (٢تس ١:‏٤-٨).

من الدروس الرائعة في محاكمة المسيح ما نتعلمه منه وهو يقف وسط مستنقع من الكراهية والكذب وإنكار الجميل. لكن نقطة واحدة من ذلك المستنقع الفاسد لم تدخل إلى نفسه، فقد ظلّ في وسط محيط الكراهية هذا مليئاً بالحب، وقال: «اغفر لهم يا أبتاه، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لو ٢٣:‏٣٤). في وسط هذا الموقف المليء بالعذاب البدني، يعطينا المسيح نموذجاً للصدّيق الثابت الذي لا يسمح لآلام الحياة أن تعطله عن القيام بخدمته أو أداء رسالته أو تغيير مبدئه!

رابعاً - المرنم يخاطب أعداءه

(آيات ١١-١٧)

١ - يحذّر أعداءه من خطورة موقفهم: «الله قاضٍ عادل، وإلهٌ يسخط في كل يوم» (آية ١١). يعلن الله غضبه، ولكنه لا ينفّذ عقابه فوراً ليعطي الشرير فرصة للتوبة. واستمرار حياة الشرير بعد ارتكاب شره إعلانٌ أن الله لا يشاء أن يهلكه، بل يريد له التوبة، فيُقال له: «أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالمٍ أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة!» (رو ٢:‏٤). إن الله يسخط كل يوم لكنه لا يهلك، ليمنح الخاطئ فرصة للتوبة.

٢ -يدعو أعداءه للتوبة: «إن لم يرجع (الشرير عن شره) يحدّد (الله) سيفه. مدَّ (الله) قوسه وهيّأها، وسدّد نحوه (نحو الشرير) آلة الموت. يجعل سهامه ملتهبة» (آيتا ١٢ و١٣). عقاب الله متنوّع في أسلوبه، صارم في تنفيذه، ولذلك يدعوهم للتوبة. أليس جميلاً أنه وهو يتألم من المشتكين عليه كذباً يدعوهم للتوبة قبل أن يوجّه الله سهامه وسيفه ضدهم فيهلكهم، وبهذا ينتهي شرُّهم إلى الأبد؟!

٣ - يصف أعداءه بوصفين: (آيات ١٤-١٦).

ويهدف من هذين الوصفين أن يوضح عدم نفع الشر لمرتكبه، فسرعان ما ينقلب الشر على صاحبه ويهلكه.

(أ) **يشبِّه الشريرَ بامرأة تتمخَّض لتلد سقطاً:** «هوذا (الشرير) يَمخض بالإثم. حمل تعباً، وولد كذباً» (آية ١٤). يتمخَّض الشرير بالإثم، ويحمل الفساد، فيلد الكذب. بدايته واستمراره ونهايته باطلة وقبض الريح، ولا منفعة له تحت الشمس. يحلم بأشياء كاذبة لا تنفعه شيئاً. يتعب بغير طائل. صحيح أنه «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟» (مت ١٦:٢٦).

(ب) **يشبِّهه بصياد يحفر حفرة:** إنه يريد أن يقع فيها الحيوان المطلوب صيده، فيسقط هو فيها! «كرا جُباً (بمعنى: حفر حفرة). حفره، فسقط في الهوّة التي صنع. يرجع تعبه على رأسه وعلى هامته يهبط ظلمه» (آيتا ١٥ و١٦). فالشر يميت الشرير، والخطية تخفض ولا ترفع. فلنحترس من حفر الحُفر للآخرين، ولنحاول أن نرفعهم لننال نحن البركة معهم، فإن الذي يحفر يهبط، والذي يرفع غيره يرتفع.

٤ - **يعلن لأعدائه أن إلهه العلي سينصره:** «أحمد الرب حسب بره، وأرنّم لاسم الرب العلي» (آية ١٧). فما أكبر الفرق بين بداية المزمور وبين نهايته! انتهت الشجوية، ترنيمة البكاء، بهتاف فرح، فالتسبيح هو شُغل المؤمنين في الأرض وفي الأبدية. قد ترتخي أوتار قيثارة المؤمن من هموم الاضطهاد فتصدر اللحن الحزين، لكنها سرعان ما تعود إلى سابق نشاطها، بفضل نعمة الرب البار العادل المستقيم، العلي المرتفع، الذي يرى وينصف المظلوم من ظالمه!

المزمور الثامن

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ عَلَى ٱلْجَتِّيَّةِ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

١ أَيُّهَا ٱلرَّبُّ سَيِّدُنَا، مَا أَمْجَدَ ٱسْمَكَ فِي كُلِّ ٱلْأَرْضِ، حَيْثُ جَعَلْتَ جَلَالَكَ فَوْقَ
ٱلسَّمَاوَاتِ! ٢ مِنْ أَفْوَاهِ ٱلْأَطْفَالِ وَٱلرُّضَّعِ أَسَّسْتَ حَمْداً بِسَبَبِ أَضْدَادِكَ، لِتَسْكِيتِ عَدُوٍّ
وَمُنْتَقِمٍ.
٣ إِذَا أَرَى سَمَاوَاتِكَ عَمَلَ أَصَابِعِكَ، ٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ ٱلَّتِي كَوَّنْتَهَا، ٤ فَمَنْ هُوَ
ٱلْإِنْسَانُ حَتَّى تَذْكُرَهُ وَٱبْنُ آدَمَ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ! ٥ وَتَنْقُصَهُ قَلِيلًا عَنِ ٱلْمَلَائِكَةِ، وَبِمَجْدٍ
وَبَهَاءٍ تُكَلِّلُهُ. ٦ تُسَلِّطُهُ عَلَى أَعْمَالِ يَدَيْكَ. جَعَلْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ. ٧ ٱلْغَنَمَ وَٱلْبَقَرَ
جَمِيعاً، وَبَهَائِمَ ٱلْبَرِّ أَيْضاً، ٨ وَطُيُورَ ٱلسَّمَاءِ، وَسَمَكَ ٱلْبَحْرِ ٱلسَّالِكَ فِي سُبُلِ ٱلْمِيَاهِ.
٩ أَيُّهَا ٱلرَّبُّ سَيِّدُنَا، مَا أَمْجَدَ ٱسْمَكَ فِي كُلِّ ٱلْأَرْضِ!

بمجد تكلله

هذا مزمور تمجيد وشكر لله، يسبح به المرنم الرب على صلاحه ومحبته للإنسان. يبدأ المزمور بكلمات تتكرر في آخره: «أيها الرب سيدنا، ما أمجد اسمك في كل الأرض!». وبعد أن يرتل المرنم المزمور يدرك عظمة الله فيعلن مجد اسمه في كل الأرض بطريقة أعمق وأفضل، فيحدّثنا عن الله المتسربل بالحكمة والجلال.

ونحن على مثال ما فعل صاحب المزمور يجب أن نبدأ يومنا بأن نرفع تسبيحة شكر لله، ونختمه بتسبيحة مماثلة. ولو أننا في نهاية اليوم ندرك فضل الله أكثر، لأنه أضاف في يومنا بركاتٍ جديدة تفوق بركات أمسنا. فالله هو الذي خلق الإنسان ويذكره، ويفتقده (بمعنى: يزوره) ويكلّله.

وكانوا يرنمون هذا المزمور «على الجتّيّة» وهي آلة موسيقية تشبه القيثارة، كانت تُستعمل في العاصمة الفلسطينية «جت». وقد ورد ذكر الجتية في عنوان مزموري ٨١ و٨٤ أيضاً. ويمكن أن تُترجم كلمة «الجتية» بـ «نشيد القطاف» يغنّيه دائسو العنب في المعصرة، أو تعني «نشيد الحَرس الجتي» (٢صم ١٥:١٨). فيكون أن المرنم صاغ الكلمات بوحي الروح القدس، واختار لها لحناً من إبداع الفلسطينيين، مما يعني أن البشر جميعاً يشتركون في تسبيح الرب بطريقة أو بأخرى.

في هذا المزمور نجد،

أولاً – ما أمجد اسم الله في الطبيعة (آية ١)

ثانياً – ما أمجد اسم الله في الأطفال (آية ٢)

ثالثاً – ما أمجد اسم الله في الإنسان الضعيف (آيتا ٣ و٤)

رابعاً – ما أمجد الإنسان الذي كرّمه الله (آيات ٥-٨)

خامساً – تمجيد ختامي (آية ٩)

أولاً - ما أمجد اسم الله في الطبيعة

(آية ١)

في مطلع المزمور وفي خاتمته يمجّد المرنم الله ويسبحه، لأنه خالق الطبيعة، أرضها وسماءها، لأنها المرايا التي تعكس للبشر بهاء مجد الرب، ولأنها المسرح الذي تدور فوقه أعمال مجده، فيرتل المرنم لله: «أيها الرب سيدنا، ما أمجد اسمك في كل الأرض، حيث جعلت جلالك فوق السماوات» (آية ١).

تتحدّث الخليقة كلها بعظمة حكمته وقدرته الفائقة، فهو «حاملٌ كل الأشياء بكلمة قدرته» (عب ١:٣). «السماوات تحدّث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه» (مز ١:١٩). «أنت هو الرب وحدك. أنت صنعت السماوات وسماء السماوات وكل جندها، والأرض وكل ما عليها، والبحار وكل ما فيها، وأنت تحييها كلها، وجند السماء لك يسجد» (نح ٦:٩). «ما أعظم أعمالك يا رب، كلها بحكمة صنَعْتَ. ملآنةٌ الأرض من غناك. هذا البحر الكبير الواسع الأطراف، هناك دبابات بلا عدد، صغار حيوانٍ مع كبار.. كلها إياك تترجى لترزقها قوتها في حينه. تعطيها فتلتقط، تفتح يدك فتشبع خيراً» (مز ٢٤:١٠٤-٢٨). بدون كلام ولا ضوضاء تعلن الطبيعة مجد الله. تعلنه بنعمةٍ وتناسقٍ للجميع. في مطلع كل صباح نرى الشمس تشرق، وفي ختام كل يوم نرى النجوم تتألق في الفضاء. وعندما نتطلع إلى هذه كلها، تمتلئ قلوبنا بروح التعبُّد والشكر والتسبيح فنقول له: «أنت سيّدُنا». جلالك فوق السماوات يا مَن يسبّح لك السرافيم: «قدوس. قدوس. قدوس رب الجنود. مجده ملء كل الأرض» (إش ٣:٦) فتهتزّ أساسات أعتاب بيت الله من صوت الهتاف.

ثانياً - ما أمجد اسم الله في الأطفال

(آية ٢)

«من أفواه الأطفال والرُّضّع أسّست حمداً». يُعجَب الطفل ويندهش من كل جديد، لأن الروتينية لم تُصبه بالملل بعد. ونحتاج أن نتعلم من الأطفال أن نندهش من أعمال الله العظيمة، فنتأملها بعيون مفتوحة وقلوب تريد أن تتعلم أكثر. وكل من دخل ملكوت الله يصير مثل الأولاد المنبهرين بعظمة

الله، الواثقين من محبته (مت ٣:١٨).

«من أفواه الأطفال والرضّع أسست حمداً، بسبب أضدادك (خصومك) لتسكيت عدوّ ومنتقم». وقد تحقّقت هذه الكلمات حرفياً وقت دخول المسيح الانتصاري إلى أورشليم، فيقول الإنجيل: «فلما رأى رؤساء الكهنة والكتبة العجائب التي صنع، والأولاد يصرخون في الهيكل ويقولون: أوصنا لابن داود، غضبوا وقالوا له: أتسمع ما يقول هؤلاء؟ فقال لهم يسوع: نعم. أما قرأتم قط: من أفواه الأطفال والرضع هيأت تسبيحاً؟» (مت ١٥:٢١ و١٦). عجز أئمة اليهود عن معرفة المسيح فلم يهتفوا له، ولكن هؤلاء الصغار عرفوه بقلوبهم فهتفوا له: «أوصنا» بمعنى: يا رب خلّصنا (مت ٩:٢١).

إن قدرة هؤلاء الصغار على التعبير الشفاف الصادق والعفوي يُخرس ألسنة الأعداء والمنتقمين. أراد لصٌّ أن يسرق شجرة فاكهة، فأخذ ولده معه وقال له: «عندما ترى شخصاً يراني حذّرني». وتسلّق الأب الشجرة ليسرق، وسرعان ما دعاه الولد: «بابا، هناك مَن يراك». ونزل الأب مسرعاً يسأل: «من يراني؟» فأجاب: «الله يراك». وكانت الكلمات سبباً في توبة الأب.

لما كان «جورج هويتفيلد» الواعظ البريطاني يعظ في بلد في شمال شرق أمريكا في القرن الثامن عشر، فيما يُعرف بولايات «نيو إنجلاند» سلّمت سيدة حياتها للمسيح. وحاولت أن تقود بعض جاراتها للخلاص ولكنها لم تُوفَّق، فوضعت اهتمامها كله في ابنتها التي تبلغ من العمر عشر سنوات. واستجابت الابنة لمحبة الرب. وذات مرة سألت الابنة: «ماما، لماذا لا نكلم أهل بلدنا بهذه الأخبار المفرحة؟» فأجابت الأم: «أنا حاولت كثيراً ويئست». فقالت الابنة: «سأقوم أنا بهذا العمل». وخرجت مسرعة ووجدت أول محل تجاري لبائع أحذية، فدخلت وسألت البائع: «هل سمعت الأخبار المفرحة عن المسيح المخلّص؟» وحدّثته عن الفرح الذي ملأ قلبها والتغيير الذي حدث في منزلها. وتأثر الرجل وصلي وقبل الرب. وعلى مدى شهرين قبل خمسون شخصاً في تلك القرية المسيح، لأن فتاة صغيرة بحماستها وحبها للرب قررت أن تفعل شيئاً، مع أن اليأس كان قد أصاب أمها.

مرةً واجه مارتن لوثر مقاومةً شديدة أصابته باليأس. وكان زميله ميلانكثون يتمشّى في البلد فرأى بعض الأولاد مجتمعين يصلّون من أجل الإصلاح الديني، فرجع وعلى وجهه ابتسامة كبيرة وقال للوثر: «لقد نجونا. حتى الأولاد يصلّون من أجلنا».

إننا نبتهج بأولادنا وبناتنا في مدرسة الأحد، لأن وصول الرسالة إلى قلوبهم يجعل منهم شهوداً أمناء للمسيح، ومن حياتهم وأفواههم يؤسس الله حمداً يُخزي الخطاة الكبار الذين تحجّرت قلوبهم لفرط ما سمعوا، حتى صارت قصة صليب المسيح عندهم مجرد قصة تاريخية، لم تعد تثير فيهم اندهاشاً ولا شكراً.

أما العدو المنتقم الأكبر الذي سيُسكَت آخر الكل فهو إبليس، عندما نسمع مع الرائي: «صوتاً عظيماً قائلاً في السماء: الآن صار خلاص إلهنا وقدرته ومُلكه وسلطان مسيحه، لأنه قد طُرح المشتكي على إخوتنا.. من أجل هذا افرحي أيتها السماوات والساكنون فيها» (رؤ ١٠:١٢- ١٢).

ثالثاً - ما أمجد اسم الله في الإنسان الضعيف

(آيات ٣ و٤)

ثم يمجد المرنم الرب لأنه يهتم بالإنسان الضعيف الصغير الضئيل بالمقارنة بالطبيعة العظيمة، فيقول: «إذا أرى سمواتك، عمل أصابعك، القمر والنجوم التي كوّنتها. فمن هو الإنسان حتى تذكره، وابن آدم حتى تفتقده؟» (بمعنى: حتى تزوره، أو تلتفت إليه مُنعماً) (آيتا ٣ و٤).

ما أقل ما نعرفه عن أعمال الله في الخليقة. وقت كتابة هذه الكلمات قرأت أن فريقاً من الباحثين الأوربيين اكتشفوا مجرّة جديدة بالكون على بُعد يتراوح بين ١٣ و١٧ مليار سنة ضوئية من الأرض، وهي بذلك أبعد مجرّة معروفة. وأعلنت المنظمة الأوربية للأبحاث الفلكية أن وصول ضوء هذه المجرة إلى تلسكوب المنظمة الموجود في شيلي استغرق ٩٠٪ من عمر الكون! وعندما يقارن الإنسان نفسه بعظمة الطبيعة يكتشف مقدار ضآلته. عمر الطبيعة ملايين السنين، والإنسان «قليل الأيام وشبعان تعباً» (أي ١:١٤). قال موسى كليم الله: «أيام سنينا هي سبعون سنة، وإن كانت مع القوة فثمانون سنة، وأفخرها تعبٌ وبلية، لأنها تُقرض سريعاً فنطير» (مز ٩٠: ١٠). والطبيعة قوة جبارة في الزلازل والبراكين، وهدير الشلالات وارتفاع الجبال، بينما الإنسان «كعشب يزول. بالغداة يزهر فيزول. عند المساء يُجزّ فييبس» (مز ٩٠: ٥ و٦).

قال بلدد الشوحي، صديق أيوب، عن الله: «السلطان والهيبة عنده.. هل من عددٍ لجنوده؟.. هوذا نفس القمر لا يضيء، والكواكب غير نقية في عينيه. فكم بالحري الإنسان الرّمّة وابنُ آدم الدود!» (أي ٢٥: ٢-٥). من هو الإنسان حتى يفتقده الرب سيدنا، صاحب أمجد اسم في كل السماوات والأرض! إنه، وهو خالق هذه كلها، لا يزال يفكر في الإنسان البسيط الذي هو لا شيء. قال أيوب لله: «ما هو الإنسان حتى تعتبره، وحتى تضع عليه قلبك؟» (أي ٧: ١٧). وقال المرنم: «يا رب، أي شيء هو الإنسان حتى تعرفه، أو ابن الإنسان حتى تفتكر به؟» (مز ١٤٤: ٣).

وقد لا يرى الشرير في كبريائه عظمة الكون وحقارة الإنسان، ولكن المتواضع يدرك هذا «لأنه هكذا قال العلي المرتفع ساكن الأبد، القدوس اسمه: في الموضع المرتفع المقدس أسكن ومع المنسحق والمتواضع الروح، لأحيي روح المتواضعين ولأحيي قلب المنسحقين» (إش ٥٧: ١٥). وعندما نتأمل الخبر المفرح أن الرب جاءنا في هيئة إنسان، متجسداً في المسيح، نقول في دهشة وفي شكر: «من هو الإنسان حتى تذكره؟!».

رابعاً - ما أمجد الإنسان الذي كرّمه الله

(آيات ٥-٨)

١ - **رفع الله قيمة الإنسان:** «تنْقصه قليلاً عن الملائكة، وبمجدٍ وبهاءٍ تكلله» (آية ٥أ). بعد أن مجّد المرنم الله على الإنسان الضعيف الذي أكرمه، يقدم التمجيد لله لأنه رفّع قيمته. والقول «تنقُصه قليلاً» يعني القليل في الزمان، أو القليل في المقام. فالإنسان أقل من الملاك، لأن الملاك لا يموت،

بينما الإنسان يموت. ولكن هذا الموت مؤقّت «فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة» (يو ٥:٢٨ و٢٩). والإنسان أقل من الملاك في المقام هنا على الأرض. ولكن ماذا بعد الموت؟ «بمجد وبهاء تكلله» (آية ٥ب).

ويقول في العبرانيين ١٦:٢ إن الله لم يخلّص الملائكة الذين سقطوا، ولكنه دبّر خلاص آدم ونسله، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا.

٢ - **منح الله الإنسان السلطة:** «تسلّطه على أعمال يديك. جعلت كل شيء تحت قدميه: الغنم والبقر جميعاً وبهائم البرّ أيضاً، وطيور السماء، وسمك البحر السالك في سبُل المياه» (آيات ٦-٨).

خلق الرب آدم «على صورته» (تك ٢٧:١) فالإنسان على صورة الرحمان، ووضعه في جنة عدن «ليعملها ويحفظها» (تك ١٥:٢) ومنحه السلطة على الخليقة (تك ٢٨:١) ليسود على الأرض وعلى كل ما فيها، كوكيلٍ عن الله الخالق. وجعل الله كل الخليقة تحت قدمي الإنسان ليستخدمها. ولم يقصد أبداً أن تسود المخلوقات على آدم. ولكن حين نستعبد أنفسنا للمادة نضيّع البركة التي قصد الله أن يمنحها لنا.

لقد مجّد الله الإنسان بثلاث بركات، نجدها في آيتي ٤ و٥ «تذكره».. «تفتقده».. «تكلله».

(ا) «**تذكره**»: بمعنى تفكر فيه. فهل عند الرب اهتمام بالبشر حتى يفكر فيهم؟ من هو الإنسان حتى تذكره وتُدخِله في حساباتك؟ إنك تهتم بكل ما فيه، حتى أنك تحصي شعر رأسه؟

(ب) «**تفتقده**»: بمعنى تزوره.. تجيء إليه. نعم، زارنا في المسيح «الكلمة صار جسداً وحلّ بيننا» (يو ١٤:١). كان المسيح يسير في موكب مع تلاميذه تحيطه جموع كثيرة، ورفع عينيه إلى شجرة جميز فرأى رجلاً خاطئاً قصير القامة قد تسلّق أحد فروعها ليتملّى من رؤيته، فناداه باسمه: «يا زكا، أسرِع وانزل، لأنه ينبغي أن أمكث اليوم في بيتك» (لو ٥:١٩). لقد دعا نفسه إلى بيت زكا، وافتقده. ثم قال عنه بعد ذلك: «اليوم حصل خلاص لهذا البيت» (لو ٩:١٩). فمَن هو زكا حتى تفتقده؟ ما أمجد اسمك في كل الأرض لأنك تذكر زكا. إنك عمانوئيل، الإله الذي معنا.

وهو الآن يفتقدك أنت ويقرع باب قلبك. ومعظم من يفتحون قلوبهم للمسيح لم يسلّموا حياتهم له من أول قرع. ولذلك يعاود القرع ويستمر يقرع، كأنه المحتاج، بينما هو الذي يريد أن يعطي ويبارك ويُنعِم. ولا زال المسيح يأتينا ويمدّ يده إلينا، ويوصي ملائكته ليحفظونا في كل طرقنا.

(ج) «**تكلله**»: إنه يضع على رؤوسنا أكاليل المجد. «بمجد وبهاء تكلله». لقد «غسّلنا من خطايانا بدمه وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه» (رؤ ٥:١ و٦).

«جعلتَ كل شيء تحت قدميه». هل تريد أن يكون كل شيء تحت قدميك؟ تجد الإجابة في التسبيح الذي يبدأ المزمور وينتهي به «أيها الرب سيدنا». عندما يكون الله سيد حياتك تصبح أنت سيد كل شيء. أعطِ الرب السلطة على حياتك يعطِك الرب السلطة على مخلوقاته. أعطِ المسيح حرية

التصرف في حياتك، يعطيك المسيح حرية التصرف في كل شيء.

هل تحيا الحياة المنتصرة؟ هل لك سلطان على نفسك؟ هل تضبط غرائزك؟ «الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات» (غل ٥:٢٤).

وقد اقتبس كاتب العبرانيين الآيات ٤-٦ من مزمورنا، وقال إنها تشير إلى المسيح: «فإنه لملائكةٍ لم يُخضع العالم العتيد الذي نتكلم عنه. لكن شهد واحدٌ في موضع قائلاً: ما هو الإنسان حتى تذكره، أو ابن الإنسان حتى تفتقده؟ وضعته قليلاً عن الملائكة، بمجدٍ وكرامةٍ كلّلته، وأقمته على أعمال يديك. أخضعت كل شيء تحت قدميه» (عب ٢:٥-٨).

ومعنى هذه الآيات أنه يبدو للإنسان العادي أن المسيح أقل من الملائكة لأنه أخذ جسداً إنسانياً. ولكن المسيح ارتفع إلى درجة التكليل بالمجد الأعلى لأنه أخذ جسد الإنسان ليخلّص الإنسان، ولما أكمل هذا الخلاص خضعت له كل الأشياء. وهذا ما لم ينله أي ملاك من الملائكة.

لم يخضع الله عالمنا للملائكة، لكنه أعطى السيادة فيه للإنسان، وللمسيح ابن الإنسان، فأسكت المسيح العاصفة، وهدأ الموج، وأقام الموتى. ويخضع العالم الآتي للمسيح، فهو الشفيع والقاضي، الذي سيعلن في مجيئه الثاني نهاية العالم وبداية الدينونة.

خامساً - تمجيد ختامي

(آية ٩)

«أيها الرب سيدنا، ما أمجد اسمك في كل الأرض!». بدأ المزمور بهذا التمجيد ويُختم به. ويرتل المرنم التمجيد الختامي، الذي افتتح به مزموره، ولكن بفهم جديد. لقد تعلّم أن يمجد الله ويكرمه، فتحتل سيطرة الإنسان على الطبيعة والخليقة المكانة الثانية في أولويات حياته، وتحتل عبادته وتمجيده لله المكانة الأولى، فيقول له: «أيها الرب سيدنا».

وعندما نعترف أن الرب سيدنا نثق أنه المعتني بنا، ويكون إلى اسمه وإلى ذكره شهوة النفس (إش ٢٦:٨) وتكون طاعته مطلبنا الأول، فنمجده ونعبده، وننتظر مجيء مسيحه ثانية من السماء.

المزمور التاسع

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ. عَلَى «مَوْتِ ٱلِٱبْنِ». مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

١ أَحْمَدُ ٱلرَّبَّ بِكُلِّ قَلْبِي. أُحَدِّثُ بِجَمِيعِ عَجَائِبِكَ. ٢ أَفْرَحُ وَأَبْتَهِجُ بِكَ. أُرَنِّمُ
لِٱسْمِكَ أَيُّهَا ٱلْعَلِيُّ. ٣ عِنْدَ رُجُوعِ أَعْدَائِي إِلَى خَلْفٍ يَسْقُطُونَ وَيَهْلِكُونَ مِنْ قُدَّامِ
وَجْهِكَ، ٤ لِأَنَّكَ أَقَمْتَ حَقِّي وَدَعْوَايَ. جَلَسْتَ عَلَى ٱلْكُرْسِيِّ قَاضِياً عَادِلاً. ٥ ٱنْتَهَرْتَ
ٱلْأُمَمَ. أَهْلَكْتَ ٱلشِّرِّيرَ. مَحَوْتَ ٱسْمَهُمْ إِلَى ٱلدَّهْرِ وَٱلْأَبَدِ. ٦ اَلْعَدُوُّ تَمَّ خَرَابُهُ إِلَى ٱلْأَبَدِ.
وَهَدَمْتَ مُدُناً. بَادَ ذِكْرُهُ نَفْسُهُ. ٧ أَمَّا ٱلرَّبُّ فَإِلَى ٱلدَّهْرِ يَجْلِسُ. ثَبَّتَ لِلْقَضَاءِ كُرْسِيَّهُ،
٨ وَهُوَ يَقْضِي لِلْمَسْكُونَةِ بِٱلْعَدْلِ. يَدِينُ ٱلشُّعُوبَ بِٱلِٱسْتِقَامَةِ. ٩ وَيَكُونُ ٱلرَّبُّ مَلْجَأً
لِلْمُنْسَحِقِ. مَلْجَأً فِي أَزْمِنَةِ ٱلضِّيقِ. ١٠ وَيَتَّكِلُ عَلَيْكَ ٱلْعَارِفُونَ ٱسْمَكَ. لِأَنَّكَ لَمْ تَتْرُكْ
طَالِبِيكَ يَا رَبُّ.

١١ رَنِّمُوا لِلرَّبِّ ٱلسَّاكِنِ فِي صِهْيَوْنَ. أَخْبِرُوا بَيْنَ ٱلشُّعُوبِ بِأَفْعَالِهِ. ١٢ لِأَنَّهُ مُطَالِبٌ
بِٱلدِّمَاءِ. ذَكَرَهُمْ. لَمْ يَنْسَ صُرَاخَ ٱلْمَسَاكِينِ.

١٣ اِرْحَمْنِي يَا رَبُّ. ٱنْظُرْ مَذَلَّتِي مِنْ مُبْغِضِيَّ، يَا رَافِعِي مِنْ أَبْوَابِ ٱلْمَوْتِ. ١٤ لِكَيْ
أُحَدِّثَ بِكُلِّ تَسَابِيحِكَ فِي أَبْوَابِ ٱبْنَةِ صِهْيَوْنَ، مُبْتَهِجاً بِخَلَاصِكَ.

١٥ تَوَرَّطَتِ ٱلْأُمَمُ فِي ٱلْحُفْرَةِ ٱلَّتِي عَمِلُوهَا. فِي ٱلشَّبَكَةِ ٱلَّتِي أَخْفَوْهَا ٱنْتَشَبَتْ أَرْجُلُهُمْ.
١٦ مَعْرُوفٌ هُوَ ٱلرَّبُّ. قَضَاءً أَمْضَى. ٱلشِّرِّيرُ يَعْلَقُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ. (ضَرْبُ ٱلْأَوْتَارِ). سِلَاهْ.
١٧ اَلْأَشْرَارُ يَرْجِعُونَ إِلَى ٱلْهَاوِيَةِ، كُلُّ ٱلْأُمَمِ ٱلنَّاسِينَ ٱللّٰهَ. ١٨ لِأَنَّهُ لَا يُنْسَى ٱلْمِسْكِينُ
إِلَى ٱلْأَبَدِ. رَجَاءُ ٱلْبَائِسِينَ لَا يَخِيبُ إِلَى ٱلدَّهْرِ. ١٩ قُمْ يَا رَبُّ. لَا يَعْتَزَّ ٱلْإِنْسَانُ.
لِتُحَاكَمِ ٱلْأُمَمُ قُدَّامَكَ. ٢٠ يَا رَبُّ ٱجْعَلْ عَلَيْهِمْ رُعْباً، لِيَعْلَمِ ٱلْأُمَمُ أَنَّهُمْ بَشَرٌ. سِلَاهْ

أُقمتَ حقّي

هذا المزمور ترنيمة انتصار، تبدأ كل آيتين منه بحرف من الأبجدية العبرية. وينقسم إلى قسمين رئيسيين، فيهما كليهما تعبير عن الشكر لله لأنه ينصر المؤمنين على الأشرار والظالمين. لقد راقب المرنم الصراع المستمر في العالم بين الخير والشر، فرأى الأمم الشريرة الوثنية تهاجم أُمّته المؤمنة. وفي أُمّته المؤمنة رأى الظالمين ينتصرون على الأبرياء، فدعا الله لينصر الأبرياء كما نصر أُمّته على عُبّاد الوثن، ودعاه ليعاقب الظالمين الذين ينكرون قوته وعدالته.

وواضح أن الملك داود هو كاتب المزمور، فهو يتحدث كممثّل لأمته، ويعتبر أعداء الأمة أعداءه (آية ٣) ويعتبر قضية الأمة قضيته (آية ٤). ونحن نسأل: إن كان الملك قد كتب المزمور واحتجّ على الظالمين، فلماذا لم يفعل شيئاً ليرفع الظلم عنهم؟ والإجابة: أنه نتيجة لحكم الملك الظالم شاول والذين سبقوه، لم يتمكن داود من التحكم في سلوك نبلاء مملكته وعجز عن إرساء قواعد العدل. ولما رأى عجزه، لجأ إلى الرب ملك الملوك ليقضي القضاء العادل.

ويقول عنوان المزمور إنه على «موت الابن». وهو غالباً اسم اللحن الذي كانوا يُرتّلون به هذا المزمور، هو لحنٌ غير معروف لنا اليوم.

ويمكن تقسيم المزمور بالشكل التالي:

الجزء الأول آيات ١-١٢	الجزء الثاني آيات ١٣-٣٠
(١) ١-٤ تسبيح	(١) ١٣ و١٤ صلاة
(٢) ٥ و٦ الله قضي بالعدل على الشرير	(٢) ١٥ و١٦ الله قضي بالعدل على الشرير
(٣) ٧-١٠ الله سيقضي بالعدل وينجي المؤمن	(٣) ١٧ و١٨ الله سيقضي بالعدل وينجي المؤمن
(٤) ١١ و١٢ تسبيح	(٤) ١٩ و٢٠ صلاة

الجزء الأول
(آيات ١-١٢)

أولاً - تسبيح
(آيات ١-٤)

في هذه الأعداد نرى أن موضوع التسبيح هو: أنت يا رب «أرنم لاسمك». كما نرى أن سبب التسبيح هو: «أعمالك». ونرى أن طبيعة التسبيح هي: «بكل قلبي».

وسنتأمل وصف التسبيح ونذكر سببه:

يسبّح المرنم الرب فيقول: «أحمد الرب بكل قلبي، أحدّث بجميع عجائبك. أفرح وأبتهج بك، أرنم لاسمك أيها العلي» (آيتا ١ و٢).

١ – وصف التسبيح:

(ا) تسبيح مُخلص: «بكل قلبي» (آية ١أ). كما قال: «باركي يا نفسي الرب، وكل ما في باطني ليبارك اسمه القدوس» (مز ١٠٣: ١). لقد شعر بعظمة الخلاص، ورأى الرب يميّز تقيّه، فهتف بشفتيه من كل قلبه.

(ب) تسبيح علني: «أُحدّث بجميع عجائبك» (آية ١ب). لقد اختبر صلاح الله، فيحمده بكل قلبه ويحدّث المحيطين به بما فعله معه. جميلٌ أن نحدّث ونخبّر في بيتنا ووسط أهلنا كم صنع الرب بنا ورحمنا (مر ٥: ١٩) لأن فرحتنا أكبر مما نقدر أن نخفيها داخلنا. فما أعظم أعمال العناية، والفداء، والتقديس!

(ج) تسبيح فرحان: «أفرح وأبتهج بك» (آية ٢أ). كان أعداؤه ينهشونه وهو عاجز عن الدفاع، فأنقذه الرب، ففرح وابتهج بإلهه. دعونا نبتهج لأن الله لا بد سيتدخّل لينقذنا، والفرج لا بد قادم، فنقول: «هوذا الله خلاصي فأطمئن ولا أرتعب، لأن ياه يهوه قوتي وترنيمتي وقد صار لي خلاصاً، فتستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص، وتقولون في ذلك اليوم: احمدوا الرب. ادعوا باسمه. عرّفوا بين الشعوب بأفعاله» (إش ١٢: ٢-٤).

(د) تسبيح شخصي: «أرنّم لاسمك أيها العليّ» (آية ٢ب). فرحة المرنم هي أولاً بالرب، وثانياً بعطايا الرب. فرح بما حصل عليه، وفرح أكثر لأن الرب العلي معه، فهذا يعني أن المعطي سيستمر يعطي وينجي. وبروح التسبيح نتخطى الصعاب التي ينهزم تحتها المكتئبون، لأن فرح الرب يعطي قوة (نح ٨: ١٠).

٢ – سبب التسبيح: «عند رجوع أعدائي إلى خلفٍ يسقطون ويهلكون من قدام وجهك، لأنك أقمتَ حقي ودعواي. جلستَ على الكرسي قاضياً عادلاً» (آيتا ٣ و٤).

(ا) الرب الديان: تقدموا للهجوم، لكن الرب أرجعهم إلى خلفٍ، لا بسبب نفوذ المرنم وجيشه وماله ودبلوماسيته وأصحابه، بل بالقوة الإلهية التي تهزم الظالم، وبالمحبة السماوية التي تنجّي التقي. «لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي قال ربُّ الجنود» (زك ٤: ٦).

(ب) الرب المحامي: «لأنك أقمتَ حقّي ودعواي» (آية ٤أ). يعرف الرب نيّة الإنسان، ويقيم حقّه إن كان على حق، ويدافع عن قضيته إن كانت دعواه صحيحة وعادلة. فلنتأكد أننا على حق، ليقيم الرب حقّنا الذي يحاول الظالمون أن يطرحوه أرضاً، فنقول: «لا تشمتي بي يا عدوّتي. إذا سقطتُ أقوم. إذا جلستُ في الظلمة فالرب نورٌ لي. أحتملُ غضبَ الربّ لأني أخطأتُ إليه حتى يقيم دعواي ويُجري حقّي. سيُخرجني إلى النور. سأنظر برّه» (مي ٧: ٨ و٩).

(ج) الرب القاضي: «جلستَ على الكرسي قاضياً عادلاً» (آية ٤ب). يدين الرب الأشرار والظالمين الذين يتناسون عدالته، ويظنون أنهم ناجون من الوقوف أمام كرسيّ عدله. إن دينونة الله هي حسب الحق، ولن يترك أتقياءه ليقعوا تحت رحمة أحكام الظالمين.

ثانياً - الله تقضي بالعدل على الشرير

(آيتا ٥ و٦)

يقول المرنم في هاتين الآيتين: «انتهرتَ الأمم. أهلكتَ الشرير. محوتَ اسمهم إلى الدهر والأبد. العدوُّ تمَّ خرابه إلى الأبد. باد ذكره نفسُه».

١ - الله ينتهر الأشرار: إنه يوبخهم على وثنيتهم وظلمهم. ومن هذا نرى أن كلمة الله خالقة تمنح الحياة، كما أنها موجّهة تشير إلى سبُل البر وتصيِّر الجاهل الذي يقبلها حكيماً. وهي أيضاً قاضية تُصدر الأحكام على من يرفضها. ويبدو أن الأشرار الذين وصفهم المرنم هنا لم يسمعوا انتهار الله، ولا اتّقوه، فجاء عليهم عقابه.

٢ - الله يُهلك الأشرار غير التائبين: كان الوثنيون أعداء المرنم، وفي القضاء عليهم بالعدل لا يواجه المرنم عدوَّه، لكن إلهه هو الذي يواجههم. هذا ما حدث في الضربات العشر (خروج ٧-١٢) فقد كانت كلها مواجهة بين الإله الحقيقي، خالق السماء والأرض، وبين آلهة فرعون. الله في مواجهة النيل، معبود المصريين، فيتحوَّل ماء النهر إلى دم. الله في مواجهة العجل أبيس، فتموت الثيران. المواجهة هنا تتم بين إلهنا الذي ننتمي إليه وبين معبود العدو. يبيد الله الشرير ويهلكه ويمحو اسمه، فنقول مع المرنم: «العدو تمَّ خرابه». أما مدينة الله فتثبت.

وأرجو أن نلاحظ أن إبليس لا ييأس ولا يفشل. يخسر معركة ولكنه يعاود الهجوم. هاجم المسيح في البرية، وهزمه المسيح ولكن المهزوم لم ييأس، بل «فارقه إلى حين» (لو ٤:١٣) ثم عاد ليهاجمه من جديد. وهذا ما يتكرر معنا. إن انتصارنا في معركة لا يعني أن المعارك انتهت. فلنكن يقظين مستعدين لمعركة أخرى.

ثالثاً - الله سيقضي بالعدل وينجي المؤمن

(آيات ٧-١٠)

في هذه الآيات يتحدث المرنم عن الرب، ملجإ المنسحق المتضايق، الموجود دائماً لحماية المظلوم من الظالم. وكل من اختبر أمانة الله وحمايته له في الماضي لا يتشكّك في حماية الله له في المستقبل. وفي هذه الآيات الأربع وصفين للرب، ووصفين للمؤمنين:

١ - وصفان للرب:

(أ) الرب صاحب العدالة الأبدية: «أما الرب فإلى الدهر يجلس. ثبّت للقضاء كرسيّه» (آية ٧). قال المرنم لله في آية ٤ «أقمتَ حقي .. جلستَ على الكرسي». قام للقضاء بالعدل، وجلس بعد أن أتمّه. قام لينجي وجلس بعد أن نجّى. فهو الذي إلى الدهر يقضي ويجلس بعد أن يقوم بإنقاذ أولاده. مملكته على الكل تسود، فهو الدائم الوجود. واختبارنا لصلاحه معنا في الماضي يملأنا بالثقة في المستقبل.

(ب) **الرب منصف المظلومين**: «يقضي للمسكونة بالعدل. يدين الشعوب بالاستقامة. ويكون الرب ملجأ للمنسحقين، ملجأ في أزمنة الضيق» (آيتا ٨ و ٩). محكمة الله عادلة بلا تحيُّز. وعدالة الله تنبّه الخاطئ ليتوب، كما تطمئن المؤمن المتضايق ليتّكل على الرب البار العادل، الذي ينقذ المسكين من يد ظالمه.

سحق إبليس المظلومين بالخطية والعصيان. والخطية هي السيد القاسي الذي لا يرحم، و«كل من يفعل الخطية هو عبد للخطية» (يو ٨:٣٤). ويسحق الخطاة إخوتهم من البشر، لأن إبليس ينفّذ ما يريد بواسطة من يتبعونه.

والملجأ من الخطية، ومن الضيق والظلم هو الرب الحصن والقلعة، الذي يحمي من الخطية ومن الهجوم الشرس ومن مكائد الشرير. الرب نفسه هو الملجأ «اسم الرب برج حصين، يركض إليه الصدّيق ويتمنّع» (أم ١٨:١٠). قال بطرس للمسيح: «يا رب، إلى من نذهب؟ كلام الحياة الأبدية عندك» (يو ٦:٦٨).

٢ - وصفان للمؤمن:

(أ) **يعرف اسم الرب**: «يتّكل عليك العارفون اسمك» (آية ١٠أ). عرف المؤمن الرب مخلّصاً وفادياً من الإعلانات الإلهية، فآمن بالإعلان الإلهي واتكل عليه واثقاً. عرفه يكفّر عن ذنوبه بدم المسيح حمل الله، الذبح العظيم «الذي أنقذنا من سلطان الظلمة، ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته. الذي لنا فيه الفداء، بدمه غفران الخطايا» (كو ١:١٣ و١٤). وهذه هي المعرفة الخلاصية. وعرفه معرفة من نوعٍ آخر، هي معرفة عنايته. اختبره في وقت الضيق فعرف أنه القاضي العادل. وأنشأ هذا الاختبار في المؤمن مزيداً من الإيمان، جعله يتكل أكثر على الرب. وهكذا تستمر حياة المؤمن من اختبار إلى اختبار أكبر، ومن إيمان إلى إيمان أقوى. عندها «يتكل عليك العارفون اسمك» ويقولون: «لأني عالمٌ بمن آمنت» (٢تي ١:١٢).

(ب) **يطلب الرب**: «لأنك لم تترك طالبيك» (آية ١٠ب). «أما طالبو الرب فلا يعوزهم شيء من الخير» (مز ٣٤:١٠). «ويفرح بك جميع طالبيك» (مز ٤٠:١٦) «الأشرار لا يفهمون الحق، وطالبو الرب يفهمون كل شيء» (أم ٢٨:٥).

يطلب المؤمن الرب لأنه يثق في حبه، وأنه يفتش عليه لأنه سبق أن فتّش عليه حتى وجده. قال المسيح: «الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني. والذي يحبني يحبه أبي، وأنا أحبه وأُظهر له ذاتي .. إن أحبني أحدٌ يحفظ كلامي، ويحبه أبي، وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً» (يو ١٤:٢١ و٢٣).

رابعاً - تسبيح

(آيتا ١١ و١٢)

ويختم الجزء الأول من المزمور بالتسبيح في الآيتين ١١ و١٢. بعد أن فاض قلبه بالشكر يشجع الآخرين على الانضمام إليه في التسبيح. وهو يسبح الرب على أربعة أمور:

١ - **لأن الرب يسكن وسط شعبه:** «رنموا للرب الساكن في صهيون» (آية ١١أ). وصهيون (معناها الحصن) وهي العاصمة السياسية والدينية. وهذا يعني أن أمورنا الدينية والدنيوية تهمّ إلهنا، وهو ساكن وسط شعبه، يقبل عبادتهم ويسمع صلواتهم ويدبر احتياجاتهم.

٢ - **لأن المؤمنين يتحاكون بعمله:** «أخبِروا بين الشعوب بأفعاله» (آية ١١ب). «بشروا من يوم إلى يوم بخلاصه. حدّثوا بين الأمم بمجده، بين جميع الشعوب بعجائبه، لأن الرب عظيم وحميدٌ جداً» (مز ٩٦:٢-٤).

٣ - **لأنه عادل:** «لأنه مُطالِبٌ بالدماء» (آية ١٢أ). فقد سأل قايين يوم قتل هابيل أخاه: «ماذا فعلت؟ صوت دم أخيك صارخٌ إليّ من الأرض» (تك ٤:١٠). وستنعقد محكمة العدل الإلهي في يوم القضاء لتنتقم للشهداء من قاتليهم الأشرار.

٤ - **لأنه لا يهمل أحداً:** «ذَكَرَهم. لم ينْسَ صراخ المساكين» (آية ١٢ب). «هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها؟ حتى هؤلاء ينسين، وأنا لا أنساك» (إش ٤٩:١٥). «أليس عصفوران يُباعان بفلس؟ وواحد منهما لا يسقط على الأرض بدون أبيكم!.. فلا تخافوا، أنتم أفضل من عصافير كثيرة» (مت ١٠:٢٩ و٣١).

يا طالبي الرب ويا محبّيه، لنشكر الرب ولنسبحه دائماً.

الجزء الثاني

(آيات ١٣-٢٠)

يشبه الجزء الثاني من المزمور جزءه الأول، غير أن المرنم يستبدل التسبيح والحمد بالصلاة والطلب. والصلاة هي الميناء الذي يلجأ إليه كل من كادت سفينة حياته أن تتحطم من الأمواج، وهي العكاز القوي الذي يستند عليه كل من يوشك أن يتهاوى أو يسقط، وهي أضمن وسيلة للحصول على البركات وعلى استمرارها.

أولاً - صلاة

(آيتا ١٣ و١٤)

«ارحمني يا رب. انظر مذلتي من مبغضيّ، يا رافعي من أبواب الموت. لكي أُحدّث بكل تسابيحك في أبواب ابنة صهيون، مبتهجاً بخلاصك» (آيتا ١٣ و١٤).

١ - **سيظل العدو يهاجم المؤمن:** في الجزء الأول سبّح المرنم الرب لأنه نجّاه من أعدائه وأتمّ له النصر. لكن العدو لا بد سيعود ليهاجمه من جديد، فإبليس وجنوده لا يهدأون ولا يخجلون. لذلك يعاود المؤمن المنتصر الصلاة. لقد لجأ إلى باب الرب عندما هاجم الشرير بابه، فانصرف الشرير

مؤقتاً، ولكن المؤمن بقي واقفاً أمام باب الرب طالباً نجاةً جديدة، وعينه تنظر بشكرٍ إلى النجاة السابقة! وسيظل المؤمن يصلي صلاة طلبٍ حتى آخر يوم في حياته، وهو يذكر قول المسيح: «لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً» (يو ١٥:٥).

٢ – **سيظل المؤمن يشهد لنعمة الله:** فهو يعلم أن أبواب الجحيم لن تقوى عليه (مت ١٦:١٨) بفضل الرب الذي يرفعه من أبواب الموت، فيشهد للرب ويسبّحه في أبواب المدينة، مبتهجاً بخلاصه. رفعه الرب من أبواب الموت ليرفع هو غيرَه إلى أبواب الحياة. والله ينجينا لنخبر بفضائله، فيجد غيرُنا طريقَ النجاة معنا.

٣ – **هناك مفارقة بين «أبواب الموت»** (آية ١٣) **و«أبواب ابنة صهيون»** (آية ١٤). يقول المرنم: «يا رافعي من أبواب الموت» ثم يقف في «أبواب ابنة صهيون». باب الموت مظلم وحزين، أما باب العبادة فهو باب الحياة والاطمئنان والنجاة والفرح والنور، بفضل نعمة الرب.

نقل الرب المرنم من الظلمة إلى النور ومن الموت إلى الحياة (يو ٥:٢٤ وايو ٣:١٤) فأخذ المرنم يحدِّث بكل تسابيح الرب. وهذا ما يحدُث مع كل من يرجع إلى الرب تائباً، كما رجع الابن الضال، فقال أبوه عنه: «ابني هذا كان ميّتاً فعاش، وكان ضالاً فوُجد» (لو ١٥:٢٤ و٣٢).

ثانياً - الله قضى بالعدل على الشرير
(آيتا ١٥ و١٦)

«تورّطت الأمم في الحفرة التي عملوها. في الشبكة التي أخفوها انتشبت أرجلهم. معروفٌ هو الرب. قضاءً أمضى. الشرير يَعْلَق بعمل يديه» (آيتا ١٥ و١٦).

قضى الشرير على نفسه، وقضى الله عليه. تورّط في الحفرة التي حفرها، ووقع في الفخ الذي أخفاه. وهكذا تحقق أن الرب «أمضى قضاءً» ونفّذه، فهو معروف بعدالة أحكامه. أظهر الرب نفسه وأصدر القضاء، وعَلَق الشرير وأُخذ بما ارتكبت يداه.

ويقول المرنم: «معروفٌ هو الرب». معروف بمحبته وعدله. المحبة لمن يتوب، والعدالة لمن يتمادى في طريق شرّه ويرفض التوبة! وما أجمل ما قال الرسول بولس: «لأعرفه وقوة قيامته، وشركة آلامه متشبّهاً بموته، لعلي أبلغ إلى قيامة الأموات. ليس أني قد نلتُ، أو صرتُ كاملاً، ولكني أسعى، لعلي أدرك الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع» (في ٣:١٠-١٢).

وهنا نقرأ «ضرب الأوتار. سلاه». وهذه تعليمات لقائد جوقة الترنيم: فضاربو الأوتار يعزفون بقوة، ثم يسود سكوت (وهذا غالباً معنى كلمة سلاه)، ليجد المرنمون والسامعون فرصة للتفكير في المعاني السامية التي وردت في المزمور، ليعودوا يسمعون من جديد أن الله هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد، نجّى وسينجّي.

ثالثاً - الله سيقضي بالعدل وينجّي المؤمن

(آيتا ١٧ و١٨)

الله الذي نجّى ورنمنا له، وتوقّفنا لنفكر في صلاحه، سينجّي. «الأشرار يرجعون إلى الهاوية، كل الأمم الناسين الله» (آية ١٧). الأمم أموات لأنهم ينسون الله (راجع آيتي ٧ و٨). ولكن «لا يُنسى المسكين إلى الأبد. رجاء البائسين لا يخيب إلى الدهر» (آية ١٨). أنت دائماً في ذاكرة الرب (راجع آيتي ٩ و١٠).

رابعاً - صلاة

(آيتا ١٩ و٢٠)

في الآيتين الأخيرتين صلاة فيها طلبتان:

١ - **أن تنتصر مملكة الله:** «قُم يا رب، لا يعتزّ الإنسان. لتُحاكَم الأمم أمامك» (آية ١٩). يظن الخاطئ أن الله خلق العالم ونسي أمره، فيتصرّف وكأنه سيد الموقف، ويعتزّ بقوته وسلطانه. وقد يمارس قادة الدول أسلوب القمع والظلم والديكتاتورية وينسون أن فوق العالي عالياً يلاحظ، والأعلى فوقهما (جا ٥:٨). والمرنم يطلب من الله أن يضع للظلم حدّاً، وأن ينصر العدل.

٢ - **أن يتوب الأشرار:** «يا رب، اجعل عليهم رعباً ليعلم الأمم أنهم بشر» (آية ٢٠). يرعبهم الله وهم يخطئون، فيدركون قدرة الله عليهم. ربما كان الرعب رعب مرض، أو رعب هزيمة، أو رعب تهديد من قوة أعلى. وإذ يرتعبون يدركون أنهم بشر مخلوقون من التراب وإلى التراب يعودون، فيتوبون ويرجعون إلى الله. ويقول الرب: «إني لا أُسرّ بموت الشرير، بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا. ارجعوا ارجعوا عن طرقكم الرديئة. فلماذا تموتون؟» (حز ٣٣:١١).

المزمور العاشر

١ يَا رَبُّ، لِمَاذَا تَقِفُ بَعِيداً؟ لِمَاذَا تَخْتَفِي فِي أَزْمِنَةِ ٱلضِّيقِ؟ ٢ فِي كِبْرِيَاءِ ٱلشِّرِّيرِ
يَحْتَرِقُ ٱلْمِسْكِينُ. يُؤْخَذُونَ بِٱلْمُؤَامَرَةِ ٱلَّتِي فَكَّرُوا بِهَا. ٣ لِأَنَّ ٱلشِّرِّيرَ يَفْتَخِرُ بِشَهَوَاتِ
نَفْسِهِ، وَٱلْخَاطِفُ يُجَدِّفُ. يُهِينُ ٱلرَّبَّ. ٤ ٱلشِّرِّيرُ حَسَبَ تَشَامُخِ أَنْفِهِ يَقُولُ: «لَا
يُطَالِبُ». كُلُّ أَفْكَارِهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ. ٥ تَثْبُتُ سُبُلُهُ فِي كُلِّ حِينٍ. عَالِيَةٌ أَحْكَامُكَ فَوْقَهُ. كُلُّ
أَعْدَائِهِ يَنْفُثُ فِيهِمْ. ٦ قَالَ فِي قَلْبِهِ: «لَا أَتَزَعْزَعُ. مِنْ دَوْرٍ إِلَى دَوْرٍ بِلَا سُوءٍ». ٧ فَمُهُ
مَمْلُوءٌ لَعْنَةً وَغِشّاً وَظُلْماً. تَحْتَ لِسَانِهِ مَشَقَّةٌ وَإِثْمٌ. ٨ يَجْلِسُ فِي مَكْمَنِ ٱلدِّيَارِ، فِي
ٱلْمُخْتَفَيَاتِ يَقْتُلُ ٱلْبَرِيءَ. عَيْنَاهُ تُرَاقِبَانِ ٱلْمِسْكِينَ. ٩ يَكْمُنُ فِي ٱلْمُخْتَفَى كَأَسَدٍ فِي عِرِّيسِهِ.
يَكْمُنُ لِيَخْطَفَ ٱلْمِسْكِينَ. يَخْطَفُ ٱلْمِسْكِينَ بِجَذْبِهِ فِي شَبَكَتِهِ. ١٠ فَتَنْسَحِقُ وَتَنْحَنِي وَتَسْقُطُ
ٱلْمَسَاكِينُ بِبَرَاثِنِهِ. ١١ قَالَ فِي قَلْبِهِ: «إِنَّ ٱللهَ قَدْ نَسِيَ. حَجَبَ وَجْهَهُ. لَا يَرَى إِلَى
ٱلْأَبَدِ».

١٢ قُمْ يَا رَبُّ. يَا اَللهُ ٱرْفَعْ يَدَكَ. لَا تَنْسَ ٱلْمَسَاكِينَ. ١٣ لِمَاذَا أَهَانَ ٱلشِّرِّيرُ ٱللهَ؟
لِمَاذَا قَالَ فِي قَلْبِهِ: «لَا تُطَالِبُ»؟ ١٤ قَدْ رَأَيْتَ. لِأَنَّكَ تُبْصِرُ ٱلْمَشَقَّةَ وَٱلْغَمَّ لِتُجَازِيَ
بِيَدِكَ. إِلَيْكَ يُسَلِّمُ ٱلْمِسْكِينُ أَمْرَهُ. أَنْتَ صِرْتَ مُعِينَ ٱلْيَتِيمِ. ١٥ اِحْطِمْ ذِرَاعَ ٱلْفَاجِرِ.
وَٱلشِّرِّيرُ تَطْلُبُ شَرَّهُ وَلَا تَجِدُهُ. ١٦ ٱلرَّبُّ مَلِكٌ إِلَى ٱلدَّهْرِ وَٱلْأَبَدِ. بَادَتِ ٱلْأُمَمُ مِنْ
أَرْضِهِ. ١٧ تَأَوُّهَ ٱلْوُدَعَاءِ قَدْ سَمِعْتَ يَا رَبُّ. تُثَبِّتُ قُلُوبَهُمْ. تُمِيلُ أُذْنَكَ ١٨ لِحَقِّ ٱلْيَتِيمِ
وَٱلْمُنْسَحِقِ، لِكَيْ لَا يَعُودَ أَيْضاً يُرْعِبُهُمْ إِنْسَانٌ مِنَ ٱلْأَرْضِ.

يا رب، لماذا تقف بعيداً؟

هذا المزمور بلا عنوان، لا نعرف من كتبه، ولا مناسبة كتابته، فهو ترتيلة كل إنسان متعَب مضطهَد في كل عصر. إنه صرخة نفس تعاني وتسأل الله: لماذا كل هذا الضيق؟ لماذا تترك الشرير يفعل ما يشاء؟ ثم تصرخ طالبةً الإنقاذ والخلاص. وقد جاء هذا المزمور في الترجمة السبعينية وفي ترجمة القديس إيرونيموس المعروفة بـ «الفولجاتا» تكملة للمزمور التاسع، ولكن التوراة العبرانية اعتبرته مزموراً مستقلاً.

في هذا المزمور نجد،

أولاً – المضطهَد يسأل: لماذا؟ (آيتا ١ و ٢)

ثانياً – صفات الشرير وأعماله (آيات ٣-١١)

ثالثاً – المضطهَد يصلي (آيات ١٢-١٥)

رابعاً – المضطهَد يطمئن (آيات ١٦-١٨)

أولاً - المضطهَد يسأل: لماذا؟

(آيتا ١ و٢)

كثيراً ما يظن المؤمن المتألم أن الله يقف بعيداً وكأنه يتخفَّى، فلم يعُد عوناً في الضيقات. ولا شك أن الصُّحبة الإلهية هي أعظم مصدر للفرح، كما أن الشك فيها يزعج النفس. وفي حالة الانزعاج هذه صرخ المرنم: «يا رب، لماذا تقف بعيداً؟ لماذا تختفي في أزمنة الضيق؟ في كبرياء الشرير يحترق المسكين. يؤخذون بالمؤامرة التي فكروا بها» (آيتا ١ و٢).

١ – **ليس هذا سؤال حب استطلاع:** فالمرنم لا يريد أن يعرف أسرار الإرادة الإلهية، لأنه لا يستطيع أحدٌ أن يدرك كل شيء عنها. قال سليمان الحكيم: «مجد الله إخفاء الأمر، ومجد الملوك فحص الأمر» (أم ٢:٢٥). فالملك الأرضي يريد أن يعرف كل شيء، أما الملك السماوي فإنه لفرط محبته لنا يخفي الأمور عنا حتى لا نضطرب.

٢ – **ليس هذا سؤال تذمُّر:** لأنه يثق أن الله هو الملك الذي يحبه، وله قصد صالح في كل ما يفعله أو يسمح بحدوثه. قد يقع الإنسان في مكان خطير بين بحرين، في سفينة تكاد تتفسَّخ من عنف الأمواج (أع ٢٧:٤١). لكن الرب يشجعه بقوله: «لا تخف» فإننا «نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله، الذين هم مدعوّون حسب قصده» (رو ٨:٢٨). و«إن كان يجب تُحزَنون يسيراً بتجارب متنوعة» (١بط ١:٦). «ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا» (رو ٨:٣٧). «قولوا للصدّيق: خير» (إش ٣:١٠).

٣ – **ليس هذا سؤال يائس:** فالمرنم يدرك أن الله حي وموجود، ولا بد سيخلّص المستنجدين به. صحيحٌ أن الشرير يقول إن الله لا يرى ولا يطالب، لكن المرنم يقول إن عيني الرب مفتوحتان، وإن أذنيه مصغيتان. ولو لم يكن متأكداً من ذلك ما لجأ إلى الله يقول: «لماذا تختفي في أزمنة الضيق؟».

٤ – **لكنه سؤال حائر يحب الرب:** لماذا تقف بعيداً عني وقت الاحتياج؟ لماذا تختفي في أزمنة الضيق؟». وفي حزنه يقول: «في كبرياء الشرير يحترق المسكين». ويطلب العدالة الإلهية إذ يُؤخذ الأشرار «بالمؤامرة التي فكروا بها». وهذه نتيجة طبيعية لكل شرير يحفر حفرة لغيره فيسقط فيها.

ثانياً - صفات الشرير وأعماله

(آيات ٢-١١)

تصف هذه الآيات شخصية الشرير وأعماله:

١ - **الشرير يفتخر بخطاياه:** «لأن الشرير يفتخر بشهوات نفسه، والخاطف يجدّف. يُهين الرب. الشرير حسب تشامخ أنفه يقول: لا يطالب. كل أفكاره أنه لا إله» (آيتا ٣ و٤). يزهو الشرير بأطماعه بدون خجل، ولا يحاول أن يخفيها، ويفتخر بأنه يحصل على كل رغباته، سواء توافقت سبُل الحصول عليه مع المشيئة الإلهية أو تعارضت! وهذا تجديف على الله وإهانة له سبحانه، يصفه النبي بالقول: «لأنهم رذلوا شريعة رب الجنود، واستهانوا بكلام قدوس إسرائيل» (إش ٥:٢٤). الشرير حسب تشامخ أنفه يقول إن الله لا يطالب، وبخياله المريض يظن أنه لا يوجد إله يطالبه بدفع أجرة خطيته. ولكن المكان الوحيد الخالي من الحضور الإلهي هو فكر الجاهل الذي يقول «ليس إله» (مز ١:١٤). الله موجود يطالب بالدماء، لم ينسَ صراخ المسكين (مزمور ١٢:٩). ولا بد أن يعاني هذا الشرير بسبب شره وكبريائه.

٢ - **الشرير يثق في قدراته:** «تثبُت سبُله في كل حين. عالية أحكامك فوقه. كل أعدائه ينفُث فيهم. قال في قلبه: لا أتزعزع. من دور إلى دور بلا سوء» (آيتا ٥ و٦). عندما تتحقق مكائد الشرير ومقاصده يفتخر، ولا يخاف الله ولا يهاب إنساناً. ويتساءل النبي عن مثل هذا الشرير الواثق في قدراته: «لماذا تنجح طريق الأشرار؟ اطمأنّ كل الغادرين غدراً. غرستهم فأصّلوا. نموا وأثمروا ثمراً. أنت قريب في فمهم وبعيد من كُلاهُم (قلوبهم)» (إر ١:١٢ و٢). ينفث الشرير في كل أعدائه بتجبُّر وكبرياء، كما يتوعَّد الذين يقدمون له النصيحة المخلصة، ويهاجم من يختلفون معه كما كان شاول الطرسوسي ينفث تهدُّداً وقتلاً على تلاميذ الرب (أع ١:٩). ومع أن أحكام الله عالية فوق الشرير إلا أنه لا يراها بسبب عمى قلبه، فيقول: لا أتزعزع. من دور إلى دور بلا سوء. وكأنه ضَمِن حاضره ومستقبله. إنه يردد قول المؤمن المعتمد على الرب الواثق في نعمته، ولو أنه يقوله واثقاً في قدراته وإمكانياته وموارده من مال وصحة وعائلة وعِلم وعلاقات اجتماعية. ولما كان الله لا يعاقب الخاطئ فور ارتكاب خطيته، فإنه يظن أنه ناجٍ بشروره، مع أن الله يطيل أناته عليه ليتوّبه (رو ٤:٢).

٣ - **الشرير يظلم المسكين:** (آيات ٧-١٠).

(أ) **يظلمه بالكلام ضده:** «فمه مملوء لعنةً وغشاً وظلماً. تحت لسانه مشقّةٌ وإثم» (آية ٧). كلام الغش والظلم في فم الشرير كلقمة حلوة يستمتع بها ويتذوّقها بتلذُّذ. قال الحكيم وصفاً لمثل هذا الشرير: «فم الأشرار يبلع الإثم» (أم ٢٨:١٩). وقال أليفاز التيماني: «الشارب الإثم كالماء» (أي ١٦:١٥). ويقدم الرسول بولس الصورة نفسها في رومية ١٤:٣.

(ب) **يظلمه بالهجوم عليه:** «يجلس في مكمن الديار. في المختفيات يقتل البريء. عيناه تراقبان المسكين» (آية ٨). عن مثل هذا الشرير يقول النبي: «ويلٌ للمفتكرين بالبُطل، والصانعين الشر على مضاجعهم. في نور الصباح يفعلونه لأنه في قدرة يدهم. فإنهم يشتهون الحقول ويغتصبونها، والبيوت

ويأخذونها، ويظلمون الرجل وبيته، والإنسان وميراثه» (ميخا ٢:١-٣). ويقدم لنا سليمان الحكيم صورة للشرير قاطع الطريق في أمثال ١:١٠-١٨.

(ج) **يظلمه بالكيد له**: «يكمن في المختفي كأسدٍ في عرّيسه (عرينه). يكمن ليخطف المسكين. يخطف المسكين بجذبه في شبكتهِ» (آية ٩).

(د) **يظلمه بإذلاله**: «فتنسحق وتنحني وتسقط المساكين ببراثنه (في قبضته)» (آية ١٠). كل ضحايا الشرير من المساكين الذين لا يجدون من يدافع عنهم. لمثل هؤلاء جاء المسيح ببيانه الرسمي «روح الرب عليّ لأنه مسحني لأبشّر المساكين..» (لو ٤:١٨ و١٩).

٤ - **الشرير يستمر في ضلاله**: «قال في قلبه: إن الله قد نسي. حجب وجهه. لا يرى إلى الأبد» (آية ١١). لقد ارتكب الشر ولم يعاقبه الله فوراً، فظنّ أن الله يهمل، أو أنه نسي، أو أنه لا يرى. ولكن الله يقول: «أعاقب.. القائلين في قلوبهم: إن الرب لا يُحسِن ولا يُسيء» (صف ١:١٢).

ثالثاً - المضطهَد يصلي

(آيات ١٢-١٥)

١ - **في الصلاة طلب**: (آية ١٢).

(أ) **يطلب تحرُّك الرب**: «قُم يا رب» (آية ١٢أ). قال الشرير إنه لا يتزعزع (آية ٦) وهو لا شك مخطئ. ويطلب المرنم من الرب أن يبرهن له خطأه، بأن يقوم ويرفع يده وينصفه.

(ب) **يطلب إنصاف الرب**: «يا الله ارفع يدك» (آية ١٢ب). يظن الشرير إن يدي الرب مغلولتان وإنه لا يطالب بحقوق المظلومين (آية ٤). ويطلب المرنم من الرب أن يرفع يده وينصفه، ويقول مع النبي: «استيقظي، استيقظي. البسي قوةً يا ذراع الرب. استيقظي كما في أيام القِدَم، كما في الأدوار القديمة» (إش ٥١:٩).

(ج) **يطلب ان يذكره الرب**: «لا تنسَ المساكين» (آية ١٢ج). قال الشرير إن الرب ينسى وقد حجب وجهه، ولا يرى إلى الأبد (آية ١١). ويطلب المرنم من الرب أن يذكره في مراحمه ولا ينساه لأنه مسكين.

٢ - **في الصلاة تساؤل**: «لماذا أهان الشرير الله؟ لماذا قال في قلبه (إنك يا رب) لا تطالب؟» (آية ١٣). لم يوجّه الشرير إهانة للمرنم، لكنه وجّهها للرب. وهو يتساءل مع النبي: «لِمَ ترُيني إثماً وتبصر جوراً؟» (حب ١:٣).

٣ - **في الصلاة انتظار**: «قد رأيتَ، لأنك تبصر المشقّة والغمّ لتجازي بيدك. إليك يُسلّم المسكين أمره. أنت صرتَ معين اليتيم. احطِم ذراع الفاجر، والشرير تطلب شرّه ولا تجده» (آيتا ١٤ و١٥). ينتظر المرنم أن يرى الله متاعبه، مع أن الشرير يقول إن الله لا يرى. لـه عينٌ ترى حاجة أولاده،

وله يد تنصفهم وتعاقب مضطهديهم. ولا يعتمد انتظار المؤمن على الأشياء المنظورة، بل على صلاح الله الذي لا يعتريه تغيير.

وينتظر المرنم أن يفعل الرب أمراً، فيجازي البار حسب بره والشرير حسب شره، ويمدّ يده الإلهية ويتدخّل لصالحه. وهذا الانتظار الواثق يشجّع المرنم المسكين على تسليم أمره لصانع الحق والعدل، فالرب معين اليتيم، به «يُرحَم اليتيم» (هو ١٤:٣). وعندما تحاصر المظالم المؤمن نقول له: «قولوا للصدّيق خير، لأنهم يأكلون ثمر أفعالهم. ويلٌ للشرير شر، لأن مجازاة يديه تُعمَل به» (إش ٣:١٠ و١١).

وينتظر المرنم أن يعاقب الله الشرير حتى يعجز عن إيقاع الأذى بالأبرياء، ويطلب أن يحطم الرب ذراع الفاجر، فيتوقّف فجوره. ثم يطلب أن يتوقف شر الشرير فيكون كأنه لم يكن. «تطلب شرّه (لتعاقبه) فلا تجده».

رابعاً - المضطهَد يطمئن

(آيات ١٦-١٨)

١ - **يطمئن لأن الرب صاحب السلطان:** «الرب ملكٌ إلى الدهر والأبد. بادت الأمم من أرضه» (آية ١٦). «لأن الرب يعلم طريق الأبرار، أما طريق الأشرار فتهلك» (مز ١:٦). وقال المسيح: «دُفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض» (مت ٢٨:١٨) ثم أصدر تكليفه لتلاميذه أن يتلمذوا جميع الأمم، فتنتهي «أمميّتهم» وبُعدهم عن الله، وتنفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور، ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا بالإيمان بالمسيح الفادي المخلّص غفران الخطايا ونصيباً مع المقدّسين (أع ٢٦:١٨). أما الذين يرفضون الرجوع فيهلكون في خطاياهم.

لقد أقام الرب الحكام ليقضوا للمظلومين ويعاقبوا الظالمين، ولا بد أن يفعل هو الشيء نفسه، وهو «يعزل ملوكاً وينصب ملوكاً» (دا ٢:٢٢) لأنه وحده صاحب السلطان في الأرض.

٢ - **يطمئن لأن الرب يسمع:** «تأوُّه الودعاء قد سمعتَ يا رب. تثبّت» (آية ١٧أ وب). إنه لا يسمع صراخ الوديع فقط، لكنه يسمع حتى تأوّه وأنين قلبه، فهو سامع الصلاة الذي إليه يأتي كل بشر. وهو يُميل أذنه إليه، كما تُميل الأم أذنها إلى طفلها وتنحني عليه بحب وتحنو عليه بعطف، بسبب صغر قامة الصارخ وصغر نفسه. ثم يثبّت قلب الخائف في الإيمان بمحبة الرب ويمنحه نعمة الاعتماد عليه، فلا يعود يرتاب في عدالة الله.

٣ - **يطمئن لأن الرب يُنصف:** «تُميل أذنك لحق اليتيم والمنسحق، لكي لا يعود أيضاً يرعبهم إنسان من الأرض» (آيتا ١٧ج و١٨). وهو اطمئنان يشمل الحاضر والمستقبل، من عند الذي يقول: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨:٢٠). وهو إنصافٌ من «إنسانٍ من الأرض» مخلوق من تراب، ولا بد يرجع إلى التراب. ويقول الله لجماعة المؤمنين: «أنا أنا هو معزّيكم. من أنتِ حتى تخافي من إنسان يموت، ومن ابن الإنسان الذي يُجعَل كالعشب؟» (إش ٥١:١٢).

إجابات للسؤال: لماذا؟

في نور العهد الجديد نقدم بعض الإجابات للتساؤل الذي افتتح بـه المرنـم مزمـوره: «يـا رب لمـاذا تقف بعيداً؟ لماذا تختفي في أزمنة الضيق؟».. والإجابة الصحيحة دائماً هي أن اللـه يُجري كل شـيء لخيرنا، حتى أننا نفتخر في الضيقات «عالمين أن الضيق ينشئ صبراً، والصبر تزكية (الامتحان الـذي يختبر نوعيّة المؤمن)، والتزكية رجاءً، والرجاء لا يُخزي، لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا» (رو ٥:٣-٥).

١ - **يستخدم الله الضيق لخيرنا الروحي:** لأنـه يجعلنـا نتذكـر خطايانـا وبُعدنـا عـن طاعـة اللـه، فنفحص أمانتنا معه ومدى عُمق علاقتنا به. لقد ألقى الملك نبوخذ نصّر الفتية الثلاثـة فـي أتـون النـار، ففك الله قيودهـم، فـأخذوا يتمشـون محلوليـن منهـا، ولـم تكـن للنـار قـوة علـى أجسـامهم، وشـعرة مـن رؤوسهم لم تحترق، وسراويلهم لم تتغيّر، ورائحة النار لم تـأتِ عليهـم (دا ٢٣:٣ و٢٥ و٢٧). ونحـن عندما نمرُّ في ضيقة قد نصرخ: «لماذا تقف بعيداً؟» ولكننا ندرك أن الله لن يتركنا، بل يعمل على مـا يقطع القيود التي تربطنا بالخطية، فنلقي اعتمادنا تماماً عليه.

٢ - **يستخدم الله الضيق ليخلّص النفوس:** يجذبها إلى حظيرة محبته. قاسى المسيح مـن الخطـاة ليخلّصهم، فقال على الصليب: «إلهي إلهي، لماذا تركتني؟» (مت ٤٦:٢٧). ولكن هذه المعانـاة تممـت الخلاص للبشر. وأنت عندما تتضايق، تدرك أن الله معك في الضيق، وتعـرف أن كـل الأشـياء تعمـل معاً للخير لك لأنك تحب الله، فتعتمد على نعمته، وتكون في سلام، يراه البعيدون عن اللـه، فيسـألونك عن سبب الرجاء الذي فيك، فتجيبهم، وبهذا تربحهم لمن منحك سلامه الذي يفوق كل عقل. وهذا مـا حدث مع الفتية الثلاثة في الأتون، فقال الملك: «ليس إلهٌ آخر يستطيع أن ينجّي هكذا» (دا ٢٩:٣).

٣ - **يستخدم الله الضيق لمجده:** لأن الضيق يخلق منا أشخاصاً أكثر نضوجاً. المؤمن الذي يتألم كأيوب ويثبت في محبته لله، يبرهن على أنه لم يعبد الله لخير منحه لـه، بـل لأن اللـه يسـتحق العبـادة والحب، سواء منح أم منع. «الرب أعطى والرب أخذ، فليكـن اسـم الـرب مباركـاً» (أي ٢١:١). «فـي هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا» (رو ٣٧:٨) ويرى البعيدون عن الله فينا أن محبتنا لله تقبّلت منه بالشكر كل ما أعطى، عالمين صدق وعده: «لا أهملك ولا أتركك، حتى أننا نقـول واثقيـن: الـرب معين لي فلا أخاف. ماذا يصنع بي إنسان» (عب ٥:١٣ و٦).

وما أجمل ما قال جيرمي تيلور: «الله رحيم وحكيم، فلا يسمح بكل هذا الألم أن يقع على القديسـين إلا لأن يكون الألم مدرسة للفكر، ومشتلاً للفضيلة، وتدريباً للحكمة، وتمريناً على طول الأناة، وإعـداداً لإكليل، وبوابةً للمجد».

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ. لِدَاوُدَ

١ عَلَى ٱلرَّبِّ تَوَكَّلْتُ. كَيْفَ تَقُولُونَ لِنَفْسِي: «ٱهْرُبُوا إِلَى جِبَالِكُمْ كَعُصْفُورٍ»؟ ٢ لِأَنَّهُ
هُوَذَا ٱلْأَشْرَارُ يَمُدُّونَ ٱلْقَوْسَ. فَوَّقُوا ٱلسَّهْمَ فِي ٱلْوَتَرِ لِيَرْمُوا فِي ٱلدُّجَى مُسْتَقِيمِي
ٱلْقُلُوبِ. ٣ إِذَا ٱنْقَلَبَتِ ٱلْأَعْمِدَةُ، فَٱلصِّدِّيقُ مَاذَا يَفْعَلُ؟
٤ اَلرَّبُّ فِي هَيْكَلِ قُدْسِهِ. ٱلرَّبُّ فِي ٱلسَّمَاءِ كُرْسِيُّهُ. عَيْنَاهُ تَنْظُرَانِ. أَجْفَانُهُ تَمْتَحِنُ بَنِي
آدَمَ. ٥ ٱلرَّبُّ يَمْتَحِنُ ٱلصِّدِّيقَ. أَمَّا ٱلشِّرِّيرُ وَمُحِبُّ ٱلظُّلْمِ فَتُبْغِضُهُ نَفْسُهُ. ٦ يُمْطِرُ عَلَى
ٱلْأَشْرَارِ فِخَاخاً، نَاراً وَكِبْرِيتاً وَرِيحَ ٱلسَّمُومِ نَصِيبَ كَأْسِهِمْ. ٧ لِأَنَّ ٱلرَّبَّ عَادِلٌ وَيُحِبُّ
ٱلْعَدْلَ. ٱلْمُسْتَقِيمُ يُبْصِرُ وَجْهَهُ.

إذا انقلبت الأعمدة!

الأغلب أن داود كتب هذا المزمور أثناء محاولات شاول المتعددة ليقتله، مرة برمحه وأخرى بحربته، ثم بتدبير المكائد العديدة للإيقاع به. فنصح الأصدقاء داود أن يهرب إلى المنطقة الجبلية من أرض يهوذا لينجو من الشر الذي يهدده لو بقي حيث كان. لكن داود رفض النصيحة، ولو أنها منطقية ومخلصة، وقال: «على الرب توكلت». كان يرى له خدمة في وسط شعبه، فهو مسيح الرب الممسوح لأداء خدمة خاصة، فلم يشأ أن ينجي نفسه على حساب قضيته. إنه صاحب رسالة لا يشاء أن يدافع عن نفسه ويهمل الدفاع عن رسالته، فرفض فكرة أصدقائه وقال: «كيف تقولون لنفسي: اهربوا إلى جبالكم كعصفور؟» (آية ١). وختم المزمور بقوله: «المستقيم يبصر وجهه» (آية ٧) في الأرض والسماء، في الحياة الحاضرة والآتية.

وقد وقف نحميا موقفاً مشابهاً لموقف داود هذا بعد عودته من أرض السبي، وبدأ يبني أسوار أورشليم، فثار الأعداء ضده وأخذوا يسخرون منه، ولكنه صلى: «الآن يا إلهي شدّد يديَّ» (نح ٦: ٩). ونصح شمعيا نحميا أن يدخل الهيكل ويغلق أبوابه لأن الأعداء قادمون ليلاً ليقتلوه، فرفض نحميا وقال: «أرَجُلٌ مثلي يهرب؟ ومَن مثلي يدخل الهيكل فيحيا؟ لا أدخل!» (نح ٦: ١١) لأنه كان يعلم أن أعداءه سيدخلون الهيكل ويقتلونه، لو أن الرب أسلمه إلى يدهم. فكيف يحمي سلامته على حساب سلامة رسالته؟ لو أنه فعل فسيُهلك نفسه ويعطل رسالته.

ووقف المسيح نفس الموقف، فقد نصحوه أن يترك مكانه الخطر إلى مكان أكثر أمناً وقالوا له: «اخرُج واذهب من ههنا، لأن هيرودس يريد أن يقتلك». فأجاب: «امضوا وقولوا لهذا الثعلب: ها أنا أُخرِج شياطين وأشفي اليوم وغداً، وفي اليوم الثالث أُكمَّل. بل ينبغي أن أسير اليوم وغداً وما يليه، لأنه لا يمكن أن يَهلك نبيٌّ خارجاً عن أورشليم» (لو ١٣:٣١-٣٣).

كانت كلمات أصدقاء داود منطقية من وجهة النظر البشرية. غير أن داود رأى بُعداً أعمق مما رآه أصدقاؤه: رأى من لا يُرى. رأى الله من وراء كل هذه المواقف الصعبة، فنبّه أصدقاءه إلى أن الله موجود يحمي أولاده. كان داود متأكداً أن العصفور الصغير ليس وحيداً بلا سند، وكان يسمع الله يقول له: «لأنك قلتَ: أنت يا رب ملجإي، جعلتَ العليَّ مسكنك، لا يلاقيك شر» (مز ٩١:٩ و١٠).

يكشف هذا المزمور لنا البطولة الإيمانية وسط جوٍّ من الحيرة الأخلاقية والنصائح البشرية، ويرينا المؤمن الثابت في أداء واجبات دعوته الإلهية، والذي لا يعاند الرؤية السماوية. وصدق الشاعر العربي: «إذا كانت النفوس كباراً، تعبت في مرادها الأجسام».

في هذا المزمور نجد،

أولاً – تحذيرات للبطل (آيات ١-٣)

ثانياً – ثبوت البطل (آيات ٤-٦)

ثالثاً – البطل يبصر وجه الله (آية ٧)

أولاً - تحذيرات للبطل

(آيات ١-٣)

في الآية الأولى نصح الأصحاب داود أن ينفض يده من قضيته بحُجَّة أن النصر مستحيل عليه، وأن الخطر مُحدقٌ به. واقترحوا عليه أن يتوارى عن أرض النضال وأن يضع سلامته قبل مصلحة قضيته، وقالوا له: «اهربوا إلى جبالكم كعصفور» فليس للعصفور الصغير قدرة على مواجهة الصقور، ولا نبال الصياد، فلا ملجأ له إلا الفرار. وبرروا نصيحتهم هذه بسببين:

١ – الأشرار على وشك أن يقتلوه: «هوذا الأشرار يمدّون القوس. فوّقوا السهم في الوتر ليرموا في الدُّجى مستقيمي القلوب» (آية ٢). شدّوا القوس، وفي الظلام سدّدوا سهمهم على الوتر ليرموا داود المستقيم القلب. آلات هجومهم جاهزة، وقد احتلّوا مواقعهم ليقتلوه. إنهم يعلمون أن قلبه مستقيم، ولكنهم يريدون أن يرموه بسهمهم في الظلام لأنهم لا يملكون شجاعة المواجهة. والكلمة العبرية المترجمة هنا «دُجى» يمكن أن تُترجم «في القلب». فهم يريدون أن يرموه في قلبه بسهم ليتأكدوا من هلاكه. لذلك ينصحه أصحابه بالفرار إلى جبال أرض سبط يهوذا. غير أن داود كان يحمل ترس الإيمان الذي به يقدر أن يطفئ جميع سهام الشرير الملتهبة (أف ٦:١٦).

٢ - العدالة غائبة عن البلد: «إذا انقلبت الأعمدة، فالصديق ماذا يفعل؟» (آية ٣). حذّر الأصحاب داود من نجاح مكائد الأشرار، لأن أعمدة العدالة في مملكة الملك شاول انقلبت، حتى أنه يريد أن يقتل داود. لم تعد هناك عدالة ولا حق، وكبار الرجال (الأعمدة) الذين كان يمكن أن يعتمد داود عليهم للوقوف في وجه الشر ولحمايته غير موجودين، فلم يبقَ للبار أمان. حتى الأبرار لم يعودوا يساندون قضيتهم. فالنصيحة هي: «لا أمل. توقف عن عمل البر، واهرب». غير أن داود كان قد وجد إجابة السؤال: ماذا يفعل الصدّيق؟ لأنه كان يضع ثقته في عدالة السماء التي لا تنهزم، فقرر أن يتحدى الأخطار. لقد واجه جليات الجبار بعصا ومقلاع وخمسة حجارة مُلس (١صم ١٧: ٤٠) وانتصر. فما الذي يمنع تكرار الانتصار بفضل الرب العظيم؟ هذا ما يجب أن يفعله الصدّيق.

في مرات كثيرة يقدّم لنا أصدقاؤنا نصائح من قلبٍ مخلص، ولكن بفكرٍ مخطئ. ينصحوننا أن نهجر طريق الطاعة لأنه ضيق وعر، وأن نسير في الطريق الواسع السهل الذي يبدو أنه يتّجه بنا إلى أعلى. عندما أعلن المسيح أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً ويُرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويُقتل، وبعد ثلاثة أيام يقوم، أخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره ويقول: لا نريدك أن تموت. لماذا تذهب إلى أورشليم ليقتلوك؟ لماذا تعرّض حياتك للخطر؟.. وفي كلام بطرس منطق، لكنه عكس ما جاء المسيح ليقوم به. فانتهر المسيح بطرس وقال له: «اذهب عني يا شيطان لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس» (مر ٨: ٣٣). بالمنطق الإنساني كان بطرس مُحقّاً في حبه وغيرته، لكن هذه الغيرة كانت جسدانية، لم يدرك معها بطرس البُعد الروحي لمجيء المسيح إلى أرضنا.

كثيراً ما نسمع نصيحة مثل نصيحة بطرس للمسيح، ونصيحة أصدقاء داود: «اهرب كعصفور». وهي نصيحة تركز على الخطر، وعدم فائدة المقاومة، وحماقة التضحية بالذات في سبيل قضية يائسة، ولكنها تنسى المشيئة الإلهية والمسؤولية القيادية. فليحفظنا الله منها ويوقظنا لنوعيّة تلك النصائح.

ثانياً - ثبوت البطل

(آيات ٤-٦)

سمع داود نصيحة أصحابه: «اهرب كعصفور». لكنه كان واقفاً على صخر فقال: «على الرب توكلت». ثم بدأ يوجّه أنظار أصدقائه إلى أن الذين معه أكثر من الذين عليه (٢مل ٦: ١٦). وأن الذي فيهم أعظم من الذي في العالم (١يو ٤: ٤). وهي حقائق لا بد تغيّر حكمهم.

١ - أعلن لهم حضور الرب: «الرب في هيكل قدسه» (آية ٤أ). إنه حي حاضر وسط المؤمنين في هيكله المقدس، يسمع صلاتهم ويقبل عبادتهم ويرفعهم فوق ظروفهم القاسية. إنه يرسل لك عوناً من قدسه (مز ٢٠: ٢).

أمر الله كليمه موسى أن ينصب خيمة الاجتماع (مكان العبادة) وسط معسكر أسباط بني إسرائيل، وقال: «لأسكن في وسطهم» (خر ٢٥: ٨). ورأى يوحنا سبع منائر ذهبية ترمز للكنائس السبع،

والمسيح في وسطها (رؤ ١:١٣). وقال المسيح: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت ١٨:٢٠). فكيف يقولون لداود: اهرب إلى جبالك كعصفور، بينما الرب في هيكل قدسه؟

يعلّمنا العهد الجديد أن كل مؤمن هو هيكل للرب، والرب هو مركز حياة المؤمن، وحوله يجتمع المؤمنون. ولم يكن هناك وقت ترك الرب فيه جماعته، ولا هيكل قدسه.

٢ - **أعلن لهم عظمة الرب:** «الرب في السماء كرسيُّه» (آية ٤ب). الله موجود هنا معي، وموجود في السماء. هو صاحب كل سلطان في السماء وعلى الأرض. إنه الأعلى فوق كل قوة أرضية وشيطانية. هو صاحب العرش.

٣ - **أعلن لهم معرفة الرب:** «عيناه تنظران. أجفانه تمتحن بني آدم» (آية ٤ ج) فهو يرانا ويعرف كل شيء عنا «لأن عيني الرب تجولان في كل الأرض ليتشدد مع الذين قلوبهم كاملة نحوه» (٢أخ ١٦:٩). هو الذي لا ينعس ولا ينام (مز ١٢١:٤).. لكن لماذا يقول «أجفانه؟» ألم يكن كافياً أن يقول «عيناه تنظران»؟ وللرد نقول: عندما يريد إنسان أن يتأملَ منظراً، فإنه يحدق البصر فيه، وكأنه يشدّ جفنيه ليرى كل الصورة بوضوحٍ وتدقيق. إذاً عينا الرب تنظران، لكن أجفانه أيضاً تؤكد أنه يرى الموقف كله. عيناه كلهيب نار تخترقان أستار الظلام، تراقبان الصالح والطالح، لتنصف صاحب القضية، ولتنصر الحق.

٤ - **أعلن لهم برّ الرب:** «الرب يمتحن الصدّيق، أما الشرير ومحبّ الظلم فتبغضه نفسه. يمطر على الأشرار فخاخاً. ناراً وكبريتاً وريح السَّموم نصيب كأسهم» (آيتا ٥ و٦). يمتحن الله الصدّيق البار ويعلن نجاحه ويقبله، أما الشرير فيمتحنه ويرفضه. لقد امتحن أهل سدوم وعمورة فلم يجد عشرة أشخاص صالحين، فأمطر عليهما كبريتاً وناراً من السماء (تك ١٩:٢٤). وامتحن خليله إبراهيم، فطلب منه أن يقدم ولده وحيده محرقة، فأطاع. وأجاز الله خليله بمرتبة الشرف وقال له: «أباركك مباركةً.. ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض، من أجل أنك سمعت لقولي» (تك ٢٢:١٥-١٩).. «الرب يمتحن الصدّيق» فإن الصعوبات امتحان إلهي، يكشف عمق حياة المؤمن الروحية، فيُخرج مثل النور برّه وحقّه مثل الظهيرة (مز ٣٧:٦). كما قال أيوب: «إذا جرّبني أخرج كالذهب» (أي ٢٣:١٠). أما إبليس فيمتحن الصدّيق ليضيّع إيمانه ويصيبه باليأس. ولا يسمح الله بامتحان الصدّيق إلا بعد أن يدرّبه ويقوّي عضلاته الروحية. ولا يقدر الأشرار أن يمدّوا أيديهم إليه إلا بمقدار ما يسمح الرب لهم بذلك. «أما الشرير ومحبُّ الظلم فتبغضه نفسه» ويوقفه عند حدّه، حتى لا يتمادى في إيذاء المؤمن، كما فعل مع هامان الشرير، فصلبوه على الخشبة التي أعدّها لمُردخاي (أس ٧:١٠) فصارت «ريح السَّموم» نصيب هامان، وهي ريح عاصفة خانقة تهبُّ في صحراء شبه الجزيرة العربية تؤذي وتدمّر.

قد يتوقّف رجل الدين عن عمل الصلاح، وقد يتخلّى الحاكم عن إقامة العدل. ولكن يبقى الله الحاكم العادل الذي يقول عنه المرنم: «على الرب توكلت».

ثالثاً - البطل يبصر وجه الله

(آية ٧)

«لأن الرب عادل ويحب العدل. المستقيم يبصر وجهه» (آية ٧). وثق داود في عدل الرب الذي سيدافع عنه، ولن يتركه فريسة لأعدائه، بل لا بد أن يقاومهم ويهاجم شرورهم، ويبيد الظالمين، فيبقى فقط المستقيمون الصديقون الأبرار في محضر الله.

قال المسيح: «طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله» (مت ٥:٨). وهي رؤيا روحية يتمتع بها صاحب القلب الذي نفض عنه ظلام الخطية والعصيان، فأشرق الرب عليه بنور وجهه (مز ٤:٦) فيقول: «أما أنا فبالبرّ أنظر وجهك. أشبع إذا استيقظت بشبَهك» (مز ١٧:١٥). وقد تساءل المرنم: «يا رب، من ينزل في مسكنك؟ من يسكن في جبل قدسك؟» وأجاب على السؤال الذي أثاره بقوله: «السالك بالكمال، والعامل الحق، والمتكلم بالصّدق في قلبه» (مز ١٥:١ و٢).. هذا المستقيم وأمثاله يقولون عند مجيء المسيح ثانية: «نعلم أنه (المسيح) إذا أُظهر نكون مثله، لأننا سنراه كما هو» (ايو ٣:٢). وفي الآخرة يتحقّق معهم القول: «وهم سينظرون وجهه، واسمه على جباههم» (رؤ ٢٢:٤). إن الله يُسرُّ بالمستقيمين، وقد تصوَّر المسيح فيهم (غل ٤:١٩).

وأختم تأملات هذا المزمور بفكرتين:

١ - **على المستقيمين أن يتوقّعوا المقاومة:** لأن أفكارهم ونوعية حياتهم وسلوكهم تختلف مع الأشرار المحيطين بهم. وهذه المقاومة لا تدفعهم للخوف أو اليأس أو الهروب، بل تشجعهم على مقاومة الشر بالخير.

٢ - **على المستقيمين أن يكونوا نسوراً لا عصافير:** نصح الأصدقاء داود أن يهرب كعصفور، لكنه قرر أن يكون نسراً يحلّق ويرتفع فوق الغيوم ليرى شمس البر في إشراقها، ويبصر وجه إلهه ويتمتع بمحضره، فتنتهي المقاومة المؤقّتة بإشراق النصر الدائم.

دعونا في حبٍ للرب نُخضع نفوسنا، فنعمل مشيئته، ليحقق قصده فينا فنبصر وجهه. ولنبقَ مجاهدين في سبيل قضية ملكوته مهما كانت الصعوبات، مقاومين إبليس راسخين في الإيمان (ابط ٥:٩).

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ عَلَى «ٱلْقَرَارِ». مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ
١ خَلِّصْ يَا رَبُّ لِأَنَّهُ قَدِ ٱنْقَرَضَ ٱلتَّقِيُّ، لِأَنَّهُ قَدِ ٱنْقَطَعَ ٱلْأُمَنَاءُ مِنْ بَنِي ٱلْبَشَرِ.
٢ يَتَكَلَّمُونَ بِٱلْكَذِبِ كُلُّ وَاحِدٍ مَعَ صَاحِبِهِ، بِشِفَاهٍ مَلِقَةٍ، بِقَلْبٍ فَقَلْبٍ يَتَكَلَّمُونَ. ٣ يَقْطَعُ
ٱلرَّبُّ جَمِيعَ ٱلشِّفَاهِ ٱلْمَلِقَةِ وَٱللِّسَانَ ٱلْمُتَكَلِّمَ بِٱلْعَظَائِمِ، ٤ ٱلَّذِينَ قَالُوا: «بِأَلْسِنَتِنَا
نَتَجَبَّرُ. شِفَاهُنَا مَعَنَا. مَنْ هُوَ سَيِّدٌ عَلَيْنَا؟»
٥ «مِنِ ٱغْتِصَابِ ٱلْمَسَاكِينِ، مِنْ صَرْخَةِ ٱلْبَائِسِينَ، ٱلْآنَ أَقُومُ، يَقُولُ ٱلرَّبُّ. «أَجْعَلُ فِي
وُسْعٍ ٱلَّذِي يُنْفَثُ فِيهِ».
٦ كَلَامُ ٱلرَّبِّ كَلَامٌ نَقِيٌّ، كَفِضَّةٍ مُصَفَّاةٍ فِي بُوطَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ، مَمْحُوصَةٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ.
٧ أَنْتَ يَا رَبُّ تَحْفَظُهُمْ. تَحْرُسُهُمْ مِنْ هٰذَا ٱلْجِيلِ إِلَى ٱلدَّهْرِ. ٨ ٱلْأَشْرَارُ يَتَمَشَّوْنَ مِنْ كُلِّ
نَاحِيَةٍ عِنْدَ ٱرْتِفَاعِ ٱلْأَرْذَالِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ.

هل انقرض التقي؟

كتب داود هذا المزمور في وقت شعر فيه أنه وحيد في تعبده لله، فقال: «قد انقرض التقي. قد انقطع الأمناء من بني البشر». وقد شاركه النبي إيليا المشاعر نفسها عندما قال: «غرتُ غيرةً للرب إله الجنود، لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف. فبقيت أنا وحدي، وهم يطلبون نفسي ليأخذوها» (١مل ١٩:١٠).

كانت البلاد في ذلك الوقت قد امتلأت بالفساد الخُلقي، فأخذ داود يهاجم نفاق عصره. كان داود ملك البلاد، وكان يمكن أن يفتخر بالتقدم الحضاري في مملكته، فقد كان عصره عصراً ذهبياً في الآداب والفنون. وكانت المملكة متقدمة في الشعر والموسيقى، بدليل هذه المزامير التي كُتب معظمها أثناء حكمه، وكانت جوقة ترنيم الهيكل بقيادة «إمام المغنين» تستخدم مختلف الآلات الموسيقية، فتُطرب العابدين وتُلهمهم. وشهدت البلاد نهضة معمارية، فقد بنى داود قصره من خشب الأرز، وجهّز الكثير من مواد البناء ليعاون ابنه سليمان في بناء هيكل أورشليم. وكانت التجارة ناجحة ومربحة بين مملكة داود والممالك المجاورة. وكان التسليح جيداً ومتقدماً بعد فترة الضعف العسكري أيام حكم القضاة وحكم الملك شاول.

رأى داود مملكة أُقيمت فيها القصور، وجرت العربات في شوارعها، وكثر الذهب في أيدي مواطنيها. ولكن هذا كله لم يجعله ينسى نقطة الضعف الخطيرة، وهي أن البلاد كانت تعاني من نقص أخلاقي خطير، فقد انقرض التقي، وانقطع الأمناء من بني البشر.

لما ذهب الرسول بولس إلى أثينا كنا نتوقع أن تُلفت نظره مباحثات الفلاسفة، والشعر والفنون والمتاحف والقصور. ولكن مؤرخ سفر الأعمال سجَّل لنا ما حظي بالاهتمام الأول عند بولس، فقال: «بينما بولس ينتظر هما (سيلا وتيموثاوس) في أثينا احتدّت روحه فيه إذ رأى المدينة مملوءة أصناماً. فكان يكلم في المجمع اليهود المتعبدين، والذين يصادفونه في السوق كل يوم» (أع ١٧:١٦ و١٧).

صحيحٌ أن «البر يرفع شأن الأمة، وعار الشعوب الخطية» (أم ١٤:٣٤).

قلنا إن عصر داود كان متقدماً. ولكل تقدم اقتصادي ثلاث مراحل متتابعة:

١ - **في المرحلة الأولى** تنجح الدولة اقتصادياً، ويجد المواطن حاجاته المادية بسهولة، وتنتشر المعارف والتقنية بسبب كثرة السفر والتجارة، ويتلاقى الفكر الإنساني ويتبادل المنفعة.

٢ - **في المرحلة الثانية** يحدث ازدهار، وتولد فنون ومخترعات جديدة تجعل حياة الناس أكثر راحة، ويظهر أنهم يصبحون أكثر سعادة.

٣ - **في المرحلة الثالثة** تصل مجموعة قليلة من الناس إلى الغِنى الفاحش بينما تكون الأغلبية في فقر شديد، فترى ظالمين كثيرين ومظلومين أكثر، فيتذمّر أهل الطبقات السفلى، وتُمتهن المبادئ. وهنا يبدأ التدمير الاقتصادي بسبب الدمار الأخلاقي، ويعود المجتمع يفتش عن نجاحه المادي من جديد.

ويبدو أن داود رأى شعبه يبلغ المرحلة الثالثة، فكتب هذا المزمور يوبخ شرور عصره وزمانه.

في هذا المزمور نجد:

أولاً - صلاة (آيات ١-٤)

ثانياً - استجابة (آيات ٥-٨)

أولاً - صلاة

(آيات ١-٤)

وفي صلاة داود، التي تستغرق نصف مزموره، يطلب العون الإلهي (آيتا ١ و٢) ثم يطلب معاقبة الأشرار (آيتا ٣ و٤).

١ - **يطلب الإنقاذ الإلهي:** «خلِّص يا رب». ويذكر أمرين يطلب الخلاص منهما:

(أ) **نقص الأمانة:** «قد انقرض التقي.. الأمناء من بني البشر» (آية ١). وهذا أمر يدفعنا للصلاة لأن غياب التقوى وانقراض الأمانة يضر الصالح كما يضر الشرير. «فأطلب أول كل شيء أن تُقام طلبات وصلوات.. لأجل الملوك.. لكي نقضي حياة مطمئنة هادئة في كل تقوى ووقار» (١تي ٢:١ و٢).

(ب) **انتشار الكذب:** «يتكلمون بالكذب كل واحد مع صاحبه. بشفاه ملِقة، بقلبٍ فقلب يتكلمون (أي أنهم منافقون)» (آية ٢). «بقلب فقلب» تعبير عبري معناه أن لكل واحدٍ منهم قلبين، يواجهون الشخص الواقف أمامهم بقلب، وما أن يتركوه حتى يكون لهم نحوه قلب آخر. إنهم مخادعون، يقولون كلامين متناقضين! يتظاهرون بما لا يبطنون. هناك القاسي الذي «بلا قلب» ولكن صاحب القلبين أخطر لأنه يعطيك من طرف اللسان حلاوة ثم يطعنك. إنه مثل يهوذا الإسخريوطي الذي خان سيده!

٢ - يطلب معاقبة الأشرار: «يقطع الرب جميع الشفاه الملقة، واللسان المتكلم بالعظائم. الذين قالوا: بألسنتنا نتجبَّر. شفاهنا معنا. من هو سيد علينا؟» (آيتا ٣ و٤). يطلب أن يقطع الرب أعضاء الكلام فيهم. وطلب معاقبة الأشرار قد يكون إعلاناً نبوياً بنهاية أولئك الكذبة المنافقين، أو أنه طلب من الله أن يبيدهم عملاً بالمبدأ الذي آمن به المرنم، وهو «العين بالعين» (خر ٢١:٢٤). لقد حسب هؤلاء الأشرار أن نجاحهم جاء نتيجة ذكائهم ومجهودهم ونفوذهم، فقالوا: «بألسنتنا نتجبَّر. شفاهنا معنا. من هو سيد علينا؟» يعني أن مصائر غيرنا تتوقف على كلمة نقولها. «شفاهنا معنا» فندافع عن تصرفاتنا لنبرهن صلاحها، فنكسب قضايانا بالتزوير، ونتحايل على القانون ونفسره لمصلحتنا ونتلاعب به، ولا سيّد علينا سوى أنفسنا.

لقد نسوا أن الله هو خالق أجسادهم، وأنه المالك الحقيقي لها. وقد ننسى اليوم أننا لسنا ملك أنفسنا لأن المسيح اشترانا. فلنسمع القول: «قد اشتُرِيتم بثمن. فمجّدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله» (١كو ٦:٢٠).

ثانياً - استجابة

(آيات ٥-٨)

لكل صلاة استجابة. لقد طلب المرنم العون من الله، وطلب مجازاة الأشرار، فاستجاب الرب سامع الصلاة، ولا بد أن ينصف مختاريه الصارخين إليه نهاراً وليلاً (لو ١٨:٧) لأنه القاضي العادل. وعدالته فيها الرحمة للمظلوم، ووجهها الآخر عقاب للظالم.

وفي الاستجابة نجد أمرين: وعداً بالعون (آيتا ٥ و٦) وتحقيقاً للوعد (آيتا ٧ و٨).

١ - وعدٌ بالعون: ويقدم المرنم وعدين لله، وعد فوري مباشر من الله (آية ٥) ووعدٌ كتابي سطَّره الوحي (آية ٦):

(أ) **وعد فوري:** «من اغتصاب المساكين، من صرخة البائسين الآن أقوم، يقول الرب. أجعل في وُسعٍ الذي يُنفَث فيه» (آية ٥).

ما أكثر الظلم في الأرض، وما أقسى الإنسان على أخيه الإنسان! لقد قسا فرعون على بني إسرائيل فصرخوا طالبين النجاة، وسمع الله صراخهم ودعا موسى وقال له: «إني قد رأيت مذلّة شعبي الذي في مصر، وسمعت صراخهم من أجل مسخّريهم. إني علمت أوجاعهم.. صراخ بني

إسرائيل قد أتى إليَّ، ورأيت أيضاً الضيقة التي يضايقهم بها المصريون. فالآن هلمَّ فأرسلك إلى فرعون وتُخرج شعبي بني إسرائيل من مصر» (خر ٣:٧-١٠). وحقّق الرب وعده لهم وأنقذهم.

وفي زمن النبي عاموس كان الظلم الاجتماعي على أشُدّه، فأرسل الله النبي عاموس ينادي بالعدالة الاجتماعية، فوصف الظالمين بقوله: «باعوا البار بالفضة، والبائس لأجل نعلين.. يصدّون سبيل البائسين.. يتمدّدون على ثياب مرهونة بجانب كل مذبح، ويشربون خمر المغرَّمين في بيت آلهتهم» (عا ٢:٦-٨). كان الأغنياء يزدادون غنى والفقراء يزدادون فقراً بسبب الطمع والجشع. فصرخ المعذّبون في الأرض، وسمع الله صراخهم فأرسل النبي عاموس ليشجعهم ويعدهم بالإنقاذ. وقد كان.

ولكثرة الظلم يُخيّل للمظلوم أن الله نسيه، فيقول الرب له: «الآن أقوم. أجعل في وُسعٍ الذي يُنفَث فيه». والذي ينفث هو الظالم، الذي يفعل مثل ما كان شاول الطرسوسي يفعله بالمسيحيين، فإنه كان ينفث تهدّداً وقتلاً على تلاميذ الرب (أع ٩:١). وسيعطي الرب المظلومين الصارخين إليه وسعاً ورحباً، فلا يبقون في ضيقهم. «ولكن لا يكون ظلام للتي عليها ضيق» (إش ٩:١).

إن أحلك أوقات الليل ظلمة هي التي تسبق الفجر، وعند المساء يبيت البكاء، وفي الصباح ترنُّم. لا بد أن القيامة تتبع الصليب، وبعد ظهر الجمعة يجيء صباح الأحد.

(ب) وعد كتابي: يعتمد المظلوم على وعد الله الصادق دائماً، فإن «كلام الرب كلام نقي، كفضة مصفّاةٍ في بوطةٍ في الأرض، ممحوصةٍ سبع مرات» (آية ٦). والبوطة هي الفرن الذي يصهر فيه الصائغ الفضة والذهب، لينقّيهما من الزغل. فكلام الله لا زغل فيه أبداً. والفضة نقية تصفّت وتكررت سبع مرات (والسبعة عدد الكمال). فوعود الله صادقة كل الصدق، سبع مرات! وما أبعد الفرق بين وعود البشر التي لا يوفونها إما لأنهم لا يريدون أو لأنهم لا يقدرون، وبين مواعيد الله الأمينة الصادقة! قال يشوع لبني إسرائيل: «تعلمون بكل قلوبكم وكل أنفسكم أنه لم تسقط كلمة واحدة من جميع الكلام الصالح الذي تكلم به الرب عنكم. الكل صار لكم. لم تسقط منه كلمة واحدة» (يش ٢٣:١٤). وقال سليمان الحكيم: «مبارك الرب الذي أعطى راحةً لشعبه إسرائيل حسب كل ما تكلم به. ولم تسقط كلمة واحدة من كل كلامه الصالح الذي تكلم به عن يد موسى عبده» (١مل ٨:٥٦).. ما أصدق كلام الكتاب المقدس! إنه كلمة الله الصادقة، الخالية من الخطأ والخلط والتحريف والنسخ. إن كانت شريعة مادي وفارس لا تُنسَخ (دا ٦:٨) فهل تُنسَخ كلمة الله؟ إن كلام الله مجرّب كل التجريب، جرّبه الخاطئ الذي تاب، فمنحه الله الغفران والتبرير والسلام. وجرّبه المتضايق الصارخ، فنال النجاة والراحة. في كل ضيقنا يتضايق، وملاك حضرته يخلّصنا (إش ٦٣:٩). ويمكنك أن تعتمد على الله وتطمئن، وتقول: «على الرب توكلت».

٢ - **تحقيق الوعد بالعون:** «أنت يا رب تحفظهم. تحرسهم من هذا الجيل إلى الدهر. الأشرار يتمشّون من كل ناحية عند ارتفاع الأرذال بين الناس» (آيتا ٧ و٨). وعد الله أنه سيقوم ويوسّع للمظلوم المتضايق، والمرنم يقول له: أنت يا رب تحفظ المظلومين الصارخين إليك. كان دانيال في

وسط الأسود، وسأله الملك: «يا دانيال، عبد الله الحي، هل إلهك الذي تعبده دائماً قدر على أن ينجّيك من الأسود؟» فأجاب: «أيها الملك عش إلى الأبد! إلهي أرسل ملاكه وسدّ أفواه الأسود فلم تضرّني لأني وُجدت بريئاً قدامه وقدامك أيضاً أيها الملك. لم أفعل ذنباً» (دا ٦:٢٠-٢٢).

لكل جيل مميزاته وخصائصه، سيحرس الرب شعبه من «هذا الجيل» الفاسد الظالم. ومهما كانت خصائص الذين تعيش بينهم، فإن الله يعدك بالحراسة والحفظ. كان داود يصف عصراً سادت فيه الرذيلة والأرذال، وكان الأشرار فيه يتمشّون بخيلاء ظانين أن المُلك مُلكهم والأرض أرضهم. ولكن الله وعد كل الأتقياء والأمناء بالحراسة. ومهما كانت سمة العصر الذي تحيا فيه، فالله الأزلي الأبدي يؤكد لك العون والخلاص. لقد أسس كنيسته ووعدها أن أبواب الجحيم لن تقوى عليها (مت ١٦:١٨)، ويقول لأعضائها: «أنتم الذين بقوة الله محروسون» (١بط ١:٥).

النصرة النهائية هي لمن يحبون الرب، فأحب الرب بكل قلبك يسود السلام والاطمئنان حياتك.

المزمور الثالث عشر

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

١ إِلَى مَتَى يَا رَبُّ تَنْسَانِي كُلَّ ٱلنِّسْيَانِ! إِلَى مَتَى تَحْجُبُ وَجْهَكَ عَنِّي! ٢ إِلَى مَتَى
أَجْعَلُ هُمُوماً فِي نَفْسِي وَحُزْناً فِي قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ! إِلَى مَتَى يَرْتَفِعُ عَدُوِّي عَلَيَّ! ٣ ٱنْظُرْ
وَٱسْتَجِبْ لِي يَا رَبُّ إِلٰهِي. أَنِرْ عَيْنَيَّ لِئَلَّا أَنَامَ نَوْمَ ٱلْمَوْتِ، ٤ لِئَلَّا يَقُولَ عَدُوِّي: «قَدْ
قَوِيتُ عَلَيْهِ». لِئَلَّا يَهْتِفَ مُضَايِقِيَّ بِأَنِّي تَزَعْزَعْتُ.
٥ أَمَّا أَنَا فَعَلَى رَحْمَتِكَ تَوَكَّلْتُ. يَبْتَهِجُ قَلْبِي بِخَلَاصِكَ. ٦ أُغَنِّي لِلرَّبِّ لِأَنَّهُ أَحْسَنَ إِلَيَّ.

إلى متى تنساني؟

لا ندري متى كتب داود هذا المزمور. أغلب الظن أنه كتبه لما كان شاول يطارده ليقتله. وهناك مناسبات كثيرة في حياة داود يمكن أن يكون هذا المزمور وصفاً لها. عندما كان يعزف على عوده لشاول، أشرع شاول الرمح مرتين نحوه ليقتله (١صم ١٨:١١). وداود يتساءل: صنعتُ خيراً، فلماذا ألقى شراً؟ لماذا يريد أن يقتلني مع أني أحاول أن أعالجه بعزْفي؟

ولما لم ينفع العنف، استخدم شاول الحيلة، وعرض على داود أن يزوّجه من ابنته، على أن يكون المهر قتل مئة من الأعداء. وكان شاول يرجو أن يقتله الأعداء قبل أن يقتل هو مئة منهم. ولكن داود قتل مائتين ولم يصبه سوء (١صم ١٨:٢٧). وحاول شاول أن يقتل داود في بيت الزوجية الجديد، ولكن ميكال كانت أكثر حباً لزوجها منها لطاعة أوامر أبيها، فهرَّبت داود (١صم ١٩:١٦). فأخذ شاول يطارده، حتى وقع شاول في يده، فعفا داود عنه، وعاتبه قائلاً: «وراء من خرج ملك إسرائيل؟ وراء من أنت مُطارد؟ وراء كلب ميت! وراء برغوث واحد؟» (١صم ٢٤:١٤).

ولا بد أن داود تعب من كل هذه المطاردات، فكتب مزموره هذا، يشكو إلى الله من الله، ويشكو إلى الله من نفسه، ويشكو إلى الله من أعدائه!

في هذا المزمور نجد:

أولاً - شكوى (آيتا ١ و٢)

ثانياً - صلاة (آيتا ٣ و٤)

ثالثاً - فرح (آيتا ٥ و٦)

أولاً - شكوى

(آيتا ١ و٢)

في ضيق داود ومرارة نفسه اشتكى إلى الله وكرر أربع مرات قوله «إلى متى؟». «إلى متى يا رب تنساني كل النسيان؟ إلى متى تحجب وجهك عني؟ إلى متى أجعل هموماً في نفسي وحزناً في قلبي كل يوم؟ إلى متى يرتفع عدوّي عليّ؟» (آيتا ١ و٢).

وأول ما يخطر ببال المؤمن في الضيق أن يتّجه إلى الله.

١ - يشكو من الله إلى الله: «إلى متى يا رب تنساني كل النسيان؟» (آية ١أ). عندما يفكر داود بعقله تفكيراً منطقياً يعرف أن الله لم ينسه أبداً. وكأنه يقول: أعلم أنك لا تنسى، لكن يبدو لي أنك نسيت! كان قد قال: «ارحمني يا رب لأني ضعيف. اشفني يا رب لأن عظامي قد رجفت، ونفسي قد ارتاعت جداً. وأنت يا رب فحتى متى؟» (مز ٦: ٢ و٣). وقال أيضاً: «أقول لله صخرتي: لماذا نسيتني؟ لماذا أذهب حزيناً من مضايقة العدو؟» (مز ٤٢: ٩). وكرر النبي إرميا نفس الشكوى: «لماذا تنسانا إلى الأبد، تتركنا طول الأيام؟» (مراثي ٥: ٢٠). وقال حبقوق: «حتى متى يا رب أدعو وأنت لا تسمع، أصرخ إليك من الظلم وأنت لا تُخلّص؟» (حب ١: ٢). هذه صرخة متألم يعاتب الله لأنه يحب الله. ويستمع الله إلى مثل هذه الشكوى بتفهُّم وعطف، فيقول: «قالت صهيون: قد تركني الرب، وسيدي نسيني». ويجيب: «هل تنسى المرأة رضيعها، فلا ترحم ابن بطنها؟ حتى هؤلاء ينسين، وأنا لا أنساك. هوذا على كفيَّ نقشتُك. أسوارك أمامي دائماً» (إش ٤٩: ١٤-١٦).

وفي الشكوى من الله يسأل داود: «إلى متى تحجب وجهك عني؟» (آية ١ب). عندما يضيء وجه الله على المؤمن بابتسامة حبه، تشرق الدنيا له. ولكن عندما تعبس الدنيا في وجه المؤمن يُخيَّل إليه أن الله قد حجب وجهه عنه، فيصرخ: «حجبتَ وجهك فصرتُ مرتاعاً» (مز ٣٠: ٧). والوجه المحتجب لا يعني الوجه الغافل أو الرافض، لكنه يعني أن المؤمن يحس بالقلق والرعب. ليس العيب في الله، بل في مشاعر المؤمن! ولذلك يسأل كثيرون: «مَن يُرينا خيراً؟ ارفع علينا نور وجهك يا رب» (مز ٤: ٦). «ليتحنّن الله علينا وليباركنا. ليُنِر بوجهه علينا» (مز ٦٧: ١).

٢ - يشكو نفسه لله: «إلى متى أجعل هموماً في نفسي وحزناً في قلبي كل يوم؟» (آية ٢أ). إنه حزين بسبب ضعفه وقلقه وهمومه، وكأنه يقول: إلى متى أظل أعول الهم؟ إلى متى يهدّني القلق ويرعبني؟ نفسي عاجزة عن أن تنتصر على الموقف الذي أنا فيه. كل ترتيباتي فشلت، فإلى متى أُعيد تنظيم خططي؟ إلى متى أحاول ولا أوفَّق؟

عندما يفقد المؤمن ثقته في محبة إلهه، وتضيع منه ثقته في نفسه تضيع منه «بهجة خلاصه» (مز ٥١: ١٢) ولكنه لا يفقد خلاصه. وبسبب الخطية يعيش في ظلمة روحية، وتضيع منه رؤية وجه الله المحب المطمئن. ولا يمكن أن يعود إلى الشركة مع الله إلا إن تاب واستعاد علاقته المفقودة بالرب.

٣ - **يشكو العدو لله:** «إلى متى يرتفع عدوّي عليّ؟» (آية ٢ب). زار صموئيل النبي بيت يسى البيتلحمي، والد داود، وطلب استدعاء داود من وراء الغنم، ومسحه ملكاً بناءً على توجيه الرب. فكيف يصير مطروداً؟ ومتى تتحقّق مواعيد الرب له؟

تشبه حالة داود المنظر الذي تصفه رؤيا يوحنا: «ولما فتح (الحمل) الختم الخامس رأيتُ تحت المذبح نفوس الذين قُتلوا من أجل كلمة الله ومن أجل الشهادة التي كانت عندهم، وصرخوا بصوت عظيم قائلين: حتى متى أيها السيد القدوس والحق لا تقضي وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض؟ فأُعطوا كل واحد ثياباً بيضاً، وقيل لهم أن يستريحوا زماناً يسيراً أيضاً حتى يَكمَل العبيد رفقاؤهم وإخوتهم أيضاً العتيدون أن يُقتلوا مثلهم» (رؤ ٦:٩-١١).

ثانياً - صلاة

(آيتا ٣ و٤)

تساءل داود أربع مرات «إلى متى؟». ثم رفع لله صلاة فيها أربع طلبات تتعلّق بالشكاوى الأربع. وهو يوجّه طلباته قائلاً: «يا رب إلهي» فهناك انتماءٌ لله، وهناك تمسُّكٌ بإله الموعد الذي لا تسقط كلمة من كلامه الصالح.

١ - **طلب نظرةً:** «انظُر» (آية ٣أ). وهي طلبةٌ تعالج شكواه «إلى متى يا رب تنساني كل النسيان؟». والحقيقة أن الله لم ينسَه أبداً، لكن الظروف القاسية جعلته يظن هذا الظن الخاطئ. ونظرة الرب إلى المؤمن بعين الرضا لا بد تنقذ المؤمن من المشكلة النفسية التي تعرَّض لها.

٢ - **طلب استجابةً:** «استجِب لي يا رب إلهي» (آية ٣ب). وهي طلبةٌ تعالج شكواه «إلى متى تحجب وجهك عني؟». لم يحجب الله وجهه أبداً عن المؤمن، ولا أدار له ظهره. لكن الدموع في العيون هي التي تحجب جمال الوجه الذي لا يغيب أبداً. «لك قال قلبي: قلتَ اطلبوا وجهي. وجهك يا رب أطلب» (مز ٢٧:٨). فالمرنم لا يطالب بالاستجابة لأنه متطفّل، بل لأن الله قال: «اسألوا تعطوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يُفتح لكم» (مت ٧:٧). وقال المسيح لتلاميذه: «إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي. اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً» (يو ١٦:٢٤).

٣ - **طلب استنارةً:** «أنِر عينيّ لئلا أنام نوم الموت» (آية ٣ج). وهي طلبة تعالج شكواه «إلى متى أجعل هموماً في نفسي وحزناً في قلبي كل يوم!». يطلب المرنم من الرب أن يُزيل ظلمة اليأس من عينيه المريضتين اللتين لا تريان رحمة الله بالكفاية. وقد كان هذا اختبار عزرا الكاتب، الذي وصف هذه الاستنارة بقوله: «كلحيظةٍ كانت رأفةٌ من لدن الرب إلهنا ليُبقي لنا نجاة، ويعطينا وتداً في مكان قدسه.

لينير إلهنا أعيننا، ويعطينا حياة قليلة في عبوديّتنا، لأننا عبيدٌ نحن، وفي عبوديتنا لم يتركنا إلهنا، بل بسط علينا رحمة أمام ملوك فارس، ليعطينا حياة» (عز ٩:٨ و٩). الرب سيُقيمنا. الرب سيُنوّر عيوننا ويعطينا حياةً في نور وجهه.

٤ - **طلب عدم شماتة:** «لئلا يقول عدوّي: قد قويتُ عليه. لئلا يهتف مضـايقيَّ بـأني تزعزعتُ» (آية ٤). وهي طلبةٌ تعالج شكواه «إلى متى يرتفع عدوّي عليَّ؟». هنـاك عدو يحاول أن يرتفع على المؤمن ويقوَى عليه، ولكن الرب لا يسمح بهذا، لأن فشل المؤمن يجلب العار على اسم إلهه، ويجعل العدو يقول: «ليس لـه خلاص بإلهه» (مز ٣:٢). ثم إن هناك وحدة بين المؤمن والرب، يشبّهها المسيح بعلاقة الغصن بالكرمة (يو ١٥:٥). الذي يؤذي الغصن يؤذي الكرمة، والذين يضطهدون المؤمنين يقاومون مشيئة الرب الذي يحب المؤمنين. ويجيء المجد للمؤمن لما يمجّد إلهه، ولما يتمجّد الله فيه.

ثالثاً - فرح

(آيتا ٥ و٦)

لا ندري كم من الوقت مضى بين الشكوى والصلاة المرفوعتين إلى الله في مطلع هذا المزمور وبين الفرح الذي عبّر عنه المرنم في نهايته. لكننا نعلم أن الله عيّن لكل شيء تحت السماوات وقتاً (جا ٣:١). وهو يتأنى أحياناً (من وجهة نظرنا) ولكن استجابته سريعة (من وجهة نظره). وقد شرح المسيح هذه الفكرة في قوله: «أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهاراً وليلاً، وهو متمهّلٌ عليهم؟ (من وجهة نظرهم). أقول لكم: إنه ينصفهم سريعاً. (من جهة التوقيت الإلهي). ولكن متى جاء ابن الإنسان ألعلّه يجد الإيمان على الأرض؟ (بمعنى: هل يجد مَن ينتظرون توقيته السماوي)» (لو ١٨:٧ و٨).. يتوقّع الإيمان دائماً استجابة الصلاة. وعندما تُستجاب يتقوى الإيمان. فنطلب فتُستجاب. فيتقوى إيماننا أكثر، فنعود نطلب بثقة أكبر وقلوبنا تطفر فرحاً. وهكذا نتقدم من مجد إلى مجد ونختبر كل يوم صلاح الله، فنقول: «أما أنا فعلى رحمتك توكلت. يبتهج قلبي بخلاصك. أغنّي للرب لأنه أحسن إليَّ» (آيتا ٥ و٦).

يربي البشر أولادهم ليستقلوا عنهم ويقفوا على أقدامهم، لكن الرب يربي أولاده ليعتمدوا عليه أكثر وباستمرار، فلا يستقلون عنه أبداً، لذلك قال المرنم: «أما أنا فعلى رحمتك توكلت» فيجدد ثقته في الرب، فيضيء له طريقه، فيقول: «لأنني عالم بمن آمنت وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتي إلى ذلك اليوم» (٢تي ١:١٢).

عندما تتعب من نفسك، وعندما تظن أن الله قد نسيك، وعندما ترى الأعداء يحيطون بك ويغلبونك على أمرك، فلا تيأس، لأن الله المحب سيسمع صوتك، ويرى دموعك، وينصرك على متاعبك، فلهذا جاء المسيح إلى أرضنا. ويقول الإعلان الرسمي عن خدمة المسيح: «روح السيد الرب عليَّ، لأن الرب مسحني لأبشّر المساكين، أرسلني لأعصب منكسري القلب، لأنادي للمسبيين بالعتق، وللمأسورين بالإطلاق. لأنادي بسنةٍ مقبولة للرب وبيوم انتقام لإلهنا. لأعزّي كل النائحين. لأعطيهم جمالاً عوضاً عن الرماد، ودهن فرحٍ عوضاً عن النوح، ورداء تسبيح عوضاً عن الروح اليائسة» (إش ٦١:١-٣).

المزمور الرابع عشر

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ. لِدَاوُدَ
١ قَالَ ٱلْجَاهِلُ فِي قَلْبِهِ: «لَيْسَ إِلٰهٌ». فَسَدُوا وَرَجِسُوا بِأَفْعَالِهِمْ. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ
صَلَاحاً. ٢ اَلرَّبُّ مِنَ ٱلسَّمَاءِ أَشْرَفَ عَلَى بَنِي ٱلْبَشَرِ، لِيَنْظُرَ: هَلْ مِنْ فَاهِمٍ طَالِبِ ٱللّٰهِ؟
٣ ٱلْكُلُّ قَدْ زَاغُوا مَعاً، فَسَدُوا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلَاحاً، لَيْسَ وَلَا وَاحِدٌ.
٤ أَلَمْ يَعْلَمْ كُلُّ فَاعِلِي ٱلْإِثْمِ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ شَعْبِي كَمَا يَأْكُلُونَ ٱلْخُبْزَ، وَٱلرَّبَّ لَمْ
يَدْعُوا. ٥ هُنَاكَ خَافُوا خَوْفاً لِأَنَّ ٱللّٰهَ فِي ٱلْجِيلِ ٱلْبَارِّ. ٦ رَأْيَ ٱلْمِسْكِينِ نَاقَضْتُمْ لِأَنَّ
ٱلرَّبَّ مَلْجَأُهُ. ٧ لَيْتَ مِنْ صِهْيَوْنَ خَلَاصَ إِسْرَائِيلَ. عِنْدَ رَدِّ ٱلرَّبِّ سَبْيَ شَعْبِهِ يَهْتِفُ
يَعْقُوبُ وَيَفْرَحُ إِسْرَائِيلُ.

الكل زاغوا

المزموران ١٤ و٥٣ متشابهان تماماً، ما عدا فرق بسيط في ١٤: ٥ و٦ حيث يقول: «هناك خافوا خوفاً في الجيل البار. رأيَ المسكين ناقضتم، لأن الرب ملجأه» بينما يقول ٥٣: ٥ «هناك خافوا خوفاً ولم يكن خوف، لأن الله قد بدّد عظام محاصرك. أخزيتهم لأن الله قد رفضهم». ولعل سبب هذا التغيير يعود إلى رغبة المرنم في مز ٥٣ أن يشير إلى الرعب الذي وقع على ملك أرام (وهي سوريا) حيث لم يكن داعٍ للخوف (٢مل ٦: ٧ و٧) أو إلى هزيمة الملك الأشوري سنحاريب هزيمة غير منتظرة، وموت ١٨٥ ألف جندي من جنوده في ليلة واحدة (٢مل ١٩: ٣٥ و٣٦). كما أن هناك فرقاً آخر، فمزمور ١٤ يستعمل اسم الجلالة «يهوه» (المترجمة: الرب) بينما يستعمل مز ٥٣ اسم الجلالة «إلوهيم» (المترجمة: الله).

والمزموران تبشيريان، يتحدثان أولاً عن جهالة الخاطئ في ابتعاده عن الله. ويشرحان خطورة الحياة التي تتجاهل الرب، فالخاطئ جاهل لا يحسن التصرُّف. ومصيره سيء. ثم ينتقل المرنم ليتحدث عن الضمير الذي نوّمه الخاطئ الجاهل، مع أن الرب يحاول أن يوقظه. ثم يختم المرنم المزمورين بحديث عن خلاص المؤمن وهتافه وفرحه. إنه يقدم لنا دعوةً للتوبة والإنقاذ والخلاص، فيقول للبعيد عن الله: أنت لا تعرف مقدار ما تخسر، ولا مقدار الخطر الذي يهددك. لا فائدة في الخطية. إنها مهلكة، ويختم دعوته بالقول إن الخاطئ يخلُص عندما يسكن الرب قلبه، فيحرره من خطاياه ويردّ

سبيه، فيهتف ويفرح بخلاصه وحريته. وهذه الدعوة الواضحة تجعل النفس البعيدة تشتاق أن تعود إلى الرب تائبة. فلماذا نحيا في الخطية، بينما العيشة مع الرب هي السعادة الحقيقية؟

في هذين المزمورين نجد:

	مزمور ١٤	مزمور ٥٣
أولاً - جهالة الخاطئ	(آيات ١-٣)	(آيات ١-٣)
ثانياً - ضمير الخاطئ	(آيات ٤-٦)	(آيتا ٤ و٥)
ثالثاً - سعادة المؤمن	(آية ٧)	(آية ٦)

أولاً - جهالة الخاطئ

(آيات ١٤:١-٣ و٥٣:١-٣)

١ - تبدأ جهالة الخاطئ بفكرة خاطئة: «قال الجاهل في قلبه: ليس إله» (آية ١أ). وهو يقول هذا بسلوكه «في قلبه» فيحيا مخالفاً شريعة الله، أو يقوله بسلوكه وفمه معلناً إلحاده. وينكر بعض الفلاسفة وجود الله، ويحاولون إثبات ذلك وإقناع الناس به، مع أن كلمة «فلسفة» تعني «حب الحكمة» في اللغة اليونانية. والمرنم لا يرى عندهم إلا الجهالة، فالخاطئ الذي ينكر وجود الله بفعله أو قوله هو جاهل، يقول إنه يحب الحكمة، وهو في واقع الأمر بعيد عنها، لأن «رأس الحكمة مخافة الرب» (مز ١١١:١٠) و«مخافة الرب رأس المعرفة» (أم ١:٧). وكما أن إنكار وجود النار لا يمنع احتراق من يدخلها، هكذا الشك في وجود الله لا يمنع وقوع دينونته العادلة على من يرفض خلاصه.. ونحن نشكر الله من أجل فلاسفة كثيرين يؤمنون بالله، ويبرهنون ذلك بأساليب منطقية. والجاهل وحده هو الذي ينكر وجود الله، لأن وجود الله حولنا واضح نراه في خليقته، وواضح في معاملاته اليومية معنا. وفوق الكل نراه في سر التقوى «الله ظهر في الجسد» (اتي ٣:١٦). فمجيء المسيح إلى عالمنا، أكبر برهان على أن الله موجود.

والكلمة العبرية «جاهل» هي «نابال» التي أُطلقت على رجل جاهل ضيّع حياته بسبب حماقته، فقيل عنه: «نابال اسمه والحماقة عنده». أنكر نابال أن داود موجود، وأنكر معرفته به وقال: «من هو داود، ومن هو ابن يسى؟» مع أن داود هو الذي أنقذ شعبه من تهديد جليات الوثني! كما كان نابال يعرف داود جيداً، لأن داود ورجاله كانوا يحرسون قطعان نابال. ولكن الجاهل قال: «آخذ خبزي.. وأعطيه لقوم لا أعلم من أين هم؟» (اصم ٢٥:١٠ و١١).. أليس هذا ما يفعله الجاهل الذي ينكر وجود الله، مع أن الله هو الذي منحه الحياة، وهو الذي يعتني به، وهو الذي سيأخذ حياته منه؟!

٢ - **تزيد جهالة الخاطئ بتصرُّفاته الخاطئة:** «فسدوا ورجسوا بأعمالهم. ليس من يعمل صلاحاً» (آية ١ب). خلق الله الإنسان بريئاً، ولكن عصيانه لله أفسد طبيعته الأصلية، وأفسد أعماله اليومية، ودمَّر علاقاته الاجتماعية. نعم فسد البشر، فارتكبوا ما لا يجب، ولم يعملوا ما يجب. وقد وُصفت الحالة قبل الطوفان بالقول: «ورأى الرب أن شرّ الإنسان قد كثُر في الأرض، وأن كل تصوُّر أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم. وفسدت الأرض (ساكنوها) أمام الله وامتلأت الأرض ظلماً. ورأى الله الأرض فإذا.. كل بشرٍ قد أفسد طريقه على الأرض» (تك ٦:٥ و١١ و١٢).

والرجس هو العمل القبيح والقذارة، والشناعة، والنجاسة. وهي كلمة تشير إلى الأصنام وعبادة الأوثان. لقد خلق الله الإنسان على صورته ليعبده، ولكن الإنسان ضل إلى الوثنية وكل ما يرتبط بها من رجس.

وينكر الجاهل أحياناً وجود الله لأنه ارتكب خطأً يؤرق ضميره، وهو لا يريد أن يصطلح مع الله بالطريقة السليمة، فيتهرَّب بقوله إن الله غير موجود، وينسى أو يتناسى أن الله جهَّز له طريق الفداء والخلاص بكفارة المسيح المصلوب.

٣ - **خطورة جهالة الخاطئ:** «الرب من السماء أشرف على بني البشر، لينظر: هل من فاهمٍ طالب الله؟» (آية ٢). يطيل الله أناته على الخاطئ ليتوب، ولكنه في جهالته يظن أن الله لا يحسن ولا يسيء (صف ١:١٢)، أو أنه غير موجود على الإطلاق. ولكن «من السماوات نظر الرب. رأى جميع بني البشر. من مكان سُكناه تطلّع إلى جميع سكان الأرض. المصوّر قلوبهم جميعاً، المنتبه إلى كل أعمالهم» (مز ٣٣:١٣-١٥). وفي تعبيرات «إنسانية» تصف التوراة الله أنه «نزل ليرى» أحوال بابل وسدوم (تك ١١:٥ و١٨:٢١).

ويشرف الله على «بني البشر» من كل جنسية، لأنه خالقهم جميعاً، وقد أعطى كل شعب نوراً أخلاقياً في الطبيعة وفي الضمير. «لم يترك نفسه بلا شاهد، وهو يفعل خيراً: يعطينا من السماء أمطاراً وأزمنة مثمرة، ويملأ قلوبنا طعاماً وسروراً» (أع ١٤:١٧) «إذ معرفة الله ظاهرة فيهم، لأن الله أظهرها لهم، لأن منذ خَلْق العالم تُرى أمورُه غيرُ المنظورة وقدرتُه السرمدية ولاهوتُه مُدركةً بالمصنوعات، حتى أنهم بلا عذرٍ» (رو ١:١٩ و٢٠).

«الرب من السماء أشرف لينظر» لأنه يحب الإنسان ويقول: «لذّاتي مع بني آدم» (أم ٨:٣١).

إنه الراعي الصالح الذي يفتش عن الواحد الضال إلى أن يجده، مهما كلفه هذا التفتيش. إنه لا يريد هلاك الخاطئ بل توبته. وهو ينتظر من البشر أن يتصرّفوا بقدر ما عندهم من نور. يفتش الله في كل أمة ليرى هل من «فاهم» لنفسه وضعفه وخطيته وواجبه ومصيره، وهل من «فاهم» محبة الله وتفتيشه عن الخاطئ ليفديه.

وكل من ينكر وجود الله ينكر «إلوهيم» إله العهد، ضابط العالم كله، وينكر حق الله، لأن الخطية ثورة ضد الله وضد شرائعه. ولذلك يعترف داود: «إليك وحدك أخطأت، والشر قدام عينيك صنعت» (مز ٥١:٤).

٤ – عمومية جهالة البشر: «الكل قد زاغوا معاً، فسدوا. ليس من يعمل صلاحاً، ليس ولا واحد» (آية ٣). الإنسان فاسد بطبيعته، وفاسد بعمله. منذ سقوط أبوينا الأولين في جنة عدن ونحن نرى الإنسان يقتل أخاه، لا بسبب الجوع أو الاحتياج، ولا بسبب أزمة المساكن، لكن لأنه شرير بطبيعته. وفساد الجنس البشري فساد مطلق، فالإنسان بولادته الطبيعية لا يقدر أن يُرضي الله، لا بالعمل ولا بالنيّة. أساس الشجرة فاسد فهي تعطي ثمراً فاسداً. ينبوع الماء أصلاً مر ويعطي ماءً مراً. ومع أن الله يرعى البشر حتى يقولوا: «لا يعوزني شيء» إلا أنهم يضلون ويحتاجون إلى من يرد نفوسهم إلى سبُل البر، لا لخير فيهم، إنما «من أجل اسمه» (مز ٢٣: ١ و٣).

وقد اقتبس الرسول بولس هذه الآيات في أصحاح ٣ من رسالته إلى رومية ليُبرهن فساد البشر جميعاً، وكيف أنهم واقعون تحت حكم الهلاك الأبدي، ثم ليعلن أن الله دبّر النجاة بواسطة المسيح لهؤلاء الجهّال الذين أضرّوا بأنفسهم «إذ الجميع أخطأوا.. متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قدّمه الله كفارة» (رو ٣: ٢٣ و٢٤). «كلنا كغنم ضللنا. ملنا كل واحد إلى طريقه، والرب وضع عليه (المسيح) إثم جميعنا» (إش ٥٣: ٦).

ثانياً - ضمير الخاطئ

(آيات ١٤: ٤-٦ و٥٣: ٤ و٥)

١ – ضمير نائم: «ألم يعلم كل فاعلي الإثم الذين يأكلون شعبي كما يأكلون الخبز، والرب لم يدعوا؟» (آية ٤). هذه خطية الضمير النائم الذي يعلم أصحابه أن الله هو القاضي العادل، الذي لا بد أن يقتصّ من الظالم، ومع ذلك يفعلون الإثم ويأكلون المؤمنين الذين يخافون الله، وكأنهم يأكلون الخبز، دون أن يتأسفوا أو تتحرك ضمائرهم (انظر ميخا ٣: ٣). جهلوا أو تناسوا وتجاهلوا! لم يوفّقوا بين تصرّفهم ومعرفتهم! ألم يعلموا؟ في جهل فعلوا الإثم، وفي جهل أكلوا شعب الرب كأمر طبيعي واجب، ولم يكلموا الرب ولا دعوه في حياتهم!

غريب أمرهم، نتعجب منهم كما تعجب المسيح من عدم إيمان أهل الناصرة به، فتركهم وصار يطوف القرى المحيطة يعلّم (مر ٦: ٦).

«والرب لم يدعوا». تصرّفوا دون أن يطلبوا عون الرب وبركته على ما يفعلون، ولا استشاروه في ما سيقومون به. ولو أنهم دعوه لهداهم إلى سبُل البر. وهكذا جانب الصواب تصرفهم.

أعمال فاعلي الإثم ضد العقل والمنطق الذي يعلّم أن أجرة الخطية هي موت. وهي ضد التاريخ والاختبار الذي ينادي بأن ما يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً. وليس فعل الإثم غلطة طفل، لكنها جريمة شخصٍ ناضجٍ يقول لله: «ابعُد عنا وبمعرفة طرقك لا نُسَر» (أي ٢١: ١٤ و٢٢: ١٧).

٢ – ضمير يوجد ما يوقظه: «هناك خافوا خوفاً لأن الله في الجيل البار» (آية ٥). يرى فاعلو الإثم دائماً العقاب الذي يحلّ بهم، والحماية التي يمنحها الله للمؤمنين، لأن الله دوماً يميّز تقيّه

(مز ٤ :٣). «هناك» حيث أكلوا شعبه. «هناك» حيث ظنوا أنهم «يأكلون الخبز». «هناك» حيث تناسوا الرب، جاءهم الخوف الرهيب الذي أفزعهم، وهم يرون الله يبادر بحماية «الجيل البار». وكلما قارن الخاطئ رعبه وقلقه بالسلام الذي يعيش فيه المؤمن يخاف أكثر، لأنه يرى النتيجة ولا يرى السبب، ويرى العون دون أن يرى المعين، ويرى يداً تكتب على الحائط ولا يرى صاحبها!.. عندما ماتت سارة زوجة خليل الله إبراهيم، جاء إلى الحثيين وقال: «أنا غريب ونزيل عندكم. أعطوني مُلكَ قبر معكم لأدفن ميتي». فأجابوه: «أنت رئيسٌ من الله بيننا» (تك ٢٣:٤-٦) لأنهم رأوا ولمسوا أن الله معه.. وجاء أبيمالك ملك جرار وفيكول رئيس جيشه إلى إسحق ليعقدا صلحاً معه، بالرغم من أنهما قاوماه وطرداه من جرار، وقالا له: «رأينا أن الرب كان معك، فقُلنا: ليكن بيننا حلفٌ بيننا وبينك ونقطع معك عهداً» (تك ٢٦:٢٨).

والله دائماً يوقظ ضمير الخاطئ بأن يُريه حُسن التعامل السماوي مع الأتقياء، وذلك لهدفين: أن يشجع الأتقياء، وأن يتوّب الخطاة، فهو الله محبة.. ويقول مزمور ١٤ :٦ «رأي المسكين ناقضتم لأن الرب ملجأه». وهذه كلمات توقظ ضمير الأثيم الذي يناقض رأى التقي المسكين بالروح. ويبرهن الرب صواب رأي التقي لأنه مبنيّ على ما أعلنه في شريعته. وهذا البرهان السماوي يجعل الأثيم يراجع نفسه وأفكاره وآراءه، ويرجع عن طريق إثمه، فيحيا.

ويقول مزمور ٥٣ :٥ «هناك خافوا خوفاً ولم يكن خوف، لأن الله قد بدّد عظام مُحاصيرك». كان العدو قوياً متأكداً من النصر، وكان الأتقياء قلّة قليلة، فقلّبَ الرب الموازين البشرية، وأعلن العدالة الإلهية، فأهلك المحاصِرين، ونجّى المحاصَرين!

ثالثاً - سعادة المؤمن

(آية ١٤ :٧ و٥٣ :٦)

«ليت من صهيون خلاص إسرائيل. عند ردّ الرب سبيّ شعبه يهتف يعقوب ويفرح إسرائيل». صهيون هو الجبل الذي أُقيم عليه الهيكل، فالخلاص يكون في عبادة الرب واتّباعه. يقول «ليت» لأن كثيرين من البشر لا يخلصون لأنهم لا يتعبَّدون! ومن صهيون جاء خلاص المسيح وتحققت النبوة: «ويأتي الفادي إلى صهيون، وإلى التائبين عن المعصية» (إش ٥٩ :٢٠).

وفي الآية الأخيرة من مزموره يذكر المرنم أمرين يفعلهما الله لشعبه: إنه يخلّصهم، ويردّ سبيهم.

١ - الله يخلّص شعبه: «ليت من صهيون خلاص إسرائيل» (آية ٧أ). صهيون هي مكان وجود تابوت العهد الذي يرمز إلى أمرين على الأقل:

(أ) الله موجود وسط شعبه: كانت خيمة الاجتماع، وتابوت العهد بها، في وسط معسكر بني إسرائيل. وكانت كل الأسباط ترى تابوت العهد في الوسط. فإن أردت خلاصاً لبيتك، فليكن الرب وسط البيت. وإن أردت خلاصاً من مشكلة فليكن الرب سيد حياتك ومالك الزمام كله.

(ب) **الله أمين في العهد لشعبه**: دخل الله في عهد معنا قبل أن ندخل نحن في عهد معه. وهو عهد مختومٌ بالدم. وقدِ أدخلنا المسيح في عهد جديد يسمّيه «العهد الجديد بدمي الذي يُسفك عنكم» (لو ٢٢:٢٠). فدعونا ندخل في هذا العهد مع الله. وعندما يرى الذين حولنا أننا دخلنا مع الرب في هذا العهد بأمانة، وأن الله موجود في قلبنا وفي وسطنا، يتوبون، لأنهم يرون مقدار الخسارة التي تحل بهم نتيجة بُعدهم عن الله. ويتحقّق معنا القول: «لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السماوات» (مت ٥:١٦). وكلمة «الحسنة» في الأصل اليوناني معناها: حسنة جذابة.

٢ - **الله يردّ سبي شعبه**: «عند ردّ الرب سبي شعبه يهتف يعقوب ويفرح إسرائيل» (آية ٧ب). ردُّ السبي معناه إعادة النجاح الذي ضاع، كما قيل: «ردَّ الرب سبي أيوب» (أي ٤٢:١٠) فدعونا نطلب من الله أن يرد إلينا ما ضيَّعناه بضعفنا. إن كنت تعيش مع الرب حياة فرح وسلام، ولكنهما ضاعا منك بسبب القلق أو نقص الصلاة أو نقص الأمانة لله، فصلِّ: «رُدَّ لي بهجة خلاصك» (مز ٥١:١٢). فيحقق الرب لك قوله: «وأردُّ سبي شعبي إسرائيل، فيبنون مدناً خربة ويسكنون ويغرسون كروماً ويشربون خمرها، ويصنعون جنات ويأكلون أثمارها، وأغرسهم في أرضهم، ولن يُقلعوا بعدُ من أرضهم التي أعطيتُهم» (عا ٩:١٤ و١٥).

ليت الرب يرد لنا قوّتنا الروحية، ومحبتنا الأولى، لنقف على أقدامنا قريبين منه، نحبه من كل القلب والنفس والفكر. عندها يظهر أن الله في الجيل البار، فنهتف ونفرح لأن خلاصنا هو من عند إلهنا.

مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ
١ يَا رَبُّ، مَنْ يَنْزِلُ فِي مَسْكَنِكَ؟ مَنْ يَسْكُنُ فِي جَبَلِ قُدْسِكَ؟ ٢ اَلسَّالِكُ بِٱلْكَمَالِ،
وَٱلْعَامِلُ ٱلْحَقَّ، وَٱلْمُتَكَلِّمُ بِٱلصِّدْقِ فِي قَلْبِهِ. ٣ اَلَّذِي لَا يَشِي بِلِسَانِهِ، وَلَا يَصْنَعُ شَرّاً
بِصَاحِبِهِ، وَلَا يَحْمِلُ تَعْيِيراً عَلَى قَرِيبِهِ. ٤ وَٱلرَّذِيلُ مُحْتَقَرٌ فِي عَيْنَيْهِ، وَيُكْرِمُ خَائِفِي
ٱلرَّبِّ. يَحْلِفُ لِلضَّرَرِ وَلَا يُغَيِّرُ. ٥ فِضَّتُهُ لَا يُعْطِيهَا بِٱلرِّبَا، وَلَا يَأْخُذُ ٱلرَّشْوَةَ عَلَى
ٱلْبَرِيءِ. اَلَّذِي يَصْنَعُ هٰذَا لَا يَتَزَعْزَعُ إِلَى ٱلدَّهْرِ.

من ينزل في مسكنك؟

كتب داود هذا المزمور في نفس المناسبة التي كُتب فيها مزمور ٢٤ وهي نقل تابوت العهد إلى الخيمة التي جهّزها داود له على جبل صهيون (٢صم ٦:١٧) فتقدّس الجبل وسُمّي «جبل قدس الله». ولا بد أن نتساءل: ما هي صفات الناس الذين سيسكن الله وسطهم؟

قال الله: «إنيّ أنا الرب إلهكم فتتقدّسون وتكونون قديسين، لأني أنا قدوس» (لا ١١:١٤). إذاً قداسة الحياة هي شرط الإقامة في جبل الله، وهي تتّضح في الحياة السلوكية والعملية. «قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح، وماذا يطلبه منك الرب: إلا أن تصنع الحق، وتحب الرحمة، وتسلك متواضعاً مع إلهك» (مي ٦:٨).

وهذا أحد المزامير التي تتنبأ بصعود المسيح، إذ دخل بعد صعوده إلى مجده الأزلي، بعد أن أكمل العمل الذي تجسّد ليقوم به، وقال: «العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته. والآن مجّدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم» (يو ١٧:٤ و٥).

في هذا المزمور نجد:

أولاً - سؤال (آية ١)

ثانياً - إجابة السؤال (آيات ٢-٥أ وب)

ثالثاً - خاتمة المزمور (آية ٥ج)

أولاً - سؤال

(آية ١)

«يا رب من ينزل في مسكنك؟ من يسكن في جبل قدسك؟». و«نزول» الإنسان في مكان ما يعني أنه ينزل ضيفاً لبعض الوقت. أما «السكن» فله صفة الدوام، لأنه إقامة صاحب البيت. ويبدأ الإنسان حياته الروحية بأن ينزل ضيفاً في مسكن الرب، ولكنه يحب الرب بكل قلبه، فيطلب أن يقيم دائماً. ولكن هل يقدر إنسان أن ينزل في مسكن الله القدوس وهو خاطئ؟ ألم يصرخ إشعياء حين رأى الرب في هيكله: «ويل لي، إني هلكت!» (إش ٦:٥)؟ ألم يطلب بطرس من المسيح أن يخرج من سفينته بعد أن رأى جلال عمله لأنه رجل خاطئ؟ (لو ٥:٨).

والإجابة: إنه يقدر إن كان الله يُنعِم عليه بالتبني، فيصبح من أهل بيت الله ومسكناً لله (يو ١:١٢ وأف ٢:١٩ و٢٢). وهذا ما قاله إشعياء: «ارتعبَ في صهيون الخطاةُ. أخذت الرِّعدة المنافقين. مَن منّا يسكن في نار آكلة؟ مَن مِنّا يسكن في وقائد أبدية؟ السالك بالحق، والمتكلم بالاستقامة، الراذل مكسب المظالِم، النافض يديه من قبض الرشوة، الذي يسدُّ أذنيه عن سمع الدماء، ويغمض عينيه عن النظر إلى الشر. هو في الأعالي يسكن. حصون الصخور ملجأه. يُعطَى خبزُه، ومياهه مأمونة. الملك ببهائه تنظر عينك» (إش ٣٣:١٤-١٧).

وكل الذين قبلوا المسيح مخلّصاً، وذاقوا ونظروا ما أطيب الرب (مز ٣٤:٨) واختبروا حلاوة النزول في مسكنه يطلبون الإقامة في جبل قدسه، ليتعمقّوا أكثر في التعرُّف عليه، لأن كل يوم يمضي من حياتنا يحبّبنا في الرب أكثر، فندخل إلى العمق لنتمتع أكثر بالعيشة معه، ونقول: «أسكن في بيت الرب إلى مدى الأيام» (مز ٢٣:٦). والسؤال «مَن يسكن؟» يجعلنا نتشوَّق أن نسكن عند الرب، وأن نكون ممَّن يحبّون أن يَمْثُلوا في محضره دائماً.

الشخص الذي يبدأ ضيفاً عند الله، ويتقدم روحياً، يسكن في حضرة الله، فيقدر أن يقول مع إيليا: «حيٌّ هو الرب الذي وقفتُ أمامه» ثم يقول: «حي هو الرب الذي أنا واقف أمامه» باستمرار (١مل ١٧:١ و١٨:١٥). ويُذكّرنا استمرار الوقوف في محضر الرب بحنّة النبيّة التي ظلت أربعاً وثمانين سنة عابدة في الهيكل ليلاً ونهاراً بصلوات وأصوام (لو ٢:٣٧).

والذي ينزل ثم يسكن في جبل قدس الرب يتمتع بوعد المسيح: «الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبّني، والذي يحبّني يحبّه أبي، وأنا أحبه، وأُظهر له ذاتي.. إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبي، وإليه نأتي، وعنده نصنع منزلاً» (يو ١٤:٢١ و٢٣).

والذي يقيم ويسكن عند الرب ينعم بالرعاية، لأن رب البيت محبٌّ وغني وكريم، عنده يقول الضيف: «الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء.. ترتب قدامي مائدة تجاه مضايقيَّ» (مز ٢٣:١ و٥). وعنده يتمتع بالحماية لأن «الساكن في ستر العلي في ظل القدير يبيت» (مز ٩١:١). وعنده يتمتع برداء البر وثوب الخلاص، إذ يحضر وليمة الملك السماوي (إش ٦١:١٠ ومت ٢٢:١١).

ثانياً - إجابة السؤال

(آيات ٢-٥ب)

يقدم المرنم ثمانية أوصاف لمن يسكن في جبل الله المقدس، مارسها صاحبها بانتظام حتى صارت منهجه اليومي. ويسجّلها المرنم كأفعال، هي ثمر عمل الروح القدس داخل ساكن بيت الرب:

١ – **السلوك الصالح:** «السالك بالكمال» (آية ٢أ). السلوك أهم من الكلام، لأنه يعلن الإيمان بالعمل الصالح، وهذا هو الإيمان العامل، بخلاف إيمان الكلام الميت الخالي من العمل. وكلمة «الكمال» تصف الذبيحة التي لا عيب فيها. وفي حالة إطلاق هذا الوصف على الإنسان تعني أنه أمين وبلا لوم. وهي تصف التعبُّد المقبول لله والتصرُّف المخلص الشريف مع الناس. والكامل هو التام، كامل الاستدارة، ليس فيه «فعص». وهذا ما طلبه الله من إبراهيم: «سر أمامي وكن كاملاً» (تك ١:١٧). وطلبه من شعبه: «تكون كاملاً لدى الرب إلهك» (تث ١٣:١٨). وهو طلب المسيح: «كونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السماوات هو كامل» (مت ٤٨:٥).

وليس المقصود هنا الكمال المطلق، فإن هذا هو كمال الرب وحده. لكنه كمال القصد والنية، إذ ينوي المؤمن بكل قلبه أن يعيش للرب ويسلك بالحق.

٢ – **السلوك بالحق:** «العامل الحق» (آية ٢ب). والحق هو الصدق، والبر، والعدل. والإنسان العامل بالحق هو الصادق مع نفسه، الذي يدرك ضعفه وخطاياه، ويأتي فوراً إلى الله صارخاً: «اللهم ارحمني أنا الخاطئ» (لو ١٣:١٨) وبهذا يأخذ نفسه العطشانة إلى الله لترتوي، ويقود نفسه المحطمة إلى حيث تجد الشفاء الإلهي، مصلّياً: «قلباً نقياً اخلق فيَّ يا الله، وروحاً مستقيماً جدِّد في داخلي» (مز ١٠:٥١).

وعندما نحب نفوسنا نخلّصها بأن نأخذها إلى دم المسيح الذي يطهرنا من كل خطية، فنقدر أن نحب غيرنا، لأن الوصية تقول: «تحب قريبك كنفسك» (مر ٣١:١٢).. والعامل بالحق هو الذي يمارس إيمانه الكنسي في الشارع، ويسلك بالحق داخل بيت الرب وخارجه، لأن «من يفعل البر فهو بار كما أن ذاك بار» (ايو ٧:٣).

٣ – **الكلام بالصدق:** «المتكلم بالصدق في قلبه» (آية ٢ج). و«من فضلة القلب يتكلم الفم» (مت ٣٤:١٢). هو صادق القلب، فيخرج الصدق على لسانه. والعبارة المشهورة من المسيح هي: «الحق الحق أقول لك» (يو ٣:٣)، كما قال: «أنا هو الحق» (يو ٦:١٤)، ولذلك يطلب منا أن نتكلم بالحق والصدق في قلوبنا. وقال: «تعرفون الحق والحق يحرركم» (يو ٣٢:٨) وعندما يحررنا المسيح من حياتنا القديمة يغيّرها ويعطينا حياة جديدة، فيكون الصدق في قلوبنا، وتنطق به ألسنتنا.

وما أكثر الكذب من حولنا. هناك الكلمات ذات المعنى المزدوج، وهناك الكذب الأبيض، وهناك نصف الحق، وهناك النفاق. وإبليس هو الكذاب وأبو الكذاب (يو ٤٤:٨).

قال أحد المؤمنين: عندما تتكلم اسأل نفسك ثلاثة أسئلة: هل ما أقوله حق؟.. وإن كان حقاً فهل من

اللازم أن أقوله؟.. وإن كان صحيحاً ولازماً، فكيف أقدّمه بطريقة رقيقة تفيد الآخرين؟

٤ - صاحب اللسان الحلو (آية ٣): ويتضح ذلك من ثلاثة أمور:

(أ) «**لا يشي بلسانه**»: (آية ٣أ). والوشاية هي نقل خبر للضرر والإيقاع بالناس، وإشعال نار الخصام، لذلك قال الله: «لا تسعَ في الوشاية بين شعبك» (لا ١٩:١٦). ويصف آساف الواشي بقوله: «أطلقتَ فمك بالشر، ولسانك يخترع غشاً. تجلس تتكلم على أخيك. لابن أمك تضع معثرة» (مز ٥٠:١٩ و٢٠). والذي يسكن في جبل الله هو صاحب اللسان الحلو الذي لا ينطق بالشر على أحد، ولا يوقع ضرراً بأن ينقل للناس أخباراً كاذبة، أو لا ضرورة لروايتها، لأن «المحبة تستر كل الذنوب» (أم ١٢.١٠).

(ب) «**لا يصنع شراً بصاحبه**»: (آية ٣ب). هناك شرور كثيرة تنشأ عن سوء استخدام اللسان: «اللسان عضو صغير ويفتخر متعظماً. هوذا نار قليلة، أي وقود تحرق! فاللسان نار، عالم الإثم. هكذا جُعل في أعضائنا اللسان الذي يدنّس الجسم كله، ويضرِم دائرة الكون، ويُضرَم من جهنم.. من الفم الواحد تخرج بركة ولعنة» (يع ٣:٥ و٦ و١٠).

(ج) «**لا يحمل تعييراً على قريبه**»: (آية ٣ج). والتعيير هو السخرية من شخص لضعفٍ فيه، وهو مؤلم جداً فوق ما يستطيع القريب أن يحتمل. قال فيه المرنم: «العار قد كسر قلبي فمرضتُ. انتظرتُ رقّة فلم تكن، ومعزّين فلم أجد» (مز ٦٩:٢٠). حسناً قيل إن الذي يعيّر قريبه يحمل شيطاناً في لسانه، والذي يضحك للسخرية يحمل شيطاناً في أذنه!

٥ - لا يصادق الرذيل: «الرذيل محتقر في عينيه» (آية ٤أ). فالذي يسكن الجبل المقدس لا يصادق الذي يحب الرذيلة ويرتكبها مهما كان وضع ذلك الرذيل الاجتماعي عظيماً، ولا يجعله نموذجاً وقدوة له، ولا يغمض عينيه عن الخطأ الذي يصدر عنه.

وساكن الجبل المقدس لا يحتقر الرذيل ذاته، لكنه يحتقر الرذيلة فيه، لأن الله يحب الخاطئ مع أنه يكره الخطية. فإذا احتقر التقي رذالة الرذيل يتمم القول النبوي: «لا يُدعى اللئيم بعد كريماً، ولا الماكر يُقال له نبيل» (إش ٣٢:٥) لأن كل واحد سينال اللقب الذي يستحقه.

٦ - يحترم الأتقياء: «يكرم خائفي الرب» (آية ٤ب). «لأن الكريم بالكرائم يتآمر، وهو بالكرائم يقوم» (إش ٣٢:٨). وساكن الجبل المقدس الذي يحتقر الرذيل يكرم خائفي الرب، لأن الرب جعلهم أواني للكرامة (رو ٩:٢١ و٢٣). وقال: «أُكرم الذين يكرمونني، والذين يحتقرونني يصغرون» (١صم ٢:٣٠). وهو يكرمهم لأنهم ينتمون إلى نفس العائلة الروحية، ولأنهم مثله «أهل بيت الله» (أف ٢:١٩). وهو يطيع الوصية: «مقدّمين بعضكم بعضاً في الكرامة» (رو ١٢:١٠). ويحقّق قول المسيح: «إن كان أحدٌ يخدمني يكرمه الآب» (يو ١٢:٢٦). فليحافظ كل مؤمن على كرامة إخوته، وليكن شعارنا: «القديسون الذين في الأرض والأفاضل، كل مسرتي بهم» (مز ١٦:٣).

٧ - **صادق الوعود:** «يحلف للضرر ولا يغيّر» (آية ٤ج). فهو ينفّذ وعوده ونذوره إذا وعد ونذر، حتى لو كان هذا يؤذيه، لأنه أمين لكلمته ووعوده، فقد نطق بهما أمام الرب، والتزم بتنفيذهما. وقد أمر الله شعبه ألاّ ينكثوا بالوعود (لا ٥:٤ و٢٧:١٠) والمرنم يطيع هذا الأمر.

وساكن الجبل المقدس يتمثّل بالله كابنٍ حبيب له (أف ٥:١). ولما كان إلهنا دوماً يحقّق وعوده لنا، فعلينا أن نلتزم بأمانة الكلمة، فما أكثر ما نعِد وننذر في بدء كل سنة جديدة، أو عندما نحتفل بعيد ميلادنا، أو عندما نمرّ بمأزق، أو بعد حضور مؤتمر أو نهضة روحية. فلنكن أمناء لوعودنا حتى لو كلّفتنا الكثير، لنكون مستحقين أن نسكن في جبل قدسه. ومثالنا في ذلك هو المسيح الذي قال عند دخوله إلى العالم: «ذبيحة وقرباناً لم تُرِد، ولكن هيّأت لي جسداً. بمحرقات وذبائح للخطية لم تُسرّ. ثم قلتُ: هئنذا أجيء. في درج الكتاب مكتوب عني، لأفعل مشيئتك يا ألله» (عب ١٠:٥-٧). لقد وعد وأوفى بالرغم من التضحية الباهظة التي احتملها لأجلنا.

٨ - **يستخدم المال بطريقة صالحة** (آية ٥): ويتضح ذلك من أمرين:

(ا) «**فضته لا يعطيها بالربا**»: (آية ٥أ). والربا المنهي عنه هو الذي يُحدِث الضرر، وهذا ما اتفق نحميا مع الشعب عليه (نح ٥:١-١٣). وكانت شريعة موسى تسمح بإعطاء سُلفة للأجنبي بفوائد، أما اليهودي فيجب أن يعطي أخاه اليهودي بغير فوائد، فقالت: «لا تقرض أخاك بربا، ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء ما مما يُقرَض بربا. للأجنبي تقرض بربا، ولكن لأخيك لا تقرض بربا، لكي يباركك الرب إلهك» (تث ٢٣:١٩). وواضح أن الشريعة اليهودية تأمر بالرحمة بين اليهود فقط، وليس للأمم، بينما تعلّم المسيحية بأخوية كل البشر، فقد خلق الله من دمٍ واحد كل أمة من الناس على كل وجه الأرض (أع ١٧:٢٦) وعلّمنا أن نصلي: «أبانا الذي في السماوات» (مت ٦:٩).

ومنع الربا والفوائد الفاحشة سببه أن المدين يكون أضعف من الدائن، فالمدين يستدين ليسدّ احتياجاً، لذلك يجب مساعدته. أما في وقتنا الحاضر فإن الضعيف هو الذي يودع فضته في البنوك لتستثمرها له، لأنه يعجز عن استثمارها بنفسه. فالمدين في هذه الحالة (الذي هو البنك) هو القوي، والدائن (المودِع) هو الضعيف. فلا ظلم ولا ضرر أن يدفع البنك القوي فوائد للدائن الضعيف!

ويصوّر العهد الجديد الاستثمار بصورة تختلف عن تصوير شريعة موسى. فروى المسيح مثَل صاحب المال الذي أعطى عبيده وزنات ليشتغلوا بها. ولما لم يشتغل أحدهم قال صاحب المال له: «كان ينبغي أن تضع فضتي عند الصيارفة (البنوك). فعند مجيئي كنتُ آخذ الذي لي مع ربا (فوائد)» (مت ٢٥:٢٧). لأن الصيارفة يستثمرون المال ويشاركون المودع في الفوائد، وليس في المنفعة المتبادلة خطأ. ويعلّمنا المسيح أن الاستثمار واجب، ولكن الفائدة المجحفة والاستغلال مرفوضان.

(ب) «**لا يأخذ الرشوة على البريء**»: (آية ٥ب). الرشوة تعوّج القضاء. عندما يدفع إنسان رشوة ليأخذ ما ليس من حقه يرتكب جريمة، لأنه يكون لصاً يأخذ ما ليس له. أما الذي يأخذ الرشوة فهو لص دائماً، لأنه يساعد لصاً آخر ليأخذ ما ليس من حقه، والمعطي في هذه الحالة يعطي ما لا يمتلكه. أما المجتمعات التي تفشى فيها الفساد، حيث لا يستطيع صاحب الحق أن يحصل على حقه إلا إذا دفع

رشوة، فإن معطي الرشوة لا يرى ذلك خطية، بل يعتبر الرشوة «نفقات عمل». ولكننا نعتبره ضعيف إيمان، لأنه لم يصبر وينتظر الرب ليعطيه حقَّه. أما آخذ الرشوة فهو لص، لأنه تقاضى الرشوة مقابل إعطاء الناس حقوقهم المشروعة.

وهناك من يرفضون أن يدفعوا رشوة، لأنهم يدركون أن الله سيعطيهم حقهم، فينتظرون الرب. هؤلاء أقوياء إيمان، ولا بد أن يكرم الله إيمانهم ويقول لهم ما قاله للأعميين: «حسب إيمانكما ليكن لكما» (مت ٩:٢٩).

هذه الأوصاف الثمانية تصوّر لنا شخصية كاملة، صاحبة إيمان عامل بالمحبة، تقوم بكل المطلوب في أصغر الأمور وأكبرها على السواء، وبأمانة، لأن محبة الله قد انسكبت في القلب (رو ٥:٥).

ثالثاً - خاتمة المزمور

(آية ٥ج)

«الذي يصنع هذا، لا يتزعزع إلى الدهر». فالذي يتّصف بهذه الصفات يتواجد في محضر الله، تحت ظل الحماية الإلهية التي تضمن له النجاح، فيقول: «جعلتُ الرب أمامي في كل حين، لأنه عن يميني فلا أتزعزع» (مز ١٦:٨).

ويواجهنا سؤال: كيف يمكن أن نمارس هذه الصفات في حياة كل يوم؟ والإجابة: نمارسها عندما نحصل على برّ المسيح فنطمئن أننا ثابتون في الرب، فيسيطر الروح القدس علينا ويعطينا ثمره، وهو: «محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفّف» (غل ٥:٢٢ و٢٣). ويحاول البعض أن يُجْروا إصلاحات في حياتهم ويجمّلوها، لكن الإصلاح لا ينفع شيئاً. التغيير هو اللازم، فإن ترقيع الثوب القديم بقماش جديد لا يستمر (مر ٢:٢١). الحاجة هي إلى ثوب جديد. ويتم ذلك التجديد في حياتنا بقوة الروح القدس، لأنه «إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً» (٢كو ٥:١٧). فاطلب التغيير من الله.

ويواجهنا سؤال آخر: ألا يبدو من هذا المزمور أن العمل هو وسيلة الخلاص؟ والإجابة: إن صاحب المزمور يتحدث عن الساكن في جبل الرب المقدس، وقد أدّى كل مطالب شريعة موسى من ذبائح. فهو يعلم أنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة، وأنه بالكفارة وحدها استطاع أن يدخل مسكن الرب. فالبداية بالفداء، ويجيء العمل الصالح ثمراً للفداء بالدم. ولا بد لمن ينال التبرير بالفداء أن يُظهِر ثمر ذلك بحياة التقوى، فإننا نتبرر أمام الله بالإيمان بما عمله المسيح عنا على الصليب، كما تبرر إبراهيم الخليل (تك ١٥:٦). ونحن نتبرّر أمام الناس بالعمل الصالح، كما تبرر إبراهيم أيضاً (تك ٢٢ ويع ٢:٢١-٢٣). العمل الصالح يتبع الإيمان، فيكون إيماننا عاملاً بالمحبة.

أما الذين يرفضون الفداء بالدم، ويفتخرون بأعمالهم الصالحة كوسيلة لخلاص نفوسهم، فلا يمكن أن يُرضوا الله، لأنهم يستبعدون الطريق الذي رسمه لنا للخلاص «لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه.. متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح» (رو ٣:٢٠ و٢٤).

مُذَهَّبَةٌ لِدَاوُدَ

١ اِحْفَظْنِي يَا اَللهُ لأَنِّي عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ. ٢ قُلْتُ لِلرَّبِّ: «أَنْتَ سَيِّدِي. خَيْرِي لاَ شَيْءَ
غَيْرُكَ. ٣ اَلْقِدِّيسُونَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلأَرْضِ وَٱلأَفَاضِلُ كُلُّ مَسَرَّتِي بِهِمْ». ٤ تَكْثُرُ أَوْجَاعُهُمُ
ٱلَّذِينَ أَسْرَعُوا وَرَاءَ آخَرَ. لاَ أَسْكُبُ سَكَائِبَهُمْ مِنْ دَمٍ، وَلاَ أَذْكُرُ أَسْمَاءَهُمْ بِشَفَتَيَّ.
٥ ٱلرَّبُّ نَصِيبُ قِسْمَتِي وَكَأْسِي. أَنْتَ قَابِضُ قُرْعَتِي. ٦ حِبَالٌ وَقَعَتْ لِي فِي ٱلنُّعَمَاءِ،
فَٱلْمِيرَاثُ حَسَنٌ عِنْدِي.
٧ أُبَارِكُ ٱلرَّبَّ ٱلَّذِي نَصَحَنِي، وَأَيْضاً بِٱللَّيْلِ تُنْذِرُنِي كُلْيَتَايَ. ٨ جَعَلْتُ ٱلرَّبَّ
أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ. لأَنَّهُ عَنْ يَمِينِي فَلاَ أَتَزَعْزَعُ. ٩ لِذٰلِكَ فَرِحَ قَلْبِي وَٱبْتَهَجَتْ رُوحِي.
جَسَدِي أَيْضاً يَسْكُنُ مُطْمَئِنّاً. ١٠ لأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي ٱلْهَاوِيَةِ. لَنْ تَدَعَ تَقِيَّكَ يَرَى
فَسَاداً. ١١ تُعَرِّفُنِي سَبِيلَ ٱلْحَيَاةِ. أَمَامَكَ شِبَعُ سُرُورٍ. فِي يَمِينِكَ نِعَمٌ إِلَى ٱلأَبَدِ.

أمامك شبع سرور

هذا المزمور مذهَّبة لداود، بمعنى أن محتويات المزمور من ذهب. وتحمل خمسة مزامير أخرى (٥٦-٦٠) نفس هذا العنوان.

وهو مزمور فرح، عامر بالإيمان والرجاء والأمل. فيه تطلُّع مفرّح إلى الله، نتيجة الشركة معه: وكتب داود هذا المزمور غالباً عندما كان شاول يطارده، ووقع شاول في يده فغفر داود له. ووعد شاول أن يمتنع عن مطاردة داود، لكنه نكث وعده، وعاد يطارده من جديد. ووقع في يد داود مرة ثانية، فغفر له ثانيةً وكلّمه، فعرف شاول صوته، وقال: «أهذا هو صوتك يا ابني داود؟» فقال داود: «إنه صوتي يا سيدي الملك.. لماذا يسعى سيدي وراء عبده، لأني ماذا عملتُ، وأي شر بيدي؟.. إن كان الرب قد أهاجك ضدي فليشتَمّ تقدمةً (بمعنى: يرضى عن داود). وإن كان بنو الناس فليكونوا ملعونين أمام الرب (لماذا؟) لأنهم قد طردوني اليوم من الانضمام إلى نصيب الرب قائلين: اذهب اعبُد آلهةً أخرى» (١صم ٢٦:١٧-١٩). بسبب المطاردة حُرِم داود من العبادة، ولكن الله عوّضه فقال: «الرب نصيب قسمتي وكأسي. أنت قابض قرعتي. حبالٌ وقعت لي في النعماء، فالميراث حسن عندي» (مز ١٦:٥ و٦).

هذا المزمور نبوّة عن المسيح المقام، اقتبس الرسول بطرس منه الآية ٨ في أعمال ٢:٢٥ وقال: «لأن داود يقول فيه: كنتُ أرى الرب أمامي في كل حين، أنه عن يميني لكي لا أتزعزع». كما اقتبس منه الرسول بولس آية ١٠ في أعمال ١٣:٣٥-٣٩ وقال: «لن تدع قدوسك يرى فساداً. لأن داود بعدما خدم جيله بمشورة الله رقد وانضمّ إلى آبائه، ورأى فساداً.. وأما الذي أقامه الله فلم يرَ فساداً. فليكن معلوماً عندكم أيها الرجال الإخوة، أنه بهذا (بالمسيح المقام) يُنادى لكم بغفران الخطايا، وبهذا يتبرر كل مَن يؤمن».

في هذا المزمور نجد:

أولاً – علاقة المرنم بالله (آيتا ١ و٢)

ثانياً – علاقة المرنم بالناس، من أبرار وأشرار (آيتا ٣ و٤)

ثالثاً – المرنم وحياته على الأرض (آيات ٥-٨)

رابعاً – المرنم وحياته في الأبدية (آيتا ٩ و١٠)

خامساً – بركة المرنم الثلاثية (آية ١١)

أولاً - علاقة المرنم بالله

(آيتا ١ و٢)

يبدأ المرنم مزموره بالحديث عن علاقته بالرب، ويدعوه ليحفظه، لا من خطر محدَّد، بل من كل خطر يمكن أن يحل به، سواء شعر به قادماً عليه أم لم يشعر. إنه يدرك ضعفه وحجم الخطورة المحدقة به من الملك شاول، ولذلك يلقي اتكاله على الله، ويوضح علاقته الخاصة بالرب.

١ – الله محل الاعتماد: «احفظني يا الله لأني عليك توكلت» (آية ١). والاتكال يعني أن يعتمد الإنسان مطمئناً على من يضع ثقته فيه، كما يستسلم المريض لمشرط الجراح، أو يعطي إنسان توكيلاً عاماً لمحامٍ، لثقته في الاثنين. صلى المسيح من أجل المؤمنين: «أيها الآب القدوس، احفظهم في اسمك الذين أعطيتني» (يو ١٧:١١) والمؤمن يدرك أن «اسم الرب برج (قلعة) حصين، يركض إليه الصديق ويتمنّع» (أم ١٨:١٠). الله وحده برج الخلاص والنجاة، يدعوه المؤمن: «ميِّز مراحمك يا مخلِّص المتّكلين عليك بيمينك من المقاومين» (مز ١٧:٧).

٢ – الله هو السيِّد: «قلت للرب: أنت سيدي» (آية ٢أ) وقال: «أعطِ عبدك قوتك وخلِّص ابن أمتك» (مز ٨٦:١٦) وقال أيضاً: «يا رب إني عبدك، ابن أمتك» (مز ١١٦:١٦). ينتمي داود للرب ويُدعى اسم الله عليه. هو عبد بمحض اختياره، يقول: «أحبّ سيدي.. لا أخرج حراً» (خر ٢١:٥). لأنه عندما يستعبد نفسه لله يصبح حراً وآمناً ومطمئناً.. والله هو سيدنا لأنه خلقنا، وهو مالكنا بحكم أنه اشترانا لنفسه بدم المسيح. ومعرفتنا بهاتين الحقيقتين المباركتين تجعلنا نعترف بسيادته على حياتنا لأننا خليقة يديه، ولأننا مفديون بدمه.

٣ – **الله مصدر الخير:** «خيري لا شيء غيرك» (آية ٢ب). فالله نفسه هو خير المرنم، كما أنه يمنح المرنم كل خير. كل ما يتمناه المرنم من خير موجود في الله ومعه. فيقول له: «من لي في السماء؟ ومعك لا أريد شيئاً في الأرض» (مز ٢٥:٧٣). لقد صارت ثقة داود بالرب أسلوب فكر وطريقة حياة كل يوم. يتّجه قلبه إلى الله دائماً في وقت الخطر كما في وقت الأمان، كما تتّجه البوصلة للقطب الشمالي، وكما ينجذب الحديد للمغناطيس. يتجه لله وقت التجربة كما في وقت السلامة، ووقت الخوف كما في وقت السلام. صار الله قِبلته الدائمة، يقول له: «أن أفعل مشيئتك يا إلهي سُررت» (مز ٨:٤٠).

ثانياً - علاقة المرنم بالناس، من أبرار وأشرار
(آيتا ٣ و٤)

١ – **علاقة المرنم بالأبرار:** «القديسون الذين في الأرض والأفاضل كل مسرتي بهم» (آية ٣) يتّجه المرنم من الله في سمائه إلى المؤمنين في أرض الله، فيقول: «كل مسرّتي بهم». هي علاقة سرور بمن يحبون الرب كما يحبه هو. وهي علاقة وحدانية في الروح (أف ٣:٤). فإن «كل من يحب الوالد يحب المولود منه أيضاً. بهذا نعرف أننا نحب أولاد الله إذا أحببنا الله وحفظنا وصاياه» (١يو ١:٥ و٢).

ويطلق المرنم على الأبرار لقبين: «قديسين» و«أفاضل».

(أ) «**القديسون**»، لأن الله دعاهم ليكونوا له مملكة كهنة وأمة مقدسة (خر ٦:١٩). «قديسون» بمعنى الطاهرون الذين يعيشون «نظير القدوس الذي دعاهم من العالم» فصاروا قديسين في كل سيرة (١بط ١٥:١). ورآهم «قديسين» بمعنى المفرَزون لله، المخصَّصون له، الذين أوقفوا نفوسهم على حبه. ورآهم «قديسين» بمعنى أنهم مختلفون عن غيرهم، لأن الروح القدس فيهم يعطيهم نوعية حياة غير التي في العالم. «بهذا أولاد الله ظاهرون، وأولاد إبليس» (١يو ١٠:٣). الذي فيهم أعظم من الذي في العالم (١يو ٤:٤). ورآهم «قديسين» بمعنى مرتفعون، كما رأى إشعياء العرش الإلهي (إش ١:٦-٣) فمستواهم الروحي أعلى من مستوى المحيطين بهم. وتجيء القداسة من عمل المسيح على الصليب لتطهير القلوب «نحن مقدّسون بتقديم جسد يسوع المسيح» (عب ١٠:١٠)، ونتيجة لقبول هذا العمل لأجلنا فقد «اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة» (أف ٤:١).

ومع ذلك فقد رآهم «في الأرض» كما صلى المسيح لأجلهم: «لستُ أسأل أن تأخذهم من العالم، بل أن تحفظهم من الشرير» (يو ١٥:١٧) فإنهم يجب أن يكونوا ملح الأرض ونور العالم (مت ١٣:٥ و١٤) لكي يكونوا بلا لوم وبسطاء في وسط جيلٍ معوَّج وملتوٍ، يضيئون بينهم كأنوار في العالم، متمسّكين بكلمة الحياة (في ١٥:٢ و١٦). فبالرغم من وجودهم وسط أوحال العالم

استطاعوا أن يحتفظوا بلقب «القديسين». ونحن اليوم نقدر أن نحيا حياة القداسة في عالم مليء بالشر، لو أن الروح القدس ملك تصرفاتنا، ولو أننا قلنا للرب: «أنت سيدي. خيري لا شيء غيرك».

(ب) «**الأفاضل**»: وهم النبلاء ذوو السمعة الحسنة، الذين يتحقّق فيهم قول المسيح: «فليضئ نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات» (مت ٥:١٦).

لم يقُل المرنم إن مسرته بالأغنياء ولا بالأقوياء، بل بالذين انتمـوا للرب فسكن قلوبهم، وأعطـاهم اسماً صالحاً، لأنه رأى أنهم الأفاضل. وهناك جاذبية خاصة يضعها الروح القدس في قلـوب المؤمنين من نحو بعضهم البعض لأن المسيح ساكن فيهم، وهو سيد حياتهم، فينجذبون لبعضهم بربُط المحبة. ولو أن مؤمنين كثيرين لا يقدّرون بعضهم بعضاً كما يجب، كما أن بعض الطوائف المسيحية تقلل من قيمة غيرها. لكن كل المؤمنين قديسون وأفاضل بسبب مركزهم في المسيح. وهكذا يجب أن نراهم لأن الله يراهم كذلك.

٢ – **علاقة المرنم بالأشرار**: «تكثر أوجاعهم الذين أسرعوا وراء آخر. لا أسكب سكائبهم من دم، ولا أذكر أسماءهم بشفتيَّ» (آية ٤). يتكلم عن ضلال الأشرار وعقـاب الرب لهم، ثم يعلن مقاطعته لعبادتهم.

(أ) **ضلال الأشرار وعقابهم**: «تكثر أوجاعهم الذين أسرعوا وراء آخر» الذين يوصفون بالقول: «أما شعبي فقد بَدَلَ مجده بما لا ينفع.. لأن شعبي عمل شرّين: تركوني أنا ينبوع المياه الحية، لينقروا لأنفسهم آباراً آباراً مشقّقة لا تضبط ماءً» (إر ٢:١١ و١٣). اجتذبتهم مباهج العالم واختطفتهم أوثانه فأسرعوا وراء الضلال، في انحدار خطير يهدد سلامهم الروحي ومصيرهم الأبدي. وبهذا الضلال الروحي ظلموا أنفسهم، فكثرت أوجاعهم. ويصوّر الابن الضال في الكورة البعيدة (لو ١٥:١١-٣٢) هذه الأوجاع الكثيرة. أولها الحرمان من الحضور الأبوي، ثم الحرمان من البركة الإلهية، ثم الضياع في الأوهام والشرور وخداع الأصحاب المستغلّين. والنهاية الحزينة هي الموت الأبدي.

(ب) **مقاطعة المرنم لعبادتهم**: «لا أسكب سكائبهم من دم، ولا أذكر أسماءهم بشفتيَّ». ربما يقصد المرنم أنه لا يشترك معهم في عبادتهم الوثنية، فهم يسكبون الدماء على ذبائحهم وهو لا يفعل ذلك. أو ربما يقصد أنهم يقدمون ذبائح لأوثانهم بأيدٍ ملطخة بالدماء، وقد قال الله بفم النبي إشعياء عن أصحاب التقدمات المرفوضة: «من يذبح ثوراً فهو قاتل إنسان. من يذبح شاةً فهو ناحر كلب. من يُصعد تقدمة يُصعد دم خنزير. من أحرق لباناً فهو مبارِكٌ وثناً» (إش ٦٦:٣).

أما قوله: «لا أذكر أسماءهم بشفتيَّ» فيعني أنه لا يذكر حتى أسماء أصنامهم. كان داود قد قضى وقتاً هارباً من الملك شاول في البلاد التي تعبد الوثن، ولا بد أنهم دعوه ليطلب من أوثانهم أن تنقذه، معتقدين أنه كان محتاجاً لمساعدتهم. لكنه رفض حتى أن يتلفّظ باسم وثنهم! ويبدو هذا الكلام سهلاً عندما تكون الظروف حسنة، لكنه يحتاج إلى ولاءٍ ومحبة قويين للرب عندما تكون الظروف سيئة. ولقد كان ولاء داود لله كاملاً ومطلقاً.

ثالثاً - المرنم وحياته على الأرض

(آيات ٥-٨)

في هذه الآيات الأربع يقول داود إن الرب مُنيته وحظه ونصيبه، وفي يديه مصيره (آية ٥)، وهو الذي يختار ويقسم له، فما أجمل ميراثه! (آية ٦). والرب ناصحه الذي يرشده (آية ٧)، كما أنه يثبته فلا يتزعزع (آية ٨).

١ - **الرب نصيبه:** «الرب نصيب قسمتي، وكأسي» (آية ٥أ). و«القسمة، والكأس» هما نصيب الإنسان من الطعام والشراب والمسكن. والله يشبع كل احتياجات المؤمن. وهذا ما حدث مع اللاويين، فقد قال الرب لهارون: «لا تنال نصيباً في أرضهم ولا يكون لك قسم في وسطهم» (لماذا) «أنا قسمك ونصيبك في وسط بني إسرائيل» (عدد ١٨:٢٠). «لذلك لم يكن للاوي قسمٌ ولا نصيب مع إخوته. الرب هو نصيبه» (تث ١٠:٩). يقول المرنم: «عطشت نفسي إلى الله، إلى الإله الحي. متى أجيء وأتراءى قدام الله!» (مز ٤٢:٢) فقد قال المسيح: «أنا هو خبز الحياة. من يُقبل إليَّ فلا يجوع، ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً» (يو ٦:٣٥). لذلك يقول المرنم إن الرب «نصيب قسمتي وكأسي» أرتوي منك. أنت حظي في الحياة. أنت تعيّن لي ما أختبره. قد يكون الكأس مراً وقد يكون حلواً. قال عن الحلو: «كأسي ريّا» أي كأسي امتلأ وفاض بالخير (مز ٢٣:٥). أما الكأس المرّ فقال عنها المسيح: «يا أبتاه، إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت» (مت ٢٦:٣٩).

يرى المؤمن أن الرب نصيبه وكأسه فيفرح، لكن ما أكثر من لا يكتفون بما قسمه الله لهم من أنصبة، ويرفضون الكأس التي قدّمها لهم الرب، فيطلبون أنصبة وكؤوساً أخرى، وهم لا يعلمون أنهم بذلك يظلمون أنفسهم، ولا يُحسنون الاختيار.

ثم يقول المرنم عن الرب: «قابض قرعتي» (آية ٥ب). فالرب يختار نصيب المؤمن ويعطيه له، فلا يسلبه أحدٌ منه. عندما تُلقَى القرعة يختار الرب للمؤمن. يختار له الوظيفة، وشريك الحياة، والظروف الصعبة لينضُج، كما يختار له الظروف السهلة ليشكر ويسبح. في يدي الرب مصير المؤمن، فلا يعيش حياة الصدفة. كل ما يمرّ بنا وكل ما نمرّ به هو بالترتيب الإلهي المسبّق، وبحسب الحكمة الإلهية العظيمة.

٢ - **الرب يختار له:** «حبالٌ وقعت لي في النُعماء، فالميراث حسنٌ عندي» (آية ٦). كانوا يقسمون الأرض بين الورثة بحبْل القياس. فوقعت حبال ميراث المرنم «في النُعماء» أي في الأرض المبهجة الخصبة، وفي الأوقات السعيدة. وجاءت الآية في ترجمة حديثة «ما أحلى ما قسمتَ لي! ما أجمل ميراثي!». والذين يختبرون الله يدركون أنه دوماً يختار لهم المكان المناسب والتوقيت المناسب. أحياناً نتذمر لأن الله أعطانا مكاناً لا نريده، أو أنه أعطاه لنا في غير موعده. لكن بعد وقتٍ، عندما نتأمل المعاملة الإلهية نكتشف أنه أعطانا أفضل شيء في أحسن موعد.

٣ - **الرب ينصحه:** «أبارك الرب الذي نصحني» (آية ٧أ). يقدم المرنم الشكر لله لأنه دائماً ينصحه ليختار الرب ويتبعه في ثقة ومحبة وطاعة. والمسيح هو «المشير» (إش ٩:٦) الذي يقدم

أعظم نصيحة. « كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو ٨:١٤). ويقول الله: «أعلّمك وأرشدك الطريق التي تسلكها. أنصحك. عيني عليك» (مزمور ٣٢:٨). قال النبي إرميا: «عرفتُ يا رب أنه ليس للإنسان طريقه. ليس لإنسانٍ يمشي أن يهدي خطواته» (إر ١٠:٢٣) فما أحوجنا إلى الإرشاد الإلهي! وما أحوجنا إلى طاعة الإرشاد والسلوك فيه.

ويحدث أن الرب يقدم لنا نصيحة فنهملها، فيوبّخنا وتلومنا قلوبنا. ويصف المرنم هذا بقوله: «وأيضاً بالليل تنذرني كليتاي» (آية ٧ب). كان القدماء يعتبرون القلوب والكُلى مركز العواطف. والتعبير «تنذرني كليتاي» يعني أن ضميري يؤنّبني. فإذا نصح الرب ولم ينتصح المؤمن، ينبّهه أثناء الليل إلى الخطأ ويوبّخه عليه ويبكّته بعمل الروح القدس فيه! وكلما أصغى المؤمن للرب نال حكمة روحية وفطنة داخلية، وتحقق معه الوعد: «لا يختبئ معلّموك بعد، بل تكون عيناك تريان معلّميك، وأذناك تسمعان كلمة خلفك قائلة: هذه هي الطريق. اسلكوا فيها حينما تميلون إلى اليمين وحينما تميلون إلى اليسار» (إش ٣٠:٢٠ و٢١).

٤ - الرب يثبّته: «جعلتُ الرب أمامي في كل حين. لأنه عن يميني فلا أتزعزع» (آية ٨). بعد كل هذه البركات، هل تظنون أن المرنم يجعل شيئاً أو شخصاً أمامه غير الرب؟ إن الرب «أمامه» يقوده ويهديه. هو النموذج والمثل. والرب «عن يمينه» يضعه في موضع الحماية. والراعي الصالح يحفظ خرافه ويبذل نفسه في سبيل حراستها. له نقول: «يا رب، إلى من نذهب؟ كلام الحياة الأبدية عندك. ونحن قد آمنا» (يو ٦:٦٨ و٦٩).

رابعاً - المرنم وحياته في الأبدية

(آيتا ٩ و١٠)

يتكلم المرنم عن مستقبله الأبدي بكل رجاء وأمل.

١ - موضوع الأمل: «لذلك فرح قلبي وابتهجت روحي. جسدي أيضاً يسكن مطمئناً» (آية ٩). امتلأت حياته هنا بحضور الله، فتمتلئ حياته به في الآخرة. وفي هذه الآية يتطلّع المرنم إلى ميراثه الأبدي بسرور وثقة. قلبه فرح، وروحه ابتهجت، وجسده سيودع التراب ويسكن مطمئناً في انتظار القيامة المجيدة.

يخاف كثيرون من الموت، ولكن المؤمن الذي ثبت في الرب يقول مع داود: «جسدي أيضاً يسكن مطمئناً» فالموت بالنسبة له ليس النهاية، لكنه بداية حياة جديدة. قال المسيح: «أنا أمضي لأُعدَّ لكم مكاناً. وإن مضيتُ وأعددتُ لكم مكاناً آتي أيضاً وآخذكم إليَّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً» (يو ١٤:٢ و٣). الآن نحن مستوطنون في الجسد ومتغرّبون عن الرب، وسيجيء الوقت الذي فيه نتغرّب عن الجسد ونستوطن عند الرب (٢كو ٥:٦ و٨). قال سمعان الشيخ: «الآن تُطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام، لأن عينيَّ قد أبصرتا خلاصك» (لو ٢:٢٩ و٣٠). لا يخاف المؤمن على

جسده من التراب لأنه هيكل الروح القدس. وعند مجيء المسيح ثانيةً سيغيّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده، بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء (في ٣:٢١).

٢ – **سبب الأمل:** «لأنك لن تترك نفسي في الهاوية. لن تدع تقيّك يرى فساداً» (آية ١٠). لم يترك الله جسد المسيح في القبر لأنه قام في اليوم الثالث من بين الأموات، وهو في محبته يسمح للمؤمن أن يقول نفس الكلمات عن آخرته، فما تحقق للمسيح هو سبب وأساس ما سيتحقق للمؤمن. لقد أنار المسيح لنا الحياة وأنار الخلود بواسطة الإنجيل (٢تي ١:١٠) وقال المسيح: «إني أنا حي فأنتم ستحيون» (يو ١٤:١٩). حاضر المؤمن رائع، ولكن مستقبله أروع، وغد المؤمن أفضل من يومه، ومستقبله أفضل من حاضره، لأنه يبني رجاءه على قيامة المسيح ابن داود، التي هي عربون قيامتنا وضمانها.

وكلمات داود في هذا المزمور نبوّة عن قيامة المسيح، لأن داود بعد ما خدم جيله بمشورة الله مات ودُفن، ورأى جسده فساداً. وأما المسيح فقد أقامه الله، ولم يرَ فساداً، وعندما يعود إلى أرضنا يُضرب بالبوق، فيُقام الأموات عديمي فساد (أع ٢:٢٥ و١٣:٣٥-٣٨ و١كو ١٥:٥٢).

خامساً - بركة المرنم الثلاثية

(آية ١١)

كل من يثبت في الرب، ويجعله أمامه في كل حين، يقف الرب عن يمينه فلا يتزعزع، عندها يتحقق معه قول داود: «تعرّفني سبيل الحياة. أمامك شبع سرور. في يمينك نعم إلى الأبد» (آية ١١). وتذكر هذه الآية ثلاث بركات للمؤمن، أولها بركة تغطي ماضيه. وثانيها حاضره، وثالثها بركة لمستقبله:

١ – «**سبيل الحياة**»: بأن يقوده إلى حياة أُنس عميق بالله، وهي وحدها الجديرة بأن تُسمّى «حياة» لأنها هي التي جاء المسيح ليهبها لمحبّيه «أتيتُ لتكون لهم حياة، وليكون لهم أفضل» (يو ١٠:١٠). فإن حافظ «التعليم هو في طريق الحياة» (أم ١٠:١٧). و«سبيل الحياة» هنا لا يعني السبيل الذي يؤدي للحياة، ولكن السبيل الذي نحيا ونسلك فيه، وهو سبيل البر «في سبيل البر حياة، وفي طريق مسلكه لا موت» (أم ١٢:٢٨).

٢ – «**شبع سرور**»: تجعل الخطية الإنسان يهرب من محضر الله، فيقول: «سمعتُ صوتك في الجنة فخشيت، لأني عريان فاختبأت» (تك ٣:١٠). يمتزج الحزن بالفرح في حياة البشر، ولكن الرب يحوّل حزن المؤمن إلى فرح. والذي عرف سبيل الحياة مع الله يشبع فرحاً لأن قلبه التقي يقدر أن يستوعب ذلك الفرح. إنه يشبع بفرح الغفران والتقديس ومعرفة الله والثقة والسلام والطمأنينة. «ومفديّو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بترنم، وفرحٌ أبدي على رؤوسهم. ابتهاجٌ وفرحٌ يدركانهم، ويهرب الحزن والتنهّد» (إش ٣٥:١٠).

٣ – **«نِعمٌ إلى الأبد»**: تمتدُّ يمين الرب القوية بالعطاء والسلام. ونعمهُ أبدية: نعمة التبنّي والغفران والحياة الأبدية. وهذه كلها تبدأ هنا، ولا تنتهي أبداً. صحيحٌ أن هناك نعماً لا تبقى إلى الأبد. سيأتي يوم يتوقف فيه الجسد عن الأكل، وعن الامتلاك المادي. والرب يعطي أحباءه النعم في هذا الدهر، والنعم في الدهر الآتي.

ما أجمل نهاية هذا المزمور وهو يعلن لنا انتصار المسيح، الذي هو انتصارنا ما دمنا ثابتين فيه. «الله الذي هو غني في الرحمة.. ونحن أمواتٌ بالخطايا أحيانا مع المسيح.. وأقامنا معه، وأجلسنا في السماويات في المسيح يسوع» (أف ٢:٤-٦).

أيها المؤمنون، أهنئكم لأن الرب يعرّفكم سبيل الحياة. حاضركم رائع.. أمامكم شبع سرور.. مستقبلكم أروع: نِعَم إلى الأبد!

المزمور السابع عشر

صَلَاةٌ لِدَاوُدَ

١ اِسْمَعْ يَا رَبُّ لِلْحَقِّ. أَنْصِتْ إِلَى صُرَاخِي. أَصْغِ إِلَى صَلَاتِي مِنْ شَفَتَيْنِ بِلَا غِشٍّ.
٢ مِنْ قُدَّامِكَ يَخْرُجُ قَضَائِي. عَيْنَاكَ تَنْظُرَانِ ٱلْمُسْتَقِيمَاتِ. ٣ جَرَّبْتَ قَلْبِي. تَعَهَّدْتَهُ لَيْلًا.
مَحَّصْتَنِي. لَا تَجِدُ فِيَّ ذُمُوماً. لَا يَتَعَدَّى فَمِي. ٤ مِنْ جِهَةِ أَعْمَالِ ٱلنَّاسِ فَبِكَلَامِ شَفَتَيْكَ
أَنَا تَحَفَّظْتُ مِنْ طُرُقِ ٱلْمُعْتَنِفِ. ٥ تَمَسَّكَتْ خَطَوَاتِي بِآثَارِكَ فَمَا زَلَّتْ قَدَمَايَ.
٦ أَنَا دَعَوْتُكَ لِأَنَّكَ تَسْتَجِيبُ لِي يَا اَللّٰهُ. أَمِلْ أُذُنَيْكَ إِلَيَّ. ٱسْمَعْ كَلَامِي. ٧ مَيِّزْ
مَرَاحِمَكَ يَا مُخَلِّصَ ٱلْمُتَّكِلِينَ عَلَيْكَ بِيَمِينِكَ مِنَ ٱلْمُقَاوِمِينَ. ٨ ٱحْفَظْنِي مِثْلَ حَدَقَةِ ٱلْعَيْنِ.
بِظِلِّ جَنَاحَيْكَ ٱسْتُرْنِي ٩ مِنْ وَجْهِ ٱلْأَشْرَارِ ٱلَّذِينَ يُخْرِبُونَنِي، أَعْدَائِي بِٱلنَّفْسِ ٱلَّذِينَ
يَكْتَنِفُونَنِي. ١٠ قَلْبَهُمُ ٱلسَّمِينَ قَدْ أَغْلَقُوا. بِأَفْوَاهِهِمْ قَدْ تَكَلَّمُوا بِٱلْكِبْرِيَاءِ. ١١ فِي
خَطَوَاتِنَا ٱلْآنَ قَدْ أَحَاطُوا بِنَا. نَصَبُوا أَعْيُنَهُمْ لِيُزْلِقُونَا إِلَى ٱلْأَرْضِ. ١٢ مَثَلُهُ مَثَلُ ٱلْأَسَدِ
ٱلْقَرِمِ إِلَى ٱلِٱفْتِرَاسِ، وَكَٱلشِّبْلِ ٱلْكَامِنِ فِي عِرِّيسِهِ.
١٣ قُمْ يَا رَبُّ. تَقَدَّمْهُ. اِصْرَعْهُ. نَجِّ نَفْسِي مِنَ ٱلشِّرِّيرِ بِسَيْفِكَ، ١٤ مِنَ ٱلنَّاسِ بِيَدِكَ
يَا رَبُّ، مِنْ أَهْلِ ٱلدُّنْيَا. نَصِيبُهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ. بِذَخَائِرِكَ تَمْلَأُ بُطُونَهُمْ. يَشْبَعُونَ أَوْلَاداً
وَيَتْرُكُونَ فُضَالَتَهُمْ لِأَطْفَالِهِمْ. ١٥ أَمَّا أَنَا فَبِٱلْبِرِّ أَنْظُرُ وَجْهَكَ. أَشْبَعُ إِذَا ٱسْتَيْقَظْتُ
بِشَبَهِكَ.

عيناك تنظران المستقيمات

هذا واحد من خمسة مزامير تحمل عنوان «صلاة» ثلاثة منها لداود، هي ١٧ و٨٦ و١٤٢. وواحد لموسى هو مزمور ٩٠. ومزمورٌ «لمسكين إذا أعيا» هو ١٠٢. ومن نِعم الله علينا أنه يجعل الصعوبات بركة لنا، لأنها تجعلنا نركع صارخين طالبين عونه. لقد أحاط العدو بداود وأصحابه كالأسد القرِم المتلهّف للافتراس (آية ١٢) فصرخوا إلى الله: «في خطواتنا الآن قد أحاطوا بنا» (آية ١١). ولعل مناسبة كتابة المزمور مطاردة شاول لداود إلى برية معون.. وكان داود يفرّ من أمام شاول، وكان شاول ورجاله يحاوطون داود ورجاله ليأخذوهم (١صم ٢٣:٢٥-٢٧).

ومن نِعم الله علينا أن المزامير بركة لنا، لأنها تعلّمنا أن نصلي قائلين: «لك قال قلبي: قلتَ اطلبوا وجهي. وجهك يا رب أطلب» (مز ٢٧:٨). ويصبح شعار حياتنا دائماً «أما أنا فصلاة» (مز ١٠٩:٤). ونطيع أمر المسيح: «ينبغي أن يُصلّى في كل حين ولا يُملّ» (لو ١٨:١).

فلنطلب من الرب أن تكون الآية الأولى من هذا المزمور شعارنا: «أصغِ إلى صلاتي من شفتين بلا غش» وأن تكون آيته الأخيرة اختبارنا اليومي: «أما أنا فبالبرّ أنظر وجهك. أشبع إذا استيقظت بشَبَهك». فنشبع به وبأفضاله في بريّة هذه الحياة.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – المرنم يطلب العون بسبب براءته (آيات ١–٥)

ثانياً – المرنم يطلب العون بسبب شر أعدائه (آيات ٦–١٤)

ثالثاً – المرنم يعلن فرحه بالرب (آية ١٥)

أولاً - المرنم يطلب العون بسبب براءته

(آيات ١-٥)

١ – الرب يسمع للحق: «اسمع يا رب للحق. أنصِت إلى صراخي. أصغِ إلى صلاتي من شفتين بلا غشّ» (آية ١). يُسمِع المرنم صوته الضعيف إلى الإله القوي في ثلاث كلمات: اسمع، أنصت. أصغِ. وهو لا يشاء أن تضيع طلباته وسط ضوضاء ظالميه، وهو لا يريد إلا أن يصل صوته إلى قاضيه العادل. فالصلاة «سكب النفس» (١صم ١:١٥) وهي «سكب القلب» (مز ٦٢:٨). في هذه الطلبة لا يبني داود دعاءه على برّه الذاتي، ولا على براءته المطلقة من كل شر، فإن مزمور ٥١ يرينا كيف أسرع معترفاً بخطئه لما عرف به، بسبب حساسية ضميره. ولكنه في الحالة التي يكتب فيها مزموره هذا تحدث عن موقف معيّن كان فيه بلا ذنب، فقد طارده العدو المفتري وهو البريء، فصرخ يطلب النجدة والإنقاذ بدعوى أنه في هذا الموقف بالذات بريء. لم تكن كل حياته بلا خطأ، لكنه هنا كان يمكن أن يقول: «إن راعيتُ إثماً في قلبي لا يستمع لي الرب. لكن قد سمع الله. أصغى إلى صوت صلاتي. مباركٌ الله الذي لم يُبعِد صلاتي ولا رحمته عني» (مز ٦٦:١٨–٢٠).. كانت شكوى داود سليمة، لأنه كان على حق. كان يمكن أن يقول: «اقضِ لي يا رب كحقي، ومثل كمالي الذي فيَّ» (مز ٧:٨). وهو يعلم أنه يخاطب القاضي العادل بالقول: «جلستَ على الكرسي قاضياً عادلاً» (مز ٩:٤).

يصلي المرنم كطفل يصرخ مستنجداً بأبيه. وصلاة البريء لا تستحق القبول في ذاتها، ولكنها تلقى القبول لأنها موجّهةٌ إلى الآب المحب والقاضي العادل.

٢ – الرب يبرّر: «من قدامك يخرج قضائي. عيناك تنظران المستقيمات» (آية ٢أ). بهذا يوضح

داود أساس موقفه السليم ووقوفه في جانب الحق، فالله هو الذي يوقفه موقف الأبرار. وهناك كلمتان عبريتان للبر في العهد القديم، إحداهما تصف البر أمام الناس، والثانية تصف البر في نظر الله. جاءت الأولى وصفاً لأيوب في القول: «كان هذا الرجل كاملاً ومستقيماً (باراً) يتّقي الله ويحيد عن الشر» (أي ١:١). فقد رأى الناس صلاح أيوب واستقامته وعدالته وبره. أما البر أمام الله فيوصف صاحبه بالقول: «يحمل بركة من عند الرب وبرّاً من إله خلاصه» (مز ٥:٢٤). ويقول الرب عن هذا البر: «قريبٌ بري. قد برز خلاصي. وذراعاي يقضيان للشعوب» (إش ٥:٥١).

قال داود لله: «عيناك تنظران المستقيمات» (آية ٢ب) بمعنى الأفعال المستقيمة والناس المستقيمين. ومن هو الإنسان المستقيم إلا الذي يحتمي في كفارة المسيح فيراه الله مقبولاً؟ وكلمة «كفارة» تعني تغطية وستر. قال عنها «طوبى للذي غفر إثمه وسُترت خطيته. طوبى لرجل لا يحسب له الرب خطية ولا في روحه غش» (مز ١:٣٢ و٢). «إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله. متبرّرين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح» (رو ٢٣:٣ و٢٤). فلنعترف بخطايانا ولنلجأ إلى بر المسيح، لأنه «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم» (١يو ٩:١). وعندها يمكن أن نقول لله: «عيناك تنظران المستقيمات» معتمدين على بر المسيح.

٣ – **الرب يمتحن:** «جرّبت قلبي. تعهّدته ليلاً. محّصتني. لا تجد فيَّ ذموماً. لا يتعدّى فمي» (آية ٣). عندما أوى المرنم إلى فراشه دارت الأفكار في رأسه، وراجع ما حدث معه خلال اليوم، فرفع وجهه لله في شكر، لأنه حفظه من الشر حتى لا يُتعبه. لقد فحَصَ الله قلب نبيّه «فإن فاحص القلوب والكلى الله البار.. لأنك جرّبتنا يا الله. محّصتنا كمحص الفضة.. بالليل تنذرني كليتاي» (مز ٩:٧ و١٠:٦٦ و٧:١٦). وكانت نتيجة الفحص سلامة موقف المرنم في كلامه وعمله. وكأن داود يقول لله: «يا رب، أنت تعلم كل شيء. أنت تعرف أني أحبك» (يو ١٧:٢١). «إن لم تلُمنا قلوبنا، فلنا ثقة من نحو الله» (١يو ٢١:٣). وفحص الله كلمات نبيّه فوجد أن فمه لا يتعدّى، مثل الذين «في أفواههم لم يوجد غش، لأنهم بلا عيب قدّام (أمام) عرش الله» (رؤ ٥:١٤).

٤ – **الرب يحمي:** «من جهة أعمال الناس، فبكلام شفتيك أنا تحفّظت من طرق المعتنف (العنيف). تمسّكتْ خطواتي بآثارك فما زلّت قدماي» (آيتا ٤ و٥). قارن المرنم نفسه بغيره فوجد أنه أطاع الرب ورفض طرق المعتنفين الذين يعاملون الآخرين بقسوة ويؤذون ويدمّرون، ويقطعون الطريق ويسفكون الدماء (حز ١٠:١٨). لم يتّخذ منهم أصدقاء ولا اقتدى بتصرفاتهم، فإن طرقهم عكس طريق الحياة. لقد تبع فكر الحكيم في الأمثال: «باعِد رجلك عن الشر» (أم ٢٧:٤) ونفّذ النصيحة: «امتنعوا عن كل شبه شر» (١تس ٢٢:٥). وعندما وقف في محضر الرب، وتطهّر بكلمته قال: «تمسّكت خطواتي بآثارك فما زلّت قدماي». فإن كنا نريد عون الرب فلنراقب خطواتنا، فإن ما يزعج المؤمن ليس ما يهاجمه من الخارج، بل انحرافه من الداخل. بكلام الرب يحفظ المرنم نفسه من الشر فلا يخطئ (مز ١١:١١٩) لأن كلمة الله هي «سيف الروح» (أف ١٧:٦) ومن يتمسك بها يُقال له: «كتبتُ إليكم أيها الأحداث لأنكم أقوياء، وكلمة الله ثابتة فيكم، وقد غلبتم الشرير» (١يو ١٤:٢).

ثانياً - المرنم يطلب العون بسبب شر أعدائه

(آيات ٦-١٤)

١ - الرب هو المنقذ الوحيد: «أنا دعوتك لأنك تستجيب لي يا الله. أمِل أذنيك إليّ. اسمع كلامي. ميّز مراحمك يا مخلّص المتكلين عليك بيمينك من المقاومين. احفظني مثل حدقة العين. بظل جناحيك استرني» (آيات ٦-٨). جميل أن نلجأ إلى الله لأننا اختبرنا أمانته وصلاحه ومحبته، وعندما طلبناه استجابنا. «في يوم دعوتك أجبتني. شجعتني قوة في نفسي» (مز ١٣٨:٣). وهذا الإله المستجيب يستجيب دوماً لأنه لا يتغير، ولأن احتياجاتنا دائمة، لذلك نقول: «أمِل أذنيك إليّ. اسمع كلامي». وجميل أن نكون من أسرة مؤمنة، ونفتخر أننا النسل الروحي لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، فهذا يعني أن لنا تراثاً عميقاً في استجابة الصلاة. فإذا لم يكن لنا التراث الروحي في أسرتنا، فيمكننا بنعمة الله أن نبدأ هذا التراث في عائلتنا اليوم. قُل له: «وابدأن فيّ أنا».

ثم يقول المرنم: «ميّز مراحمك يا مخلّص المتكلين عليك بيمينك من المقاومين» (آية ٧) فهو يطلب تدخُّل الرحمة الإلهية تدخُّلاً خاصاً متميزاً لأن احتياجه عظيم، والقوة الإلهية أعظم. إنها اليمين المقتدرة الحكيمة المختبرة القوية القريبة دائماً. «ميّز مراحمك» للعقل فينجو من الجهل، وللقلب فتنتعش ثقته، وللفكر فتتبدّد مخاوفه. ولا بد أن يميّز الله مراحمه بأن يظهرها ساعة الاحتياج إليها، فهو مخلِّص المتكلين عليه في الماضي والحاضر والمستقبل.

وجميل أن نلاحظ في هذه الصلاة تركيزها على المحبة الإلهية قبل التركيز على شر الأعداء. ولو تبعنا هذا الاتجاه السليم نتعلم أن لا نركز صلاتنا على المشكلة، بل نُبعد أفكارنا عن الصعوبة، وننظر إلى رئيس إيماننا ومكمّله، وهو يعالج مشاكلنا بمحبته وقوته.

ثم يقول المرنم: «احفظني مثل حدقة العين» (آية ٨أ). عندما نطلب طلباً كبيراً نطلبه من شخص نثق فيه كثيراً، ونثق أن يُعزّنا كثيراً. وكلما أدركت أن لك مكانة كبيرة عند الرب رفَعت طلبك إلى فوق. ويطلب المرنم أن يعتبره الله مثل «حدقة العين» وهي الأرقّ والأغلى، فيعاملونها بكل العناية والحرص. ولا شك أن داود كان يتذكر كلمات موسى للشعب وهو يشرح لهم اختبارات البرية في صحراء سيناء القاحلة مدة أربعين سنة، فقال لهم: «أحاط به ولاحظه وصانه كحدقة عينه» (تث ٣٢:١٠). صحيح أن «من يمسّكم يمس حدقة عينه» (زك ٢:٨).

ويعبّر المرنم عن ثقته في محبة الله له فيقول: «بظل جناحيك استُرني» (آية ٨ب). وهو تعبير جميل عن عناية الأم بصغارها، كما تفعل الدجاجة (مت ٢٣:٣٧). «ما أكرم رحمتك يا الله! فبنو البشر في ظل جناحيك يحتمون» (مز ٣٦:٧). «لأنه بك احتمت نفسي، وبظل جناحيك أحتمي إلى أن تعبر المصائب» (مز ٥٧:١) «لأنك كنت عوناً لي، وبظل جناحيك أبتهج» (مز ٦٣:٧).

٢ - أعداء المرنم أردياء قساة: (آيات ٩-١٢).

إنهم «يخربون» ويدمرون الجسد، وهم «يكتنفون» ويحيطون بنفس المرنم ليحيا في رعب. وهم

غليظو القلب بلا رحمة «قلبهم السمين قد أغلقـوا». وكلامهم يوضـح كبريـاءهم. وهم يتابعونـه حيث يذهب، ويراقبونــه عن قُرب ليُسقِطوه أرضـاً. إنهم مثل الأسد القرِم المتلهّف للافتراس. وكالشبل الرابض الكامن في عريسه (عرينه) حيث يختبئ. إنهم يرتكبون ما يرتكبه رئيسهم «لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو» (١بط ٥:٨). وهم لا يهاجمون المرنم وحده، بل كل جماعة الرب، لذلك يقول المرنم «يخربونني» (آية ٩) و«ليزلقونا» (آية ١١).

ولما كان المرنم متأكداً من أن الرب هو منقذه الوحيد، وواثقاً من عنايته به، ومن حمايته له، يتّجه إليه بكل قلبه، صارخاً إليه من خطورة الأعداء المحيطين به، والذين يريدون أن يفترسوه، وقد خلت قلوبهم من الرحمة وامتلأت بالشر.

٣ – **أعداء المرنم ينكرون فضل الله:** «قُم يا رب. تقدّمه. اصرعهُ. نجّ نفسي من الشرير بسيفك. من الناس (الذين صنعتهم) بيدك يا رب، من أهل الدنيا (ومنحتهم) نصيبهم في حياتهم. بذخائرك (بخيرك) تملأ بطونهم» (آيتا ١٣ و١٤). «قُم يا رب» لتواجه العدو. و«تقدّمه» ليرى أن الله هو القوي والأعلى. و«اصرعه» كما يصرع الأسد الفريسة. و«نجّ نفسي من الشرير بسيفك» الذي هو كلمتك، فإنك تقول فيكون وتأمر فيصير، وكلمتك تنجي المرنم من القلق والخوف والخطر. في مرات كثيرة يظن الشرير أنه متقدم وأنه يملك زمام الموقف. ألم يكن شاول يقود جيشاً ضد شخص واحد هو داود؟ لكن الرب هو الذي يتقدّم المؤمن، فإن ظن الشرير أنه شيء فسرعان ما سيكتشف أنه ليس شيئاً.

«بذخائرك (بخيرك) تملأ بطونهم» ومع ذلك فقد ابتعدوا عن الحق، وامتلأت نفوسهم بمحبة العالم. إنهم في الكورة البعيدة عن الله، يبذّرون ما أعطاه لهم بعيش مسرف، ولا يريدون أن يعيشوا معه، ويرفضون الرجوع إليه تائبين. يأكلون خيراته وينكرون سلطانه! «القائلين لله: ابعُد عنا. وماذا يفعل القدير لهم، وهو قد ملأ بيوتهم خيراً؟» (أي ٢٢:١٧ و١٨). قال المسيح: «فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين. ويمطر على الأبرار والظالمين» (مت ٥:٤٥). ويقول الرسول بولس: «أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته. غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة؟» (رو ٢:٤).

ثالثاً - المرنم يعلن فرحه بالرب

(آية ١٥)

كان المرنم واثقاً من محبة الله له، فيعلن فرحه به هنا على الأرض، وفي الأبدية:

١ – **يعلن فرحه بالرب هنا على الأرض:** «أما أنا فبالبر أنظر وجهك» (آية ١٥أ). ما أعظم الفرق بين من يحب الرب ومن يبتعد عنه، فالخطية تحجب وجه الله عنا. لكن عندما يبررنا المسيح ننظر وجهه، وتتحقق فينا كلمته: «طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله» (مت ٥:٨). لأنه «إذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح، الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون، ونفتخر على رجاء مجد الله» (رو٥:١ و٢).

وما أبعد الفرق بين مصير المؤمن المضطهَد ومصير الشرير المضطهِد، فالمؤمن ينال نصيبه من عند الرب، وفي حضرته الكريمة في البيت الأبدي. أما الشرير فخيراته في حياته الأرضية فقط، أما نهايته فهلاك أبدي. ويقارن المرنم بين تطلعاته الروحية وتطلعات أعدائه، دون أن يشكو من نجاحهم الدنيوي، لأنه يرى أن أعظم الخير هو أن ينظر وجه الله، وينتظر رضاه، لأن البر الذي ناله من الله يعطيه الانتماء إليه، بينما الخطية تفصله عنه. تمتع موسى بالله فقال الله عنه: «فماً إلى فم وعياناً أتكلم معه، لا بالألغاز. وشبه الرب يعاين» (عدد ١٢:٨).

٢ – يعلن فرحه بالرب في الأبدية: «أشبع إذا استيقظت بشبهك» (آية ١٥ب). كأن المصائب التي عبرت به ليلٌ طويل، أفاق منه ليشبع بشبه الرب، بمعنى تجديد العلاقة به، فيقول: «استيقظت وأنا بعد معك» (مز ١٣٩:١٨). إن وجوده في محضر الله اختبار حي، وهو حقيقة لا وهم. وسيجيء يومٌ ينتقل فيه من هذه الحياة الدنيا إلى الأبدية السعيدة، فيُدفن جسده في القبر بانتظار مجيء المسيح ثانية إلى أرضنا ليقيم الأموات. وهذا الانتقال يُسمى «نوماً» يستيقظ المؤمن بعده إلى وجود مضيء في حضرة الرب، فيقول: «أشبع إذا استيقظتُ بشبهك».

ونحن اليوم نقرأ كلمات المرنم في نور العهد الجديد، فنرى تحقيقها في قول الرسول: «لأن فيه (إنجيل المسيح) مُعلَنٌ برُّ الله بإيمانٍ، لإيمانٍ. كما هو مكتوب: أما البار فبالإيمان يحيا» (رو ١:١٧). فالإنجيل هو إعلان طريق الخلاص. كما أنها تحققت في تجسّد المسيح المخلّص، حتى أن كل من يراه يرى الآب (يو ١٤:٩). وستتحقّق هذه الكلمات بالكامل عند مجيء المسيح ثانية، «نعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله، لأننا سنراه كما هو» (١يو ٣:٢). «وهم سينظرون وجهه، واسمه على جباههم» (رؤ ٢٢:٤). نعم سيجيء المسيح، وعندها «يغيّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده، بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء» (في ٣:٢١).

ماذا تريد أن تكون؟ هل «بذخائر تملأ بطنك» فتكون الحياة الدنيا أقصى مُناك؟ أم بالبر تنظر وجهه، فتشبع إذا استيقظتَ بشبهه؟.. اختر الحياة فتحيا.

المزمور الثامن عشر

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ. لِعَبْدِ ٱلرَّبِّ دَاوُدَ ٱلَّذِي كَلَّمَ ٱلرَّبَّ بِكَلَامِ هٰذَا ٱلنَّشِيدِ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي
أَنْقَذَهُ فِيهِ ٱلرَّبُّ مِنْ أَيْدِي كُلِّ أَعْدَائِهِ وَمِنْ يَدِ شَاوُلَ. فَقَالَ:
١ أُحِبُّكَ يَا رَبُّ يَا قُوَّتِي. ٢ ٱلرَّبُّ صَخْرَتِي وَحِصْنِي وَمُنْقِذِي. إِلٰهِي صَخْرَتِي بِهِ
أَحْتَمِي. تُرْسِي وَقَرْنُ خَلَاصِي وَمَلْجَإِي. ٣ أَدْعُو ٱلرَّبَّ ٱلْحَمِيدَ فَأَتَخَلَّصُ مِنْ أَعْدَائِي.
٤ اِكْتَنَفَتْنِي حِبَالُ ٱلْمَوْتِ، وَسُيُولُ ٱلْهَلَاكِ أَفْزَعَتْنِي. ٥ حِبَالُ ٱلْهَاوِيَةِ حَاقَتْ بِي.
أَشْرَاكُ ٱلْمَوْتِ ٱنْتَشَبَتْ بِي. ٦ فِي ضِيقِي دَعَوْتُ ٱلرَّبَّ وَإِلَى إِلٰهِي صَرَخْتُ، فَسَمِعَ مِنْ
هَيْكَلِهِ صَوْتِي، وَصُرَاخِي قُدَّامَهُ دَخَلَ أُذُنَيْهِ. ٧ فَٱرْتَجَّتِ ٱلْأَرْضُ وَٱرْتَعَشَتْ أُسُسُ ٱلْجِبَالِ.
ٱرْتَعَدَتْ وَٱرْتَجَّتْ لِأَنَّهُ غَضِبَ. ٨ صَعِدَ دُخَانٌ مِنْ أَنْفِهِ، وَنَارٌ مِنْ فَمِهِ أَكَلَتْ. جَمْرٌ ٱشْتَعَلَتْ
مِنْهُ. ٩ طَأْطَأَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَنَزَلَ وَضَبَابٌ تَحْتَ رِجْلَيْهِ. ١٠ رَكِبَ عَلَى كَرُوبٍ وَطَارَ،
وَهَفَّ عَلَى أَجْنِحَةِ ٱلرِّيَاحِ. ١١ جَعَلَ ٱلظُّلْمَةَ سِتْرَهُ. حَوْلَهُ مِظَلَّتَهُ ضَبَابَ ٱلْمِيَاهِ وَظَلَامَ
ٱلْغَمَامِ. ١٢ مِنَ ٱلشُّعَاعِ قُدَّامَهُ عَبَرَتْ سُحُبُهُ. بَرَدٌ وَجَمْرُ نَارٍ. ١٣ أَرْعَدَ ٱلرَّبُّ مِنَ
ٱلسَّمَاوَاتِ، وَٱلْعَلِيُّ أَعْطَى صَوْتَهُ بَرَداً وَجَمْرَ نَارٍ. ١٤ أَرْسَلَ سِهَامَهُ فَشَتَّتَهُمْ وَبُرُوقاً كَثِيرَةً
فَأَزْعَجَهُمْ. ١٥ فَظَهَرَتْ أَعْمَاقُ ٱلْمِيَاهِ، وَٱنْكَشَفَتْ أُسُسُ ٱلْمَسْكُونَةِ مِنْ زَجْرِكَ يَا رَبُّ، مِنْ
نَسَمَةِ رِيحِ أَنْفِكَ. ١٦ أَرْسَلَ مِنَ ٱلْعُلَى فَأَخَذَنِي. نَشَلَنِي مِنْ مِيَاهٍ كَثِيرَةٍ. ١٧ أَنْقَذَنِي مِنْ
عَدُوِّي ٱلْقَوِيِّ، وَمِنْ مُبْغِضِيَّ لِأَنَّهُمْ أَقْوَى مِنِّي. ١٨ أَصَابُونِي فِي يَوْمِ بَلِيَّتِي، وَكَانَ
ٱلرَّبُّ سَنَدِي. ١٩ أَخْرَجَنِي إِلَى ٱلرُّحْبِ. خَلَّصَنِي لِأَنَّهُ سُرَّ بِي. ٢٠ يُكَافِئُنِي ٱلرَّبُّ حَسَبَ
بِرِّي. حَسَبَ طَهَارَةِ يَدَيَّ يَرُدُّ لِي. ٢١ لِأَنِّي حَفِظْتُ طُرُقَ ٱلرَّبِّ وَلَمْ أَعْصِ إِلٰهِي. ٢٢ لِأَنَّ
جَمِيعَ أَحْكَامِهِ أَمَامِي، وَفَرَائِضَهُ لَمْ أُبْعِدْهَا عَنْ نَفْسِي. ٢٣ وَأَكُونُ كَامِلًا مَعَهُ وَأَتَحَفَّظُ مِنْ
إِثْمِي. ٢٤ فَيَرُدُّ ٱلرَّبُّ لِي كَبِرِّي وَكَطَهَارَةِ يَدَيَّ أَمَامَ عَيْنَيْهِ.

٢٥ مَعَ ٱلرَّحِيمِ تَكُونُ رَحِيماً. مَعَ ٱلرَّجُلِ ٱلْكَامِلِ تَكُونُ كَامِلًا. ٢٦ مَعَ ٱلطَّاهِرِ
تَكُونُ طَاهِراً. وَمَعَ ٱلْأَعْوَجِ تَكُونُ مُلْتَوِياً. ٢٧ لِأَنَّكَ أَنْتَ تُخَلِّصُ ٱلشَّعْبَ ٱلْبَائِسَ،
وَٱلْأَعْيُنُ ٱلْمُرْتَفِعَةُ تَضَعُهَا. ٢٨ لِأَنَّكَ أَنْتَ تُضِيءُ سِرَاجِي. ٱلرَّبُّ إِلٰهِي يُنِيرُ ظُلْمَتِي.

٢٩ لأَنِّي بِكَ ٱقْتَحَمْتُ جَيْشاً، وَبِإِلٰهِي تَسَوَّرْتُ أَسْوَاراً. ٣٠ اَللّٰهُ طَرِيقُهُ كَامِلٌ. قَوْلُ
ٱلرَّبِّ نَقِيٌّ. تُرْسٌ هُوَ لِجَمِيعِ ٱلْمُحْتَمِينَ بِهِ. ٣١ لأَنَّهُ مَنْ هُوَ إِلٰهٌ غَيْرُ ٱلرَّبِّ! وَمَنْ هُوَ
صَخْرَةٌ سِوَى إِلٰهِنَا! ٣٢ ٱلإِلٰهُ ٱلَّذِي يُمَنْطِقُنِي بِٱلْقُوَّةِ وَيُصَيِّرُ طَرِيقِي كَامِلاً. ٣٣ ٱلَّذِي
يَجْعَلُ رِجْلَيَّ كَٱلإِيَّلِ، وَعَلَى مُرْتَفِعَاتِي يُقِيمُنِي. ٣٤ ٱلَّذِي يُعَلِّمُ يَدَيَّ ٱلْقِتَالَ فَتُحْنَى
بِذِرَاعَيَّ قَوْسٌ مِنْ نُحَاسٍ. ٣٥ وَتَجْعَلُ لِي تُرْسَ خَلاَصِكَ، وَيَمِينُكَ تَعْضُدُنِي، وَلُطْفُكَ
يُعَظِّمُنِي. ٣٦ تُوَسِّعُ خُطُوَاتِي تَحْتِي فَلَمْ تَتَقَلْقَلْ عَقِبَايَ. ٣٧ أَتْبَعُ أَعْدَائِي فَأُدْرِكُهُمْ وَلاَ
أَرْجِعُ حَتَّى أُفْنِيَهُمْ. ٣٨ أَسْحَقُهُمْ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ ٱلْقِيَامَ. يَسْقُطُونَ تَحْتَ رِجْلَيَّ.
٣٩ تُمَنْطِقُنِي بِقُوَّةٍ لِلْقِتَالِ. تَصْرَعُ تَحْتِي ٱلْقَائِمِينَ عَلَيَّ. ٤٠ وَتُعْطِينِي أَقْفِيَةَ أَعْدَائِي
وَمُبْغِضِيَّ أُفْنِيهِمْ. ٤١ يَصْرُخُونَ وَلاَ مُخَلِّصَ. إِلَى ٱلرَّبِّ فَلاَ يَسْتَجِيبُ لَهُمْ. ٤٢ فَأَسْحَقُهُمْ
كَٱلْغُبَارِ قُدَّامَ ٱلرِّيحِ. مِثْلَ طِينِ ٱلأَسْوَاقِ أَطْرَحُهُمْ. ٤٣ تُنْقِذُنِي مِنْ مُخَاصَمَاتِ ٱلشَّعْبِ.
تَجْعَلُنِي رَأْساً لِلأُمَمِ. شَعْبٌ لَمْ أَعْرِفْهُ يَتَعَبَّدُ لِي. ٤٤ مِنْ سَمَاعِ ٱلأُذُنِ يَسْمَعُونَ لِي. بَنُو
ٱلْغُرَبَاءِ يَتَذَلَّلُونَ لِي. ٤٥ بَنُو ٱلْغُرَبَاءِ يَبْلُونَ وَيَزْحَفُونَ مِنْ حُصُونِهِمْ. ٤٦ حَيٌّ هُوَ ٱلرَّبُّ
وَمُبَارَكٌ صَخْرَتِي وَمُرْتَفِعٌ إِلٰهُ خَلاَصِي، ٤٧ ٱلإِلٰهُ ٱلْمُنْتَقِمُ لِي، وَٱلَّذِي يُخْضِعُ ٱلشُّعُوبَ
تَحْتِي. ٤٨ مُنَجِّيَّ مِنْ أَعْدَائِي. رَافِعِي أَيْضاً فَوْقَ ٱلْقَائِمِينَ عَلَيَّ. مِنَ ٱلرَّجُلِ ٱلظَّالِمِ
تُنْقِذُنِي. ٤٩ لِذٰلِكَ أَحْمَدُكَ يَا رَبُّ فِي ٱلأُمَمِ وَأُرَنِّمُ لٱسْمِكَ. ٥٠ بُرْجُ خَلاَصٍ لِمَلِكِهِ،
وَٱلصَّانِعُ رَحْمَةً لِمَسِيحِهِ، لِدَاوُدَ وَنَسْلِهِ إِلَى ٱلأَبَدِ.

أحبك يا رب

كتب داود هذا المزمور بعد أن انتهت متاعبه مع شاول الذي كان يطارده، وبعد أن استراح من أعدائه الذين كانوا يهاجمونه باستمرار، فتولى المملكة في أورشليم. وأرسل الله النبي ناثان ليقول له: «أنا أخذتك من المربض من وراء الغنم لتكون رئيساً على شعبي إسرائيل، وكنتُ معك حيثما توجَّهتَ، وقرضتُ جميع أعدائك من أمامك، وعملت لك اسماً عظيماً كاسم العظماء الذين في الأرض.. والرب يخبرك أن الرب يصنع لك بيتاً» (٢صم ٧:٨-١١). وتأمل داود ماضي حياته، ورأى إنعام الله عليه في كل خطوة خطاها، ففاض قلبه بالشكر للإله المحب الأمين الذين رفعه إلى منصب المُلك، ونصره على أعدائه في الداخل والخارج، فكتب هذا المزمور أولاً ليرتله مع عائلته، كما نقرأه في ٢صم ٢٢. ثم نقّحه ليُرتَّل في العبادة الجمهورية كما نجده في مزمورنا. ومع أن داود يشكر الله الذي نصّبه ملكاً، إلا أنه يدعو نفسه في أول المزمور «عبد الرب» ولا يقول إنه الملك، فقد حسب عبوديته للرب امتيازاً أكبر من المُلك. وهو نفس اللقب العزيز الذي حصل موسى عليه (يش ١:٢ و١٣ و١٥). ولم يكتب داود مزموره ليفتخر بما أعطاه الله له، ولكن ليعترف بفضل الله عليه. وهكذا يجب أن نفعل.

هذا المزمور «مسياوي» بمعنى أنه نبوّة عن السيد المسيح الذي جاء أرضنا فواجه المتاعب ولكنه

انتصر عليها، وانتشرت مملكته في العالم. وقد اقتبس كاتب رسالة العبرانيين الآية الثانية من مزمورنا على أنها من كلمات المسيح وهو يقول: «أنا أكون متوكلاً عليه. وأيضاً: ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله» (عب ٢:١٣). واقتبس الرسول بولس الآية ٤٩ من مزمورنا في رومية ٩:١٥ «أما الأمم فمجّدوا الله من أجل الرحمة كما هو مكتوب: من أجل ذلك سأحمدك في الأمم، وأرتل لاسمك». وهذا ما حدث للأمم في عهد المسيح.

وترمز نصرة الملك داود لنصرة المسيا «ابن داود». وهوذا أعظم من داود ههنا! كما أن نصرة المسيح هي نصرة كل واحد من الذين يحبونه وينتمون إليه، كما تقول الآية الأخيرة من المزمور: «برجُ خلاصٍ لملكه، والصانع رحمةً لمسيحه، لداود ونسله إلى الأبد».

في هذا المزمور نجد:

القسم الأول - احتفال بالنجاة المعجزية (آيات ١-٢٤)

القسم الثاني - احتفال بالنصرة الحربية (آيات ٢٥-٥٠)

القسم الأول
احتفال بالنجاة المعجزية
(آيات ١-٢٤)

وفي هذه الآيات نرى المرنم:

١ - يعلن محبته للرب (آيات ١-٣)

٢ - ينجو نجاةً معجزية (آيات ٤-١٩)

٣ - ويتعهّد بتكريس نفسه للرب (آيات ٢٠-٢٤)

أولاً - المرنم يعلن محبته للرب
(آيات ١-٣)

١ - الرب موضوع حب المرنم: «أحبك يا رب يا قوتي» (آية ١). هذه مشاعر طفل يعلنها لأبيه بغاية الرقّة، فالله هو حبه الأول والأقوى والأعظم. وهو بهذا يعلن طاعته وللوصية الأولى والعظمى (مت ٢٢:٣٦). ويجب أن نرد صدى حبه بحب صادق، فنحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً (١يو ٤:١٩). عندما تولى داود المُلك لا بد أنه ذكر عوامل كثيرة ساعدته ليصل إلى العرش، منها محبة الأصدقاء (كيوناثان) الذين عاونوه والذين أحبّهم، ومنها حرصه على سلامته الشخصية تطبيقاً للوصية: «أحب قريبك كنفسك» (مت ١٩:١٩). ومنها محبته للطبيعة والعالم التي ألهمته كتابة المزامير فرفعت روحه

المعنوية. لكنه هنا يبدأ بالأولويات السليمة، فإن الله هو الذي يستحق أول الحب وأعظم الود. وكل حبٍ في القلب لكل مخلوق هو نتيجة حب ذلك القلب لله، فالذي يحب الوالد يحب المولود منه أيضاً (ايو ١:٥). والمؤمن الصادق هو الذي يحب الله أكثر مما يحب عطايا الله. وهو الذي ينشد قول الرسول بولس: «من سيفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدّة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف؟.. ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا. فإني متيقّنٌ أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة، ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا» (رو ٨:٣٥-٣٩).

سأل المسيح تلميذه بطرس: «يا سمعان بن يونا، أتحبني أكثر من هؤلاء؟ قال له: نعم يا رب. أنت تعلم أني أحبك» (يو ٢١:١٥). ولم يكن هذا الحب في إمكان بطرس ولا أحدٍ غير بطرس لولا أن الرب كان «قوته». فقد منح الرب تلاميذه يوم الخمسين قوة الروح القدس، فأحبوا الرب بقوةٍ من الرب، لأنهم بدونه لا يقدرون أن يفعلوا شيئاً (أع ١:٨). فالله هو قوة حياتنا وإنجازنا ونصرتنا، بل هو حياتنا ذاتها، وبغيره لا حياة لنا.

٢ - **الدافع على الحب:** (آيتا ٢ و٣). كمال صفات الله تدفعنا لنحبه، وقد ذكر المرنم في آية ٢ سبع صفات، هي عدد الكمال!

(أ) «**صخرتي**»: تذكر داود الصخور والكهوف التي كان يحتمي فيها عندما كان شاول يطارده، فلم يقدر أن ينال منه شيئاً (٢صم ٢٣:٢٥ و٢٨). وهو وصفٌ أورده موسى في نشيده (تث ٣٢:٤ و١٨ و٣٠ و٣١ و٣٧). والرب صخرة المؤمن للاختباء والاحتماء، وهو صخرته الذي لا يتغيَّر.

(ب) «**حصني**»: والحصن هو القلعة (١صم ٢٢:٤ و٢٤:٢). وقلعة المؤمن هي اسم الرب، البرج الحصين الذي يركض إليه الصدّيق ويتمنَّع (أم ١٨:١٠). ونحن نحتمي في الرب لما نثبت فيه ويثبت هو فينا.

(ج) «**منقذي**»: وهذا إعلان لثقة أكبر في محبة الرب، فقد يقف المحارب على صخرة ومع ذلك يصيبه سهمٌ قاتل. وربما يكون داخل حصن ولكن الحصن ينهار، أو قد يحتله الأعداء. لكن داود يقول إن الرب هو المنقذ. «إن قامت عليّ حربٌ ففي ذلك أنا مطمئن» (مز ٢٧:٣).

(د) «**إلهي**»: ليس فيه تغيير ولا ظل دوران (يع ١:١٧). خالق السماء والأرض، ومع ذلك فإنه في حبه يتنازل ويسمح للمؤمن أن يقول إنه إلهي أنا: «حبيبي لي وأنا له» (نش ٢:١٦).

(هـ) «**ترسي**»: والترس هو قطعة خشب مغطاة بالجلد، من خلفها سَيْر، يمسكه الجندي بيده اليسرى ليحمي نفسه من الحجارة ومن السهام ومن قطع الفحم المشتعلة التي تُلقى عليه، فيتلقّاها بالترس. والرب هو ترسنا الذي يحمينا من كل ما يلقيه العدو علينا، سواء كان العدو إنساناً أو حيواناً أو شيطاناً.

(و) «**قرن خلاصي**»: ويرمز القرن للقوة التي لا تُقاوم، وكان يُستخدم للهجوم وللدفاع. والرب

هو «القرن» الذي يحمي المؤمن، ويبعد عنه الأذى، ويمنحه النصر.

(ز) «**ملجاي**»: والملجأ هو الحصن القائم فوق الجبل، محاطاً بأسوار عالية يصعب على العدو الوصول إليه أو تسلّق أسواره. وربما يشير إلى المدينة الملجأ التي كان القاتل سهواً يهرب إليها فيلقى الحماية ما دام مقيماً بها.

٣ – **نتيجة هذا الحب**: «أدعو الرب الحميد فأتخلّص من أعدائي» (آية ٣). يضع المرنم ثقته في الرب حاضراً ومستقبلاً، فإن الله نفسه هو المنقذ، يدعوه المرنم ويصلي له بثقة المحب، طالباً الخلاص الدائم من أعدائه. فأينما وحيثما جاء العدو كأسدٍ مهاجم، ينقذ الله عبده، بسبب العلاقة الشخصية الحميمة بينهما. لذلك يدعو المرنم الرب لينقذه من العدو الشرير، ومن اليوم الشرير. فإذا سنحت الفرصة للعدو أن يهاجم المرنم في يوم شرير، فإن العناية الإلهية المتوافرة دائماً تسرع بالخلاص وتمنح الأمان.

ثانياً - نجاة المرنم المعجزية

(آيات ٤-١٩)

١ – **الخطورة التي نجا منها**: (آيتا ٤ و٥). نجا المرنم من خطر شديد، يصفه بأربع صور: كأن مشنقةً كانت منصوبةً له، فلا مفرّ من الموت. وكان كغريقٍ في مياه هادرة لا يملك أن ينجو منها. وكان كأسيرٍ وقع في شبكة. وكان كمن أُمسك في فخ. فيقول: «اكتنفتني حبال الموت، وسيول الهلاك أفزعتني» (آية ٤). أراد شاول أن يهلكه. لكن الله أنقذه من موت محقق. وكان في خطر أن يُدفن: «حبال الهاوية حاقت بي. أشراك الموت انتشبت بي» (آية ٥) وكأن حبلاً يشدُّه إلى المقبرة. لكن الله أنقذه. وكلما اشتدّت الأخطار التي نتعرّض لها يشتد خلاص الله لنا ويزداد وضوحاً.

٢ – **الصلاة وسيلة النجاة**: «في ضيقي دعوت الرب، وإلى إلهي صرخت. فسمع من هيكله صوتي، وصراخي قدامه دخل أذنيه» (آية ٦). كانت صلواته دائمة ومستمرة حتى سمعها الله في هيكله السماوي (لم يكن هيكل سليمان قد بُني بعد). أحياناً كان يصلي بصوت هادئ «يدعو». وأحياناً كان يرى الخطر «فيصرخ». وفي الحالتين لم يتضايق الرب منه، بل سمعه وأنقذه. وسواء دعونا الرب بالأنين والهمس، أو صرخنا، فإنه يسمعنا. فالصلاة هي الباب الأعلى المفتوح في السماء، حيث يسكن «إلهي» سامع الصلاة الذي إليه يأتي كل بشر، وخصوصاً أولاده المؤمنون.

٣ – **وصف النجاة**: (آيات ٧-١٩).

(أ) **هي بقوة المعين السماوي**: «فارتجّت الأرض وارتعشت أسس الجبال. ارتعدت وارتجت لأنه غضب. صعد دخانٌ من أنفه ونارٌ من فمه أكلت. جمر اشتعلت منه. طأطأ السموات ونزل، وضباب تحت رجليه» (آيات ٧-٩). هذه الصورة الوصفية ترينا أن الله تدخل بطريقة قوية للغاية. لقد تحركت الأشياء الراسخة، فمن فرط قوة الله يتزعزع البيت (أع ٤:٣١) وتنفتح أبواب السجن

(أع ١٦:٢٦) وترتجف القلوب القاسية (أع ١٦:٢٩). الذي ثبّت الأرض يُرعب الأرض ويهزُّها، دون أن يهتزّ لأولاده جفن! وإذ يعلن الله غضبه على مَن يضطهدون شعبه يكون كأن ناراً تخرج من فمه لتهلكهم، وكأن دخان النار صعد من أنفه، لأن من يمسُّهم يمس حدقة عينه! (زك ٢:٨) ويتنازل الله لينقذ المؤمن: «طأطأ السماوات ونزل». وما أعظم تنازله لنا في المسيح، ومع ذلك فإن كثيرين لا يدركونه لأن «النور يضيء في الظلمة، والظلمة لم تدركه» (يو ١:٥)! وأما الذين ينير الروح القدس بصائرهم فيرون كيف أن «كل وطاء يرتفع، وكل جبل وأكمة ينخفض، ويصير المعوجُّ مستقيماً والعراقيب سهلاً» (إش ٤٠:٤) لأن الله هو «المتكلم بالبر، العظيم للخلاص» (إش ٦٣:١).

(ب) **هي نجاة سريعة**: «ركب على كروب وطار، وهفَّ على أجنحة الرياح» (آية ١٠). والكروب هو الملاك الخادم والحارس ذو الجناحين الذي حرس طريق شجرة الحياة (تك ٣:٢٤) وصنع موسى على شكله كروبَيْن وقفا على غطاء تابوت العهد (خر ٢٥:١٧-٢٢) للتعبير عن حلول مجد الرب. ورأى النبي حزقيال «كروبيم» (جمع كروب) في محضر الله (حز ١٠:١-٣). وفي هذه الصورة الشعرية البليغة نرى سرعة الإنقاذ الإلهي وقوته، فالنجاة تسرع «طائرة» تهف على أجنحة الريح، كما جاءت لموسى في السفط (خر ٢:٥) وكما جاءت لبطرس المسجون والذي كانت الكنيسة تصلي من أجله، فأرسل الله ملاكه وفتح أبواب السجن وفك قيوده وقاده ليخرجه إلى الرحب (أع ١٢). والرب بطيء الغضب لكنه سريع الرحمة، لا يشاء أن يهلك أناس، بل أن يتوب الجميع.

(ج) **هي نجاة بطريقة سرّية**: «جعل الظلمة ستره، حوله مظلته ضباب المياه وظلام الغمام» (آية ١١). كان الجنود يحرسون القبر المختوم بكل حرص، وقد أفادهم رؤساؤهم أن تلاميذ المسيح سيأتون ليسرقوا جسده من قبره. وقام المسيح دون أن يروه، ولا رأوا الملائكة التي جاءت لتحتفي بالقيامة (مت ٢٨). وكان ١٦ جندياً يحرسون بطرس في السجن، ولم يستطيعوا أن يروا الملاك الذي جاء وأنقذه (أع ١٢). فللرب طرقه السرّية لإنقاذ المؤمنين، لا تراها إلا عين الإيمان وحدها، لأنها تميز تعاملات الله التي لا تتضح للعدو. وقد قيل إن الله إلهٌ «مُحتجب» (إش ٤٥:١٥) وذلك عن عين العدو! فإن «مجد الله إخفاء الأمر، ومجد الملوك فحص الأمر» (أم ٢٥:٢).

(د) **هي نجاة واضحة**: «من الشعاع قدامه عبرت سحبه، بَرَدٌ وجمر نار» (آية ١٢). هذه صورة البرق الذي يصاحب الرعد، فيعلن الصوت والضوء معاً عظمة القوة الإلهية، كما حدث يوم ضرب الله المصريين بضربة البرد (خر ٩:٢٣ و٢٤). لقد جاءت المعونة سراً، ولكن نتيجتها كانت واضحة لكل ذي عينين. وهذا ما حدث مع داود، فقد أراد شاول أن يقتله، ولكن النتيجة النهائية كانت أن شاول قتل نفسه وانتحر، وجلس داود على العرش بعد أن بايعه كل الشعب.

(هـ) **هي نجاة تعلن قدرة الله**: (آيات ١٣-١٨).

وتظهر هذه القدرة في أربعة أمور:

(١) صوت الله: «أرعد الرب من السماوات، والعليُّ أعطى صوته بَرَداً وجمر نار» (آية ١٣). وجد داود موضوع شكره في ما يرعب الأعداء، لأن معونته في الله العلي ساكن السماء، القدوس

اسمه. ففي دينونة الله للشرير عزاء المؤمن. ومن الغريب أن الله يستخدم النقيضين: البَرَد، وجمر النار، فهو سيد الطبيعة!

(٢) سلاح الله: «أرسل سهامه فشتّتهم، وبروقاً كثيرة فأزعجهم» (آية ١٤). طارت البروق كالسهام القوية فتشتّت العدو مرتعباً بغير انتظام. «الشمس والقمر وقفا في بروجهما لنور سهامك الطائرة، للمعان برق مجدك» (حب ٣:١١).

(٣) قوة الله: «فظهرت أعماق المياه، وانكشفت أسس المسكونة من زجرك يا رب، من نسمة ريح أنفك» (آية ١٥). تراجعت مياه البحر الأحمر، ومياه نهر الأردن، فظهرت الأرض! «بريح أنفك تراكمت المياه. انتصبت المياه الجارية كرابية. تجمدت اللجج في قلب البحر» (خر ١٥:٨). كان المصريون يملكون أحدث تكنولوجيا عالم ذلك الوقت، وكان بنو إسرائيل جماعة من المستضعفين الذين لا حماية لهم، وتدخّلت العناية السماوية لتشق البحر، لأن الله يحمي جماعة المؤمنين.

(٤) إنقاذ الله: «أرسل من العُلى فأخذني. نشلني من مياه كثيرة. أنقذني من عدوي القوي ومن مبغضيّ لأنهم أقوى مني. أصابوني في يوم بليتي. وكان الرب سندي» (آيات ١٦-١٨). والسند هو العكاز الذي يستند عليه المتعَب والضعيف الذي لا يقوى على الوقوف طويلاً.

(و) اكتمال معونته: «أخرجني إلى الرُّحب. خلّصني لأنه سُرَّ بي» (آية ١٩). النعمة المجانية هي أساس كل تعاملات الله مع شعبه. لا يترك الرب المؤمن حتى يمتّعه بالخلاص الكامل. هذا اختبار المؤمنين في كل عصر. اختبره يوسف لما خرج من السجن إلى القصر، واختبره داود لما خرج من مغارة عدلام إلى العرش، واختبره بطرس لما دعاه المسيح ليصيد الناس ويترك صيد السمك! ينقذ الله منتظريه ومحبّيه من ضيق خطاياهم وعذاب ضميرهم بالغفران، كما ينقذهم من كل خطر يهدد أجسادهم. ويتمُّ خلاصهم بفعل يدٍ مُحبّةٍ، تمتدُّ إليهم من أعلى. يخلّصهم لأنه سُرَّ بهم، فإن لذّاته مع بني آدم (أم ٨:٣١). وهذا الإنعام يدفعهم للتسليم الكامل له، وهذا ما تعهّد المرنم أن يقوم به كما سنرى في آيات ٢٠-٢٤.

ثالثاً - المرنم يتعهد بتكريس نفسه للرب

(آيات ٢٠-٢٤)

بدأ المرنم عهد تكريسه (آية ٢٠) وختمه بإعلان براءته من اتهامات شاول له (آية ٢٤). كان داود جندياً صالحاً لشاول، وزوج الابنة الأمين، والتابع المخلص، والمسامح الكريم، فعندما وقع شاول في يده مرتين لم يؤذه، وقال: «حاشا لي من قِبَل الرب أن أمدَّ يدي إلى مسيح الرب» (اصم ٢٤ و٢٦). كان داود بريئاً أمام الناس، لكنه لم يكن بريئاً براءة مطلقة أمام الله، ففي عيني الله ليس أحدٌ صالحاً إلا واحد وهو الله. ولكن داود في هذا الموقف يقول: «يكافئني الرب حسب برّي. حسب طهارة يديَّ يردّ لي.. فيردُّ الرب لي كبرّي، وكطهارة يديَّ أمام عينيه» (آيتا ٢٠ و٢٤).

وشهادة داود لنفسه عن برّه صادقة، وهي لا تجيء اعتماداً على أعماله الصالحة، ولا تنكر الاعتماد الكامل على نعمة الله، لكنها شهادة لتلك النعمة التي تغيّر الحياة. والذي لم يختبر نعمة الله المخلّصة لا يقدر أن يبرر نفسه أمام الناس.

فمن أين يجيء البر؟ الإجابة في قول بولس: «ليس لي برّي الذي من الناموس، بل الذي بإيمان المسيح، البر الذي من الله بالإيمان» (في ٣:٩). «إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس، بل بإيمان يسوع المسيح، آمنا نحن أيضاً بيسوع المسيح لنتبرر بإيمان يسوع، لا بأعمال الناموس. لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما» (غل ٢:١٦). «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح» (رو ٣:٢٤). إذاً سيكافئ الرب المرنم بحسب البر الذي أعطاه له، فإن الله الذي صنع منه إناءً للكرامة لا بد أن يكرمه (٢تي ٢:٢١).

وبين الآيتين ٢٠ و٢٤ ثلاث آيات تتحدث عن ثلاثة عهود تعهد بها المرنم لله:

١ – **عهد طاعة:** «لأني حفظت طرق الرب، ولم أعصَ إلهي» (آية ٢١). قال المسيح: «إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي» (يو ١٤:١٥) وذلك بفضل قوة الروح القدس الساكن في المؤمنين. «حفظت» و«لم أعصِ» أمران يسيران معاً، فالطاعة مصحوبة بالحرص وعدم العصيان. والمؤمن الذي يحب الرب يحفظ طرق الرب ويطيعه، ولا تكون وصايا الرب ثقيلة عليه بسبب محبته له (١يو ٥:٣). «لأن محبة المسيح تحصرنا، إذ نحن نحسب هذا: أنه إن كان واحد قد مات لأجل الجميع، فالجميع إذاً ماتوا» (٢كو ٥:١٤).

٢ – **عهد درس كلمة الله:** «لأن جميع أحكامه أمامي، وفرائضه لم أبعدها عن نفسي» (آية ٢٢). وضع المرنم كلمة الله نصب عينيه، ونفّذ قول الحكيم: «اربطها على قلبك دائماً وقلّد بها عنقك» (أم ٦:٢١). «اربطها على أصابعك. اكتبها على لوح قلبك» (أم ٧:٣). كان شعاره: «لا أخزى إذا نظرتُ إلى كل وصاياك.. خبأت كلامك في قلبي لكيلا أخطئ إليك» (مز ١١٩:٦ و١١) فاستطاع أن يقول: «جعلت الرب أمامي في كل حين، لأنه عن يميني فلا أتزعزع» (مز ١٦:٨).

٣ – **عهد نقاوة القلب:** «وأكون كاملاً معه. وأتحفّظ من إثمي» (آية ٢٣). والإثم هو العوَج، وقد عزم داود أن يكون كاملاً، فشهد الله له: «وجدتُ داود بن يسى رجلاً حسب قلبي، الذي سيصنع كل مشيئتي» (أع ١٣:٢٢). لقد تخلّص من الخطية المحيطة به بسهولة، فردّ الرب له بحسب برّه، وطهارة يديه، وأخذه من رعاية الغنم إلى رعاية شعبه.

القسم الثاني

إحتفال بالنصرة الحربية

(آيات ٢٥-٥٠)

في هذا القسم من المزمور نجد:

أولاً - قانون الله الأخلاقي (آيتا ٢٥ و٢٦)

ثانياً - النصرة كلها من عند الرب (آيات ٢٧-٣٦)

ثالثاً - هزيمة العدو الكاملة (آيات ٣٧-٤٢)

رابعاً - سلامة المملكة في الداخل والخارج (آيات ٤٣-٤٥)

خامساً - شكر وتسبيح (آيات ٤٦-٥٠)

أولاً - قانون الله الأخلاقي

(آيتا ٢٥ و٢٦)

يوضح المرنم قانوناً أخلاقياً هو أن الله يكون رحيماً كاملاً طاهراً مع الإنسان الرحيم الكامل الطاهر. أما مع الأعوج فإن الله يكون ملتوياً! فإن اتجاه الإنسان يحدّد اتجاه الله من نحوه. ولا بد من وجود صفات صالحة في الإنسان قبل أن يعلن الله له رحمته وكماله وقداسته. والمعنى واضح، فما يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً (غل ٦:٧). وقال المسيح: «كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم، افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم» (مت ٧:١٢). فرحمة الله على الرحيم و«طوبى للرحماء لأنهم يُرحمون» (مت ٥:٧). سيوزن كل إنسان بميزان الله، ويُكال له بنفس المكيال الذي كال به، ويترك الله الأعوج الذي لا يريد أن يتوب لعوجه حتى يدمر نفسه بنفسه، كما قال: «إن سلكتم معي بالخلاف، فإني أنا أسلك معكم بالخلاف، وأضربكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم» (لا ٢٦:٢٣ و٢٤)، وكما قال أليفاز: «الآخذ الحكماء بحيلتهم، فتتهوّر مشورة الماكرين» (أي ٥:١٣). وكما قال الحكيم: «لعنة الرب في بيت الشرير، لكنه يبارك مسكن الصدّيقين. كما أنه يستهزئ بالمستهزئين، هكذا يعطي نعمة للمتواضعين» (أم ٣:٣٣ و٣٤). وقال الرسول: «كما لم يستحسنوا أن يُبقوا الله في معرفتهم، أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض، ليفعلوا ما لا يليق» (رو ١:٢٨). وحاشا الله أن يكون ملتوياً، ولكنه يعاقب الأعوج بأن يسلّمه إلى يد من هو أكثر منه عوجاً، كما وقع يعقوب الأعوج، الذي خدع أباه وأخاه، في يد خاله لابان الذي خدعه، ثم في يد أولاده الذين باعوا ابنه يوسف عبداً!

ولا شك أن داود يذكر إكرام الله له ولسائر الأمناء في الأرض، كما يذكر مصير شاول المؤلم (اصم ٣١:١-٧) وأبشالوم (٢صم ١٨:٦-٩) وأخيتوفل (٢صم ١٧:٢٣). وفي هذه جميعها كان الله رحيماً مع الرحيم، وسقى الأعوج من الكأس التي طالما سقى الأعوج منها الناس!

ثانياً - النصرة كلها من عند الرب

(آيات ٢٧-٣٦)

بعد أن أعلن داود قانون الله الأخلاقي، قال إن اختباره الشخصي يبرهن فعالية هذا القانون، فالله العلي هو المتسلّط في مملكة الناس، وهو يعطيها لمن يشاء (دا ٤:٣٢). وقد شاء أن يعطيها لداود عبده.

١ - اختبار داود: (آيات ٢٧-٣٠).

(أ) يخلّص الله المتواضعين: «لأنك أنت تخلّص الشعب البائس، والأعين المرتفعة تضعها» (آية ٢٧). والبائسون هم الذين تعلموا التواضع في مدرسة الألم والاضطهاد، كما قال الله: «أُبقي في وسطك شعباً بائساً ومسكيناً، فيتوكلون على اسم الرب» (صف ٣:١٢). أما أصحاب العيون المرتفعة فهم المتكبّرون الذين يبغضهم الرب (أم ٦:١٧) والذين قال عنهم النبي: «توضع عينا تشامخ الإنسان، وتُخفَض رفعة الناس، ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم، فإن لرب الجنود يوماً على كل متعظّم وعالٍ، وعلى كل مرتفعٍ فيوضع» (إش ٢:١١ و١٢).

(ب) يضيء الرب حياة المتواضعين: «لأنك أنت تضيء سراجي. الرب إلهي ينير ظلمتي» (آية ٢٨). ولما كان داود متواضعاً، فقد أضاء الله سراجه، فلم تطفئه الريح العاتية، وأنار ظلمته بمعنى أنه أدام له الرحمة، ومنحه الحياة الناجحة، فإن «نور الصدّيقين يُفرّح، وسراج الأشرار ينطفئ» (أم ١٣:٩). «النور حلوٌ. وخيرٌ للعينين أن تنظرا الشمس» (جا ١١:٧). والمسيح هو نور المتواضعين الذين يستضيئون به، فقد قال: «أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة» (يو ٨:١٢). ولا غرابة فإن «فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس» (يو ١:٤). ولذلك دُعي داود «سراج إسرائيل» (٢صم ٢٢:١٧). وحضور الرب مع المؤمن يفيض على حياته نوراً، فيقول للرب: «بنورك نرى نوراً» (مز ٣٦:٩).

(ج) ينصر الله المتواضعين: يقول المتواضع: «لأني بك اقتحمت جيشاً، وبإلهي تسوّرتُ أسواراً» (آية ٢٩). ولعل داود يشير إلى احتلاله حصن صهيون من اليبوسيين (٢صم ٥:٦-١٠). فبفضل خلاص الله (آية ٢٧) نور الحياة الموهوب له من الله (آية ٢٨) اقتحم داود جيوش أعدائه وانتصر، واعتلى أسوار مدنهم الحصينة. وهذا ما جرى يوم هاجم غُزاة صقلغ وهزمهم (١صم ٣٠) وهو ما جرى يوم نصره الله ليتسور أسوار حصن صهيون، ويطلق عليه اسم «مدينة داود» (٢صم ٥).

(د) مواعيد الله للمتواضعين: «الله طريقه كاملٌ. قول الرب نقي. ترسٌ هو لجميع المحتمين به» (آية ٣٠). فبعد سنوات طويلة من اختبار الرب قال موسى في نشيده الأخير: «هو الصخر الكامل صنيعه. إن جميع سبله عدل. إله أمانة لا جور فيه. صدّيقٌ وعادلٌ هو» (تث ٣٢:٤). وهو صاحب الوعود الأمينة «ناموس الرب كامل يردّ النفس. شهادات الرب صادقة تصيّر الجاهل حكيماً. وصايا الرب مستقيمة تفرّح القلب» (مز ١٩:٧ و٨). وقال الحكيم: «كل كلمة من الله نقية. ترسٌ هو للمحتمين به» (أم ٣٠:٥).

٢ - انتصار داود: (آيات ٣١-٣٦).

في هذه الآيات يقول داود إن هناك صفاتٍ حربية لازمة للملك الذي كان يقود شعبه عادةً في ميادين المعارك، وهذه كلها منحة من الله لعبده داود. لقد حفظ الله داود صحيحاً معافى، ومنحه تدريب استعمال المقلاع والسيف والرمح وهو يدافع عن أغنامه، وعلّمه كيف ينتظر إلهه في كل موقف صعب. وكانت هذه كلها اختبارات ومهارات أسندته وهو يرتفع من رعاية الغنم إلى رعاية شعب الله.

(أ) الله هو الإله الوحيد: «لأنه مَن هو إلهٌ غير الرب! ومَن هو صخرةٌ سوى إلهنا!» (آية ٣١). ما أكثر أوثان الأمم، ولكنْ واحدٌ وحيد هو الإله الحقيقي، خالق السماء والأرض، الذي قال عنه موسى في نشيده، مقارناً إياه بسائر الأوثان: «لأنه ليس كصخرنا صخرهم، ولو كان أعداؤنا القضاة (حاكمين)» (تث ٣٢: ٣١). لقد غرق جيش فرعون في البحر، ونجا البائسون، مع أن فرعون كان الحاكم القوي.

(ب) الله هو المنعم الوحيد: (آيات ٣٢-٣٦).

(١) **يزيل العقبات من طريق المؤمن:** «الإله الذي يمنطقني بالقوة، ويصيّر طريقي كاملاً» (آية ٣٢). يقوّي عبده، ويسند وسطه بمنطقة الحق (أف ٦: ١٤) ويهيئ له الطريق بأن يرفع المعاثر والصعاب من أمامه إلى أن يكمل له النصر. طريق الله كامل (آية ٣٠) ويجعل طريق عبده كاملاً، وهو القائل: «كونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السماوات هو كامل» (مت ٥: ٤٨). وما أبعد الفرق بين الكمال الإلهي، والكمال الإنساني، فكمال الإنسان هو كمال النيّة، أما كمال الله فهو الكمال المطلق.

(٢) **يقوّي قدمي المؤمن:** «الذي يجعل رجليّ كالإيّل، وعلى مرتفعاتي يقيمني» (آية ٣٣) ليكون كالغزلان السريعة، يتمكن من الكرّ والفرّ دون أن تنزلق قدماه. أعطاه أن يقف في مكان أعلى من كل أعدائه، فتحققت له بركة موسى: «يتذلل لك أعداؤك، وأنت تطأ مرتفعاتهم» (تث ٣٣: ٢٩)، واختبر أن «الرب السيد قوتي، ويجعل قدميّ كالأيائل، ويمشّيني على مرتفعاتي» (حب ٣: ١٩).

(٣) **يقوي يدي المؤمن:** «الذي يعلّم يديّ القتال، فتُحنى بذراعيَّ قوسٌ من نحاس» (آية ٣٤).

(٤) **ينقذ المؤمن:** «وتجعل لي ترس خلاصك، ويمينك تعضدني، ولطفك يعظّمني» (آية ٣٥). وترس الخلاص هو ترس الثقة بالرب. وتذكر هذه الآية ثلاثة أشياء ينقذ الله بها داود في حروبه: الخلاص، والمعونة، والعظمة. فالخلاص بحماية ترس الله، والمعونة بإسناد الله، والتعظيم بلطف الله وإحسانه. سيتمكن داود بفضل الله أن يجري بسرعة كبيرة للهجوم والدفاع، وستكون له قوة ثني المعادن، ولكنه لا زال محتاجاً لمن يدافع عنه: إلى الرب ترسه، ومسنده، ومعظّمه، ليشترك مع جدّه الأكبر يعقوب ويقول: «صغير أنا عن جميع ألطافك وجميع الأمانة التي صنعت إلى عبدك» (تك ٣٢: ١٠).

(٥) يوسّع للمؤمن: «توسّع خطواتي تحتي، فلم تتقلقل عقباي» (آية ٣٦). يمنح الله عبده مسافة واسعة تسمح له بحرية الحركة، وقوة كافية ليتقدم بخطوات ثابتة، فيتحقق معه القول: «إذا سرت فلا تضيق خطواتك، وإذا سعيت فلا تعثُر» (أم ٤:١٢). وما أعظم بركة الحرية والانطلاق، دون أن تنزلق أقدامنا.

ثالثاً - هزيمة العدو الكاملة

(آيات ٣٧-٤٢)

هزم المرنم أعداءه بفضل القوة التي منحها الله له، والتي أوضحها (في الآيات ٣١-٣٦). لقد أسرع وراء أعدائه حتى أدركهم، وبعزيمة قوية لم يرجع إلا بعد فنائهم (آية ٣٧) فسحقهم سحقاً لا قيام لهم من بعده، ساقطين تحت رجليه (آية ٣٨). واستمر الله يمدّه بالقوة حتى صرع الأعداء تحته (آية ٣٩) فأدار الأحياء منهم ظهورهم له مولّين الأدبار (آية ٤٠). وتحقّق معه وعد الله لموسى: «يجعل الرب أعداءك القائمين عليك منهزمين أمامك. في طريق واحدة يخرجون عليك، وفي سبع طرق يهربون أمامك» (تث ٢٨:٧).

النصرة هي للرب، فشكراً لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح كل حين (٢كو ٢:١٤).

وصرخ الأعداء المهزومون ومرارة الهزيمة في أفواههم، يطلبون معونة أصحابهم، ثم معونة أوثانهم، وفي يأس طلبوا معونة الرب، ولكنه لم يسمع لهم (آيتا ٤١ و٤٢). فتحقق المبدأ الأخلاقي الذي أعلنه المرنم في الآيتين ٢٥ و٢٦. الصلاة سلاح فعّال يلجأ إليه الجميع عند وقوعهم في الخطر، كما لجأ البحارة في سفينة يونان المتّجهة إلى ترشيش، وهو سامع الصلاة الذي إليه يأتي كل بشر، يستجيب صلاة الخاطئ وهو يتوب قائلاً: «اللهم ارحمني أنا الخاطئ». ويعطيه من فيض غناه ليعرف أنه يحبه ولا يشاء أن يهلكه. ولكنه في محبته يحذّر الخطاة بالقول: «أعطوا الرب إلهكم مجداً قبل أن يجعل ظلاماً، وقبلما تعثر أرجلكم على جبال العتمة فتنتظرون نوراً فيجعله.. ظلاماً دامساً» (إر ١٣:١٦).

ونحن اليوم، في نور تعاليم المسيح، نصلي من أجل أعدائنا ليغيّر الله قلوبهم واتجاهاتهم، ونطلب لهم بركة التوبة، ونقول ما قاله رجلٌ تقي: «أنا أقتل أعدائي بأن أجعل منهم أصدقاء لي». وفي الوقت نفسه ندرك أن الجهاد الوحيد المفروض علينا هو مجاهدة النفس التي تشتهي ضد الروح، فنصلب الجسد مع الأهواء والشهوات (غل ٥:٢٤). ونجاهد ضد العالم الحاضر الشرير، فلا نحب العالم ولا الأشياء التي في العالم، الذي تختلف معاييره ومفاهيمه عن المفاهيم الإلهية، ويكون شعارنا: «حاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح، الذي به قد صُلب العالم لي وأنا للعالم» (غل ٦:١٤). ونجاهد ضد مكايد إبليس «لئلا يطمع فينا الشيطان لأننا لا نجهل أفكاره» (٢كو ٢:١١). قال الرسول بولس: «أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها، هكذا تُفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح» (٢كو ١١:٣). فلنجتهد أن تكون أذهاننا تحت سيطرة الروح القدس، و«إله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعاً. نعمة ربنا يسوع المسيح معكم» (رو ١٦:٢٠).

رابعاً - تأسيس المملكة في الداخل والخارج

(آيات ٤٣-٤٥)

لاقى داود مقاومة من الداخل والخارج، وأنقذه الرب من كليهما. قال عن مقاومة الداخل: «تنقذني من مخاصمات الشعب» (آية ٤٣أ)، وقال عن مقاومة الخارج: «شعبٌ لم أعرفه يتعبد لي» (آية ٤٣ب).

وقد واجه داود مقاومة الداخل في بدء حكمه، لما كان «بيت شاول» يحتل مكاناً في الحكم (٢صم ٣:١). كما واجهها في محاولة الانقلاب الفاشل الذي قام به أبشالوم (٢صم ١٥). ومن هذه جميعها نجّاه الرب. أما مقاومة الخارج فكانت من الشعوب المحيطة به والتي هزمها كلها (٢صم ٨). وتحقق معه القول: «ولما رأى جميع الملوك عبيد هدر عزر، أنهم انكسروا أمام إسرائيل، صالحوا إسرائيل واستُعبدوا لهم، وخاف أرام أن ينجدوا بني عمون بعد» (٢صم ١٠:١٩). ومن هذه جميعها نجّاه الرب، ورفعه رئيساً لشعبه.

خامساً - شكر وتسبيح

(آيات ٤٦-٥٠)

بدأ داود المزمور بإعلان محبته للرب، ووصفه بسبع صفات هي كمال الصفات. وفي كل آيات المزمور سبّح الرب الذي أقامه ملكاً، ومنحه نصرة كاملة في الداخل والخارج. وفي الآيات الخمس الأخيرة يكرر الشكر من جديد في تسبيح ختامي، يذكر فيه سبع صفات عظيمة لله.

١ - «**حيٌّ هو الرب**»: (آية ٤٦). وهذا بالمفارقة بالأوثان الميتة. لقد اختبر داود صلاح الرب سيد الأرض كلها، وتمّ معه ما سبق أن قاله يشوع: «بهذا تعلمون أن الله الحي في وسطكم، وطَرْداً يطرد من أمامكم الكنعانيين..» (يش ٣:١٠). الله حيٌّ في ذاته ويمنح الحياة لمن يؤمنون به ويثبتون فيه.

٢ - «**مبارك صخرتي**»: (آية ٤٦). يستحق الإله الذي لا تغيير فيه أن أباركه وأحمده.

٣ - «**مرتفع إله خلاصي**»: (آية ٤٦). فوق كل علو مرتفع ضده وضد مشيئته وضد شعبه. وقد ارتفع المسيح إلى يمين الله، وأخذ اسماً فوق كل اسم. وعندما نجثو له في تسليم وطاعة يرفعنا من سقوط الخطية ويثبت أقدامنا على صخر.

٤ - «**الإله المنتقم لي**»: (آية ٤٧). لم ينتقم داود لنفسه، بل ترك النقمة للرب (رو ١٢:١٩). هذا ما فعله مع شاول (١صم ٢٤:١٢)، ومع نابال (١صم ٢٥:٢٩)، ومع مقاوميه بعد أن منحه الله المُلك (٢صم ٤:٨).

٥ - «**الذي يُخضع الشعوب تحتي**»: (آية ٤٧). لا يقولها بكبرياء، بل ليعطي المجد لمن فعل ذلك بواسطة عبده داود.

٦ - «**مُنجّيّ من أعدائي**»: (آية ٤٨). «الذي نجّانا من موت مثل هذا، وهو ينجّي. الذي لنا رجاءٌ فيه أنه سينجي أيضاً فيما بعد» (٢كو ١:١٠).

٧ - «**رافعي أيضاً فوق القائمين عليّ، مِن الرَّجل الظالم تنقذني**»: (آية ٤٨). الإله الرفيع رفع عبده وأنقذه.

من أجل هذه الأسباب كلها قرّر داود أن يرنم ترنيمة شكره بين شعبه وبين الأمم (آية ٤٩) التي اقتبسها الرسول بولس في رو ١٥:٩، مرنماً للإله الذي هو «برجُ خلاصٍ لملكه» (آية ٥٠). الذي رتل له: «لأنك كنت ملجأ لي، برج قوة من وجه العدو» (مز ٦١:٣). وهو يشكر الرب الذي يُديم رحمته له ولنسله إلى الأبد.

وقد تحققت هذه النبوة بتمامها في المسيح «لنموّ رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته، ليثبتها ويعضدها بالحق والبر، من الآن إلى الأبد. غيرة رب الجنود تصنع هذا» (إش ٩:٦ و٧). هو «الصانع رحمة لمسيحه، لداود ونسله إلى الأبد» ليس في «أنساله» بل في نسله الواحد، المسيح (غل ٣:١٦).

ولهذا المسيح العظيم نخضع ونخشع قائلين مع توما: «ربي وإلهي» (يو ٢٠:٢٨).

المزمور التاسع عشر

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

١ اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ ٱللّٰهِ، وَٱلْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ. ٢ يَوْمٌ إِلَى يَوْمٍ يُذِيعُ
كَلاماً، وَلَيْلٌ إِلَى لَيْلٍ يُبْدِي عِلْماً. ٣ لَا قَوْلَ وَلَا كَلَامَ. لَا يُسْمَعُ صَوْتُهُمْ. ٤ فِي كُلِّ
ٱلْأَرْضِ خَرَجَ مَنْطِقُهُمْ، وَإِلَى أَقْصَى ٱلْمَسْكُونَةِ كَلِمَاتُهُمْ. جَعَلَ لِلشَّمْسِ مَسْكَناً فِيهَا، ٥ وَهِيَ
مِثْلُ ٱلْعَرُوسِ ٱلْخَارِجِ مِنْ حَجَلَتِهِ. يَبْتَهِجُ مِثْلَ ٱلْجَبَّارِ لِلسِّبَاقِ فِي ٱلطَّرِيقِ. ٦ مِنْ أَقْصَى
ٱلسَّمَاوَاتِ خُرُوجُهَا، وَمَدَارُهَا إِلَى أَقَاصِيهَا، وَلَا شَيْءَ يَخْتَفِي مِنْ حَرِّهَا.

٧ نَامُوسُ ٱلرَّبِّ كَامِلٌ يَرُدُّ ٱلنَّفْسَ. شَهَادَاتُ ٱلرَّبِّ صَادِقَةٌ تُصَيِّرُ ٱلْجَاهِلَ حَكِيماً.
٨ وَصَايَا ٱلرَّبِّ مُسْتَقِيمَةٌ تُفَرِّحُ ٱلْقَلْبَ. أَمْرُ ٱلرَّبِّ طَاهِرٌ يُنِيرُ ٱلْعَيْنَيْنِ. ٩ خَوْفُ ٱلرَّبِّ
نَقِيٌّ ثَابِتٌ إِلَى ٱلْأَبَدِ. أَحْكَامُ ٱلرَّبِّ حَقٌّ عَادِلَةٌ كُلُّهَا. ١٠ أَشْهَى مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْإِبْرِيزِ
ٱلْكَثِيرِ، وَأَحْلَى مِنَ ٱلْعَسَلِ وَقَطْرِ ٱلشِّهَادِ. ١١ أَيْضاً عَبْدُكَ يُحَذَّرُ بِهَا، وَفِي حِفْظِهَا ثَوَابٌ
عَظِيمٌ. ١٢ اَلسَّهَوَاتُ مَنْ يَشْعُرُ بِهَا! مِنَ ٱلْخَطَايَا ٱلْمُسْتَتِرَةِ أَبْرِئْنِي. ١٣ أَيْضاً مِنَ
ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ٱحْفَظْ عَبْدَكَ فَلَا يَتَسَلَّطُوا عَلَيَّ. حِينَئِذٍ أَكُونُ كَامِلًا، وَأَتَبَرَّأُ مِنْ ذَنْبٍ عَظِيمٍ.
١٤ لِتَكُنْ أَقْوَالُ فَمِي وَفِكْرُ قَلْبِي مَرْضِيَّةً أَمَامَكَ يَا رَبُّ، صَخْرَتِي وَوَلِيِّي.

الله يعلن عن ذاته

يؤكد لنا هذا المزمور أن الله دائم الإعلان عن نفسه، ودائم الاتصال بالبشر. لم يكن صامتاً أبداً، لأنه يحب البشر ويتواصل معهم ويكلمهم، فأعلن عن ذاته لهم في الطبيعة: في جمالها ودقتها ونظامها. وكلّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، وسجّل لنا كلماته في الوحي المقدس، في التوراة والمزامير والإنجيل. وهو يكلم البشر عن ذاته في الأتقياء الصالحين، الذين يرى الناس أعمالهم الحسنة فيمجدون أباهم الذي في السماوات. وبفضل إعلان الله عن ذاته في الطبيعة وفي كلمته استعد العالم لمجيء المسيح «الكلمة الحي» والإعلان الكامل. ويمكننا اليوم أن نرى الله في الطبيعة، وفي الكلمة المقدسة، وفي سيرة المؤمنين، ولو أننا نراه بالوضوح الكامل في شخص المسيح كلمة الله، الذي قال: «الذي رآني فقد رأى الآب» (يو ١٤:٩).

في هذا المزمور نجد،

أولاً – الله يعلن عن ذاته في الطبيعة (آيات ١-٦)

ثانياً – الله يعلن عن ذاته في كلمته المقدسة (آيات ٧-١١)

ثالثاً – الله يعلن عن ذاته في المؤمنين (آيات ١٢-١٤)

أولاً - الله يعلن عن ذاته في الطبيعة

(آيات ١-٦)

يقول المرنم إن الكون كله يتحدث بمجد الله ويخبر بعمل يديه، فالكون معبد ضخم، به وعاظ كثيرون ينادون بكمال الخالق. ولعل أعظم الوعاظ فيه كوكب الشمس. ويقول لنا هؤلاء الوعاظ الشيء الكثير عن عظمة الله وعن محبته. وفي الآيات الست الأولى من هذا المزمور نرى:

١ – موضوع حديث الطبيعة: (آية ١). الطبيعة تمجد الرب وتخبرنا عنه.

(أ) **تتحدث عن مجد الله:** ومجده هو إعلان حضوره بالقوة والبهاء. وهو مجد خاص بجلال ذاته، فيراه الإنسان المخلوق من التراب فيتّقيه.

(ب) **تتحدث عن قوة الله:** «هوذا الذي صنع الجبال، وخلق الريح، وأخبر الإنسان ما هو فكره.. يهوه إله الجنود اسمه.. الذي صنع الثريا والجبار، ويحوّل ظل الموت (الظلام الدامس) صبحاً ويظلم النهار كالليل، الذي يدعو مياه البحر ويصبّها على وجه الأرض، يهوه اسمه» (عا ٤:١٣ و٥:٨). وهذه القوة الخالقة هي القوة الضابطة للكل، فهي تحفظ الكواكب في مداراتها، وتضمن استمرارية الخلق، فكل الأشياء بإرادته كائنة وخُلقت (رؤ ٤:١١).

(ج) **تتحدث عن حكمة الله:** فالكون يسير بدقة عجيبة وبانتظام يعجز أي مخلوق عن أن يقوم به. «بكلمة الرب صُنعت السماوات، وبنسَمة فمه كل جنودها.. لأنه قال فكان، هو أمر فصار» (مز ٣٣:٦ و٩). «ارفعوا إلى العلاء عيونكم وانظروا: من خلق هذه؟ من الذي يُخرِج بعدد جندها، يدعو كلها بأسماء. لكثرة القوة وكونه شديد القدرة لا يُفقَد أحدٌ» (إش ٤٠:٢٦).

(د) **تتحدث عن أمانة الله:** فستظل الأرض تنبت عشباً وبقلاً يبزر بزراً، وشجراً ذا ثمر يعمل ثمراً كجنسه. وسيظل النوران العظيمان يحكمان النهار والليل، وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين (تك ١). ويعطي الإله الأمين بركاته الكاملة للناس كل يوم، يوماً بعد يوم.

٢ – أوصاف حديث الطبيعة: (آيات ٢-٦).

(أ) **حديث مستمر:** (آية ٢). إنه من يوم إلى يوم ومن ليل إلى ليل، كجوقة ترنيم يتواصل صوتها في تسبيح مستمر «يذيع كلاماً» يدعونا للعمل نهاراً، فنستيقظ لنذهب إلى أعمالنا لنرى يد الرب معنا في كل ما نعمل. «وليل إلى ليل يبدي علماً» يدعونا للراحة عندما نأوي إلى فراشنا،

ويحفظنا في ظلام الليل، ويعطينا فرصة التأمل في أحداث يومنا لنراجع مواقفنا ونعدّل مسار حياتنا، ولنشكره على أفضاله، ولنعيد تجديد عهودنا في الحياة معه وفي طاعته، ونسلم نفوسنا له ليبدأ معنا يوماً جديداً. فالليل دعوة للراحة والتأمل والاستعداد لما سيأتي علينا. وكلمة «يُبدي» تحمل معنى الحديث الفائض في صمت وطلاقة.

(ب) **حديث هادئ:** (آية ٣). «لا قول ولا كلام، لا يُسمع صوتهم» حقاً ما أبلغ الصمت! إنه اللغة التي تفهمها كل الكائنات في كل الكون!

(ج) **حديث شامل:** (آية ٤). «في كل الأرض خرج منطقهم، وإلى أقصى المسكونة كلماتهم». ويقول الرسول بولس: «الإيمان بالخبر، والخبر بكلمة الله. لكنني أقول: ألعلّهم لم يسمعوا؟ بلى! إلى جميع الأرض خرج صوتهم، وإلى أقاصي المسكونة أقوالهم» (رو ١٠:١٧ و١٨).

(د) **حديث واضح:** (آيات ٤-٦). ويختار المرنم كوكب الشمس باعتبارها الشاهد الأعظم لمجد الله، ويصوّرها كملك بطل، صنع الله له حجلةً، أي خيمة أو غرفة مزيَّنة في السماء، يخرج منها بكامل بهائه كعريس رائع القوة والأناقة والسعادة، وقد ابتهج للسباق في مداره، فيحس به كل البشر، وهو يبعث في أرجاء الأرض الضوء والدفء. وعندما ينظر البشر إلى الشمس يدركون عظمة الذي خلقها، وجمال الذي أوجدها بكل حكمته وقوته وأمانته، إذ لا يختفي شيء من حرّها.

لكن البشر يحتاجون إلى إعلان أكبر وأوفى. لئن كان إعلان الطبيعة كافياً للإنسان قبل السقوط، فإنه ليس كافياً للخاطئ الذي يحتاج إلى المصالحة مع الله، ولذلك عَبَد الإنسان الساقط الضال الشمس والقمر والنجوم. فالخطية تفصل بين الإنسان والله، والإنسان يحتاج إلى من يرشده إلى طريق التصالح مع الله، ولذلك يعلن الله طريق الخلاص لنا عندما يكلمنا في كلمته الموحى بها منه، كما يكلمنا اليوم في المسيح كلمة الله الحي، الذي هو «شمس البر» (ملا ٤:٢). «والكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا، ورأينا مجده، مجداً كما لوحيد من الآب، مملوءاً نعمة وحقاً.. ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا، ونعمة فوق نعمة» (يو ١:١٤ و١٦).

ثانياً - الله يعلن ذاته في كلمته المقدسة

(آيات ٧-١١)

حدَّثت الطبيعة الإنسان عن عظمة الرب، لكنه ضل وعبد مخلوقات الله، وهو لا يدري كيف يرجع، فأعطاه الله كلمته ليردّه إلى الحق. وفي هذه الآيات الخمس نرى:

١ - أوصاف كلمة الله: (آيات ٧-٩).

(أ) **كاملة:** «ناموس الرب كامل يردّ النفس» (آية ٧أ). والناموس هو الشريعة أو القانون. وهو يقصد به شريعة موسى، وكل شريعة إلهية تدوَّنت في التوراة. وتردُّ الشريعة النفس بطريقتين: بأن تعلن للإنسان نقصه، ثم بأن تشير له إلى طريق الخلاص. عندما يقارن الإنسان حالته بانتظارات

الشريعة الكاملة منه يجد أنه ناقص كما أنه أعوج، يحتاج لمن يصلحه. الشريعة تكشف لنا تقصيرنا وضعفنا وعجزنا عن بلوغ ما يريده الله منا، وهذا يلجئنا إلى المراحم الأبدية المتمثّلة في الكفارة، فتتحقق معنا الكلمة الرسولية «إذاً قد كان الناموس مؤدِّبَنا إلى المسيح، لكي نتبرر بالإيمان» (غل ٣:٢٤). ولا يكتفي بر المسيح بإصلاح نفوسنا، لكنه يردُّنا إلى المقام الذي سقطنا منه بسبب الخطية، ويضعنا على أول السير في سبل القداسة.

(ب) **صادقة:** «شهادات الرب صادقة تصيّر الجاهل حكيماً» (آية ٧ب). يسمّيها «شهادة» لأنها تشهد للحق الإلهي الموحى به، وبهذا المعنى يُسمَّى الإنجيل شهادة (١يو ٥:٩). وهي شهادة صادقة لا تخدعنا أبداً، ولا تقدم لنا معلومة ناقصة. عندما تجيئنا رسالة من إنسان يجب أن نمتحنها، طاعة للوصية الرسولية: «امتحنوا كل شيء» (١تس ٥:٢١). أما الرسالة التي تجيئنا من الروح القدس على صفحة الكتاب المقدس فلا تحتاج إلى امتحان، لأن شهادات الرب صادقة وأمينة دوماً. وعندما يتواضع الإنسان ويقبل كلمة الله بوداعة تقدر الكلمة أن تخلّصه من حماقته (يع ١:٢١). كل المواعيد الواردة في هذه الكلمة صادقة وأمينة.

(ج) **مستقيمة:** «وصايا الرب مستقيمة تفرّح القلب» (آية ٨أ). الكلمة كاملة تردُّ الضال، وصادقة تمنحه الحكمة، وتفرح قلب من يقبلها. هي مستقيمة لا التواء فيها أبداً، وهي لا تحابي أحداً، ولا تتغير بتغيُّر الأحوال. عندما نقرأ الكتاب المقدس لا نرى أبداً أمراً يلغي أمراً سبقه أو أمراً سيجيء بعده. إن فكر الله واضح، والكلام الذي يجيء من الله مستقيم كاستقامة الله، لأنه من وحيه، ويقود من يؤمن به إلى حياة الاستقامة.

(د) **طاهرة:** «أمر الرب طاهر ينير العينين» (آية ٨ب) هي طاهرة طهارة من أعطاها. وهي تشوّقنا إلى الحياة الطاهرة وترينا الطريق إليها، لأنها توحي لنا بكل فكر طاهر «لأن الوصية مصباح والشريعة نور، وتوبيخات الأدب طريق الحياة» (أم ٦:٢٣). إنها اللبن العقلي عديم الغش الذي ننمو به (١بط ٢:٢). وهي تنير العينين إلى كل ما هو حق وجليل وعادل وطاهر ومُسِر وصيته حسن (في ٤:٨).

(هـ) **ثابتة:** «خوف الرب نقي، ثابت إلى الأبد» (آية ٩أ). يطلق المرنم على كلمة الله «خوف الرب» لأن كلمة الله تجعل قارئها وسامعها يخاف الله ويتّقيه. وهي باقية لأن الله يحافظ عليها. لقد أعطى إعلانه السماوي لينقذ البشر من خطاياهم. ولا بد أن يحافظ على هذا الإعلان ليثبت ويبقى. قال المسيح: «إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل» (مت ٥:١٨). ومواعيد الله ثابتة إلى الأبد «لم تسقط كلمة واحدة من جميع الكلام الصالح الذي تكلم الرب به عنكم» (يش ٢١:٤٥ و٢٣:١٤). لذلك يجب أن تكون كلمة الله دستورنا والمرشدة لنا في كل وقت.

(و) **عادلة:** «أحكام الرب حق عادلة كلها» (آية ٩ب). ويسميها أحكام لأنها أقوال الرب الفاصلة.وهي حق باستمرار لأنها عادلة. عندما تقول كلمة الله للإنسان: أنت خاطئ، فهو خاطئ

فعلاً. وعندما تقول له إن الله ينتظر أن نكون أبراراً، فهذا ما ينتظره الله منا فعلاً. وعندما ترينا أن هذا النقص الموجود فينا لن يستره إلا صليب المسيح ودمه، فهذا قول صادق تماماً.

٢ – عمل كلمة الله: (آيات ٧-٩).

(أ) **ترد النفس:** «ناموس الرب كامل يرد النفس» (آية ٧أ). أليس غريباً أن الذي يرى عظمة الرب في الطبيعة يضل عنه، وأن من ينال حياته وتنفسه وطعامه اليومي من عنده يضل عنه؟ «الكل قد زاغوا معاً. فسدوا» (مز ١٤:٣). لكن الرب في محبته أعطى الإنسان ناموسه الكامل ليرده إلى الصواب، وليعيد إليه الحياة الفضلى بعد أن دمرته الخطية، فيقول: «يا رب إله الجنود، ارجعنا. أنر بوجهك فنخلص» (مز ٨٠:١٩).

(ب) **تحكّم الجهّال:** «شهادات الرب صادقة تصيّر الجاهل حكيماً» (آية ٧ب). والجاهل هو من يفتح عقله وقلبه للخطأ والصواب معاً. لم يغلق قلبه في وجه التعليم الإلهي ولكنه لا يملك القدرة على تطبيق المبادئ السليمة. لمثل هؤلاء «فتح كلامك ينير، يعقّل الجهّال» (مز ١١٩:١٣٠). وهذا ما حدث مع تيموثاوس، الذي كان منذ طفولته يعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكّمه للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع (٢تي ٣:١٥).

ليعطنا الرب الحكمة الروحية لخلاص نفوسنا ويردّنا إليه، ويصيّرنا حكماء، فنتابع حياة التوبة معه، بدون أن نضل كما سبق أن ضللنا. ولتهدنا كلمته القادرة أن تحكّمنا للخلاص بالتوبة والرجوع إليه، وبالحياة التقية النقية التي خلصت من أدران الخطية التي كانت تشوّهها.

(ج) **تفرّح:** «وصايا الرب مستقيمة تفرّح القلب» (آية ٨أ). من يتبعها يفرح لأنه يصبح من أهل بيت الله، بعد أن يُنعم الله عليه بالتبنّي، وتفرح السماء بخاطئ واحد يتوب، ويصبح التائب أكثر المبتهجين، لأنه نال غفران خطاياه، وأدرك أن الله قبِلَه.

(د) **تنير:** «أمر الرب طاهر ينير العينين» (آية ٨ب). فإنه «سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي» (مز ١١٩:١٠٥). وقال المسيح: «أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة» (يو ٨:١٢).

٣ – أهمية كلمة الله: «أشهى من الذهب والإبريز الكثير، وأحلى من العسل وقطر الشهاد. أيضاً عبدك يُحذَّر بها، وفي حفظها ثواب عظيم» (آيتا ١٠ و١١).

(أ) **أهميتها عقلياً:** نجري وراءها لأنها «أشهى من الذهب والإبريز الكثير». والإبريز هو الذهب النقي. إن لنا بُعداً روحياً، فإن كان الذهب النقي موضع اهتمامنا لأننا به نحصل على احتياجاتنا المادية، فإن كلمة الله تجتذب تفكيرنا لأنها تشبع البُعد الروحي فينا.

(ب) **أهميتها عاطفياً:** هي «أحلى من العسل وقطر الشهاد». والشهاد هو الشمع الذي يكوّن فيه النحل العسل. فالإنسان الذي أدرك عقلياً أنه يحتاج للكلمة الإلهية يدرك بقلبه جمالها ولذتها للنفس، كما قال النبي إرميا: «وُجد كلامك فأكلته، فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي، لأني دُعيت باسمك يا رب

إله الجنود» (إر ١٥ :١٦).

(ج) **اهميتها عملياً**: «عبدك يُحذَّر بها، وفي حفظها ثواب عظيم». ثوابها هنا على الأرض لأنها تُبعدنا عن الخطية، فنحيا حياة الطهارة. وثوابها أنها تُسمعنا صوت المسيح: «تعالوا يا مباركي أبي، رِثوا الملكوت المعدّ لكم منذ تأسيس العالم» (مت ٢٥ :٣٤).

ثالثاً - الله يعلن ذاته في المؤمنين

(آيات ١٢-١٤)

قال فيلسوفٌ حكيم: «أرى من فوقي السماء بنجومها، وفي داخلي أسمع صوت الضمير يشرح لي القانون الأخلاقي، فتمتلئ نفسي بتوقير يتزايد للخالق العظيم». ولهذا يقول المرنم: «السهوات من يشعر بها! من الخطايا المستترة أبرئني. أيضاً من المتكبرين احفظ عبدك فلا يتسلطوا عليَّ. حينئذ أكون كاملاً وأتبرأ من ذنب عظيم» (آيتا ١٢ و١٣). وهذا ما أمرنا المسيح به: «فليضئ نوركم هكذا قدام الناس، لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات» (مت ٥ :١٦). وعلى كل مؤمن حقيقي أن يكون البشارة الخامسة المقروءة والمسموعة من جميع الناس.

ويطلب المرنم أن يحفظه الرب من ثلاثة أنواع من الخطايا، ويطلب المعونة ليفعل ما يرضيه:

١ - ثلاث خطايا يطلب أن يحفظه الله منها:

(أ) **الخطايا التي لا يشعر بها**: «السهوات من يشعر بها!» (آية ١٢أ) وهي الخطايا التي يرتكبها دون أن يعرفها. وقد يعرفها الآخرون ويشعرون بها ولكنه هو لا يشعر بها. وقد نصّت شريعة موسى على تقديم ذبيحة خطية «إذا أخطأت نفسٌ سهواً في شيء من جميع مناهي الرب التي لا ينبغي عملها، وعملت واحدة منها» (لا ٤ :٢). ويطلب المرنم من الله أن يُشعره بهذه السهوات ليتوب عنها.

قال الرسول بولس: «لستُ أشعر بشيء في ذاتي، لكني لستُ بذلك مبرَّراً. ولكن الذي يحكم فيَّ هو الرب» (١كو ٤ :٤). فلم يكن الرسول يشعر بتقصير في القيام بواجباته في خدمة الله، ولم يكن ضميره يبكته، لكن عدم شعوره بالخيانة ليس دليلاً على أمانته، فقد يكون في خدمته تقصير لا يعرفه. وهو يطلب من الرب أن يفحص قلبه ليُشعره بما لا يعرفه من عيوبه.

(ب) **الخطايا التي شعر هو بها، ولكن غيره لا يشعر بها**: «من الخطايا المستترة أبرئني» (آية ١٢ب). هي خطية يعرفها مرتكبها، لكن المحيطين به لا يرونها. إنها حالةُ النفاق، عندما يرسم المجتمع لإنسان صورة براقة تختلف عن واقع صورته الأصلية. ومن هذه الخطايا الكبرياء، والغضب المكبوت الذي لا يعبّر عنه صاحبه بكلمات مسموعة، والتخيلات الدنسة التي لا يصوغها صاحبها في كلمات، والحسد والغيرة اللذين ينهشان داخله. في أواخر أيام حياة القديس أغسطينوس كتب قائمة بالتعهدات التي لم يفِ بها. وكل شخص أمين مع نفسه يصلي لله طالباً الشفاء من هذه الخطايا المستترة. إنها مرض قاتل في الداخل، لا يشفيه إلا العلاج الإلهي.

(ج) **الخطايا المتسلطة عليه والتي يعرفها:** «أيضاً من المتكبرين احفظ عبدك فلا يتسلطوا عليَّ» (آية ١٣أ). و«المتكبرون» نوعان: الأشرار الذين يُجبرون المؤمن ليخطئ، أو الشر الذي يسيطر على الإنسان فلا يقدر أن ينجو منه ولا أن ينتصر عليه. الشرير والشر هما المتكبران المتجبران على الإنسان، اللذان يُسقطانه ليفعل ما لا يريد أن يفعله، وليعجز عن القيام بما يريد أن يقوم به. ويطلب المرنم من الرب أن يحفظه من «المتكبرين» لأن شريعة موسى لم تكن تقبل كفارة عن خطية المتكبِّر الذي يتحدَّى إرادة الله.

٢ - **يطلب المرنم أن يعينه الله ليفعل ما يرضيه:** «لتكن أقوال فمي وفكر قلبي مرضيَّة أمامك يا رب، صخرتي ووليّي» (آية ١٤). والمرنم يعتبر صلاته، سواء كانت في سرّه أو علانية، كذبيحة يقدمها الله: «لتستقِم صلاتي كالبخور قدامك. ليكن رفع يديَّ كذبيحة مسائية» (مز ١٤١:٢). وقد أمر النبي هوشع الشعب أن يصلّوا قائلين: «قولوا له: ارفع كل إثم واقبل حسناً، فنقدم عجول شفاهنا» (هو ١٤:٢). في هذه الصلاة يطلب المرنم رضى الرب عن أقواله أولاً ثم عن أفكاره ثانياً، لأن البشر من حوله يسمعون ما يقوله، ويحكمون عليه وعلى نعمة الله التي فيه من كلامه، «لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك تُدان» (مت ١٢:٣٧). أما فكر قلبه فهو بينه وبين الرب. ولما كان الله يعلن عن ذاته في تصرفات المؤمنين، يطلب المرنم رضى الرب على المسموع الظاهر، ولو أنه نتاج المختفي في الباطن، فمن فضلة القلب يتكلم الفم (مت ١٢:٣٤). لذلك قال الله: «أحوِّل الشعوب إلى شفة نقية ليدعوا كلهم باسم الرب، ليعبدوه بكتف واحدة.. بقية إسرائيل لا يفعلون إثماً، لا يتكلمون بالكذب، ولا يوجد في أفواههم لسان غش» (صف ٣:٩ و١٣).

عندما طلب الله من الملك سليمان أن يطلب ما يريد، جاءت طلبته تعبيراً عن فكر قلبه، لأن سليمان كان يفكر في الخدمة المنتظرة منه. وعندما طلب النبي أليشع نصيب اثنين من روح إيليا كان يرى المسؤولية التي سيُكلَّف بها. فإذا عُرض علينا أن نطلب ما نريد، فهل نقول: «لتكن أقوال فمي وفكر قلبي مرضيةً أمامك يا رب، صخرتي ووليي»؟

وفي هذه الطلبة يصف المرنم الله بصفتين:

(١) «**صخرتي**» الذي أتكل عليه فينصرني ويرفعني، فلا أغوص في وحل الخطية.

(٢) «**وليّي**» أي ولي أمري، والمشرف عليَّ، وصاحب السلطان على حياتي، والذي ينصرني فأنتصر على متاعبي وخطاياي.

إنه شرفٌ عظيم أن يشترك الإنسان مع الطبيعة ومع الشريعة في تقديم شهادة واضحة لله وسط المجتمع الذي يعيش فيه. فهل لك مثل هذه الشهادة اللامعة لله؟ وهل من يرى عملك يمجد أباك الذي في السماوات؟

المزمور العشرون

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ
١ لِيَسْتَجِبْ لَكَ ٱلرَّبُّ فِي يَوْمِ ٱلضِّيقِ. لِيَرْفَعْكَ ٱسْمُ إِلٰهِ يَعْقُوبَ. ٢ لِيُرْسِلْ لَكَ عَوْناً
مِنْ قُدْسِهِ، وَمِنْ صِهْيَوْنَ لِيَعْضُدْكَ. ٣ لِيَذْكُرْ كُلَّ تَقْدِمَاتِكَ وَيَسْتَسْمِنْ مُحْرَقَاتِكَ. سِلَاهْ.
٤ لِيُعْطِكَ حَسَبَ قَلْبِكَ وَيُتَمِّمْ كُلَّ رَأْيِكَ. ٥ نَتَرَنَّمُ بِخَلَاصِكَ، وَبِٱسْمِ إِلٰهِنَا نَرْفَعُ رَايَتَنَا.
لِيُكَمِّلِ ٱلرَّبُّ كُلَّ سُؤْلِكَ.
٦ اَلْآنَ عَرَفْتُ أَنَّ ٱلرَّبَّ مُخَلِّصُ مَسِيحِهِ. يَسْتَجِيبُهُ مِنْ سَمَاءِ قُدْسِهِ، بِجَبَرُوتِ خَلَاصِ
يَمِينِهِ. ٧ هٰؤُلَاءِ بِٱلْمَرْكَبَاتِ وَهٰؤُلَاءِ بِٱلْخَيْلِ ــ أَمَّا نَحْنُ فَٱسْمَ ٱلرَّبِّ إِلٰهِنَا نَذْكُرُ. ٨ هُمْ
جَثَوْا وَسَقَطُوا، أَمَّا نَحْنُ فَقُمْنَا وَٱنْتَصَبْنَا. ٩ يَا رَبُّ خَلِّصْ. لِيَسْتَجِبْ لَنَا ٱلْمَلِكُ فِي يَوْمِ
دُعَائِنَا.

دعاء للملك بالنصر

المزمور العشرون دعاءٌ ترفعه الأمة كلها إلى الله، مُصليةً من أجل الملك، تطلب من الله أن ينصره وأن يستجيب صلاته. وهو مرتبط بمزمور ٢١ الذي يرفع فيه الملك صلاة شكر لأجل الأمة. ويتركز الفكر في المزمورين على الملك وانتصاره على الأعداء، باعتباره ممثّل الله وممثل الشعب.

كان الملك قبل الدخول في حرب يقدم الذبائح لله ويسلّم أمره له. وكان الشعب أثناء تقديمها يرنم مزمور ٢٠ تعبيراً عن إيمانهم القوي بالرب. أما مزمور ٢١ فكانوا يرنمونه بعد نهاية الحرب، ليشكروا الرب الذي أعطى النصر، وليعبّروا عن ثقتهم في أنه سيظل ينصرهم في كل موقعة قادمة.

ويمكننا أن نصلي كلمات هذا المزمور من أجل ملكوت الله، قائلين: «ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض». فكما أن ملائكة السماء دوماً مستعدون أن ينفذوا أوامرك بدون اعتذارٍ ولا إبطاء، فلتحقّق الأرض كلها رغباتك بغير تردد.

ويمكننا أن نصلي كلمات هذا المزمور كعائلة ترفع رب الأسرة أمام عرش النعمة، كما يمكننا أن نصليه ككنيسة من أجل الراعي، ويمكننا أن نصليه كعاملين في هيئة نطلب أن يبارك الرب رئيس العمل، ويمكننا أن نصليه من أجل رئيس البلاد لنقضي حياة مطمئنة هادئة في كل تقوى ووقار

(اتي ٢:٢). فالمزمور صلاة من أجل كل مسؤول في موقع مسؤوليته. ولو أننا صلينا من أجل كل المسؤولين سيستجيبنا الرب من هيكل قدسه ويعطي بركة عظيمة للمصلّين ولمن يصلّون لأجلهم، كما قال المسيح لتلاميذه: «إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي. اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً» (يو ٢٤:١٦).

في هذا المزمور نجد،

أولاً – الشعب كله يصلى لأجل الملك (آيات ١–٥)

ثانياً – قائد الترنيم يؤكد استجابة الصلاة (آيات ٦–٨)

ثالثاً – صلاة ختامية من الشعب كله (آية ٩)

أولاً - الشعب كله يصلي لأجل الملك

(آيات ١-٥)

يرفع الشعب لله خمس طلبات من أجل الملك:

١ – **طلب الرفعة وقت الضيق:** «ليستجب لك الرب في يوم الضيق. ليرفعك اسم إله يعقوب» (آية ١). يدعو كل الشعب معاً بفكر واحد وصوت واحد في ترنيمة متجانسة متوافقة طالبين الاستجابة. ومن هذا نتعلم أن الصلاة إجراءٌ وقائي. فلا يجب أن ننتظر حتى تأتي الضيقة لنصلي، بل نصلي من قبل أن يجيء الضيق ليجنّبنا الله المكاره! فصلاة اليوم تبارك الغد. صحيحٌ أن الله يشجعنا أن نطلبه في يوم الضيق (مز ١٥:٥٠). ولكن هذا لا يعني أننا نطلبه وقت الضيق فقط.

ويصلي كثيرون كردود أفعال لما يواجههم من تحديات الحياة، لكن سعيد هو الإنسان الذي يصلي يومياً وباستمرار، جاعلاً شعاره «أما أنا فصلاة» (مز ٤:١٠٩). واتفاقاً من قول المسيح: «بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً» (يو ٥:١٥)، فيستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويه (في ١٣:٤). مرَّ المسيح مخلّصنا بوقت حزن، فجعله وقت صلاة، وإذ كان في جهاد كان يُصلي بأشد لجاجة، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض، وظهر له ملاك من السماء يقويه، وانتصر فتمَّم خلاصنا (لو ٤٣:٢٢ و٤٤).

ويطلب الشعب أن يرفع «إلهُ يعقوب» ملكَهم فوق الصعاب والأعداء، فلا يصدم رجله بحجر (مز ١٢:٩١) ويقولون إن الذي يرفع هو «اسم إله يعقوب». والاسم يدل على كل صفات الشخص. فالله هو الإله الفعّال في التاريخ، الذي قال عنه يعقوب: «استجاب لي في يوم ضيقتي، وكان معي في الطريق الذي ذهبتُ فيه» (تك ٣:٣٥). ولا بد أن الله سيفعل الشيء نفسه للملك الذاهب للحرب. ولا يزال اسم الرب هو البرج الحصين الذي يركض إليه الصدّيق ويتمنّع (أم ١٠:١٨).

و«إله يعقوب» هو إله العهد الذي وعد يعقوب بالنجاة والبركة (تك ٢٨:١٢-١٥) ولا بد أنه يحقق وعوده لنسل يعقوب.

عندما ارتفع إيليا إلى السماء، تساءل تلميذه أليشع: «أين هو الرب إله إيليا؟» ثم ضرب أليشع الماء فانفلق إلى هنا وهناك، فعبر (٢مل ٢:١٤) بعد أن فتح الرب أمامه طريقاً لا يقدر أحدٌ أن يغلقه. فما أسعد من يستعين بإله آبائه، كما قال بولس لتيموثاوس: «أتذكّر الإيمان العديم الرياء الذي فيك، الذي سكن أولاً في جدتك لوئيس وأمك أفنيكي، ولكني موقنٌ أنه فيك أيضاً» (٢تي ١:٥).

٢ - طلب العون والتعضيد من مكان العبادة: «ليرسل لك عوناً من قدسه، ومن صهيون ليعضدك» (آية ٢). وكأنهم يقولون للملك: أيها القائد، لقد مثلتَ في بيت الله عابداً. ركعتَ أمامه، وانتظرت بركته، فلا بد أن تجيئك البركة من مقادسه.

عندما نذهب إلى بيت الرب نجد البركة، فنقول: «فرحتُ بالقائلين لي: إلى بيت الرب نذهب» (مز ١٢٢:١). ونعمل بالوصية الرسولية «غير تاركين اجتماعنا.. بل واعظين بعضنا بعضاً، وبالأكثر على قدر ما ترون اليوم يقرُب» (عب ١٠:٢٥).

٣ - طلب قبول العبادة: «ليذكر كل تقدماتك ويستسمن محرقاتك» (آية ٣). بمعنى أن الملك الذي رفع صلواته لله في بيت الله، قدّم أيضاً أفضل ما عنده من أغنام سمينة وصحيحة كقرابين وتقدمات لله. وعلى المذبح أحرق كل الشحم، أفضل أجزاء الذبيحة. وهم يدعون الله أن يقبل قرابين الملك، التي قصد بها أن يتقرب إلى الله (هدف القربان القُرب من الله). فلينظر الرب إلى الملك وقربانه بعين الرضا، لأنه نفذ الوصية الإلهية التي تقول: «ثلاث مرات في السنة يحضر جميع ذكورك أمام الرب إلهك في المكان الذي يختاره، في عيد الفطير، وعيد الأسابيع، وعيد المظال. ولا يحضروا أمام الرب فارغين. كل واحد حسبما تعطي يده كبركة الرب إلهك التي أعطاك» (تث ١٦:١٦ و١٧).

ونحن اليوم نحتمي في كفارة الذبيحة العظمى، ذبيحة المسيح حمل الله الذي يرفع خطية العالم. وهو المحرقة الذي احترق ليفدينا، وهو يقول: «أنا عطشان» (يو ١٩:٢٨). «إلهي إلهي لماذا تركتني؟» (مت ٢٧:٤٦) لأنه يريد أن يكمل خلاصنا. وعندما أكمله قال: «قد أُكمل» (يو ١٩:٣٠).

٤ - طلب النجاح: «ليعطك الرب حسب قلبك، ويتمم كل رأيك» (آية ٤). قال المسيح: «إن سألتم (طلبتم) شيئاً باسمي فإني أفعله» (يو ١٤:١٤). «وهذه الثقة التي لنا عنده: أنه إن طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا» (١يو ٥:١٤). ليعطك حسب قلبك لأن رغبات قلبك تشبه رغبات قلبه، ولأن رأيك متّفق مع رأيه. قال القديس أغسطينوس: «عندما تفعل مشيئة الله كأنها مشيئتك، يفعل الله مشيئتك كأنها مشيئته» فإن «شهوة الصدّيقين تُمنح» (أم ١٠:٢٤).

فلنراجع آراءنا وأحلامنا ورؤانا بالنسبة لحياتنا الاقتصادية والعلمية والاجتماعية والروحية، ونسأل إن كانت متوافقة مع مشيئة الله، عالمين أن هذا التوافق هو ضمان الاستجابة.

٥ - **طلب الفرح:** «نترنم بخلاصك وباسم إلهنا نرفع رايتنا. ليكمّل الرب كل سؤلك» (آية ٥). الخلاص الذي نترنم به هو الفداء الكامل الذي أكمله المسيح على الصليب. لذلك نصلي أن يرفع الله راية صليب محبته، ليدرك المؤمنون أكثر وأكثر معنى الحب الإلهي، فيجددون عهودهم مع الله باستمرار، لأن محبة المسيح تحصرهم (٢كو ٥:١٤). فيحبونه لأنه هو أحبهم أولاً (١يو ٤:١٩).

وكان بنو إسرائيل يقصدون بالخلاص أولاً وقبل كل شيء الخلاص من العدو المحارب، فأنقذهم الله من الخطر، واستجاب طلباتهم الخمس من أجل ملكهم، فرفعوا آيات الشكر لسامع الصلاة. وكم نحتاج أن نتعلم الشكر! كثيراً ما ننجح، ونفرح بنجاحنا بدرجة تنسينا الأستاذ الذي علّمنا، أو تنسينا والدينا الذين تعبوا معنا. كثيراً ما نسينا أن نشكر ونحن صغار، وكثيراً ما نستمر صغاراً في روحانياتنا عندما نفرح بالعطية وننسى معطيها، ونحتفل بالانتصار وننسى الناصر!

«ليكمل الرب كل سؤلك (أيها الملك)». بمعنى: لتتحقق الطلبات الخمس التي طلبناها لك منه، فتستمر تنتظر خلاص الرب قائلاً: «انتظاراً انتظرت الرب فمال إليّ وسمع صراخي» (مز ٤٠:١).

ثانياً - تأثير الترنيم يؤكد استجابة الصلاة
(آيات ٦-٨)

قدم الملك ذبائحه للرب، ورفع كل الشعب طلباتهم الخمس إلى الله من أجل ملكهم. وكان إيمانهم ينتظر الاستجابة الأكيدة، فالإيمان يرى ما لا يراه الناس. فقام قائد جوقة الترنيم يرتل، مؤكداً للشعب كله أن الله سمع لهم:

١ - **تأتي الاستجابة من عند الله القادر:** قال القائد: «الآن عرفتُ أن الله مخلّص مسيحه. يستجيبه من سماء قدسه، بجبروت خلاص يمينه» (آية ٦). هذا ترنيمٌ منفرد من قائد جوقة الترنيم، أو من أحد الكهنة، يؤكد فيه للشعب أن الله استجاب صلاتهم. والمقصود بلقب «مسيح» هنا الملك الممسوح بالدهن المقدس لتخصيصه وتكريسه للقيام بخدمة معيّنة كلّفه الله بها (٢كو ١:٢١). وقد أوصت شريعة موسى بمسح أشخاص وأماكن وأوانٍ (خر ٤٠:٩ وعد ٧:١ و١٠) وكانوا يمسحون الكهنة (خر ٢٨:٤١) والأنبياء (١أخ ١٦:٢٢) والملوك (٢صم ١٩:١٠). فعندما يقول المرنم إن «الرب مخلّص مسيحه» يقصد أن الرب يخلّص كل إنسان يكلّفه بالقيام بخدمة معينة، فإنه لم يتجند أحدٌ بنفقة نفسه (١كو ٩:٧).

ولم أرَ طيلة حياتي خادماً مكرّساً لله لم يحسن الرب إليه إحساناً كاملاً. ولست أقصد الواعظ فقط، بل كل من يؤدي لله خدمةً مهما كانت بسيطة، مثل تقديم كأس ماء بارد لنفس عطشانة (مت ١٠:٤٢) أو تنظيف الكنيسة. فلا يمكن أن يكون الله مديوناً لإنسان. وأدعوكم أن تؤدّوا لله خدمة من قلوبكم، مهما كانت بسيطة، وسترون كيف يعطيكم بركة حقيقية، وكيف «يستجيبكم من سماء قدسه» بخلاصٍ شامل «بجبروت خلاص يمينه». فخلاص الله خلاص جبار من الخطية. «إن كانت خطاياكم كالقرمز

تبيّضُ كالثلج، إن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف» (إش ١٨:١). وخلاصه خلاص جبار من مكايد الأعداء مهما كانت خبيثة. فلا بد أن يرتدوا ويسقطوا، ولا بد أن ينجو المؤمن.

٢ - **هناك مصدران للقوة:** «هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل، أما نحن فاسم الرب إلهنا نذكر» (آية ٧). ذكر القائد مصدرين للقوة: أحدهما استعان به العدو، والثاني استعان به شعب الرب. اعتمد العدو على مركباته وخيله لأنه يراهم، كما فعل فرعون (خر ١٤) وكما فعل سنحاريب ملك آشور (٢مل ٢٣:١٩). أما شعب الرب فاعتمدوا على الرب، وهم يذكرونه دائماً لأنه الأمل الوحيد الذي لا يخزى منتظروه، حتى لو لم تره عيون أجسادهم (إش ٢٣:٤٩). وهذا ما قاله داود لجليات: «أنت تأتي إليّ بسيفٍ وبرمح وبترس، وأنا آتي إليك باسم رب الجنود إله صفوف إسرائيل الذين عيّرتهم» (١صم ٤٥:١٧). وهو ما أوصى الله به شعبه على فم موسى: «عندما تقربون من الحرب يتقدم الكاهن ويخاطب الشعب ويقول لهم: اسمع يا إسرائيل، أنتم قربتم اليوم من الحرب على أعدائكم. لا تضعف قلوبكم. لا تخافوا ولا ترتعدوا، ولا ترهبوا وجوههم، لأن الرب إلهكم سائر معكم لكي يحارب عنكم أعداءكم ليخلّصكم» (تث ٢:٢٠-٤). وقد يكون أعداء الرب في موقف المنتصر بينما شعبه منهزمين، لكن هذا لن يستمر، فلا بد من انتصار الرب وكل من ينتمون إليه.

٣ - **هناك نتيجتان مختلفتان للاستناد على القوتين المختلفتين:** «هم جثوا وسقطوا، أما نحن فقمنا وانتصبنا» (آية ٨). يبدو أن وجوه المؤمنين سقطت من العدو، أو ربما سقطوا فعلاً أمام العدو، فأنقذهم الرب، فقاموا بعد سقوط، وانتصبوا بعد انحناء. لا بد أن ترفع جماعة الرب رأسها قائلة: «أما أنت يا رب فترسٌ لي. مجدي ورافع رأسي» (مز ٣:٣).

قد ينجح الخاطئ في البداية، لكن النصرة النهائية هي للرب ولشعبه. نعم، هناك صليب، لكن لا بد من قيامة وارتفاع، فلا يمكن أن يكون الصليب هو النهاية.

ثالثاً - صلاة ختامية من الشعب كله

(آية ٩)

صلى الشعب للملك السماوي من أجل ملكهم الأرضي، وجاءهم التأكيد أن الملك السماوي أصغى وسمع، فعادوا يرتلون من جديد: «يا ربُّ خلِّص. ليستجِبْ لنا الملك في يوم دعائنا» (آية ٩). لقد رفعوا لله طلبات لأجل الملك، وهم يعلمون أن الملك الحقيقي هو الرب.

حسناً صلّينا من أجل رب الأسرة، لكن يجب أن ندرك أن رب أسرتنا الأعظم هو أبونا السماوي. وحسناً رفعنا طلبنا من أجل راعي كنيستنا، لكن لنضع نصب أعيننا أن راعي رعاتنا العظيم هو الرب يسوع المسيح. وحسناً دعوّنا ليبارك الرب صاحب العمل، لكننا نعلم أن رئيس عملنا الذي نخدمه هو الله، ومنه ننال الجزاء.

«ليستجب لنا الملك في يوم دعائنا» فيبارك قائدنا ويبارك عملنا.

المزمور الحادي والعشرون

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

١ يَا رَبُّ بِقُوَّتِكَ يَفْرَحُ ٱلْمَلِكُ، وَبِخَلَاصِكَ كَيْفَ لَا يَبْتَهِجُ جِدّاً! ٢ شَهْوَةَ قَلْبِهِ أَعْطَيْتَهُ،
وَمُلْتَمَسَ شَفَتَيْهِ لَمْ تَمْنَعْهُ. سِلَاهْ. ٣ لِأَنَّكَ تَتَقَدَّمُهُ بِبَرَكَاتِ خَيْرٍ. وَضَعْتَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجاً
مِنْ إِبْرِيزٍ. ٤ حَيَاةً سَأَلَكَ فَأَعْطَيْتَهُ. طُولَ ٱلْأَيَّامِ إِلَى ٱلدَّهْرِ وَٱلْأَبَدِ. ٥ عَظِيمٌ مَجْدُهُ
بِخَلَاصِكَ، جَلَالاً وَبَهَاءً تَضَعُ عَلَيْهِ. ٦ لِأَنَّكَ جَعَلْتَهُ بَرَكَاتٍ إِلَى ٱلْأَبَدِ. تُفَرِّحُهُ ٱبْتِهَاجاً
أَمَامَكَ. ٧ لِأَنَّ ٱلْمَلِكَ يَتَوَكَّلُ عَلَى ٱلرَّبِّ، وَبِنِعْمَةِ ٱلْعَلِيِّ لَا يَتَزَعْزَعُ.

٨ تُصِيبُ يَدُكَ جَمِيعَ أَعْدَائِكَ. يَمِينُكَ تُصِيبُ كُلَّ مُبْغِضِيكَ. ٩ تَجْعَلُهُمْ مِثْلَ تَنُّورِ نَارٍ فِي
زَمَانِ حُضُورِكَ. ٱلرَّبُّ بِسَخَطِهِ يَبْتَلِعُهُمْ وَتَأْكُلُهُمُ ٱلنَّارُ. ١٠ تُبِيدُ ثَمَرَهُمْ مِنَ ٱلْأَرْضِ
وَذُرِّيَّتَهُمْ مِنْ بَيْنِ بَنِي آدَمَ. ١١ لِأَنَّهُمْ نَصَبُوا عَلَيْكَ شَرّاً. تَفَكَّرُوا بِمَكِيدَةٍ. لَمْ
يَسْتَطِيعُوهَا. ١٢ لِأَنَّكَ تَجْعَلُهُمْ يَتَوَلَّوْنَ. تُفَوِّقُ ٱلسِّهَامَ عَلَى أَوْتَارِكَ تِلْقَاءَ وُجُوهِهِمْ.
١٣ ٱرْتَفِعْ يَا رَبُّ بِقُوَّتِكَ. نُرَنِّمُ وَنُنَغِّمُ بِجَبَرُوتِكَ.

شكر على النصر

في مزمور ٢٠ سمعنا المؤمنين يصلّون من أجل القائد لينصره الرب. وفي هذا المزمور نسمع تأكيداً أن الله سمع واستجاب. حقاً «اسألوا تعطوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يُفتح لكم» (مت ٧:٧). في مزمور ٢٠ سألوا، وفي مزمور ٢١ يشكرون الله الذي استجاب لهم وأعطاهم، ويعلنون ثقتهم أنه سيعطيهم، فهو إذاً مزمور الكنيسة المجاهدة وقد سمع الله صلاتها من أجل راعيها، كما أنه يمكن أنه يمكن أن يكون مزموراً نبوياً ترتله الكنيسة المنتصرة وهي تعلن نهاية الجهاد المكلل بالغلبة. وهو مزمور العائلة المسيحية تسمع رب الأسرة يرتل ترتيل الشكر، وهو مزمور العمّال يسمعون صاحب العمل يشكر الله الذي استجاب دعاء رجاله لأجل مؤسستهم.

هذا المزمور نبوة عن المسيح ابن داود، وقد أوضح الترجوم اليهودي (وهو ترجمات تفسيرية قديمة لأجزاء من العهد القديم باللغة الأرامية) آيتي ١ و٧ من مزمورنا بالقول «الملك المسيا». ويقول الرسول بولس: «لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه» (١كو ١٥:٢٥).

في هذا المزمور نجد:

أولاً – الفرح بالانتصار (آيات ١-٧)

ثانياً – هزيمة العدو الدائمة (آيات ٨-١٢)

ثالثاً – الاحتفال بالنصر الدائم (آية ١٣)

أولاً - الفرح بالانتصار

(آيات ١-٧)

١ – **جاء الفرح نتيجة معجزة:** «يا رب، بقوتك يفرح الملك، وبخلاصك كيف لا يبتهج جداً؟» (آية ١). لم ينتصر القائد الذي صلوا لأجله بقوةٍ من عنده «بالمركبات والخيل» (مز ٢٠:٧) بل «بقوتك» و«بخلاصك» يا رب. إن افتخارنا البشري يرخي أوتار أعوادنا، فتصدر عنها الألحان الحزينة. ولكن قوته وخلاصه يشدان أوتار أعوادنا فنغني بفرح ترانيم الخلاص بمعجزة النصر، لأنه «لا بالقوة ولا بالقدرة، بل بروحي قال رب الجنود» (زك ٤:٦) «لأن به تفرح قلوبنا، لأننا على اسمه القدوس اتكلنا» (مز ٣٣:٢١) «فبكل سرور أفتخر بالحري في ضعفاتي لتحل عليّ قوة المسيح» (٢كو ١٢:٩).

٢ – **جاء الفرح نتيجة الصلاة المستجابة:** «شهوة قلبه أعطيته، وملتمس شفتيه لم تمنعه» (آية ٢). «أعطيته – لم تمنعه». وكلمة «شهوة» تعني الرغبة العميقة المتأصلة الغريزية، لا الرغبة الطارئة. وهي في الأصل العبري تعني الميراث، فهي ليست مجرد أمل، لكنها أمر أكيد كالميراث. وليست استجابة الصلاة مجرد أملٍ عابر شُدّت إليه عينا المصلي، بل هي حقيقة صادقة لا شك فيها، كما قال المسيح: «شهوةً اشتهيتُ أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم» (لو ٢٢:١٥). فأكله وكما قال الحكيم: «شهوة الصديقين تُمنح» (أم ١٠:٢٤). وقد حقق الله الشهوة المقدسة واستجاب الالتماس.

وتجئ كلمة «سلاه» في نهاية الآية الثانية، كأنها تريد أن توقفنا لحظة عن الترتيل لنتأمل في استجابة الصلاة، لنتشجع فنصلي أكثر (يو ١٦:٢٤).

٣ – **جاء الفرح نتيجةً لعناية الله:** «لأنك تتقدمه ببركات خير. وضعتَ على رأسه تاجاً من إبريز» (آية ٣). كأن الله ذهب ليلاقي الملك ليباركه بكل خيرات النجاح، فتحقق معه القول: «بركة خير تأتي عليهم» (أم ٢٤:٢٥). يحصل بعض الناس على بركات ولكنهم يسيئون استعمالها، لكن من عند الرب تخرج بركات الخير للذين يسلكون في الخير. العادة في فلسطين أن يتقدم الراعي خرافه التي تتبعه، وقد قال المسيح إن خرافه تسمع صوته، وأنه يعرفها فتتبعه (يو ١٠:٣-٥). فالرب يحمل بركات الخير للمؤمنين ويتقدمهم بها، وهم يتبعونه في فرح بعنايته الفائقة.

ثم وضع الرب على رأس الملك تاجاً من ذهب اعترافاً بتجديد مُلكه على شعبه الذي يصلي لأجله. ويضع الرب على رؤوس المؤمنين الأمناء الذين يخدمونه أكاليل البر (٢تي ٤:٨) وأكاليل الحياة

(يـع ١٢:١ ورؤ ١٠:٢) وأكاليل المجد (١بط ٤:٥). وهي أكاليل من ذهب (رؤ ٤:٤). فهل يستحق أحدٌ من المؤمنين هذا كله؟ لقد حمل المسيح على رأسه إكليل الشوك ليعطينا إكليل الذهب، واحتمل العار والهوان ليعطينا المجد والشرف. فلنشكر إلهنا الصالح بكل الفرح!

٤ - جاء الفرح نتيجة منح الملك الحياة الأبدية: «حياةً سألك فأعطيته. طول الأيام إلى الدهر والأبد» (آية ٤). وهذا يعني أن الله أطال سني حياة الملك في الأيام، وعمَّق نوعيتها، إذ منحه الحياة الناجحة المثمرة. وأكثر من هذا أنه منحه «طول الأيام إلى الأبد». ويمنحنا الله الحياة الأبدية، التي تستمر «إلى الدهر والأبد» عندما يدخل المسيح قلوبنا، فتصبح حياته حياتنا. «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته» (يو ٣:١٧ - قارن يو ١٤:٣-١٦). وقتها نتمتع هنا ببدء الحياة الأبدية التي لا تنتهي أبداً، لأن الأبدي الذي حلّ فينا يجعل الفاني أبدياً، ويمنحه صفة الدوام!

نال الملك حزقيا خمس عشرة سنة زيادة على سني حياته (إش ٥:٣٨) لكنه مات. ونال لعازر سنوات لا ندري عددها بعد أن أقامه المسيح من القبر (يو ٤٣:١١)، لكنه عاد ومات. واضحٌ أن حياة الجسد تفنى، لكن هناك الحياة الأبدية التي لا نهاية لها، والتي يجب أن تتأكد أنها نصيبك، عندما يسكن المسيح قلبك.

٥ - جاء الفرح نتيجة حصول الملك على الجلال والبهاء: «عظيم مجده بخلاصك. جلالاً وبهاءً تضع عليه» (آية ٥). والمجد والجلال والبهاء صفات الله سبحانه، وقد أضفى منها على الملك المنتصر ما رفع رأسه. ونحن اليوم ندرك أن مجدنا وجلالنا وبهاءنا هو في ثمر الروح القدس، من محبة وفرح وسلام، وطول أناة ولطف وصلاح، وإيمان ووداعة وتعفف. وعندما يدخل المسيح قلوبنا يعطينا حياة أبدية، فيبدأ الروح القدس يثمر فينا، وهذا هو البهاء. فتظهر فينا «المحبة» فيعرف الجميع أننا تلاميذ المسيح (يو ٣٥:١٣). ويظهر فينا فرح الرب ويكون قوتنا (نح ١٠:٨). ويظهر فينا السلام حتى لو فقدنا أعز ما لدينا (٢مل ٢٦:٤) .. وهكذا.

أيها المؤمن، يا من دخل المسيح قلبك، إن لم تكن متمتعاً بثمر الروح أرجوك أن تراجع حياتك الروحية، لأن هذه البركات جميعاً هي نصيبك ومن حقك، لأن المجد والجلال والبهاء هو نصيب كل من كُتب اسمه في سفر الحياة (رؤ ٥:٣).

٦ - جاء الفرح نتيجة لأن الملك صار بركةً لشعبه: «لأنك جعلته بركات إلى الأبد» (آية ٦أ). قال الرب لإبراهيم: «اذهب من أرضك.. فأجعلك أمة عظيمة، وأباركك، وأعظّم اسمك، وتكون بركة» (تك ١:١٢ و٢). وكل من يتبع الرب بثقة ومحبة وطاعة يمنحه الرب بركات، كما يجعله مصدر بركات للمحيطين به. قد يشجّع واعظٌ مستمعيه المتألمين، لكن الحياة تعود فتصدمهم، فيعودون إلى متاعبهم. أما البركة الوحيدة التي تستمر إلى الأبد فهي بركة الخلاص بربنا يسوع المسيح: الخلاص من خطايا الماضي بالغفران، والخلاص من خطايا الحاضر بالتقديس، وتكميل الخلاص في المستقبل بالدخول إلى أمجاد السماء، وهذا هو كمال الفرح والابتهاج أمام الرب.

و«تفرحه ابتهاجاً أمامك» (آية ٦ب). وهذا تعبيرٌ مأخوذ من إنعاش الجمال بالغناء (ويُسمَّى في العربية: حُداء)، فتسير في الصحاري القاحلة تحمل أثقالها بيُسرٍ. ويُبهج الرب الملك ليتحمّل مسؤوليات الدولة إذ يُسمعه ترتيل وترانيم وصلوات شعبه من أجله.

٧ - **جاء هذا الفرح ليستمر:** «لأن الملك يتوكل على الرب، وبنعمة العلي لا يتزعزع». (آية ٧). الاتكال هو الاعتماد على صدق خبرٍ سمعناه، والتصرف بمقتضى هذا الاعتماد وفي نوره. لقد عرف الملك أن الله سامع الصلاة، واختبر الاستجابة العظيمة، فتعلّم أن يتكل عليه، فلم يعد يتقلقل أو يشكّ. قال الرسول يعقوب: «رجلٌ ذو رأيين هو متقلقلٌ في جميع طرقه» (يع ١:٨). أما المتوكل على الرب وعلى نعمته فإنه ثابت. يعطي العالم فرحاً لا يستمر، وقد تنتهي حلاوته بالمرارة وضحكه بالبكاء. لكن عندما يعطي الرب الفرح الحقيقي فهذا يستمر إلى الأبد، لأن صاحبه يتوكل على الرب.

ثانياً - هزيمة العدو الدائمة

(آيات ٨-١٢)

نصر الله شعبه على العدوِ الذي جاء غازياً، فانهزم، كما لا بد أن ينهزم كل أعداء الرب، وعلى رأسهم «إبليس خصمكم» الذي يبدو «كأسدٍ زائر» (١بط ٥:٨) مع أنه في الواقع عدو مهزوم قال عنه المسيح: «رأيتُ الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء» (لو ١٠:١٨). أما الأسد الذي خرج غالباً ولكي يغلب (رؤ ٥:٥) فهو فقط الذي رفعه الله وأعطاه اسماً فوق كل اسم (في ٢:٩)، وأبواب الجحيم لن تقوى على مملكته، وكل آلة صُوِّرت ضدها لا تنجح (إش ٥٤:١٧).

الله دوماً هو المنتصر، ولكنه إله ديمقراطي، يسمح بوجود معارضين له، فيترك للشيطان حرية العمل، وهو يعلم أن النصرة الأخيرة النهائية هي دائماً للحق. فإن كان العدو يمرح، ويصرخ بأعلى صوت، ويظن أنه يشوشر على الحق بالباطل، فإن جماعة المؤمنين الهادئة التي تصلي تدرك أن الصوت المنخفض الخفيف (١مل ١٩:١٢) آتٍ لا شك فيه، ليشجع ويبني ويبارك، ويهزم العدو.

وفي هذه الآيات نجد الحقائق الخمس التالية:

١ - **ستستمر هزيمة الأعداء لأنهم مكشوفون:** «تصيب يدُك جميع أعدائك. يمينك تصيب كلّ مبغضيك» (آية ٨). لا شيء يخفى عن الرب «وليست خليقة غير ظاهرة قدامه، بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا» (عب ٤:١٣). إن ظن العدو أنه يحصّن نفسه ليخبئ مؤامراته عن الرب فهو جاهل واهم، وهزيمته لا شك فيها!

٢ - **ستستمر هزيمة الأعداء لأنهم لا بد مهزومون:** «تجعلهم مثل تنّور نار في زمان حضورك الرب بسخطه يبتلعهم. وتأكلهم النار» (آية ٩). يهلك الرب الأعداء كوقود في تنور «فهوذا يأتي اليوم المتّقد كالتنور، وكل المستكبرين وكل فاعلي الشر يكونون قشاً، ويحرقهم اليوم الآتي، يقول رب الجنود، فلا يُبقي لهم أصلاً ولا فرعاً» (ملا ٤:١).

٣ – ستستمر هزيمة الأعداء لأنهم لا يُنجِبون مثلهم: «تبيد ثمرهم من الأرض، وذريتهم من بين بني آدم» (آية ١٠). ثمرة البطن هي النسل (تك ٢:٣٠ ومز ٣:١٢٧). ولن ينجب الأشرار أشراراً مثلهم، إما لأن الله سيهلك نسلهم، أو لأن النسل لن يحبوا أن يسيروا في طرق آبائهم الأشرار. والله قادر على الأمرين! لئن ظن الأعداء أن عددهم كبير، فليست النصرة في كثرة العدد، لأن الرب سيبيد ذريتهم، ولن يستطيعوا أن يدربّوا أو يجنّدوا أشراراً آخرين على شاكلتهم.

٤ – ستستمر هزيمة الأعداء لأنهم دوماً عاجزون: «لأنهم نصبوا عليك شراً. تفكروا بمكيدة. لم يستطيعوها» (آية ١١). «نصبوا» بمعنى أنهم تعبوا ورتّبوا ودبّروا، ولكنهم لن يستطيعوا. لم يكن هيرودس الكبير يظن أن الطفل يسوع سينجو من مكيدته وهو يقتل كل أطفال بيت لحم. ولكن مكيدته لم تفلح. ولم يكن هيرودس الآخر يظن أن أربعة أرابع (١٦ جندياً) من العسكر سيعجزون عن حراسة بطرس في السجن، ولم يكن يظن أن أبواب السجن ستنفتح. لكن الله في محبته وقوته خلص بطرس من الشر الذي نصبوه عليه.

٥ – ستستمر هزيمة الأعداء لأنهم دوماً يهربون: «لأنك تجعلهم يتولّون. تُفوّق السهام على أوتارك تلقاء وجوههم» (آية ١٢). «يتولون» بمعنى أن هجوم الله عليهم يجعلهم يعطون القفا ويهربون. فإذا استداروا ليهاجموا شعب الرب من جديد، فالسهم جاهز ليصيبهم ويردّهم على أعقابهم. وقد تبدو هذه الكلمات مُغرقة في التفاؤل، ولكن منذ متى لا يجب أن يكون أولاد الله متفائلين؟ إنهم متفائلون بطبعهم لأنهم يتبعون المخلّص المنتصر الذي ينصر الذين هم له، فيعظم انتصارهم بمن أحبهم (رو ٣٧:٨).

ثالثاً - الاحتفال بالنصر الدائم

(آية ١٣)

هذه الآية هي كلمات الترنيمة الأخيرة للشعب كله، وقد امتلأت قلوبهم بالثقة أن الرب يُظهر قوته فيقولون: «ارتفع يا رب بقوتك. نرنم وننغّم بجبروتك» (آية ١٣). يرتفع الرب بقوة نفسه، فلن يقدر المؤمنون أن يرفعوه! فمن نحن لنمجد الله؟ إن الله يمجد ذاته ويمجدنا معه. لكننا يجب أن نسير سيراً يمجد الله وأن نسلك سلوكاً يرضيه.

في حفل اليوبيل الماسي للملكة فيكتوريا، كتب الشاعر رُدريارد كبلينج يقول: «لئلا ننسى في حفل اليوبيل أن العزة والقدرة هما لله وحده، فليصمت البشر وليتذللوا أمام العلي». فدعونا الآن نصمت ونسكّن قلوبنا أمام الله، ليحقق لنا وعود هذا المزمور، مزمور الانتصار.

المزمور الثاني والعشرون

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ عَلَى «أَيِّلَةِ ٱلصُّبْحِ». مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

١ إِلٰهِي! إِلٰهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي، بَعِيداً عَنْ خَلَاصِي عَنْ كَلَامِ زَفِيرِي؟ ٢ إِلٰهِي، فِي
ٱلنَّهَارِ أَدْعُو فَلَا تَسْتَجِيبُ. فِي ٱللَّيْلِ أَدْعُو فَلَا هُدُوءَ لِي. ٣ وَأَنْتَ ٱلْقُدُّوسُ ٱلْجَالِسُ بَيْنَ
تَسْبِيحَاتِ إِسْرَائِيلَ. ٤ عَلَيْكَ ٱتَّكَلَ آبَاؤُنَا. ٱتَّكَلُوا فَنَجَّيْتَهُمْ. ٥ إِلَيْكَ صَرَخُوا فَنَجَوْا.
عَلَيْكَ ٱتَّكَلُوا فَلَمْ يَخْزَوْا. ٦ أَمَّا أَنَا فَدُودَةٌ لَا إِنْسَانٌ. عَارٌ عِنْدَ ٱلْبَشَرِ وَمُحْتَقَرُ ٱلشَّعْبِ.
٧ كُلُّ ٱلَّذِينَ يَرُونَنِي يَسْتَهْزِئُونَ بِي. يَفْغَرُونَ ٱلشِّفَاهَ وَيُنْغِضُونَ ٱلرَّأْسَ قَائِلِينَ: ٨ «ٱتَّكَلَ
عَلَى ٱلرَّبِّ فَلْيُنَجِّهِ. لِيُنْقِذْهُ لِأَنَّهُ سُرَّ بِهِ». ٩ لِأَنَّكَ أَنْتَ جَذَبْتَنِي مِنَ ٱلْبَطْنِ. جَعَلْتَنِي
مُطْمَئِنّاً عَلَى ثَدْيَيْ أُمِّي. ١٠ عَلَيْكَ أُلْقِيتُ مِنَ ٱلرَّحِمِ. مِنْ بَطْنِ أُمِّي أَنْتَ إِلٰهِي. ١١ لَا
تَتَبَاعَدْ عَنِّي لِأَنَّ ٱلضِّيقَ قَرِيبٌ. لِأَنَّهُ لَا مُعِينَ.

١٢ أَحَاطَتْ بِي ثِيرَانٌ كَثِيرَةٌ. أَقْوِيَاءُ بَاشَانَ ٱكْتَنَفَتْنِي. ١٣ فَغَرُوا عَلَيَّ أَفْوَاهَهُمْ كَأَسَدٍ
مُفْتَرِسٍ مُزَمْجِرٍ. ١٤ كَٱلْمَاءِ ٱنْسَكَبْتُ. ٱنْفَصَلَتْ كُلُّ عِظَامِي. صَارَ قَلْبِي كَٱلشَّمْعِ. قَدْ
ذَابَ فِي وَسَطِ أَمْعَائِي. ١٥ يَبِسَتْ مِثْلَ شَقْفَةٍ قُوَّتِي، وَلَصِقَ لِسَانِي بِحَنَكِي، وَإِلَى تُرَابِ
ٱلْمَوْتِ تَضَعُنِي. ١٦ لِأَنَّهُ قَدْ أَحَاطَتْ بِي كِلَابٌ. جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلْأَشْرَارِ ٱكْتَنَفَتْنِي. ثَقَبُوا
يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ. ١٧ أُحْصِي كُلَّ عِظَامِي، وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَيَتَفَرَّسُونَ فِيَّ. ١٨ يَقْسِمُونَ ثِيَابِي
بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ.

١٩ أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَلَا تَبْعُدْ. يَا قُوَّتِي أَسْرِعْ إِلَى نُصْرَتِي. ٢٠ أَنْقِذْ مِنَ ٱلسَّيْفِ
نَفْسِي. مِنْ يَدِ ٱلْكَلْبِ وَحِيدَتِي. ٢١ خَلِّصْنِي مِنْ فَمِ ٱلْأَسَدِ، وَمِنْ قُرُونِ بَقَرِ ٱلْوَحْشِ
ٱسْتَجِبْ لِي.

٢٢ أُخْبِرْ بِٱسْمِكَ إِخْوَتِي. فِي وَسَطِ ٱلْجَمَاعَةِ أُسَبِّحُكَ. ٢٣ يَا خَائِفِي ٱلرَّبِّ سَبِّحُوهُ.
مَجِّدُوهُ يَا مَعْشَرَ ذُرِّيَّةِ يَعْقُوبَ. وَٱخْشَوْهُ يَا زَرْعَ إِسْرَائِيلَ جَمِيعاً. ٢٤ لِأَنَّهُ لَمْ يَحْتَقِرْ وَلَمْ
يُرْذِلْ مَسْكَنَةَ ٱلْمِسْكِينِ، وَلَمْ يَحْجِبْ وَجْهَهُ عَنْهُ، بَلْ عِنْدَ صُرَاخِهِ إِلَيْهِ ٱسْتَمَعَ. ٢٥ مِنْ
قِبَلِكَ تَسْبِيحِي فِي ٱلْجَمَاعَةِ ٱلْعَظِيمَةِ. أُوفِي بِنُذُورِي قُدَّامَ خَائِفِيهِ. ٢٦ يَأْكُلُ ٱلْوُدَعَاءُ
وَيَشْبَعُونَ. يُسَبِّحُ ٱلرَّبَّ طَالِبُوهُ. تَحْيَا قُلُوبُكُمْ إِلَى ٱلْأَبَدِ. ٢٧ تَذْكُرُ وَتَرْجِعُ إِلَى ٱلرَّبِّ
كُلُّ أَقَاصِي ٱلْأَرْضِ. وَتَسْجُدُ قُدَّامَكَ كُلُّ قَبَائِلِ ٱلْأُمَمِ. ٢٨ لِأَنَّ لِلرَّبِّ ٱلْمُلْكَ وَهُوَ

ٱلْمُتَسَلِّطُ عَلَى ٱلأُمَمِ. ٢٩ أَكَلَ وَسَجَدَ كُلُّ سَمِينِي ٱلأَرْضِ. قُدَّامَهُ يَجْثُو كُلُّ مَنْ يَنْحَدِرُ
إِلَى ٱلتُّرَابِ وَمَنْ لَمْ يُحْيِ نَفْسَهُ. ٣٠ ٱلذُّرِّيَّةُ تَتَعَبَّدُ لَهُ. يُخَبَّرُ عَنِ ٱلرَّبِّ ٱلْجِيلُ ٱلآتِي.
٣١ يَأْتُونَ وَيُخْبِرُونَ بِبِرِّهِ شَعْباً سَيُولَدُ بِأَنَّهُ قَدْ فَعَلَ.

نبوَّات عن الصليب والقيامة

كتب داود هذا المزمور قبل صلب المسيح بألف سنة، وشرح فيه بروح النبوّة آلام الصليب وأمجاد القيامة. عنوان المزمور «لإمام المغنين على أيلة الصبح» بمعنى أن الوقت الذي يُرتل فيه هذا المزمور كان دوماً قبل شروق الشمس. وهو يصوّر لنا ألم الصليب الذي تحمّله فادينا من أجلنا إلى أن انبلج صباح القيامة بنوره العظيم. وهذا المزمور نبوّة عن المسيح، ولا يعبر أبداً عن حالة داود، فلم يحدث أبداً لداود أنه كان:

١ - «**محتقر الشعب**» (آية ٦): ففي أسوأ الحالات التي طارده فيها الملك شاول، كان محبوباً من كل الشعب، يغنون له: «ضرب شاول ألوفه، وداود عشرات ألوفه» (١صم ١٨:٧). أما المسيح فيصفه النبي إشعياء في حالة آلامه بالقول: «محتقرٌ فلم نعتدّ به» (إش ٥٣:٣).

٢ - «**لأنه لا معين**» (آية ١١): فلم يكن داود أبداً بلا معين، لأن الرب كان عونه دائماً. أما المسيح فقال هذه الكلمات على الصليب، لأنه كان وقت الصليب يمثّل الخطاة، فحجب الله وجهه عنه.

٣ - «**ثقبوا يديَّ ورجليَّ**» (آية ١٦): وهذا لم يحدث أبداً لداود، بل جرى للمسيح المصلوب.

٤ - «**أُحصي كل عظامي**» (آية ١٧): ولم يكن داود أبداً في وضع المعلّق الذي تعرى من ثيابه فظهرت عظام جسده بارزة، حتى يمكن أن يحصيها كل من يريد إحصاءها.

٥ - «**يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون**» (آية ١٨): وهذا لم يحدث أبداً لداود، بل فعله العسكر مع ثياب المسيح.

إذاً المزمور نبوة توراتية من وحي الروح القدس عما سيحدث للمسيح. تقول الآية ٢٢ منه «أُخبر باسمك إخوتي. في وسط الجماعة أُسبّحك». وقال الرسول بولس إنها من كلمات المسيح (عب ٢:١٢). وتقول الآية الأولى في المزمور: «إلهي إلهي، لماذا تركتني؟» وهذه أول كلمات المسيح على الصليب، لأنه شعر أن الآب حجب وجهه عنه وتركه ليدفع أجرة خطايانا بديلاً عنّا لأنه ناب عن الأشرار. وبعد أن قدم التضحية والذبيحة وأوجد الكفارة والفداء والخلاص قال: «قد فعلت». (آية ٣١) وترجمتها في اليونانية «قد أُكمل».

وقبل الصليب بألف سنة وصف هذا المزمور بروح النبوة، وبوحي الروح القدس، أحلك ساعات حياة المسيح على أرضنا، وذكر كلماته على الصليب. وقد أشار البشيرون إلى هذا المزمور باعتباره

نبوة عن الصليب (مت ٢٧: ٣٥-٤٦ ويو ١٩: ٢٤ و٢٨ و٣٠).

تحكي آيات ١-٢١ آلام المسيح. فعندما وُلد حاول هيرودس أن يقتله. ثم جرّبه إبليس في البرية ليُبعده عن الصليب. بعدها قاومه الرؤساء وصلبوه.. ولم تنجح مقاصدهم من صلبه، لأنه قام في اليوم الثالث من بين الأموات. لقد شُبّه لليهود أنهم قتلوه وأنهوا رسالته، لكن آمالهم الشريرة خابت، لأن الله رفعه إليه «فتذكر وترجع إلى الرب كل أقاصي الأرض، وتسجد قدامك كل قبائل الأمم» (آية ٢٧).

لم يكن الصليب نهاية المسيح، ولا كان الألم نهاية مزمور ٢٢ لأن المزمور في جزئه الأخير (آيات ٢٢-٣١) يهتف بانتصار المسيح. ولا يمكن أن نذكر صليب المسيح وآلامه الفدائية دون أن نذكر قيامته قيامة عزيز مقتدر، فنقول مع الرسول بولس: «أُسلم من أجل خطايانا، وأُقيم لأجل تبريرنا» (رو ٤: ٢٥).

ومن الأمور الواضحة في هذا المزمور، والتي تبرهن أنه يتحدث عن المسيح المصلوب المُقام، أمران:

١ - يخلو المزمور من أي اعتراف بالخطية. والمسيح هو الوحيد المعصوم.

٢ - يخلو المزمور من لعن العدو، الأمر الذي نراه في كل المزامير التي تعالج العلاقة بالعدو. والمسيح هو الذي لم يلعن مقاوميه، بل طلب لهم الغفران وهم يصلبونه، وعلّم أتباعه أن يحبّوا أعداءهم.

في هذا المزمور نجد،

أولاً - نبوّات عن آلام المسيح (آيات ١-٢١)

ثانياً - نبوّات عن نصرة المسيح (آيات ٢٢-٣١)

أولاً - نبوّات عن آلام المسيح

(آيات ١-٢١)

١ - صلاة المسيح المتألم: (آيات ١-٥).

في هذه الآيات نرى أمرين:

(أ) تعبيراً عن الألم النفسي: «إلهي! إلهي، لماذا تركتني بعيداً عن خلاصي عن كلام زفيري؟ إلهي، في النهار أدعو فلا تستجيب. في الليل أدعو فلا هدوّ لي» (آيتا ١ و٢). هذه صرخة حيرة ودهشة، إذ يتصارع الإيمان والألم داخل الصارخ، فالإيمان يتمسك بالله «إلهي» ويتساءل الألم: «لماذا تركتني؟»». هذه صرخة متألم، يمسك إلهه بكلتا يديه ويقول له: «إلهي إلهي». يقولها وهو في الجسد،

نائباً وبديلاً عنا لأنه فادينا ولـيُّ أمرنا الأقرب إلينا. كل آلام الصليب المبرحة، وسخرية الناس الرهيبة، والآلام النفسية التي تفوق كل الآلام البدنية، لم تفصله عن الله الذي يستوفي منه أجرة خطية العالم، فهو «حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو ١:٢٩). لم يفعل المسيح ما يدعو أن يتركه الله، لكن بسبب خطايانا حجب الله وجهه عنه، كما هو مكتوب: «أما الرب فسُرَّ بأن يسحقه بالحزن» (إش ٥٣:١٠). الذي لم يعرف خطية جُعل خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه (٢كو ٥:٢١).

جعل الألم العظيم كلام المسيح زفيراً: «لماذا تركتني بعيداً عن خلاصي عن كلام زفيري؟» وكأنه أسد يزأر من الألم! «إلهي، في النهار أدعو فلا تستجيب لي. في الليل أدعو فلا هدوَّ لي». كان واثقاً تماماً أن الله معه، ولكن ما باله لا يستجيب له ولا يمنحه الخلاص والسلام؟

(ب) توجُّهاً للإله القدوس الأمين: «وأنت القدوس الجالس بين تسبيحات إسرائيل. عليك اتكل آباؤنا. اتكلوا فنجّيتهم. إليك صرخوا فنجوا. عليك اتكلوا فلم يخزوا» (آيات ٣-٥). يثق المرنم في الرب، لأنه القدوس، الذي يختلف عن البشر الناقصين، كما أنه الكامل في النقاوة والعدالة والأمانة.. ولذلك يسبّحه شعبه حتى في وسط شدة آلامهم وضيقة نفوسهم، فتتصاعد تسبيحاتهم كسحابة بخور عطر نحو عرشه العظيم. وفي آيتي ٤ و٥ يعترف المرنم أن الله خلّص شعبه المتكل عليه، ونجّاهم. فلماذا لا يحدث الأمر نفسه الآن؟.. إنها صلاة واثق متروك، يصرخ إلى الإله الأمين صاحب المعجزات القديمة.

٢ - تواضع المسيح المتألم: (آيات ٦-٨).

(أ) اعتبروه على غير حقيقته: «أما أنا فدودة لا إنسان، عار عند البشر، ومحتقَر الشعب» (آية ٦). هو الإنسان الكامل، ولكنه رضي أن يعتبروه دودة محتقرة يحسب الذي يراها أنه يقدر أن يهلكها بقدمه، وهي عاجزة عن رد الأذى! وهو نفس الوصف الذي نقرأه عن المسيح في نبوة إشعياء ٤١:١٤. ومكتوب عنه أيضاً «محتقرٌ ومخذول من الناس» (إش ٥٣:٣) حتى أن الشعب طلب من بيلاطس أن يطلق لهم باراباس القاتل ويصلب المسيح. لم ينظروا إليه كإنسان، بل أهانوه وطعنوه كأنه «دودة» وحمّلوه صليبه حتى سقط تحته.

(ب) تعرُّض للسخرية: «كل الذين يرونني يستهزئون بي. يفغرون الشفاه ويُنغضون الرأس (احتقاراً وكراهية وإعلاناً لرفضهم له) قائلين: اتكل على الرب فلينجّه. لينقذه لأنه سُرَّ به» (آيتا ٧ و٨). وقد تحققت هذه النبوة بحذافيرها عند الصليب، فإن الكهنة والشعب، واليهود والوثنيين، والمدنيين والجنود، والشرفاء واللصوص سخروا منه قائلين: «خلّص آخرين، أما نفسه فما يقدر أن يخلّصها.. قد اتكل على الله فلينقذه الآن إن أراده» (مت ٢٧:٤٢ و٤٣) وهم لا يعلمون أنه لم يخلّص نفسه لأنه يريد أن يخلّصنا.

وإذ نقرأ هذه الآيات نتساءل: هل نتعجب من قسوة الإنسان؟ أو نتعجب من محبة الفادي وهو يصلي لأجل صالبيه: «يا أبتاه، اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون؟» (لو ٢٣:٣٤). فما أقسى الإنسان، وما أعظم محبة الله!

٣ - ثقة المسيح المتألم: (آيات ٩-١١).

«لأنك أنت جذبتني من البطن. جعلتني مطمئناً على ثديي أمي. عليك أُلقيتُ من الرحم. من بطن أمي أنت إلهي. لا تتباعد عني لأن الضيق قريب. لأنه لا معين».

قال أعداؤه: «اتكل على الرب فلينجّه» وصَدَقوا في ما قالوا، فحوّل كلماتهم إلى صلاة. لقد برهنت كل حياته الماضية أنه حبيب الله. وهذا ما أعلنه الملاك للعذراء مريم: «الروح القدس يحل عليكِ، وقوة العلي تظللك، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يُدعى ابن الله». وهو ما أعلنه الملاك للرعاة: «أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب: أنه وُلد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب» (لو ١:٣٥ و٢:١٠ و١١).

ثم يحوّل سؤاله في الآية الأولى «لماذا تركتني؟» إلى طلبة «لا تتباعد عني لأن الضيق قريب. لأنه لا معين» وهي طلبة يعود فيكررها في آية ١٩.

ومن الثقة التي تعلنها آيات ٩-١١ نتعلم أن الإيمان يجد سلاحه في كل مكان، مهما كانت المعركة قاسية! لذلك يقول إشعياء بروح النبوة بلسان المسيح: «دُستُ المعصرة وحدي، ومن الشعوب لم يكن معي أحد» (إش ٦٣:٣).

٤ - آلام المسيح من قسوة المحيطين به: (آيات ١٢-١٨).

وفي هذه الآيات يصف المرنم أعداءه القُساة، ثم يذكر ما فعلوه به.

(أ) أوصافهم:

(١) **ثيران كثيرة قوية**: «أحاطت بي ثيران كثيرة. أقوياء باشان اكتنفتني. من قرون بقر الوحش استجِب لي» (آيتا ١٢ و٢١ب). إنهم كالثيران الكثيرة القوية التي ترعى في مراعي باشان النضيرة، وهي من أفضل المراعي التي يربّون عليها أسمن الثيران وأقواها. وهم متوحشون كبقر الوحش ذي القرون القوية. فأعداء المسيح المحيطون به أقوياء يهاجمونه.

(٢) أسود: «فغروا عليّ أفواههم كأسد مفترس مزمجر .. خلِّصني من فم الأسد» (آيتا ١٣ و٢١أ).

(٣) كلاب: «لأنه قد أحاطت بي كلاب.. أنقِذ من يد الكلب وحيدتي» (آيتا ١٦أ و٢٠ب). ووحيدته هي حياته.

(٤) أشرار: «جماعة من الأشرار اكتنفتني» (آية ١٦ب). حاول بيلاطس أن ينقذه منهم، لكنهم صرخوا: «اصلبه! اصلبه!».

(ب) ما فعلوه به:

(١) **أوصلوه إلى نهايته**: «كالماء انسكبْتُ. انفصلت كل عظامي. صار قلبي كالشمع، قد ذاب في وسط أمعائي» (آية ١٤). وهو وصف لمن شُدَّ جسده معلقاً على صليب حتى تمزق. إنه كالماء الذي إذا انسكب لا يعود له وجود في مكانه.

(٢) **أصابوه بالعطش القاتل**: «يبست مثل شقفة قوتي، ولصق لساني بحنكي. وإلى تراب الموت تضعني» (آية ١٥). أصاب الجفاف جسده فقال: «أنا عطشان» (يو ١٩:٢٨).

(٣) **ثقبوا يديه ورجليه**: «ثقبوا يديَّ ورجليَّ» (آية ١٦). وهذا ما جرى للمسيح بالفعل على الصليب.

(٤) **أحصوا عظامه**: «أُحصي كل عظامي» (آية ١٧). وهذا يمكن في حالة شدّ جسد المصلوب فتظهر عظامه واضحة. لقد تعرى آدم الأول بسبب الخطية، وتعرى آدم الثاني ليستر ما عرّانا به أبونا الأول آدم. ولقد سترنا المسيح ببره.

(٥) **شمتوا فيه**: «ينظرون ويتفرسون فيَّ» (آية ١٧). بشماتة وسخرية.

(٦) **أخذوا ثيابه**: «يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون» (آية ١٨). ينتظرون موته ليأخذوا ثيابه ويقتسموها بينهم، مقترعين عليها. وهو ما تحقق حرفياً عند الصليب (مت ٢٧:٣٥ ولو ٢٣:٣٤ ويو ١٩:٢٣ و٢٤).

٥ - طلبة المسيح المتألم: (آيات ١٩-٢١).

بعد أن وصف داود بروح النبوّة قسوة أعداء المسيح وآلامه منهم، حوّل نظره إلى الله، وقال: «أما أنت يا رب فلا تبعُد. يا قوتي أسرع إلى نصرتي» (آية ١٩). ففي شدة ضعفه يدعو الرب.

ثانياً - نبوّات عن نصرة المسيح
(آيات ٢٢-٣١)

يقدم لنا القسم الثاني من المزمور نبوات عن انتصار المسيح، فلا يجب أبداً أن ننظر إلى يوم الجمعة، يوم صلب المسيح، دون أن ننظر في الوقت نفسه إلى فجر يوم الأحد، وقت قيامته، فالمسيح الذي صُلب ومات ودُفن قام منتصراً، وهو الوحيد الذي خلا قبره من جسده، ولم يعد جسده للقبر أبداً، ولن يعود، لأنه الحي الذي لا يقدر القبر أن يحتويه، بعد أن قدّم نفسه فدية عنا، وقام ظافراً هازماً الموت. خلا قبره من ساكنه، لأن ساكنه قام قيامة عزيز مقتدر! لقد أيقن صاحب المزمور أن صلواته قد استُجيبت، فأخذ يهتف هتاف الظافر.

وفي هذا القسم نرى دعوة عامة للتسبيح (آيات ٢٢-٢٦) ثم نرى أن التسبيح يبارك الجميع بمن فيهم الجيل القادم (آيات ٢٧-٣١).

١ - دعوة عامة للتسبيح: (آيات ٢٢-٢٦).

(أ) **يبدأ المرنم نفسه بالتسبيح**: «أُخبر باسمك إخوتي، في وسط الجماعة أسبّحك» (آية ٢٢). والمقصود بـ «اسم الله» هنا كل ما أعلن الله لنا ذاته به. والخبر الذي يذيعه المرنم هنا هو صليب المسيح وقيامته، مما يعلن لنا محبة الله وقداسته وقوته وحكمته وبره وفداءه. وفي هذه الآية يدعو المسيح المؤمنين إخوته. ويقول كاتب العبرانيين «لأن المقدّس والمقدَّسين جميعهم من واحد، فلهذا

السبب لا يستحي أن يدعوهم إخوة» ثم يقتبس آية ٢٢ من مزمورنا ويوضح أن قائلها هو المسيح (عب ٢:١١ و١٢). ويتم هذا التسبيح وسط الجماعة كلها، وأمام الكل، اعترافاً بالفضل وإعلاناً لعظيم عمل الله. «بشرت ببرٍ في جماعة عظيمة. هوذا شفتاي لم أمنعهما. لم أكتم عدلك في وسط قلبي. تكلمتُ بأمانتك وخلاصك. لم أُخفِ رحمتك وحقك عن الجماعة العظيمة» (مز ٤٠: ٩ و١٠).

(ب) **كلمات التسبيح:** «يا خائفي الرب سبحوه. مجّدوه يا معشر ذرية يعقوب، واخشوه يا زرع إسرائيل جميعاً، لأنه لم يحتقر ولم يرذل مسكنة المسكين، ولم يحجب وجهه عنه، بل عند صراخه إليه استمع» (آيتا ٢٣ و٢٤). وهذه دعوة إلى كل مؤمن إيمان إبراهيم، وكل مختار اختيار يعقوب، بغضّ النظر عن جنسيته وطائفته، ليسبحوا الله الذي عظّم مسيحه، فرفعه إليه، وقال عنه: «من تعب نفسه يرى ويشبع، وعبدي البار بمعرفته يبرر كثيرين، وآثامهم هو يحملها. لذلك أقسم له بين الأعزاء، ومع العظماء يقسم غنيمة، من أجل أنه سكب للموت نفسه وأُحصي مع أثمة، وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين» (إش ٥٣:١١ و١٢).

ينقلنا المرنم في هاتين الآيتين إلى جو جديد يجعلنا نسبح الله ونشكره على يوم الصلب، وهذا ما فعله المسيح بعد أن رسم لتلاميذه سر العشاء الرباني، الذي يذكّرهم بموته، وبعدها سبَّح مع التلاميذ، واتجهوا إلى جبل الزيتون حيث أُلقي القبض عليه (مت ٢٦:٣٠).

(ج) **وهو تسبيح عام:** «من قِبلك تسبيحي في الجماعة العظيمة» (آية ٢٥أ). لقد ملأ الرب قلب المرنم بالسرور والفرح، فانطلق لسانه يهتف. تسبيحه من قِبَل الرب بسبب ما فعله الرب معه. فما أعظم هذا الانتصار الذي يجب أن يملك مشاعرنا الآن، فنسبح الله في الجماعة العظيمة، جماعة المؤمنين ومن سيصبحون مؤمنين، ونقول لهم: المسيح قام، بالحقيقة قام!

(د) **وهو تسبيح مقترنٌ بوفاء النذور:** «أوفي بنذوري قدام خائفيه» (آية ٢٥ب). وفى المسيح بما وعد به، وبذل للموت نفسه، وقال عند دخوله إلى العالم: «ذبيحة وقرباناً لم تُرِد، ولكن هيَّأت لي جسداً. بمحرقات وذبائح للخطية لم تُسرّ. ثم قلتُ: هئنذا أجيء. في درج الكتاب مكتوب عني لأفعل مشيئتك يا الله» (عب ١٠:٥-٧).

(هـ) **وهو تسبيح مشبع:** «يأكل الودعاء ويشبعون. يسبّح الرب طالبوه. تحيا قلوبكم إلى الأبد» (آية ٢٦). هذه وليمة تُشبع المساكين بالروح، الجياع والعطاش إلى البر. كانوا يموتون جوعاً فأشبعهم الرب من مائدته، تجاه مضايقيهم!.. هذه دعوة للشبع إن قبلنا دعوة الله الكريمة: «أيها العطاش جميعاً هلموا إلى المياه.. استمعوا لي استماعاً وكُلوا الطيّب ولتتلذذ بالدسم أنفسكم» (إش ٥٥:١ و٢). وكانت شريعة موسى قد رسمت «ذبيحة السلامة» للمؤمن الذي يشعر بفضل الله عليه، فتبارك نفسه الرب. وكان عليه أن يحرق جزءاً من «ذبيحة السلامة» ويأكل منها هو ومن معه أمام الرب في يوم تقديمها. إنها وليمة شكر (لا ٧:٢٩-٣٤). قال المسيح: «أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحدٌ من هذا الخبز يحيا إلى الأبد، والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم» (يو ٦:٥١).

والآن دعونا نأتي إليه فنجد الشّبع الحقيقي، لأن من يقبل دعوة المسيح يتشرّف بدخوله إلى قلبه. فيدخل المسيح القلب ويشبع الحياة (رؤ ٣:٢٠).

٢ - التسبيح يبارك الجميع: (آيات ٢٧-٣١).

(أ) **سجود الأمم للرب:** تتّسع دائرة رؤية المرنم من «معشر ذرية يعقوب» (آية ٢٣) إلى العالم كله، فيرى الكل يسبّح الرب ويتعبّد له، فيقول: «تذكر وترجع إلى الرب كل أقاصي الأرض، وتسجد قدامك كل قبائل الأمم» (آية ٢٧). وهذه أول البركات، فالرسالة هي للجميع. كل أقاصي الأرض «تذكر - ترجع - تسجد». «تذكر» نتيجة تبكيت الروح القدس، فيقولون مع الابن الضال: «أقوم وأذهب إلى أبي». «ترجع» بالتوبة تاركة كل إله غير الرب. «تسجد» فتقدم العبادة والطاعة. واليوم، في كل ركن من أركان العالم يُكرز بخبر الإنجيل المفرح، ويُعلَن صليب المسيح وقيامته، فيرجع الملايين إليه تائبين. فلنقدم نفوسنا له ساجدين بالخضوع.

(ب) **سبب سجود الأمم للرب:** «لأن للرب المُلك، وهو المتسلط على الأمم» (آية ٢٨). أجرى المسيح المعجزات، ولا زال يجريها، فأظهر سلطانه على الطبيعة والمرض والأرواح الشريرة والموت، وقال: «دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض. فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم» (مت ٢٨:١٨ و١٩). فيهتف له المفديون قائلين: «مستحق هو الحمل المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة» (رؤ ٥:١٢).

(ج) **ثلاثة أنواع من الساجدين للرب:**

(١) **الظالمون:** «أكل وسجد كل سميني الأرض» (آية ٢٩أ). عندما يتوب الذين يسمنون لأنهم يسطون على ثروات المساكين ويأكلونها، يطعمهم الرب من مائدته، فيشبعون، ويسجدون.

(٢) **المظلومون:** «قدامه يجثو كل من ينحدر إلى التراب، ومن لم يُحْيِ نفسه» (آية ٢٩ب). المنحدرون إلى التراب هم المضطهَدون العاجزون عن الدفاع عن أنفسهم، الذين عندما ينصفهم الرب يسجدون له شكراً. وهم الذين لا يستطيعون أن يُحيوا نفوسهم لأنهم أموات بالخطية، ولكن عندما ينالون حياة روحية يسجدون تهليلاً. وهم كل البشر، فلا يوجد من يقدر أن يحفظ نفسه حياً، فقد وُضع للناس أن يموتوا. ولكن المسيح وعدهم بالحياة الأبدية، ولذلك يسجدون لله وحمداً.

(٣) **الجيل القادم:** «الذرية تتعبّد له. يُخبَّر عن الرب الجيل الآتي. يأتون ويخبرون ببره شعباً سيولد بأنه قد فعل» (آيتا ٣٠ و٣١). فالجيل الحاضر الذي عرف النعمة الإلهية يخبر الجيل الآتي. وهذه مسؤولية علينا من نحو الجيل القادم. فعلى الذين أخذوا مشعل النور والإنجيل من الجيل الذي سبقهم أن يسلموه إلى الجيل القادم أكثر اشتعالاً ولمعاناً. وهذا هو أمل العالم اليوم وغداً.

(د) **سبب تسبيح المرنم:** «قد فعل» (آية ٣١). وهي نفسها الكلمة الأخيرة التي قالها المسيح على الصليب «قد أكمل». لقد تمَّ الخلاص، هللوا رنموا لربنا يسوع.

والآن دعونا نتذكر آلام المسيح، وانتصاره من أجلنا. ولنأت إليه لنشبع من وليمته السماوية التي يدعونا إليها، فيقول كل واحد منا: «أخبر باسمك إخوتي. في وسط الكنيسة أسبحك».

المزمور الثالث والعشرون

مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

١ اَلرَّبُّ رَاعِيَّ فَلَا يُعْوِزُنِي شَيْءٌ. ٢ فِي مَرَاعٍ خُضْرٍ يُرْبِضُنِي. إِلَى مِيَاهِ ٱلرَّاحَةِ
يُورِدُنِي. ٣ يَرُدُّ نَفْسِي. يَهْدِينِي إِلَى سُبُلِ ٱلْبِرِّ مِنْ أَجْلِ ٱسْمِهِ. ٤ أَيْضاً إِذَا سِرْتُ فِي
وَادِي ظِلِّ ٱلْمَوْتِ لَا أَخَافُ شَرّاً، لِأَنَّكَ أَنْتَ مَعِي. عَصَاكَ وَعُكَّازُكَ هُمَا يُعَزِّيَانِنِي.
٥ تُرَتِّبُ قُدَّامِي مَائِدَةً تُجَاهَ مُضَايِقِيَّ. مَسَحْتَ بِٱلدُّهْنِ رَأْسِي. كَأْسِي رَيَّا. ٦ إِنَّمَا خَيْرٌ
وَرَحْمَةٌ يَتْبَعَانِنِي كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي، وَأَسْكُنُ فِي بَيْتِ ٱلرَّبِّ إِلَى مَدَى ٱلْأَيَّامِ.

مزمور الراعي

ملأ هذا المزمور عالمنا بفرح غامر، هو فرح الثقة بالرب الذي يرعى شعبه. وهو فرح الطمأنينة بأمانة الرب مع من يتبعونه في ثقة ومحبة وطاعة، ففي اتّباع الرب الراعي لا احتياج ولا خوف، لأنه يسدّد كل الأعواز المادية والروحية والفكرية والنفسية والعاطفية، اليوم وكل يوم، فهو «القادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر بحسب القوة التي تعمل فينا» (أف ٣: ٢٠).

كُتب هذا المزمور في صيغة المفرد، فالمرنم يتكلم عن نفسه، وعن علاقته بإلهه «الرب راعيّ». إنه مزمور شخصي، فكل حَمَل في القطيع يمكن أن يخصص لنفسه ما يفعله الراعي الصالح مع القطيع كله.

كم من مؤمن متألم وجد راحته في كلمات هذا المزمور، وكم من فقير طاب خاطره به، وكم من مريض دهنه ببلسان تعزيته، وكم من مؤمن مضى إلى راحته الأبدية بسلام وهو يرتّل آياته! لقد حطم قيود الألوف، كما حطم الملاك سلاسل بطرس السجين!

قال القديس أغسطينوس إن مزمور ١١٩ يشبه الشجرة الكبيرة الوارفة الظل، بينما مزمور ٢٣ يشبه الوردة الجميلة المتفتّحة التي تملأ الجو المحيط بها عطراً وشذى. ودعا مارتن لوثر هذا المزمور «البلبل المغرد في الليل». كل كلمة من كلمات مزمور ٢٣ كاللؤلؤة الثمينة المضيئة التي تملأ كل ما حولها بالنور والضياء.

أغلب الظن أن داود كتب هذا المزمور بعد أن انتصر على أعدائه، وأرسى قواعد مملكته، وتمتّع بالراحة والاطمئنان، لأن هذا المزمور يحمل لغة الاختبار العميق الذي لا يمكن أن يسجله لنا إلا شيخ جليل تعمّق في معرفة الرب سنوات طويلة، واختبر صلاحه معه في أوقات الانتصار والفرح كما في

أوقات الهزيمة والحزن، فأدرك بنفسه جود الرب وصلاحه. ولا بد أن داود كان يسترجع ذكرياته الجميلة وهو يرعى قطيعه بين جداول المياه المنسابة وسط المراعي الخضراء.

والذي يقرأ مزموري ٢٢ و٢٤ يكتشف معنى رائعاً، فمزمور ٢٢ يصف جبل الجلجثة، ومزمور ٢٤ يصف جبل المجد. يبدأ مزمور ٢٢ بالكلمات التي نطق بها المسيح على الصليب: «إلهي إلهي، لماذا تركتني؟» وينتهي بالقول: «قد فعل» أو «قد أُكمل» فمزمور ٢٢ هو مزمور الصليب!

أما مزمور ٢٤ فيصوّر لنا الملك المنتصر يدخل مملكته «ارتفعن أيتها الأبواب الدهريات فيدخل ملك المجد. من هو هذا ملك المجد؟ رب الجنود هو ملك المجد». إنه مزمور مجيء مملكة المجد!

وبين المزمورين نرى مزمور ٢٣ مزمور الوادي الأخضر بمياه الراحة، حيث يقود الراعي الصالح قطيعه الذي سُرَّ أن يعطيه الملكوت!

في هذا المزمور نجد:

أولاً - صورة الراعي الصالح (آيات ١-٤)

ثانياً - صورة المضيف الكريم (آيات ٥ و٦)

أولاً - صورة الراعي
(آيات ١-٤)

هو الراعي الذي يدبر كل احتياجات شعبه فيعطي المأكل والمشرب، ويرد الضال، ويهدي الحائر، ويحمي الخائف، ويشجع المتعب. والأغنام غالية على الراعي لأنه اشتراها بثمن كبير، فهي خاصته التي يعتز بها.

١ - **علاقة الراعي بقطيعه علاقة شخصية:** «الرب راعيَّ» (آية ١أ). الرب هو الراعي، أما نحن فغنم مرعاه، والغنم معروفة بضعفها وغبائها. تعرف أن تضل، لكنها لا تعرف طريق العودة، كما أنها عاجزة عن حماية نفسها! والراعي هو كل شيء لها. إنه المدبّر والحامي، والقائد.

وفي كل ثقة يقول داود: «الرب راعيَّ» (آية ١). لم يقل «أرجو أن يكون راعيَّ». ولا قال «أحياناً هو راعيَّ». ولكنه قال: «الرب راعيَّ» فعلاً ويقيناً ودوماً. «فإني متيقّن أنه لا موت ولا حياة.. ولا علو ولا عمق، ولا خليقة أخرى، تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا» (رو ٨:٣٨ و٣٩) «لأني عالم بمن آمنت، وموقنٌ أنه قادر أن يحفظ وديعتي إلى ذلك اليوم» (٢تي ١:١٢). وما أجمل هذه الثقة! لا خوف من أن الراعي يرفضنا، لأنه يحبنا. المؤمن في يد راعيه فعلاً ودوماً «لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣:١٦).

قال المسيح: «أنا هو الراعي الصالح، والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف.. وأعرف خاصتي وخاصتي تعرفني كما أن الآب يعرفني وأنا أعرف الآب.. خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني،

أنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدي» (يو ١٠:١١ و١٤ و٢٧ و٢٨). ولا يحقُّ لإنسان أن يقول إنه من خراف المسيح إلا إن كان قد صار خليقة جديدة في المسيح وأخذ منه طبيعةً جديدة. وكل من لم ينالوا الطبيعة الجديدة يصفهم الكتاب المقدس بأنهم «جداء» و«ذئاب».

والقول «الرب راعيَّ» يرينا الاختبار العميق والثقة الكاملة للمرنم. «راعيَّ» لي، وأنا له. صحيح أنه يرعى القطيع كله، لكن المرنم يشعر أن الراعي مخصَّص له وحده، وكأنه يقول: أنا أشعر بعنايتك ورعايتك لي يا رب، وكأنه لا يوجد على الأرض محتاجٌ لرعايتك سواي! ألم يقل الراعي الصالح: «لأجلهم أقدّس أنا ذاتي» بمعنى أخصص ذاتي (يو ١٧:١٩). إذاً فهو لي. نعم! حبيبي لي!

هناك صلة شخصية بين الرب الراعي والمؤمن التابع، فليس الرب عنا بعيداً. إنه المحبة المتنازل إلينا، وليس المتعالي علينا. ويقول المؤمن «الرب راعيَّ» لأن الله المحب يسكن قلبه. قال عنه يعقوب أبو الأسباط: «الله الذي رعاني منذ وجودي إلى هذا اليوم» (تك ٤٨:١٥).

«الرب راعيَّ». إنه لي. كان لي بالأمس، وهو لي اليوم، وسيظل يرعاني كل الأيام إلى انقضاء الدهر! إنه كلي المحبة، وكلي القدرة، وكلي الحكمة. لن يمضي عليَّ يوم بدون رعايته الحلوة. هذه الرعاية دائمة بالليل والنهار. في النهار يرعى ويغذي. وفي الليل يسوق قطيعه للحظيرة، وهي بناء ذو أربعة جدران، في أحدها فتحة (هي الباب) يدخل منها القطيع، ثم ينام فيها الراعي، ويقول: «أنا هو الباب» (يو ١٠:٩). لا يخرج خروف إلا ويشعر به، ولن يدخل غريب إلا فوق جسده، فإن من يمسّ قطيعه يمس حدقة عينه. وعندما يكون الخروف سليماً يسير بجانب راعيه، فإذا مرض يحمله الراعي على كتفه. فالخروف موضع الاهتمام الدائم الذي لا ينقطع.

٢ – علاقة الراعي بقطيعه هي علاقة تدبير كل احتياج: «فلا يعوزني شيء» (آية ١ب). يذكر المرنم خمسة أشياء يدبرها الراعي لقطيعه: أولها الطعام، فيقول: «في مراعٍ خضر يربضني». وثانيها الماء «إلى مياه الراحة يوردني». وثالثها الراحة «مياه الراحة». ورابعها الشفاء من الضلال «يردُّ نفسي». وخامسها الإرشاد «يهديني إلى سبل البر».

«الرب راعيَّ» والنتيجة الحتمية لذلك «فلا يعوزني شيء» اليوم وغداً وكل يوم! قال موسى للشعب عن مسيرته في الصحراء: «الآن أربعون سنة للرب إلهك معك، لم ينقص عنك شيء» (تث ٢:٧). ثم قال لهم عن الأرض التي انتقلوا إليها: «لا يعوزك فيها شيء» (تث ٨:٩). أحياناً «نريد» بعض الأشياء ولكنها في واقع الأمر لا تعوزنا، فليس من الضروري أن يعطيها الرب لنا. لكنه دوماً يعطينا ما نحتاجه. فقد يكون في ما نريده ونطلبه ضرر لنا أو أذى علينا. أو قد يكون ما نريده أقل نوعاً وكيفاً وكمّاً مما يريد أبونا السماوي أن يعطيه لنا. فيجب أن تكون صلاتنا: «لتكن إرادتك» لأننا لا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي.. وهو يختار لنا حظنا. وبالتأكيد لن يعوزنا وقتها شيء. «لم تمنع مَنّك عن أفواههم، وأعطيتهم ماءً لعطشهم، وعُلتهم أربعين سنة في البرية فلم يحتاجوا. لم تبلَ ثيابهم ولم تتورَّم أرجلهم» (نح ٩:٢٠ و٢١). يكتشف المؤمن أن المسيح نفسه هو غذاؤه وماؤه، وهو يعطي نفسه للمؤمن ويقول: «مَن يأكلني يحيا بي» (يو ٦:٥٧). وقد سأل

المسيح تلاميذه: «حين أرسلتُكم بلا كيس ولا مزود ولا أحذية: هل أعوزكم شيء؟ فقالوا: لا» (لو ٢٢:٣٥).

«اتّقوا الرب يا قديسيه لأنه ليس عوزٌ لمتّقيه. الأشبال احتاجت وجاعت، وأما طالبو الرب فلا يعوزهم شيء من الخير» (مز ٣٤:٩ و١٠). «فيملأ إلهي كل احتياجكم بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع» (في ٤:١٩). إنه يطعم الغربان ويكسو زنابق الحقل، وقطيعه أعظم جداً منهما!

«في مراعٍ خضر يربضني. إلى مياه الراحة يوردني» (آية ٢). إلى المرعى الخصيب، الدسم، الوفير، دائم الخضرة. إلى كلمة الله المغذية المشبعة المقوية. إلى مياه الراحة الخالية من الأمواج. والرب يهدئ أمواج البحار أمام محبّيه. ويوردهم إلى مباهج الروح القدس، الذي يعطي النفس الراحة والاطمئنان والأمن والاستقرار. يوردهم إلى سلام كامل وإلى فرح مجيد. إنه يقودنا إلى مياه الراحة التي تروي عطشنا الروحي، وتضع نهاية له، ثم تفيض منا إلى غيرنا لنروي كثيرين، فيتحقق معنا قول المسيح: «من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية. إن عطش أحدٌ فليُقبل إليّ ويشرب. من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي» (يو ٤:١٤ و٧:٣٧ و٣٨).

أما مسؤولية المؤمن فهي أن يربض حيث يُربِضه راعيه ويورده. وفي هذا تسليم وخضوع للقيادة الحكيمة الواعية القادرة، فلا يستطيع أحد أن يربض إلا إذا كان مطمئناً واثقاً غير خائف، فكل احتياجاتنا فيه. وكلما كنا في رعايته نخلص من القلق والخوف، لأنه «الباب» الذي يخلّص الداخلون منه ويجدون مرعى (يو ١٠:٩). فهل أنت داخل حظيرة الرب؟ هل تقدر أن تقول بثقة: «الرب راعيَّ»؟ إن كنت بعيداً أقبِل إليه، تنل منه الرعاية والحماية والشبع.

٣ - علاقة الراعي بالقطيع تجعله يرد الضال: «يرد نفسي» (آية ٣أ). يرتكب المؤمن خطأً مؤسفاً عندما يضل عن راعيه! والخراف مشهورة بالغباء وقِصر النظر، وهي لا ترى إلا إلى مسافة قصيرة، ولو أنها تميّز الصوت فقط. وما أكثر ما يسير واحد منها في طريق خاطئ، فإذا ببقية القطيع يتبعه بدون تفكير. وعندما يصلون إلى مكان خطر لا يعرفون كيف يرجعون! وما أعظم الشبه بين المؤمن والحمل. فكلاهما بطيء الفهم بكل ما علّم به الكتاب وبكل ما اكتشفه من صلاح الراعي. لذلك يقول النبي الإنجيلي إشعياء: «كلنا كغنم ضللنا، ملنا كل واحد إلى طريقه» (إش ٥٣:٦).

كم من مرة سرنا مع الراعي الصالح، نتمتع برعايته الممتازة ولا يعوزنا معه شيء، وفجأة ننحرف إلى سبيل يصفه الحكيم بالقول: «توجد طريق تظهر للإنسان مستقيمة، وعاقبتها طرق الموت» (أم ١٤:١٢)!

ترى ماذا لفت نظرنا؟ هل ظننا أن هناك مرعى أكثر اخضراراً من المرعى الذي قادنا راعينا إليه؟ هل تخيّلنا أن هناك مكاناً أكثر أماناً وراحة من المكان الذي أربضَنا راعينا فيه؟ هل تبعنا قيادة ضالة قادت أقدامنا إلى مزالق خطرة، دون أن نُمعن التفكير في نتائج الانحراف؟.. ليس هناك سبب معقول يبرر ضلالنا عن الراعي، فإننا بلا عذر! ولكن المؤسف أننا نضلّ عنه!

تهتُ عن القطيـــــع	مثل الخروف الضــــال
ينأى عن الراعي الوديع	في القفر والجبـــــال
مهاجِرَ الأوطــــــان	كالشارد الأثيـــــــم
بل تهتُ في قفر الهـوان	عن الآب الرحيـــــم

لكن الراعي الصالح لا يمكن أن يترك الخروف الضال. كان الحَمَل الذي يضيع يصل أحياناً إلى مكان به راعٍ آخر. فكان الراعي الثاني يذبحه نصف ذبحة، ويتركه فترة، فإذا جاء راعيه ووجده، يضمد جراحه ويحمله على كتفه ويعود به إلى حيث ينال الشفاء. أما إذا ابتعد الحمل عن راعيه مسافة طويلة، ولم يجده راعيه بالسرعة المناسبة، فإن الراعي الغريب يأكل لحم ذلك الضال! ونحن نضلّ، ولكن الراعي الصالح يسرع بالتفتيش علينا، ويظل يفتش حتى يجدنا. وهذا ما أعلنه المسيح لنا في مثل الراعي الذي ذهب يفتش عن الواحد الضال حتى وجده (لو ١٥:١-٦). فالضال لا يفتش عن راعيه، بل الراعي هو الذي يفتش عليه فيتم فينا القول: «لأنكم كنتم كخراف ضالة، لكنكم رجعتم الآن إلى راعي نفوسكم وأسقفها» (١بط ٢:٢٥).

هل كانت لك علاقة حلوة بالرب وفترت؟ هل كانت لك خدمة ملحوظة وتوقّفت؟ هل تحيا حياة عصيان علني؟ يريد الرب أن يردّك إلى الحالة الأولى التي كنت فيها، إلى شركة أعمق، وخدمة أنجح، وطاعة أكثر. إنه يريد أن يُرجعك إلى أحسن حال. لا تفشل، بل اذكر من أين سقطت وتُب، وأسرِع إلى حظيرة راعيك قائلاً: «يرد نفسي». فعندما تخطئ يطهرك، وعندما تضعف يقويك، وعندما تخاف يطمئنك، وعندما تحزن يعزيك.

٤ – علاقة الراعي بالقطيع تجعله يهديها إلى السبل المستقيمة: «يهديني إلى سبل البر من أجل اسمه» (آية ٣ب). الراعي الصالح في محبته، لا يرد نفسك فقط، بل يهديك أيضاً. والكلمة «يهديني» تحمل معنى الرقّة والعناية «كراعٍ يرعى قطيعه. بذراعه يجمع الحملان وفي حضنه يحملها، ويقود المرضعات» (إش ٤٠:١١). فهو يعلم أنك معرَّض للسقوط بسبب ضعف طبيعتك البشرية، وبسبب غواية الشيطان. فيهديك إلى سبل البر التي لا يعتسف فيها أعرج ولا يسقط فيها ضعيف.

في زمن الشتاء تصير الطرق موحلة، وتسير عليها العربات فتترك فيها منخفضات ومرتفعات. وحين تجف يصعب على الخراف الرقيقة السير فيها، فيختار الراعي الصالح لها طرقاً ممهّدة، أو يُصلح لها الطرق الخشنة. وهذا ما يفعله راعينا الصالح، الذي يهدي خطواتنا في سبل البر. والبر هو الاستقامة، وسبل البر هي السبل المستقيمة، وهي كثيرة، وطرق خدمة الرب متعددة، يقول لنا عنها: «أريتُك طريق الحكمة. هديتك سبل الاستقامة» (أم ٤:١١). فأي السبل ستسلك لتخدم الرب؟ وفي أي طرق ستسير لتعمل إرادته؟ هناك مواهب كثيرة يعطيها الرب للمؤمنين، وكلها مستقيمة ويجب استخدامها بالعدل. وإذ نسلك سبل البر نعطي كل ذي حق حقه، فنعطي الرب حقه علينا من الطاعة والمحبة والثقة ونقدم له عشور دخلنا. ونعطي الآخرين حقهم من الخدمة والود. ونعطي نفوسنا حقها

فنتمم خلاصنا بخوف ورعدة نائلين غاية إيماننا: خلاص نفوسنا، ونجاهد قانونياً، لعلنا ندرك الهدف الذي لأجله أدركنا المسيح وخلّصنا (في ٣:١٢).

كثيرون لا يرون لحياتهم معنى، ويتساءلون: لماذا أنا هنا؟ والإجابة: إنك في موقعك لأن الله يهديك سبُل الاستقامة. اطلب معرفة إرادته ونفّذها، فتختبر الحياة الفضلى التي يهبها لك المسيح (يو ١٠:١٠).

وكم نشكر الراعي الصالح لأنه يفعل هذا كله «من أجل اسمه» وليس لأجلنا نحن. هو الذي أطلق اسمه علينا، فأصبحنا ننتسب وننتمي إليه. لقد دُعينا مسيحيين نسبة إلى المسيح راعينا العظيم، وفي هذا كل الضمان لنا. فلو أن الخير الذي فينا دفع الله لأن يهدينا، ثم توقفنا عن عمل هذا الخير، عندها تنتهي هدايته، لأن الخير الذي فينا قد انتهى! لكن كم نشكره لأن هدايته لنا لا تنتهي أبداً، لأنها «لأجل اسمه» الذي لا يتغير أبداً!

٥ – **علاقة الراعي بالقطيع مستمرة حتى في الوادي المظلم:** «أيضاً إذا سرت في وادي ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معي» (آية ٤أ). ووادي ظل الموت هو الوادي شديد الظلام، الذي يسمح الراعي الصالح لنا أن نسير فيه أحياناً. ليس كل الطريق معه مراعٍ خضر، ولا كلها مياه راحة، بل في العالم سيكون لنا ضيق، ولو أننا واثقون أن المسيح قد غلب العالم (يو ٣٣:١٦) وقد وُهب لنا لأجل المسيح لا أن نؤمن به فقط، بل أيضاً أن نتألم لأجله (في ٢٩:١) ولكن وسط هذه المتاعب نجد رعايته المفرحة. ونحن لا نسير في وادي ظل الموت وحدنا، لأنه دائماً معنا.

يقول المرنم: «إذا سرتُ». إنه لا يجري برعب وهلع، لكنه يسير في اطمئنان وسلام. إن المرتعب «يجري» ولكن الواثق «يسير» على مهل، بدون خوف، لأنه يعرف طريقه، ويعلم أنه ليس للإنسان طريقه، ولا لإنسان يمشي أن يهدي خطواته (إر ٢٣:١٠) لأنه متأكد أن الرب يثبت خطواته. «من قِبل الرب تتثبَّت خطوات الإنسان وفي طريقه يُسرّ» (مز ٢٣:٣٧).

ويسير المؤمن في وادي ظل الموت بغير خوف لأنه يعرف نهاية طريقه، ولأنه يعرف أنه مجرد عابر. فبعد أن يدخل نفق الظلام يخرج حالاً إلى نور الرب، واثقاً بالذي يقدر أن يحفظ وديعته إلى ذلك اليوم، لأنه لا يستطيع أحد أن يخطف المؤمن من يد راعيه الصالح الذي يحافظ على سلامته حتى يوصّله إلى الميناء بسلام (٢تي ١٢:١ ويو ٢٨:١٠).

ولكن لماذا يسمي المرنم الوادي المظلم بأنه «وادي ظل الموت»؟ الإجابة أن الوادي منخفض، تغيب الشمس عنه أولاً، وبعد ذلك تغيب من على القمم العالية. والوادي ضيق في معظم الأحوال. ولهذا يدعوه «وادي ظل الموت».

وكثيراً ما تقابلنا المصاعب التي تحرمنا من رؤية المسيح «شمس البر» فنصرخ: «إلى متى يا رب تنساني كل النسيان؟ إلى متى تحجب وجهك عني؟ إلى متى أجعل هموماً في نفسي وحزناً في قلبي كل يوم؟» (مز ١:١٣ و٢). وهو في هذا يشبه المجدلية الباكية، وقد امتلأت عيناها بالدموع فعجزت

عن رؤية سيدها الحي المقام! ولكن المرنم الذي عمّر الرجاء قلبه يقول: «يا إلهي، نفسي منحنية فيّ.. أقول لله صخرتي: لماذا نسيتني؟.. لماذا أنت منحنية يا نفسي، ولماذا تئنين فيّ؟ ترجّي الله لأني بعد أحمده، خلاص وجهي وإلهي» (مز ٤٢:٦-١١).

وتطمئن نفس المؤمن لأنه يسير في وادي «ظل» الموت وليس في وادي الموت نفسه! فكما أن ظل الأسد لا يفترس، وظل السيف لا يجرح، هكذا ظل الموت لا يميت! إنه مجرد ظل! وكيف يجيء الظل؟ أليس لأن الشمس تنير من خلفه؟ إذاً لا بد من وجود النور خلف «الموت» حتى نرى الظل! إذاً الشمس خلف الغيمة، كما أن الرب خلف التجربة! يا لسعادتنا! إن الرب يقف من خلف كل مصاعبنا ينير لنا الطريق، وسرعان ما ينقشع الظل ليضيء علينا نور النهار الكامل. «الله أمين، الذي لا يدعكم تُجرَّبون فوق ما تستطيعون، بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ، لتستطيعوا أن تحتملوا» (١كو ١٠:١٣).

لقد عبَرَ المسيح راعينا الصالح وادي ظل الموت من قبلنا، وهزم الموت والقبر، وأعطانا أن نقول بفرحة الانتصار: «أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية؟» فلا بد أن نخرج من الوادي المظلم، ونسير ونتقدم. ولا بد أن نخرج من الضيق إلى الرحب، كما قال أليهو صديق أيوب: «يقودك من وجه الضيق إلى رُحبٍ لا حصر فيه» (أي ٣٦:١٦). ولذلك قال المرنم: «لتأتني رحمتك يا رب، خلاصك حسب قولك.. فأحفظ شريعتك دائماً إلى الدهر والأبد، وأتمشى في رحب، لأني طلبت وصاياك» (مز ١١٩:٤١ و٤٤ و٤٥).

ويمضي المرنم ليقول لله: أنا أسير على مهل وبدون رعب، في وادٍ ضيق مظلم، في ظل موت، ولكن لا أخاف شراً «لأنك أنت معي». قال الله ليشوع: «كما كنتُ مع موسى أكون معك. لا أهملك ولا أتركك. تشدد وتشجع» (يش ١:٥ و٦). صُحْبَة الراعي الصالح لا ولن تفارقك أبداً. هو معك كل الأيام إلى انقضاء الدهر، وهو الذي لا يتغير أبداً، هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد!

لا أخاف، لا أخـــاف أي شر بوادي الظلام

فمعي راعٍ أمــــــين ماسكٌ يدي اليمـيــــن

فيه لي راحة وسلام!

«هوذا الله خلاصي فأطمئن ولا أرتعب، لأن ياه يهوه قوتي وترنيمتي وقد صار لي خلاصاً» (إش ١٢:٢). إنه يقول لنا: «لا تخف لأني معك. لا تتلفّت لأني إلهك. قد أيّدتك وأعنتك وعضدتك بيمين بري.. لأني أنا الرب إلهك الممسك بيمينك القائل لك: لا تخف. أنا أُعينك» (إش ٤١:١٠ و١٣). وإذا سار الرب معك يحوّل لك ظل الموت صبحاً «الذي صنع الثُريا والجبار، ويحوّل ظل الموت صبحاً.. يهوه اسمه» (عا ٥:٨) فتخرج من ظل الموت إلى النور. «يكشف العمائق من الظلام، ويُخرج ظل الموت إلى النور» (أي ١٢:٢٢) فتقول بالشكر: «عند المساء يبيت البكاء، وفي الصباح ترنّم» (مز ٣٠:٥). «لا أخاف شراً لأنك أنت معي».

ولا شك أنك لاحظت أن المرنم كان يتكلم عن الرب بصيغة ضمير الغائب «الرب راعيّ.. لا يعوزني.. يربضني.. يوردني». ولكن ما أن تحدث عن «وادي ظل الموت» حتى انتقل للحديث مع الله بضمير المخاطب فيقول: «لأنك أنت معي».

المزمور وصفي، حتى يجيء صاحبه إلى «وادي ظل الموت» فيتحول من الحديث عن الله إلى الحديث إلى الله. آلام الحياة تدفعنا للركوع مصلّين. كان تلميذا عمواس عابسَين واليأس يملأ قلبيهما، لأن المسيح صُلب ومات ودُفن. ولكن ما أن بدءا الحديث مع المسيح حتى ارتفعت غمامة اليأس والحزن، وحلّ الرجاء والفرح. في وقت خوفك وحزنك تحوّل من الحديث عن الله إلى حديثٍ مع الله، فتمتلئ نفسك بالطمأنينة والسلام.

٦ - علاقة الراعي بالقطيع فيها استخدام العصا والعكاز: «عصاك وعكازك هما يعزّيانني» (آية ٤ب).

(أ) **العصا والعكاز يُشعِران القطيع أن الراعي يسير معهم:** عندما تسير الخراف في الوادي المظلم تخاف لأنها لا ترى الطريق أمامها، ولا ترى الراعي معها. والراعي، في محبته، يريد أن يطمئن الخراف، ويجعلها تشعر أنه معها، فيمدُّ عصاه أو عكازه ويلمس ظهورها لمساً رقيقاً فتحس أنه معها.

هل تحس بلمسة الراعي المحب لك؟ إنه يريدك أن تشعر بوجوده الدائم معك. «إذا سرت في وادي ظل الموت لا أخاف شراً، لأنك أنت معي». لا أدري كيف تجيئك لمسته الرقيقة الحانية. قد تجيء في آية كتابية تلهمك، وقد تجيء في عطية مادية لم تكن تتوقعها، وقد تجيئك في كلمة مشجعة من صديق لم تكن قد سمعت منه منذ مدة، وقد تجيئك في مسؤولية أكبر من قدراتك الذاتية. لكنك ستشعر بهذه اللمسة تارقيقة، وستميّزها بسبب اختباراتك السابقة مع الله، فإن خرافه تميّز صوته (يو ١٠:٤) فتدرك في الظلمة الكثيفة أنك في صحبته.

(ب) **العصا والعكاز لإحصاء الغنم:** كانت الحظيرة دوماً ذات باب واحد، يضع الراعي فيه العصا أو العكاز على ارتفاع منخفض، ويسمح للأغنام بالدخول، فتجوز تحت العصا فيُحصيها، وفي الوقت نفسه يعرف حالة كل واحد منها، فإن كان في بدنها كسر أو مرض يكتشفه، ويقوم فوراً بإجراء الإسعاف اللازم. أما إذا اكتشف ضياع أحد خرافه فإنه يمضي إلى المراعي والجبال التي يرعى أغنامه فيها خلال اليوم ليطلب الواحد الضال، ويفتش عليه حتى يجده.. وتتحدث التوراة عن الإحصاء بالعصا، فنقرأ في سفر اللاويين: «وأما كل عُشر البقر والغنم، فكل ما يعبر تحت العصا يكون العاشر قُدساً للرب» (لا ٢٧:٣٢) ويقول النبي إرميا عن الرب: «مصوِّر الجميع، وإسرائيل قضيب ميراثه» (إر ١٠:١٦) وهذا يعني أن العكاز والعصا والقضيب تحصي ما يملكه الإنسان من ماشية. وياله من خاطر مطمئن للمؤمن أن يعرف أن راعيه الصالح يعرفه ويعرف حالته باستخدام العصا والعكاز. لقد أحصى الرب عظامنا ونحن في بطون أمهاتنا. «لم تختفِ عنك عظامي حينما صُنعت في الخفاء ورُقِمْت في أعماق الأرض» (مز ١٣٩:١٥). «أليس هو ينظر طرقي ويحصي جميع خطواتي» (أي ٣١:٤). وما أروع قول المسيح لنا: «شعور رؤوسكم أيضاً جميعها محصاة» (لو ١٢:٧).

(ج) العصا لإرشاد الغنم، ولتجنيبها الحُفر: فعندما يـرى الراعـي أن الحَمل الجـاهل يبتعـد بحماقتـه عنه، يمدُّ عصاه ليردّه إلى سبيل البر، السبيل المستقيم. «كلنا كغنم ضللنا. ملنا كل واحـد إلـى طريقـه» (إش ٦:٥٣) ولكن الرب يُعيدنا بعصا محبته إلـى حيث يجب أن نكون. وهـذا يعنـي أننـا أعزاء فـي نظره، وأنه يحسبنا ذوي أهمية في عينيه.

(د) العصا تؤدب الضال: يحدث أحياناً أن أحد الأغنام يضـل، ومـا أكثـر مـا نضـل! عندئـذ يضـرب الراعي هذا الضال للتأديب. «قبل أن أُذلل أنا ضللت» (مـز ٦٧:١١٩). بـل إن الراعـي يكسـر أحيانـاً ساق خروف اعتاد الضلال، ثم يعود يجبره حتى يعتاد هذا الضال أن يلتصق براعيه ويبقى إلى جواره في وقت انكساره وضعفه.

ومع أن تأديب الراعي لنا يُرى أنه للحزن، إلا أنه يعطينا بعد ذلك سلاماً، لأننا نعلم أن الذي يحبـه الرب يؤدبه، ويجلد كل ابنٍ يقبله! (عب ٦:١٢). وهذا ما يحدث في حياتنا اليومية، فإن كنت تسير في مكان وسمعت شتائم صادرة من صبي صغير، فـإنك تسير دون أن تلتفت. ولكـن إن عرفـت أن هـذه الشتائم صادرة عن ابنك فإنك تتوقف وتهتم وتؤدبه، لأنك تحبـه، ولأنـه لـك، ولأنـك تهتـم بخيـره! إنـه خاصتك، ولكن ليس لك بالغرباء شأن. ومما يعزّينا أن راعينا الصالح بتأديبه لنا يُشعرنا أننا له.

(هـ) العصا والعكاز تدفعان الأغنام لتسير إلى الأمام: ونحن لا نحسب أننا قد أدركنا، لكننـا يجـب أن نسعى لندرك. وعصا الراعي وعكازه تدفعاننا لنسير إلى الأمـام، فنحقّق الأمـر الرسـولي: «انمـوا فـي النعمة وفي معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح» (٢بط ١٨:٣).

يشبه المسيحي راكب دراجة يتحتّم عليه أن يسير إلى الأمام فقط، لأنه إن توقّف عن التقدُّم يسـقط. ونحن نحتاج لتشجيع العصا والعكاز اللذين يدفعاننا إلى الأمام، إلى حيث يجب أن نكون.

(و) العصا والعكاز للدفاع عن الخراف: ما أكثر الهجوم على الخراف الضعيفة العـاجزة عـن حمايـة نفسها! قد يحاول الراعي الأجير إيقاع الأذى بها، واللص يحاول أن يخطفها، والذئب والوحش يهاجمها ليفترسها! ولكن الراعي الصالح المستيقظ يحميها بعصاه وعكازه.

ويقول الرب: «وأقطع معهم عهد سلام، وأنزع الوحوش الرديئة من الأرض فيسكنون فـي البريـة مطمئنين وينـامون فـي الوعور» (حـز ٢٥:٣٤). لأن عصـا الراعـي تضـرب الوحـش المفـترس أو الخاطف اللص. فلا تخفْ أيها القطيع الصغير، لأن الراعي الصالح يحميك، فلا يقع بـك أحد ليؤذيـك، ففي عصاه وعكازه الحماية الكاملة.

(ز) وهناك استعمال للعكاز يختلف عن استعمال العصا: فللعصا قطعة حديد في نهايتها، لكن نهايـة العكاز معقوفة مثل حرف اللام (ل) في لغتنا العربية، ولذلك يستخدم الراعي العكـاز ليُخـرج الخـروف الساقط من الحفرة التي هوى إليها. وقد يمسك الراعي بساق الخروف أو برقبته ثم يسحبه إلـى أعلـى. ولا بد أن الخروف يتألم، ولكن ألمه المؤقت ينقذه من الهلاك المحقّق. ترى هل ابتعدت وهويـت فـي حفرة؟ لتكن لك الطمأنينة في محبة الراعي الذي يستخدم عصاه وعكازه لحمايتك ورعايتك ونجدتك.

ثانياً - صورة المضيف الكريم

(آيتا ٥ و٦)

تحدث داود النبي عن اختباره في الرب باعتباره راعيه الصالح العظيم، ثم انتقل بعد ذلك ليتحدث عنه باعتباره المضيف الكريم، الذي يرتب له المائدة.

ويشبع قلب مؤمني العهد الجديد في الجلوس حول مائدة العشاء الرباني، وهم يتناولون من الخبز ويشربون من الكأس، ويدركون أن شبع حياتهم هو في المسيح الذي قال: «أنا هو خبز الحياة. من يُقبِل إليَّ فلا يجوع، ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً.. أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحدٌ من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم» (يو ٦:٣٥ و٥١).

وفي الحديث عن هذه الضيافة نجد:

١ - **الله يرتبها بيده الكريمة:** ما أكرم اليد التي تعطي في حب وسخاء ولا تعيّر! أمامه شبع سرور، وفي يمينه نِعَم إلى الأبد (مز ١٦:١١) فيقول المرنم للرب: «لأنك تتقدّمه ببركات خير» (مز ٢١:٣). ويقول لإخوته المؤمنين: «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب. طوبى للرجل المتوكل عليه! اتّقوا الرب يا قديسيه، لأنه ليس عوزٌ لمتّقيه! الأشبال احتاجت وجاعت، وأما طالبو الرب فلا يعوزهم شيء من الخير» (مز ٣٤:٨-١٠).

وما أسعد المؤمن الذي يشبع قلبه من وليمة ربه. إن الله نفسه هو الداعي إلى الوليمة «كلوا أيها الأصحاب! اشربوا» (نش ٥:١) فالملك قد أدخلنا إلى بيت الوليمة، وعلمه فوقنا محبة. سنأكل من المن المخفَى الذي آكله لا يجوع، ونشرب من ينبوع ماء الحياة الذي شاربه لا يعطش.

وسنظل ضيوف ذلك الملك العظيم، حتى نصل إلى ملكوته الأبدي، كما وصل إخوة يوسف المتعَبون إلى بيته الملكي، فأطعمهم وأكرمهم، مع أنهم سبق أن ألقوه في بئر! ونحن نسير في برية هذه الحياة، نتعب فنستلقي في إرهاق. فيجيء ملاك الرب ويمسُّنا، فإذا الطعام والشراب مهيئان بيد الملك نفسه، ونسمع التشجيع: «قُم وكُل، لأن المسافة كثيرة عليك» (١مل ١٩:٥ و٧). فهنيئاً لكل من يقبل دعوة الملك الكريم ويأكل دوماً على مائدته الروحية السماوية.

٢ - **الله يحمي ضيوفه:** يحمي القصر الملكي كل من يلوذ به. إنه يقوم بعمل «مدن الملجأ» التي أمرت شريعة موسى القاتل سهواً، عن غير عمد، أن يحتمي فيها حتى ينظر القضاة أمره، ويعلنون براءته.

وقد حددت الشريعة ست مدن للملجأ ليهرب إليها كل من قتل نفساً سهواً (العدد ٣٥:١٥). وكان أولياء الدم يجيئون ليطلبوا دم القتيل، فإذا أثبت التحقيق أن القاتل لم يقصد أن يقتل، كان القضاة يحكمون بأن يقضي القاتل سهواً أيامه في مدينة الملجأ إلى أن يموت رئيس الكهنة الذي تم القتل في عهده. وقتها يرجع القاتل سهواً إلى بلده الأولى، ولا يتعرّض له أهل القتيل بأذى.

وعندما كان عدد الشعب قليلاً كانت مدن الملجأ الست كافية للجوء. لكن بعد أن زاد عدد السكان، اضطروا أن يستعملوا خيام الرعاة كمدن ملجأ، فكان الذي يقتل نفساً سهواً يهرب إلى خيمة الراعي، فيجد الطعام والأمان، بينما يقف أعداؤه خارج الخيمة، لا يقدرون على قتله. إنه يراهم ويرونه، ولكنه في ضيافة الراعي في أمان.

فلنأتِ تائبين، لاجئين إلى الملك العظيم والمضيف الكريم والراعي الصالح لنجد عنده الغفران والأمان والشبع والحماية. إنه الملجأ الذي جاد بالدم. فلنجتهد في مدحه بالقلب والفم. إنه المسيح ملجأنا، الذي نركض إليه ونتمنّع (أم ١٨:١٠). كلنا كغنم ضللنا، لكنه حمل إثم جميعنا.

كان المرنم تشارلس وسلي يتطلع من نافذة غرفته في يوم شديد البرد، تساقطت ثلوجه، وإذا عصفور «أبي الحن» يندفع إلى الداخل، إلى حضن تشارلس وسلي، وهو مبتل مقرور. فأخذه المرنم المشهور وقربه من المدفأة وجفف ريشه، حتى دفئ واستراح. وعندما هدأت العاصفة أطلقه.. ورأى وسلي نفسه في عصفور «أبي الحن» فكتب الترنيمة التي تقول:

من يسوع المعتمَد لاجئاً أرجو النجاة
بينما الأرياح قد غمرتني بالمياه
أعطني الستر الحصين ريثما يأتي الحِمام
واهدني المينا الأمين خاتماً لي بالسلام

٣ - الله يحتفل بانتصار ضيوفه: القول «ترتب قدامي مائدة تجاه مضايقيَّ» (آية ٥أ)، يرسم صورة الملك الذي انتصر في حربه مع أعدائه، فجلس يحتفل بالنصر مع كبار رجال دولته حول وليمة ملكية، وقد قيّد أعداءه الذين أسرهم وربطهم إلى أعمدة القصر الملكي. فيأكل الظافر ورجاله أمام مضايقيه المأسورين الذين لا يقوون على مضايقته.

وفي القول «ترتب قدامي مائدة تجاه مضايقيَّ» معنى الانتصار بنعمة ربنا على الشيطان خصمنا الذي يجول يزأر ملتمساً من يبتلعه. وهو لا يبتلع إلا من يستمعه ويستسلم له. أما الذي يرفض إغواءه فهو المنتصر الذي يعطيه الرب امتياز الجلوس في محضره، يأكل من المائدة الروحية، وقد تقيَّد أعداؤه أمامه، عاجزين عن أن يؤذوه.

إن كنت تلوذ بالله وتطيع وصاياه، سيُشبعك من دسم نعمته، ويقيّد عدوّك فلا يؤذيك، ويطرح الشيطان تحت قدميك. إن كان الله معك فمن عليك؟ إن قام عليك جيش فلا تخف، بل اطمئن. إنهم لن يقدروا أن ينالوا منك، ولن يؤذوك، لأن الرب ينصرك ويحفظك، ويرتب قدامك مائدة تجاه مضايقيك العاجزين عن إيقاع الأذى بك. «لا تخف، بل تكلم ولا تسكت، لأني أنا معك، ولا يقع بك أحد ليؤذيك» (أع ١٨:٩ و١٠).

والقول الكريم: «ترتب قدامي مائدة تجاه مضايقيَّ» يعني التمتع بوليمة عند الراعي المنتصر، الذي كان أحياناً يرعى أغنامه في مراعٍ خضر، ولكن في أرض بها حيات مختبئة في شقوق الصخور،

حيث ترعى أغنامه العاجزة عن حماية نفسها. فكان الراعي الحكيم المختبر يغلي الماء ويصبه في شقوق الصخور فتموت الحيات، وترعى الأغنام في اطمئنان، لأن الراعي رتب لها مائدة تجاه مضايقيها! صحيح إن «من يمسكم يمس حدقة عينه» (زك ٢:٨). وضمير الغائب في كلمة «عينه» قد يعود على العدو، وقد يعود على الله. فإن كان يعود على العدو يكون المعنى أن العدو الذي يمسنا يمس حدقة عين نفسه، فيؤذي نفسه، كالثور الذي يرفس مناخس. ولا بد أن يقع العدو الماكر في الحفرة التي يحفرها لمحبي الله، حتى لو كان ماكراً مكر الحيات. وإن كان ضمير الغائب في كلمة «عينه» يعود على الله، فيكون المعنى أن من يمسنا يمس حدقة عين الله، الذي في كل ضيقنا يتضايق وملاك حضرته يخلّصنا (إش ٩:٦٣). وهيهات للعدو الأحمق أن يحقق مقاصده!

ما أكرم رحمة الله! إنه يرتب لنا المائدة تجاه مضايقينا، ويعجزهم عن أن يضايقونا. وعندما يقصدون بنا الشر يحوّل شرّهم إلى خير.

٤ - **الله يكرم ضيوفه:** «مسحت بالدهن رأسي. كأسي ريّا» (آية ٥ب). فهذا المضيف الكريم لا يطعمنا فقط، بل يمسح رؤوسنا بالدهن، ويملأ كؤوسنا حتى تفيض!

(أ) **يكرمه بالعطور:** كان المضيف الغني الكريم عندما يريد أن يكرم ضيفاً عزيزاً، يصبُّ دهوناً عطرية على رأسه، فتفيح الرائحة الذكية على الضيف وعلى جميع الحاضرين. وفي هذا قال المرنم للملك: «أحببتَ البر وأبغضتَ الإثم. من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج» (مز ٧:٤٥). والمضيف يريد بذلك أن يقول: إنك ضيف شرف. أنت معزّز محبوب مكرَم. وياله من شرف يمنحه الله للمؤمن الذي يحبه!

والمسح بالدهن إشارة إلى مسحة الروح القدس، كما يقول الرسول يوحنا: «أما أنتم فلكم مسحة من القدوس» (١يو ٢٠:٢). وشرط الحصول على هذه المسحة هو التسليم الكامل لله، فالرب يعطي الروح القدس للذين يطيعونه (أع ٣٢:٥). ونحن نحتاج إلى مسحة من الروح القدس في مطلع كل يوم جديد، لأننا لا نقدر أن نقوم بواجباتنا الروحية بغير ذلك. فلنلجأ إلى الله في مطلع كل يوم ليمسح عقولنا وقلوبنا بمسحة الروح القدس لنتمكن من القيام بخدمته كما يجب.

وكما كان المسح بالدهن العطر يجهز الضيف المكرم للطعام، هكذا يجهزنا روح الله لأن نتكئ في الوليمة السماوية الأبدية عندما يجيء المسيح ثانية للذين يحبونه.

(ب) **يملأ كاسه:** وكان المضيف يكرم الضيف العزيز بأن يأمر بملء كأس شرابه كلما فرغ، ليظل كأس الضيف ملآن دائماً. وهذا يعني أن الله يعطي الاحتياج وما هو أكثر من ذلك. وفي هذا نذكر القول الرسولي عن الله «الذي لم يشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء!» (رو ٣٢:٨). والكأس الممتلئ الفائض هو نتيجة طبيعية لامتلائنا من روح الله، فعندما حلّ الروح القدس على التلاميذ فاض كأس فرحهم حتى ظن الحاضرون أنهم سكارى، وما هم

سكارى بخمر العالم، إنما لأنهم امتلأوا بروح الله، ففاض كأس فرحهم على سامعيهم، فآمن في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس، ووجدوا خلاصهم الأبدي في المسيح.

٥ - يكلف الله ملاكين ليحرسا ضيفه: «إنما خيرٌ ورحمةٌ يتبعانني كل أيام حياتي» (آية ٦أ). فالذي يجلس على مائدة الملك يتبعه ملاكان حارسان هما الخير والرحمة. وكان اليهود يعتقدون أن المؤمن الحقيقي يسير في صحبة هذين الملاكين الحارسين. وليس هناك خير ولا رحمة أعظم من صحبتنا للراعي الصالح، وهو يهدينا في سبل البر ويسير معنا في وادي ظل الموت، كل أيام حياتنا.

ويبدأ المرنم هذه العبارة بكلمة «إنما» وهي تفيد التأكيد. فلا شك أن الخير يتبع ضيف الملك، كما أن الرحمة تدركه. وما أعظم الفرق بين حالة ضيف الملك وحالة عدوّه، فالأشرار يطاردهم ملاك الرب (مز ٣٥:٦) ورجل الظلم يصيده الشر إلى هلاكه (مز ١٤٠:١١).

٦ - يقيم الضيف في بيت الله: «وأسكن في بيت الرب إلى مدى الأيام» (آية ٦ب). يرحب المضيف الكريم بضيفه الذي أكل على مائدته ليقيم في قصره دائماً. ولا شك أن المعنى المقصود معنى روحي، فلا إنسان يسكن في بيت العبادة كل أيام حياته، ولكن المعنى هو أن يصبح قلب الإنسان هيكلاً للرب، فيكون كنيسة حية متحركة، يرى الناس المسيح فيه، ويسمعون كلمة الله منه، ويكون الشغل الشاغل له هو عبادة الرب، فيختبر اختبار موسى الذي كان وجهه يلمع لأنه مكث طويلاً في حضرة الرب (خر ٣٤:٣٠ و٣١). وعندها يقول لله: «ما أكرم رحمتك يا الله، فبنو البشر في ظل جناحيك يحتمون. يَرْوَوْن من دسم بيتك، ومن نهر نِعمك تسقيهم» (مز ٣٦:٧ و٨). وقد قال المسيح: «العبد لا يبقى في البيت إلى الأبد. أما الابن فيبقى إلى الأبد» (يو ٨:٣٥).

وهناك معنى روحي آخر للسكن في بيت الرب إلى مدى الأيام، وهو الأبدية السعيدة التي للمؤمن في محضر الله. لقد نقلنا المرنم في هذه الآية الأخيرة من العالم الحاضر إلى العالم الآتي، فنسمع القول: «أنا أمضي لأُعدَّ لكم مكاناً.. حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً.. أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو ١٤:٢ و٣ و٦). «وهكذا نكون كل حين مع الرب» (١تس ٤:١٧). وهذا ما يقوله داود: «جسدي أيضاً يسكن مطمئناً، لأنك لن تترك نفسي في الهاوية.. تعرّفني سبيل الحياة. أمامك شبع سرور. في يمينك نِعَمٌ إلى الأبد» (مز ١٦:٩-١١).

ستتمتَّع بكل بركات مزمور الراعي إن قلتَ عن اختبار: «الرب راعيَّ». فما نوع علاقتك به؟

المزمور الرابع والعشرون

لِدَاوُدَ. مَزْمُورٌ
١ لِلرَّبِّ ٱلْأَرْضُ وَمِلْؤُهَا. ٱلْمَسْكُونَةُ وَكُلُّ ٱلسَّاكِنِينَ فِيهَا. ٢ لِأَنَّهُ عَلَى ٱلْبِحَارِ أَسَّسَهَا،
وَعَلَى ٱلْأَنْهَارِ ثَبَّتَهَا.
٣ مَنْ يَصْعَدُ إِلَى جَبَلِ ٱلرَّبِّ، وَمَنْ يَقُومُ فِي مَوْضِعِ قُدْسِهِ؟ ٤ اَلطَّاهِرُ ٱلْيَدَيْنِ، وَٱلنَّقِيُّ
ٱلْقَلْبِ، ٱلَّذِي لَمْ يَحْمِلْ نَفْسَهُ إِلَى ٱلْبَاطِلِ، وَلَا حَلَفَ كَذِباً. ٥ يَحْمِلُ بَرَكَةً مِنْ عِنْدِ
ٱلرَّبِّ وَبِرّاً مِنْ إِلٰهِ خَلَاصِهِ. ٦ هٰذَا هُوَ ٱلْجِيلُ ٱلطَّالِبُهُ، ٱلْمُلْتَمِسُونَ وَجْهَكَ يَا يَعْقُوبُ.
سِلَاهْ.
٧ اِرْفَعْنَ أَيَّتُهَا ٱلْأَرْتَاجُ رُؤُوسَكُنَّ، وَٱرْتَفِعْنَ أَيَّتُهَا ٱلْأَبْوَابُ ٱلدَّهْرِيَّاتُ، فَيَدْخُلَ مَلِكُ
ٱلْمَجْدِ. ٨ مَنْ هُوَ هٰذَا مَلِكُ ٱلْمَجْدِ؟ ٱلرَّبُّ ٱلْقَدِيرُ ٱلْجَبَّارُ، ٱلرَّبُّ ٱلْجَبَّارُ فِي ٱلْقِتَالِ!
٩ ٱرْفَعْنَ أَيَّتُهَا ٱلْأَرْتَاجُ رُؤُوسَكُنَّ، وَٱرْفَعْنَهَا أَيَّتُهَا ٱلْأَبْوَابُ ٱلدَّهْرِيَّاتُ، فَيَدْخُلَ مَلِكُ
ٱلْمَجْدِ؟ ١٠ مَنْ هُوَ هٰذَا مَلِكُ ٱلْمَجْدِ! رَبُّ ٱلْجُنُودِ هُوَ مَلِكُ ٱلْمَجْدِ. سِلَاهْ

مجيء ملك المجد

استولى الملك داود على حصن صهيون بعد أن هزم اليبوسيين، لا بقوته الذاتية، لكن بنصر من عند الله، فأُقيمت عليه مدينة أورشليم. وأُطلق عليه اسم «مدينة رب الجنود» (إش ١٨:٨ و٧:١٨). وكان يجب أن الله، المالك الحقيقي للحصن، يدخل مدينته مرموزاً إليه بتابوت العهد، فقرَّر داود أن ينقل التابوت إلى العاصمة في خيمة جهَّزها له، وكان ذلك أعظم أيام حياة داود. وفي هذه المناسبة السعيدة كتب داود هذا المزمور.

وتابوت العهد صندوق من خشب السنط المغشّى بالذهب، وهو من أهم مقدسات الهيكل اليهودي، لأنه كان يحتوي على لوحي الحجر المكتوب عليهما الوصايا العشر (خر ١٦:٢٥)، وقسط ذهبي فيه بعض المنّ الذي كان بنو إسرائيل يأكلونه في صحراء سيناء مدة أربعين سنة (عب ٤:٩)، كما كان به عصا هارون اليابسة التي اخضرَّت وأفرخت (عد ١٠:١٧). وكان التابوت رمزاً لحضور الله في هيكله (خر ٣٤:٤٠)، ولإعلاناته لشعبه (خر ٢٢:٢٥)، ولعنايته بهم (عد ١١:١٠ و٣٣). كما كان رمزاً للكفارة، ففي عيد الكفارة كان هارون ينضح على غطاء تابوت العهد سبع مرات من الدم

بإصبعه، أولاً عن نفسه، ثم عن الشعب ليتطهّروا من جميع خطاياهم (لا ١٦:٢-١٩).

وكان كهنة بني إسرائيل يحملون تابوت العهد أثناء سفرهم في صحراء سيناء. ولما دخلوا أرض الميعاد استقر التابوت في الجلجال (يش ١٩:٤) بعدها نقلوه إلى موقع متوسط في شيلوه (يش ١:١٨)، ثم إلى بيت إيل (قض ١٨:٢٠). ولما ارتدّ بنو إسرائيل عن عبادة الرب هزمهم الفلسطينيون، وأخذوا منهم تابوت العهد إلى عاصمتهم أشدود ثم إلى عقرون مدة سبعة أشهر. ولما أوقع الله بهم الضربات أعادوا التابوت إلى قرية بيتشمس على الحدود الشمالية الغربية لأرض سبط يهوذا (١صم ٦). ثم نُقل التابوت إلى بيت أبيناداب في قرية يعاريم حيث بقي عشرون سنة (١صم ٧). وفي سنة ١٠٠٣ ق م استولى داود على حصن صهيون من اليبوسيين، فأراد أن ينقل التابوت إليه على عربة تجرها الثيران، مع أن الشريعة نصّت أن يحمل الكهنة التابوت على أكتافهم. ولعل داود أراد أن ينقل التابوت بطريقة حديثة، يُدخل فيها تطوُّرات العصر، وهو يظن أنه يكرم الله. لكن الله وجَّهه الوجهة السليمة، وإن كان ثمن ذلك التوجيه كبيراً، فقد مات «عُزّة» بن أبيناداب وهو يحاول أن يسند التابوت على العربة لما فزعت الثيران (٢صم ٦). فترك داود التابوت في بيت عوبيد أدوم، وهو قريب من مكان الحادثة. ثم عاد بعد ثلاثة شهور لينقله إلى حصن صهيون بالطريقة الصحيحة. ومن هذا نتعلم أن الله يريدنا أن نصغي إلى تعليماته، ولا نتبع أهواءنا الشخصية، وأن نسيّر حياتنا ونضبطها بالطريقة التي يريدها هو (٢صم ٦ و١أخ ١٥).

كان تابوت العهد رمزاً لوجود الرب في وسط شعبه، فعند دخول التابوت مدينة أورشليم هتف الكل بابتهاج للرب مالك الأرض وما عليها. فلترتفع الأبواب ليدخل «ملك المجد» وليكن العابدون على مستوى العبادة.

في هذا المزمور نجد،

أولاً – الله المالك (آيتا ١ و٢)

ثانياً – الله المعبود (آيات ٣-٦)

ثالثاً – الله المنتصر (آيات ٧-١٠)

أولاً - الله المالك

(آيتا ١ و٢)

١ – ملكية الله شاملة: «للرب الأرض وملؤها. المسكونة وكل الساكنين فيها» (آية ١) .هو مالك الأرض وما عليها من بشر وطير وحيوان ونبات. هي له بحكم أنه خلقها، فهو الذي «كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان» (يو ٣:١). وهو الذي يضمن بقاء العالم، فهو «حامل كل الأشياء بكلمة قدرته» (عب ٣:١) و«منه وبه وله كل الأشياء» (رو ٣٦:١١). لذلك قال: «فإن لي كل الأرض» (خر ٥:١٩) وقال موسى للشعب: «للرب إلهك السماوات وسماء السماوات والأرض وكل

ما فيها» (تث ١٠: ١٤). فالرب يملكنا وكل ما عندنا، ونحن مجرد وكلاء على ما أعطانا من بنين ومال ووقت وصحة وذكاء ودرجات علمية. ولا يقدر أحدٌ أن يقول عن شيء إنه ملكه، لأنه ملك الله.

٢ - ملكية الله قانونية: «لأنه على البحار أسّسها وعلى الأنهار ثبّتها» (آية ٢).

(أ) الله هو الخالق: «على البحار أسّسها». «قال الله: لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد، ولتظهر اليابسة. وكان كذلك. ودعا الله اليابسة أرضاً، ومجتمع المياه دعاه بحاراً» (تك ١: ٩ و١٠). وقال المرنم إن الله هو «الباسط الأرض على المياه، لأن إلى الأبد رحمته» (مز ١٣٦: ٦) ويقول إمام الحكماء عن الرب: «وضع للبحر حدّه، فلا تتعدى المياه تُخمه» (أم ٨: ٢٩).

(ب) الله هو الضابط والضامن: «على الأنهار ثبّتها». خلقها ويضمن استمرارها. «لأنك أنت خلقت كل الأشياء، وهي بإرادتك كائنة وخُلقت» (رؤ ٤: ١١). «به نحيا ونتحرك ونوجد» (أع ١٧: ٢٨).

ثانياً - الله المعبود

(آيات ٣-٦)

هذا الإله العظيم، الخالق، الضابط الكل، جديرٌ بعبادتنا. وعلى العابدين أن يكونوا على مستوى العبادة، فعبادة الرب العظيم تطالبنا بالتواضع، وعبادة الإله القدوس تستلزم التقوى والقداسة. وفي هذه الآيات الأربع نجد أربعة أوصاف للعبادة:

١ - العبادة امتياز: «من يصعد إلى جبل الرب، ومن يقوم في موضع قدسه؟» (آية ٣). العبادة امتياز لأنها «صعود» وارتفاع إلى جبل الرب. وهي «قيام» في حضرة الله في موضع قدسه. والصعود صعب لأنه تسلُّق يحتاج إلى مجهود وإرادة. والقيام يحتاج إلى صحو وانتباه وتصميم وعزم. أما الهبوط والجلوس فسهلان! قال المسيح: «واسعٌ الباب ورحب الطريق الذي يؤدي إلى الهلاك، وكثيرون هم الذين يدخلون منه. ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة، قليلون هم الذين يجدونه» (مت ٧: ١٣).

تتطلب حياتنا الروحية ارتفاعاً فوق مستوى العالم. عندما صلى موسى لينصر الله شعبه على عدوه «عماليق» كان يجب أن يرفع يديه إلى الله باستمرار، لأنه عندما كان يخفض يديه كان العدو يغلب! ولما أصابه الإرهاق جاءه هارون وحور ودعما يديه، الواحد من هنا والآخر من هناك، فظلت يداه مرفوعتين بثبات إلى غروب الشمس وانتصر قومه (خر ١٧: ١١ و١٢).

٢ - العبادة مسؤولية: «الطاهر اليدين، والنقي القلب، الذي لم يحمل نفسه إلى الباطل ولا حلف كذباً» (آية ٤). لقد خاف داود لما رأى الله يقتل «عُزة» لأنه تجرأ ولمس تابوت العهد بيديه، الأمر الذي كانت الشريعة تحرمه. وأدرك داود ضرورة الطاعة والتوافق مع المشيئة الإلهية. فالعبادة امتياز، لكنها أيضاً مسؤولية تتطلب منا ثلاثة أشياء:

(أ) **طهارة السلوك الظاهر:** «الطاهر اليدين» (آية ٤أ) الذي لا يأخذ ما ليس حقه، ولا يرتكب عنفاً، فيقول: «يكافئني الرب حسب بري. حسب طهارة يديَّ يردُّ لي» (مز ١٨: ٢٠).

(ب) **نقاوة القلب من الداخل:** «النقي القلب» (آية ٤ب) صاحب النوايا الحسنة، الذي ينطبق عليه وصف المسيح: «طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله» (مت ٥: ٨).

(ج) **طهارة الفكر والكلام:** «الذي لم يحمل نفسه إلى الباطل ولا حلف كذباً» (آية ٤ج). هو الأمين للرب، الذي يرفع يديه ويوجّه فكره باستقامة للسماء، تاركاً الأوثان الباطلة، وطالباً أولاً ملكوت الله وبره، وتابعاً كل ما يُرضي الله. فإذا حلف أو وعَد يَصدُق في ما يَعِد به، لأن الذي يقضي عمره في الكذب لا يستطيع أن يتمتع بالشركة مع الله الحق. وقد وصف إمام الصابرين أيوب سلوكه الصالح بقوله: «إن كنتُ قد سلكتُ مع الكذب، أو أسرعَت رجلي إلى الغش، ليَزِنّي في ميزان الحق فيعرف الله كمالي. إن حادت خطواتي عن الطريق وذهب قلبي وراء عينيَّ أو لصق عيبٌ بكفيّ، أزرع وغيري يأكل» (أي ٣١: ٥-٧).

٣ – ***العبادة بركة:*** «يحمل بركة من عند الرب وبراً من إله خلاصه» (آية ٥). يبارك الرب العابد المخلص كما بارك بيت عوبيد أدوم لما بقي فيه تابوت عهد الرب ثلاثة أشهر، حتى سمع داود بعظمة تلك البركة. وما أجمل قول العذراء القديسة مريم: «أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين» (لو ١: ٥٣). والعابد المخلص ينال براً، ويتحقق معه ما قيل في إبراهيم خليل الله إنه آمن بالرب فحسبه له براً (تك ١٥: ٦) ويصدق فيه قول المسيح: «طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يُشبعون» (مت ٥: ٦).

٤ – ***العبادة مستمرة:*** «هذا هو الجيل الطّالِبُه، الملتمسون وجهك يا يعقوب» (آية ٦). الذي يطلبه باستمرار. والذي يطلبه هو الذي يقول: «فرحتُ بالقائلين لي: إلى بيت الرب نذهب» (مز ١٢٢: ١). ويسكن في بيت الرب إلى مدى الأيام (مز ٢٣: ٦). والذي يلتمس وجهه هو الذي يطلبه بكل قلبه، سواء كان في البيت أو محل العمل، أو مخدع الصلاة. هذا الطالب الملتمس يشبه «يعقوب» أبا الأسباط كما يجب أن يكون، وهو «إسرائيل الله» (غل ٦: ١٦).

فلنطلب الرب ونلتمس وجهه دوماً في شوق. قد يقضي عالِمٌ حياته يطوّر آلة معينة ليقدم خدمة أفضل للبشر. فهل يكون المؤمن أقل منه غيرةً؟ على المؤمن أن يقضي حياته في تنمية وتعميق حياته الروحية بأن يطلب الرب ويلتمس وجهه، فتكون حياته مباركة له وسبب بركة لغيره، كما قال الرب لإبراهيم: «أباركك.. وتكون بركة.. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض» (تك ١٢: ٢ و٣).

ثالثاً - الله المنتصر

(آيات ٧-١٠)

١ – ***يدخل الملك وسط الترحيب:*** «ارفعن أيتها الأرتاج رؤوسكن، وارتفعن أيتها الأبواب الدهريات فيدخل ملك المجد» (آية ٧). وصل التابوت أبواب أورشليم، فقال المرنم: «ارتفعن أيتها

الأبواب الدهريات». والأرتاج هي بوابات المدينة التي يجب أن ترتفع لأنها أقل ارتفاعاً من أن يدخل منها ملك المجد. كما يجب أن تنفتح على آخرها لتتسع للمجد الإلهي. ولتوقف كل مقاومة تعطل دخول ملك المجد الذي يستحق الترحيب الكامل. هذه الأبواب «دهريات» قديمة، ولكن لما تنفتح لملك المجد يمنحها بركات جديدة.

وهذه الآية نبوة عن دخول المسيح الانتصاري إلى أورشليم يوم الأحد السابق للقيامة، عندما هتفت الجماهير له: «أوصنا (يا رب خلِّصنا). مبارك الآتي باسم الرب. مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب. أوصنا في الأعالي» (مر ١١: ٩ و١٠).

واليوم يجب أن نرحب بملك المجد ليدخل ويملك على حياتنا، فيكون كل ما عندنا ملكاً له وتحت أمره. ليقُل كل واحد منا لنفسه: يا باب قلبي، ارتفع واتَّسع ليدخل ملك المجد، فلن أترك اليوم شيئاً يعطل دخول المسيح إلى قلبي.

٢ - **يدخل الملك منتصراً:** «من هو هذا ملك المجد؟ الرب القدير الجبار. الرب الجبار في القتال» (آية ٨). لـه رنّم شعبه المفدي في نشيد يقول مطلعه: «الرب قوّتي ونشيدي، وقد صار خلاصي. هذا إلهي فـأمجّده، إلـه أبي فأرفّعه» وتقول خاتمته: «الرب يملك إلى الدهر والأبد» (خر ١٥: ٢ و١٨).

رأينا في مزمور ٢٢ نبوات عن المسيح المصلوب المُقام قيلت قبل الصليب بألف سنة، وقد تحققت كلها. انتصر المسيح على الموت وترك قبره فارغاً. كل الأنبياء ذاقوا الموت، وسيقومون في القيامة في اليوم الأخير ليقفوا أمام المسيح القاضي العادل. لكن المسيح هو الوحيد الذي قام من قبره منتصراً، وترك قبره فارغاً، وسيعود إلى أرضنا ليتولى الحكم. إنه «الرب القدير الجبار. الرب الجبار في القتال». قتل الموت بقيامته، وهزم إبليس وأشهره جهاراً (كو ٢: ١٥).

٣ - **يدخل الملك ممجداً:** يعود المرنم يكرر دعوته وسؤاله: «ارفعن أيتها الأرتاج رؤوسكن، وارفعنها أيتها الأبواب الدهريات فيدخل ملك المجد! من هو هذا ملك المجد؟ رب الجنود هو ملك المجد» (آيتا ٩ و١٠). ليس هو الملك المنتصر فحسب، لكنه «رب الجنود» الذي قال عنه داود لجليات الجبار: «أنت تأتي إليّ بسيف وبرمح وبترس، وأنا آتي إليك باسم رب الجنود» (١صم ١٧: ٤٥). وجنوده هم كل الخلائق (تك ٢: ١). وهم شعبه الذين اختارهم (خر ٧: ٤). وهم الشمس والقمر والنجوم (تث ٤: ١٩ و١٧: ٣). وهم الملائكة (لو ٢: ١٣). إنه رب المجد، صاحب كل سلطان في السماء والأرض.

قد يتساءل إنسان: كيف أدخل السماء وأمثُل في حضرة الله ويداي ملوّثتان بالخطية؟ والإجابة: إنك تضع ثقتك في المسيح صاحب اليدين الطاهرتين المثقوبتين، الذي يعطيك قلباً جديداً إن كنت تضع ثقتك فيه، فتمثُل في حضرة الله بفرح، لأنه يستر عيوبك ويعطيك القبول أمام الله بفضل فدائه.

فلتتسع قلوبنا لدخول رب الجنود، ولنرتل ترتيلة فرح عندما يدخل حياتنا ويمتلكها!

المزمور الخامس والعشرون

لِدَاوُدَ

١ إِلَيْكَ يَا رَبُّ أَرْفَعُ نَفْسِي. ٢ يَا إِلٰهِي عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، فَلَا تَدَعْنِي أَخْزَى. لَا تَشْمَتْ
بِي أَعْدَائِي. ٣ أَيْضاً كُلُّ مُنْتَظِرِيكَ لَا يَخْزَوْا. لِيَخْزَ ٱلْغَادِرُونَ بِلَا سَبَبٍ. ٤ طُرُقَكَ يَا
رَبُّ عَرِّفْنِي. سُبُلَكَ عَلِّمْنِي. ٥ دَرِّبْنِي فِي حَقِّكَ وَعَلِّمْنِي. لِأَنَّكَ أَنْتَ إِلٰهُ خَلَاصِي. إِيَّاكَ
ٱنْتَظَرْتُ ٱلْيَوْمَ كُلَّهُ. ٦ ٱذْكُرْ مَرَاحِمَكَ يَا رَبُّ وَإِحْسَانَاتِكَ، لِأَنَّهَا مُنْذُ ٱلْأَزَلِ هِيَ. ٧ لَا
تَذْكُرْ خَطَايَا صِبَايَ وَلَا مَعَاصِيَّ. كَرَحْمَتِكَ ٱذْكُرْنِي أَنْتَ مِنْ أَجْلِ جُودِكَ يَا رَبُّ.
٨ اَلرَّبُّ صَالِحٌ وَمُسْتَقِيمٌ، لِذٰلِكَ يُعَلِّمُ ٱلْخُطَاةَ ٱلطَّرِيقَ. ٩ يُدَرِّبُ ٱلْوُدَعَاءَ فِي ٱلْحَقِّ،
وَيُعَلِّمُ ٱلْوُدَعَاءَ طُرُقَهُ. ١٠ كُلُّ سُبُلِ ٱلرَّبِّ رَحْمَةٌ وَحَقٌّ لِحَافِظِي عَهْدِهِ وَشَهَادَاتِهِ. ١١ مِنْ
أَجْلِ ٱسْمِكَ يَا رَبُّ ٱغْفِرْ إِثْمِي لِأَنَّهُ عَظِيمٌ. ١٢ مَنْ هُوَ ٱلْإِنْسَانُ ٱلْخَائِفُ ٱلرَّبَّ؟ يُعَلِّمُهُ
طَرِيقاً يَخْتَارُهُ. ١٣ نَفْسُهُ فِي ٱلْخَيْرِ تَبِيتُ، وَنَسْلُهُ يَرِثُ ٱلْأَرْضَ. ١٤ سِرُّ ٱلرَّبِّ لِخَائِفِيهِ
وَعَهْدُهُ لِتَعْلِيمِهِمْ. ١٥ عَيْنَايَ دَائِماً إِلَى ٱلرَّبِّ، لِأَنَّهُ هُوَ يُخْرِجُ رِجْلَيَّ مِنَ ٱلشَّبَكَةِ.
١٦ اِلْتَفِتْ إِلَيَّ وَٱرْحَمْنِي لِأَنِّي وَحْدٌ وَمِسْكِينٌ أَنَا. ١٧ اُفْرُجْ ضِيقَاتِ قَلْبِي. مِنْ
شَدَائِدِي أَخْرِجْنِي. ١٨ ٱنْظُرْ إِلَى ذُلِّي وَتَعَبِي وَٱغْفِرْ جَمِيعَ خَطَايَايَ. ١٩ ٱنْظُرْ إِلَى أَعْدَائِي
لِأَنَّهُمْ قَدْ كَثُرُوا. وَبُغْضاً ظُلْماً أَبْغَضُونِي. ٢٠ ٱحْفَظْ نَفْسِي وَأَنْقِذْنِي. لَا أُخْزَى لِأَنِّي
عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ. ٢١ يَحْفَظُنِي ٱلْكَمَالُ وَٱلِٱسْتِقَامَةُ لِأَنِّي ٱنْتَظَرْتُكَ. ٢٢ يَا ٱللّٰهُ ٱفْدِ
إِسْرَائِيلَ مِنْ كُلِّ ضِيقَاتِهِ.

علمني ودربني

هذا المزمور يطلب فيه المرنم الغفران والإرشاد، يبدأه ويختمه بالصلاة، لأنه متواضع يعرف أنه أخطأ، ونتيجة لذلك مرّ بظروفٍ قاسية، وتحيَّر ولم يعرف كيف يتصرَّف، فلجأ إلى ربّه يطلب المغفرة والهداية اليومية، ويسأل الله أن يعرّفه الحق ويعلّمه ويدرّبه فيه.

وكم نشكر الله لأنه في محبته يغفر أخطاءنا، ويهدينا بكلمته وبروحه، لأنه أبونا الذي يهتم بنا، وقد تنازل وجعلنا شعبه الذي ينتمي إليه. ومهما كانت أخطاؤنا فإنه يغفرها حالما نعترف بها. فإن كنا غير أمناء فهو يبقى أميناً، لن يقدر أن ينكر نفسه ولا محبته لنا (٢تي ٢:١٣).

وهذا المزمور أبجدي، تبدأ كل آية منه بأحد حروف الأبجدية العبرية.

في هذا المزمور نجد،

أولاً - موضوعات للصلاة (آيات ١-٧)

ثانياً - الله يوضح طرقه (آيات ٨-١٥)

ثالثاً - الله ينجي من الضيق (آيات ١٦-٢٢)

أولاً - موضوعات للصلاة

(آيات ١-٧)

١ - الصلاة هي رفع النفس إلى الله: «إليك يا رب أرفع نفسي» (آية ١). الصلاة ارتفاعٌ بالنفس وسموٌ بها، فالمصلي الذي يركع أمام الله في تواضع حقيقي، هو الذي يرفعه الله. وكلما تواضعنا في حضرته يرفعنا في حينه (١بط ٥:٦). إن كانت خطايانا أو صعوبات حياتنا قد نكست رؤوسنا، فلنلجأ إلى الله مصلّين ليرفعنا، مطيعين النصيحة: «إن أحسنت أفلا رفعٌ؟» (تك ٤:٧). فلا تسمح للظروف أن تُسقط وجهك غيظاً أو يأساً، بل «ارفعوا عيونكم إلى العلاء» (إش ٤٠:٢٦ و٥١:٦).

قال الرسول بولس لما ظلمه اليهود: «إلى قيصر أنا رافعٌ دعواي» (أع ٢٥:١١) فرفع قضيته إلى قاضٍ أكبر طلباً للعدالة. وهكذا يجب أن نرفع دعوانا إلى الله، لأننا كلما صلينا ارتفعنا فوق الصعاب. ربما نشكو آلامنا لأصحابنا، أو نتذمر بسببها داخل نفوسنا، لكننا سرعان ما نكتشف أن عقولنا قاصرة، وأن أصدقاءنا عاجزون. فلنرفع أنفسنا إلى الرب، ولنوجّهها الوُجهة السليمة.

عندما وقف المسيح أمام قبر لعازر، كان جسد لعازر قد تعفّن، وكانت أختاه تبكيان، واليهود يراقبون المسيح ليروا ما سيفعله. ولكن المسيح حوّل النظر عن هذا كله، ورفع عينيه إلى السماوات وقال: «أيها الآب، أشكرك لأنك سمعت لي، وأنا علمتُ أنك في كل حين تسمع لي» (يو ١١:٤١ و٤٢). وهكذا يجب أن تكون الصلاة! «لنرفع قلوبنا وأيدينا إلى الله في السماوات» (مرا ٣:٤١).

٢ - دعاءٌ لكيلا يشمت العدو: «يا إلهي عليك توكلت، فلا تدعني أخزى. لا تَشْمتْ بي أعدائي. أيضاً كل منتظريك لا يَخْزَوا. ليخْزَ الغادرون بلا سبب» (آيتا ٢ و٣). لا يرى العدو الغادر إلا المنظور، فيصيبه الخزي والخجل، لأنه يبني طمأنينته على الماديات المنظورة فقط. أما المؤمن الصادق فإنه لا يخزى أبداً لأنه يؤمن بالله الذي يُحيي الموتى، ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة، فيتقوّى معطياً مجداً لله، متيقّناً أن ما وعد الله به هو قادر أن يفعله (رو ٤:١٧-٢٠).

ويدرك المرنم أن لأفضل الناس أعداءً يشمتون بهم في مصائبهم، ولكنه يدرك أيضاً ضرورة الصلاة لأجلهم. كل مؤمن مُصاب (يو ١٦:٣٣) لأن الذي يحبه الرب يؤدّبه (أم ٣:١٢ وعب ١٢:٦)، ولأن خفّة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا ثقل مجد أبدياً (٢كو ٤:١٧)، ولأن رئيس هذا العالم يقاوم المؤمنين (يو ١٤:٣٠)، ولأن جسد المؤمن يشتهي ضد روحه (غل ٥:١٧). وكلما رأى العدو الغادر مصائب

المؤمن شمت به، سواء كانت المصائب بسبب عيبٍ في المؤمن، أو لغير ذلك. ويطلب المرنم من الله أن يجنّبه هذه الشماتة، كما قال داود في نشيد الرثاء: «الظبي (شاول) يا إسرائيل مقتولٌ على شوامخك. كيف سقط الجبابرة؟ لا تخبروا في جتّ! (عاصمة فلسطين). لا تبشّروا في أسواق أشقلون! (عاصمة أخرى)، لئلا تفرح بنات الفلسطينيين، لئلا تشمت بنات الغلف» (٢صم ١٩:١ و ٢٠).

٣ - **دعاء لطلب الإرشاد:** «طرقك يا رب عرّفني، سبلك علّمني، درّبني في حقك وعلمني، لأنك أنت إله خلاصي. إياك انتظرت اليوم كله» (آيتا ٤ و ٥). وفي هاتين الآيتين أربع طلبات:

(ا) «**عرّفني**»: أعطني المعلومة، والمعرفة العقلية. قُل لي شيئاً أجهله. أعلن لي إرادتك. وهذه معرفة عامة للجميع، كقولك: «الله محبة».

(ب) «**علّمني**»: والتعلّم خطوة أعمق من المعرفة. هي تخصيص المعرفة لنفسك، وهي الحكمة التي تطبّق في الحياة اليومية ما عرفتَه من الله وعنه، فيصبح واقعاً مُعاشاً كل يوم، كقولك: «الذي أحبّني» والاطمئنان إلى هذه المحبة.

(ج) «**درّبني**»: والتدريب خطوة أبعد من التعلّم. إنه ممارسة المعرفة التي تعلمناها، والوقوع في أخطاء تطبيقها، ثم تعلّمنا من تلك الأخطاء. كمعرفتك أن الله محبة، ثم إدراكك أن الله يحبك، واطمئنانك لحب الله لك. ولكنك تقع في خطية الشك في هذه المحبة عندما تجوز في تجربة صعبة. ويطلب المرنم من الله أن يدربه حتى يقول: «إذا سقطتُ أقوم. إذا جلستُ في الظلمة فالرب نورٌ لي» (مي ٨:٧). فيتعلم ويتدرب بالتجربة والخطأ.

(د) «**علّمني**»: بعد خطوة التدريب بالتجربة والخطأ، يتعلم الإنسان كيف يكون أقوى إيماناً وأكثر طاعةً وأفضل استعداداً لخدمة الله، لأنه يكون قد تعلم بالمعرفة والتدريب ما ينفعه في مستقبله، فلا يسقط في ما سبق له أن سقط فيه، فيتحقق معه القول: «أدرّب نفسي ليكون لي دائماً ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس» (أع ١٦:٢٤). ولا يعود يحتاج للتوبيخ الرسولي القائل: «لأنكم إذ كان ينبغي أن تكونوا معلّمين لسبب طول الزمان (الذي مرّ عليكم منذ تعلّمتم)، تحتاجون أن يعلّمكم أحدٌ ما هي أركان بداءة أقوال الله (أبجدية الإيمان المسيحي وبداياته الأولية).. أما الطعام القوي فللبالغين، الذين بسبب التمرُّن قد صارت لهم الحواس مدرّبة على التمييز بين الخير والشر» (عب ١٢:٥ و ١٤).

وتحتاج عملية التعلُّم إلى صبر، فنتعلم ونخطئ، فنتعلم من خطئنا دون يأس، مرددين مع المرنم: «إياك انتظرتُ اليوم كله» (آية ٥ب). فإن علّمك الله وأخطأت، فلا تيأس، بل انتظره ليعلّمك من جديد. أشكُرْه لأنه لا يُخزي منتظريه، وهو لا يطرد تلاميذه بسبب جهالتهم أو ضعف ذاكرتهم أو بطء إدراكهم أو غلاظة قلوبهم أو تقاعسهم عن التنفيذ، لكنه يعلّم ويدرّب مرة بعد مرة.

وانتظار الرب يعني توقُّع نوال طلباتنا منه، كما كان مرضى بركة بيت حسدا يتوقعون تحريك الماء في صبر وثقة، قائلين: «إنما لله انتظري يا نفسي لأن من قِبَله رجائي» (مز ٥:٦٢).

٤ - دعاء لطلب الرحمة: «اذكر مراحمك يا رب وإحساناتك لأنها منذ الأزل هي. لا تذكر خطايا صباي ولا معاصيَّ. كرحمتك اذكرني أنت من أجل جودك يا رب» (آيتا ٦ و٧). يظن المؤمن في وقت الضيق أن الله نسيه، فيلجأ إلى الصلاة ليذكّر الله! وهذا يعني أن الشك قد بدأ يسيطر على مشاعره، ويهز ثقته، فيطلب رحمة الله التي لا تتغيّر. فهي منذ الأزل، وتدوم إلى الأبد (إر ٢:٢ و٣:٣١). يطلبها لأنه خاطئ لا يصيب الهدف، ولأنه عاصٍ ثائر على قوانين الله. ولكنه يعلم أن المراحم الإلهية الغنية تغفر له ما سبق أن ارتكبه، وتطرح كل سلوك سيء في أعماق البحر «يعود يرحمنا، يدوس آثامنا، وتُطرح في أعماق البحر جميع خطاياهم» (مي ٧:١٩). «فإنك طرحت وراء ظهرك كل خطاياي» (إش ٣٨:١٧) فتسمعه يؤكد لك: «لأني أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد» (إر ٣١:٣٤).

لقد رفع داود صلاة طلب الرحمة، ومن بعده صلّى اللص المصلوب التائب: «اذكرني يا رب متى جئتَ في ملكوتك» (لو ٢٣:٤٢). ونحن لا نجرؤ على طلب الرحمة إلا اعتماداً على محبة الله الواضحة في الصليب.

ثانياً - الله يوضّح طرقه

(آيات ٨-١٥)

١ - بسبب صلاح الله: «الرب صالحٌ ومستقيم، لذلك يعلّم الخطاة الطريق. يدرّب الودعاء في الحق، ويعلّم الودعاء طرقه» (آيتا ٨ و٩). لا يستحق الخاطئ شيئاً صالحاً، لكن بسبب صلاح الله ونعمته يتنازل ليعلّم الخاطئ سبُل البر بالرغم من أنه لم يُصب الهدف. فإن كان الخاطئ التائب وديعاً بمعنى أنه متواضعٌ، راغبٌ في المعرفة، ويملك قابلية التعلُّم، فإن الله يدربه، ويزيد تعليمه، بالمعرفة العقلية والتدريب العملي، فيعرف كيف يعبد الله بالروح والحق، وكيف يحيا الحياة التي تُرضي الله وتمجده، ويفهم إرادة الله الصالحة. فإن كنت في حيرة لا تعرف المشيئة الإلهية في أمرٍ ما، فلتثق أن الله يريد أن يعلّمها لك. إن رغبتك في معرفة المشيئة الإلهية ناشئة عن عمل الروح القدس فيك، وعن تجاوبك مع عمل الروح القدس في داخلك، وعلى ذلك فلا بد أن الله سيعطيك هذه المعرفة.

٢ - بسبب أمانة الله: «كل سبل الرب رحمة وحق لحافظي عهده وشهاداته» (آية ١٠). تبرهن كل معاملات الله أنه أمين لمواعيده، وأن مقاصده عامرةٌ بالمحبة لمن يثبتون في عهده (تك ١٧:٢-٤) ويطيعونه (خر ١٩:٥). وكان تابوت العهد تجسيداً لعهد الله مع شعبه (عد ١٠:٣٣). وكان ناموس موسى «على لوحي العهد» دستور العهد القديم (تث ٩:٩). و«الناموس بموسى أعطي، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا» (يو ١:١٧). والله يغمرنا برحمته فيغفر لنا، ويغمرنا بحقّه فيقوّمنا ويهدينا. بالرحمة «يردّ نفسي» وبالحق «يهديني إلى سبل البر» (مز ٢٣:٣). رحمته تغفر وحقه يرشد.

٣ - بسبب ضعف الإنسان: «من أجل اسمك يا رب اغفر إثمي لأنه عظيم» (آية ١١). عندما فكر المرنم في صلاح الله وأمانته، اكتشف تقصيره، فطلب المغفرة، محتمياً في إعلان الله عن ذاته أنه إله

الرحمة، كما سبق موسى وطلب: «اغفر إثمنا وخطيتنا، واتَّخِذْنا مُلكاً» (خر ٣٤:٩). ولا يمكن أن يرفض الرب نداء طالب الغفران، فهو الغفور للخاطئ المعترف.

٤ - بسبب شوق الإنسان لمعرفة الله: «من هو الإنسان الخائف الرب؟ يعلّمه طريقاً يختاره. نفسه في الخير تبيت ونسله يرث الأرض. سرُّ الرب لخائفيه، وعهده لتعليمهم. عيناي دائماً إلى الرب لأنه هو يُخرج رجليَّ من الشبكة» (آيات ١٢-١٥). والشبكة ترمز للتجربة، والرب يحفظ المؤمنين من السقوط فيها، ويسرع بإنقاذهم منها، وعلّمنا أن نصلي: «لا تُدخلنا في تجربة». وقد رأينا من بداية المزمور أن الرب يعلّم الذين يخافونه ويدرّبهم في طرقه التي يختارها لهم بنفسه (آية ١٢)، فيقولون: «لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمالٍ صالحةٍ قد سبق الله فأعدّها لكي نسلك فيها» (أف ٢:١٠). وهذا التعليم يجعلهم راغبين في مزيدٍ من التعلُّم، لأنهم يرون النجاح المادي الذي يمنحه لهم الرب، ويمنحه لنسلهم أيضاً (آية ١٣)، كما وعد إبراهيم (تك ١٥:٧ و٨) وكما وعد سائر شعبه (خر ٢٠:١٢ ومت ٥:٥). كما أنهم يرون بركات الرب الروحية لهم، واهتمامه السري الخاص بهم في أنه يعلن لهم أسرار محبته وقوانين ملكوته وصدق عهوده (آية ١٤) لأنهم أصحاب قلوبٍ بسيطة نقية (مت ١١:٢٥)، مثل إبراهيم الذي أعلن له الرب ما سيفعله بسدوم (تك ١٨:١٧) وكما قال عاموس: «إن السيد الرب لا يصنع أمراً إلا وهو يعلن سرّه لعبيده الأنبياء» (عا ٣:٧).

قال المسيح: «إن شاء أحدٌ أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسي» (يو ٧:١٧). فكل من يريد أن يطيع الله يعلن الله له من تعاليمه ما لا يقدر العصاة أن يدركوه، ولهذا يتطلّع المرنم دوماً للرب قائلاً: «عيناي دائماً إلى الرب» واثقاً أنه سيُخرج رجليه من الشبكة (آية ١٥). وكان اليهود يطلقون اسمي «اليوعينيّ» (١أي ٣:٢٣) و«أليهوعيناي» (عز ٨:٤) على أبنائهم، راجين أن يكونوا اسماً على مسمّى، بأن تكون عيونهم دائماً على الرب، يقولون مع المرنم: «إليك يا سيد يا رب عيناي، بك احتميت. لا تُفرغ نفسي» (مز ١٤١:٨).

ثالثاً - الله ينجّي من الضيق
(آيات ١٦-٢٢)

١ - الخطية هي السبب الرئيسي للضيق: (آيات ١٦-١٨).

(أ) الخطية تُسبّب الضيق الداخلي: «التفت إليّ وارحمني، لأني وَحْدٌ ومسكين أنا. افرُج ضيقات قلبي» (آيتا ١٦ و١٧أ). يطلب المرنم أن يعينه الرب على إحساسه بالوحدة والضيق، وأن يخرجه من شدائده، بأن يتلفت إليه ولا يحجب وجهه عنه «لأنه لم يحتقر ولم يرذل مَسْكَنة المسكين، ولم يحجب وجهه عنه، بل عند صراخه إليه استمع» (مز ٢٢:٢٤).

ما أكثر ما نشعر بالوحدة والمسكنة، ونقول مع داود: «أبي وأمي قد تركاني، والرب يضمُّني» (مز ٢٧:١٠).

(ب) **الخطية تُسبِّب الضيق الخارجي:** «من شدائدي أخرِجني. انظُر إلى ذُلّي وتعبي واغفر جميع خطاياي» (آيتا ١٧ب و١٨). يذكر المرنم ستة أنواع من ضيقات المؤمنين: الوحدة، والمسكنة، والاضطهاد، والشدائد، والذل، والتعب. ولا يتذمَّر المرنم منها، ولا يحدد للرب شيئاً يفعله بصددها، لكنه يكتفي بالقول: «انظر» كما قالت الأختان مريم ومرثا للمسيح: «الذي تحبه مريض» (يو ١١:٣) دون أن تحددا له ما يفعله، ثقة منهما في محبته وحكمته.

ويرى المرنم أن كل ضيق خارجي أصابه من أعدائه هو نتيجة لخطاياه، ويطلب مغفرة كل خطية ارتكبها، لأنه يعلم أن الخطية تزعج النفس وتضايقها. لا يستطيع العالم أن يضايقنا ما دمنا في الرب، لكن الخطية هي التي تضايقنا لأنها تحجب وجهه عنا. ولا يقدر الأعداء أن يذلونا، لكن الإذلال يأتي دائماً من الداخل، عندما يتعالى الإنسان متشامخاً، فيُغضب الله، ويجبر الناس أن ينفضّوا من حوله لأنهم لا يحبون من يهتم بنفسه فقط.

٢ - **الأعداء يسبِّبون الضيق:** «انظر إلى أعدائي لأنهم كثروا، وبُغضاً ظلماً أبغضوني» (آية ١٩). كانت خطيته سبب بعض ما أصابه من ضيق داخلي وخارجي، فطلب الغفران والمعونة. ولكن بعض الأعداء ناصبوه العداء بسبب شرّ قلوبهم، وليس بسبب خطإٍ ارتكبه في حقّهم، فاجتمعوا حوله واتّحدوا ضده، وأبغضوه ظلماً، فصرخ إلى الرب الذي يعلّمنا أنه «طوبى لكم إذا عيَّروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة، من أجلي، كاذبين. افرحوا وتهلّلوا لأن أجركم عظيم في السماوات» (مت ٥:١١ و١٢).

٣ - **الضيق يبعث على انتظار الرب:** «احفظ نفسي وأنقذني. لا أُخزَى لأني عليك توكلت. يحفظني الكمال والاستقامة لأني انتظرتك» (آيتا ٢٠ و٢١). وهي الطلبة التي علّمها المسيح لنا «لا تُدخلنا في تجربة». كان المرنم متضايقاً عاجزاً عن مساعدة نفسه، وهو يدرك أنه هو نفسه السبب في جزء من الضيق الذي حلَّ به، وأن الأعداء هم سبب الجزء الآخر، فطلب الغفران والعون السماوي، ثم أعلن انتظاره للرب الذي وضع ثقته فيه واتكل عليه، ليغيثه ويعينه وينقذه، عالماً أن كماله واستقامته هما ضمانه في النجاة من الضيق، لأنه يتعامل مع الله الصالح والمستقيم.

٤ - **الفداء الإلهي هو المخرج الكامل من الضيق:** «يا الله افدِ إسرائيل من كل ضيقاته» (آية ٢٢). هذه طلبة شاملة، رفع المرنم فيها كل الشعب المجرَّب والمصارع والغالب بنعمة الرب. والفداء هو التحرير بالشراء، فالرب يدفع الفدية، والمسيح هو المخلّص الذي يفتدينا من كل إثم، ويطهّرنا ويجعلنا شعبه الخاص (تي ٢:١٣ و١٤) «لأن عند الرب الرحمة، وعنده فدىً كثير، وهو يفدي إسرائيل من كل آثامه» (مز ١٣٠:٧ و٨).

دعونا نطلب من الرب أن يجعلنا شعبه الخاص، فيعرّفنا، ويعلّمنا ويدرّبنا، ويعود يعلّمنا عندما نعاود الخطأ، فإنه «يغفر جميع خطاياي» ويفدي خاصته من كل ضيقاتهم.

المزمور السادس والعشرون

لِدَاوُدَ

١ اِقْضِ لِي يَا رَبُّ لأَنِّي بِكَمَالِي سَلَكْتُ، وَعَلَى ٱلرَّبِّ تَوَكَّلْتُ بِلَا تَقَلْقُلٍ. ٢ جَرِّبْنِي يَا
رَبُّ وَٱمْتَحِنِّي. صَفِّ كُلْيَتَيَّ وَقَلْبِي. ٣ لأَنَّ رَحْمَتَكَ أَمَامَ عَيْنِي. وَقَدْ سَلَكْتُ بِحَقِّكَ.
٤ لَمْ أَجْلِسْ مَعَ أُنَاسِ ٱلسُّوءِ، وَمَعَ ٱلْمَاكِرِينَ لَا أَدْخُلُ. ٥ أَبْغَضْتُ جَمَاعَةَ ٱلأَثَمَةِ، وَمَعَ
ٱلأَشْرَارِ لَا أَجْلِسُ. ٦ أَغْسِلُ يَدَيَّ فِي ٱلنَّقَاوَةِ، فَأَطُوفُ بِمَذْبَحِكَ يَا رَبُّ، ٧ لأُسَمِّعَ
بِصَوْتِ ٱلْحَمْدِ وَأُحَدِّثَ بِجَمِيعِ عَجَائِبِكَ. ٨ يَا رَبُّ، أَحْبَبْتُ مَحَلَّ بَيْتِكَ وَمَوْضِعَ مَسْكَنِ
مَجْدِكَ.

٩ لَا تَجْمَعْ مَعَ ٱلْخُطَاةِ نَفْسِي، وَلَا مَعَ رِجَالِ ٱلدِّمَاءِ حَيَاتِي. ١٠ ٱلَّذِينَ فِي أَيْدِيهِمْ
رَذِيلَةٌ، وَيَمِينُهُمْ مَلآنَةٌ رَشْوَةً. ١١ أَمَّا أَنَا فَبِكَمَالِي أَسْلُكُ. ٱفْدِنِي وَٱرْحَمْنِي. ١٢ رِجْلِي
وَاقِفَةٌ عَلَى سَهْلٍ. فِي ٱلْجَمَاعَاتِ أُبَارِكُ ٱلرَّبَّ.

شكوى لمحكمة السماء

في هذا المزمور يدافع داود عن نفسه أمام محكمة الله، بعد أن ظلمه الأشرار وهو بريء. وهو يقارن بين سلوكه الصالح وسلوكهم الباطل. ولا ندري المناسبة التي كتب فيها داود هذا المزمور، فربما كانت يوم غنّت بنات إسرائيل أن شاول قتل ألوفه، أما داود فقد قتل عشرات ألوفه (١صم ١٨:٧ و٨). ولم يكن في هذا الغناء خطأ موضوعي، لأن داود هو الذي قتل جليات. لكن شاول أخذ الأمور بصورة شخصية، وقرّر أن يقتل داود.

ولم تفشّل هذه الاتهامات الباطلة داود، لأنه وجد سلامه في اللجوء إلى محكمة السماء. ولقد واجه المسيح ابن داود نفس ما واجهه داود، فقد ظُلم وأسيء إليه بغير وجه حق. وعلّمنا أن كل الذين يعيشون معه يلاقون المتاعب نفسها، وقال: «إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم. لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته، ولكن لأنكم لستم من العالم، بل أنا اخترتكم من العالم، لذلك يبغضكم العالم» (يو ١٥:١٨ و١٩. راجع أيضاً مت ١٠:٥-١٢). فإذا لجأنا إلى القضاء السماوي سنقول مع الرسول بولس: «في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا» (رو ٨:٣٧).

في هذا المزمور نجد،

أولاً – الشاكي البريء (آيات ١-٣)

ثانياً – الشاكي التقي (آيات ٤-٨)

ثالثاً – الشاكي يطلب (آيات ٩-١١)

رابعاً – الشاكي يثق في البراءة (آية ١٢)

أولاً - الشاكي البريء
(آيات ١-٣)

١ – **الشاكي البريء يطلب العدالة الإلهية:** «اقضِ لي يا رب، لأني بكمالي سلكت، وعلى الرب توكلت بلا تقلقل» (آية ١). يثق المرنم أنه بريء، فيطلب من الرب أن يُظهر هذه البراءة أمام الجميع، وهو ما سبق أن طلبه في مز ٧:٨ «بكمالي سلكت» فقد سلك بجدّية وثقة، لأنه كان مُخْلصاً في مقاصده، ومحدَّداً في أهدافه، وموحَّد القلب في تعبُّده. عرف من أين جاء وإلى أين يمضي، فتقدَّم نحو هدفه بدون توقُّف، بغير قلقٍ ولا خوف، وتوكل على الرب بلا تقلقل. ولم يكن إحساسه بالكمال كبرياءً روحية، لكنه كان حقيقة دافع بها عن نفسه في موقف معيّن وفي حالة خاصة. وكان حكم داود على نفسه صادقاً، وكان قلبه حسب قلب الرب (أع ١٣:٢٢) حتى قال الله لسليمان: «إن سلكتَ أمامي كما سلك داود أبوك بسلامة قلب واستقامة، وعملت حسب كل ما أوصيتك، وحفظت فرائضي وأحكامي، فإني أقيم كرسي مُلكك على إسرائيل إلى الأبد كما كلَّمتُ داود أباك» (١مل ٩:٤ و٥).

وتُعلّمنا الآية الأولى أننا يجب أن ندرك الهدف الذي من أجله أدركنا المسيح، فنتَّجه نحوه بجدّية وثقة وبدون توقُّف، ناسين ما هو وراء ممتدين إلى ما هو قدام (في ٣:١٢ و١٣)، نطرح عنا الخطية المحيطة بنا بسهولة، ونحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا بلا تقلقل (عب ١٢:١)، ونحن نقول مع بولس الذي هاجمه الكورنثيون ظلماً بأنه ليس رسولاً فقال: «لنا هذا الكنز في أوانٍ خزفية، ليكون فضل القوة لله لا منّا. مكتئبين في كل شيء، لكن غير متضايقين (بمعنى أن الاضطهادات زحمته، لكنها لم تمنعه عن القيام بخدمته لله). متحيّرين، لكن غير يائسين (بمعنى أنه لم يكن يعرف كيف ينجو من المضايقات، ولكنه لم يقطع الأمل في أن الله سيرشده وينجيه ويفتح له أبواب الكرازة). مضطهَدين، لكن غير متروكين (بمعنى أنه مضطهَدٌ من الناس، لكن غير متروك من الله). مطروحين، لكن غير هالكين (بمعنى أنه قد يُطرح للسياط، ولكنه يقوم ليكرز). حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع، لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا (بمعنى أنه يتألم كما تألم المسيح، ولكن المسيح يحيا فيه)» (٢كو ٤:٧-١٠).

ما أجمل أن ينال الإنسان المدح من ضميره وهو يقول: «إن راعيتُ إثماً في قلبي لا يستمع لي الرب» (مز ٦٦:١٨).

٢ - **الشاكي البريء يطلب الفحص الإلهي:** «جـرّبنـي يا رب وامتحِنّـي. صَفِّ كليتيّ وقلبـي» (آية ٢). كان الرب يعـرف داود الذي قال لـه: «جرّبـتَ قلبي. تعهّدتـه ليـلاً. محّصتنـي. لا تجـد فـيّ ذموماً. لا يتعدّى فمي» (مز ١٧:٣). ولكنه في ثقة ببراءته يطلب من الرب أن يفحصه من جديد! وكانت هناك ثلاثة أنواع من الفحص: فحص الرائحة، وفحص الملمس، والفحص بالنار. ويطلب داود إجـراء هذه الفحوصـات الثلاثـة عليـه، كمـا فعـل اللـه مـع إبراهيـم (تك ٢٢:١). ومـع إسرائيل (تث ٨:٢ و١٦) ليعطي كل واحد حسب طرقه (إر ١٧:١٠). وعلـى كـل مؤمـن أن يطـالب الـرب أن يُجيزه في هذه الفحوص الثلاثة ليعتزل الشر ويعيش مكرساً للرب (٢كو ٦:١٤-١٨):

(أ) «**جرّبني**»: اختبرني بتدقيق واعلمْ ما بداخلي، فإن فيَّ رائحة المسيح الذكيـة. جرّبنـي كمـا يُـذاق الطعام لترى أني مقبول.

(ب) «**امتحني**»: ضعني في ميزان عدلك، لتظهر صحة إيماني وقصدي.

(ج) «**صَفِّ كليـتيَّ وقلبي**»: مراكـز المشـاعر والعواطـف. أخـرج خفيـات نفسـي إلـى النـور. أنِر مخادع قلبي الداخلية لترى إن كان فـيَّ طريـق بـاطل، فتُخـرج منـي الـزوان، وتجعلنـي حنطـةً مقدسـة تحتفظ بها في مخزنك.

٣ - **الشاكي البريء يحتمي بالرحمة الإلهية:** «لأن رحمتـك أمـام عيني، وقـد سلكـتُ بحقـك» (آية ٣). طلب داود من الله أن يفحصه لأنه كان واثقاً من رحمة الله التي اختبرها في ماضيه، ويراها في حاضره، ويثق أنه سيراها فـي مستقبله. رآهـا ظـاهرة فـي خلقـه وفـي عنايتـه بالعُشـب والطيـور والحيوانات والإنسان. وعرف عن رحمته الواضحة في الفداء فـي تقديـم الكبـش بـدل إسـحاق، ثـم فـي شريعة موسى التي وضعت فريضة الكفارة بالحيوانات. ولعله بروح النبوّة كان يرى مجيء ابـن داود الذي سيصنع فداءً أبدياً، لأنه حمل الله الذي يرفع خطية العالم (يو ١:٢٩). صحيح أنه يقول: «سـلكتُ بحقك» لأن إرادة الرب كانت دستور حياته، وكانت كلمة الله تحكّمه، ولكنـه كـان محتاجـاً إلـى رحمـة الله دائماً.

ثانياً - الشاكي التقي

(آيات ٤-٨)

يعلن الشاكي تقواه سلباً وإيجاباً:

١ - **سلباً:** أشياء اجتنبها، فقد أبغض طرق الأشرار: «لم أجلس مع أُناس السوء، ومع الماكرين لا أدخل. أبغضتُ جماعة الأثمة، ومع الأشرار لا أجلس» (آيتا ٤ و٥). «لم أجلـس» فـي المـاضي. و«لا أجلس» اليوم وغداً مع «أناس السوء» الفارغين، الكاذبين، المنافقين، الواهمين. وبهذا تحقّقت فـي حيـاة داود صفـات الإنسان المطوّب كما ذكرها بنفسه في مزمور ١، وتحقـق فيـه مـا قالـه إرميـا بعـد ذلـك (إر ١٧:١٥).

ويقول إنه لم يدخل بيوت «الماكرين» المنافقين «المخاطبين أصحابهم بالسلام والشر في قلوبهم» (مز ٢٨:٣). وهكذا صدق في قوله: «بكمالي سلكت» (آية ١). لا بد أن يعيش المؤمنون وسط العالم بدون أن يكونوا منه، فنحن لا نقدر أن نعتزل العالم، وإلا لزمنا أن نخرج منه (١كو ٥:١٠). قال المسيح: «لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير» (يو ١٧:١٥).

٢ - **إيجاباً:** أشياء فعلها تبرهن تقواه: «أغسل يديَّ في النقاوة، فأطوف بمذبحك يا رب، لأسمّع بصوت الحمد وأُحدّث بجميع عجائبك. يا رب أحببتُ محلَّ بيتك وموضع مسكن مجدك» (آيات ٦-٨).

(ا) «**اغسل**»: كما كان الكاهن يغتسل ليتطهر قبل تقديم الذبيحة (خر ٣٠:١٧-٢١)، وكما كان شيوخ إسرائيل يتبرأون من دم القتيل الذي لا يعرفون قاتله بأن يغسلوا أيديهم (تث ٢١:٦) وكما برر بيلاطس نفسه من دم المسيح فغسل يديه (مت ٢٧:٢٤). لذلك نصلي: «اغسلني كثيراً من إثمي.. اغسلني فأبيضَّ أكثر من الثلج» (مز ٥١:٢ و٧)

(ب) «**أطوف بمذبحك**»: فيأخذ مكانه وسط العابدين في الطواف حول مذبح الله. إنه موجود في محضر الرب باستمرار، ويتعبّد بلا انقطاع.

(ج) «**أسمّع بصوت الحمد**»: يرتل للرب ترنيمة قديمة وجديدة.

(د) «**أحدث بجميع عجائبك**»: فيشهد للناس عن صلاح الله معه، وعن المعجزات العديدة التي أجراها لنجاته.

(هـ) «**أحببتُ محل بيتك**»: حيث يسكن الله وسط شعبه (خر ٢٥:٨ و٩)، وحيث يوجد تابوت العهد الذي يرمز لمجد الرب، يتحرك القلب نحو القداسة، ويُبعث الأمل في النفس القلقة المتوترة الحزينة، وتستريح النفس في شركة المؤمنين.

ثالثاً - الشاكي يطلب

(آيات ٩-١١)

يطلب المرنم من الرب أن يحفظ نفسه بعيداً عن سلوك الأشرار وعن مصيرهم. وهو طلبٌ يتفق مع ماضي حياته، ومع حاضره، ومع انتظاره من الله:

١ - **طلب يتفق مع ماضيه:** «لا تجمع مع الخطاة نفسي ولا مع رجال الدماء حياتي، الذين في أيديهم رذيلة، ويمينهم ملآنة رشوة» (آيتا ٩ و١٠). في ماضي حياته ابتعد عن الأشرار لأن «المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة» (١كو ١٥:٣٣) فلم يتعامل مع الخطاة رجال الدماء الذين يمارسون العنف ويخططون للقتل وينفذونه، الذين في أيديهم رذيلة، فيدبرون التدابير الرديئة، ويسفكون دم البريء، والمرتشين الذين يعوّجون القضاء متناسين أن «النار تأكل خيام الرشوة»

(أي ١٥:٣٤). حقاً «أية خلطة للبر والإثم؟ وأية شركة للنور مع الظلمة؟ وأي اتفاق للمسيح مع بليعال؟ وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن» (٢كو ٦:١٤ و١٥).

٢ - طلب يتفق مع حاضره: «أما أنا فبكمالي أسلك» (آية ١١أ). فيتقدم للأمام مع الرب، متابعاً مسيرته معه، والتي بدأها معه، وقال عنها: «بكمالي سلكت» (آية ١).

٣ - طلب يتفق مع انتظاره: «افدني وارحمني» (آية ١١ب). إنه لا يدّعي الكمال أبداً، لكنه يطلب الفداء والرحمة حتى يبقى بعيداً عن طريق الأشرار. ولو تحقق لنا طلب داود، نقدر أن نقول: «إذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح، الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون، ونفتخر على رجاء مجد الله» (رو ٥:١ و٢).

رابعاً - الشاكي يثق في البراءة
(آية ١٢)

«رجلي واقفةٌ على سهل. في الجماعات أبارك الرب» (آية ١٢).

يثق صاحب الإيمان الصادق أن الله استجاب الصلاة قبل أن تتم الاستجابة، فيطمئن. لم يعُد المرنم واقفاً على أرض حجرية صخرية شائكة، لأن الرب سهّل طريقه، فيقول بثقة: «من أنت أيها الجبل العظيم؟ أمام زربابل تصير سهلاً!» (زك ٤:٧). لقد وقف داود في سهلٍ خصب، لأن الرب سمع صلاته ووهبه الأمان. ولذلك يقول: «في الجماعات أبارك الرب» ويشهد له أمام الجميع أنه كان معه ورحمه وخلّصه.

المزمور السابع والعشرون

لِدَاوُدَ

١ اَلرَّبُّ نُورِي وَخَلَاصِي، مِمَّنْ أَخَافُ؟ اَلرَّبُّ حِصْنُ حَيَاتِي، مِمَّنْ أَرْتَعِبُ؟ ٢ عِنْدَ مَا
اقْتَرَبَ إِلَيَّ الْأَشْرَارُ لِيَأْكُلُوا لَحْمِي، مُضَايِقِيَّ وَأَعْدَائِي عَثَرُوا وَسَقَطُوا. ٣ إِنْ نَزَلَ عَلَيَّ
جَيْشٌ لَا يَخَافُ قَلْبِي. إِنْ قَامَتْ عَلَيَّ حَرْبٌ فَفِي ذٰلِكَ أَنَا مُطْمَئِنٌّ. ٤ وَاحِدَةً سَأَلْتُ مِنَ
الرَّبِّ وَإِيَّاهَا أَلْتَمِسُ: أَنْ أَسْكُنَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي، لِكَيْ أَنْظُرَ إِلَى جَمَالِ
الرَّبِّ، وَأَتَفَرَّسَ فِي هَيْكَلِهِ. ٥ لِأَنَّهُ يُخَبِّئُنِي فِي مَظَلَّتِهِ فِي يَوْمِ الشَّرِّ. يَسْتُرُنِي بِسِتْرِ
خَيْمَتِهِ. عَلَى صَخْرَةٍ يَرْفَعُنِي. ٦ وَالْآنَ يَرْتَفِعُ رَأْسِي عَلَى أَعْدَائِي حَوْلِي، فَأَذْبَحُ فِي خَيْمَتِهِ
ذَبَائِحَ الْهُتَافِ. أُغَنِّي وَأُرَنِّمُ لِلرَّبِّ.
٧ اِسْتَمِعْ يَا رَبُّ. بِصَوْتِي أَدْعُو فَارْحَمْنِي وَاسْتَجِبْ لِي. ٨ لَكَ قَالَ قَلْبِي: «قُلْتَ
اطْلُبُوا وَجْهِي. وَجْهَكَ يَا رَبُّ أَطْلُبُ». ٩ لَا تَحْجُبْ وَجْهَكَ عَنِّي. لَا تُخَيِّبْ بِسَخَطٍ
عَبْدَكَ. قَدْ كُنْتَ عَوْنِي، فَلَا تَرْفُضْنِي وَلَا تَتْرُكْنِي يَا إِلٰهَ خَلَاصِي. ١٠ إِنَّ أَبِي وَأُمِّي قَدْ
تَرَكَانِي وَالرَّبُّ يَضُمُّنِي. ١١ عَلِّمْنِي يَا رَبُّ طَرِيقَكَ، وَاهْدِنِي فِي سَبِيلٍ مُسْتَقِيمٍ بِسَبَبِ
أَعْدَائِي. ١٢ لَا تُسَلِّمْنِي إِلَى مَرَامِ مُضَايِقِيَّ، لِأَنَّهُ قَدْ قَامَ عَلَيَّ شُهُودُ زُورٍ وَنَافِثُ ظُلْمٍ.
١٣ لَوْلَا أَنَّنِي آمَنْتُ بِأَنْ أَرَى جُودَ الرَّبِّ فِي أَرْضِ الْأَحْيَاءِ ـــ ١٤ انْتَظِرِ الرَّبَّ.
لِيَتَشَدَّدْ وَلْيَتَشَجَّعْ قَلْبُكَ وَانْتَظِرِ الرَّبَّ.

الرب نوري وخلاصي

كم من مرة تلوّنا كلمات هذا المزمور فامتلأنا بالاطمئنان، لأن الرب نورنا وخلاصنا وحصن حياتنا. لا ندري متى كتب داود هذا المزمور، لأنه يعبّر عن مواقف صعبة مختلفة مرَّ بها كان يمكن أن يكتبه في أي موقف منها. فإن كان لنا إيمان داود يمكننا أن نرتل هذا المزمور باعتبار أنه واقع اختبارنا، لأن كل حياتنا تشهد أن الرب نورنا وخلاصنا وحصن حياتنا.

في هذا المزمور موضوعان كبيران هامان، أولهما تسبيحة فرح يعبّر فيها المؤمن عن طمأنينته وأشواق قلبه، وثانيهما صلاة. وهذا يرينا المكانة السامية للتسبيح والصلاة في حياة المؤمن. نشكر ونطلب. كثيراً ما نتكلم عن الله أكثر مما نكلّمه. وكثيراً ما نكلم الناس عنه أكثر منا نكلمه عنهم، مع أن الأمرين هامان ولا زمان.

تشرح الآيات الثلاث الأولى من المزمور اطمئنان المؤمن وشوق قلبه، وتقدم باقي آياته صلاة استنجاد بالرب. وهذا يعني أن نجاة المؤمن وطمأنينته لم تعطياه استرخاءً روحياً ولا تواكلاً، لكنهما دفعتاه أكثر إلى الصلاة طلباً لمراحم الرب. إن نجاة المؤمن لا تعني أن يكف عن الالتجاء إلى الرب، بل تعني أنه يحتمي بالرب ويطلبه أكثر.

في هذا المزمور نجد،

أولاً – اطمئنان المؤمن (آيات ١-٣)

ثانياً – التماس المؤمن (آيات ٤-٦)

ثالثاً – صلاة المؤمن (آيات ٧-١٤)

أولاً - اطمئنان المؤمن

(آيات ١-٣)

إن كان الرب في جانب المؤمن فلا خوف عليه، لأنه «إن كان الله معنا فمن علينا» (رو ٨:٣١). ويقدم المرنم في الآيات الثلاث الأولى من مزموره ثلاثة أسباب للاطمئنان:

١ – يطمئن المرنم بسبب إلهه: يكرر المرنم اسم الرب ست مرات في النصف الأول من المزمور، وسبع مرات في النصف الثاني منه، ويصف الرب بثلاث صفات:

(ا) **الرب نوره:** «الرب نوري» (آية ١أ). عندما تغنَّى داود بهذا القول كان يعيش في ظلام كراهية أعدائه، لكنه كان يعلم أن الله نورٌ وليس فيه ظلمة البتة (ايو ١:٥). قال المسيح: «أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة» (يو ٨:١٢). كانت أرضنا مظلمة فأصدر الله أمره الأول: «ليكن نور» فكان نور. وحياتنا بدون الله مظلمة حتى يشرق علينا المسيح شمس البر والشفاء في أجنحته (ملا ٤:٢) فهو الذي «فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس» (يو ١:٤).

قالوا عن داود إنه سراج إسرائيل (٢صم ٢١:١٧) وهو بهذا يشبه نور القمر الذي يعكس نور الشمس، فقد قال المسيح لأتباعه، الذين أشرق عليهم نوره: «أنتم نور العالم» (مت ٥:١٤). وعندما يكون الرب نورك، وعندما تسلك في نوره، وعندما تشع أنواره منك، تنقشع ظلمات حيرتك وقلقك ومخاطرك، وتمتلئ حياتك بالفرح.

(ب) **الرب خلاصه:** «الرب خلاصي» (آية ١ب). هو نفسه المخلّص، وهو مانح الخلاص. في طفولتنا الروحية نهتم بعطاياه، لكن عندما ننضج روحياً يصبح هو نفسه موضوع اهتمامنا، ونقول مع الرسول بولس: «لي الحياة هي المسيح» (في ١:٢١). «هوذا الله خلاصي فأطمئن ولا أرتعب، لأن ياه يهوه قوتي وترنيمتي وقد صار لي خلاصاً» (إش ١٢:٢)

(ج) **الرب حصن حياته:** «الرب حصن حياتي» (آية ١ج). «اسم الرب برج حصين، يركض إليه الصديق ويتمنَّع» (أم ١٨:١٠). له نقول: «الرب صخرتي وحصني ومنقذي. إلهي صخرتي به أحتمي

ترسي وقرن خلاصي» (مز ١٨:٢). «هوذا الله خلاصي فأطمئن ولا أرتعب» (إش ١٢:٢).

٢ - **يطمئن بسبب اختباراته الماضية:** «عندما اقترب إليّ الأشرار ليأكلوا لحمي، مضايقيَّ وأعدائي عثروا وسقطوا» (آية ٢). لقد أحاطت به المخاطر، كما قال أيوب لأصحابه: «لماذا تطاردونني.. ولا تشبعون من لحمي؟» (أي ٢٢:١٩) كأنهم وحوش مفترسة. ولا بد أن داود يذكر هنا كيف هاجم أسدٌ ودبٌ قطيعَه، فقتلهما وأعطى المجد كله لله (١صم ٣٧:١٧). ولا بد أنه ذكر جليات الجبار المتسلّح وكأنه قلعة متنقّلة، ولكنه قتله بحجر صغير من مقلاع (١صم ٤٩:١٧). وأخيراً سقط عدوه شاول على سيفه ومات (١صم ٤:٣١) فقال عن اختبار: «مضايقيَّ وأعدائي عثروا وسقطوا». والثقة في النجاة تجيء من الاختبار، وحياة المؤمن غنية بالاختبارات المشابهة لاختبارات داود، ينجيه الله فيها من كل عمل رديء.

٣ - **يطمئن بسبب ثقته:** «إن نزل عليّ جيش لا يخاف قلبي. إن قامت عليَّ حربٌ ففي ذلك أنا مطمئن» (آية ٣). كان داود معرَّضاً للحروب من كل جانب. كان شاول وجيشه يطارده. وعندما أصبح ملكاً حاربته الدول المجاورة. ولكنه في كل الحروب كان مطمئناً لا يخاف بسبب إيمانه في الرب وفي مواعيده. إن كل الجيوش لا تخيف المؤمن لأن رئيس جند الرب يجيء ليُنجده (يش ١٤:٥) والرب يخبئه (إر ٢٦:٣٦) فيقول: «أنت ستر لي» (مز ٧:٣٢). ومن اختبارات المرنم الماضية تعلَّم الثقة في أن الله سيكون معه في المستقبل، لأنه «هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد» (عب ٨:١٣). سعيد هو الإنسان الذي يقدر أن يقول إن الله إلهه وإله أبيه وإله جدّه، لأن له تراثاً غنياً، يبني عليه حاضره ومستقبله.

افتح عينيك لترى مَن لا يُرى. ولتكن مثل غلام أليشع الذي فتح الرب عينيه ليرى أن الذين معه أكثر من الذين عليه (٢مل ١٥:٦-١٧). «أنتم من الله أيها الأولاد، وقد غلبتموهم لأن الذي فيكم أعظم من الذي في العالم» (١يو ٤:٤).

ثانياً - التماس المؤمن

(آيات ٤-٦)

يلتمس داود أن يكون ضيف الرب في بيته الأبدي، يتحدث إليه، ويتأمل صلاحه، ويشبع من مائدته، ويحتمي ببيته. وتبدأ هذه البركات كلها في بيت الرب هنا على الأرض.

١ - **التماس بكل القلب:** «واحدة سألت من الرب وإياها ألتمس: أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي، لكي أنظر إلى جمال الرب، وأتفرّس في هيكله» (آية ٤). «الحاجة إلى واحد» (لو ٤٢:١٠) والأهداف الكثيرة تشتّت التركيز والتعمُّق. لهذا يلتمس داود أن يرى جمال الرب ومجده، فيشرق عليه إشراق الرضا، وتستضيء روحه بضياء سماوي، ويشتاق أن يكون ابناً في وسط عائلة الله «من أهل بيته» (أف ١٩:٢). «والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد، أما الابن فيبقى إلى الأبد» (يو ٣٥:٨).

ويتوق داود أن يكون عابداً لله العلي في هيكله، يحدّث الله في الصلاة من أجل نفسه ومن أجل الناس، ويحدّث الناس عن الله في وعظه وتعليمه ومزاميره.

عندما هرب داود أمام ابنه أبشالوم طريداً في صحراء يهوذا، لا بد أنه اشتاق أن يستريح في قصره، يأكل ويشرب هانئاً بين رجال مملكته. ولكن شوقه الأكبر كان إلى العبادة في بيت الله، فقال: «عطشَتْ إليك نفسي. يشتاق إليك جسدي في أرض ناشفة ويابسة بلا ماء» (مز ٦٣: ١). وهذا تعبير القلب المتفاني في حب الله، الذي يجتذبه جمال قداسة الله ومحبته وعدالته، فيقول: «ما أجوده! ما أجمله!» (زك ٩: ١٧). ويردّد: «أنظر» ثم: «أتفرّس». إنه ينظر نظرة عامة شاملة، ثم يأخذ في التأمل. يفكر في الرب أكثر وأكثر، وينشغل قلبه بكلمة الرب فيلهج بها ويتغذى عليها ويشبع بها. «ما أحلى مساكنك يا رب الجنود. تشتاق بل تتوق نفسي إلى ديار الرب. قلبي ولحمي يهتفان بالإله الحي» (مز ٨٤: ١ و٢) فيتحقق معه قول المسيح: «الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني. والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه وأُظهِر له ذاتي.. إن أحبَّني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبي، وإليه نأتي، وعنده نصنع منزلاً» (يو ١٤: ٢١ و٢٣).

٢ - **التماس المديون لفضل الله:** «لأنه يخبّئني في مظلته في يوم الشر. يسترني بستر خيمته. على صخرة يرفعني» (آية ٥). وفي هذه الآية نرى وصف المرنم لعمل الله المفرح:

(أ) «**يخبئني**» من الأعداء الذين يجرون خلفي، فلا يضرّني شرهم. وكانوا ينصبون خيمة للملك وسط معسكر الجيش، يحيط بها جبابرة أقوياء، فيدير الملك منها المعركة وهو مختبئ فيها بأمان. وهكذا فعل الرب للمرنم.

(ب) «**يسترني**» بستر فدائه الكريم فلا يرى عيوبي، بل يرى دم الكفارة يستر كل خطاياي.

(ج) «**يرفعني**» على صخرة إلى أعلى فيوصلني إلى آفاق روحية عظيمة بمحبته. وتشير الصخرة إلى الثبات والدوام، فهي «صخرة أرفع مني» (مز ٦١: ٢).

كم نحتاج إلى هذه البركات الثلاث لنختبر فيها حراسة الرب الدائمة الأمينة الواضحة!

٣ - **التماس يعترف به أمام الكل:** «والآن يرتفع رأسي على أعدائي حولي، فأذبح في خيمته ذبائح الهتاف. أغني وأرنم للرب» (آية ٦). عندما انتصر فكر أولاً في من نصره. لم يفكر في إقامة وليمة ابتهاجاً بالنصر، فشكر الله بالترنيم الهاتف لأنه قاده في موكب نصرته (٢كو ٢: ١٤).

تنخفض رؤوسنا نتيجة الذل أو الخوف أو العار، فيرفع الرب عنا المهانة والذل، يُذهب عنا الخوف، ويزيل عنا العار. إنه يُمجّد مَن يتفرّس في هيكله، ويُطمئِن من يختبئ في مظلته، ويستر عيوب من يحتمي بفدائه، فترتفع رؤوسنا. «فلنقدّم به في كل حين لله ذبيحة التسبيح، أي ثمر شفاه معترفة باسمه» (عب ١٣: ١٥).

هنا يعترف داود بفضل الرب عليه أمام الكل، فيعلن ثقته: «يرتفع رأسي على أعدائي حولي». ويعلن شكره «أذبح في خيمته ذبائح الهتاف». ويعلن فرحه «أغني وأرنم للرب».

ثالثاً - صلاة المؤمن

(آيات ٧-١٤)

بعد ترنيم الهتاف تحوَّل المرنم إلى الصلاة، والجندي لا يهمل أسلحته، وسلاح المؤمن هو التسبيح والصلاة. وهناك ستة أوصاف لصلاة المرنم:

١ - **صلاة المتواضع:** «استمع يا رب. بصوتي أدعو فارحمني واستجب لي» (آية ٧). بكل تواضع وبغير كبرياء يدعو الرب، محتمياً في رحمته، لأنه في ذاته غير مستحق، ولكن الإنعام الإلهي هو مصدر كل ما يملكه. إنه يعتمد على المراحم الإلهية في وقت النجاح والفرح كما في وقت الفشل والدموع، فالرحمة رجاء الخاطئ وملجأ المؤمن.

٢ - **صلاة المطالَب بالصلاة:** «لك قال قلبي: قلت اطلبوا وجهي. وجهك يا رب أطلب» (آية ٨). يدعونا الله للصلاة، فلا ندخل في محضره متطفلين. سمع المرنم الأمر فاستجاب له، كما قال إرميا: «ها قد أتينا إليك لأنك أنت الرب إلهنا» (إر ٣:٢٢). لقد دعا الله الصبي صموئيل في الهيكل ثلاث مرات، وفهم الكاهن العظيم أن الرب يدعو الصبي، فعلّمه أن يجاوب: «تكلم يا رب لأن عبدك سامع» (١صم ٣:٩). وأمرنا المسيح: «اسألوا تعطوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يُفتح لكم. لأن كل من يسأل يأخذ، ومن يطلب يجد، ومن يقرع يُفتح له» (مت ٧:٧ و٨).

٣ - **صلاة الراجي:** «لا تحجُب وجهك عني. لا تخيّب بسخط عبدك. قد كنتَ عوني فلا ترفضني ولا تتركني يا إله خلاصي» (آية ٩). لن تُستجاب الصلاة ونحن نطلب وجه الرب إن كان وجهه محجوباً عنا، فيطالبه المرنم أن يرضى عليه، فهو الذي لا يتغيَّر، والذي كان عوناً له في كل ماضي حياته، ولن يحجب وجهه عن عبده «لأنه لم يحتقر ولم يرذُل مسكنة المسكين، ولم يحجب وجهه عنه، بل عند صراخه إليه استمع» (مز ٢٢:٢٤).

ولا يمكن أن يكون الله قاضياً ظالماً يخيّب أمل عبده بغيظه وسخطه عليه. ولا يمكن أن يترك المؤمن الذي يحبه بغير أن ينجيه وينقذه ويخلّصه، فقد قال سليمان الحكيم في صلاة تدشين الهيكل: «ليكن الرب إلهنا معنا كما كان مع آبائنا، فلا يتركنا ولا يرفضنا» (١مل ٨:٥٧). فلنذكر للرب فضله الماضي معنا، ولنطالبْهُ أن يكون دائماً معنا، لأنه إله خلاصنا. لقد رأى داود أن الرب يسخط على شاول وينزع المُلك منه، فلم يحتمل أن يغضب الرب عليه، لأنه محتاجٌ إلى عونه.

ويعبّر المرنم عن رجائه في الرب بقوله: «إن أبي وأمي قد تركاني والرب يضمّني» (آية ١٠). كان داود قد أخذ أباه وأمه ليقيما عند ملك موآب وتركهما هناك، ومن وقتها لم نعُد نسمع عنهما (١صم ٢٢:٣ و٤). لقد اعتنى بهما بعد أن اعتنيا به، لأنهما أصبحا محتاجين إلى رعايته. ومع ذلك فهو يؤكد أن محبة الله وعطفه عليه أقوى من كل محبة اختبرها في والديه. فإن كنا نجوز في مثل ظروفه، فلنتذكر وعد المسيح: «لا أترككم يتامى. إني آتي إليكم» (يو ١٤:١٨).

٤ - **صلاة الخاضع للمشيئة الإلهية:** «علّمني يا رب طريقك، واهدني في سبيل مستقيم بسبب أعدائي. لا تسلمني إلى مرام مضايقيَّ، لأنه قد قام عليَّ شهود زور ونافث ظلم» (آيتا ١١ و١٢). هذه طلبة تُظهر تواضع المرنم ورغبته في المعرفة واستعداده للطاعة وحاجته إلى من يرشده في الطريق، لأنه يريد أن يسير في طريق الله المستقيم مهما كانت الصعوبات التي تقف في طريقه بسبب أعدائه القائمين عليه، يذيعون عنه مذمّات كاذبة، ويشهدون عليه زوراً، ويقاومونه وينفثون عليه تهدُّداً وهم ظالمون (أع ٩:١). ولكنه لا يريد أن ييأس، ولا أن يساوم على مبادئه، ولا أن يخطئ فيعطيهم فرصة إفساد سمعته وسيرته. إنهم يعوّجون طريقه ويملأونها بالحُفر، ولكنه خاضع لمشيئة الله، يطلب عونه السماوي لينفّذ المشيئة الإلهية الصالحة.

٥ - **صلاة المنتظر:** «لولا أنني آمنت بأن أرى جود الرب في أرض الأحياء - انتظِر الرب. ليتشدَّد وليتشجَّع قلبك وانتظر الرب» (آيتا ١٣ و١٤). كان المرنم واثقاً أنه سيرى جود الرب وصلاحه وهو هنا في أرضنا الحاضرة قبل أن يرى جوده في سماوات مجده. ولهذا السبب يشجع نفسه وإخوته المؤمنين لأن ينتظروا الرب الذي لا يتأخر عن الإنقاذ والعون، فتمتلئ نفس المؤمنين بالشجاعة والقوة. وهنا نرى الإيمان الذي يوبّخ اليأس!

في مرات كثيرة يقرع أحد أولاد مدرسة الأحد باب بيتنا الملحَق بالكنيسة. وعندما نتأخر قليلاً يمضي لأنه لم يقدر أن ينتظر. إنه متعجّل! وكثيراً ما نفعل الشيء نفسه مع الله. فإن كنا نريد أن نأخذ بركة من الله فلننتظر الرب بصبر. طلب المسيح من التلاميذ أن يمكثوا في أورشليم، وينتظروا موعد الآب الذي سمعوه منه (أع ٤:١) فانتظروا عشرة أيام. ولم تكن تلك الأيام العشرة فترة انتظار ممل، ولا فترة انتظار جماعة من الكسالى لا يريدون أن يتحركوا، فقد استغل التلاميذ وقت الانتظار ليتقرّبوا من بعضهم البعض، ويتصالحوا معاً، ويستأصلوا العيوب من دواخلهم. كانوا في انتظار الرب ومجيء بركته، وهم يجهّزون قلوبهم لاستقبالها.

أيها المؤمنون، صلوا وانتظروا بركة الرب. صلوا أكثر مما تتكلمون. صلوا أكثر مما تشتكون. صلوا باستمرار وفي كل وقت. انتظروا إلهكم الصالح ولا تتعجّلوا. انتظروا موعد الآب الذي سمعتموه منه فتقولوا بالشكر: «الرب نوري وخلاصي، ممن أخاف؟ الرب حصن حياتي، ممن أرتعب؟».

المزمور الثامن والعشرون

لِدَاوُدَ

١ إِلَيْكَ يَا رَبُّ أَصْرُخُ. يَا صَخْرَتِي لاَ تَتَصَامَمْ مِنْ جِهَتِي لِئَلاَّ تَسْكُتَ عَنِّي فَأُشْبِهَ
ٱلْهَابِطِينَ فِي ٱلْجُبِّ. ٢ اسْتَمِعْ صَوْتَ تَضَرُّعِي إِذْ أَسْتَغِيثُ بِكَ وَأَرْفَعُ يَدَيَّ إِلَى مِحْرَابِ
قُدْسِكَ. ٣ لاَ تَجْذِبْنِي مَعَ ٱلأَشْرَارِ، وَمَعَ فَعَلَةِ ٱلإِثْمِ ٱلْمُخَاطِبِينَ أَصْحَابَهُمْ بِٱلسَّلاَمِ وَٱلشَّرُّ
فِي قُلُوبِهِمْ. ٤ أَعْطِهِمْ حَسَبَ فِعْلِهِمْ وَحَسَبَ شَرِّ أَعْمَالِهِمْ. حَسَبَ صُنْعِ أَيْدِيهِمْ أَعْطِهِمْ. رُدَّ
عَلَيْهِمْ مُعَامَلَتَهُمْ. ٥ لأَنَّهُمْ لَمْ يَنْتَبِهُوا إِلَى أَفْعَالِ ٱلرَّبِّ وَلاَ إِلَى أَعْمَالِ يَدَيْهِ يَهْدِمُهُمْ، وَلاَ
يَبْنِيهِمْ.

٦ مُبَارَكٌ ٱلرَّبُّ لأَنَّهُ سَمِعَ صَوْتَ تَضَرُّعِي. ٧ ٱلرَّبُّ عِزِّي وَتُرْسِي. عَلَيْهِ ٱتَّكَلَ قَلْبِي،
فَٱنْتَصَرْتُ. وَيَبْتَهِجُ قَلْبِي وَبِأُغْنِيَتِي أَحْمَدُهُ. ٨ ٱلرَّبُّ عِزٌّ لَهُمْ، وَحِصْنُ خَلاَصِ مَسِيحِهِ هُوَ.
٩ خَلِّصْ شَعْبَكَ وَبَارِكْ مِيرَاثَكَ وَٱرْعَهُمْ وَٱحْمِلْهُمْ إِلَى ٱلأَبَدِ.

صلاة

هذا المزمور صلاة، يبدأها المرنم بطلب إنقاذه من مصير الأشرار. ثم يشكر لأن الله استجاب صلاته، أو لأنه واثقٌ أن الله سيستجيبها، ويختم مزموره بالصلاة لأجل شعب الرب، لأنه يحس بوحدانية المؤمنين في كل مكان. وهذا يعلّمنا أن نُحسَّ ببعضنا، وأن نصلي لأجل بعض (يع ٥:١٦).

ولا نعرف بالضبط مناسبة كتابه هذا المزمور، ولكن الواضح أن المرنم كان يواجه خطراً كبيراً، ربما من وبإ رأى نفسه فيه يواجه الموت، وخشي أن يكون مصيره كمصير الأشرار، فطلب أن يحميه الرب بسبب تقواه، لأن عدالة الله تُهلك الشرير وتنقذ البار.

في هذا المزمور نجد،

أولاً - المصلي يطلب لنفسه (آيات ١-٥)

ثانياً - المصلي يشكر الله (آيتا ٦ و٧)

ثالثاً - المصلي يطلب لشعب الله (آيتا ٨ و٩)

أولاً - المصلي يطلب لنفسه
(آيات ١-٥)

لجأ المرنم إلى الرب لأنه يعرفه، فدعاه بثلاث صفات، ثم أطلق على نفسه ثلاث صفات، وعبَّر عن احتياجاته بأربع طرق، وطلب من الله طلبتين:

١ - صفات إله المصلي:

(أ) **هو السيد**: «يا رب» (آية ١أ). هو السيد صاحب السلطان في السماء وعلى الأرض. وحده يستطيع كل شيء، وله كل الأمر. قد نشكو متاعبنا لغيرنا مئات المرات، فلا تزيد فائدة هذه الشكوى عن مجرد التفريج عن الذات، دون أية معونة حقيقية. لكن عندما نتوجَّه إلى الرب فإننا نكلم سيد المسكونة وسيد حياتنا، الذي قلّب الملك في يده كجداول مياه، حيثما شاء يُميله (أم ٢١:١).

(ب) **هو الصخرة**: «يا صخرتي» (آية ١ب). لا تغيير عنده ولا ظل دوران. سلطانه أبدي إلى أبد الدهور. قويٌّ ثابت. ليس هو رمالاً متسيّبة، لكنه صخرٌ يظلّل من يحتمون به: «ويكون إنسانٌ كمخبإٍ من الريح، وستارةٍ من السيل. كسواقي ماءٍ في مكان يابس. كظل صخرةٍ عظيمة في أرض مُعيية» (إش ٣٢:٢).

(ج) **هو القدوس**: «أرفع يديَّ إلى محراب قدسك» (آية ٢ج). قدوس يسكن الأقداس، ساكن في نور لا يُدنى منه (١تي ٦:١٦). لا يتصرف تصرفاً خاطئاً، ويبقى أميناً، لن يقدر أن ينكر نفسه (٢تي ٢:١٣). وكلمة «محراب» معرَّبة، فهي حبشية الأصل، ومعناها «هيكل». والمرنم يرفع يديه إلى هيكل الرب المقدس، حيث تابوت العهد، رمز حضور الله وسط شعبه.

٢ - صفات المصلي:

(أ) **خائف**: «أصرخ.. لئلا تسكت عني فأشبه الهابطين في الجب.. أستغيث» (آيتا ١ج و٢ب). إنه خائف من أن يعيره الله أذناً صمّاء، وخائفٌ من أن يهبط إلى جب القبر والهاوية. الأغلب أنه كان يرى الناس من حوله يتساقطون ضحايا الوبإ، فخاف من ذات المصير. كان هناك ما يهدّده، فاحتاج أن يسمع من الرب كلمة التشجيع: «أنا هو. لا تخافوا» (مت ١٤:٢٧ ومر ٦:٥٠ ويو ٦:٢٠).

(ب) **مُنْتَمٍ**: يدعو الله «يا صخرتي» (آية ١ب). هناك صلة شخصية بينه وبين الرب، فيدعوه واثقاً لأنه للرب، ولأن الرب له «حبيبي لي وأنا له» (نش ٢:١٦). ولم يكن هذا الخائف وحيداً، لأن الله تبنّاه، فيقول لإخوته بفرح: «انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى نُدعى أولاد الله!» (١يو ٣:١). أنت لا تتطفَّل على الله عندما تصرخ وتستغيث، لأن هذا حقُّك الطبيعي كابنٍ له، تسمعه يدعوك: «اطلبوا وجهي» فتجيب: «وجهك يا رب أطلب» (مز ٢٧:٨).

(ج) **منتظر**: «يا صخرتي لا تتصامم من جهتي» (آية ١ب). يعلم أن الله صخرته، وأنه ليس أصماً، فيطلب واثقاً أن لا يتصامم الرب من جهته، فالخطية وحدها هي التي تجعل أذن الله تثقل ولا تسمع (إش ٥٩:١) ولهذا ينتظر الاستجابة. وبالطبع لا يجرؤ مؤمن أن يقول لله: «لا تتصامم» إلا إن

كان في شدة التعب، وإلا إن كان يعلم أنه يعاتب أباً يحبه ويهتم به، ولا يمكن أن يتركه، «لئلا أشبه الهابطين في الجب».

٣ - تعبير المصلي عن نفسه:

(أ) **صرخ:** «أصرخ» (آية ١أ). المستريح يتكلم، ولكن المتعَب يصرخ، فالصراخ دليل على التعب الكثير، وهو يعني العجز، ونحن نصرخ عادةً عندما يفشل منطقنا، وعندما نعجز عن تحليل الأمور ومعرفة الأسباب، وعندما نعجز عن مساعدة أنفسنا. كما أن الصراخ يعني اللجوء إلى الأقوى والاعتماد عليه، فكما يصرخ الطفل طالباً عون أمه يصرخ المخلوق لخالقه، ويصرخ الخاطئ لمخلّصه.. وكلها صرخة الضعيف المستجير بالقادر.

(ب) **تضرّع:** «استمع إلى صوت تضرعي» (آية ٢أ). والتضرع علامة التذلُّل والخضوع لله، مع الشعور بعدم الاستحقاق. إنه علامة الاحتياج الذي لا يسدّه إلا من نتضرع إليه، ونحن لا نشاء أن نرفع عيوننا نحو السماء، فيقرع كلٌّ منا صدره ويقول: «اللهم ارحمني أنا الخاطي» (لو ١٨:١٣).

(ج) **استغاث:** «أستغيث بك» (آية ٢ب). والاستغاثة تعني أن الخطر مُحدقٌ بالإنسان، ولا طاقة له بالنجاة منه. إنه يغرق فيستغيث طالباً النجدة. الكارثة الآتية كبيرة، وهو يحس أمامها بالعجز من داخله ومن خارجه، فيستغيث. كما أن الاستغاثة تعني الثقة، فهو يستغيث بمن يقدر أن يعينه ولا يخيِّب أمله.

(د) **رفع يديه:** «أرفع يديَّ إلى محراب قدسك» (آية ٢ج). ورفع اليدين يعني رفع القلب في الصلاة، وأن الإنسان متّجه إلى فوق، وقد نفض يديه من الاعتماد على نفسه، وأنه مشغولٌ بالرب فقط، ومستيقظٌ ينتظر العون الإلهي الآتي. عندما كان بنو إسرائيل يحاربون عماليق، رفع موسى يديه إلى أعلى مصلّياً. وكان شعب الله ينتصر طالما كانت يداه مرفوعتين. وعندما كان يُنزل يديه كان عماليق ينتصر. ولما تعبت ذراعا موسى أجلسوه على حجر، ودعّم هارون وحور يديه لتكونا مرفوعتين لله باستمرار لينتصر الشعب (خر ١٧:١١-١٣). وعندما بنى سليمان هيكل الرب صلى من أجل البركة و«رفع يديه نحو السماء» (١مل ٨:٢٢).

فلنرفع إلى عرش الله يدين فارغتين محتاجتين للملء من عنده، تطلبان عونه، عالمين أنه لا يخيِّب صارخاً متضرعاً مستغيثاً به.

٤ - طلبات المصلي:

(أ) **طلب أن ينجو من مصير الأشرار:** «لا تجذبني مع الأشرار ومع فعلة الإثم المخاطبين أصحابهم بالسلام، والشرُّ في قلوبهم» (آية ٣). يجذب الله الأشرار إلى جُبّ القبر والهلاك كما يجذب السيّاف المجرمين إلى الإعدام، فمصيرهم هو البوار. إنهم كحجرٍ ساقط إلى الأرض. ولا يريد المرنم أن يلقَى ذات المصير لأنه مختلف عنهم، فيدعو: «لا تجمع مع الخطاة نفسي، ولا مع رجال الدماء حياتي» (مز ٢٦:٩).

يصفهم بأنهم «أشرار» بمعنى أنهم تعدّوا الحدود التي رسمها الله لهم. ويدعوهم «فعَلة الإثم» بمعنى

أن سلوكهم أعوج لا استقامة فيه. ويقول إنهم منافقون مراؤون «يخاطبون أصحابهم بالسلام، والشرّ في قلوبهم». قلوبهم شريرة، وأفعالهم شريرة، وألسنتهم شريرة، فلن يكون مصيره نفس مصيرهم!

(ب) **طلب توقيع الجزاء على الأشرار:** «أعطِهم حسب فعلهم، وحسب شر أعمالهم. حسب صنع أيديهم أعطهم. رُدّ عليهم معاملتهم» (آية ٤). قد لا تكون هذه الطلبة انتقامية، بل صلاة للقاضي العادل ليحقّق عدالته الإلهية بمعاقبة الشرير حسب فعله، وتوقيع العقاب على من يستحقّونه من أصحاب القلوب الشريرة والأفعال الشريرة والألسنة الشريرة. إن العقل والضمير والإعلان الإلهي يعلّموننا أن الله لا بد سيعاقب الشرير، وهذا ما يطلبه المرنم هنا، فالله «لا يُشمخ عليه، فإن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً» (غل ٦:٧). غير أن هذه الطلبة لا تتوافق مع روح المسيح الذي يدعو الخطاة للتوبة والرجوع عن شرورهم ليحيوا.

وذكر المرنم لماذا يطلب توقيع الجزاء على هؤلاء الأشرار، فقال: «لأنهم لم ينتبهوا إلى أفعال الرب ولا إلى أعمال يديه، يهدمهم ولا يبنيهم» (آية ٥). لا يقول: وقِّع العقابَ عليهم لأنهم أساءوا إليّ، بل: وقّعْهُ لأنهم لم ينتبهوا إلى أعمالك يا رب، وكنتيجة طبيعية لذلك يسقطون ويُهدَمون ولا يمكن أن يُبنَوا. عندما يسقط حجر من أعلى لا بد أن يصل إلى الأرض ويتفتّت. هذا قانون الجاذبية. وعندما ينفصل الإنسان عن الله يصبح بلا بناء ولا حراسة، ولا بد أن يُهدم ولا تقوم له قائمة. «إن لم يبنِ الرب البيت فباطلاً يتعب البناؤون. إن لم يحفظ الرّب المدينة فباطلاً يسهر الحارس» (مز ١٢٧:١).

ثانياً - المصلي يشكر الله

(آيتا ٦ و٧)

ربما كتب المرنم هاتين الآيتين بعد أن استجاب الله له، فالشكر يجب أن يتبع الطلب المستجاب. وربما رفع الشكر قبل أن ينال الاستجابة لأنه يثق أنها آتية لا شك فيها، فشكر عليها من قبل أن يُجاب الطلب!

١ - **شكر على استجابة:** «مبارك الرب لأنه سمع صوت تضرُّعي» (آية ٦). «باركي يا نفسي الرب وكل ما في باطني ليبارك اسمه القدوس» (مز ١٠٣:١). يعطي الله المصلي أحياناً ما يطلبه، لكنه غالباً يعطيه أكثر وأفضل جداً مما يطلب أو يفتكر. وفي الصلاة يشفع الروح القدس فينا لأننا لا نعرف ما نصلي لأجله كما ينبغي، فيصلي الروح القدس فينا لتكون طلباتنا أفضل، ولتكون استجابتها بطريقة أنسب (رو ٨:٢٦). ولا بد من الاعتراف بفضل صاحب الفضل وتقديم الشكر له.

٢ - **شكر على العون الماضي:** «الرب عزّي وتُرسي. عليه اتكل قلبي فانتصرت» (آية ٧أ). العز هو القوة. والرب هو قوة المؤمن كما أنه مصدر قوته. يقويه بشخصه كما يقويه بعطاياه. يقويه في داخله تحقيقاً للوعد: «ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم» (أع ١:٨) فيتمكن من احتمال التجارب والآلام وينتصر على تجارب الشرور. وأنت تجد المؤمنين الذين يعيشون داخل التجربة أقوى من الذين يشاهدونهم من الخارج، كما حدث مع الفتية الثلاثة في أتون النار (دا ٣:٢٥).

ويقول المرنم: «الرب ترسي» وهذه هي القوة الخارجية. والترس هو قطعة خشب مغطاة بالجلد، يمسك بها المحارب ليتلقّى عليها السهام. قد يرسل الله لنا إنساناً ليدافع عنا. وقد يذكّرنا وقت الشدة بكلمات تشجيعية نكون قد تغافلنا عنها أو نسيناها، تعيننا في تجربتنا. وهناك دوماً ترس الإيمان الذي به نستطيع أن نطفئ جميع سهام الشرير الملتهبة (أف ٦:١٦). نعم، هناك دفاع ضد كل عدو، وفي مواجهة كل تجربة، لأن في محبة الله للمؤمن عزاً وترساً.

٣ - **شكر على العون الآتي:** «يبتهج قلبي، وبأغنيتي أحمده» (آية ٧ب). يبتهج القلب ويظل مبتهجاً لأن الرب استجاب، وسيظل يستجيب، فيحمده المؤمن على ما أتى وعلى ما سيأتي. لقد ضَمِن الله الماضي، وهو ضامن الحاضر والمستقبل أيضاً.

مستقبلي في يدك مُؤمَّن لي عندك

على الآتي أشكرك ففيك ثقتي

ثالثاً - المصلي يطلب لشعب الله

(آيتا ٨ و٩)

بعد أن صلى المرنم لأجل نفسه، صلى لأجل شعب الرب وهذا ما يجب أن نفعله دائماً، عملاً بالوصية الرسولية: «صلّوا بعضكم لأجل بعض لكي تُشفَوا» (يع ٥:١٦). وفي هاتين الآيتين نرى أمرين:

١ - **ثقة المرنم في الرب:** «الرب عزٌّ لهم، وحصن خلاص مسيحه هو» (آية ٨). الرب عزٌّ لشعبه بمعنى أنه قوتهم، كما كان عزاً وترساً للمرنم (آية ٧). هذه حقيقة لا جدال فيها، فقوة الله تساعد شعبه وتذل العدو، وتخلّص المؤمنين وتدمر الخطاة، وهي تنال إعجابنا دائماً. «الرب يعطي عزاً لشعبه. الرب يبارك شعبه بالسلام» (مز ٢٩:١١). فيقول له شعبه: «يا رب، تراءف علينا. إياك انتظرنا. كن عضُدهم في الغدَوات، خلاصنا أيضاً في وقت الشدة» (إش ٣٣:٢). والرب حِصن مسيحه الذي قد يكون الملك الذي مسحه ملكاً على شعبه، وقد يكون الكاهن الذي مسحه ليكلم الشعب عن الرب ويكلم الرب عن الشعب، وقد يكون نبياً يأتي برسالة خاصة من الله للشعب. فهو يعضد الملك والكاهن وكل من يكلفه بخدمته ويحفظهم.

٢ - **طلبات المرنم:** «خلّص شعبك وبارك ميراثك، وارعهم واحملهم إلى الأبد» (آية ٩). وفي هذه الآية أربع طلبات:

(أ) «**خلّص شعبك**»: جاءت كلمة «خلِّص» في الأصل العبري بصيغة التوكيد، فالمرنم يطلب للشعب الخلاص الكامل من المرض بالصحة (لو ٨:٣٦)، ومن الجوع بالشبع (مز ٣٦:٦)، ومن الأعداء بالنجاة (مز ٢٧:١-٣)، ومن الخطية بالغفران (لو ١٩:١٠)، ثم بالتقديس (في ٢:١٢ و١٣). وعندما تنتهي حياة المؤمن على الأرض يكمّل الله خلاصه بدخول المؤمن إلى فرح سيده

(رو ١٣:١١). ويطلب المرنم هذه الطلبة لشعب الرب واثقاً في الاستجابة، لأنهم «شعبك». وهذه حُجَّة يسوقها المرنم لتعزيز طلبه، لأنه يعلم أن الرب يهتم برعيته لأنه الراعي الصالح.

(ب) **«بارك ميراثك»**: يطلب البركة بكل ما تعنيه من سداد الأعواز المادية والروحية والفكرية والاجتماعية والعاطفية، لأنهم «ميراثه» الأعزّاء عليه، المرتفعو القيمة في عينيه، الذين لا يمكن أن يستبدلهم بغيرهم!

(ج) **«ارعهم»**: «يا راعي إسرائيل اصغ، يا قائد يوسف كالضأن. يا جالساً على الكروبيم أشرق» (مز ١:٨٠). «كراعٍ يرعى قطيعه. بذراعه يجمع الحملان وفي حضنه يحملها، ويقود المرضعات» (إش ١١:٤٠). إنه يرعى كل الأعمار، ويغطي مختلف الاحتياجات. «كنت فتى وقد شختُ، ولم أرَ صدّيقاً تُخُلّي عنه ولا ذرية له تلتمس خبزاً» (مز ٢٥:٣٧).

(د) **«احملهم إلى الأبد»**: لقد حمل الله شعبه في صحراء سيناء حتى بلغوا أرض الموعد، فقال موسى للشعب: «في البرية حيث رأيتَ كيف حملك الرب إلهُكِ، كما يحمل الإنسان ابنه في كل الطريق التي سلكتموها، حتى جئتم إلى هذا المكان» (تث ٣١:١). عرف الله جبلتهم وعجزهم، فعبر بهم برية الجوع والعطش والخطر، فتمّ معهم القول: «كما يحرّك النسر عشّه وعلى فراخه يرفّ، ويبسط جناحيه ويأخذها ويحملها على مناكبه. هكذا الرب» (تث ١١:٣٢ و١٢أ). والفكرة مأخوذة مما يفعله النسر عندما يريد أن يعلّم صغاره الطيران، فإنه يهزّ العش، فتقفز الفراخ الصغيرة في الهواء وتتعرض للخطر، لأنها لا تعرف الطيران، فيسرع بجناحيه الكبيرين ليحملها لئلا تسقط، ويعيدها إلى العش، ثم يعيد الكرّة حتى تتعلم الطيران. والله يدرّبنا لنطير، ولكنه لا يعرّضنا للخطر بأن يحملنا. «في كل ضيقهم تضايق، وملاك حضرته خلّصهم. بمحبته ورأفته هو فكّهم ورفعهم وحملهم كل الأيام القديمة» (إش ٩:٦٣).

دعونا نطلب هذه الطلبات الأربع لنا ولكل شعب الرب: خلّص، بارك، ارعَ، احمل، لأننا شعبك وميراثك الأعزاء عليك.

المزمور التاسع والعشرون

مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

١ قَدِّمُوا لِلرَّبِّ يَا أَبْنَاءَ ٱللهِ، قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْداً وَعِزّاً. ٢ قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْدَ ٱسْمِهِ.
ٱسْجُدُوا لِلرَّبِّ فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ.
٣ صَوْتُ ٱلرَّبِّ عَلَى ٱلْمِيَاهِ. إِلٰهُ ٱلْمَجْدِ أَرْعَدَ. ٱلرَّبُّ فَوْقَ ٱلْمِيَاهِ ٱلْكَثِيرَةِ. ٤ صَوْتُ
ٱلرَّبِّ بِٱلْقُوَّةِ. صَوْتُ ٱلرَّبِّ بِٱلْجَلَالِ. ٥ صَوْتُ ٱلرَّبِّ مُكَسِّرُ ٱلْأَرْزِ، وَيُكَسِّرُ ٱلرَّبُّ أَرْزَ
لُبْنَانَ ٦ وَيُمْرِحُهَا مِثْلَ عِجْلٍ. لُبْنَانَ وَسِرْيُونَ مِثْلَ فَرِيرِ ٱلْبَقَرِ ٱلْوَحْشِيِّ. ٧ صَوْتُ ٱلرَّبِّ
يَقْدَحُ لُهُبَ نَارٍ. ٨ صَوْتُ ٱلرَّبِّ يُزَلْزِلُ ٱلْبَرِّيَّةَ. يُزَلْزِلُ ٱلرَّبُّ بَرِّيَّةَ قَادِشَ. ٩ صَوْتُ
ٱلرَّبِّ يُوَلِّدُ ٱلْإِيَّلَ، وَيَكْشِفُ ٱلْوُعُورَ، وَفِي هَيْكَلِهِ ٱلْكُلُّ قَائِلٌ: «مَجْدٌ». ١٠ ٱلرَّبُّ
بِٱلطُّوفَانِ جَلَسَ، وَيَجْلِسُ ٱلرَّبُّ مَلِكاً إِلَى ٱلْأَبَدِ. ١١ ٱلرَّبُّ يُعْطِي عِزّاً لِشَعْبِهِ. ٱلرَّبُّ
يُبَارِكُ شَعْبَهُ بِٱلسَّلَامِ.

صوت الرب

يُطلَق على هذا المزمور عنوان «صوت الرب» لأنه تعبيرٌ تكرر فيه سبع مرات، مرة في كلٍّ من آيات ٣ و٥ و٧ و٨ و٩، ومرتان في آية ٤. ورقم سبعة هو عدد الكمال. فإن كان عالِم الطبيعة يرى في العاصفة الرعدية ظاهرة طبيعية، ويرى فيها الإنسان العادي القوة الجبارة، إلا أن المؤمن يرى فيها صوت الله «أعطى صوته بَرَداً وجمر نار» (مز ١٨:١٣). كما يرمز الرعد لعقاب الله، كما قالت حنة في صلاتها: «مخاصمو الرب ينكسرون. من السماء يرعد عليهم» (١صم ٢:١٠).

يصف هذا المزمور عاصفة رعدية، قادمة من شمال البلاد، تكتسح أمامها كل الأرض، إلى أن تصل إلى صحراء قادش في الجنوب تاركةً وراءها الخراب والدمار. وربما كُتب هذا المزمور لما طلب بنو إسرائيل ملكاً يملك عليهم، فكان شاول. ولكن صموئيل النبي لم يكن راضياً بهذا، وقال للشعب إنهم ارتكبوا خطأً كبيراً بطلب ملكٍ لأن ملكهم الحقيقي هو الله. ولعله مضى يقول إن البلاد لم تتعوّد أن تجيء عليها عواصف رعدية في شهر مايو (أيار)، شهر الحصاد. لكن ليدرك الشعب مقدار غضب الله عليهم، ستجيء عاصفة رعدية مرعبة في هذا الوقت من السنة، ليدركوا أن الله غير راضٍ عنهم (١صم ١٢:١٧ و١٨). وجاءت العواصف والبروق والرعود، فارتعب الشعب رعباً

شديداً، واعترفوا بأنهم أخطأوا في ما طلبوا. ولعل داود تذكر تلك العاصفة الرعدية التي جاءت في غير موسمها، فوصفها بهذا الوصف الرائع، لأنه يرى الله من وراء كل أمر، ويفسّر كل ظاهرة طبيعية وغير طبيعية على أنها تدخُّل إلهي، فالله هو الملك صاحب السلطان. فإن جاءت العاصفة فهي «صوت الرب على المياه» (آية ٣). وإن جاء الرعد فإن «إله المجد أرعد» (آية ٣). وإن جاء البرق فإن «صوت الرب يقدح لهُب نار» (آية ٧) وإن جاء الطوفان فإن «الرب بالطوفان جلس ويجلس ملكاً إلى الأبد» (آية ١٠) فالله هو الملك القوي. ولئن كان صوته العالي المرتفع يزعج البعيدين عنه، إلا أنه يطمئن أولاده. وإن جاء صوت الرب كما جاء إلى إيليا، منخفضاً خفيفاً، فإن المؤمن أيضاً يسكن مطمئناً: «لأنك أنت يا رب منفرداً في طمأنينة تسكنني» (مز ٤:٨).. ينام الطفل في غرفة مجاورة لغرفة والديه، وعندما يبكي يجيئه صوت أبيه أو أمه من الغرفة الأخرى، فيطمئن وينام.

عندما نقرأ مزمور ٨ ليلاً والسماء تتلألأ بالنجوم نقول: «إذا أرى سماواتك عمل أصابعك، القمر والنجوم التي كوَّنتها، فمَن هو الإنسان حتى تذكره، وابن آدم حتى تفتقده؟» (مز ٣:٨ و٤). وعندما نقرأ مزمور ١٩ نهاراً والشمس في كبد السماء، نقول: «جعل للشمس مسكناً فيها، وهي مثل العريس الخارج من حَجَلته، يبتهج مثل الجبار للسباق في الطريق. من أقصى السماوات خروجها، ومدارها إلى أقاصيها ولا شيء يختفي من حرّها» (مز ١٩:٤-٦). وعندما نقرأ مزمور ٢٩ وقت ثورة الطبيعة وعاصفتها الرعدية نرى إلهنا القوي من خلف هذه كلها، يقول لنا: اطمئنوا «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨:٢٠).

في هذا المزمور نجد:

أولاً - دعوة لأبناء الله (آيتا ١ و٢)

ثانياً - صوت الرب في العاصفة (آيات ٣-٩)

ثالثاً - الرب القدير يبارك شعبه (آيتا ١٠ و١١)

أولاً - دعوة لأبناء الله

(آيتا ١ و٢)

١ - المدعوُّون: في أول المزمور يرفع داود أفكارنا من الأرض إلى السماء، فينادي «أبناء الله» ليمجدوا الله. وقد يكون المدعوون عظماء الأرض وحكام الدول، أو قد يكونون الملائكة الواقفين أمام العرش. يدعوهم ليسبّحوا الله المجيد القوي، الذي يُظهر مجده وقوته في العاصفة والبرق والرعد والمطر المنهمر. ويقول لهم ثلاث مرات: «قدموا للرب» (آية ١ و٢أ). فليرفعوا أعينهم إلى العلاء وينظروا. إنه يوجّه أبصارهم في كل موقف إلى الله، لأن العالم من حولهم يوجّههم إلى الأرضيات، وكذلك يفعل إبليس، الذي لم يخجل أن يجرّب المسيح بثلاث تجارب ليحوّل عينيه عن خطة الله، فقال له: «قلْ أن تصير هذه الحجارة خبزاً» وكانت أحجار المكان مستديرة كالرغيف تذكّر الجائع بالخبز،

وهو يريده أن يهتم بحاجة جسده. لكن المسيح نظر إلى أعلى وقال: «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله» (مت ٤: ٣ و ٤). وهكذا فليفعل من يحبون الله.

٢ - ما يقدّمه المدعوون:

(أ) «**قدّموا للرب مجداً وعزاً**» (آية ١ب). العز هو القوة. فهل يحتاج الرب أن نقدم له مجداً، أو عزاً؟ لا! لكنه يقصد أن نقدم في حياتنا ما يُظهر قوة الله العاملة فينا.. ماذا يعرف العالم عن قوة الله إن رأى «أبناء الله» مهزومين أمام الخطية والقلق؟ ألا يظن أن إله الضعفاء لا بد يكون ضعيفاً، لأنه لو كان قوياً لأنقذهم؟! إذاً لنقدّم للرب مجداً وعزاً، ولنحيَ الحياة المنتصرة ليرى الناس قوة الله فينا.

(ب) «**قدموا للرب مجد اسمه**» (آية ٢أ). وتقديم المجد للرب يعني استخدام العقل والقلب واليد واللسان في تمجيده. و«مجد اسمه» هو ما يعلن به ذاته للعالم، في الطبيعة وفي الكلمة المقدسة، وفوق الكل في «الكلمة» الحي المتجسّد. في القرن المسيحي الأول كانوا يقولون: انظر كيف يحب المسيحيون بعضهم! وهذا إعلان للعالم عن محبتهم لله الظاهرة في محبتهم لأولاده (١يو ٥: ١). فلنقدّم للرب مجد اسمه بأن نُظهر حبه وغفرانه وقوته غير المحدودة في سلوكنا، ونحن نصلي: «لأن لك الملك والقوة والمجد » (مت ٦: ١٣). هذا يعني أنك تُظهر يسوع الملك للعالم بتمجيد اسمه في سلوكك، فيستخدمك ليُرِي العالمَ قوته بقوة سلامه فيك. وعندما تجوز ظروفاً صعبة يجدون قوة نعمته العاملة فيك فيمجدون أباك الذي في السماوات (مت ٥: ١٦) وهم يرون فيك مثالاً للحياة التي غيَّرتها النعمة.

(ج) «**اسجدوا للرب في زينة مقدسة**» (آية ٢ب). فلتكن حياتنا مقدسة ونحن نعبد الرب كلي القداسة. لتكن القداسة زينتنا. «قدّموا للرب يا قبائل الشعوب، قدموا للرب مجداً وقوة.. اسجدوا للرب في زينة مقدسة» (مز ٩٦: ٦-٩). خاطب الرسول بطرس النساء عن «زينة الروح الوديع الهادئ، الذي هو قدام الله كثيرُ الثمن» (١بط ٣: ٤). نحضر كنائسنا في ملابس مناسبة، لنكون في زينة خارجية، ولا بد أن نكون في زينة داخلية مناسبة للسجود، هي زينة القداسة فتظهر نعمة الله على وجوهنا. وعندما نجلس حول مائدة العشاء الرباني نكون في زينة مقدسة، تتوهَّج قلوبنا فرحاً لأننا ضيوف الله الذي يدعونا: «خذوا كلوا هذا هو جسدي» (مت ٢٦: ٢٦). عندها يكون «فرح الرب هو قوتكم» (نح ٨: ١٠). فلتكن على وجوهنا ابتسامة، وليظهر علينا جلال التعبُّد. وليكن في قلوبنا شكر لأن نعمة المسيح افتقدتنا وخلصتنا وغيّرتنا وجعلتنا خليقة جديدة.

ثانياً - صوت الرب في العاصفة

(آيات ٣-٩)

يصف المرنم العاصفة الرعدية قادمةً من بعيد (آيتا ٣ و٤)، ثم يصفها وقد وصلت في قوتها الهائلة تحطم أشجار الأرز وتهزّ الجبال (آيات ٥-٧)، وأخيراً يصفها وقد انتهت في الجنوب، في برية قادش (آيتا ٨ و٩).

١ - العاصفة الرعدية تبدأ، قادمةً من بعيد: (آيتا ٣ و٤).

أعلنت العاصفة أن الرب يتكلم فيها: «صوت الرب على المياه» (آية ٣أ). تتحرك السحب القاتمة في السماء كما تتحرك مياه البحار على الأرض لأن العاصفة قادمة. «إذ أعطى قولاً تكون كثرة مياه في السماوات، ويُصعِد السحاب من أقاصي الأرض» (إر ١٠ :١٣). «إله المجد أرعد» (آية ٣ب) فقد بدأت الرعود. لكن المرنم يرى أن الله من وراء هذا كله. إنه فوق السحب. «الرب فوق المياه الكثيرة» (آية ٣ج). سينزل مطر غزير لكن الله أعلى من هذا كله. «صوت الرب بالقوة. صوت الرب بالجلال» (آية ٤). لقد وصلت العاصفة الرعدية إلى البلاد بكل جلال القوة! ويشير صوت الله إلى حضوره، وعمله، وقوانينه، وقوته. حيث صوته هناك سلطان وعمل. قال موسى عن الوصايا العشر: «فكلّمكم الرب من وسط النار وأنتم سامعون صوت كلام ولكن لم تروا صورة بل صوتاً.. من وسط النار والسحاب والضباب وصوت عظيم» (تث ٤ :١٢ و٥ :٢٢). «وبينما كان صموئيل يُصعِد المحرقة تقدّم الفلسطينيون لمحاربة إسرائيل، فأرعد الرب بصوت عظيم.. وأزعجهم فانكسروا» (١صم ٧ :١٠). أما صوت الروح القدس فيبكت العالم على ارتكاب الخطية، وعلى نقص البر، وعلى رعب وقوع الدينونة الآتية على كل من يرفض خلاص المسيح، فيقود الناس إلى التوبة (يو ١٦ :٨).

٢ - العاصفة الرعدية وآثار قوتها الهائلة: (آيات ٥-٧).

(أ) تأثيرها على أقوى الأشجار: «صوت الرب مكسّر الأرز، ويكسّر الرب أرز لبنان، ويُمرِحها مثل عِجل» (آيتا ٥ و٦أ). من المعروف أن أرز لبنان من أقوى الأشجار وأثبتها، فهي «أرز لبنان العالي» (إش ٢ :١٣). لكن العاصفة الرعدية كانت قوية بدرجة اقتلعت تلك الأشجار الضخمة العالية من جذورها وأسقطتها «مثل عِجل» ممدّد يتمرغ على العشب الأخضر.

(ب) تأثيرها على أعلى الجبال: «لبنان وسريون مثل فرير البقر الوحشي» (آية ٦ب). لبنان وسريون هما الجبلان الرئيسيان في فلسطين. و«سريون» هو جبل الشيخ الشامخ الأبيض بثلوجه لكن العاصفة العاتية جعلته يثب كفرير البقر الوحشي (بمعنى صغير البقر الوحشي). لم يعد للثابت الشامخ ثبوت، لأنه ارتعب أمام وجه الرب.

(ج) تأثيرها على كل الأرض: «صوت الرب يقدح لهُب نار» (آية ٧). هذا وصف للبرق. ويقول العلماء إن له قوة إضاءة تفوق قوة الشمس، وإنه يعطي من الحرارة ما يكفي للحام المعادن، ويمكنه أن يصيب أضخم الحيوانات بالشلل، كما أنه أقوى من قوة المغناطيسية الأرضية. وما أعظم قوة صوت نعمة الله التي ظهرت مخلّصةً لجميع الناس، معلّمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية، وأن نعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر، منتظرين مجيء المسيح ثانيةً (تي ٢ :١٠-١٣). قال الواعظ العظيم سبرجن إن تصوير البرق الذي «يقدح لهب نار» يُذكّرنا بيوم الخمسين عندما حلت على التلاميذ ألسنةٌ منقسمة كأنها من نار، واستقرت على كل واحد منهم (أع ٢ :٢ و٣)، وبدأ الناس يتطلعون إلى الوجوه الغريبة التي كانت خائفة وقد ملأها الاطمئنان، والتي كانت مختبئة فوقفت في العلَن تعلن بقوة أن يسوع المسيح قد قام، فانكسرت قلوب سامعيهم القاسية وخشعت، وخلص نحو

ثلاثة آلاف نفس. كان الخطاة يقفون أمام الله في تحدٍّ، ثم جاءت قوة الروح القدس، فاستسلمت القلوب القاسية، وانحنت أمامه في خضوع.

٣ - العاصفة الرعدية تبلغ نهايتها: (آيتا ٨ و ٩).

(ا) تاثيرها على الصحراء: «صوت الرب يزلزل البرية. يزلزل الرب برية قادش» (آية ٨). مضت العاصفة إلى أقصى حدود البلاد الجنوبية، إلى صحراء قادش، بالقرب من أدوم، وانتهت فاعليتها بالنسبة لمكان سكن المرنم، ولكن فعلها في الجنوب كان أيضاً عظيماً.

(ب) تاثيرها على الحيوان: «صوت الرب يولّد الإيّل» (آية ٩أ). من المعروف أن الأيائل سريعة الجري، شديدة الخوف، صعبة الولادة. وعندما جاءت العاصفة القوية خافت الغزلان وارتعبت وجرت بأقصى طاقتها، وفي جريها ورعبها ولدت قبل الأوان.

(ج) تاثيرها على الوعور: «صوت الرب.. يكشف الوعور» (آية ٩ب). جاءت العاصفة على الوعور، وهي غابات الأشجار البرية، فأزاحت شجيراتها بعيداً، فظهرت الصخور الوعرة من تحتها. وفي العالم الروحي كشف صوتُ الله آدمَ الذي عرّته الخطية، والذي لم يكن قادراً على ستر نفسه، ثم ستره الله في محبته بفدائه وكفارته.

(د) تاثيرها على المؤمنين: «وفي هيكله الكل قائلٌ: مجد» (آية ٩ج). هيكله هنا هو الطبيعة التي تحدّث بمجده، وهيكله أيضاً هو كل السماء والأرض. لقد سكنت العاصفة بعد نزول المطر الغزير فهتف الكل يمجدونه. انتقل داود من التفكير في خيمة الاجتماع، ومن القدس وقدس الأقداس، إلى هيكل أكبر وأشمل: إلى الأرض كلها «والكل قائل مجد» للقوي صاحب السلطان. لقد بنى الله هيكل الطبيعة والكون الذي يمجده، والذي يدعونا نحن أيضاً لنمجده.

ثالثاً - الرب القدير يبارك شعبه

(آيتا ١٠ و١١)

١ - يباركهم بعمله المُكمَّل: «الرب بالطوفان جلس، ويجلس الرب ملكاً إلى الأبد» (آية ١٠). أعلن الله سلطانه بالعاصفة، وأكمل العمل وجلس، كما أكمل المسيح العمل الفدائي وصنع بنفسه تطهيراً لخطايانا، ثم جلس عن يمين العظمة في الأعالي (عب ١:٣). وكلمة الطوفان المستعملة هنا لم ترِد إلا في سفر التكوين عن طوفان نوح (تك ٦-١١). «أما الرب فإلى الدهر يجلس. ثبَّت للقضاء كرسيه» (مز ٩:٧). إنه الملك الأزلي الأبدي، الذي ليس لملكه نهاية. وحده صاحب السلطان الذي أرشد نوحاً أن يبني الفلك قبل مجيء الطوفان، ثم أرسل الطوفان، ثم سكّنه، ثم رسم قوس قزح في السماء.

لا بد أن المرنم وهو يصف العاصفة العاتية تذكر رحمة الله على نوح ومن يؤمنون إيمانه، كما ذكر عقاب الله على من يعصونه. ورأى سلطان الله العظيم في الرحمة التي تنجّي والعدالة التي

تعاقب. إن غضب الإنسان يحمده (مز ٧٦:١٠). «من الآكل خرج أكل ومن الجافي خرجت حلاوة» (قض ١٤:١٤).

٢ - **يباركهم بالقوة:** «الرب يعطي عزاً لشعبه» (آية ١١أ). يقوي الرب شعبه وسط العاصفة المخيفة التي تكسّر شجر أرز لبنان القوي وتلقيه على الأرض، والتي تجعل جبل الشيخ يقفز كالبقر الوحشي، فلا يعتريهم خوف ولا قلق، لأن المسيح يقول لهم: «لا تخفْ أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سُرَّ أن يعطيكم الملكوت» (لو ١٢:٣٢). ويقول: «لا أترككم يتامى، إني آتي إليكم» (يو ١٤:١٨). وقد أرسل لهم الروح القدس وحقّق وعده: «ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهوداً» (أع ١:٨). وهذه القوة ديناميكية فعالة تنصرنا على الخطية وتدفعنا لحياة الشهادة.

٣ - **يباركهم بالسلام:** «الرب يبارك شعبه بالسلام» (آية ١١ب). هذا الإله القدير الذي تسبحه الملائكة، والذي جلس ويجلس متسلطاً على كونه، لا يخاف من سلطانه إلا الخاطئ البعيد عنه، أما أبناؤه فيتمتّعون بالسلام اعتماداً على قوته ومجده. فعندما تعترض طريقك مشكلة لا تعرف لها حلاً، ارفع وجهك إليه وقُل له: يا رب، سأنتظر حتى أرى كيف تحل هذه المشكلة، فيجيئك بطريقته الفريدة الرائعة لينقذك. هو الذي نجّى نوحاً من الطوفان، وموسى من فرعون، ودانيال من جُب الأسود، وبطرس من السجن. ولم يحدث مرة أن وقَفت أمام أولاده مشكلةٌ بغير حل. ولم يحدث أبداً أنه ترك قطيعه الصغير، فهو دائماً على عرشه يهتم بكل واحد من أولاده. ونحن اليوم ندرك أن لنا سلام المسيح وسط أعنف العواصف، كما قال لتلاميذه في السفينة المعذبة من الأمواج وسط البحر: «أنا هو لا تخافوا» (مت ١٤:٢٢-٣٣). وقال: «سلاماً أترك لكم. سلامي أعطيكم.. لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب» (يو ١٤:٢٧). وليس هذا السلام مستمَدّاً من الظروف، لكنه عطية إلهية بالرغم من الظروف، لأنه ثمر الروح القدس، الذي إن نلناه يكون لنا الوعد: «وسلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع» (في ٤:٧).

المزمور الثلاثون

مَزْمُورٌ أُغْنِيَةُ تَدْشِينِ ٱلْبَيْتِ. لِدَاوُدَ

١ أُعَظِّمُكَ يَا رَبُّ لأَنَّكَ نَشَلْتَنِي وَلَمْ تُشْمِتْ بِي أَعْدَائِي. ٢ يَا رَبُّ إِلٰهِي ٱسْتَغَثْتُ بِكَ
فَشَفَيْتَنِي. ٣ يَا رَبُّ، أَصْعَدْتَ مِنَ ٱلْهَاوِيَةِ نَفْسِي. أَحْيَيْتَنِي مِنْ بَيْنِ ٱلْهَابِطِينَ فِي ٱلْجُبِّ.
٤ رَنِّمُوا لِلرَّبِّ يَا أَتْقِيَاءَهُ، وَٱحْمَدُوا ذِكْرَ قُدْسِهِ. ٥ لأَنَّ لِلَحْظَةٍ غَضَبَهُ. حَيَاةٌ فِي رِضَاهُ.
عِنْدَ ٱلْمَسَاءِ يَبِيتُ ٱلْبُكَاءُ، وَفِي ٱلصَّبَاحِ تَرَنُّمٌ.

٦ وَأَنَا قُلْتُ فِي طُمَأْنِينَتِي: «لاَ أَتَزَعْزَعُ إِلَى ٱلأَبَدِ». ٧ يَا رَبُّ، بِرِضَاكَ ثَبَّتَّ لِجَبَلِي
عِزّاً. حَجَبْتَ وَجْهَكَ فَصِرْتُ مُرْتَاعاً. ٨ إِلَيْكَ يَا رَبُّ أَصْرُخُ، وَإِلَى ٱلسَّيِّدِ أَتَضَرَّعُ. ٩ مَا
ٱلْفَائِدَةُ مِنْ دَمِي إِذَا نَزَلْتُ إِلَى ٱلْحُفْرَةِ؟ هَلْ يَحْمَدُكَ ٱلتُّرَابُ؟ هَلْ يُخْبِرُ بِحَقِّكَ؟
١٠ اِسْتَمِعْ يَا رَبُّ وَٱرْحَمْنِي. يَا رَبُّ كُنْ مُعِيناً لِي. ١١ حَوَّلْتَ نَوْحِي إِلَى رَقْصٍ لِي.
حَلَلْتَ مِسْحِي وَمَنْطَقْتَنِي فَرَحاً، ١٢ لِكَيْ تَتَرَنَّمَ لَكَ رُوحِي وَلاَ تَسْكُتَ. يَا رَبُّ إِلٰهِي إِلَى
ٱلأَبَدِ أَحْمَدُكَ.

النائمون يرقصون

يرجع سبب كتابة هذا المزمور إلى قرار داود أن يُحصي بني إسرائيل (٢صم ٢٤ و١أي ٢١). وليس الإحصاء خطأً في حدّ ذاته، فقد أمر الله بإحصاء بني إسرائيل (خر ٣٠:١٢) وقام موسى بإحصاء الشعب ثلاث مرات على الأقل. لكن الخطأ كان كامناً في الهدف الذي من أجله أحصى داود شعبه. تُرى هل كان يريد أن يفتخر بكثرة شعبه؟ هل كان يريد أن ينشئ جيشاً أكبر عدداً وأقوى تسليحاً ليشنّ حرباً جديدة؟ هل كان يريد أن يفرض ضريبة جديدة على الشعب؟

أياً كان الدافع، فلم يكن الإحصاء بحسب إرادة الرب. ورأى يوآب قائد الجيش خطأ الإحصاء، لا لسبب ديني، بل لأسباب سياسية وعسكرية، فهو رجل عسكري وسياسي. ربما خاف أن يثور الشعب على الملك، فحاول أن يمنع الإحصاء، لكن داود أصرّ، فخرج يوآب ورجاله لتنفيذ الأمر. وعندما انتهى التعداد وعرف داود النتيجة، هاج عليه ضميره وقال: «أخطأت». فجاءه جاد النبي يطالبه أن يختار إحدى ثلاث عقوبات: «إما ثلاث سنين جوع، أو ثلاثة أشهر هلاك أمام مضايقيك، أو ثلاثة أيام

وبأ» (اأي ٢١:١٢). (**ملحوظة:** جاء في ٢صم ١٣:٢٤ أن عقوبة الجوع سبع سنين، لأن المؤرخ المقدس (بإرشاد الروح القدس) في سفر صموئيل الثاني أحصى ٣ سنوات مجاعة جاءت على بني إسرائيل بسبب الجبعونيين، وثلاثاً أخرى هي الواردة هنا. وإلى أن يكون هناك حصاد لا بد أن تمضي سنة سابعة، وبذلك يصبح العدد سبع سنوات. فليس هناك تناقض بين قصة ٢صم ٢٤ و ١أخ ٢١ بل هو جمع العقوبتين).

ووقف داود حائراً متألماً لا يدري أي عقوبة يختار. وأخيراً قال: «فلنسقط في يد الرب لأن مراحمه كثيرة، ولا أسقط في يد إنسان» (٢صم ١٤:٢٤). ففي وقت الجوع يقع في يد التجار والمستوردين، وفي وقت الحرب يقع بين يدي الأعداء، أما في وقت المرض فإنه يقع في يد الرب!

وجاء الملاك المهلك يقتل. وبدأ القتل من الصباح إلى المساء حتى جاء موعد الذبيحة المسائية. وانكسر قلب داود وانسحقت روحه وهو يرى الملاك المهلك، فجعل يقول: يا رب، هذا الشعب لم يخطئ. إن كان لا بد من توقيع العقاب، فوقّعه عليّ أنا وعلى بيت أبي.

وعندما رأى الرب توبة داود أمر الملاك أن يتوقف عن إهلاك الشعب، فتوقّف الوبأ عند بيدر أرنان اليبوسي. وقرر داود أن يقدم هناك محرقاتٍ وذبائحَ سلامة، فقدَّم أرنان لداود النورج للوقود والبقر للمحرقة والحنطة للتقدمة. لكن داود أصرَّ أن يدفع ثمن هذا كله، فصارت تلك الأرض فيما بعد الموقع الذي بُني عليه هيكل سليمان (اأي ٢١:١٥-٢٦). ومن هنا جاء عنوان مزمورنا «أغنية تدشين البيت» ففي ذلك اليوم قُدّمت المحرقة التي سترت خطايا الشعب وخطايا داود، وفيه دُشّن الموقع ليكون بيتاً للرب. ولذلك رتل بنو إسرائيل هذا المزمور يوم دشنوا الهيكل الثاني (عز ٦:١٦). كما اعتاد بنو إسرائيل أن يرتلوه عندما يدشنون بيوتهم.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – المرنم يشكر على النجاة (آيات ١-٣)

ثانياً – المرنم يدعو الأتقياء للترنيم (آيتا ٤ و٥)

ثالثاً – المرنم يصحّح مساره (آيتا ٦ و٧)

رابعاً – المرنم يطلب الرحمة (آيات ٨-١٠)

خامساً – المرنم ينال الاستجابة (آيتا ١١ و١٢)

أولاً - المرنم يشكر على النجاة

(آيات ١-٣)

رأى داود الملاك المهلك والسيف مسلول في يده، واختبر رحمة الله، فشكر على النجاة. وذكر شيئين فعلهما هو، وخمسة أشياء فعلها الرب.

١ - ما فعله داود للرب:

(أ) عظَّم الرب: «أعظمك» (آية ١أ). قدَّم المجد لله وانحنى أمامه ساجداً وكأنه يقول: أنت هو الملك الحقيقي. على رأسي تاج أعطيته أنت لي. وكل ما عندي هو عطية من محبتك، وأنا أعيد المجد كله لك. كان تعظيم الرب موضوع ترنيم الشعب بعد الخروج (خر ١٥) وموضوع تسبيح الناجين من الموت القائلين: «يا رب أنت إلهي أعظمك. أحمد اسمك لأنك صنعت عجَباً» (إش ٢٥:١) وموضوع شكر العذراء المكرَّمة: «تعظم نفسي الرب، وتبتهج روحي بالله مخلِّصي» (لو ١:٤٦ و٤٧).

(ب) استغاث بالرب: «استغثتُ بك» (آية ٢أ). اكتشف أن النِّعم بدون المنعم هي لا شيء، وأن العطايا بغير المعطي لا فائدة فيها، فاستغاث بالمنعم المعطي.

٢ - ما فعله الرب لداود:

(أ) انتشله: «نشلتَني» (آية ١ب). والانتشال هو إخراج دلو من بئر، وهي نفس الكلمة العبرية المترجمة «استقى» (خر ٢:١٦ و١٩) كأن داود يقول: يا رب، أنت أنزلت دلواً في بئر ونشلتني. كنتُ غريقاً مائتاً وأنقذتني. كان في حفرة عميقة، كأنه في بئر أو جب أو قبر، فانتشله الرب.

(ب) لم يُشمِت به أعداءه: «لم تُشمت بي أعدائي» (آية ١ج). لو أن الأعداء سمعوا ما حدث له لشمتوا به وقالوا: أين إلهه؟ لقد وقَّع عليه العقوبة لأنه خاطئ. عندما مات الملك شاول، وبلغت أخبار ذلك الفلسطينيين في بلادهم قال داود: «لا تخبروا في جتّ. لا تبشروا في أسواق أشقلون، لئلا تفرح بنات الفلسطينيين، لئلا تشمت بنات الغُلف» (٢صم ١:٢٠). وكانت «جت» العاصمة السياسية للفلسطينيين، وكانت «أشقلون» عاصمتهم الاقتصادية. وقد مات شاول بسبب العصيان، ولكن الله حفظ داود من شماتة الأعداء لأنه تاب.

(ج) شفاه: «شفيتني» (آية ٢ب). عندما شفى الله الملك حزقيا قال: يا رب أنت نشلتني. شفيتني. أحييتني (إش ٣٨:١٦-١٩) وكأنه يقول: أنت لم تسقطني في قبر لأن الذين في القبر لا يسبحونك. لكنك وهبتني الحياة، فأسبحك اليوم وأخبر عنك الجيل القادم. واختبار داود هو نفسه اختبار حزقيا.

(د) أصعده من الهاوية: «أصعدتَ من الهاوية نفسي» (آية ٣أ). «أصعدني من جب الهلاك، من طين الحمأة» (مز ٤٠:٢). «رفع المتَّضعين. أشبع الجياع خيرات» (لو ١:٥٢ و٥٣). «يقيم المسكين من التراب. يرفع الفقير من المزبلة للجلوس مع الشرفاء، ويملِّكهم كرسيَّ المجد» (١صم ٢:٨). رفعه كما رفع يوسف إذ أصعده من الجب وجعله رئيس وزراء مصر. وهو ينتشل المؤمن من حفرة الخطية وبالوعة اليأس وهاوية الخوف والقلق، فيقول: «ونحن أمواتٌ بالخطايا أحيانا مع المسيح.. وأقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويات» (أف ٢:٥ و٦).

(هـ) أحياه: «أحييتني من بين الهابطين في الجب» (آية ٣ب). كان يجب أن يهلك وينزل القبر. كان شبه ميت أو في عداد الأموات، فوهبه الله الحياة. قال جيرمي تيلور: «الله رحيم وحكيم، فلا يسمح بكل هذا الألم أن يقع على القديسين إلا لأن يكون الألم مدرسة للفكر، ومشتلاً للفضيلة، وتدريباً للحكمة، وتمريناً على طول الأناة، وإعداداً لإكليل، وبوابةً للمجد».

ثانياً - المرنم يدعو الأتقياء للترنيم

(آيتا ٤ و٥)

بعد أن شكر داود الرب، دعا كل الشعب ليشتركوا معه في الترتيل. لقد نجا كل أهل أورشليم فليغنّوا معه ترتيلة شكر.

١ - **فكرة الترتيلة:** «رنِّموا للرب يا أتقياءه، واحمدوا ذكر قدسه» (آية ٤). في هذه الترتيلة حمدٌ لله على قداسته في ذاته وفي صفاته وفي أعماله، وفيها ذكرٌ دائم لتلك القداسة، وفيها إعلان الرغبة في طاعة الله المحب. على المؤمنين أن يذكروا دوماً أن الله قدوس. وعندما يخطئون يوقع عليهم العقاب للتنقية، كما قال المرنم: «قبل أن أُذلَّل أنا ضللت» (مز ١١٩:٦٧). «تأديباً أدّبني الرب وإلى الموت لم يسلمني» (مز ١١٨:١٨). هذا الإله القدوس يخلق فينا الرغبة لطاعته، والاستعداد لأن نعمل مشيئته الصالحة. وعندما نرتل نذكر قداسته ونحاول أن نتفق معها ونعدّل تصرفاتنا لنتوافق معها، طاعة للأمر الإلهي: «تكونون قديسين لأني قدوس الرب إلهكم» (لا ١٩:٢) ولأمر المسيح: «كونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السماوات هو كامل» (مت ٥:٤٨).

٢ - **مناسبة الترتيلة:** «لأن للحظة غضبه. حياةٌ في رضاه. عند المساء يبيت البكاء وفي الصباح ترنُّم» (آية ٥). لذلك اختار داود أن يقع في يدي الرب، وأن تناله عقوبة ثلاثة أيام وبإ، ورفض أي عقاب آخر، فإن غضب الرب إلى لحظة. إنه يعلم أن ذنبه عظيم، لكن عفو الرب أعظم، لأنه رحيم ورؤوف، بطيء الغضب وكثير الإحسان.. غافر الإثم والمعصية والخطية (خر ٣٤:٦ و٧). عند المساء يبيت البكاء، لكن الليل لن يطول، ولا بد أن يهزم نور النهار ظلام الليل، فيترنم الباكون شاكرين فرحين، وهم يختبرون تحقيق وعد الرب: «لحيظة تركتك. بمراحم عظيمة سأجمعك. بفيضان الغضب حجبتُ وجهي عنك لحظة، وبإحسان أبدي أرحمك، قال وليُّك الرب» (إش ٥٤:٧ و٨). ويتم معهم وعد المسيح: «ستبكون وتنوحون والعالم يفرح. أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحوّل إلى فرح» (يو ١٦:٢٠) فيقولون: «إذا سقطتُ أقوم. إذا جلستُ في الظلمة فالرب نور لي» (مي ٧:٨).

ثالثاً - المرنم يصحح مساره

(آيتا ٦ و٧)

١ - **الاتجاه الخاطئ:** «أنا قلت في طمأنينتي لا أتزعزع إلى الأبد، يا رب برضاك ثبّتَّ لجبلي عزاً» (آيتا ٦ و٧أ). كان داود قد استولى على حصن صهيون من اليبوسيين، وهو موقع منيع جداً، مرتفع عن سطح البحر تسعمائة متر، واستولى على مدينة أورشليم المبنية على خمسة تلال صخرية قوية، وحصّنها تحصينات كافية، فصارت موقعاً طبيعياً ممتازاً ذا تحصينات عسكرية كافية، فقال في طمأنينة المنتصر: «لا أتزعزع إلى الأبد». لقد أعطاه الله المدينة الحصينة، وساعده على تحصينها.

ويبدو أنه لما تمَّ له ذلك أخذ العطية ونسي المعطي. لعله ظن أنه قوي منيع بجيشه وهو يقف بين مملكتين عظيمتين، هما بابل في الشمال، ومصر في الجنوب.

٢ - **الاتجاه الصحيح:** «حجبتَ وجهك فصرتُ مرتاعاً» (آية ٧ب). والارتياع هو الرعب الكبير. تعلَّم داود بعد العقاب بالوبإ أن القوة والحماية هما من عند الله وحده، وأدرك من هو إلهه، وعرف قيمة نفسه وحجمها. كان يظن أن مصيره بيده، وكان يحسُّ أنه مطمئن، لكنه اكتشف أن طمأنينته هي بالرب وحده. أين المدينة الحصينة أمام الوبإ؟ أين التحصينات العسكرية؟ أين الجيش العظيم؟ أين الشعب الذي أحصاه ليحشد جيشاً أكبر؟.. عندما حجب الله وجهه صار مرتاعاً رغم كل النجاح المادي والعسكري!

وهذا ما يجب أن يتعلمه كل واحد منا. عندما ننجح، كثيراً ما ننسى الرب. وعندما تكون أمور حياتنا موفَّقة نظن أننا قد أصبحنا مستريحين. نصلي في وقت الضيق، وبزواله نسترخي ونطمئن. والحقيقة هي أن كل رصيدنا في البنك، وكل درجاتنا العلمية، وكل صحتنا، وكل أصدقائنا، وكل نفوذ عائلتنا، بدون رضا الرب ومحبته لا تساوي شيئاً، فنصير مرتاعين. قبل أن نتعلم هذا الدرس قد نكون في كامل الطمأنينة، لأننا متَّكلون على عطايا الرب. ولكن عندما نتعلمه ندرك مقدار احتياجنا لشخص الرب نفسه قبل عطاياه، وهو الذي يمنح العطايا.

رابعاً - المرنم يطلب الرحمة

(آيات ٨-١٠)

شكر داود على نجاته من العقاب الإلهي، ودعا شعبه ليشكروا معه، وأعلن أنه صحَّح مساره الخاطئ، ثم لجأ إلى الله طالباً رحمته، فرحمة الله ومحبته هما الملجأ الدائم للمؤمن المصلّي والباب المفتوح الذي لا يُغلَق أبداً. حتى لو أدَّبنا الرب فإنه يؤدبُنا ليصحّح مسارنا فهو الذي «يجرح ويعصب. يسحق ويداه تشفيان» (أي ٥:١٨) «أمينة هي جروح المحب، وغاشّةٌ هي قبلات العدو» (أم ٢٧:٦). «هلمَّ نرجع إلى الرب لأنه هو افترس فيشفينا، ضرب فيَجبِرُنا» (هو ٦:١). لقد تعلَّم من الرُّعب أن الصلاة هي مصدر قوته، وكانت صلاته:

١ - **صلاة بلا انقطاع:** «إليك يا رب أصرخ، وإلى السيد أتضرع» (آية ٨). هذا هو الصراخ المستمر والتضرُّع الدائم. ألجأه العقاب الذي حلَّ به لما أحصى شعبه إلى الصلاة بلا انقطاع (أخ ٢١:١٦ و١٧).

٢ - **صلاة مخلصة:** «ما الفائدة من دمي إذا نزلت في الحفرة؟ هل يحمدك التراب؟ هل يخبر بحقك؟» (آية ٩). وهي الكلمات التي رددها الملك حزقيا في إش ٣٨:١٨ و١٩. لم تكن معرفة اليهود عن الحياة بعد الموت معرفة كافية، ولم يعطِ العهد القديم لقرائه صورة واضحة للخلود، فإن المسيح وحده هو الذي أنار لنا الحياة والخلود بواسطة الإنجيل (٢تي ١:١٠).

ولعل المرنم قصد بتساؤله هذا أن يتساءل مع الرسول بولس: «ماذا أختار؟ لست أدري.. لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح، ذاك أفضل جداً. ولكن أن أبقى في الجسد ألزم من أجلكم» (في ١:٢٢-٢٤). هل يختار الموت، وذاك أفضل جداً؟ أم يختار الحياة ليخدم المؤمنين؟ وقد اختار أن يحيا لينسكب على ذبيحة إيمان المؤمنين وليقدم الخدمة المطلوبة منه لله.

٣ - صلاة خاشعة: «استمع يا رب وارحمني. يا رب كن معيناً لي» (آية ١٠). ينحني الملك داود أمام ملك الملوك الذي منحه المُلك الأرضي. بكل تواضع يطلب الرحمة والعون، وهي صلاة يمكن أن يرفعها كل مؤمن، سواء كان واعظاً يعتلي المنبر، أو متألماً يتقلَّب على فراش المرض، أو حزين أنهكته الهموم. «فلنتقدَّم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة، ونجد نعمة، عوناً في حينه» (عب ٤:١٦).

خامساً - المرنم ينال الاستجابة

(آيتا ١١ و١٢)

١ - المرنم يفرح: «حوَّلتَ نوحي إلى رقص لي. حللت مسحي ومنطقتني فرحاً. لكي تترنم لك روحي ولا تسكت» (آية ١١ و١٢أ). ناح المرنم بينما العقاب يحل به، وجعل يلطم ويضرب على صدره حزناً. ولما رفع الله عنه العقاب أخذ يرقص فرحاً. كان يكتسي بالمسح (وهو ثوب من الشَّعر يلبسه الحزين تحت ثيابه علامة القهر والذل) ولما رفع الله عنه الحزن تمنطق (حزَّم وسطه) بحزام ليرقص ابتهاجاً، وترنَّم بروحه ولم يعُد قادراً على السكوت. وعندما يرحم الرب شعبه تفرح أرواحهم من الداخل، لأنه يكسوهم ثياب الفرح من الخارج، ويقول: «لأجعل لنائحي صهيون، لأعطيهم جمالاً عوضاً عن الرماد، ودهن فرح عوضاً عن النوح، ورداء تسبيح عوضاً عن الروح اليائسة، فيُدعَون أشجار البر، غرس الرب للتمجيد» (إش ٦١:٣). «لكي تترنم لك روحي ولا تسكت».

٢ - المرنم يكرر الشكر: «يا رب إلهي، إلى الأبد أحمدك» (آية ١٢ب). يكرر المرنم شكره، ويعد الرب أن يستمر هذا الشكر إلى الأبد، هنا على الأرض ما دام حياً، وهناك في السماء أمام عرش الله العظيم. «ولا تكون لعنة ما في ما بعد.. وهم سينظرون وجهه واسمه على جباههم. ولا يكون ليل هناك، ولا يحتاجون إلى سراج أو نور شمس، لأن الرب الإله ينير عليهم وهم سيملكون إلى أبد الآبدين» (رؤ ٢٢:٣-٥).

المزمور الحادي والثلاثون

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

١ عَلَيْكَ يَا رَبُّ تَوَكَّلْتُ. لَا تَدَعْنِي أَخْزَى مَدَى ٱلدَّهْرِ. بِعَدْلِكَ نَجِّنِي. ٢ أَمِلْ إِلَيَّ
أُذْنَكَ. سَرِيعاً أَنْقِذْنِي. كُنْ لِي صَخْرَةَ حِصْنٍ، بَيْتَ مَلْجَإٍ لِتَخْلِيصِي. ٣ لِأَنَّ صَخْرَتِي
وَمَعْقِلِي أَنْتَ. مِنْ أَجْلِ ٱسْمِكَ تَهْدِينِي وَتَقُودُنِي. ٤ أَخْرِجْنِي مِنَ ٱلشَّبَكَةِ ٱلَّتِي خَبَّأُوهَا لِي
لِأَنَّكَ أَنْتَ حِصْنِي. ٥ فِي يَدِكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي. فَدَيْتَنِي يَا رَبُّ إِلَهَ ٱلْحَقِّ. ٦ أَبْغَضْتُ
ٱلَّذِينَ يُرَاعُونَ أَبَاطِيلَ كَاذِبَةً. أَمَّا أَنَا فَعَلَى ٱلرَّبِّ تَوَكَّلْتُ. ٧ أَبْتَهِجُ وَأَفْرَحُ بِرَحْمَتِكَ
لِأَنَّكَ نَظَرْتَ إِلَى مَذَلَّتِي، وَعَرَفْتَ فِي ٱلشَّدَائِدِ نَفْسِي، ٨ وَلَمْ تَحْبِسْنِي فِي يَدِ ٱلْعَدُوِّ، بَلْ
أَقَمْتَ فِي ٱلرُّحْبِ رِجْلِي.

٩ اِرْحَمْنِي يَا رَبُّ لِأَنِّي فِي ضِيقٍ. خَسِفَتْ مِنَ ٱلْغَمِّ عَيْنِي. نَفْسِي وَبَطْنِي. ١٠ لِأَنَّ
حَيَاتِي قَدْ فَنِيَتْ بِٱلْحُزْنِ وَسِنِينِي بِٱلتَّنَهُّدِ. ضَعُفَتْ بِشَقَاوَتِي قُوَّتِي وَبَلِيَتْ عِظَامِي. ١١ عِنْدَ
كُلِّ أَعْدَائِي صِرْتُ عَاراً وَعِنْدَ جِيرَانِي بِٱلْكُلِّيَّةِ، وَرُعْباً لِمَعَارِفِي. ٱلَّذِينَ رَأَوْنِي خَارِجاً
هَرَبُوا عَنِّي. ١٢ نُسِيتُ مِنَ ٱلْقَلْبِ مِثْلَ ٱلْمَيْتِ. صِرْتُ مِثْلَ إِنَاءٍ مُتْلَفٍ. ١٣ لِأَنِّي سَمِعْتُ
مَذَمَّةً مِنْ كَثِيرِينَ. ٱلْخَوْفُ مُسْتَدِيرٌ بِي بِمُؤَامَرَتِهِمْ مَعاً عَلَيَّ. تَفَكَّرُوا فِي أَخْذِ نَفْسِي.

١٤ أَمَّا أَنَا فَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ يَا رَبُّ. قُلْتُ: «إِلَهِي أَنْتَ». ١٥ فِي يَدِكَ آجَالِي. نَجِّنِي
مِنْ يَدِ أَعْدَائِي وَمِنَ ٱلَّذِينَ يَطْرُدُونَنِي. ١٦ أَضِئْ بِوَجْهِكَ عَلَى عَبْدِكَ. خَلِّصْنِي بِرَحْمَتِكَ.
١٧ يَا رَبُّ، لَا تَدَعْنِي أَخْزَى لِأَنِّي دَعَوْتُكَ. لِيَخْزَ ٱلْأَشْرَارُ. لِيَسْكُتُوا فِي ٱلْهَاوِيَةِ.
١٨ لِتُبْكَمْ شِفَاهُ ٱلْكَذِبِ ٱلْمُتَكَلِّمَةُ عَلَى ٱلصِّدِّيقِ بِوَقَاحَةٍ، بِكِبْرِيَاءَ وَٱسْتِهَانَةٍ.

١٩ مَا أَعْظَمَ جُودَكَ ٱلَّذِي ذَخَرْتَهُ لِخَائِفِيكَ وَفَعَلْتَهُ لِلْمُتَّكِلِينَ عَلَيْكَ تُجَاهَ بَنِي ٱلْبَشَرِ.
٢٠ تَسْتُرُهُمْ بِسِتْرِ وَجْهِكَ مِنْ مَكَايِدِ ٱلنَّاسِ. تُخْفِيهِمْ فِي مَظَلَّةٍ مِنْ مُخَاصَمَةِ ٱلْأَلْسُنِ.
٢١ مُبَارَكٌ ٱلرَّبُّ لِأَنَّهُ قَدْ جَعَلَ عَجَباً رَحْمَتَهُ لِي فِي مَدِينَةٍ مُحَصَّنَةٍ. ٢٢ وَأَنَا قُلْتُ فِي
حَيْرَتِي: «إِنِّي قَدِ ٱنْقَطَعْتُ مِنْ قُدَّامِ عَيْنَيْكَ». وَلَكِنَّكَ سَمِعْتَ صَوْتَ تَضَرُّعِي إِذْ صَرَخْتُ
إِلَيْكَ.

٢٣ أَحِبُّوا ٱلرَّبَّ يَا جَمِيعَ أَتْقِيَائِهِ. ٱلرَّبُّ حَافِظُ ٱلْأَمَانَةِ وَمُجَازٍ بِكَثْرَةٍ ٱلْعَامِلَ
بِٱلْكِبْرِيَاءِ. ٢٤ لِتَتَشَدَّدْ وَلْتَتَشَجَّعْ قُلُوبُكُمْ يَا جَمِيعَ ٱلْمُنْتَظِرِينَ ٱلرَّبَّ.

جعل رحمته عجبًا!

مناسبة كتابة هذا المزمور حادثة مرت بداود عندما كان هارباً أمام شاول، من مكان إلى مكان حتى وصل إلى برية معون. وتابَعَه شاول حتى استُدعي ليرجع بسرعة ليدافع عن بلاده، لأن الفلسطينيين هاجموهم. فرجع شاول ونجا داود. وسُمّي المكان «صخرة الزلقات» لأن شاول انزلق ورجع عن داود، لا بسبب ذكاء داود أو حيلته، لكن لأن الرب هو الذي سمح بذلك (١صم ٢٣).

كان المرنم قد أعيا عقلاً وجسداً، مضطهَداً، مشوّه السُّمعة، فألقى بنفسه على الله يرتل هذا المزمور، صلاة يرفعها، فرفعته إلى فوق بعيداً عن المشاكل التي كانت تهاجمه، وقد امتلأ قلبه بالإيمان بالإله الحي وبالرجاء فيه.

ولا بد أن هذا المزمور كان في فكر إرميا، النبي الباكي، فاقتبس فكرة «إناء مُتلَف» (آية ١٢) في حديثه عن إناء الفخاري (إر ١٨:٤ و١٨:٢٢) واقتبس منه القول «الخوف مستديرٌ بي» (آية ١٣) في قوله: «خوفٌ من كل جهة» (إر ٦:٢٥) «الخوف من كل جانب» (إر ١٠:٢٠ و٢٩:٤٩). كما اقتبس يونان الآية ٦ من المزمور في صلاته في يون ٨:٢ و٩. واقتبس شيخٌ تقي الآيات الثلاث الأولى من مزمورنا في مطلع مز ٧١، ولعلها كانت ترنيمته المفضَّلة في بداية حياته.

أما المسيح فقد اقتبس على الصليب جزءاً من آية ٥ «في يدك استودع روحي» بعد أن أضاف إليها «يا أبتاه» لأنها كلمات الثقة بالله، ولو أنه لم يقتبس كل الآية، لأن نصفها الثاني يقول: «فديتني يا رب إله الحق» لأن المسيح لم يكن محتاجاً لفداء، فهو نفسه الفادي.

وقد صارت هذه الكلمات مصدر تشجيع للمؤمنين عبر الأجيال. تلاها القديس بوليكاربوس أسقف سميرنا وهو يستشهد محترقاً. كما تلاها القديس إيرونيموس (المعروف باسم جيروم) عند موته، وهو الذي ترجم الكتاب المقدس إلى اللاتينية، الترجمة المعروفة بالفولجاتا. وتلاها جون هس وهو يُحرق لأنه ترجم الكتاب المقدس إلى لغة الشعب. وكرر هذه العبارة عددٌ لا يُحصى من المؤمنين، في أوقات وفاتهم أو ضيق نفوسهم، فهي توجّه نظرنا إلى الرب لنستودع أرواحنا بين يديه.

قال مارتن لوثر: «مبارك الشخص الذي يموت مع المسيح كمؤمن لأنه آمن. ومبارك الشخص الذي يموت من أجل المسيح كشهيد. ومبارك الشخص الذي يموت مع المسيح وهو يقول: في يدك أستودع روحي». هذه كلمات تكريسية نسلم نفوسنا فيها للرب تسليماً كاملاً، ونحن نرى أن العالم هنا ليس مكان إقامتنا، فقد قال المسيح: «أنا أمضي لأعدّ لكم مكاناً. وإن مضيتُ وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وآخذكم إليّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً.. أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحدٌ يأتي إلى الآب إلا بي» (يو ١٤: ٢-٦).

هذا مزمور مبارك تتلألأ وسطه هذه الجوهرة: «في يدك أستودع روحي» فترفع نظرنا إلى الرب، مهما كنا متعَبين أو مطارَدين.

في هذا المزمور نجد،

أولاً - الصلاة ملجأ المتألم (آيات ١-٨)

ثانياً - قصة المتألم (آيات ٩-١٨)

ثالثاً - صلاح الله (آيات ١٩-٢٢)

رابعاً - نصيحتان للأتقياء (آيتا ٢٣ و٢٤)

أولاً - الصلاة ملجأ المتألم

(آيات ١-٨)

يبدأ المرنم هذا المزمور بالصلاة، وبعد ذلك يرفع الشكوى. ربما لو كنّا مكانه لبدأنا بالشكوى وإعلان مشاعرنا بالإحساس بالألم والتذمر! ومن صاحب هذا المزمور نتعلم كيف نصلي في أوقاتنا الصعبة.

١ - خمسة أسباب دفعت المرنم إلى الصلاة:

(أ) ثقة المرنم: «عليك يا رب توكلت» (آية ١أ). ثقة المرنم في الرب جعلته يتوكل عليه، فيضع نفسه تحت الحماية الإلهية، ويصلي صلاة الواثق في الرب لأنه اختبره فوجده الوحيد الذي يستحق الثقة. لم يُخجله أبداً ولا أخزاه «حسب انتظاري ورجائي أني لا أُخزى في شيء» (في ١:٢٠). لذلك يكرر إعلان ثقته: «أما أنا فعلى الرب توكلت» (آية ٦ب) لأنه يدرك أن الله أب محب ينحني على طفله المتألم ويرفعه فوق الألم. وهو يعلن ثقته بقوله: «لأن صخرتي ومعقلي أنت» (آية ٣أ). والمعقل هو الجبل المرتفع، وهو الملجأ، وهو المكان الذي يلجأ إليه للحماية، ثم يقول: «لأنك أنت حصني» (آية ٤ب) «كنتُ فتى وقد شِخْت ولم أر صديقاً تُخلّي عنه» (مز ٣٧:٢٥).

(ب) اسم الله: «من أجل اسمك تهديني وتقودني» (آية ٣ب). غضب الرب على بني إسرائيل أثناء سفرهم في سيناء، لأنهم عبدوا عجلاً ذهبيا قالوا إنه أخرجهم من عبودية فرعون. فقال الرب لموسى إنه سيبيد الشعب المشرك كله ويبدأ بموسى شعباً جديدا. فقال موسى للرب: وماذا يقول المصريون عنك؟.. سيقولون إنك أخرجتهم من مصر بخبث، وقتلتهم في الصحراء!.. اذكُر عبيدك الذين حلفتَ لهم بنفسك، وقلت لهم إنك ستعطيهم أرض كنعان. ونجح موسى في شفاعته (خر ٣٢:٧-١٤). كان الله يمتحن أمانة موسى لرسالته: هل كان سيسعد بأن يصبح اسم الشعب «بني موسى» بدلاً من «بني إسرائيل»؟ وكان موسى يعرف «اسم الله» الذي يهدي ويقود لأنه كان قريباً من ربه، فحقق الله له طلبته.

(ج) ماضي الله مع المرنم: «فديتني يا رب إله الحق» (آية ٥ب). إله الحق صنع لداود فداءً ودفع الفدية لينقذه. والفدية العظمى والكبرى هي فداء المسيح لنا، فهو «الذبح العظيم» لأنه جاء من السماء، وصار خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه، فأخذ مكاننا وصار بديلاً عنا.

(د) **تقوى المرنم**: «أبغضتُ الذين يراعون أباطيل كاذبة» (آية ٦أ). والأباطيل الكاذبة هي الأوثان والأصنام وهي العرافة والتنجيم.

(هـ) **فرح المرنم**: «أبتهج وأفرح برحمتك» (آية ٧أ). في الماضي فرح برحمة الرب التي لم تعاقبه العقاب الذي يستحقه، وهو واثق أن هذه الرحمة مستمرة معه، لأن إلى الأبد رحمته (مز ١٣٨:٣).

٢ - المرنم يطلب ست طلبات:

(أ) **ألا يخزيه**: «لا تدعني أخزى مدى الدهر» (آية ١ب). كان يعلم أن شاول يطارده متجنّياً عليه. ويذكر أنه عندما كان ولداً يرعى الأغنام جاء صموئيل النبي ومسحه ملكاً، فصار منذ ذلك الوقت مسيح الرب. ولم يشأ أن يغتصب الوظيفة أو يخطفها، بل انتظر حتى يعطيها الله له، عالماً أن وعد الله صادق. صحيح أن شاول كان يريد تعطيل مقاصد الله، لكن لا بد أن تتمَّ إرادة الله فلا يخزى داود مدى الدهر. نعم، سيجلس على العرش، ويجيء من نسله «ابن داود» الذي ليس لمُلكه نهاية.

(ب) **أن ينقذه بسرعة**: «أمِل إليَّ أذنك. سريعاً أنقذني» (آية ٢أ). مضت سنوات وداود هارب من مكان إلى مكان لا يستقر في موضع. «أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهاراً وليلاً وهو متمهل عليهم؟ أقول لكم إنه ينصفهم سريعاً» (لو ١٨:٧ و٨). وهناك تناقض ظاهري بين «متمهّل عليهم» وبين «ينصفهم سريعاً». لكن لا يوجد تناقض حقيقي، فمن وجهة نظرنا نظن أن الله يتمهَّل علينا، لكن من وجهة نظره الإلهية ينصفنا سريعاً.

(ج) **أن يكون صخرته**: «كُن لي صخرة حصن، بيت ملجإ لتخليصي» (آية ٢ب). قال بطرس: «يا رب، إلى من نذهب؟ كلام الحياة الأبدية عندك» (يو ٦:٦٨). وقال سليمان: «اسم الرب برج حصين يركض إليه الصديق ويتمنَّع» (أم ١٨:١٠). وطلبة «كن لي صخرة حصن» قد تعني: كن لي من جديد صخرة حصن. أو: طمئِن نفسي من جديد. برهن لي أنك لا زلت كذلك، لأسكن عندك في أمان، وأقيم إقامة دائمة.

(د) **أن يهديه ويقوده**: «من أجل اسمك تهديني وتقودني» (آية ٣ب). يجري الطفل الصغير الخائف إلى أبيه، فيحتضنه ويطمئنه، ويجد عنده الحماية. وبعد أن يطمئن يجري بعيداً. لكن عند الأب دائماً نصيحة مفيدة لولده. قد يقول الأب: أنت خفت لأنك أخطأت في هذا الأمر. فلو انتظر الصغير بعد الطمأنينة قليلاً في حضن أبيه لسمع منه النصيحة والإرشاد. ونحن مثل الطفل، معلوماتنا محدودة نحتاج إلى أب مرشد، ونحن مسافرون نحتاج إلى دليل يرينا الطريق، ونحن جنود المسيح نحتاج أن نتلقَّى توجيهات القائد خطوة بعد خطوة. فلنرفع الطلبة دوماً: «من أجل اسمك تهديني وتقودني». في هذه الطلبة يقول داود للرب: أخذتُ منك الطمأنينة، لكني أريد أن أكون في حضنك قريباً من قلبك. فبمهارة يديك اهدني (مز ٧٨:٧٢).

(هـ) **أن يخرجه من الشبكة**: «أخرجني من الشبكة التي خبأوها لي» (آية ٤أ). الأعداء ماكرون أذكياء خبأوا شبكة للمرنم. صحيح أن قوتها كبيرة، لكن قوة الله أكبر. عملهم شرير، لكن الرب هو الصالح الذي يعمل الخير كله.

(و) **أن يقبل روحه:** «في يدك أستودع روحي» (آية ٥). عند الخوف من الوقوع في الخطية، وعند وجود الأعداء الروحيين المحيطين بنا، في يده نستودع روحنا لنجد الإنقاذ. وعند المرض والموت نستودعها بين يديه، لنسمع منه: «تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملكوت المعدّ لكم منذ تأسيس العالم» (مت ٢٥:٣٤).

٣ - أربعة أمور عملها الله مع المرنم في الماضي:

(ا) **نظر الله للمرنم:** «نظرتَ إلى مذلتي» (آية ٧ب). عادة لا يهتم البشر بالذليل، ويُبعِدون وجوههم عن المنظر المؤلم لأنهم لا يحبون أن يروا المآسي. لكن الله يمنح المؤمن الذليل المتألم عناية خاصة، كما قال لموسى: «رأيت مذلة شعبي الذي في مصر، وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم. إني علمت أوجاعهم، فنزلت لأنقذهم» (خر ٣:٧ و٨).

(ب) **عرف الله حالة المرنم:** «عرفتَ في الشدائد نفسي» (آية ٧ج). يعرف البشر بعضهم في وقت الرحب، وقليلاً ما يعرفون بعضهم في وقت الشدة، أما الرب فينظر ويعرف. كلنا ننظر للمتضايقين نظرة عابرة. فإذا كنا نهتم، فإننا نلقي النظرة الثانية المدقّقة التي تعرف تفاصيل تعب الإنسان الآخر وتساعده. أما الرب فإنه يلقي دائماً علينا النظرة المهتمّة المدقّقة الفاعلة. «كثيرة هي بلايا الصدّيق، ومن جميعها ينجيه الرب» (مز ٣٤:١٩).

(ج) **أنقذ الله المرنم:** «لم تحبسني في يد العدو» (آية ٨أ). صحيحٌ أن الله سمح لشاول أن يسعى وراء المرنم، لكنه لم يسلمه إلى يد شاول أبداً. عندما وصل شاول إلى مكان داود ليلقي القبض عليه، سأل داود الرب: «هل يسلّمني أهل قعيلة مع رجالي ليد شاول؟» فقال الرب: «يسلّمون» (١صم ٢٣:١٢). «وكان شاول يطلبه كل الأيام، ولكن لم يدفعه الله ليده» (١صم ٢٣:١٤).[؟] أعطى الرب شاول حرية الحركة، لأنه في حكمته وقوته يسمح بقيام الحزب المعارض الذي يعترض على التصرفات الإلهية. لكن قوة الرب الحاضرة دائماً تضع كل شيء في مكانه الصحيح، وتعيد كل أمر إلى نصابه!

(د) **الله رحّب للمرنم:** «أقمت في الرحب رجلي» (آية ٨ب). وفي ترجمة إنجليزية «وضعت رجلي في غرفة واسعة». أراد شاول أن يضعه في زنزانة أو في قبر، لكن الرب وضع رجله في غرفة متسعة، كما وُضع بولس وسيلا في السجن الداخلي، ولكن الرب فتح أبواب السجن وأطلقهما حُرَّين ليكرزا بدون عوائق (أع ١٦:٢٦). فالرب يفتح ولا أحد يغلق، ويقودنا من وجه الضيق إلى رَحبٍ لا حصر فيه! (أي ٣٦:١٦).

ثانياً - قصة المتألم

(آيات ٩-١٨)

١ - المرنم في ضيق داخلي: «ارحمني يا رب لأني في ضيق. خسِفت من الغم عيني» (آية ٩أ). خسفت بمعنى: دخلت إلى داخل فلم تعد ترى، فبسبب كثرة الغم لم تعُد عينه تظهر.

«نفسي وبطني» (آية ٩ب). عنده تقلصات حتى أنه لم يقدر أن يأكل. لم يقدر أن يستمتع بشيء، فقال: «يا رب ارحمني لأني في ضيق». فنيت حياته من الحزن، وسنوه بالتنهُّد. «ضعُفت بشقاوتي قوتي وبليَت عظامي» (آية ١٠ب). إنه يتساءل: إلى متى يجري شاول ورائي؟ أنت وعدتني يا رب وأنا بعد صغير أن أصبح ملكاً، ولكن كل هذه السنين وأنا أجري من مكان إلى آخر. هل عندما أصل إلى العرش أكون سليم الجسد لأقود الشعب؟ يا رب جسمي كله متعب!.. وعندما نخور تحت ثقل الآلام الجسدية والمشاكل النفسية، لنرفع هذه الطلبة.

٢ - **المرنم في ضيق خارجي:** «عند كل أعدائي صرتُ عاراً، وعند جيراني بالكلية، ورعباً لمعارفي. الذين رأوني خارجاً هربوا عني» (آية ١١). بسبب اضطهاد شاول له لم يشأ أحد أن تكون له علاقة به، لأنهم كانوا يخافون من غضب الملك، الذي قد يستجوبهم وأصدقاءهم ومعارفهم، أو قد يضطهدهم ويقتلهم كما قتل الكهنة في نوب (١صم ٢٢:١٨).

كان داود في ضيق من أعدائه، ومن جيرانه ومن معارفه! لم يبقَ له ملجأ بين البشر، فلجأ إلى الملجأ الذي لا يرفض لاجئاً. وكم نشكر الله لأن المسيح الذي تألم مجرَّباً في كل شيء مثلنا (ما عدا الخطية) يقدر أن يعين المجرَّبين، فقد باعه يهوذا، وأنكره بطرس، وتركه كل التلاميذ وهربوا، فقال: «وتتركونني وحدي، وأنا لستُ وحدي لأن الآب معي» (يو ١٦:٣٢).

٣ - **المرنم في ضيق من تقييم الناس له:** «نُسيت من القلب مثل الميت. صرتُ مثل إناء مُتلَف» (آية ١٢). صار مثل الميت، لا أحد يريد أن يذكر اسمه، كما قال أيوب: «أقاربي قد خذلوني، والذين عرفوني نسوني» (أي ١٩:١٤). رجال شُرطة الملك شاول السريون كانوا يتابعونه في كل مكان ليلقوا القبض عليه. صار مثل إناء مكسور بلا قيمة، لا يصلح لشيء إلا لأن يلقوه خارج البيت. إن أخطر شيء أن تضيع من الإنسان ثقته بنفسه!

٤ - **المرنم في ضيق من كلام الناس وفعلهم:** «لأني سمعت مذمَّةً من كثيرين. الخوف مستدير بي بمؤامراتهم معاً عليَّ. تفكروا في أخذ نفسي» (آية ١٣). مع أن داود كان مثل الميت، إلا أن الناس تكاتفوا ضده، واستمروا يُسمعونه شتائمهم، وهذه هي قساوة نسل الحية! قال النبي إرميا: «لأني سمعتُ مذمَّة من كثيرين. خوفٌ من كل جانب.. لكن الرب معي كجبار قدير. من أجل ذلك يعثر مضطهديَّ ولا يقدرون. خزوا جداً لأنهم لم ينجحوا، خزياً أبدياً لا يُنسى.. رنموا للرب.. لأنه قد أنقذ نفس المسكين من يد الأشرار» (إر ٢٠:١٠-١٣).

٥ - **عند المرنم بريق أملٍ وسط الشكوى:** «أما أنا فعليك توكلت يا رب. قلتُ: إلهي أنت. في يدك آجالي. نجِّني من يد أعدائي ومن الذين يطردونني. أضئ بوجهك على عبدك. خلِّصني برحمتك» (آيات ١٤-١٦). اشتكى داود لأن أعداءه شتموه وشوَّهوا سُمعته، حتى فقد ثقته بنفسه، لكنهم لم يقدروا أن يُفقدوه علاقته بالرب، ولا أن يضيِّعوا منه اعتماده على إلهه، فقال: «عليك توكلت». وبنى داود أمله على أمرين:

(أ) **على انتمائه لله:** «إلهي أنت» (آية ١٤ب). فقد اختار أن يكون للرب، فصار الرب لـه «حبيبي لي وأنا له» (نش ٢:١٦).

(ب) **على ان حياته بيد الله:** «في يدك آجالي» (آية ١٥أ). بمعنى أن «بداية حياتي» و«نهاية حياتي» في يد الرب. كما تعني أن الحياة كلها بكل ما فيها من تغيُّرات وأحزان وأفراح في يده. لن تكون حياة داود في يد شاول، ولا في يد أصدقاء داود أو أعدائه. لسنا متروكين للظروف، لكننا بين يدي إله محب.

وبناءً على هذين السببين طلب من الرب ثلاثة أمور:

(١) النجاة: «نجّني من يد أعدائي ومن الذين يطردونني» (آية ١٥ب).

(٢) الرضا: «أضئ بوجهك على عبدك» (آية ١٦أ). يطلب أن يبتسم له الرب ابتسامة الرضا فتنتهي آلامه رغم كثرتها.

(٣) الخلاص: «خلصني برحمتك» (آية ١٦ب). لا اعتماداً على استحقاق شخصي، بل على رحمة ترفع عن المؤمن العقاب الذي يستحقه، وعلى نعمة تمنح المؤمن ما لا يستحقه.

ولا شك أن المرنم كان يفكر في بركات المؤمنين الموعودة في البركة الكهنوتية: «يباركك الرب ويحرسك. يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك. يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً» (عدد ٦:٢٤-٢٦).

٦ - **المرنم يطلب عقاب الأشرار:** «يا رب، لا تدعني أخزى لأني دعوتُك. ليخْزَ الأشرار. ليسكتوا في الهاوية. لتبكم شفاه الكذب المتكلّمة على الصدّيق بوقاحة، بكبرياء واستهانة» (آيتا ١٧ و١٨). طلب المرنم أن لا يدعه الله يخزى مدى الدهر (آية ١)، بل أن يخزى الأشرار. طلب أن تكون آجاله في يد الرب (آية ١٥) وطلب للأشرار الموت فيسكتوا في قبورهم. طلب أن ينطلق لسانه بالتسبيح، وأن يخرس الكاذبون الساخرون منه. طلب أن يكون الرب صخرته ومعقله (آية ٣) وأن تبكم شفاه المتكبرين المستهينين به.

وأعتقد أن مؤمني العهد الجديد لا يصلون طالبين عقاب الأشرار، بل يطلبون لهم التوبة. قال إبراهام لنكلن: «أنا أقتل أعدائي بأن أجعل منهم أصدقاء».

ثالثاً - صلاح الله

(آيات ١٩-٢٢)

١ - **صلاحه كنز لخائفيه:** «ما أعظم جودك الذي ذخرته لخائفيك، وفعلته للمتكلين عليك تجاه بني البشر» (آية ١٩). هذا هتاف النصر، فكلما فكر المتعب في صلاح الله وجوده يتغلب على كل متاعبه، لأن جود الله كنز مذخّر يغتني المحتاج منه، ويلجأ إليه في كل وقت. إنه محفوظ للمؤمن

والمؤمن محفوظ له (ابط ١:٤ و٥). وكل «من يغلب فسأعطيه أن يأكل من المَن المُخفَى» (رؤ ٢:١٧). توجد بركات يحفظها الرب للمؤمنين ويخبئها لهم، وتوجد بركات معلنة. توجد بركات في الدهر الحاضر وبركات في الدهر الآتي. ويرى البشر في العلن ما يمنحه الله للمؤمنين في السر. «كل الذين يرونهم يعرفونهم أنهم نسلٌ باركه الرب» (إش ٦١:٩) كما قال داود: «ترتب قدامي مائدة تجاه مضايقيَّ» (مز ٢٣:٥).

٢ - **صلاحه يحرس خائفيه:** «تسترهم بستر وجهك من مكايد الناس. تخفيهم في مظلة من مخاصمة الألسن» (آية ٢٠). في ستر وجه الله نور لا تقدر الظلمة أن تدركه. وتذكر المزامير عدة أماكن يخبئ الرب أولاده فيها، فلا تطولهم مكايد الأشرار. هناك «ستر خيمته» (مز ٢٧:٥) و«ستر جناحيه» (مز ٦١:٤) و«الساكن في ستر العلي في ظل القدير يبيت» (مز ٩١:١). وهنا يقول: «تسترهم بستر وجهك».

٣ - **صلاحه يصحِّح مسار خائفيه:** «مبارك الرب لأنه جعل عجَباً رحمته لي في مدينة محصَّنة. وأنا قلت في حيرتي إني قد انقطعتُ من قدام عينيك، ولكنك سمعتَ صوت تضرُّعي إذ صرختُ إليك» (آيتا ٢١ و٢٢). هنا يصحح المؤمن مساره. لقد ظنَّ أنه انقطع من قدام عيني الرب، لأن شاول يطارده وهو لا يستقر في مكان. وأصاب اليأس منه مداه، فقال: «حياتي قد فنيت بالحزن وسنيني بالتنهُّد» (آية ١٠). وقد تبعه يونان في ذلك فقال: «قد طُردتُ من أمام عينيك، ولكنني أعود أنظر إلى هيكل قُدسك» (يون ٢:٤) فإن الصلاح الإلهي والرحمة السماوية أجريا معه العجائب. وبعد أن تكلم عن صلاح الرب أراد أن يتصرف التصرُّف الذي يتناسب مع هذا الصلاح. ظهر له أنه كان مخطئاً لما ظنَّ أن الرب نسيه، لأنه بنى ظنَّه على معلومات خاطئة. وكلما فكر المؤمن في الصلاح الإلهي أصلح أفكاره من نحو الله. فالله لم ينس ولم يهمل أولاده أبداً.

رابعاً - نصيحتان للأتقياء

(آيتا ٢٢ و٢٤)

هاتان النصيحتان صادرتان من قلب مختبر، فهما في منتهى الأهمية:

١ - **أحبُّوا الرب:** «أحبوا الرب يا جميع أتقيائه» (آية ٢٣أ). الوصية الأولى والعظمى هي: «تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك» وأضاف المسيح: «ومن كل فكرك» (تث ٦:٥ ومت ٢٢:٣٧). والذي يحب الرب يطيعه، ويقرأ كلمته، ويكلمه، ويحتذي مثاله. فليكن فينا فكر المسيح.

ويقدم المرنم سببين لحب الرب:

(أ) لأن الرب أمين: «الرب حافظ الأمانة» (آية ٢٣ب) هذه رحمته وأمانته. دائماً يوفي بوعوده، فلنكن نحن أيضاً أمناء في عهودنا معه.

(ب) لأن الرب **يجازي** المتكبرين: «ومجازٍ بكثرة العامل بالكبرياء» (آية ٢٣ج). وهذه عدالته.

٢ – **تشجَّعوا بالرب:** «لتتشدَّد ولتتشجَّع قلوبُكم يا جميع المنتظرين الرب» (آية ٢٤). «شددوا الأيادي المسترخية، والرُكب المرتعشة ثبِّتوها. قولوا لخائفي القلوب: تشددوا لا تخافوا. هوذا إلهكم. الانتقام يأتي، جزاء الله هو يأتي ويخلصكم» (إش ٣:٣٥ و٤).

وينهي المرنم هذا المزمور بما أنهى به مزمور ٢٧ بطلب انتظار الرب. وكل من ينتظر الرب ينال قوة من عنده، ولا يعوزه شيء من الخير. فلننتظر الرب الذي في يده نستودع روحنا.

المزمور الثاني والثلاثون

لِدَاوُدَ. قَصِيدَةٌ

١ طُوبَى لِلَّذِي غُفِرَ إِثْمُهُ وَسُتِرَتْ خَطِيَّتُهُ. ٢ طُوبَى لِرَجُلٍ لَا يَحْسِبُ لَهُ ٱلرَّبُّ خَطِيَّةً،
وَلَا فِي رُوحِهِ غِشٌّ.
٣ لَمَّا سَكَتُّ بَلِيَتْ عِظَامِي مِنْ زَفِيرِي ٱلْيَوْمَ كُلَّهُ، ٤ لِأَنَّ يَدَكَ ثَقُلَتْ عَلَيَّ نَهَاراً وَلَيْلًا.
تَحَوَّلَتْ رُطُوبَتِي إِلَى يُبُوسَةِ ٱلْقَيْظِ. سِلَاهْ. ٥ أَعْتَرِفُ لَكَ بِخَطِيَّتِي وَلَا أَكْتُمُ إِثْمِي. قُلْتُ:
«أَعْتَرِفُ لِلرَّبِّ بِذَنْبِي» وَأَنْتَ رَفَعْتَ أَثَامَ خَطِيَّتِي. سِلَاهْ. ٦ لِهٰذَا يُصَلِّي لَكَ كُلُّ تَقِيٍّ فِي
وَقْتٍ يَجِدُكَ فِيهِ. عِنْدَ غَمَارَةِ ٱلْمِيَاهِ ٱلْكَثِيرَةِ إِيَّاهُ لَا تُصِيبُ. ٧ أَنْتَ سِتْرٌ لِي. مِنَ ٱلضِّيقِ
تَحْفَظُنِي. بِتَرَنُّمِ ٱلنَّجَاةِ تَكْتَنِفُنِي. سِلَاهْ.
٨ أُعَلِّمُكَ وَأُرْشِدُكَ ٱلطَّرِيقَ ٱلَّتِي تَسْلُكُهَا. أَنْصَحُكَ. عَيْنِي عَلَيْكَ. ٩ لَا تَكُونُوا
كَفَرَسٍ أَوْ بَغْلٍ بِلَا فَهْمٍ. بِلِجَامٍ وَزِمَامٍ زِينَتِهِ يُكَمُّ لِئَلَّا يَدْنُوَ إِلَيْكَ. ١٠ كَثِيرَةٌ هِيَ
نَكَبَاتُ ٱلشِّرِّيرِ، أَمَّا ٱلْمُتَوَكِّلُ عَلَى ٱلرَّبِّ فَٱلرَّحْمَةُ تُحِيطُ بِهِ. ١١ ٱفْرَحُوا بِٱلرَّبِّ
وَٱبْتَهِجُوا يَا أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُونَ، وَٱهْتِفُوا يَا جَمِيعَ ٱلْمُسْتَقِيمِي ٱلْقُلُوبِ.

التوبة وفرح الغفران

هذا واحد من مزامير التوبة السبعة (٦ و ٣٢ و٣٨ و ٥١ و ١٠٢ و ١٣٠ و١٤٣). ونرجو من القارئ أن يعود إلى مقدمة مزمور ٦. ويحمل مزمور ٣٢ عنوان «قصيدة» وهي كلمة عبرية قديمة لا تحمل المعنى الذي نفهمه منها اليوم، لأنها تُرجمت في ٢أخ ٣٠:٢٢ «فطنة» فهي تعني التأمل في مراحم الله الذي يغفر خطايا شعبه، فيتفطّن الإنسان ويزداد حكمة. وهناك صلة بين مزمورنا ومزمور ٥١ الذي كتبه داود بعد سقوطه في خطيته المعروفة، فقد كتب مزمور ٣٢ بعد أن تأكد من غفران خطاياه، ونوال السلام القلبي. أما مزمور ٥١ فقد كتبه بعد أن أخطأ، فطلب الغفران.

في هذا المزمور نجد،

أولاً – ضرورة الاعتراف بالخطية (آيات ١–٧)

ثانياً – خطورة عدم الاعتراف بالخطية (آيتا ٨ و ٩)

ثالثاً – نكبات الشرير ومباهج الصديق (آيتا ١٠ و ١١)

أولاً - ضرورة الاعتراف بالخطية

(آيات ١-٧)

١ - **الاعتراف أساس نوال بهجة الغفران:** «طوبى للذي غُفر إثمه وسُترت خطيته. طوبى لرجل لا يحسب له الرب خطية ولا في روحه غش» (آيتا ١ و٢). طوَّب المزمور الأول مَن لا يخطئ، ولكن سليمان قال في صلاة تدشين الهيكل: «ليس إنسان لا يخطئ» (امل ٨:٤٦) فكان لا بد من تطويب مَن يتوب عن خطيته فيغفر الله له. فما أسعد من لا يحسب له الرب خطيته، لأنه اعترف بها وتاب عنها، وما أتعس من يصلي في نفسه: «اللهم أنا أشكرك أني لستُ مثل باقي الناس..». وسعيد هو المعترف بذنبه، الذي يصلي: «اللهم ارحمني أنا الخاطئ» (لو ١٨:٩-١٤) لأنه يختبر القول: «لهذا رُحمتُ، ليُظهِر يسوع المسيح فيَّ أنا أولاً كل أناة، مثالاً للعتيدين أن يؤمنوا به للحياة الأبدية» (١تي ١:١٦). وهذا الغفران يحوّل جحيم الخاطئ إلى سعادة أبدية. ويصف المرنم البُعد عن الله بثلاث كلمات:

(أ) **إثم:** وهو العوَج. وطوبى للذي غُفر عوجه، بمعنى أن إثمه رُفع عنه، فلم يعد يثقل كاهله. طوبى لمن ألقى آثامه على «حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو ١:٢٩) فهو الذي حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين (إش ٥٣:١٢).

(ب) **خطية:** وهي عدم إصابة الهدف. وطوبى لمن سُترت خطيته. والستر هو المحو أو التغطية، فلا يعود القاضي الديان يراها، لأن «دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية» (١يو ١:٧).

(ج) **غش:** وهو الفساد الأخلاقي والخداع. وطوبى لمن لا يحسب له الرب غشه، كما قال شمعي بن جيرا لداود: «لا يحسب لي سيدي إثماً، ولا تذكر ما افترى به عبدك» (٢صم ١٩:١٩). وكم نشكر المسيح الذي دفع ديوننا وفدانا بذبحه العظيم. فلنلجأ إلى نعمة فدائه دون اعتماد على صلاحنا، فإن «الذي يعمل لا تُحسب له الأجرة على سبيل نعمة بل على سبيل دَيْن. وأما الذي لا يعمل، ولكن يؤمن بالذي يبرِّر الفاجر، فإيمانه يُحسَب له براً، كما يقول داود في تطويب الإنسان الذي يَحسِب له الله براً بدون أعمال: طوبى للذين غُفرت آثامهم وسُترت خطاياهم. طوبى للرجل الذي لا يحسب له الرب خطية» (رو ٤:٤-٨). وهذا يعني أننا لا نقدر أن نفعل شيئاً ليُذهِب عنا سيئاتنا، فالنفس التي تخطئ تموت. وبسبب عجزنا عن ستر نفوسنا مات المسيح ليكفِّر عنا ويفدينا ويسدِّد ديوننا.

ولا يمكن أن تُستر خطايانا إلا بدم كفارته. عندها نكتسب العلاقة السليمة مع الله، فيشرق وجهه علينا ويبتسم لنا ابتسامة الرضا، فيصير لنا الفرح. وما أعظم نعمة الله التي وضعت نهايةً لإثم الأثيم بالغفران، ولخطية الخاطئ بستر الكفارة، ولغش الغشاش باحتساب بر المسيح له! فالنعمة السماوية لا تحسب للخاطئ المعترف التائب خطاياه، إنما تحسب له بر المسيح، ويكمن سرّ هذا «الحسبان» في القول: «إن كان واحدٌ قد مات لأجل الجميع، فالجميع إذاً ماتوا.. أي إن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه، غير حاسبٍ لهم خطاياهم» (٢كو ٥:١٤ و١٩).

٢ - **بؤس عدم الاعتراف:** «لما سكتُّ بليت عظامي من زفيري اليوم كله، لأن يدك ثقُلت عليَّ نهاراً وليلاً. تحولت رطوبتي إلى يبوسة القيظ» (آيتا ٣ و٤). عندما أخطأ المرنم رفض أن يعترف بخطيته أمام نفسه، ثم لله، ثم لمن أساء إليهم. وكلما حاول الإنسان أن يخفي خطيته زادت نيران الشعور بالذنب داخله. ولكن الله لم يترك داود في بؤس عدم الاعتراف لأنه يحبه، فأوقع عليه العقاب الثقيل، فاستيقظ ضميره واعترف بخطيته. يبدو أن مرض الحمى أصابه، فأخذ يزفر كالأسد الجريح «والروح المنسحقة تجفف العظم» (أم ١٧:٢٢). لقد فصل المرنم نفسه عن ينبوع الماء الحي فتحولت رطوبته إلى يبوسة الجو القائظ. كان ألمه الجسدي والنفسي عظيماً ومستمراً وبلا علاج، حتى اعترف. فما أشقى من لا يعترف بذنبه، وما أسعد من يعترف به. في مثل هذا الموقف قال داود: «لأن سهامك قد انتشبت فيَّ، ونزلت عليَّ يدك. ليست في جسدي صحة من جهة غضبك. ليست في عظامي سلامة من جهة خطيتي» (مز ٣٨:٢ و٣). حقاً «مَن يكتم خطاياه لا ينجح، ومن يقرُّ بها ويتركها يُرحَم» (أم ٢٨:١٣).

٣ - **الاعتراف يجيء بالغفران:** «قلتُ أعترف للرب بذنبي وأنت رفعتَ آثام خطيتي» (آية ٥). ما أعظم سعادة النفس المعترفة اعترافاً كاملاً وصريحاً لأنها تختبر غفران الله، ويحدث فيها تغيير كامل. قال القديس ترتليان «كلما قلَّ صفحُك عن نفسك زاد صفح الله لك». لقد رفع الله عن كاهل المرنم ثقل إثمه، وأطلقه في حرية مجد أولاد الله (رو ٨:٢١).

٤ - **دعوة للاعتراف:** «لهذا يصلي لك كل تقي في وقت يجدك فيه. عند غمارة المياه الكثيرة إياه لا تُصيب. أنت سترٌ لي من الضيق تحفظني. بترنم النجاة تكتنفني» (آيتا ٦ و٧). لما كان الاعتراف لله بالخطية أساس بهجة نوال الغفران، ولما كان عدم الاعتراف يؤدي إلى البؤس، فإن التقي الذي يخاف الله يصلي طالباً الغفران في كل وقت يجد الله فيه، وهو الآن! «هوذا الآن وقت مقبول. هوذا الآن يوم خلاص.. اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسّوا قلوبكم» (٢كو ٦:٢ وعب ٣:٧ و٨). قال المسيح: «من يُقبل إليَّ لا أخرجه خارجاً» (يو ٦:٣٧) وقال الله: «التفتوا إليَّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض لأني أنا الله وليس آخر» (إش ٤٥:٢٢). إنه الآن! «أما أنا فلك صلاتي يا رب في وقت رضى» (مز ٦٩:١٣) فقد تضيع الفرصة ويسمعون الله يقول: «حينئذ يدعونني فلا أستجيب.. لم يرضَوْا مشورتي» (أم ١:٢٨ و٣٠). ويذكر المرنم أربع بركات نالها المعترف:

(أ) نال النجاة: «عند غمارة المياه الكثيرة إياه لا تصيب» (آية ٦ب). والغمارة هي الطوفان الكبير الذي يهلك الخاطئ، ولكنه لا يصل للمؤمن الواقف على الصخر الذي يشبه الناجين في فلك نوح.. كانت غمارة المياه تسقط على كل سكان الأرض وتقتلهم، ولكن المحتمي في الفلك «إياه لا تصيب». فلنحتَمِ في المسيح فُلك نجاتنا لأنه كفارة خطايانا.

(ب) نال الستر: «أنت ستر لي» (آية ٧أ). «لأنه يخبئني في مظلته في يوم الشر. يسترني بستر خيمته. على صَخرة يرفعني» (مز ٢٧:٥) «تسترهم بستر وجهك من مكايد الناس» (مز ٣١:٢٠) «الساكن في ستر العلي في ظل القدير يبيت» (مز ٩١:١).

(ج) نال **الحفظ**: «من الضيق تحفظني» (آية ٧ب). كل من يستره الله يعيش في الحفظ الإلهي، ولا يضره شيء. حقاً «في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلّصهم» (إش ٦٣:٩).

(د) نال **الفرح**: «بترنُّم النجاة تكتنفني» (آية ٧ج). فيحيط الترنيم به حيثما ذهب، لأنه يكون فرحٌ في السماء بخاطئ واحد يتوب.. ويكون فرحٌ قدام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب (لو ١٥:٧ و١٠). «حينئذٍ امتلأت أفواهنا ضحكاً وألسنتنا ترنُّماً» (مز ١٢٦:٢).

ثانياً - خطورة عدم الاعتراف بالخطية
(آيتا ٨ و٩)

١ - **عدم الاعتراف يعطل خطة الله**: «أعلّمك وأرشدك الطريق التي تسلكها» (آية ٨أ). استجابةً لصلاة المرنم المعترف التائب يكلّمه الله بكلمة تعليم وإرشاد. لقد وضع الله خطة صالحة لحياة كل واحد منا، وهو يعلّمنا ويرشدنا إلى طرقه، وينصحنا ونحن نسير فيها، ويراقبنا ويتابعنا بعين محبته. «الرب صالح ومستقيم، لذلك يعلّم الخطاة الطريق.. مَن هو الإنسان الخائف الرب؟ يعلمه طريقاً يختاره» (مز ٢٥:٨ و١٢).

ينادينا الله بصوت الحب ليردّنا إليه في عظة نسمعها في كنيسة، أو بصدمة في حادث، أو في فقدان أموال، أو في خيانة صديق، أو بآية كتابية تهز القلب والمشاعر، أو بتأثير وقدوة صديق صالح. ويقول: «أنصحك. عيني عليك» (آية ٨ب) لأنه يريدنا أن نسلك في طريق مستقيم، باختيارنا الحر، تحت قيادته وحمايته. ولكن عندما نعاند صوته، ونستمر في خطايانا ولا نعترف بها ولا نتوب عنها، نعطل خطته الحلوة الصالحة لحياتنا.

٢ - **عدم الاعتراف يدمّر قُوى النفس**: «لا تكونوا كفرس أو بغل بلا فهم. بلجام وزمام زينته يكمُّ» (آية ٩). وجاءت في ترجمة دار المشرق: «لا تكُن كالفرس والبغل بغير فهم. بشكيمةٍ ورَسَنٍ يُكبَح جماحهما لكي لا يقتربا منك»». هذا تحذير لكل من يتغافل خطة الله لحياته ويرفض طاعته. يصير كالبغل الذي يرمز للعناد، وكالفرس الجامح. ويضع الناس لجاماً في فم الفرس أو البغل، للزينة وللتوجيه، ليخضع الحيوان لصاحبه. فإن لم يقترب الإنسان من الله ويطيعه بكامل حريته واختياره يصير كالحيوان الجامح الذي يحتاج إلى لجام وزمام حتى يصبح طوع أمر صاحبه «لئلا يدنو» إلى صاحبه فيهاجمه ويضره ويؤذيه. والإنسان الذي في كرامة ولا يفهم يشبه البهائم التي تُباد (مز ٤٩:٢٠).

إننا لا نحتاج إلى لجام لأن الله أعطانا عقولاً. لكن عندما نسلك في جهلٍ وعناد كالحيوان، يستخدم الله معنا القسوة ليُرجعنا إليه. فلا نكون معاندين مثل قايين الذي قال الله له: «لماذا سقط وجهك؟ إن أحسنتَ أفلا رفع؟ وإن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة» (تك ٤:٦ و٧). ولكن قايين لم يحسن! ولا نكن معاندين مثل بلعام الذي عصى الرب وأحب أجرة الإثم، ولكنه حصل على توبيخ تعدّيه، إذ منع حماقته حمارٌ أعجم ناطقاً بصوت إنسان (عدد ٢٢ و٢بط ٢:١٥ و١٦).

ثالثاً - نكبات الشرير ومباهج الصديق
(آيتا ١٠ و١١)

في هاتين الآيتين مقارنة بين مصير الشرير والصديق، وهي دعوة للاعتراف بالخطية وللتوبة.

١ - نكبات الشرير كثيرة: «كثيرة هي نكبات الشرير» (آية ١٠أ). لا نكبة واحدة بل نكبات متتابعة! تُرى هل تستحق الخطية كل الثمن المدفوع فيها؟ «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟ أو ماذا يعطي الإنسان فداءً عن نفسه؟» (مت ٢٦:١٦). ما أكثر نكبات الشرير التي جلبها على نفسه لأنه قاوم المشيئة الإلهية، ثم رفض الاعتراف بخطيته، مع أن الله دعاه للتوبة مراراً، فجاء الشيطان وخطف ما قد زُرِع في قلبه (مت ١٩:١٣).

٢ - مراحم الصديق عظيمة: «أما المتوكل على الرب فالرحمة تحيط به» (آية ١٠ ب). المتوكل على الرب هو الذي يتصرف في نور كلمة الله، معتمداً على المواعيد الإلهية، ومطيعاً للتوجيهات السماوية، فيقول: «إنما خير ورحمة يتبعانني كل أيام حياتي» (مز ٦:٢٣) فالرحمة والحق ملاكان حارسان يتبعان المؤمن. وعندما يعترف الإنسان ويتوب يصبح صدّيقاً باراً صاحب موقف سليم نحو الله، يقول: «إذ قد تبرَّرنا بالإيمان لنا سلام مع الله» (رو ١:٥). ويصير قلبه مستقيماً لأنه يتجه الاتجاه السليم من الله، مثل العشار الذي صلى: اللهم ارحمني أنا الخاطئ، فنزل إلى بيته مبرَّراً صدّيقاً مستقيم القلب. هذا التائب وأمثاله تحيطهم المراحم إحاطة السوار بالمعصم، فيفرحون ويبتهجون بالرب كل حين (في ٤:٤) ويصير فرح الرب قوتهم (نح ١٠:٨).

ما أكثر الذين يطلبون المراحم الأرضية، من صحة وبنين ومال وراحة بال. ولكن ما أحوجهم لأن يطلبوا أولاً ملكوت الله وبره فيزيد الله لهم هذه كلها (مت ٣٣:٦) وبداية طلب الملكوت هي الاعتراف بالخطية وطلب الغفران واتخاذ الموقف السليم من الله.

والآية الأخيرة من مزمورنا تطبيق للآية الأولى منه. تقول بداية المزمور: «طوبى للذي غُفر إثمه» وتقول نهايته: «افرحوا بالرب وابتهجوا أيها الصدّيقون» (آية ١١أ). يا من حُسب لكم برُّ الرب، وقد تبرَّرتم بنعمته بالفداء الذي بالمسيح. «اهتفوا يا جميع المستقيمي القلوب» (آية ١١ب) لأن الله لا يحسبكم آثمين، فقد غفر إثمكم بعد أن اعترفتم به، فاعتبركم مستقيمين. صحيح أنكم أخطأتم الهدف، لكن بعد توبتكم عرفتم الهدف الصحيح، فجدَّد الله حياتكم وغيَّرها، وجمَّلها بخلاصه، ورفع عنكم خطاياكم، وملأ أفواهكم بالتهليل والتسبيح له. ليس الفرح امتيازكم فقط، لكنه واجبكم أيضاً! لا مكان للتذمُّر ولا للحزن في ما بعد!

لنرجع إلى الرب تائبين فيرحمنا ويكثر لنا الغفران (إش ٧:٥٥).

المزمور الثالث والثلاثون

١ اِهْتِفُوا أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُونَ بِٱلرَّبِّ. بِٱلْمُسْتَقِيمِينَ يَلِيقُ ٱلتَّسْبِيحُ. ٢ اِحْمَدُوا ٱلرَّبَّ
بِٱلْعُودِ. بِرَبَابَةٍ ذَاتِ عَشَرَةِ أَوْتَارٍ رَنِّمُوا لَهُ. ٣ غَنُّوا لَهُ أُغْنِيَةً جَدِيدَةً. أَحْسِنُوا ٱلْعَزْفَ
بِهُتَافٍ. ٤ لِأَنَّ كَلِمَةَ ٱلرَّبِّ مُسْتَقِيمَةٌ، وَكُلَّ صُنْعِهِ بِٱلْأَمَانَةِ. ٥ يُحِبُّ ٱلْبِرَّ وَٱلْعَدْلَ.
ٱمْتَلَأَتِ ٱلْأَرْضُ مِنْ رَحْمَةِ ٱلرَّبِّ. ٦ بِكَلِمَةِ ٱلرَّبِّ صُنِعَتِ ٱلسَّمَاوَاتُ وَبِنَسَمَةِ فَمِهِ كُلُّ
جُنُودِهَا. ٧ يَجْمَعُ كَنَدٍّ أَمْوَاهَ ٱلْيَمِّ. يَجْعَلُ ٱللُّجَجَ فِي أَهْرَاءٍ. ٨ لِتَخْشَ ٱلرَّبَّ كُلُّ
ٱلْأَرْضِ، وَمِنْهُ لِيَخَفْ كُلُّ سُكَّانِ ٱلْمَسْكُونَةِ. ٩ لِأَنَّهُ قَالَ فَكَانَ. هُوَ أَمَرَ فَصَارَ.
١٠ ٱلرَّبُّ أَبْطَلَ مُؤَامَرَةَ ٱلْأُمَمِ. لَاشَى أَفْكَارَ ٱلشُّعُوبِ. ١١ أَمَّا مُؤَامَرَةُ ٱلرَّبِّ فَإِلَى
ٱلْأَبَدِ تَثْبُتُ. أَفْكَارُ قَلْبِهِ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ.
١٢ طُوبَى لِلْأُمَّةِ ٱلَّتِي ٱلرَّبُّ إِلٰهُهَا، ٱلشَّعْبِ ٱلَّذِي ٱخْتَارَهُ مِيرَاثاً لِنَفْسِهِ. ١٣ مِنَ
ٱلسَّمَاوَاتِ نَظَرَ ٱلرَّبُّ. رَأَى جَمِيعَ بَنِي ٱلْبَشَرِ. ١٤ مِنْ مَكَانِ سُكْنَاهُ تَطَلَّعَ إِلَى جَمِيعِ
سُكَّانِ ٱلْأَرْضِ. ١٥ ٱلْمُصَوِّرُ قُلُوبَهُمْ جَمِيعاً، ٱلْمُنْتَبِهُ إِلَى كُلِّ أَعْمَالِهِمْ. ١٦ لَنْ يَخْلُصَ ٱلْمَلِكُ
بِكَثْرَةِ ٱلْجَيْشِ. ٱلْجَبَّارُ لَا يُنْقَذُ بِعِظَمِ ٱلْقُوَّةِ. ١٧ بَاطِلٌ هُوَ ٱلْفَرَسُ لِأَجْلِ ٱلْخَلَاصِ،
وَبِشِدَّةِ قُوَّتِهِ لَا يُنَجِّي. ١٨ هُوَذَا عَيْنُ ٱلرَّبِّ عَلَى خَائِفِيهِ ٱلرَّاجِينَ رَحْمَتَهُ، ١٩ لِيُنَجِّيَ مِنَ
ٱلْمَوْتِ أَنْفُسَهُمْ، وَلِيَسْتَحْيِيَهُمْ فِي ٱلْجُوعِ.
٢٠ أَنْفُسُنَا ٱنْتَظَرَتِ ٱلرَّبَّ. مَعُونَتُنَا وَتُرْسُنَا هُوَ. ٢١ لِأَنَّهُ بِهِ تَفْرَحُ قُلُوبُنَا، لِأَنَّنَا عَلَى
ٱسْمِهِ ٱلْقُدُّوسِ ٱتَّكَلْنَا. ٢٢ لِتَكُنْ يَا رَبُّ رَحْمَتُكَ عَلَيْنَا حَسْبَمَا ٱنْتَظَرْنَاكَ.

دعوة للتسبيح

هذا المزمور دعوة للفرح والتسبيح لله بعد أن أنعم الله بالغفران على المرنم الذي اعترف بخطيته في مزمور ٣٢، وتأكد أن الله ستر خطيته، فقال: «طوبى للذي غُفر إثمه وسُترت خطيته» (آية ١) وأنهى مزموره بأن دعا المؤمنين: «افرحوا بالرب وابتهجوا يا أيها الصديقون، واهتفوا يا جميع المستقيمي القلوب» (آية ١١). ثم بدأ مزمور ٣٣ بذات الدعوة: «اهتفوا أيها الصدّيقون. بالمستقيمين يليق التسبيح. احمدوا الرب بالعود. غنوا له أغنية جديدة». فالذين متّعهم الرب بمغفرة خطاياهم يجتمعون معاً ليرتلوا ويشجّعوا بعضهم بعضاً على أن يغنّوا أغنية شكر جديدة، يمجدون فيها الله من

أجل صفاته وأعماله، فهو الخالق والملك والقاضي والمخلّص، الذي بدأت العلاقة السليمة معه بالغفران والقبول أمامه، فيهتف الصدّيقون ويعظمونه، ويعلنون ثقتهم فيه، وينتظرونه في خشوع.

في مباريات كرة القدم لا تُحسَب الأهداف إلا لأعضاء الفريق. صحيحٌ أن المتفرجين يراقبون، لكن لو قام أحدهم بإصابة الهدف فإنه لا يُحتسب له. فإن كنت تريد أن تصيب الهدف الذي خلقك الله لأجله، وأن تتمتع بالفرح الروحي، لا تكتفِ بأن تكون من المشاهدين، بل من المشتركين المختبرين، بأن تنضم لجماعة الرب فتنعم بالفرح الحقيقي الذي يمتع الله به الذين لا يحسب لهم خطية بعد أن وضعوا ثقتهم في كفارة المسيح، وتنادي معهم: «احمدوا الرب بالعود. بربابة ذات عشرة أوتار رنّموا له. أحسنوا العزف بهتاف» فإن إلهنا يستحق كل ترتيل وتمجيد وتسبيح، لأنه قَبِلَنا بالرغم من خطيتنا، وأنعم علينا بحلول المسيح بالإيمان في قلوبنا، فصرنا فيه خليقة جديدة.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – دعوة المؤمنين للتسبيح (آيات ١–٣)

ثانياً – تسبيح إله الخليقة (آيات ٤–١١)

ثالثاً – تسبيح إله البشر (آيات ١٢–١٩)

رابعاً – كيف يكون التسبيح؟ (آيات ٢٠–٢٢)

أولاً - دعوة المؤمنين للتسبيح

(آيات ١-٣)

١ – وصف المسبِّحين:

(أ) **هم الصدّيقون:** «اهتفوا أيها الصدّيقون بالرب» (آية ١أ). نال المؤمنون موقفاً جديداً من الله هو موقف الصدّيقين، أي المبرَّرين. فبعد أن كانوا خطاة منفصلين عنه صاروا صدّيقين أصحاب موقف سليم منه، يتلقّون الدعوة لأن يهتفوا ويسبحوا الرب الذي برَّرهم وغفر لهم. «فإذ قد تبرَّرنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح» (رو ٥:١) لأنه قد حُسب لنا بر المسيح. ومعروف أن «الكل قد زاغوا معاً. فسدوا. ليس من يعمل صلاحاً. ليس ولا واحد» (مز ١٤:٣). لكن الصدّيق المستقيم الصالح البار هو الذي احتمى في دم المسيح فستَرَهُ، وقرر في قلبه أن يحيا حياة الاستقامة.

(ب) **هم المستقيمون:** «بالمستقيمين يليق التسبيح» (آية ١ب). الصدّيق هو المستقيم. كان يوسف الصدّيق مستقيماً رفض الدعوة العوجاء من سيدته فلم يرتكب الإثم (الذي هو العوَج). هؤلاء الصدّيقون المستقيمون صارت لهم طبيعة جديدة، يليق بصاحبها أن يسبّح، لأن الله أنعم عليه بالتبني، فهو يسبح أباه المعتني به، الذي له علاقة شخصية معه. «ذابح الحمد يمجدني» (مز ٥٠:٢٣). أما الخاطئ فلا يفرح بالتسبيح لأنه منفصلٌ عن الله، ولا علاقة له به.

٢ - آلات المسبِّحين: «احمدوا الرب بالعود. بربابة ذات عشرة أوتار رنِّموا له» (آية ٢). يشترك المؤمنون مع كل خليقة الله في الترنيم والتسبيح لله، فالجبال تغني (إش ٥٥:١٢) وأشجار الوعر تغني (١أي ١٦:٣٣) والأودية تغني (مز ٦٥:١٣) وكواكب الصبح معاً وجميع بني الله (أي ٣٨:٧). وفي سفر الرؤيا نقرأ عن ترنيم ١٤٤ ألف مؤمن كُتب اسم الرب على جباههم، يعزفون بقيثاراتهم ويرنمون ترنيمة جديدة أمام العرش (رؤ ١٤:١-٥).

وفي التسبيح كلمات، ولحن، وأصواتٌ، وآلات موسيقية:

(أ) هناك الكلمات: وهي نتيجة انفعال مؤمن يحب الرب، لأنه لمس قلبه بإحسانه، ففاض بكلام صالح، وأنشد قصيدة يمجِّده بها، لأن مراحمه لا تزول وهي جديدة في كل صباح (مرا ٣:٢٢ و٢٣). وقد ينفعل المؤمن نفسه فيضع لكلمات تسبيحه لحناً موسيقياً مناسباً، أو قد يقرأ الكلمات مؤمنٌ آخر فيتأثر بها ويلحّنها لمجد الرب.

(ب) وهناك الأصوات: ترتفع وتشدو بالترتيل، بعضها جميل يرنم في الجوقة، وبعضها يعوزه الجمال، ولكنها كلها تشترك في تسبيح الرب وشكره، لأنه وهبها التبرير والموقف السليم منه، وأعطاها الحياة الجديدة ولسان الترنم، فالترتيل واجب كما أنه امتياز.

(ج) وهناك الآلات الموسيقية: تصاحب الترنيم لتُضفي عليه جمالاً، من عود وربابة ذات عشرة أوتار، وهي أفضل آلات العزف في زمان المرنم. لكن حتى لو لم تكن هناك آلات عزف فإن المؤمنين يترنمون ويرتلون في قلوبهم للرب (أف ٥:١٩). وفي هذا التسبيح تشابه وجِدَّة «غنّوا له أغنية جديدة. أحسِنوا العزف بالهتاف» (آية ٣). ويرنم المؤمن في تسابيح فردية أو مع المؤمنين في شركة جماعية.

ثانياً - تسبيح إله الخليقة
(آيات ٤-١١)

تسبّح كل الخليقة إلهها:

١ - بسبب استقامته وأمانته: «لأن كلمة الرب مستقيمة، وكل صُنعه بالأمانة. يحب البر والعدل. امتلأت الأرض من رحمة الرب» (آيتا ٤ و٥). كلمات الرب وأفعاله مستقيمة وأمينة، وكلاهما يعلنان عن إرادته الصالحة. «كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي من فوق، نازلة من عند أبي الأنوار، الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران» (يع ١:١٧). لهذا يهتفون له: «العدل والحق قاعدة كرسيّك. الرحمة والأمانة تتقدَّمان أمام وجهك» (مز ٨٩:١٤). تشهد الطبيعة لأمانته بصدق قوانينها، فيمكنك مثلاً أن تعتمد دائماً على قانون الجاذبية، وتستخدمه في حياتك. وتعلّمنا صدق قوانين الله أن أمانته مطلقة، وأنه كثير الإحسان والوفاء (خر ٣٤:٦).

٢ - بسبب عظيم قوته: «بكلمة الرب صُنعت السموات وبنسمة فمه كل جنودها» (آية ٦). خلق الله السموات بكل ما فيها من كواكب وملائكة. «كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان»

(يو ١ :٣). «مَن جمع الريح في حَفنتيه؟ مَن صرَّ المياه في ثوب؟ من ثبَّت جميع أطراف الأرض؟ ما اسمه، وما اسم ابنه إن عرفت؟» (أم ٣٠ :٤). و«جنود السماء» هم الشمس والقمر والنجوم لأنها تتحرك كجيش منضبط طاعةً لأمر الله «ارفعوا إلى العلاء عيونكم وانظروا. من خلق هذه؟.. لكثرة القوة، وكونه شديد القدرة لا يُفقَد أحدٌ» (إش ٤٠ :٢٦).

«يجمع كندٍّ أمواه اليمّ» (آية ٧أ): في البدء كانت المياه تغطي اليابسة، فقال الله: «لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد، ولتظهر اليابسة. وكان كذلك. ودعا الله اليابسة أرضاً، ومجتمع المياه دعاه بحاراً» (تك ١ :٩ و١٠). فهل يستطيع أحد أن يوقف الماء كحائط؟ الله وحده يفعل ذلك بواسطة أنبيائه الصالحين الصادقين: فعله بواسطة موسى، وبواسطة يشوع، وبواسطة إيليا وبواسطة أليشع. ففي وقت الخروج «مدَّ موسى يده على البحر (الأحمر) فأجرى الربُّ البحرَ بريح شرقية شديدة كل الليل، وجعل البحر يابسة، وانشقَّ الماء، فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة، والماء سورٌ لهم عن يمينهم وعن يسارهم» (خر ١٤ :٢١ و٢٢)، فقالوا في تسبيحة النجاة: «بريح أنفك تراكمت المياه. انتصبت المجاري كرابية. تجمَّدت اللجج في قلب البحر» (خر ١٥ :٨). وفي وقت عبور نهر الأردن «عند إتيان حاملي التابوت إلى (نهر) الأردن، وانغماس أرجل الكهنة حاملي التابوت في ضفَّة المياه، والأردن ممتلئ إلى جميع شطوطه.. وقفت المياه المنحدرة من فوق وقامت ندّاً واحداً» (يش ٣ :١٥ و١٦). أما إيليا فقد أخذ رداءه «ولفَّه وضرب الماء فانفلق إلى هنا وهناك، فعبرا كلاهما (إيليا وأليشع) في اليبس» (٢مل ٢ :٨). وعندما أخذ أليشع رداء إيليا ذهب إلى نهر الأردن وقال: «أين هو الرب إله إيليا؟ ثم ضرب الماء أيضاً فانفلق إلى هنا وهناك، فعبر أليشع» (٢مل ٢ :١٤).

«يجمع اللجج في أهراء» (آية ٧ب). الأهراء هي المخازن. ويقصد المرنم أن الله العظيم يخزن المياه في السحب، وفي البحار والمحيطات ليستخدمها في الوقت الذي يريده لتحقّق أغراضه، كما قيل إنه يوم طوفان نوح «انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم، وانفتحت طاقات السماء» (تك ٧ :١١). وقال الله لأيوب: «أَدَخلتَ إلى خزائن الثلج، أم أبصرتَ مخازن البرَد، التي أبقيتُها لوقت الضَّرّ، ليوم القتال والحرب؟» (أي ٣٨ :٢٢ و٢٣).

٣ - **بسبب شمول سلطانه:** «لتخشَ الربَّ كلُّ الأرض، ومنه ليخَفْ كل سكان المسكونة. لأنه قال فكان. هو أمر فصار» (آيتا ٨ و٩). خلق الله الكون وما فيه بكلمة منه. ويطلب المرنم أن يعترف كل سكان الأرض بسلطانه الذي يمتد إلى كل الأرض وليس إلى شعبه فقط، ويطلب من أجل كل أمم الأرض أن يخافوا الرب لأن مخافته بدء الحكمة (أم ٩ :١٠). يتمتع سكان الأرض جميعاً من أبرار وأشرار بعطايا الله، وعليهم جميعاً أن يتّقوه ويسبحوه لأنه يرعاهم ويحفظهم بمعجزاته كل يوم، سواء الشمس ذات يوم، أو لم نجد أوكسجيناً في الجو؟ لو أننا فكرنا في معجزاته معنا لنادينا بعضُنا بعضاً قائلين: «اهتفوا أيها الصدّيقون بالرب. بالمستقيمين يليق التسبيح».

٤ - **بسبب حكمة تدبيره:** «الرب أبطل مؤامرة الأمم. لاشى أفكار الشعوب. أما مؤامرة الرب فإلى الأبد تثبت. أفكار قلبه إلى دور فدور» (آيتا ١٠ و١١). «في قلب الإنسان أفكار كثيرة، لكن

مشورة الرب هي تثبت» (أم ١٩: ٢١). قلوب قادة الدول وتدبيراتهم وقراراتهم في يده. إنهم يفكرون ويتآمرون، والله يخطط ويدبر. فإذا تناقضت أفكارهم مع أفكاره تبطل مؤامراتهم وتتلاشى أفكارهم لأنها شريرة. أبطل الله مشورة أخيتوفل الشريرة (٢صم ١٥: ٣١ و١٧: ٢٣)، وقلَب خُطط هامان الأثيم على رأسه (أس ٨: ٧). أما مؤامرته فتثبت إلى الأبد، وأفكاره إلى دور فدور، لأنها تدبيرات محبة، والمحبة لا تسقط أبداً. إلهنا الصالح يخطط لكل سكان الأرض تخطيط الأب المحب. فما أعظم هذا الإله الذي يليق له التسبيح.

تساءل صاحب مزمور ٢: «لماذا ارتجت الأمم، وتفكّر الشعوب في الباطل؟ قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه.. الساكن في السموات يضحك» (آيات ١-٤) وكأن مجموعة أطفال صغار يريدون أن يهدموا جبلاً! ستتحقّق رغبات قلب الله المحب، وستنهزم الشرور! «هيجوا أيها الشعوب وانكسروا. وأصغي يا جميع أقاصي الأرض. احتزموا وانكسروا. احتزموا وانكسروا. تشاوروا مشورةً فتبطُل. تكلّموا كلمة فلا تقوم. لأن الله معنا» (إش ٨: ٩ و١٠).

ثالثاً - تسبيح إله البشر

(آيات ١٢-١٩)

١ - يسبّحون صاحب المعرفة الكاملة: «طوبى للأمّة التي الرب إلهها، الشعب الذي اختاره ميراثاً لنفسه. من السموات نظر الرب، رأى جميع بني البشر، من مكان سُكناه تطلع إلى جميع سكان الأرض. المصوّر قلوبهم جميعاً. المنتبه إلى كل أعمالهم» (آيات ١٢-١٥). خلق الله كل البشر، وهو يراقبهم جميعاً ويعرف كل أعمالهم وأفكار قلوبهم، ويعتني بهم، ويشرق بنوره ويُنزل أمطاره عليهم. ومن بينهم خليقته المختارون، أصحاب المكانة الخاصة عنده، لأنه اختارهم ميراثاً لنفسه، عزيزاً عليه، لا يفرط فيه، ولا يستبدله. والمختار هو الذي يقبل المسيح مخلّصاً له «كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه، الذين وُلدوا.. من الله» (يو ١: ١٢). ويوجّه الله للبشر جميعاً دعوة عامة تقول: «التفتوا إليّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض» (إش ٤٥: ٢٢) وكل من يقبل هذه الدعوة يصبح من جماعة الرب الخاصة المختارة التي قبلته مخلّصاً، والتي صلى المسيح لأجلها في صلاته الشفاعية: «لأجلهم أقدّس أنا ذاتي ليكونوا هم أيضاً مقدّسين في الحق» (يو ١٧: ١٩) فقد خصص نفسه لجماعة المؤمنين، ليصبحوا خاصته. فليهتفوا شاكرين لأنهم ينتمون إليه، ولأنهم ميراثه، يقول لهم: «لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه» (مت ٦: ٨).

إن كنت بعيداً عن الله، وارتكبت أخطاء لم تُجازَ عليها، وأنت تظن أن الله لا يحسن ولا يسيء (صف ١: ١٢)، فلتعلم أن الله لا بد أن يجازي كل واحد حسب عمله، لأنه يعرف كل شيء. «يا رب قد اختبرتني وعرفتني. أنت عرفت جلوسي وقيامي.. لأنه ليس كلمةٌ في لساني إلا وأنت يا رب عرفتَها كلها.. لم تختفِ عنك عظامي حينما صُنِعت في الخفاء، ورُقِمْتُ في أعماق الأرض» (مز ١٣٩: ١ و٢ و٤ و١٥).

٢ - يسبّحون صاحب القوة الكاملة: «لن يَخلُص الملك بكثرة الجيش. الجبار لا يُنقَذ بعِظم القوة. باطلٌ هو الفرَس لأجل الخلاص، وبشِدّة قوته لا ينجّي» (آيتا ١٦ و١٧). يظن الناس أن خلاصهم من أعدائهم يتوقّف على جيشهم الكبير وترسانتهم العسكرية، لكن الحقيقة هي أن النصر من عند الرب، وليس للرب مانع عن أن يخلّص بالكثير أو بالقليل (١صم ١٤:٦). أنقذ شعبه الضعيف من يد فرعون القوي، فتمجّد بفرعون ومركباته وفرسانه (خر ١٤:١٨). وعاد ينقذ شعبه عندما قاد القاضي جدعون ثلاث مئة رجل يحملون أبواقاً وجِراراً ومشاعل ليهزموا الجيش المدياني المكوّن من ٣٢ ألف جندي (قض ٧:١٩-٢٥) ولم تقدر قوة المديانيين العظيمة أن تنقذهم، ولا حماهم سلاح فرسانهم من أن يقتلوا بعضهم بعضاً في غمرة رعبهم من سماع أصوات أبواق وجرارٍ تتكسَّر! وكان هذا اختبار داود الصغير أمام جليات الجبار (١صم ١٧)، كما كان اختبار بطرس في سجن هيرودس (أع ١٢) واختبار بولس وسيلا في سجن فيلبي (أع ١٦).

٣ - يسبّحون صاحب النجاة الكاملة: «هوذا عين الرب على خائفيه الرّاجين رحمته، لينجي من الموت أنفسهم وليستحييهم في الجوع» (آيتا ١٨ و١٩). «لأن عيني الرب على الأبرار، وأذنيه إلى طلبتهم. ولكن وجه الرب ضد فاعلي الشر» (١بط ٣:١٢). لله شعب مختار من كل قبيلة وشعب ولسان (رؤ ٧:٩) يحب الرب ويتمتع برعايته ويتّقيه ويخافه ويرجو رحمته. وينظر الرب إلى شعبه بعين الرضا والرعاية، فينجّي نفوسهم من الموت في الحروب التي يشنّها عليهم أعداؤهم، ويستحييهم إذا أصاب الجفاف أرضهم ونقصت محاصيلهم الزراعية، ويقول لهم: «أما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة. فلا تخافوا. أنتم أفضل من عصافير كثيرة» (مت ١٠:٣٠ و٣١). وعندما نخاف الرب نتّقيه، ثم نرجوه وننتظره، فينجي نفوسنا من الموت ويستحيينا في الجوع.

رابعاً - كيف يكون التسبيح؟

(آيات ٢٠-٢٢)

في هذه الآيات الثلاث نرى كيف يجب أن يكون التسبيح:

١ - ليكنِ التسبيح بروح الانتظار: «أنفسنا انتظرت الرب، معونتنا وترسنا هو» (آية ٢٠). إننا نسبّح إلهاً حياً فعّالاً ننتظره، لأنه معونتنا وترسنا. والترس قطعة خشب مغطاة بالجلد، يتلقّى الجندي بها السهام الموجّهة ضده، فينغرس فيها سنُّ السهم، فلا يؤذي الجندي. عندما وجد بنو إسرائيل البحر الأحمر أمامهم، والجيش المصري من ورائهم، خافوا جداً، فقال لهم موسى: «لا تخافوا. قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم.. الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» (خر ١٤:١٣ و١٤). وكان الرب معونتهم وترسهم. ونحن اليوم لا نتبع أوهاماً، فإن «الساكن في ستر العلي في ظل القدير يبيت» (مز ٩١:١). ننتظر الرب فيأتي لمعونتنا. إنه لا يقدم لنا تشجيعاً كلامياً فقط بل وعوداً مقرونة بالأفعال. هو الإله الفاعل في التاريخ، وفي الحاضر والمستقبل، وهو القائل: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨:٢٠). فلنسبّحه وننتظر خلاصه.

٢ - **ليكن التسبيح بروح الفرح:** «لأنه به تفرح قلوبنا. لأننا على اسمه القدوس اتكلنا» (آية ٢١). «اسم الرب برج حصين، يركض إليه الصدّيق ويتمنّع» (أم ١٨:١٠). واسم الرب يعني شخصه، كامل المحبة والقداسة والحكمة والقوة، فنتكل بفرح عليه لأنه الحي، صخر الدهور، صاحب السلطان في الأرض كلها، الذي قال: «دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض» (مت ٢٨:١٨). وعندما قال بيلاطس له: «ألست تعلم أن لي سلطاناً أن أصلبك وسلطاناً أن أطلقك؟» أجابه: «لم يكن لك عليَّ سلطان البتة لو لم تكن قد أُعطيت من فوق» (يو ١٩:١٠ و١١). وعندما يتكل عليه المؤمنون يجدون الفرح الروحي العميق حتى في أقسى الظروف. في مدينة فيلبي ضُرب الرسولان بولس وسيلا كثيراً، ووُضعا في السجن الداخلي، ولكنهما كانا فرِحَين لأنهما حُسبا مستحقَّين أن يُهانا من أجل اسم المسيح. ولا يمكن أن يرنم سجينٌ مضروب جريح بصوتٍ عالٍ وبفرح حتى يسمعه جميع السجناء إلا إن كان فرحه نابعاً من قوة عليا، ولا غرابة فإن «فرح الرب هو قوتكم» (نح ٨:١٠). وعندما وجد سجان فيلبي خلاص نفسه «تهلل مع جميع بيته إذ كان قد آمن بالله» (أع ١٦:٣٤). فما أسعد شعبه وهم يسمعونه يقول: «خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني، وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد من يدي» (يو ١٠:٢٧ و٢٨).

٣ - **ليكن التسبيح بروح الصلاة:** حوَّل المرنم تسبيحه إلى صلاة قال فيها: «لتكن يا رب رحمتك علينا حسبما انتظرناك» (آية ٢٢). يسبحه وينتظر معونته بكل فرح، واثقاً أنه سينال رحمة ويجد نعمة وعوناً في حينه (عب ٤:١٦). ويكرر المرنم إعلان انتظاره للرب. وبقدر ما ننتظره يعطينا «وكما آمنتَ ليكن لك» (مت ٨:١٣). فلنصلِّ واثقين، لأنه بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه (عب ١١:٦).

هناك فرق كبير بين التربية البشرية والتربية الإلهية. فالبشر يفرحون بأن أولادهم وقفوا على أقدامهم واعتمدوا على أنفسهم. أما الآب السماوي فلا يريد أولاداً مستقلين، بل أبناء معتمدين عليه دائماً، لأنهم بدونه لا يقدرون أن يفعلوا شيئاً (يو ١٥:٥). وحتى عندما يكبرون روحياً ويحققون لمجد الله الشيء الكثير، لا بد أن يظلوا معتمدين عليه. فلنطلب من الله أن يزيد انتظارنا له، وأن يوسع آفاق إيماننا ويعطينا رؤية أكبر. ولتكن رحمته علينا حسبما ننتظره في تحقيق نهضة لحياتنا الروحية، ولكنيستنا، فننتعش ونتبارك نحن وبلادنا، ويسود العدل بيننا، ويتوقَّف الظلم، ويتحقَّق قصدُ الله أكثر في حياتنا، ونصبح بركة لبلادنا كما أرادنا المسيح أن نكون ملحاً للأرض، ونوراً للعالم، وخميرة صالحة تخمِّر العجين كله.

المزمور الرابع والثلاثون

لِدَاوُدَ عِنْدَمَا غَيَّرَ عَقْلَهُ قُدَّامَ أَبِيمَالِكَ فَطَرَدَهُ فَٱنْطَلَقَ
١ أُبَارِكُ ٱلرَّبَّ فِي كُلِّ حِينٍ. دَائِماً تَسْبِيحُهُ فِي فَمِي. ٢ بِٱلرَّبِّ تَفْتَخِرُ نَفْسِي. يَسْمَعُ
ٱلْوُدَعَاءُ فَيَفْرَحُونَ. ٣ عَظِّمُوا ٱلرَّبَّ مَعِي، وَلْنُعَلِّ ٱسْمَهُ مَعاً.
٤ طَلَبْتُ إِلَى ٱلرَّبِّ فَٱسْتَجَابَ لِي، وَمِنْ كُلِّ مَخَاوِفِي أَنْقَذَنِي. ٥ نَظَرُوا إِلَيْهِ وَٱسْتَنَارُوا
وَوُجُوهُهُمْ لَمْ تَخْجَلْ. ٦ هٰذَا ٱلْمِسْكِينُ صَرَخَ، وَٱلرَّبُّ ٱسْتَمَعَهُ، وَمِنْ كُلِّ ضِيقَاتِهِ خَلَّصَهُ.
٧ مَلَاكُ ٱلرَّبِّ حَالٌّ حَوْلَ خَائِفِيهِ وَيُنَجِّيهِمْ. ٨ ذُوقُوا وَٱنْظُرُوا مَا أَطْيَبَ ٱلرَّبَّ! طُوبَى
لِلرَّجُلِ ٱلْمُتَوَكِّلِ عَلَيْهِ. ٩ ٱتَّقُوا ٱلرَّبَّ يَا قِدِّيسِيهِ لِأَنَّهُ لَيْسَ عَوَزٌ لِمُتَّقِيهِ. ١٠ ٱلْأَشْبَالُ
ٱحْتَاجَتْ وَجَاعَتْ، وَأَمَّا طَالِبُو ٱلرَّبِّ فَلَا يُعْوِزُهُمْ شَيْءٌ مِنَ ٱلْخَيْرِ.
١١ هَلُمَّ أَيُّهَا ٱلْبَنُونَ ٱسْتَمِعُوا إِلَيَّ فَأُعَلِّمَكُمْ مَخَافَةَ ٱلرَّبِّ. ١٢ مَنْ هُوَ ٱلْإِنْسَانُ ٱلَّذِي
يَهْوَى ٱلْحَيَاةَ، وَيُحِبُّ كَثْرَةَ ٱلْأَيَّامِ لِيَرَى خَيْراً؟ ١٣ صُنْ لِسَانَكَ عَنِ ٱلشَّرِّ وَشَفَتَيْكَ عَنِ
ٱلتَّكَلُّمِ بِٱلْغِشِّ. ١٤ حِدْ عَنِ ٱلشَّرِّ وَٱصْنَعِ ٱلْخَيْرَ. ٱطْلُبِ ٱلسَّلَامَةَ وَٱسْعَ وَرَاءَهَا.
١٥ عَيْنَا ٱلرَّبِّ نَحْوَ ٱلصِّدِّيقِينَ وَأُذُنَاهُ إِلَى صُرَاخِهِمْ. ١٦ وَجْهُ ٱلرَّبِّ ضِدُّ عَامِلِي ٱلشَّرِّ
لِيَقْطَعَ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذِكْرَهُمْ. ١٧ أُولٰئِكَ صَرَخُوا وَٱلرَّبُّ سَمِعَ وَمِنْ كُلِّ شَدَائِدِهِمْ أَنْقَذَهُمْ.
١٨ قَرِيبٌ هُوَ ٱلرَّبُّ مِنَ ٱلْمُنْكَسِرِي ٱلْقُلُوبِ، وَيُخَلِّصُ ٱلْمُنْسَحِقِي ٱلرُّوحِ. ١٩ كَثِيرَةٌ هِيَ
بَلَايَا ٱلصِّدِّيقِ وَمِنْ جَمِيعِهَا يُنَجِّيهِ ٱلرَّبُّ. ٢٠ يَحْفَظُ جَمِيعَ عِظَامِهِ. وَاحِدٌ مِنْهَا لَا يَنْكَسِرُ.
٢١ ٱلشَّرُّ يُمِيتُ ٱلشِّرِّيرَ، وَمُبْغِضُو ٱلصِّدِّيقِ يُعَاقَبُونَ. ٢٢ ٱلرَّبُّ فَادِي نُفُوسِ عَبِيدِهِ،
وَكُلُّ مَنِ ٱتَّكَلَ عَلَيْهِ لَا يُعَاقَبُ.

دائماً تسبيحه في فمي

هناك سبعة مزامير أطلق عليها القديس أغسطينوس اسم «مزامير الطريد» (هي ٧ و٣٤ و٥٢ و٥٤ و٥٦ و٥٧ و١٤٢) كتبها داود أثناء هروبه من مطاردات الملك شاول له، متنقّلاً من بلد إلى بلد، ومن كهف إلى كهف، وحتى إلى بلاد الفلسطينيين.

كتب داود هذا المزمور ترنيمة شكر احتفالاً بعناية الرب بكل الذين يتّقونه، دعا فيه سامعيه إلى حياة مخافة الرب التي تمنحهم البركة. وقد كتبه بعد أن هرب من وجه الملك شاول إلى «جت» إحدى خمس عواصم للفلسطينيين هي: غزة وأشدود وأشقلون وعقرون وجت. فقال مستشارو الملك «أبيمالك» ملك جت له إن داود هو الذي قتل جليات، وإنه الملك القادم لبني إسرائيل، فتضايق الملك. وأحسّ داود بالخطر، فتظاهر بالجنون، وأخذ يخربش الباب ويُسيل ريقه على لحيته. وصدّق ملك جت أن داود مجنون فطرده ولم يقتله، فهرب داود ليختبئ في كهف عدلام (١صم ٢١ و٢٢) حيث اجتمع حوله أربعمائة رجل من المتضايقين، وكان داود رئيساً عليهم. بمناسبة هذه النجاة كتب داود هذا المزمور ترنيمة شكر بدأه بقوله: «أبارك الرب في كل حين. دائماً تسبيحه في فمي».

وقد يتساءل البعض: لماذا ورد اسم ملك جت «أخيش» في سفر صموئيل الأول بينما جاء في عنوان المزمور «أبيمالك»؟ والإجابة: إن اسم الملك الشخصي هو «أخيش» أما لقبه الرسمي فهو «أبيمالك» بمعنى «أب الملك» وهو لقب لملوك الفلسطينيين، كما كانوا يلقّبون ملك مصر «فرعون» وملك عماليق «أجاج» بالإضافة إلى اسم الملك الشخصي.

ولقد كتب داود مزموراً آخر لهذه المناسبة هو مزمور ٥٦ افتتحه بقوله: «ارحمني يا الله لأن الإنسان يتهمّمني، واليوم كله محارباً يضايقني» واختتمه بقوله: «لأنك نجّيت نفسي من الموت. نعم، ورجليّ من الزلق، لكي أسير قدام الله في نور الأحياء». فالنجاة الإلهية من نصيب الذين يحبون الله الذين يريدون أن يطيعوه.

وهذا المزمور هو ثالث المزامير الأبجدية، تبدأ كل آية فيه بأحد حروف الأبجدية العبرية، ما عدا حرف «الواو». سبقه مزمورا ٩ و٢٥. وقد اختارته الكنيسة ليُقرأ أثناء التناول من المائدة المقدسة لأن آية ٨ فيه تقول: «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب. طوبى للرجل المتكل عليه».

في هذا المزمور نجد:

أولاً – تسبيحة شكر (آيات ١–١٠).

ثانياً – موعظة من كهف عدلام (آيات ١١–١٤)

ثالثاً – علاقة الرب الطيبة بشعبه (آيات ١٥–٢٢)

أولاً - تسبيحة شكر

(آيات ١-١٠)

١ – دعوة للتسبيح: (آيات ١–٣).

(أ) هذا التسبيح تلقائي وحماسي: «أبارك الرب» (آية ١أ). ذكر الخطر العظيم الذي تهدّده وهو في قصر الملك أخيش، وكيف نجاه الرب منه. لقد كان الخطر مفاجأة غير متوقعة كما كانت النجاة غير متوقعة، ففاض قلبه بالشكر لله.

(ب) هو تسبيح مستمر: «في كل حين.. دائماً» (آية ١ب). لم يعد الملك شاول يحتمل وجود داود حياً، فهرب إلى أخيش الذي لم يحتمل أن يراه أيضاً، ولكن الله ابتسم له ابتسامة الرضا وأنقذه من الموت، فقرر أن يقضي كل ما تبقَّى من عمره في تسبيح الله. سعيدٌ هو المؤمن الفرحان الشاكر، الذي تظهر تقواه في ترتيله في أيام المرض كما في أيام الصحة، وفي أوقات الفشل كما في أوقات النجاح.

(ج) هو تسبيح سرّي وعلني: «تسبيحه في فمي. بالرب تفتخر نفسي» (آيتا ١ج و٢أ). لسانه يسبّح، وقلبه أيضاً يسبح. إنه يفتخر بالرب. لم يفتخر بذكائه في ادّعاء الجنون الذي انطلى على أبيمالك، ولا افتخر بالأمور الأرضية، ولا بتهنئة الذات بالنجاة، بل بالرب الذي قال: «لا يفتخرنّ الحكيم بحكمته، ولا يفتخر الجبار بجبروته، ولا يفتخر الغني بغناه. بل بهذا ليفتخرنّ المفتخر: بأنه يفهم ويعرفني أني أنا الرب، الصانع رحمةً وقضاء وعدلاً في الأرض» (إر ٩: ٢٣ و٢٤). فلنفتخر بشخص الرب، وبمواعيده، وبأمانته، وبمعجزاته.

(د) هو تسبيح يؤثّر في سامعيه: «يسمع الودعاء فيفرحون. عظموا الرب معي ولنعلّ اسمه معاً» (آيتا ٢ب و٣). لقد سمع الودعاء دعوته فرتلوا معه. والوديع هو الذي تعلَّم التواضع في مدرسة الألم، فعظَّم الرب مع داود، اعترافاً بفضل الله وبعظمة نعمته، ونادى «أعطوا عظمةً لإلهنا» (تث ٣٢: ٣). «عظيم هو الرب وحميدٌ جداً، وليس لعظمته استقصاء» (مز ١٤٥: ٣). وكلما شعرنا بعظمة الرب دَعَوْنا غيرنا ليشترك معنا في تسبيحه.

٢ - دوافع التسبيح: (آيات ٤-١٠).

ليست النجاة المعجزية من نصيب داود وحده، لكنها لكل الذين يتكلون على الله، فهو رب العالمين. ويذكر المرنم أربعة دوافع للتسبيح:

(أ) النجاة العظيمة: «طلبتُ إلى الرب فاستجاب لي، ومن كل مخاوفي أنقذني» (آية ٤). كان خائفاً من شاول كثيراً ومن أخيش قليلاً، ولكن هذا القليل صار كثيراً. غير أن الرب أنقذه من الخوفين الكبير والصغير! يتعرض الخاطئ والمؤمن للأخطار، وغالباً تكون أخطار الخاطئ أقل من أخطار المؤمن، لأن إبليس رئيس هذا العالم يساند الخاطئ. لكن الخاطئ يحيا في خوف أكبر لأنه يعلم أن الله ليس معه. أما المؤمن فيطلب الرب فيستجيب له، ومن كل مخاوفه ينقذه. إن يد الله القادرة تصل إلينا في أعمق هُوَّة نسقط فيها، وعندما ندعوه من كل قلوبنا يستجيب لنا.

(ب) الأيام المشرقة القادمة: «نظروا إليه واستناروا ووجوههم لم تخجل. هذا المسكين صرخ والرب استمعه، ومن كل ضيقاته خلّصه» (آيتا ٥ و٦). النظر إلى العالم يصيب الإنسان بالاكتئاب. يكفي أن تقرأ الصفحة الأولى من أية جريدة لترى الشر والكراهية واليأس. أما من ينظر إلى الرب فترتفع معنوياته كما ارتفعت معنويات حنة بعد صلاتها، ولم يكن وجهها بعد مغيَّراً (١صم ١: ١٨). لقد تطلع الذين لدغتهم الحيات إلى الحية النحاسية، فنالوا الشفاء من السم المميت (عد ٢١: ٩). وترمز الحية إلى المسيح المخلّص من سم الخطية (يو ٣: ١٤-١٦). ولذلك يقول المؤمن: «إليك رفعتُ عينيَّ يا ساكناً في السموات. هوذا كما أن عيون العبيد نحو أيدي سادتهم، كما أن عيني الجارية

نحو يد سيدتها، هكذا عيوننا نحو الرب إلهنا حتى يترأف علينـا» (مز ١٢٣:١ و٢). إنـه يستنير لأنـه يطيع أمر الرب الذي قال للمؤمنين: «قومـي استنيـري لأنـه قـد جـاء نورك، ومجـد الـرب أشرق عليك» (إش ٦٠:١). عندما رأى موسى مجد الرب لمع وجهه (خر ٣٤:٣٠). «ونحن جميعاً نـاظرين مجد الرب بوجهٍ مكشوف، كما في مرآة، نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها، من مجدٍ إلـى مجـد، كمـا مـن الرب الروح» (٢كو ٣:١٨).

(ج) الحماية الملائكية: «ملاك الرب حالٌّ حول خائفيه وينجيهم» (آية ٧). ويسمّيه «ملاك حضرتـه» في القول: «في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلَّصهم. بمحبته ورأفته هو فكَّهم ورفعهم وحملهـم كل الأيام القديمة» (إش ٦٣:٩). هذا الملاك ينجي خائفي الله وكأنه جيش. ويسمّيه أيضاً «رئيس جنـد الرب» (يش ٥:١٤) القادم في جيش ملائكة للحماية، كمـا حـدث مـع يعقـوب أبـي الأسباط، فقد لاقـاه ملائكة الله، فقال لما رآهم: «هذا جيش الله» ودعـا اسـم المكان «محنـايم» بمعنـى «معسكـران» (تك ٣٢:٢). وكما حدث مع غلام النبي أليشع الذي كان خائفاً من الأعداء، فصلى النبي: «يا رب افتح عينيه فيبصر» فرأى الغلامُ الجبلَ مملوءاً خيلاً ومركبات نار حول أليشع (٢مل ٦:١٦)

ينجينا الله من ضيقاتٍ نعرفها ونصرخ إليه منها، فنشكره. وينجينا من ضيقات لا نعرفها، ولم نكن نعلم أنها قادمة علينا، لأنه في محبته يستر الخطر عن عيوننا حتى لا نقلق.

(د) علاقة المؤمن الطيبة بالرب تدفعه للتسبيح: (آيات ٨-١٠).

(١) هي علاقة شخصية: «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب. طوبى للرجل المتوكل عليـه» (آيـة ٨). يذوق المؤمن صلاح الله عندما يعرفه معرفة قريبة شخصية، فيكتشف صلاحه العظيم، ويتعلم أن يثـق فيه ويتوكل عليه، ويكون سلوكه اليومي متوافقاً مع عقيدته، فيصبـح قويـاً بـه. قـال الرسـول بطـرس: «ذُقتم أن الرب صالح» (١بط ٢:٣) ويقصد بالرب هنا: المسيح. وقال الرسول بولس: «لأعرفه وقـوة قيامته» (في ٣:١٠)، وهذه معرفة القُرب والاختبار، التي تؤدي إلى السعادة الحقيقية. وكلمـة «رجـل» المستخدمة في هذه الآية معناهـا فـي اللغـة العبريـة «القوي» فـالذي يـذوق صـلاح اللـه تصبـح حياتـه الإيمانية والأخلاقية قوية.

(٢) هي علاقة مُغيِّرة: «اتَّقوا الرب يا قديسيه» (آية ٩أ). اتَّقوا أي صيروا قديسين، بأن تخافوا الله في سلوككم. والقداسة تعني التكريس والتخصيص للـه، كمـا تعنـي الطهـارة والسلوك الـذي يتفـق مـع دعوتنـا لأن نكون للـه مملكـة كهنـة وأمـة مقدسـة (خـر ١٩:٦) ويقـول اللـه: «إنـي أنـا الـرب إلهكـم، فتتقدَّسون وتكونون قديسين لأني أنا قدوس» (لا ١١:٤٤). نقول إن هذه الكنيسة «مقدسة» لا لأن مـواد بنائها تختلف عن مواد بناء أي بيت مجاور، لكن لأنها مخصصة لله. قال الرسول بولس: «الإله الـذي أنا له والذي أعبده» فقد خصَّص نفسه لخدمته (أع ٢٧:٢٣).

(٣) هي علاقة مباركة: «لأنه ليس عوزٌ لمتَّقيه. الأشبال احتاجت وجاعت، وأما طـالبو الـرب فـلا يعوزهم شيء من الخيرِ» (آية ٩ب و١٠). سدَّد الرب أعواز الأرملـة المديونـة، فمـلأت دهنـة الزيـت

كل الأوعية التي استعارتها من جيرانها، وباعت الزيت وسددت ديونها، وعاشت هي وبنوها بما بقي (٢مل ٤:١-٧). أما الأشبال فاحتاجت وجاعت. وقد يقصد المرنم المعنى الحرفي لكلمة «الأشبال» كما ورد في أي ٤:١١ «الليث هالك لعدم الفريسة، وأشبال اللبوة تبددت» أو قد يقصد بها المضايقين كما جاء في مزمور ٣٥:١٧ «استردَّ نفسي من تهلكاتهم، وحيدتي من الأشبال». ووحيدته هي حياته، والأشبال هم الأعداء الذين يريدون أن يهلكوه. فيكون المعنى أن القوي الذي يخطف يجوع، أما المؤمن الوديع فيرث الأرض ولا يحتاج إلى شيء. «الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء» (مز ٢٣:١). «فيملأ إلهي كل احتياجكم بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع» (في ٤:١٩). وقد سأل المسيح تلاميذه: «حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود ولا أحذية، هل أعوزكم شيء؟ فقالوا: لا» (لو ٢٢:٣٥). إن الذين يعيشون حياة الصلة الشخصية بالله يضمنون لأنفسهم دائماً كل البركات الإلهية.

بشَّر القديس «كولومبا» اسكتلندا بالمسيحية (٥٢١-٥٩٧م). وقبل موته مباشرة كان يكتب تفسيراً لمزمورنا، توقَّف فيه عند آية ١٠ ولم يكمله، فعلق كاتب سيرته بالقول: «لم يعوز القديس كولومبا شيء آخر من الخير وهو يعيش مع الله هنا، ولن يعوزه شيء من الخير وهو يحيا مع الله هناك. لقد ترك أمانة الوعظ والتعليم لمن سيحمل أمانة ذلك من بعده».

ثانياً - موعظة من كهف عدلام

(آيات ١١-١٤)

بعد أن تظاهر داود بالجنون، هرب من أمام أخيش الملك إلى كهف عدلام، حيث التحق به بعض أهله وأربعمائة رجل، معظمهم هاربون من ديون أو أحكام، وكلهم متضايقون ونفوسهم مُرَّة، ولكنهم قبلوا قيادته لهم ورياسته عليهم (١صم ٢٢:١ و٢). وذات يوم سبت في عدلام ألقى موعظة كانت إجابة لسؤال أثاروه. وسنتأمل في الواعظ، والسؤال، والموعظة.

١ - الواعظ: «هلمَّ أيها البنون، استمعوا إليَّ فأعلمكم مخافة الرب» (آية ١١). هو واعظ رحيم على الخطاة، فينصحهم. صحيحٌ أنه شجاع كمحارب وقوي كقائد، كما أنه مختبرٌ شاركهم معاناة الطرد وهو بريء. غير أن أخلاقياته واهتماماته كانت أرفع من أخلاقياتهم واهتماماتهم، ومعرفته بالله أعمق من معرفتهم، فأخذ من الله تعليماً أعطاه لهم. والواعظ الناجح هو من يستمع لله ثم يُخبر الناس بما سمعه، لأنه يريد أن تتغيَّر حياتهم للأفضل. كان يمكن أن ينشغل بنجاته الشخصية، أو بأمور الأربع مئة رجل المادية والاقتصادية، لكنه لم ينسَ أبداً الحياة الروحية لهذه الجماعة.

٢ - الواعظ يطرح سؤالاً: «من هو الإنسان الذي يهوَى الحياة ويحب كثرة الأيام ليرى خيراً؟» (آية ١٢). والحياة التي يهواها خائف الله هي الحياة الفضلى التي جاء المسيح ليهبها لنا (يو ١٠:١٠) وهي لا تُقاس بعدد الأيام، بل بالإنجاز والسعادة والطاعة. وهي الحياة ذات المعنى التي تخدم الآخرين وتنمو يوماً بعد يوم في مخافة الله، وهذا هو الخير الأسمى.

٣ – الموعظة: ومضمونها أن السعيد هو الذي يخاف الله في كلامه، وفي سلوكه:

(أ) التقوى في الكلام: «صُن لسانك عن الشر وشفتيك عن التكلُّم بالغش» (آية ١٣). عادة يستخدم المطاريد لغة خشنة، فيتعاركون مع بعضهم ومع غيرهم. وينصحهم الواعظ أنهم إن أرادوا حياة طويلة خيِّرة فعليهم أن يصونوا ألسنتهم عن الشر والغش، فإنه «من فضلة القلب يتكلم الفم» (لو ٦:٤٥) فيجب أن تُصلح القلوب. ولن يتم ذلك إلا بإيجاد صلة شخصية بين كل واحد منهم والرب، فيذوقون كم الرب طيب، وأنه طوبى للرجل المتوكل عليه. وكلمة «الرجل» المستخدمة هنا تعني «القوي» القادر أن يسيطر على لسانه، لأنه «إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً» (٢كو ٥:١٧).

(ب) التقوى في التصرُّف: «حِد عن الشر واصنع الخير. اطلب السلامة واسعَ وراءها» (آية ١٤). وما أحوج المطاريد للسلام مع الله ومع النفس ومع الآخرين. وعليهم أن يسعوا وراءه باستمرار بغير يأس. «فلنعكف إذاً على ما هو للسلام وما هو للبنيان بعضنا لبعض» (رو ١٤:١٩). وقد اقتبس الرسول بطرس هذه الكلمات في ١بط ٣:١٠ لأنه أراد أن يشرح للمؤمنين كيف يحصلون على الحياة ذات المعنى، وذات القيمة، في اللسان الذي نضبطه، وفي السلوك اليومي الذي يحيد عن الشر ويصنع الخير.

ثالثاً - علاقة الرب الطيبة بشعبه

(آيات ١٥-٢٢)

يختم المرنم مزموره بالحديث عن الرب الصالح في علاقته بشعبه، ويذكر ثلاثة أمور:

١ – الرب يهتم بشعبه: «عينا الرب نحو الصدِّيقين وأذناه إلى صراخهم. وَجه الرب ضد عاملي الشر ليقطع من الأرض ذكرهم. أولئك صرخوا والرب سمع، ومن كل شدائدهم أنقذهم» (آيات ١٥-١٧). علاقة الرب بشعبه هي:

(أ) علاقة المعرفة الكاملة: العين التي ترى، والأذن التي تسمع، لأنه أبٌ يهتم بشعبه ويرعاهم. «قولوا للصدِّيق خير، لأنهم يأكلون ثمر أفعالهم» (إش ٣:١٠).

(ب) علاقة الرقة المتناهية والتدخُّل السماوي: «في ضيقي دعوت الرب وإلى إلهي صرخت، فسمع من هيكله صوتي، وصراخي قدامه دخل أذنيه» (مز ١٨:٦). ولما كان المؤمنون يصرخون من اضطهاد ظالميهم، فإن الرب الذي يهتم بهم يعاقب الأشرار الظالمين، ويقطع من الأرض ذكرهم. أولئك (شعبه) صرخوا والرب أنقذهم من ظالميهم.

٢ – الرب يرفع شعبه: «قريب هو الرب من المنكسري القلوب، ويخلِّص المنسحقي الروح. كثيرة هي بلايا الصدِّيق ومن جميعها ينجيه الرب. يحفظ جميع عظامه، واحدٌ منها لا ينكسر. الشر يميت الشرير، ومبغضو الصدِّيق يُعاقَبون» (آيات ١٨-٢١). والمنكسرو القلوب والمنسحقو الروح هم الذين حطمهم الحزن واليأس والاضطهاد والخطية، فذلوا تحت هذه كلها. لمثل هؤلاء يقول المسيح: «روح

السيد الرب عليّ، لأن الرب مسحني لأبشر المساكين، أرسلني لأعصب منكسري القلب، لأنادي للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق.. لأعزّي كل النائحين» (إش ٦١: ١ و٢). وكلما انكسر قلب الإنسان يتواضع، ويصبح أكثر استعداداً لتلقّي بركة الرب «لأنه هكذا قال العليُّ المرتفع ساكن الأبد، القدوس اسمه: في الموضع المرتفع المقدّس أسكن، ومع المنسحق والمتواضع الروح، لأحيي روح المتواضعين، ولأحيي قلب المنسحقين» (إش ٥٧: ١٥). يرفع الرب شعبه المنكسر ويقول لهم: «أجبر الكسير، وأعصب الجريح» (حز ٣٤: ١٦).

لم يعدنا الرب أبداً أن نعيش بدون ألم، ولم يقل أبداً إننا لا نواجه ضيقاً، لكنه وعدنا أنه في العالم سيكون لنا ضيق، لكن نثق أنه قد غلب العالم، وأننا معه نغلب العالم، لأن الذي فينا أعظم من الذي في العالم (يو ١٦: ٣٣ و ايو ٤: ٤). صحيحٌ أن المؤمنين يتألمون، وأن بلاياهم كثيرة من العالم الذي يبغض الحق. لكن إلههم معهم. محبته تنعشهم، ومواعيده تعزيهم، وعرش النعمة مفتوح لهم، ولا بد أن الشر يميت الشرير، والرب يحيي نفس الصدّيق الذي تبرَّر بما فعله المسيح لأجله بكفارته الكريمة.

«يحفظ جميع عظامه» (آية ٢٠أ). إنه يهتم بالجسد كما يهتم بالروح، فجسد المؤمن هيكل للروح القدس (اكو ٦: ١٩). وقد تحققت هذه النبوّة في المسيح المصلوب، فقد كسر العسكر ساقي اللصين المصلوبين معه، ولكنهم لم يكسروا ساقيه «لأنهم رأوه قد مات.. لأن هذا كان ليتمّ الكتاب القائل: عظمٌ لا يُكسر منه» (يو ١٩: ٣٢-٣٦).

٣ - **الرب يفدي شعبه:** «الرب فادي نفوس عبيده، وكل من اتكل عليه لا يُعاقَب» (آية ٢٢). والفداء هو خلاص النفس من الخطية، وخلاص الجسد من المرض والجوع والألم. كان الأسير يدفع فدية أو فداءً. وقد أكمل المسيح فداءنا لما دفع أجرة خطايانا، فصار لنا من الله براً وقداسة وفداءً (اكو ١: ٣٠) بشرط أن يقبل الخاطئ فداءه بإيمان قلبي. عندها يكون: «لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح» (رو ٨: ١) بعد أن فداهم بدمه، لمدح مجد نعمته. فيقولون: «أبارك الرب في كل حين. دائماً تسبيحه في فمي».

المزمور الخامس والثلاثون

لِدَاوُدَ

١ خَاصِمْ يَا رَبُّ مُخَاصِمِيَّ. قَاتِلْ مُقَاتِلِيَّ. ٢ أَمْسِكْ مِجَنّاً وَتُرْساً وَٱنْهَضْ إِلَى مَعُونَتِي،
٣ وَأَشْرِعْ رُمْحاً وَصُدَّ تِلْقَاءَ مُطَارِدِيَّ. قُلْ لِنَفْسِي: «خَلَاصُكِ أَنَا». ٤ لِيَخْزَ وَلْيَخْجَلِ
ٱلَّذِينَ يَطْلُبُونَ نَفْسِي. لِيَرْتَدَّ إِلَى ٱلْوَرَاءِ وَيَخْجَلِ ٱلْمُتَفَكِّرُونَ بِإِسَاءَتِي. ٥ لِيَكُونُوا مِثْلَ
ٱلْعُصَافَةِ قُدَّامَ ٱلرِّيحِ، وَمَلَاكُ ٱلرَّبِّ دَاحِرُهُمْ. ٦ لِيَكُنْ طَرِيقُهُمْ ظَلَاماً وَزَلَقاً، وَمَلَاكُ
ٱلرَّبِّ طَارِدُهُمْ. ٧ لِأَنَّهُمْ بِلَا سَبَبٍ أَخْفُوا لِي هُوَّةَ شَبَكَتِهِمْ. بِلَا سَبَبٍ حَفَرُوا لِنَفْسِي.
٨ لِتَأْتِهِ ٱلتَّهْلُكَةُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، وَلْتَنْشَبْ بِهِ ٱلشَّبَكَةُ ٱلَّتِي أَخْفَاهَا، وَفِي ٱلتَّهْلُكَةِ نَفْسِهَا
لِيَقَعْ. ٩ أَمَّا نَفْسِي فَتَفْرَحُ بِٱلرَّبِّ وَتَبْتَهِجُ بِخَلَاصِهِ. ١٠ جَمِيعُ عِظَامِي تَقُولُ: «يَا رَبُّ،
مَنْ مِثْلُكَ ٱلْمُنْقِذُ ٱلْمِسْكِينَ مِمَّنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ، وَٱلْفَقِيرَ وَٱلْبَائِسَ مِنْ سَالِبِهِ؟».

١١ شُهُودُ زُورٍ يَقُومُونَ، وَعَمَّا لَمْ أَعْلَمْ يَسْأَلُونَنِي. ١٢ يُجَازُونَنِي عَنِ ٱلْخَيْرِ شَرّاً،
ثُكْلاً لِنَفْسِي. ١٣ أَمَّا أَنَا فَفِي مَرَضِهِمْ كَانَ لِبَاسِي مِسْحاً. أَذْلَلْتُ بِٱلصَّوْمِ نَفْسِي. وَصَلَاتِي
إِلَى حِضْنِي تَرْجِعُ. ١٤ كَأَنَّهُ قَرِيبٌ، كَأَنَّهُ أَخِي كُنْتُ أَتَمَشَّى. كَمَنْ يَنُوحُ عَلَى أُمِّهِ ٱنْحَنَيْتُ
حَزِيناً. ١٥ وَلٰكِنَّهُمْ فِي ظَلْعِي فَرِحُوا وَٱجْتَمَعُوا. ٱجْتَمَعُوا عَلَيَّ شَاتِمِينَ وَلَمْ أَعْلَمْ. مَزَّقُوا
وَلَمْ يَكُفُّوا. ١٦ بَيْنَ ٱلْفُجَّارِ ٱلْمُجَّانِ لِأَجْلِ كَعْكَةٍ حَرَّقُوا عَلَيَّ أَسْنَانَهُمْ.

١٧ يَا رَبُّ، إِلَى مَتَى تَنْظُرُ؟ ٱسْتَرِدَّ نَفْسِي مِنْ تَهْلُكَاتِهِمْ، وَحِيدَتِي مِنَ ٱلْأَشْبَالِ.
١٨ أَحْمَدُكَ فِي ٱلْجَمَاعَةِ ٱلْكَثِيرَةِ. فِي شَعْبٍ عَظِيمٍ أُسَبِّحُكَ. ١٩ لَا يَشْمَتْ بِي ٱلَّذِينَ هُمْ
أَعْدَائِي بَاطِلاً، وَلَا يَتَغَامَزْ بِٱلْعَيْنِ ٱلَّذِينَ يُبْغِضُونَنِي بِلَا سَبَبٍ. ٢٠ لِأَنَّهُمْ لَا يَتَكَلَّمُونَ
بِٱلسَّلَامِ، وَعَلَى ٱلْهَادِئِينَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَفَكَّرُونَ بِكَلَامِ مَكْرٍ. ٢١ فَغَرُوا عَلَيَّ أَفْوَاهَهُمْ.
قَالُوا: «هَهْ هَهْ! قَدْ رَأَتْ أَعْيُنُنَا». ٢٢ قَدْ رَأَيْتَ يَا رَبُّ. لَا تَسْكُتْ يَا سَيِّدُ. لَا تَبْتَعِدْ
عَنِّي. ٢٣ ٱسْتَيْقِظْ وَٱنْتَبِهْ إِلَى حُكْمِي، يَا إِلٰهِي وَسَيِّدِي إِلَى دَعْوَايَ. ٢٤ ٱقْضِ لِي حَسَبَ
عَدْلِكَ يَا رَبُّ إِلٰهِي فَلَا يَشْمَتُوا بِي. ٢٥ لَا يَقُولُوا فِي قُلُوبِهِمْ: «هَهْ! شَهْوَتُنَا». لَا
يَقُولُوا: «قَدِ ٱبْتَلَعْنَاهُ!» ٢٦ لِيَخْزَ وَلْيَخْجَلْ مَعاً ٱلْفَرِحُونَ بِمُصِيبَتِي. لِيَلْبِسِ ٱلْخِزْيَ
وَٱلْخَجَلَ ٱلْمُتَعَظِّمُونَ عَلَيَّ. ٢٧ لِيَهْتِفْ وَيَفْرَحِ ٱلْمُبْتَغُونَ حَقِّي، وَلْيَقُولُوا دَائِماً: «لِيَتَعَظَّمِ
ٱلرَّبُّ ٱلْمَسْرُورُ بِسَلَامَةِ عَبْدِهِ». ٢٨ وَلِسَانِي يَلْهَجُ بِعَدْلِكَ. ٱلْيَوْمَ كُلَّهُ بِحَمْدِكَ.

بلا سببٍ حفروا لنفسي

كتب داود هذا المزمور في وقت اضطهاد شديد، قد يكون أثناء مطاردة شاول المستمرة له. ولعله في هذا الوقت قال لشاول: «فيكون الربُّ الديانَ، ويقضي بيني وبينك (يا شاول) ويرى ويحاكم محاكمتي وينقذني من يدك» (١صم ٢٤:١٥). أو وربما كتبه وقت ثورة ابنه أبشالوم ضده.. كان مضطهِدو داود من أحبائه، فقد دافع داود عن شاول الملك وعن كرامته، ومع ذلك أراد قتله لمرضٍ في نفس شاول. فإن كنت قد فعلت خيراً لإنسان وجازاك شراً، ستجد في هذا المزمور عوناً وتشجيعاً.

في هذا المزمور نبوّة عن المسيا، فيقول المرنم: «لأنهم بلا سبب أخفوا لي هوّةً» (آية ٧) وهي نبوّة اقتبسها المسيح عن نفسه عندما قال: «رأوا وأبغضوني أنا وأبي.. لكي تتمَّ الكلمة المكتوبة في ناموسهم: إنهم أبغضوني بلا سبب» (يو ١٥:٢٤ و٢٥ - مقتبَسة من مزمور ٦٩:٤).

وتصف الآيتان ١١ و١٢ من مزمورنا محاكمة المسيح: «شهود زورٍ يقومون، وعمّا لم أعلم يسألونني. يجازونني عن الخير شراً، ثَكَلاً (إذلالاً) لنفسي». ولقد سألوا المسيح عن أشياء لم تحدث، وجاء شهود زور كثيرون ولكن شهاداتهم عليه لم تتفق (مر ١٤:٥٦).

والمزمور عامر بطلب عقاب العدو. وربما أراد المرنم أن ينصفه الرب ويقضي له بعدالته، فيعلو حق الله وينال هو حقَّه، بعد أن قاسى من شاول، ومن أبشالوم، ومن شِمْعي (٢صم ١٦:٥-١٣).. فيبدأ بالقول: «خاصِم يا رب مخاصميَّ، قاتِل مقاتليَّ. أمسِك مجنّاً وتُرساً وانهض إلى معونتي.. قُل لنفسي: خلاصكِ أنا». إنها كلمات مضطهَد متعَب يطلب من ربّه العدالة والحماية.

في هذا المزمور نجد،

أولاً - مخلِّص المرنم (آيات ١-١٠)

ثانياً - أعداء المرنم (آيات ١١-١٦)

ثالثاً - صلاة المرنم (آيات ١٧-٢٨)

أولاً - مخلِّص المرنم
(آيات ١-١٠)

لم يكن داود إنسان الانتقام، لكنه كان يعلن الدينونة الإلهية على الطبيعة البشرية الفاسدة. ومفتاح الآيات العشر الأولى هو القول: «قُل لنفسي: خلاصك أنا» (آية ٣ب).

١ - المرنم يطلب خلاص الله: (آيات ١-٣).

يطالب داود إلهه أن يعمل معه ما يعمله عادة مع كل المؤمنين: «يا رب خلِّصني». وكأنه يقول: ليس بالضرورة يا رب أن تنقذني في هذه اللحظة، لكن أعطني الأمل أنك مخلِّصي.

في هذه الآيات الثلاث يدعو داود إلهه باسم «يهوه» ثماني مرات، ويهوه هو الخالق الحي الدائم الوجود الذي نجّى وسينجي. وفيها يدعوه ثلاث مرات باسم «أدوناي» (السيد) بمعنى الحاكم العادل، لأنه يعلم أن في أرضنا سادة ولكن فوق العالي عالياً، والأعلى فوقهما يلاحظ (جا ٥:٨).

ونحن نطلب من هذا الحاكم العادل السيد الذي يسود على الجميع أن يخلّصنا. وفيها يدعوه مرتين باسم «إلوهيم» (الله) لأنه القادر الأبدي الذي يطمئن إليه، والذي نتّجه إليه دائماً لأنه لا يغلق بابه في وجهنا أبداً.

ويصوّر داود إلهه على أنه رجل حرب قادماً لمعونته، وقد تسلّح ليحارب الأعداء دفاعاً عن عبده الضعيف، ولعله ذكر ترنيمة موسى: «الرب رجل الحرب.. يمينك يا رب معتزّة بالقدرة. يمينك يا رب تحطم العدو» (خر ١٥:٣ و٦). ولعله ذكر رئيس جند الرب الذي جاء ليساعد يشوع لينتصر على أريحا (يش ٥:١٣-١٥). وقد طالب الرب أن يمسك مِجنّاً (وهو الترس الكبير) وترساً، لأن المهاجمات ضده كثيرة، وعند الرب الدفاع الوحيد الناجع. والترس خشبة كبيرة مغلّفة بالجلد، تُمسَك بسَيْر من ورائها، يتلقّى بها المحارب السهام الموجَّهة ضده، فبدل أن يصيب السهم داود يصيب الترس أو المجن لأنه يحتمي به. فالمرنم لا يطلب الخلاص في قاعة محكمة، بل في أرض معركة!

٢ - خلاص الله موتٌ للشرير وحياةٌ للبار: (آيات ٤-٨).

لما كان الله هو المخلّص الوحيد لشعبه يطالبه داود في هذه الآيات أن يجبر أعداءه على الانسحاب وإعلان الهزيمة، فيتحقّق فيهم الوعد الإلهي: «حتى سَبْي الجبار يُسلَب، وغنيمة العاتي تُفلِت، وأنا أخاصم مخاصمك، وأُخلّص أولادك، وأطعم ظالميك لحم أنفسهم.. فيعلم كل بشر أني أنا الرب مخلّصك» (إش ٤٩:٢٥ و٢٦). ويطلب أن يُستأصلوا كالعُصافة (وهي التبن والقش، رمز الضعف والضآلة) أمام الريح رمز القوة والقضاء، فينزلقون في ظلام أمام ملاك الرب، الحال حول خائفيه وينجيهم، والذي يدحر الأعداء ويطاردهم ويُبعدهم، فينهزمون ويهربون ولا يعودون يهاجمون داود من جديد. وكل من يبتعد عن الله يحقّر نفسه فيصير كالعصافة، زهيد القيمة، خفيف الوزن، لا استقرار له ولا سلام ولا هدوء، ويتم فيه القول: «تزلُّ أقدامهم. إن يوم هلاكهم قريب، والمهيَّآت لهم مسرعة» (تث ٣٢:٣٥).

لقد هاجموا البريء و«بلا سبب حفروا لنفسي» (آية ٧ب). وأخفى عدوُّه له شبكة يقتنصه بها ليهلكه، فقال: «لتنشب به الشبكة التي أخفاها، وفي التهلكة نفسها ليقع» (آية ٨). ويتفق المرنم والنبي القائل: «هل يُجازَى عن خير بشرّ؟ لأنهم حفروا حفرة لنفسي. اذكر وقوفي أمامك لأتكلم عنهم بالخير، لأردَّ غضبك عنهم» (إر ١٨:٢٠). فإن «الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً» (غل ٦:٧).

٣ - المرنم يفرح بخلاص الله: «أما نفسي فتفرح بالرب وتبتهج بخلاصه. جميع عظامي تقول: يا رب، من مثلك المنقذ المسكين ممَّن هو أقوى منه، والفقير والبائس من سالبه؟» (آيتا ٩ و١٠). كل صلاة مستجابة يجب أن تجعل قلوبنا تفيض بالشكر والفرح بخلاص الرب، الذي ليس مثله في رحمته وقوته وهو ينقذ المسكين من ظالمه. إن خلاص المسيح خبر طيب يسمّن العظام (أم ١٥:٣٠) ويشجّع

المؤمن أن يتَّكل على الرب فيسمَن (أم ٢٨:٢٥) وهو يقول: «مَن هو إلهٌ مثلك غافرٌ الإثم وصافحٌ عن الذنب لبقية ميراثه؟ لا يحفظ إلى الأبد غضبه، فإنه يُسرُّ بالرأفة» (مي ٧:١٨).

في بداية الحديث عن الله المخلِّص صرخ المظلوم، يطلب من الله أن يحاكم مخاصميه، ويقاتل مقاتليه، ويتبنَّى قضيته ويدافع عنه. وأنهى هذا الحديث بالشكر لله: «أما نفسي فتفرح بالرب وتبتهج بخلاصه». استمَع الله واستجاب وتبنَّى القضية، ودافع ونصَر، فله الشكر الممتزج بالفرح. وهذا ما سيحدث في نهاية العالم، إذ يقول الرائي: «سمعتُ صوتاً عظيماً من جَمْعٍ كثير في السماء، قائلاً: هللويا! الخلاص والمجد والكرامة والقدرة للرب إلهنا، لأن أحكامه حق وعادلة، إذ قد دان الزانية العظيمة التي أفسدت الأرض بزناها، وانتقم لدم عبيده من يدها. وقالوا ثانية: هللويا! ودخانها يصعد إلى أبد الآبدين» (رؤ ١٩:١-٣).

ثانياً - أعداء المرنم

(آيات ١١-١٦)

١ - **شهدوا عليه زوراً:** «شهود زور يقومون، وعمّا لم أعلم يسألونني» (آية ١١). اتَّهموا داود بجرائم لم يسمع عنها، وقالوا إنه يريد إيذاء الملك شاول، مع أنه زوج ابنته وأحد رجال القصر الأمناء (١صم ٢٤:٩). فعلوا هذا مع أن الله أوصى: «لا تقبل خبراً كاذباً، ولا تضع يدك مع المنافق لتكون شاهد ظلم» (خر ٢٣:١). وقد كرر شيوخ اليهود الجريمة نفسها مع المسيح، فقد كانوا «يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه، فلم يجدوا. ومع أنه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا، ولكن أخيراً تقدَّم شاهدا زور» (مت ٢٦:٥٩ و٦٠).

٢ - **جازوا محبته بالبغضة:** (آيات ١٢-١٤).

لم يكن يتوقع مثل هذه المعاملة من الذين عمل معهم الخير، فقد جازوه عن الخير «ثَكَلاً» أي إذلالاً لنفسه، وهو الأمر الذي تكرر مع المسيح، فقال لليهود: «أعمالاً كثيرة حسنة أريتُكم من عند أبي، بسبب أي عملٍ منها ترجمونني؟» (يو ١٠:٣٢).. عندما كان أعداء المرنم يمرضون كان يتذلل أمام الله في الصوم والصلاة لأجلهم وهو يلبس المسوح (وهي ثياب الحزن)، ليشفي الرب مرضهم، ويتوِّبهم إليه. بكى معهم وعليهم وكأنه ينوح على أمه. ولكن صلاته رجعت إلى حضنه بالبركة عليه، دون أن تحمل لهم أي بركة، لأنهم كانوا يرفضون نِعَم الله. عندما يطلب المؤمن بركة لغير المؤمن، تستجيب السماء صلاته وتجهِّز البركة وترسلها. ولكن المرسَل إليه يرفض الهدية، ويكتب عليها: يُعاد إلى الراسل، مع الشكر (أو مع عدم الشكر!). وهكذا يحرم نفسه من البركة. لكن لا بد أن تحصل صلاة المؤمن على استجابة، وقد رجعت صلاة المرنم عليه بالبركة. أما أعداؤه فلم يستفيدوا منها لأن قلوبهم كانت مغلقة عن نعمة الله. وقد قال المسيح للتلاميذ: «إن كان البيت مستحقاً فليأتِ سلامكم عليه. ولكن إن لم يكن مستحقاً فليرجع سلامكم إليكم» (مت ١٠:١٣). كم حزن داود على شاول المريض، وكم عزف له على العود، وكم صلي لأجله، ولكن شاول الشرير لم يتبارك بصلاة داود..

وقد ردّ الرب سبي أيوب لما صلى من أجل أصحابه، ولم يستفِد أصحابه من استجابة صلاته كما استفاد هو!

٣ - شمتوا به وشتموه: «ولكنهم في ظَلْعي (عَرَجي) فرحوا واجتمعوا. اجتمعوا عليَّ شاتمين ولم أعلم. مزقوا ولم يكفوا. بين الفجار المُجّان لأجل كعكة حرّقوا عليَّ أسنانهم» (آيتا ١٥ و١٦). ربما هاجمه أحد أعدائه وأصابه، فوقع يظْلَع (يعرج) فاجتمعوا حوله شامتين شاتمين، يمزّقونه ولا يكفّون، كأنهم ذئاب مفترسة. ثم أمسكوا سيرته، وضحكوا عليه، وجعلوه موضوع سخريتهم في حفلاتهم، واستأجروا «الفُجّار المُجّان» (وهم المهرّجون الماجنون الساخرون) ليسخروا منه، وأعطوهم كعكة كأجرٍ لهم! وكانت العادة أن الذي يقيم وليمة يستأجر هؤلاء البهلوانات ليُضحِكوا ضيوفه أثناء تناول طعامهم. ويقول داود إن أصدقاءه المحترمين، الذين صام وصلى لأجلهم، وقفوا وسط هؤلاء المهرّجين يحرّقون عليه أسنانهم غضباً، يريدون أن يفترسوه.

ثالثاً - صلاة المرنم

(آيات ١٧-٢٨)

١ - صلاة واثق: «يا رب إلى متى تنظر؟ استردَّ نفسي من تهلكاتهم، وحيدتي من الأشبال. أحمدك في الجماعة الكثيرة، في شعب عظيم أسبّحك» (آيتا ١٧ و١٨). صام داود وصلى لأجل أعدائه، ولكنهم ردّوا الخير شراً. وبقي الرب وحده موضوع ثقته، لأنه دائماً أمين، لذلك عاتب ربَّه في محبة وأمل على تأخيره، وطالبه أن يستردَّ نفسه التي كادت تضيع منه، وأن يحفظ حياته وحيدته من فم الأشبال المتوحّشة المفترسة. ثم أعلن مقدّماً أنه سيعلن تسبيحه وسط المؤمنين على عظمة أمانة الرب.

٢ - صلاة مستغيث: (آيات ١٩-٢١).

(أ) يستغيث من مبغضيه: «لا يشمت بي الذين هم أعدائي باطلاً، ولا يتغامز بالعين الذين يبغضونني بلا سبب» (آية ١٩). لو أن داود قاسى لأنه أخطأ لوجَب أن يكون مزمورنا مزمور اعتراف، لكنه لم يخطئ في حق هؤلاء، فطلب من الله أن ينصفه لكي لا يشمتوا به، ولا يتغامزوا عليه لأن «من يغمز بالعين يسبّب حزناً» (أم ١٠:١٠).

(ب) يستغيث من كلامهم الماكر: «لأنهم لا يتكلّمون بالسلام، وعلى الهادئين في الأرض يتفكّرون بكلام مكر. فغَروا عليَّ أفواههم. قالوا: هه! هه! قد رأت أعيُننا» (آيتا ٢٠ و٢١).

إنهم يبغضون السلام، فكيف يتكلمون به؟ إنهم يسخرون منه ويقولون إنهم رأوا سقوطه! فعلهم شرير وكلامهم مكير، وسخريتهم مريرة. ويبقى الرب وحده ملجأ المرنم من هذا كله.

٣- صلاة مظلوم: (آيات ٢٢-٢٦).

(أ) يظن المظلومُ أن الله صامت: «قد رأيتَ يا رب. لا تسكت يا سيد. لا تبتعد عني» (آية ٢٢). يُخيَّل إلى المظلوم أن الله يراقِب المظالم في صمت. ينظر وكأنه لا يرى. لكن المرنم يعلم أنه حي

وموجود، فلا بد أن يسمع ويعمل ويقترب لينجي المظلوم، وليدين الظالم.

(ب) لكنه يعلم انه قاضٍ عادل: «استيقظ وانتبه إلى حكمي يا إلهي، وسيدي إلى دعواي. اقضِ لي حسب عدلك يا رب إلهي فلا يشمتوا بي» (آيتا ٢٣ و٢٤). لا بد أن الله العادل يكره الظلم، كما قال له حبقوق: «لِمَ تريني إثماً وتبصر (أنت) جوراً؟.. جمدت الشريعة، ولا يخرج الحكم بتَّةً، لأن الشرير يحيط بالصدّيق، فلذلك يخرج الحكم معوجاً» (حب ١:٣ و٤). فلا بد أن الله يستيقظ وينتبه ليقوم بالدفاع عن المظلوم، لأنه القاضي العادل.

(ج) يعلم انه لا بد سينجيه: «لا يقولوا في قلوبهم: هه! شهوتنا. لا يقولوا: قد ابتلعناه. ليخزَ وليخجل معاً الفَرِحون بمصيبتي. ليلبس الخزي والخجل المتعظمون عليَّ» (آيتا ٢٥ و٢٦). لن يترك الله المرنم في فم الأشرار لينفّذوا فيه شهواتهم الشريرة، ولن يسمح لهم أن يبتلعوه من أرض الأحياء فيُبيدون ذكره، ولن يسمح لهم أن يصيبوه بسوء ثم يفرحون في مصيبته، ولا بد سيردُّ خزيهم وخجلهم عليهم لأنهم متكبّرون! هذا نصيبهم في الأرض، ونصيبهم في الأبدية.

٤ - صلاة فرحان: «ليهتف ويفرح المبتغون حقي، وليقولوا دائماً: ليتعظم الرب المسرور بسلامة عبده. ولساني يلهج بعدلك. اليوم كله بحمدك» (آيتا ٢٧ و٢٨). في هاتين الآيتين يذكر المرنم ثلاثةً يفرحون بنجاته واستجابة صلاته: أصحاب الحق الذين تبنوا قضيته بتكليفٍ من الله، ثم الرب المسرور بسلامة عبده، ثم داود نفسه. طلب المرنم من الله أن يفرّح مؤيّديه ومحبّيه معه بالعدالة والنجاة، حتى لو كانت مشاعرهم نحوه مجرد أمنيات بغير أفعال. وكل من يرفع صلاته واثقاً لا بد أن ينتهي به الحال فرِحاً. لجأ داود إلى الله لأنه مظلوم، فتدخَّل الله لإنقاذه.

بدأ مزمورنا بالشكوى «خاصِم مخاصميَّ.. إلى متى تنظر؟» وانتهى بالهتاف: «لساني يلهج بعدلك!». فليعطنا الرب أن نرفع عيوننا له في كل ضيق، فنختبر عدالته العظيمة.

المزمور السادس والثلاثون

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ. لِعَبْدِ ٱلرَّبِّ دَاوُدَ

١ نَأْمَةُ مَعْصِيَةِ ٱلشِّرِّيرِ فِي دَاخِلِ قَلْبِي أَنْ لَيْسَ خَوْفُ ٱللهِ أَمَامَ عَيْنَيْهِ. ٢ لأَنَّهُ مَلَّقَ
نَفْسَهُ لِنَفْسِهِ مِنْ جِهَةِ وِجْدَانِ إِثْمِهِ وَبُغْضِهِ. ٣ كَلاَمُ فَمِهِ إِثْمٌ وَغِشٌّ. كَفَّ عَنِ ٱلتَّعَقُّلِ، عَنْ
عَمَلِ ٱلْخَيْرِ. ٤ يَتَفَكَّرُ بِٱلإِثْمِ عَلَى مَضْجَعِهِ. يَقِفُ فِي طَرِيقٍ غَيْرِ صَالِحٍ. لاَ يَرْفُضُ ٱلشَّرَّ.
٥ يَا رَبُّ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ رَحْمَتُكَ. أَمَانَتُكَ إِلَى ٱلْغَمَامِ. ٦ عَدْلُكَ مِثْلُ جِبَالِ ٱللهِ،
وَأَحْكَامُكَ لُجَّةٌ عَظِيمَةٌ. ٱلنَّاسَ وَٱلْبَهَائِمَ تُخَلِّصُ يَا رَبُّ. ٧ مَا أَكْرَمَ رَحْمَتَكَ يَا ٱللهُ، فَبَنُو
ٱلْبَشَرِ فِي ظِلِّ جَنَاحَيْكَ يَحْتَمُونَ. ٨ يَرْوُونَ مِنْ دَسَمِ بَيْتِكَ وَمِنْ نَهْرِ نِعَمِكَ تَسْقِيهِمْ.
٩ لأَنَّ عِنْدَكَ يَنْبُوعَ ٱلْحَيَاةِ. بِنُورِكَ نَرَى نُوراً. ١٠ أَدِمْ رَحْمَتَكَ لِلَّذِينَ يَعْرِفُونَكَ
وَعَدْلَكَ لِلْمُسْتَقِيمِي ٱلْقَلْبِ. ١١ لاَ تَأْتِنِي رِجْلُ ٱلْكِبْرِيَاءِ، وَيَدُ ٱلأَشْرَارِ لاَ تُزَحْزِحْنِي.
١٢ هُنَاكَ سَقَطَ فَاعِلُو ٱلإِثْمِ. دُحِرُوا فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ٱلْقِيَامَ.

شر الإنسان وصلاح الله

يقدم لنا مزمورنا صورتين متناقضتين، أولاهما للأشرار ذوي المبادئ والأعمال الفاسدة، الذين رفضوا الله ومخافته، وثانيتهما لمحبة الله التي بلا حدود. ويرى المرنم نفسه بين هاتين القوتين الكبيرتين، فيخاف أن يقع فريسة الشر والشرير، فيدعو: «لا تأتني رِجْلُ الكبرياء، ويد الأشرار لا تزحزحني» (آية ١١) ويطلب من الله المحب رحمته وخلاصه، لأنه «عبد الرب» (وهو لقبه في عنوان هذا المزمور، وعنوان مز ١٨). ويمكن تلخيص أفكار المزمور في المثل القائل: «أمَا يضلُّ مخترعو الشر؟ أما الرحمة والحق فيهديان مخترعي الخير» (أم ١٤:٢٢).

في هذا المزمور نجد:

أولاً - مبادئ الشرير وأعماله (آيات ١-٤)

ثانياً - مبادئ الله وأعماله (آيات ٥ -٩)

ثالثاً - صلاة المرنم (آيات ١٠-١٢)

أولاً - مبادئ الشرير وأعماله

(آيات ١-٤)

١ - مبادئ الشرير: (آيتا ١ و٢).

(أ) **الشرير لا يخاف الله**: «نأمة (أنين داخلي) معصية الشرير في داخل قلبي: أن ليس خوف الله أمام عينيه» (آية ١). قد تعني الآية أن الأنين في قلب المرنم وهو يرى شر الأشرار وثورتهم ضد الله وارتدادهم عنه، كما بكى المسيح على أورشليم لأنها لم تعرف ما هو لسلامها (لو ١٩: ٤١ و٤٢). وقد تعني أن الأنين في قلب الشرير وهو يعلن ثورته ضد الله ويبتعد عنه. ويمكن أن تُترجَم هذه الآية: «توسوس المعصية للشرير في صميم قلبه» (بحسب ما جاء في إحدى الترجمات).

«ليس خوف الله أمام عينيه» لأنه يظن أن الله لا يُحسن ولا يُسيء (صف ١: ١٢) وأنه لا دينونة على الشر، ولا ضرورة للتعبُّد. إن عينيه مفتوحتان تريان كيف يكسب رزقاً أكثر، ولا يهم إن كان الطريق إليه حلالاً أو حراماً، وهو يعرف الكثير عن اللذة الحسيَّة، والكراهية، والانتقام، والكذب، والغش، لكنه مظلم الفكر في الأمور الروحية، لأن إبليس «إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح، الذي هو صورة الله» (٢كو ٤: ٤). ينقاد المؤمن بكلمة الله التي هي سراجٌ لرِجْله ونور لسبيله (مز ١١٩: ١٠٥) وينقاد الشرير بأفكاره المظلمة «لأن من القلب تخرج أفكار شريرة: قتل، زنى، فسق، سرقة، شهادة زور، تجديف. هذه هي التي تنجس الإنسان» (مت ١٥: ١٩).

(ب) **الشرير يمدح نفسه**: «لأنه ملَّق نفسه لنفسه من جهة وِجْدان إثمه وبُغضه» (آية ٢). توغَّل الشرير في الشر والبُغض، وهو يُقنع نفسه أن إثمه وبغضه لن يُكتشفا، وأنه على حق. مسكين هذا الشرير، لأن خداع النفس أكثر الأمور خطراً على صاحبها، فإن خدع إنسانٌ غيره فهو يدرك في أعماق نفسه أنه مخادع. لكن إن ملَّق نفسه لنفسه، وصدَّق كذبه، فمن يقنعه أنه خاطئ يحتاج للتوبة؟

٢ - تصرُّفات الشرير: (آيتا ٣ و٤).

(أ) **كلامه شرير**: «كلام فمه إثم وغش» (آية ٣أ). يخرج من فمه كلام أثيم وغير مستقيم. لقد ملَّق نفسه لنفسه. فإن كان قد خدع نفسه، فهل يكثر عليه أن يغشَّ غيره ويخدعه؟

(ب) **تفكيره شرير**: «كَفَّ عن التعقُّل، عن عمل الخير» (آية ٣ب). لعله كان متعقِّلاً وصانع خير ذات يوم فاكتشف أن التعقل لن يكسبه كثيراً من متاع هذه الدنيا، فكفَّ عن التعقُّل وعمل الخير، مفضِّلاً المكسب السريع المؤقت على الأبدية! وعندما يكفُّ الإنسان عن الاتصال بالله يصبح جاهلاً أحمق، ويقع فريسةً لإبليس.

(ج) **عمله شرير**: «يتفكَّر بالإثم على مضجعه. يقف في طريقٍ غير صالح. لا يرفض الشر» (آية ٤). في الليل، والإنسان على مضجعه، يجب أن يراجع أحداث يومه ويتأملها بالشكر على الصالح، وبالتوبة عن الخطأ. ولكن هذا الشرير بدأ شرَّه فكراً على سريره «يتفكر بالإثم» ثم وقف في

طريق غير صالح، ثم لم يرفض عمل الشر. «ويلٌ للمفتكرين بالبُطل والصانعين الشر على مضاجعهم. في نور الصباح يفعلونه، لأنه في قدرة يدهم» (مي ٢: ١). وكان يجب أن يسمع كلمات المزمور الأول: «طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار، وفي طريق الخطاة لم يقف، وفي مجلس المستهزئين لم يجلس» (مز ١: ١).

هذا وصفٌ للخاطئ في طبيعته وفي أسلوب تفكيره وفي تصرفه. فإن كنا قد رجعنا إلى الله تائبين، وملّكَ الربُّ على تفكيرنا وسلوكنا، فلنصلِّ أن نثمر ثمر الروح القدس: محبة، فرح، سلام.

ثانياً - مبادئ الله وأعماله

(آيات ٥-٩)

يئس المرنم من الناس، فرفع وجهه إلى الله، ويا لها من نظرة لطيفة ومحيية. لقد رأى مبادئ الله في: رحمته، وأمانته، وعدله. ورأى أعماله: في الخلاص، والحماية، والإشباع، والإحياء، والإرشاد.

١ - مبادئ الله: (آيتا ٥ و٦أ).

(أ) مبدأ الرحمة: «يا رب، في السماوات رحمتك» (آية ٥أ). رحمته عالية إلى السماوات، في مغفرة الخطايا، واستجابة الصلاة، وكتابة أسمائنا في سفر الحياة، وشفاعة المسيح فينا، وفي أنه يرسل ملائكته إلى عبيده ليخدموهم. ورحمته أيضاً على الأرض لأنه «لا يدع رِجْلك تزلّ. لا ينعس حافظك» (مز ١٢١: ٣). إنه من فوق عرشه يتنازل فيُعيننا ويدبّر أمورنا ويرعانا. وعندما نصل إلى سمائه سنكتشف مراحمه التي لم نرَها ونحن على الأرض بسبب محدودية إدراكنا، فكم شملتنا رحمتُه بطريقةٍ لم تخطر على بالنا أبداً!

هناك ثلاث سماوات: الأولى سماء الطيور، وفيها نرى رحمته مع الطيور، لأن واحداً منها لا يسقط بدونه، ولا يبيت منها واحدٌ جائعاً (مت ٦: ٢٦ و١٠: ٢٩). والثانية سماء النجوم، وفيها نرى «القمر والنجوم التي كوَّنتَها» (مز ٨: ٣).. «الفلَك يُخبر بعمل يديه» (مز ١٩: ١) لأنه ثبَّتها في مكانها لتقول لكل مؤمن: الذي حفظ الأفلاك في موقعها سيحفظك فلا تتزعزع، وسيسندك فلا تخف. والسماء الثالثة هي سماء الله من حيث جاء الابن الوحيد إلى أرضنا وبذل نفسه عنا ليفدينا، فحمل خطايانا، وصار إنساناً مثلنا ليجعل منا شركاء الطبيعة الإلهية (٢بط ١: ٤).

(ب) مبدأ الأمانة: «أمانتك إلى الغمام» (آية ٥ب). هي عالية ورفيعة وفوق إدراك البشر. لم يكن المرنم في زمانه يقدر أن يصل إلى ارتفاع الغمام، فضرب بارتفاعها المثَل. وما أعظم أمانة الله في كل وعدٍ قطعه على نفسه. إن كنا غير أمناء معه فهو يبقى أميناً، لن يقدر أن ينكر نفسه (٢تي ٢: ١٣). لم تسقط كلمة واحدة من جميع الكلام الصالح الذي وعد به شعبه. الكل صار لهم (يش ٢٣: ١٤).

(ج) مبدأ العدالة: «عدلك مثل جبال الله، وأحكامك لجَّة عظيمة» (آية ٦أ). والتعبير «جبال الله»

يعني الجبال العظيمة عظمة الله. عدل الله ثابت كالجبل، ولا يمكن أن يختفي. ظَلَمَ البشرُ المرنم، لكن الرب هو العادل. تزعزعت الأرض من تحته، فوقف الرب إلى جواره وثبَّته وطمأنه وأعطاه حقه، ومنحه مواعيده العظمى والثمينة، لأن «أحكامك لجَّة عظمة». وصاياه نهر سباحة لا يُعبَر، ومهما بلغت معرفتنا الكتابية فستبقى أحكامه لجة عظيمة، لا قرار لها، عميقة لا يقدر أحدٌ أن يدركها، كما أنها «واسعة جداً» (مز ١١٩:٩٦). عندما يقول المؤمن إن شَعر رأسه معدود، وإن واحدة منها لا تسقط إلا والآب يعرفها، قد يبدو هذا أسلوب مبالغة.. لا، هذا كلام حرفي (مت ١٠:٣٠). «يا لعُمق غِنى الله وحكمته وعِلمه! ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء!» (رو ١١:٣٣).

٢ - أعمال الله: (آيات ٦ب-٩).

(أ) **الله يخلِّص**: «الناس والبهائم تخلِّص يا رب» (آية ٦ب). يخلِّص الله الناس من الجوع، ومن الحرب (مز ٢٧:١-٣) ومن المرض (لو ٨:٣٦) ومن الخطية (لو ١٩:١٠). وهو يخلِّص البهائم أيضاً، فهي خليقته، يهتم بها ويدبِّر طعامها. «مَن يهيِّئ للغراب صيده إذ تنعب فراخه إلى الله، وتتردَّد لعدم القوت؟» (أي ٣٨:٤١). من يعتني بالطيور، هل بات واحد منها بغير عشاء؟ إنها «لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السماوي يقوتها» (مت ٦:٢٦). «كلها إياك تترجى لترزقها قُوتَها في حينه. تعطيها فتلتقط. تفتح يدك فتشبع خيراً» (مز ١٠٤:٢٧ و٢٨). لئن خلَّص البهائم، فكم يخلِّصنا! لئن أطعم الطيور، فكم يطعمنا! لئن اعتنى بالخليقة كلها، فكم يعتني بك! ما أسعدنا ونحن نسمعه يقول: «أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التي يوجد فيها أكثر من اثنتي عشرة ربوة (١٢٠ ألفاً) من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم (هم الأطفال)، وبهائم كثيرة» (يون ٤:١١).

(ب) **الله يحمي**: «ما أكرمَ رحمتك يا الله، فبنو البشر في ظل جناحيك يحتمون» (آية ٧). تمتدُّ رحمة الله وحمايته إلى البشر، كل البشر، فهو رب العالمين، كما تمتد إلى كل مخلوقاته. ومحبته كريمة تُغدق عليهم نِعَمه بغير استحقاق فيهم، فيحتمي بنو البشر في ظل جناحيه. إنهم بنو آدم، بنو التراب والضعف والخطية، ولكنه يحميهم، ولو أنهم كثيراً ما يحاولون الاحتماء في ظل أعمالهم أو ظل البشر! يظن الإنسان أنه يملك صحة فتضيع، أو مالاً فينتهي. يظن أن له صديقاً أو شريك حياة، فإذا به يتركه. دعونا نحتمي تحت الظل الوحيد الذي يستحق أن نحتمي فيه، لأنه باقٍ دائماً. قال بوعز لراعوث: «ليكافئ الرب عملك، وليكن أجرك كاملاً من عند الرب إله إسرائيل الذي جئتِ لكي تحتمي تحت جناحيه» (را ٢:١٢). فلنقُل له: «احفظني مثل حدقة العين. بظل جناحيك استُرني» (مز ١٧:٨). «ارحمني يا الله ارحمني، لأنه بك احتمت نفسي، وبظل جناحيك أحتمي إلى أن تعبر المصائب» (مز ٥٧:١).

(ج) **الله يُروي**: «يُروَوْن من دسم بيتك، ومن نهر نِعَمك تسقيهم» (آية ٨). لا شك أن المرنم يذكر الماء الذي خرج من الصخرة ليروي شعبه في الصحراء (خر ١٧ وعد ٢٠) فقال إن الرب يرتب لشعبه مائدة تجاه مضايقيهم، ويجعل كؤوسهم ريا (مز ٢٣:٥). والكلمة «نِعَم» في الأصل العبري هي

صيغة الجمع لكلمة «عدن» الجنة التي لم يعوز آدم فيها شيء. ويقول المرنم إن الله يسقيه من نهر «عدنات» جنات فيشرب ويرتوي. قال المسيح للسامرية: «من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية» (يو ٤:١٤) «فإن الرب قد عزّى صهيون. عزّى كل خربها ويجعل بَرِّيَّتَها كعدن، وباديتها كجنّة الرب» (إش ٥١:٣). وهذا الارتواء أبدي، فيقول الرائي: «الحمل الذي في وسط العرش يرعاهم ويقتادهم إلى ينابيع ماء حية، ويمسح الله كل دمعة من عيونهم» (رؤ ٧:١٧).

(د) الله يحيي: «لأن عندك ينبوع الحياة» (آية ٩أ). الرب هو المحيي، الذي يعطي الحياة ويحفظها ويضمنها، وهو مصدر كل سرور. أخذ تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حية (تك ٢:٧). ولما سقط الإنسان انفصل عن الله وصار ميتاً بالذنوب والخطايا، فجاءنا المسيح مخلّصاً «لأنه هكذا أحبَّ الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣:١٦).

(هـ) الله ينير: «بنورك نرى نوراً» (آية ٩ب). ينير الله حياة المؤمن بشخصه الكريم، وينيرها بنور كلمته التي هي «سراج لرجلي ونور لسبيلي» (مز ١١٩:١٠٥)، وينيرها بالمسيح نور العالم «لأن الله الذي قال أن يشرق نورٌ من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح» (٢كو ٤:٦). ويُبقي الرب المؤمن في حضرته، ويضيء عليه، لأن «فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس، والنور يضيء في الظلمة» (يو ١:٤ و٥). فلنسمع الوصية: «تحب الرب إلهك، وتسمع لصوته، وتلتصق به، لأنه هو حياتك، والذي يطيل أيامك» (تث ٣٠:٢٠).

ثالثاً - صلاة المرنم

(آيات ١٠-١٢)

١ - يطلب دوام الرحمة والعدل: «أدِم رحمتك للذين يعرفونك، وعدلك للمستقيمي القلب» (آية ١٠). كانت رحمة الله على المرنم، وقد وصفها في آيات ٥-٩، وهو يريدها أن تستمر. كأنه يقول للرب: كما كنتَ كُن بغير تغيير. وكلمة «أدِم» تحمل معنى الامتداد، فهي تطلب استمرارية الرحمة. وكلما يعطينا الله أكثر نشعر أننا نحتاج إليه أكثر من أي وقت مضى. ويطالب المرنم بالرحمة والعدل «لمستقيمي القلب» وهو لا يقصد أصحاب الاستقامة الكاملة، فلا يوجد إنسان مستقيم القلب استقامة كاملة، وباستمرار. لكن المقصود هو استقامة النيّة والرغبة في عمل مسرة الله.

٢ - يطلب الحماية: «لا تأتِني رِجْلُ الكبرياء، ويد الأشرار لا تزحزحْني» (آية ١١). يطلب المرنم من الرب أن يحميه وألاّ يسمح للمتكبِّر أن يطأه برجله أو أن يؤذيه بيده، كأن يطرده من بيته فيصبح متشرّداً شحاذاً، أو أن يقتله. وقد استُخدِمت كلمة «زحزحة» عن السبي كما قال الرب: «لا أعود أزحزح رِجْل إسرائيل من الأرض» (٢مل ٢١:٨). ويطلب المرنم حماية الرب، فلا يطرده

العدوُّ من بيته ليهيم على وجهه في أرض غريبة، كما حدث عندما اضطُرَّ داود أن يطلب الحماية من ملك جت (١صم ٢١).

٣ - **يطلب سقوط الأثيم:** «هناك سقط فاعلو الإثم. دُحِروا فلم يستطيعوا القيام» (آية ١٢). يرى المرنم بعين الإيمان نهاية الأشرار ودمارهم لأنهم فاعلو إثم، يقول عنهم النبي للرب: «هم أموات لا يحيون.. لذلك عاقبتَ وأهلكتهم، وأبدتَ كل ذكرهم» (إش ٢٦: ١٤). إن نجاح الأشرار هو إلى حين، ولن يربحوا المعركة الأخيرة. والمرنم لا يفرح بسقوطهم، لكنه يرى السقوط قادماً عليهم. «وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعاً» (رو ١٦: ٢٠). «ما أكرم رحمتك يا الله، فبنو البشر في ظل جناحيك يحتمون. يروون من دسم بيتك، من نهر نِعَمك تسقيهم».

المزمور السابع والثلاثون

لِدَاوُدَ

١ لَا تَغَرْ مِنَ ٱلْأَشْرَارِ وَلَا تَحْسِدْ عُمَّالَ ٱلْإِثْمِ، ٢ فَإِنَّهُمْ مِثْلَ ٱلْحَشِيشِ سَرِيعاً يُقْطَعُونَ،
وَمِثْلَ ٱلْعُشْبِ ٱلْأَخْضَرِ يَذْبُلُونَ. ٣ ٱتَّكِلْ عَلَى ٱلرَّبِّ وَٱفْعَلِ ٱلْخَيْرَ. ٱسْكُنِ ٱلْأَرْضَ وَٱرْعَ
ٱلْأَمَانَةَ. ٤ وَتَلَذَّذْ بِٱلرَّبِّ فَيُعْطِيَكَ سُؤْلَ قَلْبِكَ. ٥ سَلِّمْ لِلرَّبِّ طَرِيقَكَ وَٱتَّكِلْ عَلَيْهِ وَهُوَ
يُجْرِي، ٦ وَيُخْرِجُ مِثْلَ ٱلنُّورِ بِرَّكَ وَحَقَّكَ مِثْلَ ٱلظَّهِيرَةِ. ٧ ٱنْتَظِرِ ٱلرَّبَّ وَٱصْبِرْ لَهُ، وَلَا
تَغَرْ مِنَ ٱلَّذِي يَنْجَحُ فِي طَرِيقِهِ، مِنَ ٱلرَّجُلِ ٱلْمُجْرِي مَكَايِدَ. ٨ كُفَّ عَنِ ٱلْغَضَبِ وَٱتْرُكِ
ٱلسَّخَطَ وَلَا تَغَرْ لِفِعْلِ ٱلشَّرِّ، ٩ لِأَنَّ عَامِلِي ٱلشَّرِّ يُقْطَعُونَ، وَٱلَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ ٱلرَّبَّ هُمْ
يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ. ١٠ بَعْدَ قَلِيلٍ لَا يَكُونُ ٱلشِّرِّيرُ. تَطَّلِعُ فِي مَكَانِهِ فَلَا يَكُونُ. ١١ أَمَّا
ٱلْوُدَعَاءُ فَيَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ، وَيَتَلَذَّذُونَ فِي كَثْرَةِ ٱلسَّلَامَةِ.

١٢ ٱلشِّرِّيرُ يَتَفَكَّرُ ضِدَّ ٱلصِّدِّيقِ وَيُحَرِّقُ عَلَيْهِ أَسْنَانَهُ. ١٣ ٱلرَّبُّ يَضْحَكُ بِهِ لِأَنَّهُ رَأَى
أَنَّ يَوْمَهُ آتٍ! ١٤ ٱلْأَشْرَارُ قَدْ سَلُّوا ٱلسَّيْفَ وَمَدُّوا قَوْسَهُمْ لِرَمْيِ ٱلْمِسْكِينِ وَٱلْفَقِيرِ،
لِقَتْلِ ٱلْمُسْتَقِيمِ طَرِيقُهُمْ. ١٥ سَيْفُهُمْ يَدْخُلُ فِي قَلْبِهِمْ وَقِسِيُّهُمْ تَنْكَسِرُ.

١٦ اَلْقَلِيلُ ٱلَّذِي لِلصِّدِّيقِ خَيْرٌ مِنْ ثَرْوَةِ أَشْرَارٍ كَثِيرِينَ. ١٧ لِأَنَّ سَوَاعِدَ ٱلْأَشْرَارِ
تَنْكَسِرُ، وَعَاضِدُ ٱلصِّدِّيقِينَ ٱلرَّبُّ. ١٨ ٱلرَّبُّ عَارِفٌ أَيَّامَ ٱلْكَمَلَةِ، وَمِيرَاثُهُمْ إِلَى ٱلْأَبَدِ
يَكُونُ. ١٩ لَا يُخْزَوْنَ فِي زَمَنِ ٱلسُّوءِ، وَفِي أَيَّامِ ٱلْجُوعِ يَشْبَعُونَ. ٢٠ لِأَنَّ ٱلْأَشْرَارَ
يَهْلِكُونَ، وَأَعْدَاءُ ٱلرَّبِّ كَبَهَاءِ ٱلْمَرَاعِي. فَنُوا. كَٱلدُّخَانِ فَنُوا. ٢١ ٱلشِّرِّيرُ يَسْتَقْرِضُ
وَلَا يَفِي، أَمَّا ٱلصِّدِّيقُ فَيَتَرَأَّفُ وَيُعْطِي. ٢٢ لِأَنَّ ٱلْمُبَارَكِينَ مِنْهُ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ،
وَٱلْمَلْعُونِينَ مِنْهُ يُقْطَعُونَ.

٢٣ مِنْ قِبَلِ ٱلرَّبِّ تَتَثَبَّتُ خَطَوَاتُ ٱلْإِنْسَانِ وَفِي طَرِيقِهِ يُسَرُّ. ٢٤ إِذَا سَقَطَ لَا يَنْطَرِحُ
لِأَنَّ ٱلرَّبَّ مُسْنِدٌ يَدَهُ. ٢٥ أَيْضاً كُنْتُ فَتىً وَقَدْ شِخْتُ وَلَمْ أَرَ صِدِّيقاً تُخُلِّيَ عَنْهُ وَلَا ذُرِّيَّةً
لَهُ تَلْتَمِسُ خُبْزاً. ٢٦ ٱلْيَوْمَ كُلَّهُ يَتَرَأَّفُ وَيُقْرِضُ وَنَسْلُهُ لِلْبَرَكَةِ.

٢٧ حِدْ عَنِ ٱلشَّرِّ وَٱفْعَلِ ٱلْخَيْرَ وَٱسْكُنْ إِلَى ٱلْأَبَدِ. ٢٨ لِأَنَّ ٱلرَّبَّ يُحِبُّ ٱلْحَقَّ وَلَا
يَتَخَلَّى عَنْ أَتْقِيَائِهِ. إِلَى ٱلْأَبَدِ يُحْفَظُونَ. أَمَّا نَسْلُ ٱلْأَشْرَارِ فَيَنْقَطِعُ. ٢٩ ٱلصِّدِّيقُونَ يَرِثُونَ
ٱلْأَرْضَ وَيَسْكُنُونَهَا إِلَى ٱلْأَبَدِ. ٣٠ فَمُ ٱلصِّدِّيقِ يَلْهَجُ بِٱلْحِكْمَةِ وَلِسَانُهُ يَنْطِقُ بِٱلْحَقِّ.

٣١ شرِيعَة إِلهِه فِي قلبه. لَا تَتَقَلْقَلُ خَطَوَاتُهُ. ٣٢ اَلشِّرِّيرُ يُرَاقِبُ اَلصِّدِّيقَ مُحَاوِلًا أَنْ
يُمِيتَهُ. ٣٣ اَلرَّبُّ لَا يَتْرُكُهُ فِي يَدِهِ، وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهِ عِنْدَ مُحَاكَمَتِهِ. ٣٤ اِنْتَظِرِ اَلرَّبَّ
وَاحْفَظْ طَرِيقَهُ فَيَرْفَعَكَ لِتَرِثَ اَلْأَرْضَ. إِلَى انْقِرَاضِ اَلْأَشْرَارِ تَنْظُرُ.
٣٥ قَدْ رَأَيْتُ اَلشِّرِّيرَ عَاتِياً، وَارِفاً مِثْلَ شَجَرَةٍ شَارِقَةٍ نَاضِرَةٍ. ٣٦ عَبَرَ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ
بِمَوْجُودٍ، وَالْتَمَسْتُهُ فَلَمْ يُوجَدْ. ٣٧ لَاحِظِ اَلْكَامِلَ وَانْظُرِ اَلْمُسْتَقِيمَ، فَإِنَّ اَلْعَقِبَ لِإِنْسَانِ
اَلسَّلَامَةِ. ٣٨ أَمَّا اَلْأَشْرَارُ فَيُبَادُونَ جَمِيعاً. عَقِبُ اَلْأَشْرَارِ يَنْقَطِعُ. ٣٩ أَمَّا خَلَاصُ
اَلصِّدِّيقِينَ فَمِنْ قِبَلِ اَلرَّبِّ، حِصْنِهِمْ فِي زَمَانِ اَلضِّيقِ. ٤٠ وَيُعِينُهُمُ اَلرَّبُّ وَيُنَجِّيهِمْ. يُنْقِذُهُمْ
مِنَ اَلْأَشْرَارِ وَيُخَلِّصُهُمْ، لِأَنَّهُمُ احْتَمُوا بِهِ.

لا تحسد الأشرار

في مزمور ٣٦ تأمل المرنم بأسف نجاح الأشرار رغم أعمالهم الأثيمة، ولكنه وجد عزاءه في عدل الله ورحمته. وفي هذا المزمور يتأمل مرة أخرى في نجاح الأشرار، ويشجع المؤمنين بقوله إن مصير الأشرار هو الهلاك والبوار، أما الودعاء فيرثون الأرض. وقد وجد المؤمنون في كل العصور مشكلةً في نجاح الأشرار ومتاعب الأبرار، حتى أنهم تذمَّروا، وحسدوا الأشرار على نجاحهم، وكاد بعضهم يفقدون إيمانهم في صلاح الله وعدله. واحتاجوا جميعاً إلى من يشجعهم في محنتهم الروحية.

في هذا المزمور التعليمي، والذي يشبه حكمة سفر الأمثال، يوضّح المرنم أن نجاح الشرير لا يستمر، فلا بد أن عقاب شرّه يدركه أخيراً. كما يوضح أن حالة الصدّيق أفضل من حالة الشرير، حتى لو عانى الصدّيق من المتاعب، لأن تعبه وقتي، أما عقاب الشرير فأبدي. ويحل المرنم المشكلة ببساطة بالغة فيقول: ضَعْ ثقتك في الرب وانتظِره، وسيكون كل شيء رائعاً في النهاية. سيهلك الأشرار ويُكافأ الأبرار. أما الآن، فإن المؤمن يتلذَّذ بعبادة الرب ويجد فرحه بالقرب منه.

ومزمورنا من المزامير الأبجدية، تبدأ كل آيتين منه بحرف من حروف الأبجدية العبرية. وقد تأملنا من قبل ثلاثة مزامير أبجدية هي: ٩ و٢٥ و٣٤.

في هذا المزمور نجد:

أولاً - لا تحسد الأشرار (آيات ١-١١)

ثانياً - مكائد الشرير ترتدُّ إليه (آيات ١٢-١٥)

ثالثاً - سبع مفارقات بين الصدّيقين والأشرار (آيات ١٦-٤٠)

أولاً - لا تحسد الأشرار

(آيات ١-١١)

يبدأ المزمور بنصيحة تقول: «لا تغرْ من الأشرار، ولا تحسد عُمّال الإثم» (آية ١). عند الأشرار ما يجعل الصدّيق يغار، لأنهم ناجحون زاهون مثل العشب الأخضر، بينما المؤمن مغموم مضطهَد، فيحزن الصدّيق وهو يرى نجاح من لا يستحق، ويقول مع آساف المرنم: «غِرتُ من المتكبّرين إذ رأيتُ سلامة الأشرار» (مز ٧٣:٣) ويتساءل مع النبي: «أبرٌّ أنت يا رب من أن أخاصمك، لكن أكلّمك من جهة أحكامك. لماذا تنجح طريق الأشرار؟» (إر ١٢:١ قارن أي ٢١:٧-١٥). فإذا تجرَّبْتَ بأن تغار من نجاح الأشرار، فلتضع هذه الغيرة في حجمها، واستمع إلى الحكيم يقول لك: «لا تحسد الظالم ولا تختَرْ شيئاً من طرقه.. لا يحسدنّ قلبُك الخاطئين، بل كن في مخافة الرب اليوم كله.. لا تحسد أهل الشر ولا تشتهِ أن تكون معهم» (أم ٣:٣١ و٢٣:١٧ و٢٤:١).

ويقدم المرنم سبعة أسباب تساعد المؤمن على عدم حسد الأشرار:

١ - لا بد أن الشرير يهلك: «فإنهم مثل الحشيش سريعاً يُقطعون، ومثل العشب الأخضر يذبلون» (آية ٢). سيصبحون كالعصافة التي تذرّيها الريح (مز ١:٤) «كل جسدٍ عشب، وكل جماله كزهر الحقل. يبس العشب، ذبل الزهر، لأن نفخة الرب هبَّت عليه. حقاً الشعب عشب» (إش ٤٠:٦ و٧) وعلى هذا فإن بركات الأشرار مؤقتة، وأكبر نجاح يحقّقونه هو النجاح الأرضي الذي يزول مهما طال، وهو لا شيء بالنسبة للأبدية التي بلا نهاية، لأنه «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟» (مت ١٦:٢٦).

٢ - لا بد أن يكون المؤمن أميناً: «اتكِل على الرب وافعل الخير. اسكن الأرض وارْعَ الأمانة» (آية ٣). فعلاج الحسد والغيرة هو ثقتنا بالرب، وعمل الخير، والإقامة بالقرب من الله في الأرض التي قسمها لنا وأرادنا أن نقيم فيها، وحياتنا الأمينة له وللآخرين. وعندما نطيع الوصية سينشغل وقتنا بالله وبخدمته وبأعمالنا الصالحة، فلا نعود نجد وقتاً للتذمُّر! فلنضع ثقتنا في الرب ولنعتمد عليه، ولنكن صالحين، ولنترك النتائج لله. عندها سيقول لنا: «نِعِمّاً أيها العبد الصالح والأمين، كنت أميناً في القليل فأُقيمك على الكثير. ادخل إلى فرح سيدك» (مت ٢٥:٢١).

٣ - لا بد أن يفرح المؤمن بالرب ويتلذّذ به: «وتلذَّذ بالرب فيعطيك سؤل قلبك» (آية ٤). قال أليفاز التيماني: «تعرَّف به واسلَمْ، بذلك يأتيك خير.. لأنك حينئذ تتلذَّذ بالقدير، وترفع إلى الله وجهك. تصلي له فيستمع لك، ونذورك توفيها. وتجزم أمراً فيثبت لك، وعلى طرقك يضيء نور» (أي ٢٢:٢١-٢٨). «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب. طوبى للرجل المتوكل عليه» (مز ٣٤:٨). خُذ فرحك من شركتك مع الله فيعطيك سؤل قلبك الذي تحتاجه فعلاً، فإننا أحياناً نطلب طلبات ليست في صالحنا. لكن عندما نتلذَّذ بالرب يعطينا السؤل الحقيقي الذي يُشبع قلوبنا. وهو يعطي سؤل القلب لأنه صاحب السلطان، ولأنه المحب. قال المسيح: «دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض»

(مت ١٨:٢٨). فليعطنا الله أن نعرف «عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين، حسب عمل شدة قوته» (أف ١٩:١).

٤ - **لا بد أن يسلّم المؤمن نفسه للرب:** «سلّم للرب طريقك واتّكل عليه وهو يُجري. ويُخرِج مثل النور برّك وحقّك مثل الظهيرة» (آيتا ٥ و٦). «ألقِ على الرب أعمالك، فتثبَّت أفكارك» (أم ٣:١٦) «ملقين كل همّكم عليه، لأنه هو يعتني بكم» (١بط ٧:٥). «أمين هو الذي يدعوكم، الذي سيفعل أيضاً» (١تس ٢٤:٥). فلنسلّم لله أمورنا، حلوها ومرّها، ليسندنا ويرشدنا. وهو يُجري دائماً كل ما يتوقعه المؤمن الواثق به، فإنه حي وفعال وموجود في عالمنا يمارس سلطانه. وعندما يحاول الخطاة التعتيم عليك، فإنه يدافع عنك ويزيح غيوم الشكوك عنك وينصرك، لأنك تتكل عليه وتضع ثقتك فيه، فيُخرِج حقّك المختفي كالشمس المشرقة، ويتحقّق معك القول: «أما سبيل الصديقين فكنورٍ مشرقٍ يتزايد وينير إلى النهار الكامل» (أم ١٨:٤). افعل الخير كما للرب وليس للناس، ومن الرب ستنال جزاء الميراث (كو ٢٤:٣) «حينئذ يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم» (مت ٤٣:١٣).

٥ - **لا بد أن ينتظر المؤمن الرب:** «انتظر الرب واصبر له، ولا تَغَرْ من الذي ينجح في طريقه، من الرجل المُجري مكايد» (آية ٧). وانتظار الرب يعني السكون أمامه بدون تذمر، والصبر لسماع صوته، وتوقّع تدخله في الموعد المناسب الذي يحدده بحكمته، كما قال المرنم: «إنما لله انتظرَت نفسي. من قِبَله خلاصي» (مز ١:٦٢) «لأنه هكذا قال السيد الرب..: بالرجوع والسكون تخلُصون. بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم» (إش ١٥:٣٠) «انتظاراً انتظرت الرب فمال إليّ وسمع صراخي» (مز ١:٤٠).

ويتعرض المؤمن للتذمُّر لما يرى نجاح الشرير عن طريق الغش والتحايل، ولكن الصبر أمام الله وانتظار تدخله يضع نهايةً للتذمُّر الذي لا لزوم له، لأننا ننتظر عمل الرب، ونؤمن بتوقيته الحكيم، فلا نحرك عقارب الساعة، ولا نفتح أوراق وردة جميلة قبل موعد تفتّحها. فلننتظر الرب بصبر، لا صبر البائس العاجز عن الفعل، بل صبر الراجي الذي يثق أن القيامة المجيدة لا بد أن تتبع الصليب، وأن النصرة تأتي بعد الحرب، وأنه «عند المساء يبيت البكاء، وفي الصباح ترنم» (مز ٥:٣٠).

٦ - **لا بد أن يضبط المؤمن نفسه:** «كُفَّ عن الغضب واترك السَّخط، ولا تَغَرْ لفعل الشر، لأن عاملي الشر يُقطَعون والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض. بعد قليل لا يكون الشرير، تطلّع في مكانه فلا يكون» (آيات ٨-١٠). يقود الغضب صاحبه إلى الخطإ، لأنه يُنسيه محبة الله وعنايته وعطاياه. وقد ينضم إلى الأشرار في حماقاتهم، كما قال آساف، بعد أن رأى نجاح الشرير وتعب المؤمن: «حقاً قد زكّيتُ قلبي باطلاً» (مز ١٣:٧٣). ولكن الرب فتح عينيه على الحق، فقال: «إنما صالح الله لأنقياء القلب» (مز ١:٧٣). نقّ قلبك، واترك الغضب لتنال البركة الإلهية، ولا تنسَ أن مصير الشرير إلى زوال.

٧ - **لا بد أن يكون المؤمن وديعاً:** «أما الودعاء فيرثون الأرض ويتلذّذون في كثرة السلامة» (آية ١١). وليس المقصود فقط أن المؤمن يرث الأرض حرفياً، فالآية تحمل أيضاً معنى روحياً، وهو

أننا نربح الناس بمحبتنا ووداعتنا. كثيرون يرثون أرضاً لا يتلذذون بها، بسبب قلقهم أو بسبب خطيتهم. أما الذين صبروا للرب وانتظروه فيرثون الأرض ويتلذذون بما أعطاهم. وقد حقق الله هذا الوعد لموسى، الذي يصفه الكتاب بأنه كان وديعاً حليماً، فقال عنه: «أما الرجل موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض» (عد ١٢:٣) فقاد بني إسرائيل إلى مشارف أرض الموعد.

قال المسيح: «طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض» (مت ٥:٥). فإن كنا ودعاء يتحقق معنا القول: «ويسكن شعبي في مسكن السلام، وفي مساكن مطمئنة، وفي محلات أمينة» (إش ٣٢:١٨) «سلامةٌ جزيلة لمحبّي شريعتك، وليس لهم معثرة» (مز ١١٩:١٦٥).

ثانياً - مكائد الشرير ترتدُّ إليه

(آيات ١٢-١٥)

كثيراً ما لا يشعر الصدّيق بمكائد الشرير ضده، لأن الصدّيق حسن النية، بسيط القلب والعين. وكثيراً ما يكيد الشرير للصدّيق لأنه يعلم أن الصدّيق لا يقاوم الشر إلا بالخير. ولكن لا بد أن مكائد الشرير ترتدّ عليه بالضرر. عندما أقام المسيح لعازر من الموت آمن به كثيرون، فتضايق شيوخ اليهود وقرروا أن يقتلوا لعازر، ليدفنوا الشاهد على قوة المسيح (يو ١٢:٩ و١٠). غريب! أليس إيمانهم بالمسيح أفضل من محاولتهم قتل لعازر؟ لكن الغيرة من نجاح المسيح جعلتهم يكيدون له وللعازر! «الشرير يتفكّر ضد الصدّيق».

وفي هذه الآيات الأربع نجد فكرتين:

١ - **التفكير في المكيدة:** «الشرير يتفكّر ضد الصدّيق ويحرّق عليه أسنانه. الرب يضحك به لأنه رأى أن يومه آتٍ» (آيتا ١٢ و١٣). كأن الشرير حيوان مفترس يحاول الإمساك بالفريسة وهو يحرّق أسنانه ليلتهمها. ولكن الرب سبق وقضى على الشرير بالهلاك. لقد حرّق الملك شاول أسنانه على داود فأخذ يطارده ليهلكه. وذات يوم وشاول يطارد داود وقع في يد داود، وكان يمكن أن يقتله داود، لكنه قال: الرب سوف يضربه، أو يأتي يومه فيموت، أو ينزل إلى الحرب ويهلك. «حاشا لي من قِبَل الرب أن أمدّ يدي إلى مسيح الرب» (١صم ٢٦:١٠ و١١) وقد كان!

٢ - **تنفيذ المكيدة:** «الأشرار قد سلّوا السيف ومدّوا قوسهم لرمي المسكين والفقير، لقتل المستقيم طريقهم. سيفهم يدخل في قلبهم وقِسِيُّهم تنكسر» (آيتا ١٤ و١٥). فكروا في المكيدة، واستلوا سيوفهم ليغمدوها في الصدور! الأغلب أن داود كان يذكر الملك شاول الذي حاول كثيراً أن يقتله بالرمح وبالسيف، وانتهى شاول بأن سقط على سيفه ومات! (١صم ٣١:٤). ولعله ذكر ما حدث مع أبشالوم ابنه، الذي قام ضده بانقلاب فاشل، فمات معلقاً على شجرة بعد أن طعنه قائد جيش داود بالسيف (٢صم ١٨:٩). لقد ارتدّ السيفان إلى صدري شاول وأبشالوم!

عندما جاء العسكر ليلقوا القبض على المسيح ليصلبوه، كان يرافقهم ملخس خادم رئيس الكهنة، فاستل بطرس سيفه وضرب ملخس فقطع أذنه، فأعاد المسيح أذن ملخس إلى مكانها، وقال لبطرس: «رُدَّ سيفك إلى مكانه، لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون» (مت ٢٦:٥٢). فلندع العنفاء للمصير المؤلم الذي هو أجرة خطيتهم، لأنهم رفضوا أن يتوبوا. أما جماعة الرب فلتتلذذ في كثرة السلامة.

ثالثاً - سبع مفارقات بين الصديقين والأشرار

(آيات ١٦-٤٠)

١ - مفارقة في التمتع بالثروة: «القليل الذي للصدّيق خير من ثروة أشرار كثيرين» (آية ١٦). قد يكون عند الصدّيق قليل وعند الشرير الكثير، حتى أن الصديق يُجرَّب أن يحسد الشرير. لكن القليل الذي نعلم أننا أخذناه بأمانة وعدل هو خير من دَخْل كبير أُخذ بالظلم. قال الحكيم: «لقمةٌ يابسة معها سلامة خيرٌ من بيت ملآن ذبائح مع خصام» (أم ١٧:١). «القليل مع مخافة الرب خيرٌ من كنز عظيم مع همٍّ» (أم ١٥:١٦). «القليل مع العدل خيرٌ من دَخْل جزيل بغير حق» (أم ١٦:٨). إن القليل الذي للصدّيق حلال، وهو يستعمله بحكمة لأنه وكيل أمين على ما أعطاه الله له، ولهذا فهو يستمتع به، ويفيض على جسده صحة، كما أن الصدّيق يستخدم ما عنده لخدمة غيره «اليوم كله يترأف ويُقرض، ونسله للبركة» (مز ٣٧:٢٦). ثم أن الله يبارك الصدّيق وما يملكه، لأنه يطيع وصية الله ويدفع عشور دَخْله لعمل الرب. أما الشرير فلا يستمتع بماله لأنه يسلب الله ولا يدفع عشوره. وهل يتبارك إنسانٌ يسلب حقوق الله؟ (ملا ٣:٨) إن الهمّ يركب قلبه. حتى إن ضحك، فلن يستمر ضحكه طويلاً!

٢ - مفارقة في القوة: «لأن سواعد الأشرار تنكسر، وعاضد الصدّيقين الرب» (آية ١٧). ذراعا الشرير قويتان، تعملان الشر، وتقاومان الصدّيقين، ولكن الله يقاوم الشرير «وتنكسر الذراع المرتفعة (بالكبرياء)» (أي ٣٨:١٥). ويسند الله الصدّيق عندما يحاول الشرير إيقاع الأذى به. قد يظن الشرير أنه قوي، يسنده ظلمه، أو جبروته، أو ماله، أو أصحابه. لكن الرب يكسر سواعد الشرير. وقد تبدو ذراعا الصدّيق ضعيفتان، ولكن الله في محبته يسند هذا الضعيف ويقوّيه.

٣ - مفارقة في العمر: (آيات ١٨-٢٠).

وتقدم هذه الآيات ثلاث حقائق:

(أ) يعرف الرب المؤمنين: «الرب عارف أيام الكَمَلة، وميراثهم إلى الأبد يكون» (آية ١٨). إنه يعرف أسماءهم، ويدعوهم بها (إش ٣٤:١) وهو يُحصي شعور رؤوسهم (مت ١٠:٣٠) ويعرف طاعتهم ومحبتهم له. ويعرف عدد أيامهم، كما قال أيوب: «أيامه محدودة، وعدد أشهره عندك، وقد عيّنت أجَله» (أي ١٤:٥) وقال المرنم: «في يدك آجالي» (مز ٣١:١٥). وهو يعرف ويحدّد ما سيحدث معهم في حياتهم، ويجعل كل الأشياء تعمل معاً للخير لأجلهم، لأنهم مدعوّون حسب قصده (رو ٨:٢٨) وهو يعرف مستقبلهم الأبدي، فقد منحهم ميراثاً لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ في السماوات لأجلهم. وهو يحفظهم ثابتين إلى أن يوصّلهم إليه لينالوا هذا الميراث (١بط ١:٤ و٥).

(ب) **يعرف ما يحدث للمؤمنين:** «لا يخزون في زمن السوء، وفي أيام الجوع يَشبعون» (آية ١٩). صحيح أن الصديق يمرُّ بصعوبات وتجيء عليه أيام جوع روحي وفكري وعاطفي ومادي، لكن الرب الذي يسير مع الصدّيق كل الأيام يُخرِجه من جميعها سالماً. «فإذاً الذين يتألمون بحسب مشيئة الله فليستودعوا أنفسهم كما لخالق أمين في عمل الخير» (١بط ٤:١٩) فيقولون مع داود: «إذا سرتُ في وادي ظل الموت لا أخاف شراً، لأنك أنت معي» (مز ٢٣:٤) ويتحقَّق لهم وعد المسيح: «أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد، والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم» (يو ٦:٥١).

(ج) **يعرف ما سيحل بالأشرار:** «لأن الأشرار يهلكون، وأعداء الرب كبهاء المراعي فنوا. كالدخان فنوا» (آية ٢٠). إنهم يهلكون كما تهلك المراعي التي تبدو خضراء، لكن حر الصيف ييبّسها، وتلتهم الحيوانات خضرتها فتصير جرداء! فما أعظم الفرق بين من يحيا لله ومن يحيا لنفسه! يعرف الرب أيام الكمَلة، ويفارق بينهم وبين الأشرار. صحيح أن أعداء الرب يظهرون كالمراعي الخضراء البهية، لكن سرعان ما يُقال عنهم: «فنوا! كالدخان فنوا».

٤ - مفارقة في الأمانة: «الشرير يستقرض ولا يفي، أما الصديق فيترأف ويعطي، لأن المباركين منه يرثون الأرض والملعونين منه يُقطَعون. من قِبَل الرب تتثبَّت خطوات الإنسان، وفي طريقه يُسرُّ. إذا سقط لا ينطرح لأن الرب مسندٌ يده. أيضاً كنت فتى وقد شختُ، ولم أرَ صديقاً تُخُلّي عنه ولا ذرية له تلتمس خبزاً. اليوم كله يترأف ويقرض، ونسله للبركة» (آيات ٢١-٢٦).

وتعلمنا هذه الآيات ثلاث حقائق:

(أ) **الشرير يقترض ولا يفي:** في أول المزمور كان المرنم يغار من الشرير لأنه ثري وناجح. ولكن نجاح الشرير لم يستمر، فراح يقترض وعجز عن السداد. أو أنه لم يسدِّد لأنه غير أمين. والنتيجة الأليمة أنه يُقطع من الأرض. أما المرنم، الذي يبدو في أول المزمور فقيراً، فقد أعطاه الله ما يكفي حاجاته وحاجات المحيطين به، فأخذ يترأف ويعطي، ويُحسِن إلى المحتاجين، فتمَّ فيه الوصف: «سعيدٌ هو الرجل الذي يترأف ويقرض. يدبِّر أموره بالحق.. فرَّق أعطى المساكين، برُّه قائمٌ إلى الأبد» (مز ١١٢:٥ و٩) وتحقق معه الوعد الإلهي: «يباركك الرب إلهك كما قال لك، فتُقرض أمماً كثيرة وأنت لا تقترض» (تث ١٥:٦).

(ب) **الرب يكره طريق الشرير:** يُسرُّ الرب بسلوك الصدّيق، لأن الصديق يُسر بطريق الله، و«كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو ٨:١٤). يتأمل الصدّيق في حياة المسيح الذي ترك لنا مثالاً لنتبع آثار خطواته، ويسير في آثار تلك الخطوات (١بط ٢:٢١). وقد يتعثَّر الصدّيق ويسقط وهو يسير في طريق البر، ولكنه سرعان ما يقوم وينفض عنه ما علق به من أوساخ، لأن الرب يسند يده، كما أمسك المسيح بيد بطرس وهو يكاد يغرق، وأنقذه (مت ١٤:٣١). قال الحكيم: «الصدّيق يسقط سبع مرات ويقوم» (أم ٢٤:١٦). ويقول الله: «أنا الرب إلهك، الممسك بيمينك، القائل لك: لا تخف» (إش ٤١:١٣). يمشي المؤمن رحلة الحياة ويده في يد الرب، فإذا حدث وانزلق لخطإٍ ارتكبه

أو لنقصِ حكمته فإن الله يرفعه. «والقادر أن يحفظكم غير عاثرين، ويوقفكم أمام مجده بلا عيبٍ في الابتهاج» (يه ٢٤). ليس كذلك الأشرار، فإنهم عندما يسقطون في الخطية يتمرّغون فيها ويستمرون في ارتكابها، لأنها تناسب طبائعهم الفاسدة.

(ج) **الرب يكافئ الصدّيق**: إنه لا يسمح أبداً له ولا لأولاده أن يحتاجوا إلى شيء. أما بنو الشرير فيتيهون تيهاناً لعدم وجود القدوة والتعليم في الأبوين، ويحاصرهم الفقر والجوع، فيلتمسون خبزاً في خِربهم ولا يجدونه (مز ١٠٩:١٠). ويكرر المرنم أن الصدّيق يُحسن ويعطي، ويسلك أولاده في آثار خطواته، لأنهم يتعلّمون العطاء منه. وعندما نخدم الله خدمة بالمال يكافئنا بالمال، ويكافئ نسلنا مادياً. وعندما نخدمه بأن نسبّحه ونشهد للآخرين عنه، يكافئنا بالروحيات، ويكافئ نسلنا بالطريقة نفسها. دعونا نخدم الله خدمة مادية وخدمة روحية معاً لننال البركتين.

٥ - **مفارقة في السلوك**: «حِدْ عن الشر وافعل الخير، واسكُن إلى الأبد، لأن الرب يحب الحق، ولا يتخلى عن أتقيائه. إلى الأبد يُحفَظون. أما نسل الأشرار فينقطع. الصدّيقون يرثون الأرض، ويسكنونها إلى الأبد» (آيات ٢٧-٢٩). ينصح المرنم مستمعيه أن يحيدوا عن الشر وأن يفعلوا الخير، كما قال: «حِدْ عن الشر واصنع الخير. اطلب السلامة واسْعَ وراءها» (مز ٣٤:١٤) والنتيجة الطبيعية لهذا السلوك السليم أن الرب لا يتخلى عن المؤمن الذي يخافه ويتّقيه، ولا يتخلى عن نسله، بل يمتعهم بالاستقرار، فيحيا المؤمن إلى الأبد في هذا النسل الذي يباركه الرب، وإلى الأبد يُحفَظون. ويرث الصدّيقون الأرض ويسكنونها إلى الأبد، لأن الرب يبيد الشرير ويمنح بركته للمؤمن، لأنه يحب الحق ويحقّق القول الحكيم: «لأن المستقيمين يسكنون الأرض، والكاملين يبقون فيها» (أم ٢:٢١).

لم يتخلَّ الرب أبداً عن خائفيه، لذلك يصلي المرنم قائلاً: «يا رب رحمتك إلى الأبد. عن أعمال يديك لا تتخلَّ» (مز ١٣٨:٨) أما الشرير فلا بد أن يبيد، وينقطع نسله، كما يقول المرنم عنه: «لتنقرض ذريته. في الجيل القادم ليُمحى اسمه» (مز ١٠٩:١٣).

٦ - **مفارقة في الحكمة**: «فم الصدّيق يلهج بالحكمة، ولسانه ينطق بالحق. شريعة إلهه في قلبه. لا تتقلقل خطواته» (آيتا ٣٠ و٣١). «من فضلة القلب يتكلم الفم. الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يُخرِج الصالحات. والإنسان الشرير من الكنز الشرير يُخرِج الشرور» (مت ١٢:٣٤ و٣٥). والصدّيق هو صاحب الموقف السليم من الله، وهو صاحب القلب الصالح، ولذلك يلهج قلبه بالحكمة الممنوحة له من الله، والمسطَّرة في الوحي المقدس الذي يملأ قلبه، لأن شعاره: «خبأتُ كلامك في قلبي لكيلا أخطئ إليك» (مز ١١٩:١١). ولأن معه يتحقق قول المسيح: «أنتم الآن أنقياء بسبب الكلام الذي كلمتكم به» (يو ١٥:٣). إنه يتمم الوصية الموسوية: «لتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك. وقُصّها على أولادك. وتكلم بها حين تجلس في بيتك، وحين تمشي في الطريق وحين تنام وحين تقوم» (تث ٦:٦-٨). والإنسان الصديق البار يعرف الحق لأنه يعرف شريعة إلهه، فينطق لسانه بالحق، ولا تتقلقل خطواته. إنه مثل القائد العسكري يشوع الذي قال الله له: «لا يبرح سفرُ هذه الشريعة من فمك، بل تلهج فيه نهاراً وليلاً، لكي تتحفَّظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه، لأنك

حينئذ تُصلح طريقك، وحينئذ تُفلح» (يش ١: ٨).

وما أعظم الفرق بين حكمة المؤمن المستَمَدّة من كلمة الله وبين جهالة الشرير المبنيَّة على ضلاله. قال الحكيم: «فم الصديق يُنبت الحكمة، أما لسان الأكاذيب فيُقطَع. شفتا الصدّيق تعرفان المرضيّ، وفم الأشرار أكاذيب» (أم ١٠: ٣١ و٣٢).

٧ - مفارقة في العاقبة: (آيات ٣٢-٤٠).

في هذه الآيات التسع يقدم لنا المرنم أربع حقائق عن عاقبة الصديق وعاقبة الشرير:

(أ) الشرير يكيد للصدّيق، ولكن الرب ينجيه: «الشرير يراقب الصديق محاولاً أن يُميته. الرب لا يتركه في يده، ولا يحكم عليه عند محاكمته. انتظر الرب واحفظ طريقه فيرفعك لترث الأرض. إلى انقراض الأشرار تنظر» (آيات ٣٢-٣٤). أعطى الله الصدّيق شرف أن يكون نور العالم. ولما كان الشرير مريض العين فإن النور يؤذيه، ولهذا يقاوم الصدّيق. توبّخ أعمالُ الصدّيق الصالحة أعمالَ الشرير الرديئة، فيتحرك ضمير الشرير عليه، كما توبِّخ قايين من هابيل (تك ٤: ٦).

كما أن الصدّيق أحياناً يقاوم أعمال الشرير ويخطّئ أفكاره ويعرقل خططه ومؤامراته الأثيمة، ولذلك يراقب الشرير الصدّيق محاولاً أن يُميته. قد يجرُّه إلى محاكمة ظالمة باتهامات كاذبة. لكن الله لا يسمح لمكايده أن تقتنص الصدّيق، ولا يترك الصدّيق في يد المحاكمة الكيدية. صحيح أن الشرير ينجح أحياناً في الكيد للصدّيق، فتصدُر الأحكام الظالمة ضده، لكن الرب لا بد ينصف مختاريه الصارخين إليه نهاراً وليلاً، حتى لو بدا أنه متمهّل عليهم (لو ١٨: ٧).

وينصح المرنم المؤمن المفترَى عليه أن ينتظر الرب. وتتكرر فكرة انتظار الرب كثيراً في الوحي المقدس، لأن الإنسان عادة متعجّل، كما أن المتضايق أكثر تعجُّلاً، لا يقوى على الصبر حتى يجيء التوقيت الإلهي المناسب. ولكن لكل شيء تحت السماوات وقت (جا ٣: ١). فليصرخ المؤمن المفترَى عليه: «خاصِم يا رب مخاصميّ» (مز ٣٥: ١) بمعنى: تبَنَّ يا رب قضيتي ودافع عني. وينصح المرنم المؤمن أن يحفظ طريق الرب فيرفعه الرب ويورثه الأرض، وينصره على مكايد الشرير الذي لا بد أن ينقرض!

(ب) الشرير يزول: «قد رأيتُ الشرير عاتياً وارفاً مثل شجرة شارقة ناضرة. عبَر، فإذا هو ليس بموجود. والتمستُه فلم يوجَد» (آيتا ٣٥ و٣٦). الشجرة الشارقة الناضرة هي المزروعة في تربتها الطبيعية. ويظهر الشرير كأنه العاتي الزاهي، ولكن نهايته أكيدة. وفي هاتين الآيتين دعوة واضحة للتوبة، فإن الله يعطي النجاح للشرير ليعرّفه بمحبته وإحسانه، فإن اعترف بفضل الله عليه وتاب غفر الله له. أما إن استمرّ في شرّه فإن الشرّ يُميت الشرير. لقد عرف المرنم شريراً عاتياً مستبداً، زها كشجرة مورقة في أرضها، ولكنه قُطع فجأة ولم يعُد له وجود، لأن «كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تُقطع وتُلقى في النار» (مت ٣: ١٠).

(ج) مصيران: «لاحِظ الكامل وانظر المستقيم، فإن العقِب لإنسان السلامة. أما الأشرار فيُبادون

جميعاً. عقِب الأشرار ينقطع» (آيتا ٣٧ و٣٨). هناك مستقبل متميّز ورجاء عظيم للصدّيق المستقيم صاحب الموقف السليم من الله. «الصدّيق يَدخل السلام. يستريحون في مضاجعهم. السالك بالاستقامة» (إش ٥٧:٢). قال الحكيم: «لا يحسدنّ قلبُك الخاطئين، بل كن في مخافة الرب اليوم كله، لأنه لا بد من ثواب، ورجاؤك لا يخيب» (أم ٢٣:١٧ و١٨). أما الأشرار فيُبادون «لأنه لا يكون ثوابٌ للأشرار. سراج الأثمة ينطفئ» (أم ٢٤:٢٠). «صوت رُعوبٍ في أذنيه. في ساعة سلام يأتيه المخرّب.. قبل يومه (موته) يُتوفَّى، وسعفه لا يخضرُّ» (أي ١٥:٢١ و٣٢).

(د) خلاص الصدّيق أكيد: «أما خلاص الصدّيقين فمن قِبَل الرب، حصنهم في زمان الضيق، ويعينهم الرب وينجيهم. ينقذهم من الأشرار ويخلّصهم لأنهم احتموا به» (آيتا ٣٩ و٤٠). تلخّص هاتان الآيتان المزمور كله، وتقدمان التشجيع للمؤمن المجرَّب المتعَب المتضايق، وتؤكدان له العون الإلهي والحماية الخاصة. ليست نهاية المؤمن حزناً، بل فرحاً في الرب المنقذ والمخلّص. لقد كانت شريعة الرب بهجةً للمؤمن، فاتّكل على أمانة الرب واحتمى به، فكان الرب حصناً له في زمان الضيق، سواء جاء الضيق من العدو، أو من المرّض، أو من الخطية.

من هو الإنسان الذي يتمتع بكل البركات السماوية والحماية الإلهية؟ إنه الصدّيق البار، صاحب الموقف السليم من الله. هو الذي برّره المسيح وستره بكفارته الكريمة. فدعونا نلجأ إلى الرب الفادي، نحتمي بفدائه الكريم الذي جهّزه لنا على الصليب، فنقول: «إذ قد تبرّرنا بالإيمان لنا سلامٌ مع الله بربنا يسوع المسيح» (رومية ٥:١).

مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ لِلتَّذْكِيرِ

١ يَا رَبُّ لَا تُوَبِّخْنِي بِسَخَطِكَ، وَلَا تُؤَدِّبْنِي بِغَيْظِكَ، ٢ لِأَنَّ سِهَامَكَ قَدِ ٱنْتَشَبَتْ فِيَّ، وَنَزَلَتْ عَلَيَّ يَدُكَ. ٣ لَيْسَتْ فِي جَسَدِي صِحَّةٌ مِنْ جِهَةِ غَضَبِكَ. لَيْسَتْ فِي عِظَامِي سَلَامَةٌ مِنْ جِهَةِ خَطِيَّتِي. ٤ لِأَنَّ آثَامِي قَدْ طَمَتْ فَوْقَ رَأْسِي. كَحِمْلٍ ثَقِيلٍ أَثْقَلَ مِمَّا أَحْتَمِلُ. ٥ قَدْ أَنْتَنَتْ، قَاحَتْ حُبُرُ ضَرْبِي مِنْ جِهَةِ حَمَاقَتِي. ٦ لَوِيتُ. ٱنْحَنَيْتُ إِلَى ٱلْغَايَةِ. ٱلْيَوْمَ كُلَّهُ ذَهَبْتُ حَزِيناً. ٧ لِأَنَّ خَاصِرَتَيَّ قَدِ ٱمْتَلَأَتَا ٱحْتِرَاقاً، وَلَيْسَتْ فِي جَسَدِي صِحَّةٌ. ٨ خَدِرْتُ وَٱنْسَحَقْتُ إِلَى ٱلْغَايَةِ. كُنْتُ أَئِنُّ مِنْ زَفِيرِ قَلْبِي.

٩ يَا رَبُّ، أَمَامَكَ كُلُّ تَأَوُّهِي، وَتَنَهُّدِي لَيْسَ بِمَسْتُورٍ عَنْكَ. ١٠ قَلْبِي خَافِقٌ. قُوَّتِي فَارَقَتْنِي، وَنُورُ عَيْنِي أَيْضاً لَيْسَ مَعِي. ١١ أَحِبَّائِي وَأَصْحَابِي يَقِفُونَ تُجَاهَ ضَرْبَتِي، وَأَقَارِبِي وَقَفُوا بَعِيداً. ١٢ وَطَالِبُو نَفْسِي نَصَبُوا شَرَكاً، وَٱلْمُلْتَمِسُونَ لِيَ ٱلشَّرَّ تَكَلَّمُوا بِٱلْمَفَاسِدِ، وَٱلْيَوْمَ كُلَّهُ يَلْهَجُونَ بِٱلْغِشِّ.

١٣ وَأَمَّا أَنَا فَكَأَصَمَّ لَا أَسْمَعُ. وَكَأَبْكَمَ لَا يَفْتَحُ فَاهُ. ١٤ وَأَكُونُ مِثْلَ إِنْسَانٍ لَا يَسْمَعُ، وَلَيْسَ فِي فَمِهِ حُجَّةٌ. ١٥ لِأَنِّي لَكَ يَا رَبُّ صَبِرْتُ، أَنْتَ تَسْتَجِيبُ يَا رَبُّ إِلٰهِي. ١٦ لِأَنِّي قُلْتُ: «لِئَلَّا يَشْمَتُوا بِي». عِنْدَمَا زَلَّتْ قَدَمِي تَعَظَّمُوا عَلَيَّ. ١٧ لِأَنِّي مُوشِكٌ أَنْ أَظْلَعَ، وَوَجَعِي مُقَابِلِي دَائِماً. ١٨ لِأَنَّنِي أُخْبِرُ بِإِثْمِي وَأَغْتَمُّ مِنْ خَطِيَّتِي. ١٩ وَأَمَّا أَعْدَائِي فَأَحْيَاءٌ. عَظُمُوا. وَٱلَّذِينَ يُبْغِضُونَنِي ظُلْماً كَثُرُوا. ٢٠ وَٱلْمُجَازُونَ عَنِ ٱلْخَيْرِ بِشَرٍّ يُقَاوِمُونَنِي لِأَجْلِ ٱتِّبَاعِي ٱلصَّلَاحَ. ٢١ لَا تَتْرُكْنِي يَا رَبُّ. يَا إِلٰهِي لَا تَبْعُدْ عَنِّي. ٢٢ أَسْرِعْ إِلَى مَعُونَتِي يَا رَبُّ يَا خَلَاصِي.

الصاحب تقود إلى التوبة

هذا واحد من مزامير التوبة السبعة، فنرجو من القارئ الرجوع إلى مقدمة شرحنا لمزمور ٦. وعنوان مزمورنا «للتذكير» فقد تذكر داود خطية ارتكبها (غالباً مع بثشبع - ٢صم ١١ و١٢) فأوقع الله عقابه عليه، فاضطرب جسده كما اضطربت نفسه، وهجره أصحابه، وسخر منه أعداؤه. وفي

وسط هذه الآلام تذكَّر خطيته، وعرف أنه يستحق ما حلَّ به، فقبل تعييرات المعيِّرين، وصرخ إلى الرب في أول المزمور وفي نهايته أن يرفع عنه العقاب (آيات ١ و٢١ و٢٢) ولو أنه في باقي المزمور يقول إن العقاب أكثر مما تستحقه الخطايا التي ارتكبها. ولا شك أن الله يؤدّب المؤمن الذي يخطئ. ولا يبدو التأديب أنه للفرح بل للحزن (عب ١٢:١٠). لكنه يؤدّبه لكي لا يدينه مع العالم (اكو ١١:٣٢)، وليُشركه معه في قداسته.

ويصف أيوب بالتفصيل ما يذكره المرنم هنا باختصار، فيصف مرضه (أي ٧:٥ و٩:١٧) ويقول إن الله عاقبه (أي ١٦:١٢-١٤) وهجره أصحابه (١٦:٢٠ و١٩:١٣-١٥). ويعزو أيوب آلامه لخطاياه، رغم أنه لا يعرف خطية معينة بسببها جاءت عليه كل بلاياه (أي ٧:٢١ و١٠:٦). كما نجد أوجه شبه بين آلام المرنم وآلام عبد الرب المتألم الموصوفة في إشعياء ٥٣، رغم اختلاف أسباب الألم.

في هذا المزمور نجد:

أولاً - مصاعب المرنم ذكّرته أن الله غاضب عليه (آيات ١-١٠)

ثانياً - مصاعب المرنم جعلته يفحص علاقاته الإنسانية (آيات ١١-١٤)

ثالثاً - مصاعب المرنم جعلته يعمّق صلته بالرب (آيات ١٥-٢٢)

أولاً - مصاعب المرنم ذكّرته أن الله غاضب عليه

(آيات ١-١٠)

١ - شدّة مصاعب المرنم: «يا رب لا توبخني ولا تؤدبني بغيظك. لأن سهامك قد انتشبت فيَّ ونزلت عليَّ يدك. ليست في جسدي صحّة من جهة غضبك. ليست في عظامي سلامة من جهة خطيتي» (آيات ١-٣). رأى المرنم العقوبة التي حلّت به آتيةً من قاضٍ غاضب، لا من أب حنون، وكأنه يشارك إرميا في قوله: «أدّبني يا رب، ولكن بالحق، لا بغضبك لئلا تفنيني» (إر ١٠:٢٤). إنه لا يرفض التوبيخ والتأديب، لكنه يريدهما بغير غضب، فقد رأى الله يضربه بسهم، ثم يضربه بيده. و«سهام الله» هي المرض والألم الذي لم يترك في جسده صحة، أما «يده» فهي الضربات المتوالية كما من عصا، والتي لم تترك للمرنم راحة داخلية لأنه خاطئ، ولا استمتاعاً برحمة الرب لأنه غاضب عليه. كان شعوره بالذنب كالحمى التي تحرق نفسه من الداخل، والعقاب الإلهي كالضربات المنهالة عليه من الخارج، كما قال إشعياء: «كل الرأس مريض وكل القلب سقيم. من أسفل القدم إلى الرأس ليس فيه صحّة، بل جرح وأحباطٌ (آثار جروح متورّمة)، وضربة طرية لم تُعصَر ولم تُعصَب ولم تُليَّن بالزيت» (إش ١:٥ و٦). ويرى داود أن خطيته هي سبب غضب الله عليه.

٢ - سبب مصاعب المرنم: «لأن آثامي قد طمت فوق رأسي. كحمل ثقيل أثقل مما أحتمل. قد أنتنت، قاحت حبُر (جروح لم تلتئم) ضربي من جهة حماقتي» (آيتا ٤ و٥). يرى داود آثامه كطوفانٍ

غامر يعلو على رأسه، فلا نجاة منه، وكأنه يقول: «جرفتنا المياه.. عبر السيلُ على أنفسنا» (مز ١٢٤:٤). ورآها كجملٍ يدوسه تحته، كما قال قايين: «ذنبي أعظم من أن يُحتمل» (تك ٤:١٣). وقد ضربه الله بسبب خطيته، وجرحه فتلوَّثت الجروح وأنتنت وفاحت رائحتها. وعندما يستيقظ الضمير يرى شناعة الخطية ويحسّ بثقلها، وهذه الأحاسيس ظاهرة صحية لأنها تدفع صاحبها إلى الالتجاء للمسيح الفادي بالتوبة والعزم على الحياة مع الرب.

٣ - نتيجة مصاعب المرنم: «لَويتُ، انحنيت إلى الغاية. اليوم كله ذهبت حزيناً، لأن خاصرتيَّ قد امتلأتا احتراقاً، وليست في جسدي صحة. خدِرتُ وانسحقتِ إلى الغاية. كنت أئن من زفير قلبي» (آيات ٦-٨). تلوّى داود جسدياً ونفسياً كمن أصابه برد شديد جعله عاجزاً عن الحركة، وانسحق إلى الغاية، كما قال أيوب: «أمعائي تغلي ولا تكف.. حَرِش جلدي عليَّ (خشُن ومال إلى السواد)، وعظامي احترَّت من الحرارة فيَّ» (أي ٣٠:٢٧ و٣٠). زفر قلبه حزناً، وكانت نفسه تئن ألماً نتيجة الألم والمرض «لأنه مثل خبزي يأتي أنيني، ومثل المياه تنسكب زفرتي» (أي ٣:٢٤). وعندما نصل إلى حالة الأنين حزناً على خطايانا يسمعنا الله الحنون ويقدم لنا التعزية التي تمحو كل أثرٍ للحزن، و«طوبى للحزانى لأنهم يتعزّون» (مت ٥:٤).

٤ - بركات مصاعب المرنم: «يا رب، أمامك كل تأوُّهي، وتنهُّدي ليس بمستور عنك. قلبي خافق. قوّتي فارقتني، ونور عيني أيضاً ليس معي» (آيتا ٩ و١٠). دفعت المصاعب المرنم إلى الحضن الإلهي الدافئ، فإن الرب يعرف كل شيء عن شعبه، ويعلم ما نحتاج إليه من قبل أن نسأله (مت ٦:٨). يقول: «سمعت أنين بني إسرائيل» (خر ٦:٥)، فنقول له: «اجعل أنت دموعي في زقِّك» (مز ٥٦:٨). سعيد هو الإنسان المتعَب الذي يلجأ إلى الله، حتى إن كان يدرك أن تعبه عقابٌ إلهي عليه، لأنه عندما يلجأ إلى مراحم الله يجد عنده الترحيب والحب والغفران.

ثانياً - مصاعب المرنم جعلته يفحص علاقاته الإنسانية
(آيات ١١-١٤)

١ - هجره أصحابه: «أحبائي وأصحابي يقفون تُجاه ضربتي، وأقاربي وقفوا بعيداً» (آية ١١). كلمة «ضربة» تعني البرَص (لا ١٣:٣) وقد عامله أحباؤه وأصحابه كأبرص! وقفوا بعيداً لأنهم عاجزون عن المساعدة، أو لأنهم خائفون من العدوى، أو لأنهم لا يريدون أن يُتعبوا أنفسهم معه. ربما كانت هذه كلها معاً. وتطلّع داود في تعبه إلى أحبائه من البشر، فلم يجد أحداً!

٢ - زاد أعداؤه شراً: «وطالبو نفسي نصبوا شرَكاً، والملتمسون ليَ الشر تكلموا بالمفاسد، واليوم كله يلهجون بالغش» (آية ١٢) هاجموه ظلماً كما كانوا يفعلون دائماً. كثيراً ما يجيئنا الهجوم لأننا أخطأنا، لكن عندما يجيئنا الهجوم ونحن أمناء ننال البركة السماوية. «لكم ضمير صالح، لكي يكون الذين يشتِمون سيرتكم الصالحة في المسيح يُخزَون في ما يفترون عليكم كفاعلي شر، لأن تألُّمكم، إن شاءت مشيئة الله، وأنتم صانعون خيراً أفضل منه وأنتم صانعون شراً» (١بط ٣:١٦ و١٧).

٣ - عجز عن الدفاع عن نفسه: «وأما أنا فكأصم لا أسمع، وكأبكم لا يفتح فاه. وأكون مثل إنسان لا يسمع وليس في فمه حُجَّة» (آيتا ١٣ و١٤). شعر المرنم بخطيته، فآثر الصمت أمام أعدائه وكأنه لم يسمع شتائمهم، وقرر تسليم أمره لإلهه لأنه لا يملك ما يدافع به عن نفسه. وهذا ما فعله أيوب عندما عجز عن ردّ دعاوى أصدقائه تمنى أن يرفع شكواه إلى الله وقال: «من يعطيني أن أجده فآتي إلى كرسيّه. أُحسن الدَّعوى أمامه وأملأ فمي حُججاً» (أي ٢٣:٣ و٤).

ثالثاً - مصاعب المرنم جعلته يعمّق صلته بالرب
(آيات ١٥-٢٢)

١ - زادته مصاعبه صبراً للرب وانتظاراً له: «لأني لك يا رب صَبَرتُ. أنت تستجيب يا رب إلهي. لأني قلتُ: لئلا يشمتوا بي. عندما زلّت قدمي تعظموا عليَّ، لأني موشك أن أظلع (أعرج) ووجعي مقابلي دائماً» (آيات ١٥-١٧). كان صبره عامراً بالأمل والانتظار «ولكنني أراقب الرب. أصبر لإله خلاصي. يسمعني إلهي» (مي ٧:٧). لم يجد في نفسه قدرةً، ولم ينتظر الناس لئلا يشمتوا به ويقولوا إن الرب فارقه، فدفعته شماتة العدو على الصلاة. ثم أنه كان موشكاً أن يظلع لأنه صُدم صدمة قوية في رِجْله جعلت الألم ينغِّص عليه حياته، وكان كل يوم يجيئه بمشكلة جديدة. لكنه في وسط هذه كلها صبر للرب وانتظره، واثقاً في الاستجابة، واستودع نفسه بين يدي خالقه، وبصبره استطاع أن يقتني نفسه (لو ٢١:١٩) عالماً أن الله سيختار الوقت المناسب لإنقاذه.

٢ - دفعته مصاعبه ليعترف بآثامه: «لأنني أخبر بإثمي وأغتمُّ من خطيتي» (آية ١٨). يعترف المرنم أن خطيته هي سبب معاناته، و«إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل، حتى يغفر لنا خطايانا ويطهّرنا من كل إثم» (ايو ١:٩). الله أمين في حبه وفي وعوده بالغفران للتائبين، كما أنه عادل لأنه تقاضى أجرة خطيتنا في صليب المسيح. فإن ألقينا خطايانا على المسيح ننال الغفران، لأن الله لا يتقاضى أجرة الخطية مرتين. ولا توجد خطية لا تُغفر إن جئنا إلى الله بتوبة وانكسار. «قلتُ أعترف للرب بذنبي، وأنت رفعتَ آثام خطيتي» (مز ٣٢:٥).

٣ - دفعته مصاعبه ليتبع الصلاح: «وأما أعدائي فأحياءٌ. عظُموا. والذين يبغضونني ظلماً كثُروا. والمجازون عن الخير بشر يقاومونني لأجل اتِّباعي الصلاح» (آيتا ١٩ و٢٠). المؤمن الحقيقي الذي يصبر للرب ويعترف ينال المغفرة، فيفعل الصلاح مهما كانت الصعوبة. «انتظِر الرب واصبِر له» (مز ٣٧:٧). والذين يعترفون بالخطية لا يستمرون في خطيتهم، ولكنهم يديرون ظهورهم لها ويصنعون الصلاح، قائلين: «بدل محبتي يخاصمونني. أما أنا فصلاة» (مز ١٠٩:٤). فإن كنا ثابتين في الرب ثبوت الغصن في الكرمة، لا بد أن ننتج الصلاح كنتيجة طبيعية لثبوتنا فيه. كان أعداء داود أحياء، عيونهم مفتوحة عليه، بل زادوا وعظموا. ومع أنه فعل معهم الخير إلا أنهم جازوه بالشر «كما كان قايين من الشرير وذبح أخاه. ولماذا ذبحه؟ لأن أعماله كانت شريرة وأعمال أخيه بارة» (ايو ٣:١٢). أما فاعل الصلاح فيفعله من أجل الرب، ومن الرب ينال الجزاء (كو ٣:٢٤).

٤ – دفعته مصاعبه للصلاة: «لا تتركني يا رب. يا إلهي لا تبعُد عني. أسرِع إلى معونتي يا رب يا خلاصي» (آيتا ٢١ و٢٢). الرب نفسه هو خلاص المرنم، فيختم مزموره بصلاة طلب المعونة من الرب، خلاصه. إن سلَّمتَه نفسك وجعلته سيد حياتك، تخلص من الخطية التي تتعبك، ومن البشر الذين يضايقونك. ولا يستطيع المؤمن أن يعيش حياة مستقلة عن الله، لأنه يحيا حياة الاعتماد المستمر عليه. من الرب يأخذ حكمته، ويستمد قوته، وينال قداسته، فيدعو الرب: «يا إلهي لا تبعُد عني». ولا يمكن أن الله يبتعد، ولا أن يتوقف عن الحب. لكن الخطية هي التي تفصل الإنسان عن الله وتجعله يظن أن الله ابتعد عنه. ولكن السؤال الهام هو: من منّا غيَّر مكانه؟! هل غيَّر الله موقعه من المؤمن؟ أو هل غيَّر المؤمن موقعه من الله!

دعونا نرجع إلى الله تائبين، فهو لا يتركنا ولا يبعُد عنا، بل يسرع إلى مغفرة خطايانا وإعادة الصلة بيننا وبينه، وإنقاذنا من كل ما يضايقنا. اقبل المسيح رباً لحياتك، تجد الغفران والاطمئنان.

المزمور التاسع والثلاثون

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ. لِيَدُوثُونَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

١ قُلْتُ أَتَحَفَّظُ لِسَبِيلِي مِنَ ٱلْخَطَإِ بِلِسَانِي. أَحْفَظُ لِفَمِي كِمَامَةً فِيمَا ٱلشِّرِّيرُ مُقَابِلِي.
٢ صَمَتُّ صَمْتاً، سَكَتُّ عَنِ ٱلْخَيْرِ، فَتَحَرَّكَ وَجَعِي. ٣ حَمِيَ قَلْبِي فِي جَوْفِي. عِنْدَ لَهَجِي
ٱشْتَعَلَتِ ٱلنَّارُ. تَكَلَّمْتُ بِلِسَانِي. ٤ عَرِّفْنِي يَا رَبُّ نِهَايَتِي وَمِقْدَارَ أَيَّامِي كَمْ هِيَ، فَأَعْلَمَ
كَيْفَ أَنَا زَائِلٌ. ٥ هُوَذَا جَعَلْتَ أَيَّامِي أَشْبَاراً وَعُمْرِي كَلاَ شَيْءَ قُدَّامَكَ. إِنَّمَا نَفْخَةً كُلُّ
إِنْسَانٍ قَدْ جُعِلَ. سِلاَهْ. ٦ إِنَّمَا كَخَيَالٍ يَتَمَشَّى ٱلإِنْسَانُ. إِنَّمَا بَاطِلًا يَضِجُّونَ. يَذْخَرُ
ذَخَائِرَ وَلَا يَدْرِي مَنْ يَضُمُّهَا.
٧ وَٱلآنَ مَاذَا ٱنْتَظَرْتُ يَا رَبُّ؟ رَجَائِي فِيكَ هُوَ. ٨ مِنْ كُلِّ مَعَاصِيَّ نَجِّنِي. لَا
تَجْعَلْنِي عَاراً عِنْدَ ٱلْجَاهِلِ. ٩ صَمَتُّ. لَا أَفْتَحُ فَمِي لِأَنَّكَ أَنْتَ فَعَلْتَ. ١٠ ٱرْفَعْ عَنِّي
ضَرْبَكَ. مِنْ مُهَاجَمَةِ يَدِكَ أَنَا قَدْ فَنِيتُ. ١١ بِتَأْدِيبَاتٍ إِنْ أَدَّبْتَ ٱلإِنْسَانَ مِنْ أَجْلِ إِثْمِهِ،
أَفْنَيْتَ مِثْلَ ٱلْعُثِّ مُشْتَهَاهُ. إِنَّمَا كُلُّ إِنْسَانٍ نَفْخَةٌ. سِلاَهْ. ١٢ اِسْتَمِعْ صَلاَتِي يَا رَبُّ
وَٱصْغَ إِلَى صُرَاخِي. لَا تَسْكُتْ عَنْ دُمُوعِي. لِأَنِّي أَنَا غَرِيبٌ عِنْدَكَ. نَزِيلٌ مِثْلُ جَمِيعِ
آبَائِي. ١٣ ٱقْتَصِرْ عَنِّي فَأَتَبَلَّجَ قَبْلَ أَنْ أَذْهَبَ فَلَا أُوجَدَ.

لأنك أنت فعلت!

هذا مزمور لداود، مكمّلٌ للمزمور السابق، كما أنه مرتبط بمزمور ٦٢. (قارن ١٣:٣٨ و١٤ مع ٢:٣٩ و٩؛ و١٥:٣٨ مع ٧:٣٩؛ و١٦:٣٨ مع ٨:٣٩؛ و١:٣٨-٣ و١١ مع ١٠:٣٩ و١١). والأغلب أن ملحّنه هو إمام المغنين يدوثون، الذي يحمل اسماً آخر هو إيثان (١أي ١٥:١٧-١٩). وهو من عائلة مراري من سبط لاوي، ومعنى اسمه «مسبّح». ويبدو أن الترتيل كان في دم أفراد هذه العائلة، ومنها آساف وهَيْمان، وقد كلفهم داود بالإشراف على التسبيح في الهيكل (٢أي ١٥:٣٥).

ولا نعرف المناسبة التي كتب فيها داود هذا المزمور، لكن لا بد أنها كانت وقت شكوك ومشاكل مؤلمة عبّر فيها داود عن مشاعر حزنه. ترى هل أصابه مرضٌ أشرف فيه على الموت؟.. وقد كان مؤمنو العهد القديم يعتقدون أن المرض علامة على غضب الله، وأن الموت يعطل اتصالهم بالله.. أو

هل مات صديق له؟ أو هل وقع عليه اضطهاد شديد؟.. نحن لا نعلم. لكن المصيبة كانت قاسيةً عليه، ولم يقدر أن يرى فيها صلاحاً ولا حكمة، فلجأ إلى الصلاة يشكو أمره لله. وخاف أن يسمع الأشرار شكواه فيهزأون بعبادة الله، كما خاف أن يعيّروه أن إلهه لا يسمعه، فقرَّر في ألمه الشديد أن يسكت.

في هذا المزمور نجد،

أولاً – سكوتٌ في الألم (آيات ١-٣)

ثانياً – كلامٌ في الألم (آيات ٤-٦)

ثالثاً – أمل في الألم (آيات ٧-٩)

رابعاً – دعاءٌ في الألم (آيات ١٠-١٣)

أولاً - سكوت في الألم

(آيات ١-٣)

١ – **سكوت الحكيم:** «قلت أتحفَّظ لسبيلي من الخطأ بلساني. أحفظ لفمي كمامةً فيما الشرير مقابلي» (آية ١). قرَّر داود أن يتحمَّل النكبات بسكوت حتى لا يخطئ، وضبَط لسانه لئلا يمسك الأشرار كلماته عليه ويعيِّروه بها ويجدِّفوا على إلهه، كما قال آساف: «حقاً قد زكَّيتُ قلبي باطلاً، وغسلتُ (باطلاً) بالنقاوة يديَّ» (مز ٧٣:١٣). ولكن آساف استدرك فقال: «لو قلتُ أحدِّث هكذا، لغدرتُ بجيل بنيك» (مز ٧٣:١٥) لأنه عرف أن جيلاً جديداً سيأتي، يقتبس كلمات ضعفه في وقت ألمه على أنها قوانين وشرائع، ويقولون: عبادة الله باطلة، كما اقتبسوا كلماته من قبل وهو يمجد الله.

لقد وضع داود لفمه كمامة ليسكت. وهناك سكوت المُجبَر، وسكوت الجاهل الذي لا يدري ماذا يقول، وسكوت السياسي الذي يزن الأمور بميزان المصالح، وهناك سكوت الحكيم. وسكوت المرنم هنا هو سكوت العاقل الحكيم، لأنه لو تكلم قد يخطئ، وتختلط الأمور عليه وعلى سامعيه، ويَضِل ويُضلِّل، ويُحسَب كلامه عليه، ولا يقدر أن يستردَّ ما خرج من فمه. وقد يسبِّب كلامه عثرة للآخرين. فمن الحكمة أن يسكت. تعوَّد الأشرار أن يسمعوا داود يرنم للرب، فإن تكلم ضد إلهه يعطي الأشرار فرصة الكلام ضد الله. و«إن كان أحدٌ لا يعثر في الكلام فذاك رجل كامل» (يع ٣:٢).

فلنحترس قبل أن نعلن شكوكنا وشكوانا، فنحن لا ندرك كل مقاصد الله من آلامنا. وعندما يمضي وقت الألم، ويجيء وقت التعلُّم، سندرك فضل الله وصلاحه ومحبته. عندها سنندم على كل كلمة باطلة نكون قد قلناها!

٢ – **سكوت المتألم:** «صمتُّ صمتاً. سكتُّ عن الخير فتحرَّك وجعي، حمي قلبي في جوفي. عند لهجي اشتعلت النار. تكلّمتُ بلساني» (آيتا ٢ و٣). عندما يُصاب الإنسان بتجربة ويتكلم عنها يفرِّج عن نفسه ويستريح، أما صمته فمؤلم للغاية. ويأمرنا الرب: «لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم، بل كل ما كان صالحاً للبنيان، حسب الحاجة، كي يعطي نعمة للسامعين» (أف ٤:٢٩). فيجب أن نصمت عن

الرديء، ولكن أن نتكلم بالصالح. ولقد صمت داود فلم يقُل خيراً ولا شراً لأن عواطفه كانت مضطربة، فزاده سكوته ألماً حتى لم يعُد يحتمل، فحمي قلبه من شكواه المكبوتة. وأخيراً لم يستطع السكوت فتكلم. لم يكن عنده شيء يقوله في صالح الله، لكن الشكوى في داخله اشتعلت كالنار.

ثانياً - كلامٌ في الألم
(آيات ٤-٦)

لما لم يعُد الصمت محتملاً، كان لا بد لداود أن يتكلم، فنطق صلاةً طلب فيها من الله أن يريه زوال حياته، فيترك التذمُّر ويخضع لإرادة الرب، كما قال موسى: «إحصاء أيامنا هكذا علِّمنا، فنُؤتى قلب حكمة» (مز ٩٠:١٢).

١ - **طلب أن يعرف كم حياته زائلة:** «عرّفني يا رب نهايتي ومقدار أيامي كم هي، فأعلم كيف أنا زائل» (آية ٤). كان المرنم متعَباً من حياته، ولم يتوقَّع أن يجد فيها خيراً، وشعر أنها زائلة وأن «الكل باطل وقبض الريح، ولا منفعة تحت الشمس» (جا ٢:١١) فطلب أن يعرف عدد الأيام التي بقيت له في هذه الحياة الشقية، التي لن يجد راحته منها إلا بالموت، وكأن الموت هو المنقذ، كما قال أيوب «أن يرضى الله بأن يسحقني.. ليتك تواريني في الهاوية» (أي ٦:٩ و١٤:١٣).

٢ - **أعلن أن الحياة قصيرة:** «هوذا جعلت أيامي أشباراً، وعمري كلا شيء قدامك. إنما نفخةً كل إنسان قد جُعل» (آية ٥). كان الشبر أصغر وحدة قياس، والمرنم يرى حياته أشباراً، كما قال يعقوب: «أيام سني غربتي مئة وثلاثون سنة، قليلة ورديّة» (تك ٤٧:٩). وقال أيوب: «مولود المرأة قليل الأيام وشبعان تعباً. يخرج كالزهر ثم ينحسم، ويبرح كالظل ولا يقف» (أي ١٤:١ و٢). «لأنه ما هي حياتكم؟ إنها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل» (يع ٤:١٤). إن حياتنا قصيرة بالنسبة لما نريد أن نحققه وننجزه فيها، وبالنسبة لما نريد أن نخدم به الله والأسرة والناس، وبالنسبة لتنمية مقدراتنا ومواهبنا. ولكن هناك جانباً آخر لحياة المؤمن هي أنها أبدية مع المسيح «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣:١٦).

٣ - **أعلن بُطل الحياة:** «إنما كخيالٍ يتمشّى الإنسان. إنما باطلاً يضجّون. يذخر ذخائر ولا يدري من يضمّها» (آية ٦). مع أن حياة الإنسان قصيرة ونهايتها مجهولة، وهو نفخة وخيال، إلا أنه يضجّ، وإن كان ضجيجه باطلاً. إنه كالغني الغبي الذي قيل له: «هذه الليلة تُطلب نفسك منك، فهذه التي أعددتها لمن تكون؟» (لو ١٢:٢٠). كان هناك مليونير فرنسي اسمه «فوسكو» وضع ثروته كلها في بدروم المنزل، وصنع له باباً ينغلق من ذاته. وكان بين آن وآخر ينزل ليزور ثروته الكبيرة في البدروم. وذات يوم نزل وانغلق الباب عليه، وعجز عن فتحه. ولم يعرف أهله أين هو، لأنه لم يخبر أحداً بمكان الكنز، فمات بين كنوزه. وبيع البيت. وبعد سنوات طويلة قرّر المشتري الجديد أن يهدمه ليقيم بيتاً جديداً. وعندما بدأ حفر الأساسات وجد عظام فوسكو، وكان الشمعدان بجواره وقد قضم جزءاً من الشمعة لعله يُشبع جوعه. كانت كل كنوزه باقية في مكانها، فصارت من نصيب المشتري

الجديد! «يذخر ذخائر ولا يدري من يضمها»! ولو أن للثروة بُعداً آخر، هو أن نصنع بها منازل أبدية لأنفسنا، عندما نعطي منها العشور، فيمتدّ عمل الله ويجد الفقراء ما يحتاجونه (لو ١٦:٩).

ثالثاً - أمل في الألم

(آيات ٧-٩)

أدرك المرنم أن حياة الإنسان نفخة وخيال، وأن ثروته باطلة ولا يدري من يضمُّها بعده، فأخذ الاتجاه السليم من الرب، حيث الأمل والدوام.

١ - **حدَّث الربَّ حديث الراجي:** «والآن ماذا انتظرتُ يا رب؟ رجائي فيك هو» (آية ٧). لقد وصل إلى نهاية مطاف التفكير الأرضي، ورأى الطريق مسدوداً، فتساءل: «والآن؟! ماذا انتظرتُ يا رب؟». هذه صرخة يأس، لا بد أن تنتهي بإشراق نور الله على المؤمن، فيهتف «رجائي فيك هو!». يضمُّنا الرب عندما يتركنا الأب والأم (مز ٢٧:١٠) ويقول: «لا أهملك ولا أتركك» (عب ١٣:٥). وعلى هذا ألقى المرنم نفسه في أحضان الله مستسلماً بين يديه المحبَّتين. صحيح أنه شكا من الله، لكنه شكا لله، مصدر آماله، طالباً منه أن يرفع آلامه عنه! هذا ما عمله بطرس لما أنكر سيده، ولم ييأس من رحمة الله، بل بكى بكاءً مراً، فربح حياته الأبدية، وأعاد المسيح له مكانته الخاصة وأعطاه مسئولية رعاية غنمه (يو ٢١:١٥-١٧). وهذا بعكس ما فعله يهوذا الإسخريوطي الذي خان سيده، وفقد رجاءه في رحمة الرب، فمضى وشنق نفسه (مت ٢٧:٥).

نحتاج في وقت حزننا وألمنا أن نمتلئ بالرجاء الواثق في الرب. يشتكي مؤمنون كثيرون من الله، ولكن لو فكروا في البركات الكثيرة التي يمنحها لهم لتأكدوا أنه صالح ومحب. فإذا حدث مرة أن سمح بآلام، فإن سِجلّ معاملاته معنا العامر بالحب، يجعلنا نلجأ إليه في صلاة الواثقين الذين يرجون، لأن «كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله» (رو ٨:٢٨).

٢ - **حدَّث الربَّ حديث المعترِف:** «من كل معاصيَّ نجِّني. لا تجعلني عاراً عند الجاهل» (آية ٨). طلب المرنم النجاة من آلامه ومصائبه، ثم طلب طلباً أعمق وهو أن ينجو من معاصيه التي كان يعتقد أنها سبب تلك الآلام، حتى لا يسخر منه الخطاة الجاهلون، فاعترف بخطيته قائلاً: «من كل معاصيَّ نجني» لأنه يرجو الغفران والقبول والستر أمام الله والناس، ليكون بلا عيب وبلا لوم. ولما يغفر الله لداود معاصيه يتوقَّف عن معاقبته، فتتوقَّف آلامه، وتتوقَّف تعييرات معيِّريه. وهذا ما عبَّر عنه الرسول بقوله: «يا ابني لا تحتقر تأديب الرب ولا تَخُر إذا وبَّخك، لأن الذي يحبه الرب يؤدِّبه، ويجلد كل ابن يقبله. إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين. فأي ابن لا يؤدِّبه أبوه! ولكن إن كنتم بلا تأديب، قد صار الجميع شركاء فيه، فأنتم نُغُول (غير أُصلاء) لا بنون. ثم قد كان لنا آباءُ أجسادنا مؤدِّبين، وكنّا نهابهم. أفلا نخضع بالأَولى جداً لأبي الأرواح، فنحيا! لأن أولئك أدَّبونا أياماً قليلة حسب استحسانهم. وأما هذا فلأجل المنفعة لكي نشترك في قداسته» (عب ١٢:٥-١١).

٣ - حدَّث الربَّ حديث التسليم: «صمتُ. لا أفتح فمي لأنك أنت فعلت» (آية ٩). صمَتَ المرنم صمْتَ التسليم لله ولمشيئته الصالحة المرْضيَّة الكاملة، فكل ما حدث له ومعه هو بترتيب إلهي سابق، أو بسماح إلهي. ترك المرنم الصمت عن الخير الذي حرَّك آلامه (آية ٢)، وهو صمت الثائر المتذمِّر، وبدأ صمت الاستسلام بين يدي الآب المحب الحكيم، صاحب الأمر في حياته وفي كل الكون، الذي يُخرج أولاده من مآزقهم، ويرشدهم ويقودهم ويعلِّمهم «سُبل البر». دائماً يفعل، وفعله رائع. يعرف ما لا نعرفه، ويرى ما لا نراه. فله التسليم «لأنك أنت فعلت». وفي هذه الآية نرى الإله الصالح صاحب العمل الصالح، ونرى المؤمن الصالح الذي يردد مع المسيح: «إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها، فلتكن مشيئتك» (مت ٢٦:٤٢).

رابعاً - دعاءٌ في الألم

(آيات ١٠-١٣)

وختم المرنم مزموره بصلاة المتألم الذي يستغيث بالرب: «ارفعْ عني ضربك. من مهاجمة يدك أنا قد فنيت. بتأديبات إن أدَّبت الإنسان من أجل إثمه أفنيت مثل العُثِّ مُشتهاه. إنما كل إنسان نفخة. استمِع صلاتي يا رب واصغَ إلى صراخي. لا تسكت عن دموعي لأني أنا غريبٌ عندك، نزيلٌ مثل جميع آبائي. اقتصِر عني فأتبلَّج (يبدو وجهي ضاحكاً) قبل أن أذهب فلا أوجد» (آيات ١٠-١٣).

في هذه الآيات يطلب المرنم الفرج والراحة. هذه طِلبة مستغِيثٍ برحمة الرب من الضرب الهجومي الذي يكاد يُفنيه، لأنه إن كان الرب يؤدّب المرنم الذي أخطأ بما يستحقه، سيصبح مثل الثوب الذي أتلفه العُث، فيضيع جماله وفائدته. ويُشبّه النبي يد الرب المؤدّبة بالعُث والسوس، كما قال: «أنا لأفرايم كالعث، ولبيت يهوذا كالسوس» (هو ٥:١٢). ولكن المرنم يدرك أن الرب لا بد يسمع صلاته ويصغي إلى صراخه. فإن كانت قلوبنا نحن البشر تتحرك عندما نرى دموع المتألمين، فكم يتحرك قلب الله بالمراحم على الذين يبكون أمامه؟ عندما رأى المسيح أرملة نايين تبكي وحيدها الذي مات، قال لها: «لا تبكي» وأعاد ابنها إلى الحياة (لو ٧:١٣). ولما رأى المجدلية تبكي سيِّدها الذي ظنَّته مات، قال لها: «لماذا تبكين؟ من تطلبين؟» وأعاد لنفسها الرجاء (يو ٢٠:١٥). لا يمكن أن يسكت الله عن دموعنا. لقد حفظ دموع داود في زِق (مز ٥٦:٨) ولا بد يحسُّ بنا، ويسمع أنيننا، ويرى دموعنا، وينقذنا.

ويقول داود إنه غريب ونزيل، مع أنه لم يكن مواطناً عادياً يعوزه المسكن أو المال، فقد كان ملكاً يملك كل مقوّمات الحياة المرفَّهة. لكنه كمؤمن تقي يدرك أنه نزيل لأن الله يقول: «الأرض لا تُباع بتة، لأن لي الأرض، وأنتم غرباء ونزلاء عندي» (لا ٢٥:٢٣) وليس المؤمنون مالكين، بل مجرد وكلاء.

وفي صلاة داود يطلب من الرب أن يتوقَّف عن ضربه، ليستطيع أن يلتقط أنفاسه قبل أن يذهب فلا يوجد فيقول: «اقتصِر عني فأتبلَّج» بمعنى أن تنفرج أساريري ويبدو وجهي مشرقاً ضاحكاً.

رأينا في الآيات الست الأولى من المزمور المتألم الصامت الذي لم يستطع أن يسكت فتكلَّم. ورأينا كيف تكلم فلم يكن كلامه حكيماً. لكن عندما لجأ إلى الله مصلياً، صلى الروح القدس فيه، فجاءت صلاته صلاة الواثق الذي يرجو، فقال: «رجائي فيك هو» (آية ٧)، وصلاة التائب الذي يعترف، فقال: «من كل معاصيَّ نجِّني» (آية ٨). وصلاة الخاضع الذي يسلِّم للرب، فقال: «صمتُّ لأنك أنت فعلت» (آية ٩). وصلاة المستغيث، فقال: «ارفع عني ضربك» (آية ١٠). ولا بد أن الله يُنقذه، كما لا بد أن يُنقذك إن جئتَه كما جاءه المرنم.

المزمور الأربعون

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

١ اِنْتِظَاراً ٱنْتَظَرْتُ ٱلرَّبَّ فَمَالَ إِلَيَّ وَسَمِعَ صُرَاخِي، ٢ وَأَصْعَدَنِي مِنْ جُبِّ ٱلْهَلَاكِ،
مِنْ طِينِ ٱلْحَمْأَةِ، وَأَقَامَ عَلَى صَخْرَةٍ رِجْلَيَّ. ثَبَّتَ خُطُوَاتِي، ٣ وَجَعَلَ فِي فَمِي تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً
تَسْبِيحَةً لِإِلٰهِنَا. كَثِيرُونَ يَرَوْنَ وَيَخَافُونَ وَيَتَوَكَّلُونَ عَلَى ٱلرَّبِّ.

٤ طُوبَى لِلرَّجُلِ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلرَّبَّ مُتَّكَلَهُ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى ٱلْغَطَارِيسِ وَٱلْمُنْحَرِفِينَ إِلَى
ٱلْكَذِبِ. ٥ كَثِيراً مَا جَعَلْتَ أَنْتَ أَيُّهَا ٱلرَّبُّ إِلٰهِي عَجَائِبَكَ وَأَفْكَارَكَ مِنْ جِهَتِنَا. لَا تُقَوَّمُ
لَدَيْكَ. لَأُخْبِرَنَّ وَأَتَكَلَّمَنَّ بِهَا. زَادَتْ عَنْ أَنْ تُعَدَّ. ٦ بِذَبِيحَةٍ وَتَقْدِمَةٍ لَمْ تُسَرَّ. أُذُنَيَّ
فَتَحْتَ. مُحْرَقَةً وَذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ لَمْ تَطْلُبْ. ٧ حِينَئِذٍ قُلْتُ: «هَئَنَذَا جِئْتُ. بِدَرْجِ ٱلْكِتَابِ
مَكْتُوبٌ عَنِّي ٨ أَنْ أَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا إِلٰهِي سُرِرْتُ. وَشَرِيعَتُكَ فِي وَسَطِ أَحْشَائِي».
٩ بَشَّرْتُ بِبِرٍّ فِي جَمَاعَةٍ عَظِيمَةٍ. هُوَذَا شَفَتَايَ لَمْ أَمْنَعْهُمَا. أَنْتَ يَا رَبُّ عَلِمْتَ. ١٠ لَمْ
أَكْتُمْ عَدْلَكَ فِي وَسَطِ قَلْبِي. تَكَلَّمْتُ بِأَمَانَتِكَ وَخَلَاصِكَ. لَمْ أُخْفِ رَحْمَتَكَ وَحَقَّكَ عَنِ
ٱلْجَمَاعَةِ ٱلْعَظِيمَةِ.

١١ أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَلَا تَمْنَعْ رَأْفَتَكَ عَنِّي. تَنْصُرُنِي رَحْمَتُكَ وَحَقُّكَ دَائِماً. ١٢ لِأَنَّ
شُرُوراً لَا تُحْصَى قَدِ ٱكْتَنَفَتْنِي. حَاقَتْ بِي آثَامِي وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُبْصِرَ. كَثُرَتْ أَكْثَرَ مِنْ
شَعْرِ رَأْسِي وَقَلْبِي قَدْ تَرَكَنِي. ١٣ اِرْتَضِ يَا رَبُّ بِأَنْ تُنَجِّيَنِي. يَا رَبُّ إِلَى مَعُونَتِي
أَسْرِعْ. ١٤ لِيَخْزَ وَلْيَخْجَلْ مَعاً ٱلَّذِينَ يَطْلُبُونَ نَفْسِي لِإِهْلَاكِهَا. لِيَرْتَدَّ إِلَى ٱلْوَرَاءِ وَلْيَخْزَ
ٱلْمَسْرُورُونَ بِأَذِيَّتِي. ١٥ لِيَسْتَوْحِشْ مِنْ أَجْلِ خِزْيِهِمِ ٱلْقَائِلُونَ لِي: «هَهْ هَهْ!»
١٦ لِيَبْتَهِجْ وَيَفْرَحْ بِكَ جَمِيعُ طَالِبِيكَ. لِيَقُلْ أَبَداً مُحِبُّو خَلَاصِكَ: «يَتَعَظَّمُ ٱلرَّبُّ».
١٧ أَمَّا أَنَا فَمِسْكِينٌ وَبَائِسٌ. ٱلرَّبُّ يَهْتَمُّ بِي. عَوْنِي وَمُنْقِذِي أَنْتَ. يَا إِلٰهِي لَا تُبْطِئْ.

أن أفعل مشيئتك سررت

كُتب هذا المزمور في مناسبة نجاة عظيمة كان المرنم ينتظرها، فانطلق لسانه بتسبيح الشكر من أعماق كيانه، وجعل يعلن هذا التسبيح أمام المؤمنين ليشاركوه شكره. ولا نعرف المناسبة التي كتب

فيها داود هذا المزمور، ولعلها مناسبة نجاته من الانقلاب الفاشل الذي قام به ضده ابنه أبشالوم (٢صم ١٥). وكان بنو إسرائيل يرنمون هذا المزمور في عبادتهم الجمهورية أيام السبت بقيادة إمام المغنين، أي القائد الأكبر لجوقة ترنيم الهيكل، ليعبّر الجميع عن شكرهم لله على نجاةٍ اختبروها، وليسبّحوه على كريم عمله معهم، وليعلنوا انتظارهم للنجاة من كل صعوبة قادمة عليهم، فإن الله الذي نجّى سينجي.

وفي الآيات ٦-٨ من هذا المزمور نبوّة بمجيء المسيح، اقتبسها كاتب رسالة العبرانيين، حيث يقول: «لذلك عند دخوله إلى العالم يقول: ذبيحةً وقرباناً لم تُرِد، ولكن هيَّأت لي جسداً. بمحرقاتٍ وذبائح للخطية لم تُسرّ. ثم قلتُ هئنذا أجيء. في درج الكتاب مكتوب عني، لأفعل مشيئتك يا الله» (عب ١٠:٥-٧).

في هذا المزمور نجد:

أولاً - ما عمله الرب مع المرنم (آيات ١-٥)

ثانياً - ما عمله المرنم للرب (آيات ٦-١٠)

ثالثاً - صلاة لطلب الإنقاذ (آيات ١١-١٧)

أولاً - ما عمله الرب مع المرنم

(آيات ١-٥)

عمل الرب مع المرنم عملين عظيمين:

١ - كافأ الرب انتظار المرنم بأن مال إليه وسمع صلاته: (آيات ١-٣).

(ا) سمع صلاته: «انتظاراً انتظرتُ الرب فمال إليّ وسمع صراخي» (آية ١). عندما يصرخ الطفل تُهرَع إليه وتنحني عليه وترفعه وتمسح دموعه، ولا تتركه إلا بعد أن يهدأ ويبتسم؟ هذا هو الحب الكامل، وهو اختبار المرنم مع الله الذي يحبه ويستجيب صلاته، فوقف ونظر خلاص الرب (خر ١٤:١٣). لقد كان انتظار المرنم للرب انتظار الأمل والتوقُّع، فحقق الرب انتظاره، واختبر الوعد: «كإنسان تعزّيه أمه هكذا أعزيكم أنا» (إش ٦٦:١٣). ونرى في حياة داود نموذجاً رائعاً لهذا الانتظار، عبّر عنه في مزمور ٢٧:١٤ و٣٧:٧ و٦٢:١ و٥ و٦٩:٣. ويقال في ذلك اليوم: «هوذا هذا إلهنا. انتظرناه فخلّصنا. هذا هو الرب انتظرناه. نبتهج ونفرح بخلاصه» (إش ٢٥:٩).

(ب) انقذه: «وأصعدني من جب الهلاك، من طين الحمأة» (آية ٢أ). الجب بئرٌ أو حفرة عميقة، وطين الحمأة هو الطين الأسود المختلط بالقذارة. وكانوا يلقون الأسرى في الجباب المليئة بطين الحمأة للتعذيب البطيء حتى الموت، كما أُلقي إرميا النبي، فقيل عنه: «إنه يموت في مكانه بسبب الجوع». ولما أرادوا إنقاذه أرسلوا إليه ثلاثين رجلاً ليطلعوه، فأخذوا ثياباً رثّة وحبالاً، وطلبوا منه أن يضعها تحت إبطيه؛ فجذبوه بالحبال وأطلعوه من الجب (إر ٣٨:٩-١٢). والذي يسقط في جبٍ وطين حمأةٍ

يكون في ظلام لأن نور الشمس لا يصل إليه، ويكون يائساً لا أمل له في النجاة، ويكون عاجزاً عن أن ينجي نفسه، فليس للجب حوائط يتسلق عليها ليخرج منه!

(ج) ثبّته: «وأقام على صخرة رجليَّ. ثبّت خطواتي، وجعل في فمي ترنيمة جديدة تسبيحة لإلهنا. كثيرون يرون ويخافون ويتوكلون على الرب» (آية ٢ب و٣). كان المرنم في جب وطين ينزلق عليه ويسقط فيه ويتخبّط، فأنقذه الله وأوقفه على صخرة، فثبتت خطواته، وتحقق معه القول: «تمسّكت خطواتي بآثارك، فما زلّت قدماي» (مز ١٧:٥) «تُوسع خطواتي تحتي، فلم تتقلقل عقباي» (مز ١٨:٣٦) فانطلق فمه يسبح الرب بترنيمة جديدة لمناسبة جديدة من العناية السماوية، بعد أن رنّم للرب شاكراً على العناية الماضية.

لقد رنّم تراتيل شكر لما نجّاه الله في الماضي، ورنم ترتيلة شكر جديدة على النجاة في الحاضر، ولا بد سيرنم ترنيمة جديدة في المستقبل كلما اختبر إنقاذاً جديداً، فإن مراحم الله لا تزول، وهي جديدة في كل صباح. كثيرة أمانته (مرا ٣:٢٣). وكان الترنيم ذا أثر كبير على سامعيه، فأخذ كثيرون يتوكلون على الرب صانع الخلاص، فمعجزات الرب ليست أوهاماً، لكنها اختبارٌ يومي متكرر. وحتى إن سمح الرب للملك الشرير هيرودس أن يقتل يعقوب أخا يوحنا بالسيف فقد بلغ يعقوب مجده الأبدي بطريق أسرع (أع ١٢:٢). وإن فتح أبواب السجن ليخرج بطرس إلى الشارع، فقد منحه وقتاً أطول ليخدم (أع ١٢:٧). وبعد الموت المبكر مضى يعقوب إلى راحته الأبدية يخدم إلهه نهاراً وليلاً، ويرنم ترنيمة جديدة. وبعد النجاة المعجزية مضى بطرس يعظ ويكتب ويدعو للتوبة، وقلبه عامر بترنيمة جديدة وهو يرى آلاف الراجعين لله يؤمنون بالمسيح.

من هذه الآيات، ومن غيرها نرى ثلاثة امتيازات عظيمة تتميّز بها المسيحية.

الامتياز الأول: إن الله محبة «يُميل أذنه إلينا» فهو لا يتعالى علينا أبداً بل يتنازل إلينا. وفي ملء الزمان أرسل ابنه الوحيد مولوداً من امرأة في مذود. وتنازل المسيح فأخلى نفسه آخذاً صورة عبد (في ٢:٧). صار ما لم يكُنْهُ ليجعل منّا ما لم نكُنه. تنازل ليرفعنا، وافتقر ليُغنينا، ومات ليُحيينا، وهو يعتني بنا، فلنطمئن أننا لسنا ضائعين في كون الله الفسيح، لكنه يعرفنا بأسمائنا.

الامتياز الثاني: أننا نستطيع أن ننشئ علاقة شخصية مع الله، نصبح فيها أبناءه، فندعوه بدالة البنين: «يا أبانا الذي في السموات» (مت ٦:٩). هو الذي ينعم علينا بالتبني في المسيح، ويقول لنا: «لا أعود أسمّيكم عبيداً.. لكني قد سمّيتُكم أحباء» (يو ١٥:١٥) ويرجع سبب ذلك إلى «أن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه، غير حاسبٍ لهم خطاياهم» (٢كو ٥:١٩).

أما الامتياز الثالث: فهو الضمان والتأكيد المبنيَّين على النعمة وحدها. فنحن لا نخلُص بأعمالنا الصالحة، بل بإنعامه ومحبته فقط. لقد مدَّ لنا يد محبته بالإنقاذ، لأنه هو محبة. وهذا يضمن لنا استمرار غفرانه وخلاصه «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣:١٦) لذلك قال الرسول بولس: «لأنني عالمٌ بمن آمنت، وموقنٌ أنه قادر أن يحفظ وديعتي إلى ذلك اليوم» (٢تي ١:١٢).

٢ - كافأ الرب اتكال المرنم بأن أجرى معه عجائب بلا عدد: (آيتا ٤ و٥).

(أ) حفظه من طريق الخطاة: «طوبى للرجل الذي جعل الرب متَّكله، ولم يلتفت إلى الغطاريس والمنحرفين إلى الكذب» (آية ٤). الغطاريس هم المتكبرون المُعجبون بأنفسهم، وقد حفظ الله المرنم منهم، كما حفظه من الكذابين، فلم يصدق وعودهم المعسولة بغير وفاء، ورفض أن يكون واحداً منهم. ويسمّي المرنم المتكل على الرب بأنه «الرجل» أي القوي الذي يقدر أن يقاوم تيارات الشر ويسبح في طريق الخير بالرغم من قوة تياراته المضادة. لقد رفض الكبرياء وخضع لله، ونبذ أفكار المنحرفين إلى الكذب الذين يهجرون الحق ويعتمدون على الأمور الزائفة، وينحرفون نحو أهدافٍ مضللة.

(ب) أجرى معه معجزات بلا عدد: «كثيراً مما جعلتَ أنت أيها الرب إلهي عجائبك وأفكارك من جهتنا. لا تُقوَّم لديك» (آية ٥أ وب). أنقذ الرب المرنم بمعجزة ألهمته أن يكتب هذا المزمور، لكنها لم تكن الأولى ولا الوحيدة، فقد اعتنى به منذ صباه، وأجرى معه معجزات لا يذكر إلا بعضها لكثرتها. كان المرنم موضوع تفكير الرب، فلم يعُد قادراً أن يحصي كل أفضال الله عليه! ولقد طلب الرسول بولس استنارة عيون أذهان المؤمنين ليعرفوا ما هي عظمة قدرته الفائقة نحوهم (أف ١:١٩).

(ج) جعله شاهداً أميناً لتلك المعجزات الإلهية: «لأخبرنَّ وأتكلمن بها. زادت عن أن تُعَدّ» (آية ٥ج). يقول المرنم بصيغة التوكيد إن أخبار المعجزات كانت أكبر من أن يحتفظ بها لنفسه، فأذاعها على كل من التقى به. وهذا ما يحدث مع كل من يغيِّر المسيح حياته، فيمضي يشهد بكم صنع الرب به (مر ٥:١٩) ويطيع توجيه المسيح: «تكونون لي شهوداً» (أع ١:٨).

ثانياً - ما عمله المرنم للرب

(آيات ٦-١٠)

انتظر المؤمن إلهه فكافأه بتحقيق انتظاره، واعتمد على الله فكافأه بأن أبهج قلبه. ولما شعر بالفضل قرَّر أن يحيا لله حياة الطاعة والتكريس، وحياة التسبيح والشهادة.

١ - عزم أن يحيا حياة الطاعة والتكريس: «بذبيحةٍ وتقدمة لم تُسرّ. أذنيَّ فتحت. محرقةً وذبيحةَ خطيةٍ لم تطلب. حينئذ قلتُ: هئنذا جئتُ. بدَرْج الكتاب مكتوب عني: أن أفعل مشيئتك يا إلهي سُرِرتُ، وشريعتك في وسط أحشائي» (آيات ٦-٨). تقول هذه الآيات الثلاث إن الطاعة الحقيقية لله ليست بتقديم فروض العبادة وواجباتها فقط، بل بتسليم النفس لله. وتجيب على سؤال ضمني: كيف أعبِّر عن شكري لصاحب الفضل؟ فتقول إن فروض العبادة في ذاتها هي بلا قيمة ما لم ترتبط بطاعة الذي يقدّمها. قال النبي صموئيل لشاول: «هل مسرَّة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب؟ هوذا الاستماع أفضل من الذبيحة، والإصغاء أفضل من شحم الكباش» (١صم ١٥:٢٢). وقال الله: «إني أريد رحمة لا ذبيحة، ومعرفة الله أكثر من محرقات» (هو ٦:٦). وتساءل النبي ميخا: «بمَ أتقدَّم إلى الرب وأنحني للإله العلي؟ هل أتقدم بمحرقات؟.. قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح..: أن

تصنع الحق، وتحب الرحمة، وتسلك متواضعاً مع إلهك» (مي ٦:٦-٨). «أطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدّموا أجسادكم ذبيحةً حية مقدسة مرضيَّة عند الله» (رو ١٢: ١).

ويذكر المرنم أنواع الذبائح التي فرضتها شريعة موسى، والتي لا يعني تقديمها أن مقدّمها يطيع الله طاعة قلبية، فيذكر «الذبيحة» الحيوانية، و«التقدمة» من نبات الأرض و«المحرقة» التي تدلُّ على تكريس من يقدمها، وكأنه يضع نفسه على مذبح الله، و«ذبيحة الخطية» التي يقدمونها لعمل المصالحة مع الله واستعادة العلاقة السليمة به. وهي قرابين لا تسرُّ الله إلا إذا اقترنت بالطاعة القلبية في من يقدّمها. وللتعبير عن الطاعة يقول المرنم: «أذنيَّ فتحت». وقد يكون المعنى أن الله أزال صمم المرنم ليسمع صوت الرب بوضوح. وقد يشير المعنى إلى ما كان يفعله العبد الذي يحب سيدَهُ ولا يريد أن يترك خدمتَهُ، فيثقب السيدُ أذن العبد فيخدمه إلى الأبد (خر ٢١:٦ وتث ١٥:١٧).

وما أن أدرك المرنم مطالب الله والمعنى الحقيقي للطاعة حتى أجاب دعوة الداعي الذي دعاه وقال: «هئنذا جئتُ» كما قال إشعياء لله: «هئنذا أرسلني» (إش ٦:٩).

ويحمل المرنم معه «درج الكتاب» وهو قطعة من جلد كُتبت عليها شريعة الله التي تُحدّث قارئها بمسؤولياته وواجباته من نحو الله، ومن نحو نفسه، ومن نحو الآخرين. وهو مسرور بأمرين: أن يعمل مشيئة الله الصالحة المرضيَّة الكاملة، وأن يحفظ شريعة الله في أعماق نفسه كما طلب الرب من شعبه (تث ٦:٦) وكما يفعل كل الأبرار (إش ٥١:٧). فلم تعُد الشريعة مكتوبةً على ألواحٍ حجرية، بل على قلوب الذين يحبون الله.

وقد اقتبس كاتب رسالة العبرانيين الآيات ٦-٨ من مزمورنا (عب ١٠:٥-٧) باعتبارها كلمات المسيح، كلمة الله المتجسد. وهو اقتباس يعتمد على الترجمة السبعينية، التي قدّمت تعبير «أذنيَّ فتحت» بعبارة «هيَّأت لي جسداً». فالجسد هو الآلة التنفيذية لما تسمعه الأذن من أوامر. ونجد في درج الكتاب (التوراة) نبوات كثيرة وتفصيلية عن ميلاده العذراوي، وحياته المعجزية، وموته مصلوباً، وقيامته من الموت، وارتفاعه للسماء، ومجيئه ثانيةً إلى أرضنا ديَّاناً للأحياء والأموات. والمسيح هو النموذج الأعلى في الطاعة، وقد اتَّخذ جسداً ليحقق هذه النبوات. وعندما اقترب من الصليب قال للآب السماوي: «يا أبتاه، إن شئت أن تُجيز عني هذه الكأس، ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك» (لو ٢٢:٤٢) «يا أبتاه، إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها، فلتكن مشيئتك» (مت ٢٦:٤٢). ونعلم أن المسيح هو الله الذي ظهر في الجسد، وأن له طبيعة الإنسان وطبيعة الله. وفي كمال إنسانيته يقول: تحقَّقتْ هذه الكلمات فيَّ، فأطعتُ حتى الموت موت الصليب.

جدير إذاً بكل واحد من محبي الله أن يقول: أذنيَّ فتحت. أنا أطيعك يا رب. ماذا تريد أن أفعل؟ ما هو العوَج فيَّ لتصلحه؟ ما هو الناقص لتكمله؟ هئنذا جئتُ.

٢ - **عزم أن يحيا حياة التسبيح والشهادة:** «بشَّرتُ ببرٍّ في جماعةٍ عظيمة. هوذا شفتاي لم أمنعهما. أنت يا رب علمتَ. لم أكتم عدلك في وسط قلبي. تكلمتُ بأمانتك وبخلاصك. لم أُخْفِ رحمتك وحقك عن الجماعة العظيمة» (آيتا ٩ و١٠).. في الآيات ٦-٨ أعلن المرنم أنه قدم نفسه

ذبيحة حية لله، وفي الآيتين ٩ و١٠ يعلن أنه يقدم لله ذبيحة تسبيح وشكر. لم يكن ممكناً أن يُصعِد الربُّ المرنمَ من جب الهلاك ويثبّت خطواته ويضع في فمه ترنيمة جديدة، ثم يحتفظ المرنم بهذه الأسرار لنفسه. ولا يمكن أن ينال المؤمن غفران خطاياه دون أن يدعو الجميع ليحتفلوا معه، وليشرح لهم كيف يتمتعون بمثل ما تمتّع هو به. فلا يجب أن نحتفظ بالنعمة لأنفسنا، بل لنشارك غيرنا فيها، فإن الأنانيين وحدهم هم الذين يحتفظون بالأخبار السارة لأنفسهم ويكتمونها عن غيرهم. والمرنم يقدّم لنا النموذج في قوله: «بشّرتُ.. لم أكتم.. تكلمتُ.. لم أُخْفِ». ويعلن المواضيع التي بشّر بها:

(أ) بشّر ببر الله وعدله: الله بار، يجازي كل واحد حسب عمله. يعاقب الشرير ويكافئ المؤمن، ويعطي كل ذي حق حقّه. وهو أمين لمواعيده ولقوانينه، فهو المحب القدوس القوي الحكيم.

(ب) بشّر بخلاص الله ورحمته: وخلاصه يشمل حياتنا الروحية بالغفران والفداء، وحياتنا المادية بالعناية والعطاء، فهو المخلّص من الخطية (لو ١٩:١٠) والمنقذ من الجوع (مز ٣٦:٦) ومن الحرب (مز ٢٧:١-٣) ومن المرض (لو ٨:٣٦).

(ج) وبشّر بالتقاء رحمة الله مع حقه: وهاتان الصفتان لا تتوافران معاً إلا في الفداء الذي دبّره المسيح لنا على الصليب، ففي الصليب استوفى الحق والعدل حقوقهما، وفيه ظهرت رحمة الله ومحبته، وتحققت نبوة المرنم: «الرحمة والحق التقيا. البر والسلام تلاثما» (مز ٨٥:١٠).

ثالثاً - صلاة لطلب الإنقاذ

(آيات ١١-١٧)

١ - المرنم يطلب الإنقاذ من الخطية: «أما أنت يا رب فلا تمنع رأفتك عني. تنصرني رحمتك وحقك دائماً. لأن شروراً لا تُحصى اكتنفتني. حاقت بي آثامي ولا أستطيع أن أبصر. كثُرت أكثر من شعر رأسي، وقلبي قد تركني» (آيتا ١١ و١٢). يعلن المرنم عن ثقته في استجابة الرب له، فهو لا يمنع رأفته عن المؤمن الذي يعترف بفضل الله ويعلنه أمام الجماعة العظيمة. وكل من يعترف بالمسيح أمام الناس يعترف هو به أيضاً أمام الآب الذي في السموات (مت ١٠:٣٢) وهو يعلم أن رحمة الله وعدالته ستنصرانه في كل وقت، لأن الفداء السماوي يصالح العدل مع الرحمة.

ويدرك المرنم أن نجاته العظيمة هي من فضل الله، أما هو في ذاته فإن خطاياه كثيرة «لا تُحصى» وقد «كثُرت أكثر من شعر رأسه» و«اكتنفته» كطوفان، وأحاطت به بسهولة و«حاقت به» من كل جانب، حتى انحنى وخارت قواه ولم يعُد قادراً على الرؤية، و«تركه قلبه» وضاعت شجاعته. في مثل هذا الموقف قال داود: «أمواج الموت اكتنفتني. سيول الهلاك أفزعتني» (٢صم ٢٢:٥). وقال يونان وهو في جوف الحوت: «اكتنفتني مياهٌ إلى النفس. أحاط بي غمرٌ. التفّ عُشب البحر برأسي» (يون ٢:٥). وفي هذا الاعتراف بالخطية يثق المرنم في رحمة الله وغفرانه، فإنه «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل، حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم» (ايو ١:٩). «الذي لم يشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء!» (رو ٨:٣٢).

٢ – المرنم يطلب الإنقاذ من الأعداء: «ارتضِ يا رب بأن تنجيني. يا رب، إلى معونتي أسرِع. ليخزَ وليخجل معاً الذين يطلبون نفسي لإهلاكها. ليرتدَّ إلى الوراء وليخزَ المسرورون بأذيتي. ليستوحِش من أجل خزيهم القائلون لي: هه! هه!» (آيات ١٣–١٥). أنقذ الرب المرنم، لكن الخطر عاد يتهدَّده من مطارديه، ومن الساخرين به القائلين: «هه هه!» وهو صوت الوعيد والسخرية. إن مملكة إبليس لا تكف عن مقاومة ملكوت الله. حتى بعد أن هزم المسيحُ إبليسَ وانتصر على تجاربه الثلاث في الصحراء، يقول الإنجيل إن إبليس «فارقه إلى حين» (لو ٤:١٣). وهذا يعني أن انتصارنا يتطلب المزيد من اليقظة ومن الطاعة لله. فخلاصنا ونجاتنا لا يعني أن مشاكلنا قد انتهت، لكنه يعني أننا تعلَّمنا طريق حل المشاكل، بالتمسُّك بالرب الذي يجعل في أفواهنا ترنيمة شكر جديدة، على نجاة متجددة من ضيقات متجددة!

٣ – المرنم يطلب الفرح: «ليبتهج ويفرح بك جميع طالبيك. ليقل أبداً محبّو خلاصك: يتعظمُ الرب!» (آية ١٦). لم يكتف المرنم بالصلاة لأجل نفسه، بل وسَّع دائرة اهتمامه، فأعلن أن العناية الإلهية تشمل كل من يحبون الرب بالبهجة والفرح، فيعطيهم الرب القلوب الشاكرة التي تختبر فرصة هتاف الانتصار: «يتعظم الرب». وقد أعلن الرسول بولس هتافه الظافر فقال: «جاهدتُ الجهاد الحسن. أكملتُ السعي. حفظتُ الإيمان وأخيراً قد وُضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الربُّ الديان العادل. وليس لي فقط، بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً» (٢تي ٤:٧ و٨).

٤ – المرنم يعترف بالفضل: «أما أنا فمسكينٌ وبائس. الرب يهتمُّ بي. عوني ومنقذي أنت. يا إلهي لا تبطئ» (آية ١٧). يعترف المرنم بالحاجة والمسكنة والبؤس، ولكنه واثق أن الله لن ينساه! صلى دانيال: «يا سيد اسمع. يا سيد اغفر. يا سيد اصغ واصنع. لا تؤخر من أجل نفسك يا إلهي، لأن اسمك دُعي على مدينتك وعلى شعبك» (دا ٩:١٩). يرى المرنم فقره المادي والعقلي والاجتماعي والعاطفي والروحي. ولكنه يرى في الوقت نفسه الله الغني، فيتأكد من تعزية الله له في وحدته وحزنه، ومن أنه سينصره في ضيقه ومتاعبه، ليختبر أن الله لا يتأخر أبداً عن محبّيه وطالبيه. يقول الله للمؤمن: «قد قرَّبتُ بري. لا يبعد، وخلاصي لا يتأخر» (إش ٤٦:١٣) فيقول المؤمن لله: «انتظاراً انتظرت الرب.. يا إلهي لا تبطئ».

المزمور الحادي والأربعون

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

١ طُوبَى لِلَّذِي يَنْظُرُ إِلَى ٱلْمِسْكِينِ. فِي يَوْمِ ٱلشَّرِّ يُنَجِّيهِ ٱلرَّبُّ. ٢ ٱلرَّبُّ يَحْفَظُهُ
وَيُحْيِيهِ. يَغْتَبِطُ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُسَلِّمُهُ إِلَى مَرَامِ أَعْدَائِهِ. ٣ ٱلرَّبُّ يَعْضُدُهُ وَهُوَ عَلَى فِرَاشِ
ٱلضُّعْفِ. مَهَّدْتَ مَضْجَعَهُ كُلَّهُ فِي مَرَضِهِ.
٤ أَنَا قُلْتُ: «يَا رَبُّ ٱرْحَمْنِي. ٱشْفِ نَفْسِي لِأَنِّي قَدْ أَخْطَأْتُ إِلَيْكَ». ٥ أَعْدَائِي
يَتَقَاوَلُونَ عَلَيَّ بِشَرٍّ: «مَتَى يَمُوتُ وَيَبِيدُ ٱسْمُهُ؟» ٦ وَإِنْ دَخَلَ لِيَرَانِي يَتَكَلَّمُ بِٱلْكَذِبِ.
قَلْبُهُ يَجْمَعُ لِنَفْسِهِ إِثْماً. يَخْرُجُ فِي ٱلْخَارِجِ يَتَكَلَّمُ. ٧ كُلُّ مُبْغِضِيَّ يَتَنَاجُونَ مَعاً عَلَيَّ. عَلَيَّ
تَفَكَّرُوا بِأَذِيَّتِي. ٨ يَقُولُونَ: «أَمْرٌ رَدِيءٌ قَدِ ٱنْسَكَبَ عَلَيْهِ. حَيْثُ ٱضْطَجَعَ لَا يَعُودُ
يَقُومُ». ٩ أَيْضاً رَجُلُ سَلَامَتِي، ٱلَّذِي وَثِقْتُ بِهِ، آكِلُ خُبْزِي، رَفَعَ عَلَيَّ عَقِبَهُ!
١٠ أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَٱرْحَمْنِي وَأَقِمْنِي فَأُجَازِيَهُمْ. ١١ بِهٰذَا عَلِمْتُ أَنَّكَ سُرِرْتَ بِي أَنَّهُ
لَمْ يَهْتِفْ عَلَيَّ عَدُوِّي. ١٢ أَمَّا أَنَا فَبِكَمَالِي دَعَمْتَنِي وَأَقَمْتَنِي قُدَّامَكَ إِلَى ٱلْأَبَدِ.
١٣ مُبَارَكٌ ٱلرَّبُّ إِلٰهُ إِسْرَائِيلَ مِنَ ٱلْأَزَلِ وَإِلَى ٱلْأَبَدِ. آمِينَ فَآمِينَ.

المحسن الكريم

هذا المزمور هو نهاية الجزء الأول من كتاب المزامير، الذي يتناسق مع سفر التكوين، وموضوعه سمو الإنسان وسقوطه. وهو يبدأ كما بدأ المزمور الأول بالتطويب. ويصوّر مزمورنا الإنسان السامي الكريم المحسن الذي يعطي الفقراء ويعتني بالمساكين، كما يصوّر الإنسان الساقط، الذي نراه في أعداء المحسن الكريم، الذين يتمنون له الموت وإبادة اسمه، لأنهم يغارون منه ولا يحتملون صلاحه. والنفوس المريضة لا تحتمل نور الصلاح والإحسان، فبعد أن خلقها الله على صورته كشبهه، تشوّهت بسبب العصيان. وهناك فرق شاسع بين الإنسان كما يريده الله وبينه كما يحيا، فقد خلقه في كرامة ولكنه يسيء السلوك ويرتكب الشرور.

كتب داود هذا المزمور في وقت مرضٍ أو اضطهاد أو جحود. لقد كان كريماً مع المحيطين به، وتوقّع منهم أن يعاملوه بالمِثل، لكنه وجد العكس. ولعله كان يصف نفس الحالة وهو يقول: «كأنه

قريبٌ، كأنه أخي كنتُ أتمشى.. لكنهم.. اجتمعوا عليَّ شاتمين» (مز ٣٥:١٤ و١٥). ولعل داود كتب هذا المزمور عن صديقه أخيتوفل، الذي هجره ليصبح مستشاراً لأبشالوم في محاولة انقلابه الفاشلة، في وقتٍ وقف فيه داود عاجزاً عن حماية نفسه (٢صم ١٥).

في هذا المزمور نجد:

أولاً – سعادة المحسن الكريم (آيات ١-٤)

ثانياً – شكوى المحسن الكريم (آيات ٥-٩)

ثالثاً – صلاة المحسن الكريم (آية ١٠)

رابعاً – ثقة المحسن الكريم (آيتا ١١ و١٢)

خامساً – تمجيد ختامي (آية ١٣)

أولاً - سعادة المحسن الكريم

(آيات ١-٤)

١ – **الكريم سعيد لأن الرب ينجيه:** «طوبى للذي ينظر إلى المسكين. في يوم الشر ينجيه الرب» (آية ١). وكلمة «المسكين» هنا تعني الفقير المحتاج إلى المال، وتعني أيضاً الضعيف والمريض والمكتئب والحزين المحتاج إلى من يفتقده ويزوره ويسأل عنه. ويطوّب المرنم من يعتني بالفقير المحتاج إلى المال، أو بالضعيف المحتاج إلى الإسناد، أو بالمكتئب المحتاج إلى تعزية، الذي يحقّق قول المسيح: «جعتُ فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني، كنت غريباً فآويتموني، عرياناً فكسوتموني، مريضاً فزرتموني، محبوساً فأتيتم إليَّ». فيجيبه الأبرار: «يا رب، متى رأيناك جائعاً فأطعمناك، أو عطشاناً فسقيناك، ومتى رأيناك غريباً فآويناك، أو عرياناً فكسوناك؟ ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك؟» فيجيب: «بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم» (مت ٢٥:٣٥-٤٠) ويقول المسيح في التطويبة الخامسة (مت ٥:٧): «طوبى للرحماء لأنهم يُرحَمون» في يوم الشر، وهو يوم المصائب غير المتوقّعة، إذ يكون الإنسان في سلام، وفجأة تحلُّ به كارثة، فيُصدَم، لأنه يُؤخذ على غير استعداد.. في يوم الشر غير المنتظَر يقف الله بجوار المحسن الكريم فيرفعه فوق الصدمة. كم مرة كان داود على وشك الوقوع في يدي الملك شاول، وفي كل مرة كان الرب ينجيه. وجَّه شاول الرمح مرتين نحوه ليقتله فدخل الرمح في الحائط ونجا داود (١صم ١٨:١١). وعندما دخل شاول إلى الكهف الذي كان داود نائماً فيه، حفظ الله داود فلم يره شاول (١صم ٢٤:٣-٥).

في مثّل الغني ولعازر نجد الفقير مطروحاً عند باب الغني مضروباً بالقروح، بينما الغني يتنعَّم في قصره (لو ١٦:١٩-٣١). ولا يذكر المسيح للغني خطية، فلم يكن هناك خطأ في مصدر أمواله، ولا في إنفاقها بتبذيرٍ على الشرور والأشرار. لكن خطأه كان في أنه لم ينظر إلى المسكين، ولم يفكر أبداً

أن يرسل له معونة. «الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه: افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم، وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم» (يع ١:٢٧).

٢ - الكريم سعيد لأن الرب يُحييه: «الرب يحفظه ويُحييه. يغتبط في الأرض، ولا يسلّمه إلى مرام أعدائه» (آية ٢). يحيي الرب المحسن الذي يهتم بالمسكين، فيعطيه على أرضنا الحياة ذات المعنى وذات القيمة، ثم يمنحه الحياة الأبدية والخلود، لأن المسيح يحيا فيه، فتصبح حياة المسيح حياته. وهو يغتبط في الأرض، ويقول مع أيوب: «الأذن سمعت فطوَّبتني، والعين رأت فشهدَتْ لي، لأني أنقذتُ المسكين المستغيث، واليتيم ولا معين له» (أي ٢٩:١١ و١٢). ولا يسلّمه الرب إلى مرام مضايقيه، كما سبق وصلّى: «لا تسلّمني إلى مرام مضايقيَّ» (مز ٢٧:١٢).

٣ - الكريم سعيد لأن الرب يُعينه في مرضه: «الرب يعضده وهو على فراش الضعف. مهَّدْتَ مضجعه كله في مرضه» (آية ٣). يعضده (بمعنى يعينه وينصره) في مرضه فلا يهبط إلى القبر، فيقول: «تجعل لي ترس خلاصك، ويمينك تعضدني، ولطفك يعظمني» (مز ١٨:٣٥). عندما يصيبه المرض يمهّد الرب مضجعه (بمعنى يبسط فراشه ويهيئه)، ويعامله كإنسان تعزّيه أمه (إش ٦٦:١٣)، عندما تسند رأسه وتعدّل وضع وسادته ليستريح. يعتني الله بالمؤمن في مختلف مراحل الحياة، ويريحه في كل حالة، لأن عين الرب دائماً على محبّيه.

٤ - الكريم سعيد لأن الرب يغفر له: «أنا قلتُ: يا رب ارحمني. اشفِ نفسي لأني قد أخطأت إليك» (آية ٤). يربط المرنم بين المرض والخطية، فالتأديب الإلهي بالمرض قد يكون نتيجة انحراف عن الله، فنقول: «هلمَّ نرجع إلى الرب، لأنه هو افترس فيشفينا، ضرب فيجبرنا» (هو ٦:١). وقد لا يكون المرض نتيجة الخطية، كما قال المسيح عن المولود أعمى: «لا هذا أخطأ ولا أبواه، لكن لتظهر أعمال الله فيه» (يو ٩:٣). فنحن نمرض سواء أخطأنا أو لم نخطئ. وفي فترة المرض ينقينا الله ليجعلنا أكثر قرباً منه وأكثر اعتماداً عليه، فنقول: «اشفني يا رب فأُشفى. خلّصني فأُخلَّص، لأنك أنت تسبيحتي» (إر ١٧:١٤). وجديرٌ بنا كمؤمنين أن نحيا حياة الاعتراف لله مهما بدت حياتنا لنا أو لغيرنا طاهرة، فلسنا صالحين من أنفسنا، لكننا نستمد صلاحنا منه هو. وجديرٌ بنا أيضاً أن ندرك أن الله لم يعِدْنا بصحةٍ وراحة دائمة، لكنه وعدنا أن يكون معنا وأن يريحنا في الصحة وفي المرض.

ثانياً - شكوى المحسن الكريم

(آيات ٥-٩)

بركات الإنسان الكريم أكيدة وكثيرة، ولكن حياته لا تخلو من مشاكل تجعله يشكو.

١ - مشاكل من أعدائه:

(أ) يشكو من سوء نيّتهم: «أعدائي يتقاولون عليَّ بشرٍّ: متى يموت ويبيد اسمه؟» (آية ٥). يتمنى له الأعداء الموت وإبادة الذكرى قائلين: «لتنقرض ذرّيته. في الجيل القادم ليُمحَ اسمهم»

(مز ١٠٩: ١٣). صحيحٌ أن داود سيموت في الموعد الذي حدَّده الله، لكن اسمه لن يُباد. مات داود وانتقل من أرضنا ليحيا في المحضر الإلهي إلى الأبد، لأنه حيث يكون السيد هناك يكون عبده، وحيث يكون المعلم يكون تلميذه (يو ١٤: ٣). لكن لا يمكن أن يبيد ذكره، و«الصدّيق يكون لذكرٍ أبدي» (مز ١١٢: ٦) لأن داود باقٍ إلى يومنا في مزاميره التي تملأ قلوبنا بالبهجة والثقة في الرب، لأنها تعبِّر عن أُنس الإنسان بربِّه.

(ب) يشكو من نفاقهم: «وإن دخل ليراني يتكلم بالكذب. قلبه يجمع لنفسه إثماً. يخرج. في الخارج يتكلم» (آية ٦). لما كان داود مريضاً كان أعداؤه يزورونه للسؤال عنه، وفي نفاقٍ يعبِّرون عن مشاعرهم الطيبة، وهم في حقيقة الأمر يجمعون عنه معلومات ليهاجموه بها ويسخروا منه. وعندما يخرجون من عنده يتكلمون ضده، ويذيعون ما عرفوه عنه، ويحرّفون كلامه ليسيئوا إلى سمعته.

(ج) يشكو من مناجاتهم: «كل مبغضيَّ يتناجون معاً عليَّ. عليَّ تفكروا بأذيتي. يقولون: أمرٌ رديء قد انسكب عليه. حيث اضطجع لا يعود يقوم» (آيتا ٧ و٨). بعد أن يخرج الأعداء من زيارته يلتقون ببقية أعدائه المنتظرين في الخارج ليعرفوا أخباره، فيتهامسون سراً يتمنّون له الأسوأ، ويرجون أن يكون هذا مرضه الأخير الذي سينتهي به إلى القبر. قال النبي: «لأني سمعتُ مذمَّةً من كثيرين.. يقولون: اشتكوا، فنشتكيَ عليه. كل أصحابي يراقبون ظَلْعي (عَرَجي) قائلين: لعله يُطغى فنقدر عليه وننتقم منه» (إر ٢٠: ١٠).

٢ - مشاكل من أحبائه: «أيضاً رجل سلامتي الذي وثقت به، آكل خبزي رفع عليَّ عقبه» (آية ٩). ربما يقصد داود بـ«رجل سلامته» أخيتوفل، مستشاره والآكل على مائدته، ولكنه خانه واتّفق مع أبشالوم في الانقلاب الفاشل ضده (٢صم ١٥: ١٢ و٣١). واقتبس المسيح، وقت العشاء الأخير، هذه الآية عن يهوذا الإسخريوطي، فقال: «الذي يأكل معي الخبز رفع عليَّ عقبه» (يو ١٣: ١٨). غير أن المسيح لم يقتبس الجزء الأول من الآية والذي يقول: «الذي وثِقْتُ به» لأنه كان يعرف مُسلِّمه (يو ١٣: ٢١). فهذه الآية تصف حالة داود في شكواه، كما أنها نبوة عن المسيا الآتي الذي خانه يهوذا، رغم أن المسيا كان يعرف عن الخيانة قبل حدوثها.

ثالثاً - صلاة المحسن الكريم

(آية ١٠)

رفع المرنم لله صلاة طلب فيها طِلبتين:

١ - طلب أن الله يرحمه: «أما أنت يا رب فارحمني» (آية ١٠أ). يدرك داود أن الله رحيم، وأنه محتاج لرحمته. وهو يرى ضعفه وتقصيره وعدم استحقاقه، مع أن الوحي شهد له أن قلبه حسب قلب الله (أع ١٣: ٢٢)، لأن الله يرانا دوماً بعين محبته التي تستر خطايانا. و«طوبى للذي غُفِر إثمه وسُتِرت خطيته. طوبى لرجلٍ لا يحسب له الرب خطية، ولا في روحه غش» (مز ٣٢: ١). لكن داود يرى

حالته كما هي، ويدرك مقدار حاجته إلى رحمة الله، كما قال مارتن لوثر: «سأقضي عمري أستجدي رحمة الله».

٢ - طلب أن الله يقيمه: «وأقِمني، فأُجازيَهم» (آية ١٠ب). يصلّي داود هنا كملكٍ يتوقّع أن يقيمه الله من فراش مرضه، أو من مصيبته، ويعيده إلى عرشه، فيوقع العقاب على الذين خانوه ورفعوا عليه عقبهم. وعندما يقيمه يقول: «أصعدَني من جب الهلاك، من طين الحمأة، وأقام على صخرة رجليَّ. ثبَّت خطواتي» (مز ٤٠:٢). ونحن ندرك اليوم أن الإقامة العظمى هي: «إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا.. الله الذي هو غنيٌّ في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أمواتٌ بالخطايا، أحيانا مع المسيح.. وأقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع» (أف ٢:١-٦). أقامنا وأجلسنا، كما أحيا ابنة يايرس، وأوقفها على قدميها (مر ٥:٤١). وعلى كل من نال مغفرة الخطايا بفضل محبة الله أن يقوم واقفاً على قدميه يشهد لمحبة المسيح، الذي يدعونا أن نخبر الآخرين بكم صنع بنا ورحمنا.

رابعاً - ثقة المحسن الكريم

(آيتا ١١ و١٢)

يعلن داود ثقته في أمرين:

١ - رضا الرب عليه: «بهذا علمتُ أنك سُررت بي: أنه لم يهتف عليَّ عدوّي» (آية ١١). تأكد داود أن الله راضٍ عليه لأن عدوّه لم يهزمه لأن الله لم يسمح له بالهزيمة وجعل أعداءه يسالمونه. ورضا الله علينا يعني أنه لا شيء من الدينونة علينا، لأنه قد برَّرنا بالإيمان (رو ٨:١ و٥:١).

٢ - معونة الرب له: «أما أنا فبكمالي دعمتّني، وأقمتّني قدامك إلى الأبد» (آية ١٢). الدَّعم هو الإعانة والتقوية والإسناد والتثبيت. وعندما يهاجم العدو سُمعة المؤمن يدعمه كماله لأنه بريء مما يتّهمه العدو به. ويعتقد المرنم إن الله دعمه لأنه كان كاملاً. والكمال هنا هو كمال النيَّة، وليس الكمال المطلَق، وهو من عمل الرب وعطاياه، فروحه القدوس الساكن في المؤمن هو الذي يدعمه بالكمال، ليقوم أمام الله إلى الأبد. وعندما تزيد ثقتنا في الرب سننتصر على ضعفات الجسد.

لقد طلب الأعداء موت المرنم وإبادة اسمه (آية ٥)، ولكنه واثق أنه سيقف أمام ملك الملوك، الذي يحقّق له وعده: «يأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك. كرسيُّك يكون ثابتاً إلى الأبد» (٢صم ٧:١٦). «وعبيده يخدمونه، وهم سينظرون وجهه، واسمه على جباههم» (رؤ ٢٢:٣ و٤).

خامساً - تمجيد ختامي

(آية ١٣)

«مبارك الرب إله إسرائيل من الأزل وإلى الأبد. آمين. فآمين» (آية ١٣). هذا تمجيدٌ يتكرر في نهاية كل قسم من أقسام المزامير، ينتهي به الكتاب الأول، الذي يحوي مزامير ١-٤١. كما

ينتهي بمثله الكتاب الثاني (مزامير ٤٢-٧٢. انظر مز ١٩:٧٢)، والكتاب الثالث (مزامير ٧٣-٨٩. انظر مز ٥٢:٨٩)، والكتاب الرابع (مزامير ٩٠-١٠٦. انظر مز ٤٨:١٠٦). أما الكتاب الخامس (مزامير ١٠٧-١٥٠) فينتهي بمزمور ١٥٠ وكله تمجيد للرب!

ما أكثر الأسباب التي تدفعنا لأن نبارك الرب ونمجده! مبارك الإله الذي ينتمي إليه شعبُه، فهو «إله إسرائيل». يباركونه في ذاته، وفي صفاته، وفي أعماله. كله كمال وحب، وليس فيه مكر ولا غش ولا تضليل. نباركه في عمله معنا عبر السنين.. لقد خلَّصنا من خطيتنا، وفدانا من سطوتها، وأنعم علينا بالتبنّي، واعتنى بنا بحبٍّ عجيب. مبارك هو في أرضنا في مخلوقاته وفي حياة المؤمنين «لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجّدوا أباكم الذي في السماوات» (مت ١٦:٥)، ومبارك في الأبدية إذ يهتف له الملائكة والقديسون. مبارك دوماً من الأزل وإلى الأبد، لأنه إله الماضي والحاضر والمستقبل. ونؤكد هذا التمجيد بقولنا: «آمين فآمين» أي: ليكن هكذا! استجب يا رب وحقّق طِلبتنا، لأننا ندعوك بكل القلب.

الجزء الثاني

المزمور الثاني والأربعون إلى المزمور الثاني والسبعين

المزموران الثاني والثالث والأربعون

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ. قَصِيدَةٌ لِبَنِي قُورَحَ

١ كَمَا يَشْتَاقُ ٱلْإِيَّلُ إِلَى جَدَاوِلِ ٱلْمِيَاهِ هٰكَذَا تَشْتَاقُ نَفْسِي إِلَيْكَ يَا ٱللهُ. ٢ عَطِشَتْ
نَفْسِي إِلَى ٱللهِ إِلَى ٱلْإِلٰهِ ٱلْحَيِّ. مَتَى أَجِيءُ وَأَتَرَاءَى قُدَّامَ ٱللهِ! ٣ صَارَتْ لِي دُمُوعِي
خُبْزاً نَهَاراً وَلَيْلاً إِذْ قِيلَ لِي كُلَّ يَوْمٍ أَيْنَ إِلٰهُكَ ٤ هٰذِهِ أَذْكُرُهَا فَأَسْكُبُ نَفْسِي عَلَيَّ. لِأَنِّي
كُنْتُ أَمُرُّ مَعَ ٱلْجُمَّاعِ، أَتَدَرَّجُ مَعَهُمْ إِلَى بَيْتِ ٱللهِ بِصَوْتِ تَرَنُّمٍ وَحَمْدٍ، جُمْهُورٌ مُعَيِّدٌ.
٥ لِمَاذَا أَنْتِ مُنْحَنِيَةٌ يَا نَفْسِي، وَلِمَاذَا تَئِنِّينَ فِيَّ؟ ٱرْتَجِي ٱللهَ لِأَنِّي بَعْدُ أَحْمَدُهُ لِأَجْلِ
خَلَاصِ وَجْهِهِ.

٦ يَا إِلٰهِي، نَفْسِي مُنْحَنِيَةٌ فِيَّ، لِذٰلِكَ أَذْكُرُكَ مِنْ أَرْضِ ٱلْأُرْدُنِّ وَجِبَالِ حَرْمُونَ، مِنْ
جَبَلِ مِصْعَرَ. ٧ غَمْرٌ يُنَادِي غَمْراً عِنْدَ صَوْتِ مَيَازِيبِكَ. كُلُّ تَيَّارَاتِكَ وَلُجَجِكَ طَمَتْ عَلَيَّ.
٨ بِٱلنَّهَارِ يُوصِي ٱلرَّبُّ رَحْمَتَهُ، وَبِٱللَّيْلِ تَسْبِيحُهُ عِنْدِي صَلَاةٌ لِإِلٰهِ حَيَاتِي. ٩ أَقُولُ لِلهِ
صَخْرَتِي: «لِمَاذَا نَسِيتَنِي؟ لِمَاذَا أَذْهَبُ حَزِيناً مِنْ مُضَايَقَةِ ٱلْعَدُوِّ؟» ١٠ بِسَحْقٍ فِي عِظَامِي
عَيَّرَنِي مُضَايِقِيَّ، بِقَوْلِهِمْ لِي كُلَّ يَوْمٍ: «أَيْنَ إِلٰهُكَ؟» ١١ لِمَاذَا أَنْتِ مُنْحَنِيَةٌ يَا نَفْسِي،
وَلِمَاذَا تَئِنِّينَ فِيَّ؟ تَرَجَّيِ ٱللهَ لِأَنِّي بَعْدُ أَحْمَدُهُ، خَلَاصَ وَجْهِي وَإِلٰهِي.

١ اِقْضِ لِي يَا اَللهُ وَخَاصِمْ مُخَاصَمَتِي مَعَ أُمَّةٍ غَيْرِ رَاحِمَةٍ، وَمِنْ إِنْسَانِ غِشٍّ وَظُلْمٍ
نَجِّنِي. ٢ لِأَنَّكَ أَنْتَ إِلٰهُ حِصْنِي. لِمَاذَا رَفَضْتَنِي؟ لِمَاذَا أَتَمَشَّى حَزِيناً مِنْ مُضَايَقَةِ ٱلْعَدُوِّ؟
٣ أَرْسِلْ نُورَكَ وَحَقَّكَ هُمَا يَهْدِيَانِنِي وَيَأْتِيَانِ بِي إِلَى جَبَلِ قُدْسِكَ وَإِلَى مَسَاكِنِكَ.
٤ فَآتِي إِلَى مَذْبَحِ ٱللهِ، إِلَى ٱللهِ بَهْجَةِ فَرَحِي، وَأَحْمَدُكَ بِٱلْعُودِ يَا ٱللهُ إِلٰهِي. ٥ لِمَاذَا
أَنْتِ مُنْحَنِيَةٌ يَا نَفْسِي، وَلِمَاذَا تَئِنِّينَ فِيَّ؟ تَرَجَّيِ ٱللهَ لِأَنِّي بَعْدُ أَحْمَدُهُ، خَلَاصَ وَجْهِي
وَإِلٰهِي.

العطش إلى الله

كتب داود مزموري ٤٢ و٤٣ بعد الانقلاب الفاشل الذي قام به ابنه أبشالوم ضده (انظر مقدمة مزمور ٣). وبالرغم من أنينه وانحناء نفسه وقتها وجد راحته في الأمل في الرب، فأخذ يحمده لأنه

خلاصه. ويتكوّن المزموران من ثلاثة أعداد ترنيم، ينتهي كلٌّ منها بقرار يتكرر، يقول فيه المرنم: «لماذا أنتِ منحنية يا نفسي، ولماذا تئنين فيّ؟ ترجَّي الله لأني بعد أحمده، خلاص وجهي وإلهي» (٤٢:٥ و١١ و٤٣:٥). ويوضح مزمورا ٤٢ و٤٣ أشواق داود الروحية في تلك المرحلة المؤلمة، فيصف مزمور ٤٢ حالة التقي الذي يتألم بسبب بُعده عن مكان العبادة (آيات ١-٥) ويصف سبيل العزاء في وقت هذا البُعد (آيات ٦-١١). بينما يوضح مزمور ٤٣:١-٥ أشواق التقي الذي يجوز تلك المرحلة. وتنتهي كل فكرة من هذه الأفكار الثلاثة بإعلان الرجاء: «ارتجي الله لأني بعد أحمده».

في هذين المزمورين نجد:

أولاً - حالة التقي (٤٢:١-٥)

ثانياً - اكتئاب التقي وعزاؤه (٤٢:٦-١١)

ثالثاً - أشواق التقي (٤٣:١-٥)

أولاً - حالة التقي

(مزمور ٤٢:١-٥)

١ - حالة شوق: «كما يشتاق الإيل إلى جداول المياه هكذا تشتاق نفسي إليك يا الله. عطشت نفسي إلى الله، إلى الإله الحي. متى أجيء وأتراءى قدام الله!» (آيتا ١ و٢). يشبّه داود نفسه بالأيائل والغزلان التي تحتاج للماء الوفير، خصوصاً في مواسم الحر والجفاف، فيصرخ طالباً الله ينبوع الماء الحي: «يا رب.. يَروَوْن من دسم بيتك، من نهر نعمك تسقيهم.. لأن عندك ينبوع الحياة» (مز ٣٦:٦ و٨ و٩) ولن ترتوي النفس الحية إلا بالله الحي. وما أسعد الإنسان الحي، الذي نال الحياة الجديدة من الله، فارتوى بربّه الذي يحفظ له استمرارية هذه الحياة ويضمنها، فتستمر العلاقة الشخصية الدافئة بينه وبين إلهه. وما أتعس من يعاتبهم الله بالقول: «شعبي عمل شرَّين: تركوني أنا ينبوع المياه الحية لينقروا لأنفسهم آباراً آباراً مشقَّقة لا تضبط ماءً» (إر ٢:١٣).

عندما هرب داود أمام أبشالوم بعيداً عن بيت الرب، حمل صادوق الكاهن واللاويون تابوت الرب إلى حيث كان داود، فأمرهم أن يُرجِعوه إلى مكانه، وقال: «إن وجدتُ نعمة في عيني الرب فإنه يُرجعني ويُريْني إياه ومسكنه» (٢صم ١٥:٢٥). ويربط داود بين رضى الله عليه ومثوله في حضرته في هيكله ليتعبَّد. وكان هذا شعوره الدائم، فنسمعه يقول: «عطشَت إليك نفسي. يشتاق إليك جسدي في أرض ويابسة ناشفة بلا ماء» (مز ٦٣:١). لقد ملأ حب الله قلبه، فخلق في داخله شوقاً قوياً إلى الله نفسه، فأراد أن يتراءى (يظهر) أمام الرب.

كان داود قد خسر الكثير بهروبه أمام أبشالوم: خسر عرشه، وسلطانه، والراحة في قصره. كما خسر سُمعته بسبب سوء تصرُّف ولده. ولكنه اعتبر حرمانه من بيت الرب خسارته الحقيقية، فأعلن شوقه للعبادة فيه. ولا يحسُّ بقيمة امتياز العبادة إلا من يُحرَم منها. وعندما نحسُّ بالأشواق الروحية نعلم أن الله لم يتركنا، كما أننا لم نتركه!

ويحتاج المسيحيون في كل العالم إلى تنمية شوق خاص إلى بيت الرب في يوم الرب، خصوصاً في البلاد التي يكون فيها يوم الرب يوم عمل رسمي. وعليهم أن يبذلوا جهداً خاصاً ليقولوا مع داود: «متى أجيء وأتراءى قدام الله!» في يوم الرب وفي بيت الرب.

٢ - حالة حزن: (آيتا ٣ و٤).

(أ) بسبب تعييرات العدو: «صارت لي دموعي خبزاً نهاراً وليلاً، إذ قيل لي كل يوم: أين إلهك؟» (آية ٣). امتنع المرنم عن الطعام بسبب الحزن لأنه ابتعد عن بيت الله، وصارت له الدموع محل الخبز! وزاد من آلامه أن أعداءه سخروا من تديُّنه وعبادته وقالوا له: أين إلهك الذي طالما صليت له وعبدتَه وكتبتَ عنه المزامير؟ كثيرة هي اختباراتك الروحية التي حدثتَنا عنها عندما أخذك من وراء الغنم وجاء بك إلى العرش، والذي تقول إنك وضعت ثقتك فيه، وإنه راضٍ عنك. أما الآن فإنك بعيد عنه، وهو بعيد عنك. لقد تركك ربك! في ذلك الوقت العصيب سبَّ شمعي بن جيرا الملك داود وقال له: «قد ردَّ الرب عليك كل دماء بيت شاول.. وها أنت واقعٌ بشرّك لأنك رجل دماء» (٢صم ١٦:٨) مع أن الرب هو الذي اختار داود ليكون ملكاً وأعطاه المُلك.

وعندما يسمح الله لنا بآلام وتجارب، كثيراً ما نسمع السؤال: «أين إلهك؟». ثار هذا السؤال عندما نشبت الأفعى في يد بولس، فظنَّه الذين رأوا ذلك مجرماً لم يدعه العدل يحيا، ولكن الرب أنقذ الرسول بمعجزة (أعمال ٢٨:٣ و٤). وهذا ما يحدث دائماً مع الذين يحبون الله. فإذا حدث معك فلا تفقد الأمل، بل ضع رجاءك في الله.

(ب) بسبب الحرمان من بيت الرب: «هذه أذكرها فأسكب نفسي عليَّ، لأني كنت أمرُّ مع الجُمَّاع، أتدرَّج معهم إلى بيت الله بصوت ترنم وحمد، جمهور مُعيِّد» (آية ٤). وزاد حزن داود وهو يعود بالذاكرة إلى الأيام الجميلة التي كان يذهب فيها لبيت الرب عابداً ومعيِّداً، يقود المجتمِعين للعيد من كل أنحاء المملكة، وهم يتدرَّجون صاعدين التل الذي بُني عليه بيت الرب، ويرتلون مزامير الترنم والحمد التي كتبها لتلك المناسبة المبهجة. «لأن يوماً واحداً في ديارك خيرٌ من ألفٍ. اخترت الوقوف على العتبة في بيت إلهي على السكن في خيام الأشرار» (مز ٨٤:١٠). صحيحٌ أن الحزن يزيد عندما يذكر الإنسان الأفراح السابقة، ولا يحس بروعة الشيء إلا المحروم منه. ولكن داود يردّ على تعيير الساخرين منه بقوله إنه كان يعبد الله بالروح والحق، وإن هذا الإله الأمين لن يتركه في محنته.

٣ - حالة أمل: «لماذا أنت منحنية يا نفسي، ولماذا تئنين فيَّ؟ ارتجي الله، لأني بعد أحمده لأجل خلاص وجهه» (آية ٥). انحنت نفس المرنم تحت ضغط الظروف المؤلمة التي كان يجوز فيها، ولكنه لم يبقَ في تلك الحالة، بل سرعان ما سحب نفسه منها ورفع وجهه إلى فوق من حيث يأتي عونه. ودار الحديث بين نفسه الحزينة وإيمانه الراسخ، فآمن على الرجاء الإلهي، خلافاً للرجاء البشري، كما فعل جدُّه إبراهيم (رو ٤:١٨)، وقال لنفسه: «لأني بعد أحمده لأجل خلاص وجهه» أي لأجل الخلاص الذي يعمله الرب. «أراقب الرب. أصبر لإله خلاصي. يسمعني إلهي. لا تشمتي بي يا عدوَّتي. إذا سقطت أقوم. إذا جلست في الظلمة فالرب نورٌ لي» (مي ٧:٧ و٨).

عندما وقع ظل الصليب الثقيل على المسيح قال: «الآن نفسي قد اضطربت. وماذا أقول؟ أيها الآب نجّني من هذه الساعة. ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة» (يو ١٢:٢٧) فاختفى الاضطراب أمام عظمة مسؤولية صُنع الخلاص للبشر الخطاة.

قد تشترك مع يعقوب أبي الأسباط في شكواه، في حالة يأس وهو يقول: «صار كل هذا عليَّ» (تك ٤٢:٣٦)، أو مع المتألم وهو يقول: «ليته هلك اليوم الذي وُلدتُ فيه» (أي ٣:٣)، أو مع المعمدان السجين وقد أصابه الشك، فأرسل تلميذين إلى المسيح يسألانه: «أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟» (مت ١١:٣). وستسمع صوته يقول لك: «لأني أنا الرب إلهك.. إذ صِرتَ عزيزاً في عينيَّ مكرَّماً، وأنا قد أحببتُك» (إش ٤٣:٣ و٤). عندها ستخرج من اليأس إلى الأمل وأنت تقول: «أحبُّك يا رب يا قوتي. الرب صخرتي وحصني ومنقذي، إلهي صخرتي به أحتمي. تُرسي وقرن خلاصي وملجإي» (مز ١٨:١ و٢). فتهتف شاكراً: «أحمده لأجل خلاص وجهه».

ثانياً - الاكتئاب التقي وعزاؤه

(مز ٤٢:٦-١١)

١ - سبب الاكتئاب: (آيتا ٦ و٧).

(أ) البُعد عن بيت الرب: «يا إلهي، نفسي منحنية فيَّ، لذلك أذكرك من أرض الأردن وجبال حرمون، من جبل مِصعَر» (آية ٦). أوضح داود أن اكتئابه كان بسبب بُعده عن بيت الله في أرض الأردن وجبال حرمون وجبل مصعر، وهي الأماكن التي هرب إليها من وجه ابنه، وكلها على أطراف كنعان، بعيداً عن بيت الرب، فحزن لأنه حُرم من بيت الرب.

ولكنه في ذكر سبب اكتئابه يعبِّر عن أمله. في آية ٤ ذكر آلامه ودموعه وقال: «هذه أذكرها». وهذا يقود إلى اليأس، ولكنه في آية ٦ ذكر الله وقال: «لذلك أذكرك» فرجع إليه الأمل.

في آية ٥ كلَّم نفسه عن انحنائه تحت ثقل الهمّ، فقال: «لماذا أنت منحنية يا نفسي؟» ولكنه في آية ٦ اتّجه إلى حل المشكلة، فخاطب الله واشتكى له همَّه قائلاً: «يا إلهي، نفسي منحنية فيَّ».

(ب) توالي المصائب: «غمرٌ ينادي غمراً عند صوت ميازيبك. كل تياراتك ولججك طمت عليَّ» (آية ٧). كان اكتئابه الشديد مثل الأمواج الغاضبة المتلاحقة، وكأن ماءً كثيراً يتبعه ماءٌ كثير يجري في الميازيب (وهي القنوات) يتابعه حتى يكاد يغرقه. لم تأته المصائب فُرادى بل لاحقته بالصوت المرتفع كالصيحة والسيل، من داخل بيته، ومن أصحابه، فمضى يتساءل في حزن: «لماذا أنتِ منحنية يا نفسي، ولماذا تئنّين فيَّ؟».

عندما نخاطب أنفسنا: لماذا أنت منحنية؟ تجيبنا أنها ضعيفة عاجزة بلا موارد، فيدور الإنسان حول نفسه في دائرة مفرغة حزينة. ولكن داود يعلمنا كيف نخرج من هذه الدائرة بالاتجاه إلى الرب قائلين: يا إلهي، أرفع إليك مظلمتي وضيقة نفسي. أذكرك فأشكرك. فليكن وجه الرب أمامنا دائماً.

٢ – علاج الاكتئاب: (آيتا ٨ و ٩).

(أ) الرحمة الإلهية: «بالنهار يوصي الرب رحمته» (آية ٨أ). بالرغم من اكتئاب المرنم وبكائه إلا أنه يعلم أن الإله المحب الرحيم يهتم دائماً بعبده الحزين. في النهار يوصي رحمته لتحيط به، وفي الليل يحفظه ويعطيه راحة. «الجاعل أنفسنا في الحياة، ولم يسلم أرجلنا إلى الزلل» (مز ٦٦:٩).

(ب) الصلاة: «بالليل تسبيحه عندي صلاة لإله حياتي. أقول لله صخرتي: لماذا نسيتني؟ لماذا أذهب حزيناً من مضايقة العدو؟» (آيتا ٨ب و٩). يعبّر داود عن مشاعره وآماله في الرب بكلمات صلاة وبأنشودة ترتيل، فيرنم تسبيحةً ويصلي للإله الذي به يحيا ويتحرك ويوجد.

٣ – عودة الاكتئاب: «بسحقٍ في عظامي عيَّرني مضايقيَّ، بقولهم لي كل يوم: أين إلهك؟» (آية ١٠). يقتنع العقل بحقائق عظيمة كثيرة، لكن القلب لا يقدر دوماً أن يتبع العقل في السلوك بموجبها. كان داود يعلم بعقله أن الله صخرته وملجأه، وأنه لن يترك محبيه. غير أن قلبه المكتئب لم يقدر أن يطمئن، فعاد يعبر عن اكتئابه، فقال إن أعداءه عادوا يضايقونه ويعيِّرونه كل يوم بأن إلهه تركه. صحيحٌ أنهم سبق وقالوا له ذلك، وصحيحٌ أنه انتصر بنعمة الله على التأثيرات المؤلمة لهذا القول الباطل، وامتلأ قلبه بما كان مقتنعاً به عقلياً. غير أن تكرار تعيير الأعداء أضعف أمله، فعاد يسأل الله: لماذا نسيتني؟.. لقد سحق مضايقوه عظامه بكلامهم المثبط، فاتجه في حزنه مصلياً، يبسط كل ما يسمع أمام الله، كما بسط حفيده حزقيا من بعده رسائل أعدائه أمام الرب (إش ٣٧:١٤).

٤ – نهاية الاكتئاب: «لماذا أنت منحنية يا نفسي ولماذا تئنين فيَّ؟ ترجي الله لأني بعد أحمده، خلاص وجهي وإلهي» (آية ١١). هناك أمل، فإن الله حي وموجود. ولنقارن هذه الآية بآية ٥ التي تقول: «أحمده لأجل خلاص وجهه». صار خلاصُ وجه الله خلاصَ وجه داود. صار ساكنُ السموات إلهَ المرنم الذي ينتمي إليه. تكلم عن إلهٍ يخلص، والآن يتكلم عن الإله الذي يخلصه، والذي يقول عنه: «الإله الذي أنا له والذي أعبده» (أع ٢٧:٢٣). ومن سواه يستحق العبادة؟ هو وحده الذي يستحق. فليكن شعارنا: «فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله، الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل ٢:٢٠).

ثالثاً - أشواق التقي

(٤٢:١-٥)

بعد أن وصف داود حالته في البلاد البعيدة عن بيت الله، واكتئابه النفسي من الداخل والخارج، أوضح في مزمور ٤٣ ثلاثة أشواق: شوق للبراءة من اتهامات العدو له (آيتا ١ و٢) وشوق للعودة للعبادة في بيت الله (آيتا ٣ و٤) وشوق للحياة السعيدة (آية ٥).

١ – شوق للبراءة من الاتهامات الظالمة: «اقضِ لي يا الله وخاصِم مخاصمتي مع أمة غير راحمة، ومن إنسان غش وظلم نجِّني، لأنك أنت إله حصني. لماذا رفضتني؟ لماذا أتمشَّى حزيناً من مضايقة العدو؟» (آيتا ١ و٢). يطالب داود الله أن يتبنَّى قضيته، ويقف محامياً عنه من أمَّة ظالمة،

ومن شخص غشاش، ليُظهِر براءته. وقوله «إنسان غش وظلم» يصف ولده أبشالوم الذي قام ضده بانقلاب فاشل، ووجَّه إليه اتهامات كثيرة باطلة. ويصف أيضاً مستشاره السابق أخيتوفل الجيلوني الذي كان محتالاً ماكراً، وقد انقلب عليه وانضم إلى أبشالوم. وصدّق الشعب ما قاله الابن العاق ضد أبيه، وانحاز كثيرون إلى الكذب وناصروا الابن، فوصفهم داود بأنهم «أمة غير راحمة».

كان داود يعلم أن الله حصنه. فتساءل: لماذا يرفضه؟ ولماذا يتركه يتمشّى حزيناً في بلاد الغُربة مطروداً من العدو؟ وإلى من يذهب والحماية الوحيدة هي في إلهه الصالح؟ وكأنه يقول: «يا رب، إلى من نذهب؟ كلام الحياة الأبدية عندك» (يو ٦:٦٨).

٢ - **شوق للعودة للعبادة في بيت الرب:** «أرسِل نورك وحقك، هما يهديانني ويأتيان بي إلى جبل قدسك وإلى مساكنك، فآتي إلى مذبح الله، إلى الله بهجة فرحي، وأحمدك بالعود يا الله إلهي» (آيتا ٣ و٤). طلب المرنم نور الله وحقه ليهدياه إلى بيت الرب، وكأن النور والحق شخصان، فيشرق وجه الله بالرضا عليه كما أشرق على أجداده في صحراء سيناء وهم يسافرون من مصر إلى أرض الموعد، فسار أمامهم في عمود سحاب ليهديهم في الطريق، نهاراً وفي عمود نار ليضيء لهم ليلاً (خر ١٣:٢١). لقد طالب بنور الله وحقه من «الأوريم والتمّيم» (أي الأنوار والكمالات) اللذين كانا يوضعان في «صُدرة القضاء» على قلب هارون رئيس الكهنة عند دخوله أمام الرب، فيحمل هارون قضاء بني إسرائيل على قلبه أمام الرب دائماً (خر ٢٨:٣٠).

أما الهدف من طلب الرنم هذه الهداية فهو التواجد في بيت الله للعبادة، فيقول: «فآتي إلى مذبح الله، إلى الله بهجة فرحي» (آية ٤أ). يفرح داود ويبتهج بتقديم ذبائحه في بيت الله، فعلى مذبح الله يقدم «ذبيحة المحرقة» للتكفير عنه طالباً رضى الرب (لا ١:٣-٩)، و«ذبيحة الخطية» للتكفير عن خطايا السهو والجهل (لا ٤:١-١٣:٥)، و«ذبيحة الإثم» للتكفير عن الإثم باعتبار أنه ضد أحكام الله (لا ٥:١٤-٦:٧)، و«ذبيحة السلامة» للتعبير عن الشكر لله (لا ٣:١-٥). وكانت هذه الذبائح كلها رمزاً للمسيح الفادي وللذبح العظيم الذي قدّم نفسه عنّا، فأوجد لنا فداءً أبدياً (عب ٩:١٢). «عالمين أنكم افتُديتُم.. بدم كريم كما من حملٍ بلا عيب ولا دنس، دم المسيح» (١بط ١:١٨ و١٩).

لنتصور داود في آخر أرض كنعان، يثور ابنه عليه ويعيّره أعداؤه، ومع ذلك يعلن بثقة الرجاء أنه سيقدم للرب ذبيحة مقبولة، ويعلن فرحه بالله «بهجة قلبي» ويرتل: «أحمدك بالعود» (آية ٤ب). هذه أشواق مؤمن مختبر، يحب الرب، ويعتبر أن عبادته بفرح وترنم وحمد هي أهم شيء عنده.

٣ - **شوقٌ للحياة السعيدة:** «لماذا أنت منحنية يا نفسي، ولماذا تئنين فيَّ؟ ترجّي الله لأني بعد أحمده، خلاص وجهي وإلهي» (آية ٥). يكرر المرنم حديثه لنفسه، فيشجعها أن تترجّى الله، لأنه سيظل يحمده لأنه خلاصه، وإلهه. وأدعوك أن تختبر صلاح إلهك الذي ينقذك من كل يأس، ليخرجك من أي اكتئاب قد يصيبك، لتتمتع بحياة السعادة التي يريدها الله لك، لأنه خلاص وجهك. أنشئ علاقةً شخصية بينك وبين الله بالتوبة والطاعة، فتدعوه «إلهي» وهو يدعوك «عبدي وابني وحبيبي» فيتشوّق قلبك دائماً إلى بيته، وإلى الوجود في محضره.

المزمور الرابع والأربعون

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ. لِبَنِي قُورَحَ. قَصِيدَةٌ

١ اَللّٰهُمَّ بِآذَانِنَا قَدْ سَمِعْنَا. آبَاؤُنَا أَخْبَرُونَا بِعَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي أَيَّامِهِمْ، فِي أَيَّامِ ٱلْقِدَمِ.
٢ أَنْتَ بِيَدِكَ ٱسْتَأْصَلْتَ ٱلْأُمَمَ وَغَرَسْتَهُمْ. حَطَّمْتَ شُعُوباً وَمَدَدْتَهُمْ. ٣ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِسَيْفِهِمُ
ٱمْتَلَكُوا ٱلْأَرْضَ، وَلَا ذِرَاعُهُمْ خَلَّصَتْهُمْ، لٰكِنْ يَمِينُكَ وَذِرَاعُكَ وَنُورُ وَجْهِكَ لِأَنَّكَ رَضِيتَ
عَنْهُمْ.

٤ أَنْتَ هُوَ مَلِكِي يَا اَللّٰهُ. فَأْمُرْ بِخَلَاصِ يَعْقُوبَ. ٥ بِكَ نَنْطَحُ مُضَايِقِينَا. بِٱسْمِكَ
نَدُوسُ ٱلْقَائِمِينَ عَلَيْنَا. ٦ لِأَنِّي عَلَى قَوْسِي لَا أَتَّكِلُ، وَسَيْفِي لَا يُخَلِّصُنِي. ٧ لِأَنَّكَ أَنْتَ
خَلَّصْتَنَا مِنْ مُضَايِقِينَا، وَأَخْزَيْتَ مُبْغِضِينَا. ٨ بِٱللّٰهِ نَفْتَخِرُ ٱلْيَوْمَ كُلَّهُ وَٱسْمَكَ نَحْمَدُ إِلَى
ٱلدَّهْرِ. سِلَاهْ.

٩ لٰكِنَّكَ قَدْ رَفَضْتَنَا وَأَخْجَلْتَنَا وَلَا تَخْرُجُ مَعَ جُنُودِنَا. ١٠ تُرْجِعُنَا إِلَى ٱلْوَرَاءِ عَنِ
ٱلْعَدُوِّ، وَمُبْغِضُونَا نَهَبُوا لِأَنْفُسِهِمْ. ١١ جَعَلْتَنَا كَٱلضَّأْنِ أَكْلاً. ذَرَّيْتَنَا بَيْنَ ٱلْأُمَمِ.
١٢ بِعْتَ شَعْبَكَ بِغَيْرِ مَالٍ وَمَا رَبِحْتَ بِثَمَنِهِمْ. ١٣ تَجْعَلُنَا عَاراً عِنْدَ جِيرَانِنَا، هُزْأَةً
وَسُخْرَةً لِلَّذِينَ حَوْلَنَا. ١٤ تَجْعَلُنَا مَثَلاً بَيْنَ ٱلشُّعُوبِ. لِإِنْغَاضِ ٱلرَّأْسِ بَيْنَ ٱلْأُمَمِ.
١٥ ٱلْيَوْمَ كُلَّهُ خَجَلِي أَمَامِي، وَخِزْيُ وَجْهِي قَدْ غَطَّانِي. ١٦ مِنْ صَوْتِ ٱلْمُعَيِّرِ وَٱلشَّاتِمِ.
مِنْ وَجْهِ عَدُوٍّ وَمُنْتَقِمٍ.

١٧ هٰذَا كُلُّهُ جَاءَ عَلَيْنَا وَمَا نَسِينَاكَ وَلَا خُنَّا فِي عَهْدِكَ. ١٨ لَمْ يَرْتَدَّ قَلْبُنَا إِلَى وَرَاءٍ،
وَلَا مَالَتْ خَطْوَتُنَا عَنْ طَرِيقِكَ، ١٩ حَتَّى سَحَقْتَنَا فِي مَكَانِ ٱلتَّنَانِينِ وَغَطَّيْتَنَا بِظِلِّ ٱلْمَوْتِ.
٢٠ إِنْ نَسِينَا ٱسْمَ إِلٰهِنَا أَوْ بَسَطْنَا أَيْدِيَنَا إِلَى إِلٰهٍ غَرِيبٍ، ٢١ أَفَلَا يَفْحَصُ ٱللّٰهُ عَنْ هٰذَا،
لِأَنَّهُ هُوَ يَعْرِفُ خَفِيَّاتِ ٱلْقَلْبِ؟ ٢٢ لِأَنَّنَا مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ ٱلْيَوْمَ كُلَّهُ. قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ
غَنَمٍ لِلذَّبْحِ.

٢٣ اِسْتَيْقِظْ. لِمَاذَا تَتَغَافَى يَا رَبُّ؟ ٱنْتَبِهْ. لَا تَرْفُضْ إِلَى ٱلْأَبَدِ. ٢٤ لِمَاذَا تَحْجُبُ
وَجْهَكَ وَتَنْسَى مَذَلَّتَنَا وَضِيقَنَا؟ ٢٥ لِأَنَّ أَنْفُسَنَا مُنْحَنِيَةٌ إِلَى ٱلتُّرَابِ. لَصِقَتْ فِي ٱلْأَرْضِ
بُطُونُنَا. ٢٦ قُمْ عَوْناً لَنَا وَٱفْدِنَا مِنْ أَجْلِ رَحْمَتِكَ.

إله الماضي والحاضر والمستقبل

هذا المزمور صرخة مؤمنين مُضطهَدين وهم أبرياء. فالمرنم لا يذكر أنهم خانوا عهد إلههم، لكنهم يعانون من هزيمتهم أمام أعدائهم ومن سخرية الأعداء بهم. لقد اتّخذ آباؤهم وأجدادهم الله إلهاً لهم، كما اتّخذوه هم في كل مراحل حياتهم سيداً ورباً لهم، وافتخروا باسمه القدوس. لكن فجأة حدث شيء لم يتوقعوه، فقد رفضهم الله وأخجلهم! فعاتبوه بالقول: يا إله آبائنا، كيف تتركنا في هذا الحال؟ ويختمون المزمور بصلاة: «قُم عوناً لنا، افدِنا من أجل رحمتك».

وقد ربط المفسِّر «دلتش» بين هذا المزمور ومزمور ٦٠، وقارن بين مز ٤٤:٩ و٢٣ مع ٦٠:١ و١٠؛ و٤٤:٥ مع ٦٠:١٢؛ و٤٤:٣ مع ٦٠:٥، وقال إن المزمورين كُتبا بمناسبة غارة حربية أدومية ضد مملكة يهوذا في وقت كان داود فيه مشغولاً بمعركة مع العمونيين والأراميين، فتذكر الشعب انتصاراتهم الماضية على الأعداء، وطالبوا الله بالمؤازرة والنصرة.

في هذا المزمور نجد:

أولاً - الله إله الماضي (آيات ١-٣)

ثانياً - الله إله الحاضر والمستقبل (آيات ٤-٨)

ثالثاً - الاختبار المؤلم (آيات ٩-١٦)

رابعاً - إعلان البراءة (آيات ١٧-٢٢)

خامساً - صلاة (آيات ٢٣-٢٦)

أولاً - الله إله الماضي
(آيات ١-٣)

١ - آباؤنا أخبرونا: «اللهم بآذاننا قد سمعنا. آباؤنا أخبرونا بعملٍ عملتَه في أيامهم في أيام القِدم» (آية ١). كان عمل الله مع شعبه في القديم، بسبب نعمته لا بسبب استحقاقهم، فقد طرد سكان كنعان من أمامهم وأسكنهم في أرضهم. وأمر شعبه أن يتأملوا الماضي ولا ينسوه. ولا بد أن بعض هذا التاريخ كان في ذاكرة الحفّاظ قبل تدوينه. وسعيد هو الإنسان الذي يتحدث عن عمل الله مع آبائه وأجداده، ويذكر إيمان أبيه وأمه وجدّه، كما تساءل جدعون: «أين كل عجائبه التي أخبرنا بها آباؤنا؟» (قض ٦:١٣)، وكما كان تيموثاوس يقدر أن يفتخر بالإيمان العديم الرياء الذي سكن أولاً في أمه لوئيس وجدته أفنيكي، ولكنه كان فيه أيضاً (٢تي ١:٥). وعمل الله في الماضي ليس مجرد اختبار فرد واحد، ولا هو اختبار عاطفي، ولا مجرد خيالات، لكنه تاريخ حي وأمر واقع في تاريخ شعب الله كله. فالرب هو إله الماضي، إله الآباء والجدود، وهو الإله القديم، والملجأ (تث ٣٣:٢٧). وتعامل شعبه معه لا يجيء من فراغ، لذلك نتّخذ من اختبارات الماضي ما يقوّينا في يومنا الحاضر، ويدفعنا

إلى مزيد من الثقة في الرب في المستقبل. لقد أخبرنا آباؤنا بعمل الله في حياتهم، وهكذا لنفعل مع أبنائنا «لكي تخبر في مسامع ابنك وابن ابنك بما فعلته.. فتعلمون أني أنا الرب» (خر ١٠: ٢). «دورٌ إلى دور يسبح أعمالك، وبجبروتك يخبرون» (مز ١٤٥: ٤).

٢ - استأصل العدو وغرس شعبه: «أنت بيدك استأصلتَ الأمم وغرستهم. حطمت شعوباً ومددتهم» (آية ٢). فتحقق القول: «تجيء بهم وتغرسهم في جبل ميراثك. المكان الذي صنعته يا رب لسكنك» (خر ١٥: ١٧). «كرمة من مصر نقلتَ. طردتَ أمماً وغرستها.. مدّت قضبانها إلي البحر، وإلى النهر فروعها» (مز ٨٠: ٨ و١١).

٣ - ليس بقوّتهم، بل برضاه عليهم: «لأنه ليس بسيفهم امتلكوا الأرض، ولا ذراعهم خلّصتهم، لكن يمينك وذراعك ونور وجهك، لأنك رضيت عنهم» (آية ٣). حطم الله شعوباً مضادة، ومدَّ جماعة الإيمان لتنمو، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، فامتلكوا الأرض ليس بقوتهم ولا بسيفهم، وكان قد قال لهم: «لا تقُل في قلبك حين ينفيهم الرب إلهك من أمامك قائلاً: لأجل بِرّي أدخلني الرب لأمتلك هذه الأرض، ولأجل إثم هؤلاء الشعوب يطردهم الرب إلهك من أمامك.. ليس لأجل برّك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها» (تث ٩: ٤-٦) «لأن الرب إلهكم قد يبَّس مياه الأردن من أمامكم حتى عبرتُم كما فعل الرب إلهكم ببحر سوف الذي يبَّسه من أمامنا حتى عبرنا، لكي تعلم جميع شعوب الأرض يد الرب أنها قوية، لكي تخافوا الرب إلهكم كل الأيام» (يش ٤: ٢٣ و٢٥). لقد أسقط أسوار أريحا المنيعة أمامهم، فعاد المجد كله له وحده.

ثانياً - الله إله الحاضر والمستقبل

(آيات ٤-٨)

بعد التأمل في عمل الله الماضي، نال المرنم شجاعة وثقة وأمناً في الحاضر وللمستقبل. لقد كان مع الآباء وحقّق وعوده لهم، فلا بد أن يكون مع الأبناء، وأن يحقق وعوده مع المعاصرين، لأنه لا يتغيَّر. إنه الملك وهم رعاياه. قال عنه يعقوب: «الله الذي رعاني منذ وجودي إلى هذا اليوم. الملاك الذي خلّصني من كل شر» (تك ٤٨: ١٥ و١٦). ويبني المرنم ثقته على خمس حقائق:

١ - الله ملكه: «أنت هو ملكي يا الله» (آية ٤أ). يخطط الملك لمملكته، ويدافع عن شعبه، وعليهم أن يسمعوا توجيهاته ويطيعوها. قال موسى لله: «إن كنتُ قد وجدتُ نعمةً في عينيك، فعلِّمني طريقك حتى أعرفك لكي أجد نعمةً في عينيك، وانظُر أن هذه الأمة شعبك» (خر ٣٣: ١٣).

٢ - الله يستجيب الصلاة: «فأْمُر بخلاص يعقوب» (آية ٤ب). لقد خلّصهم من قبل، ولا بد يخلِّصهم اليوم من المرض والضيق والخطية. إنهم يعرفون قوته ومدى اتساع سلطته، فيطالبونه أن يأمر بخلاصهم من كل ضيق.

٣ - الله قوي: «بك ننطح مضايقينا. باسمك ندوس القائمين علينا» (آية ٥). يستعير المرنم أسماء أسلحة الحرب الموجودة في وقته، من ثور ينطح أو فيل يدوس. وقد بارك موسى سبط يوسف بقوله:

«بِكْرُ ثوره زينةٌ له، وقرناه قرنا رئِم. بهما ينطح الشعوب معاً إلى أقاصي الأرض» (تث ٣٣:١٧).

٤ – كل ما عدا الله باطل: «لأني على قوسي لا أتكل، وسيفي لا يخلصني» (آية ٦). وهو القائل: «وأما بيت يهوذا فأرحمهم وأخلِّصهم بالرب إلههم. ولا أخلِّصهم بقوسٍ وبسيفٍ وبحربٍ وبخيلٍ وبفرسان» (هو ١:٧).

٥ – الله أمين: «لأنك أنت خلَّصتنا من مضايقينا وأخزيتَ مبغضينا. بالله نفتخر اليوم كله واسمك نحمد إلى الدهر» (آيتا ٧ و٨). هذه اختبارات شعب الرب كما اختبرها آباؤهم من قبلهم، فليس لهم ما يفتخرون به إلا الانتماء إلى الرب والاعتماد على محبته الإلهية التي تساند، فيظلون يرنمون ترنيمة الانتصار.

ثالثاً - الاختبار المؤلم
(آيات ٩-١٦)

ذكر المرنم عظمة فعل الله مع شعبه في الماضي، وبنى على ذلك ثقتهم به في الحاضر والمستقبل. ولكنه ذكر أيضاً أن الواقع يخالف ما توقَّعوه، فطالب الرب به. لقد سلَّمهم ليد أعدائهم، وسمح للمهاجمين أن يسخروا منهم.

١ – سبب الاختبار المؤلم: «لكنك قد رفضتنا وأخجلتنا، ولا تخرج مع جنودنا» (آية ٩). يتألم المرنم لأن الإله الملك القوي الأمين سامع الصلاة رفض شعبه وأخزاهم فهزمهم العدو. وكان بنو إسرائيل أحياناً يأخذون التابوت ليتقدَّمهم في الحرب، رمزاً لحضور الله معهم (عدد ١٠:٣٥). ولكن الهزيمةَ جعلت المرنم يقول إن الله رفض شعبه ولم يعد يخرج مع جنودهم.

٢ – وصف الاختبار المؤلم: (آيتا ١٠ و١١).

(أ) الهزيمة: «تُرجِعنا إلى الوراء عن العدو» (آية ١٠أ).

(ب) النهب: «مبغضونا نهبوا لأنفسهم. جعلتنا كالضأن أكلاً» (آيتا ١٠ب و١١أ). ذُبح بعضهم كالأغنام، وبيع بعضهم عبيداً، فأُبعدوا عن بلادهم وهيكل عبادتهم (يوئيل ٣:٦).

(ج) السبي: «ذرَّيتَنا بين الأمم» (آية ١١ب). ولكن «ألعلَّ الله رفض شعبه؟ حاشا!.. لم يرفض الله شعبه الذي سبق فعرفه» (رو ١١:١ و٢).

٣ – نتيجة الاختبار المؤلم: (آيات ١٢–١٦).

(أ) معاتبة الرب: «بعتَ شعبك بغير مال، وما ربحتَ بثمنهم» (آية ١٢). يعاتب المتألمون الرب بأنه باعهم بغير مال، وكأنهم لا يستحقون أن يُدفَع فيهم ثمن! ولكن لم يحدث أبداً أن الله باع شعبه، بل إنه اشتراهم لا بفضة ولا بذهب، لكن بدم كريم، كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح (١بط ١:١٨ و١٩). ولكن الروح القدس سجَّل لنا عتاب شعب الرب له ليؤكد لنا أن عتابنا لله سيلقى منه القبول والعناية.

(ب) **سخرية العدو**: «تجعلنا عاراً عند جيراننا. هزأة وسخرية للذين حولنا. تجعلنا مثلاً بين الشعوب لإنغاض الرأس بين الأمم» (آيتا ١٣ و١٤). كان جيرانهم من الفلسطينيين والأدوميين والعمونيين والموآبيين يحسدونهم ويحقدون عليهم، فلما رأوا هزيمتهم شمتوا بهم وسخروا منهم، لأن الإله الذي افتخروا به تخلى عنهم. «يصفّق عليك بالأيادي كل عابري الطريق. يصفرون وينغضون رؤوسهم.. قائلين: أهذه هي المدينة التي يقولون إنها كمال الجمال، بهجة كل الأرض!» (مرا ٢: ١٥).

(ج) **صِغَر النفس**: «اليوم كله خجلي أمامي، وخزي وجهي قد غطاني من صوت المعيِّر والشاتم، من وجه عدوٍّ ومنتقم» (آيتا ١٥ و١٦). كانت هزيمتهم كبيرة، ماثلة أمامهم، فظهر الخزي على وجوههم وغطاهم، لأن معيِّريهم شتموهم. وأحسّوا بصِغر النفس وحقارة القيمة. ولا شك أن الإله المحب يسمح بالألم للمؤمنين عقاباً، أو تنقيةً. وفي وقت إحساسهم بعدم القيمة يلجأون إلى المراحم الإلهية أكثر، فيعطيهم الرب بركات من آلامهم.

رابعاً - إعلان البراءة

(آيات ١٧-٢٢)

في هذه الآيات يقول المرنم إنه وشعبه لا يستحقون هذه المعاملة القاسية من الله، لأنهم يعانون من أعدائهم بسبب انتمائهم له.

١ - **لم يخونوا عهد الرب**: «هذا كله جاء علينا، وما نسيناك ولا خُنّا في عهدك. لم يرتدّ قلبنا إلى وراء، ولا مالت خطوتنا عن طريقك، حتى سحقتنا في مكان التنانين، وغطيتنا بظل الموت» (آيات ١٧-١٩). كان هناك عهد بين الرب وشعبه، بدأ بإبراهيم الخليل (تك ١٧: ٧)، وتأكد للشعب في سيناء (خر ١٩: ٥ و٢٤: ٧ و٨)، وكانت علامته الختان (تك ١٧: ٢-٤)، وكان رمزه تابوت العهد (عد ١٠: ٣٣)، وكان دستوره الوصايا العشر (تث ٩: ٩). ويؤكد المرنم أن شعبه وقت تلك الهزيمة لم يخونوا العهد كما فعل بعض آبائهم. ومع ذلك فقد سمح الله أن تصبح بلادهم خراباً، وجعلها مكان تنانين (أي: مكان بنات آوى)، ولفّهم بظل الموت الذي هو الظلمة الحالكة.

٢ - **لم يعبدوا الوثن**: «إن نسينا اسم إلهنا أو بسطنا أيدينا إلى إله غريب، أفلا يفحص الله عن هذا، لأنه هو يعرف خفيات القلب؟» (آيتا ٢٠ و٢١). مدُّ اليد وبَسْطها علامة الصلاة وانتظار العون. ولم يحدث أن الشعب نسي إلهه وقت تلك الهزيمة واتّجه إلى الأصنام. ولو أنهم فعلوا هذا لعرَفَ الربُّ بالأمر، لأنه يعرف أفكار القلب ونيّاته، كما قال أيوب: «أليس هو ينظر طرقي ويُحصي جميع خُطواتي؟» (أي ٣١: ٤).

٣ - **تألموا من أجل الرب**: «لأننا من أجلك نُمات اليوم كله. قد حُسِبنا مثل غنمٍ للذبح» (آية ٢٢). لم يكن شعب الرب قد خانوا الرب، لكنهم تألموا من أجل اسمه، وهم أمناء له. وقد اقتبس الرسول بولس هذه الآية (رو ٨: ٣٦) ليشجع المؤمنين على احتمال الاضطهاد حتى الموت من أجل المسيح. ولو أنه أضاف إليها أننا في هذه الإماتة والذبح يعظم انتصارنا بالذي أحبنا. فكما احتمل رجال

العهد القديم كل المتاعب بسبب انتمائهم لله، هكذا يجب أن يفعل رجال العهد الجديد، فلا يحسبون الآلام شاذة، بل متوقَّعة! «لأنه قد وُهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا بـه فقط، بل أيضاً أن تتألموا لأجله» (في ١:٢٩).

ونلاحظ في إعلان البراءة أمرين:

(أ) **يتحدث المرنم عن البراءة من الخطايا الكبيرة**، رغم وجود خطايا كثيرة صغيرة فيه وفي شعبه. وكم نحتاج إلى إرشاد الروح القدس لنرى كل خطايانا، لنتوب عنها، ولا نكون أبراراً في نظر أنفسنا.

(ب) **هذا المزمور تعليمي تاريخي**، فقد سار الله مع الآباء والأجداد رغم ضعفهم وتقصيرهم، ولا بد سيسير بالأمانة نفسها مع الأبناء والأحفاد.

خامساً - صلاة

(آيات ٢٣-٢٦)

يختم المرنم مزموره بطلب العون الإلهي السريع. وفي هذه الصلاة طلبتين:

١ - طلب اليقظة الإلهية: «استيقظ. لماذا تتغافى يا رب! انتبه. لا ترفض إلى الأبد. لماذا تحجب وجهك وتنسى مذلّتنا وضيقنا؟ لأن أنفسنا منحنية إلى التراب. لصقت في الأرض بطوننا» (آيات ٢٣-٢٥). كان المرنم يعلم أن الله حافظ شعبه لا ينعس ولا ينام (مز ١٢١:٣ و٤) ولكن آلامه جعلته يظن أن إلهه غافلٌ عنه! الإيمان عادة لا يفتش على العيان، لكن المؤمن الذي أصابه الشك والضعف الروحي يفتش على المنظور، فيطلب من الرب الذي لا ينام أن يستيقظ وينتبه ولا يتغافى «لأن السيد لا يرفض إلى الأبد» (مرا ٣:٣١). ويطالب الرب الذي رفض شعبه وحجب وجهه عنه أن يعود فيبتسم له ابتسامة الرضا، كما قال موسى: «أساء إلينا المصريون وثقّلوا علينا وجعلوا علينا عبودية قاسية. فلما صرخنا إلى الرب إله آبائنا سمع الرب صوتنا، ورأى مشقّتنا وتعبنا وضيقنا» (تث ٢٦:٦ و٧). لقد ألقى العدو بالشعب أرضاً، وأذله، فانعدمت قوته ولم يعُد قادراً على الوقوف. وكانت نفس الشعب وجسده في انحناء وسقوط، ولهذا طلب انتباه الله له.

٢ - طلب العون والفداء: «قُم عوناً لنا وافدنا من أجل رحمتك» (آية ٢٦). لقد أعلن الله عن نفسه بقوله إنه «إله رحيم ورؤوف، بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء، حافظ الإحسان إلى ألوف، غافر الإثم والمعصية والخطية» (خر ٣٤:٦ و٧) فطالبه المرنم أن يعلن عن نفسه بفعله، في إعانة شعبه وفدائه. وعندما تدرك رحمتَه شعبَه يقولون: «من هو إلهٌ مثلك، غافرٌ الإثم وصافحٌ عن الذنب لبقية ميراثه! لا يحفظ إلى الأبد غضبه، فإنه يُسرُّ بالرأفة. يعود يرحمنا. يدوس آثامنا، وتُطرَح في أعماق البحر جميع خطاياهم» (مي ٧:١٨ و١٩).

ونحن اليوم ندرك بصورة كاملة كيف يكون الفداء الإلهي، فإن في المسيح «لنا الفداء. بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته» (أف ١:٧). فنصبح «متبرّرين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح» (رو ٣:٢٤). فإن كان المرنم في مزموره قال «افدنا»، فإننا نقول في إنجيلنا: نشكرك لأنك افتديتنا.

المزمور الخامس والأربعون

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ. عَلَى ٱلسَّوْسَنِّ. لِبَنِي قُورَحَ. قَصِيدَةٌ. تَرْنِيمَةُ مَحَبَّةٍ
١ فَاضَ قَلْبِي بِكَلاَمٍ صَالِحٍ. مُتَكَلِّمٌ أَنَا بِإِنْشَائِي لِلْمَلِكِ. لِسَانِي قَلَمُ كَاتِبٍ مَاهِرٍ.
٢ أَنْتَ أَبْرَعُ جَمَالاً مِنْ بَنِي ٱلْبَشَرِ. ٱنْسَكَبَتِ ٱلنِّعْمَةُ عَلَى شَفَتَيْكَ، لِذٰلِكَ بَارَكَكَ ٱللّٰهُ
إِلَى ٱلأَبَدِ. ٣ تَقَلَّدْ سَيْفَكَ عَلَى فَخْذِكَ أَيُّهَا ٱلْجَبَّارُ، جَلاَلَكَ وَبَهَاءَكَ. ٤ وَبِجَلاَلِكَ ٱقْتَحِمِ.
ٱرْكَبْ. مِنْ أَجْلِ ٱلْحَقِّ وَٱلدَّعَةِ وَٱلْبِرِّ، فَتُرِيَكَ يَمِينُكَ مَخَاوِفَ. ٥ نَبْلُكَ ٱلْمَسْنُونَةُ فِي قَلْبِ
أَعْدَاءِ ٱلْمَلِكِ. شُعُوبٌ تَحْتَكَ يَسْقُطُونَ.
٦ كُرْسِيُّكَ يَا ٱللّٰهُ إِلَى دَهْرِ ٱلدُّهُورِ. قَضِيبُ ٱسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ. ٧ أَحْبَبْتَ ٱلْبِرَّ
وَأَبْغَضْتَ ٱلإِثْمَ، مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ مَسَحَكَ ٱللّٰهُ إِلٰهُكَ بِدُهْنِ ٱلاِبْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ رُفَقَائِكَ.
٨ كُلُّ ثِيَابِكَ مُرٌّ وَعُودٌ وَسَلِيخَةٌ. مِنْ قُصُورِ ٱلْعَاجِ سَرَّتْكَ ٱلأَوْتَارُ. ٩ بَنَاتُ مُلُوكٍ بَيْنَ
حَظِيَّاتِكَ. جُعِلَتِ ٱلْمَلِكَةُ عَنْ يَمِينِكَ بِذَهَبِ أُوفِيرٍ.
١٠ اِسْمَعِي يَا بِنْتُ وَٱنْظُرِي وَأَمِيلِي أُذْنَكِ وَٱنْسَيْ شَعْبَكِ وَبَيْتَ أَبِيكِ، ١١ فَيَشْتَهِيَ
ٱلْمَلِكُ حُسْنَكِ، لأَنَّهُ هُوَ سَيِّدُكِ فَٱسْجُدِي لَهُ. ١٢ وَبِنْتُ صُورٍ أَغْنَى ٱلشُّعُوبِ تَتَرَضَّى
وَجْهَكِ بِهَدِيَّةٍ.
١٣ كُلُّهَا مَجْدٌ ٱبْنَةُ ٱلْمَلِكِ فِي خِدْرِهَا. مَنْسُوجَةٌ بِذَهَبٍ مَلاَبِسُهَا. ١٤ بِمَلاَبِسَ مُطَرَّزَةٍ
تُحْضَرُ إِلَى ٱلْمَلِكِ. فِي إِثْرِهَا عَذَارَى صَاحِبَاتُهَا. مُقَدَّمَاتٍ إِلَيْكَ ١٥ يُحْضَرْنَ بِفَرَحٍ
وَٱبْتِهَاجٍ. يَدْخُلْنَ إِلَى قَصْرِ ٱلْمَلِكِ. ١٦ عِوَضاً عَنْ آبَائِكَ يَكُونُ بَنُوكَ، تُقِيمُهُمْ رُؤَسَاءَ فِي
كُلِّ ٱلأَرْضِ. ١٧ أَذْكُرُ ٱسْمَكَ فِي كُلِّ دَوْرٍ فَدَوْرٍ. مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ تَحْمَدُكَ ٱلشُّعُوبُ إِلَى
ٱلدَّهْرِ وَٱلأَبَدِ.

ترنيمة محبة

عنوان هذا المزمور «ترنيمة محبة» فالمحبة هي فكرته الرئيسية، لأنه يتحدث عن زواج الملك من ابنة الملك. وقد قال البعض إنه يتحدث عن زواج الملك سليمان من ابنة الفرعون، ولكن لن يقبل الروح القدس أن يُلهم كاتب المزمور ليتغنّى بارتباط سليمان بأميرة وثنية، كما لا يمكن أن يُطبَّق ما

جاء في هذا المزمور على أيّ ملك من ملوك بني إسرائيل. وقد اصطلحت الكنيسة في عهديها القديم والجديد على أن هذا المزمور نبوّة عن المسيح الملك وعن الكنيسة عروسه المفدية بدمه المتحدة به. وقد اقتبس كاتب العبرانيين آيتي ٦ و٧ من مزمورنا فقال: «وأما عن الابن: كرسيُّك يا ألله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب مُلكك. أحببتَ البر وأبغضتَ الإثم. من أجل ذلك مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك» (عب ١:٨ و٩). وواضح أن الرسول اقتبس هاتين الآيتين من الترجمة السبعينية، وليس من التوراة العبرانية، فجاء الاختلاف في الألفاظ لا في المعاني.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – تمجيد المسيح الملك الجميل (آيتا ١ و٢)

ثانياً – تمجيد المسيح الملك المنتصر (آيات ٣-٩)

ثالثاً – علاقة الكنيسة بملكها (آيات ١٠-١٧)

أولاً - تمجيد المسيح الملك الجميل

(آيتا ١ و٢)

١ - كيفية تمجيده: (آية ١).

(أ) تمجيد قلبي: «فاض قلبي بكلام صالح» (آية ١أ). لكثرة ما في قلب المرنم من مشاعر حب نحو المسيح لم يستطع أن يحتفظ بها لنفسه، ففاض بها قلبه. كما أن الموضوع الذي يتحدث فيه عزيز عليه. و«الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يُخرِج الصالحات» (مت ١٢:٣٥).

(ب) تمجيد خلاق: «متكلِّم أنا بإنشائي للملك. لساني قلم كاتب ماهر» (آية ١ب وج). أنشأ القلب الذي يحب الله قصيدة حب في الملك. كان مستعداً لتمجيد الملك بالكلام والكتابة، فالقلب العامر بالحب عمَّر اللسان بجميل الكلام. وقد أُطلق لقب «كاتب ماهر» على عزرا الكاتب (عز ٧:٦).

٢ - أسباب تمجيده: (آية ٢).

(أ) جمال شخصه: «أنت أبرع جمالاً من بني البشر» (آية ٢أ). يمجّد المرنم شخصية الملك الجميلة. والمسيح هو الأبرع جمالاً في ميلاده بالروح القدس من العذراء مريم. وهو الأبرع جمالاً في نموه، إذ كان يتقدَّم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس (لو ٢:٥٢). وهو الأبرع جمالاً في قداسته، فقال لأعدائه: «من منكم يبكتني على خطية؟» (يو ٨:٤٦) وقال عنه بيلاطس: «لم أجد في هذا الإنسان علَّة» (لو ٢٣:١٤). وهو الأبرع جمالاً في تأثيره على الخطاة ليتوِّبهم، دون أن يؤثروا فيه فيرفضهم. حتى وهو على صليبه كان الأبرع جمالاً في حبه وهو يقول: «يا أبتاه، اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لو ٢٣:٣٤). وهو الأبرع جمالاً في قيامته وصعوده، وانتظار عودته، والملاكان يقولان لتلاميذه وهم يراقبون صعوده: «يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء، سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء» (أع ١:١١).

(ب) **جمال تعاليمه**: «انسكبت النعمة على شفتيك» (آية ٢ب). يمجد المرنم تعاليم المسيح الجميلة غير المسبوقة «لأن الناموس بموسى أُعطي، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا» (يو ١:١٧). لقد بُهت سامعوه من تعاليمه ذات السلطان. لم يرفض شخصاً وجَّه إليه سؤالاً، ولم يُمهل أحداً سأله حتى يجد الجواب، ولم يغيّر إجابةً أجاب بها. وقدّم إجابات واضحة وقاطعة وأكيدة على كل أسئلة الحياة الدينية الرئيسية مثل كيفية الحصول على المغفرة واستجابة الصلاة. لم يكن يقول أبداً: «لعل» بل «الحق الحق أقول لكم». ولم يقدم المسيح شريعة وقوانين، لأن شريعة موسى كانت قائمة، لكنه لمس القلب والدواخل، فالذي لا يبغض لا يقتل، والذي لا يشتهي لا يزني. ولذلك «كان الجميع يشهدون له، ويتعجَّبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه» (لو ٤:٢٢).

(ج) **رضى الله عليه**: «لذلك باركك الله إلى الأبد» (آية ٢ج). قال المسيح للآب: «لأفعل مشيئتك يا ألله» (عب ١٠:٧)، فقال له الآب: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت» (مت ٣:١٧).

ثانياً - تمجيد المسيح الملك المنتصر

(آيات ٣-٩)

من المؤسف أن يكون لهذا الملك الجميل أعداء، يضطر أن يقتحمهم بجلاله ويُسقطهم عند قدميه. إن رئيس هذا الدهر أعمى أذهان غير المؤمنين، لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح (٢كو ٤:٤). إن لسيدنا الجميل أعداء، يدعوه المرنم ليحاربهم. وهو لا بد يحارب ليدافع عن عروسه التي هي الكنيسة. وما أكثر أعداءه الذين يهزمهم بأن يجعلهم أحباءه، فيدمر عصيانهم بنعمته ليطيعوا نداء محبته. وما أكثر أعداءه داخل نفوس المؤمنين به «لأن اهتمام الجسد هو عداوةٌ لله، إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله، لأنه أيضاً لا يستطيع. فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يُرضُوا الله» (رو ٨:٧ و٨). ولكن قوة المسيح فيهم تجعلهم يهتفون: «يعظم انتصارنا بالذي أحبَّنا» (رو ٨:٣٧).

١ - سلاح الملك: (آيتا ٣ و٤).

(أ) **سيفه**: «تقلَّد سيفك على فخذك أيها الجبّار» (آية ٣أ). رآه الرائي و«من فمه يخرج سيفٌ ماضٍ لكي يضرب به الأمم.. وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب: ملك الملوك ورب الأرباب» (رؤ ١٩:١٥ و١٦)، وسيفه الخارج من فمه هو «سيف الروح الذي هو كلمة الله» (أف ٦:١٧) و«كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين» (عب ٤:١٢). وسيفه الكريم يوقظ الضمائر ويبكت على الخطايا.

(ب) **جلاله**: «تقلَّد.. جلالك وبهاءك، وبجلالك اقتحم. اركب» (آية ٣ب و٤أ). جلاله أزلي، كان له قبل كون العالم (يو ١٧:٥). وجلاله يلمس الناس هنا والآن، بمعجزاته اليومية المتكررة، كما يلمسهم في السماويات بشفاعته أو دينونته. لقد جاءنا مولوداً في مذود، آخذاً صورة عبد، فسبى القلوب بجلال محبته. وسيأتي مرة ثانية في جلال قدرته مع السحاب، وستنظره كل عين والذين طعنوه (رؤ ١:٧).

(ج) **صفاته**: «من أجل الحق والدّعة والبر، فتُريك يمينك مخاوف» (آية ٤ب). ينتصر المسيح بالحق الذي يقف ضد الكذب، فهو الطريق والحق والحياة (يو ١٤:٦). وينتصر بالدّعة التي تقف ضد الكبرياء الإنسانية، فهو الوديع المتواضع القلب. وينتصر بالبر الذي يقف ضد الخطية، فهو البار الذي ببره يبرِّر كثيرين. وبسبب هذه الصفات يُغشَى على أعدائه (لو ٢١:٢٦).

٢ – **نصرة الملك**: «نَبْلُك المسنونة في قلب أعداء الملك. شعوبٌ تحتك يسقطون» (آية ٥). لا بد أن ينتصر الملك بسيفه وجلاله وصفاته العظيمة، فيصيب نبله المسنون (وهو سهمه) قلب أعدائه فيسقطون. «يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويُميت المنافق بنفخة شفتيه، ويكون البرُّ منطقة متنيه، والأمانة منطقة حقويه» (إش ١١:٤ و٥).

٣ – **ملكوت الملك**: (آيات ٦-٩).

للمسيح الملك أعداء، لا بد أن يهزمهم، ولا بد أن يملك. وتصف هذه الآيات جلال مُلكه.

(أ) **مُلكه دائم**: «كرسيُّك يا الله إلى دهر الدهور» (آية ٦أ). إنه دائم الوجود، ودائم الاستقرار «لنمو رياسته، وللسلام لا نهاية.. من الآن إلى الأبد» (إش ٩:٧). هذا بخلاف عروش الأرض التي تزول دوماً، فهي لو دامت لغيرنا لما انتهت إلينا.

(ب) **مُلكه مستقيم**: «قضيب استقامةٍ قضيب ملكك» (آية ٦ب). وقضيب الاستقامة هو صولجان العدالة والاستقامة، فالله نور، وليس فيه ظلمة البتَّة (1يو ١:٥). والله غير مجرَّبٍ بالشرور، وهو لا يجرِّب أحداً (بالشرور) (يع ١:١٣).

(ج) **مُلكه مفرِّح**: «أحببتَ البر وأبغضتَ الإثم، من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك» (آية ٧). وبسبب ملكوته المستقيم، وحبّه للبر وبُغضه للإثم، مسحه الله بمسحة الفرح والرضى. وليس المقصود بالمسح بالدهن هنا تخصيص الممسوح لوظيفة الملك، بل المقصود به الابتهاج والفرح، فهو «دهن فرح عوضاً عن النوح» (إش ٦١:٣)، وكانوا يدهنون الضيف العزيز إعلاناً للترحيب (مز ٢٣:٥) ويستخدمون الدهن في المناسبات السعيدة علامة على الابتهاج، كما قال المرنم: «تدهَّنتُ بزيت طري» (مز ٩٢:١٠) لأنه في ابتهاج واطمئنان. ويبدو للعين المستعجلة أن الآيتين ٦ و٧ متناقضتان، فالآية ٦ تقول: «كرسيُّك يا الله» والآية ٧ تقول: «مسحك الله إلهك». وشرح هذا التناقض الظاهري أن الله الآب يخاطب الله الابن، «قال الرب لربي: اجلِس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك» (مز ١١٠:١). «كرسيك يا الله إلى دهر الدهور» ترينا المسيح قبل تجسُّده، وبعد صعوده إلى مجده. أما القول «مسحك الله إلهك» فترينا المسيح أثناء تواضعه وتنازله عندما أخلى نفسه آخذاً صورة عبد، صائراً في شبه الناس (في ٢:٧).

عجيب هذا المسيح وليس له نظير، فهو ابن الله الوحيد. قال لتلاميذه: «إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم» (يو ٢٠:١٧). ولم يقُل: «أصعد إلى أبينا وإلى إلهنا» لأن صلته بالآب تختلف عن صلة التلاميذ بالآب، فهو ابن الله الوحيد، صاحب الألوهية الأزلية والبنوة الأصيلة غير المكتسبة. أما بنويتنا نحن البشر لله فهي من فضله وإنعامه علينا، وهي موهوبة لنا في المسيح.

(د) **مُلكه غني**: «كل ثيابك مرٌّ وعودٌ وسليخة. من قصور العاج سرَّتْكَ الأوتار. بنات ملوكٍ بين حظيّاتك. جُعِلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير» (آيتا ٨ و٩). نُثرت العطور المستوردَة غالية الثمن على ثياب الملك، فالمرُّ من شبه الجزيرة العربية، والعود يؤخذ من شجر ينمو في الهند وملايو، والسليخة لحاء شجرٍ ذي رائحة طيبة كان ينمو في الهند. أما قصر الملك فمطعَّمٌ بالعاج، تصدح الموسيقى في أرجائه تعزفها أفضل الفرق بآلاتها الوترية. يخدمه بنات ملوك الأمم. وقد خدم أبناء هذا العالم الكنيسة وسيدها عبر العصور، فرسم الفنُّ صُوره، ونظم الشعراء القصائد التي تُرتَّل في تمجيده، ولحَّن أعظم الموسيقيين السيمفونيات والأوبرات التي تمجده.. وتحمل وسائل الإعلام المسموعة والمرئية رسالته، ويقدم العلم والتكنولوجيا الخدمة لملكوته السماوي. وتجلس الكنيسة عروسُه عن يمينه تتحلى بذهب أوفير، أنقى أنواع الذهب وأندره وجوداً. وهل يوجد أروع من زينة ثمر الروح القدس، الذي هو محبة فرح سلام، طول أناة لطف صلاح، إيمان وداعة تعفف. فهل تستحق الكنيسة مجد كل هذا الثمر؟ كلا! ولكنها «جُعِلت». فمن الفاعل؟ إنه الله الذي جعل الكنيسة عن يمين سيدها وعريسها المسيح، غنية متمتعة ببركته العظيمة. ولكننا للأسف كثيراً ما نراها وقد نسيت محبتها الأولى، ووضعت سراج الإنجيل تحت سرير كسلها أو تحت مكيال انشغالها بالماديات (مت ٥:١٥). لكن الملك المحب يوقظها ويطهرها، ليُعيد إليها بهاء مجدها.

ثالثاً - علاقة الكنيسة بملكها

(آيات ١٠-١٧)

يخاطب المرنم عروس الملك، فينصحها أن تنسى بيتها القديم، وأن تسلِّم نفسها للملك، لأن كل المجد والبهاء ينتظرها عنده. ثم يقدم وصفاً للعروس في عظمة مكانتها الجديدة. ويختم مزموره بوصف ردّ فِعل الكنيسة.

١- **دعوة للتكريس**: «اسمعي يا بنتُ وانظري وأميلي أذنكِ وانسَيْ شعبك وبيت أبيك» (آية ١٠). يطالب المرنم العروس أن تنسى ماضيها وأن تستمع لتوجيهات زوجها الملك، فتنال السعادة والرضا. وعلى الكنيسة أن تطيع المسيح، وأن تُخضِع إرادتها لإرادته، وعلى كل عضو فيها أن يعطيه المكانة الأولى في حياته، لأنه قال: «من أحب أباً أو أماً أكثر مني فلا يستحقني.. ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني. من وجد حياته يضيعها ومن أضاع حياته من أجلي يجدها» (مت ١٠:٣٧-٣٩).

٢ - **دعوة للاطمئنان**: (آيات ١١-١٥).

(أ) بسبب رضى الملك عليها: «فيشتهي الملك حُسنك، لأنه هو سيدك فاسجدي له» (آية ١١). عندما تخضع الكنيسة للمسيح ينظر إليها بعين الرضا، ويُضفي عليها من كمالاته ما يزيدها جمالاً. إن الله «يُجمِّل الودعاء بالخلاص» (مز ١٤٩:٤). وعلى الكنيسة أن تتزيَّن بزينة «الروح الوديع الهادئ الذي هو قدام الله كثير الثمن» (١بط ٣:٤).

(ب) **بسبب خدمة الشعوب لها**: «بنت صور، أغنى الشعوب، تترضّى وجهك بهدية» (آية ١٢). مدينة صور ميناء فينيقي عامر ومركز تجاري وصناعي عظيم. ويقول المرنم إن بنات صور تترضّين وجه العروس بهدية لتبتسم لهنّ. وعندما تؤدي كنيسة المسيح مسؤوليتها نحو المجتمع، تُرضي الرب، فيجعل أعداءها يسالمونها (أم ١٦:٧). وهو يسخّر أعداءها ليخدموها. إن إلهنا الصالح يدعونا للطاعة التي تمنحنا الطمأنينة، ويضع كل إمكانياته تحت تصرفنا.

(ج) **بسبب موكب العُرس**: «كلها مجدٌ ابنة الملك في خدرها. منسوْجة بذهب ملابسها. بملابس مطرزة تُحضَر إلى الملك. في إثرها عذارى صاحباتها مقدَّمات إليك. يُحضَرون بفرح وابتهاج. يُدخَلْنَ إلى قصر الملك» (آيات ١٣-١٥). أُخذت العروس إلى جناح النساء في موكب رائع، انتظاراً للقاء الملك، وقد لبست أفخر الثياب، تحيطها وصيفات الشرف، وعزف الموسيقى البهيجة، وأصوات الغناء الشجية، استعداداً للمثول في الحضرة الملكية. ثم يصل الموكب البهيج إلى القصر الملكي. ويذكّرنا هذا الوصف بمثل العذارى الحكيمات. فلنكن مستعدين ليوم الزفاف المفرح حتى لا يُغلق الباب ونحن في الخارج. ولنكن شركاء المجد الإلهي فنكون ضمن الحفل الملكي الذي يريده لنا المسيح، فلا بد أن يتّحد به المؤمنون. «لنفرح ونتهلل ونعطه المجد، لأن عُرْس الحمل قد جاء، وامرأته (الكنيسة) هيَّأت نفسها، وأُعطيت أن تلبس بزاً نقياً بهياً، لأن البزَّ هو تبرُّرات القديسين» (رؤ ١٩:٧ و٨).

(د) **بسبب التعويض الإلهي**: «عوضاً عن آبائكَ يكون بنوكَ، تُقيمهم رؤساء في كل الأرض» (آية ١٦). تترك العروس بيت والديها، فيعوّضها الله ببنيها الناجحين. قال إخوة رفقة لها، وهي تترك بيت والديها لتذهب إلى بيت زوجها إسحاق: «أنت أختنا. صيري ألوف ربوات، وليرِثْ نسلُك باب مبغضيه» (تك ٢٤:٦٠). ويعد الرب الكنيسة بأبناء روحيين يكونون رؤساء في كل الأرض، لأن الودعاء يرثون الأرض (مت ٥:٥). وستخضع الأرض كلها للمسيح الملك، وسيأتي الرب ومعه قديسوه يدينون العالم (١كو ٦:٢).

قال بطرس للمسيح: «تركنا كل شيء وتبعناك، فماذا يكون لنا؟» فأجابه: «متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر. وكل من ترك بيوتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أمّاً أو امرأةً أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمي، يأخذ مئة ضعف، ويرث الحياة الأبدية» (متى ١٩:٢٧-٢٩).

٣ - دعوة للدخول في عهد: «أذكرُ اسمك في كل دور فدور. من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد» (آية ١٧). يمتلئ قلب العروس بحب العريس، فتذكر اسمه دائماً. وترى الشعوب محبة الكنيسة للمسيح وولاءها له، وترنيمها بتسبيحه، فتحمده معها إلى الدهر والأبد.

لقد أحبَّ المسيح الكنيسة وبذل نفسه لأجلها «لكي يقدسها مطهّراً إياها بغسل الماء بالكلمة، لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة، لا دنس فيها ولا غضنٌ أو شيء من مثل ذلك، بل تكون مقدسة وبلا عيب» (أف ٥:٢٦ و٢٧). وستظل الكنيسة تتغنى بحب المسيح لها، ورفعه لشأنها، فيرى المسيح منها نسلاً تطول أيامه ومسرّة الرب بيده تنجح (إش ٥٣:١٠).

المزمور السادس والأربعون

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ. لِبَنِي قُورَحَ. عَلَى ٱلْجَوَابِ. تَرْنِيمَةٌ
١ اَللهُ لَنَا مَلْجَأٌ وَقُوَّةٌ. عَوْناً فِي ٱلضِّيقَاتِ وُجِدَ شَدِيداً. ٢ لِذٰلِكَ لَا نَخْشَى وَلَوْ
تَزَحْزَحَتِ ٱلْأَرْضُ، وَلَوِ ٱنْقَلَبَتِ ٱلْجِبَالُ إِلَى قَلْبِ ٱلْبِحَارِ. ٣ تَعِجُّ وَتَجِيشُ مِيَاهُهَا. تَتَزَعْزَعُ
ٱلْجِبَالُ بِطُمُوِّهَا. سِلَاهْ.
٤ نَهْرٌ سَوَاقِيهِ تُفَرِّحُ مَدِينَةَ ٱللهِ، مَقْدِسَ مَسَاكِنِ ٱلْعَلِيِّ. ٥ ٱللهُ فِي وَسَطِهَا فَلَنْ
تَتَزَعْزَعَ. يُعِينُهَا ٱللهُ عِنْدَ إِقْبَالِ ٱلصُّبْحِ. ٦ عَجَّتِ ٱلْأُمَمُ. تَزَعْزَعَتِ ٱلْمَمَالِكُ. أَعْطَى
صَوْتَهُ ذَابَتِ ٱلْأَرْضُ. ٧ رَبُّ ٱلْجُنُودِ مَعَنَا. مَلْجَأُنَا إِلٰهُ يَعْقُوبَ. سِلَاهْ.
٨ هَلُمُّوا ٱنْظُرُوا أَعْمَالَ ٱللهِ، كَيْفَ جَعَلَ خِرَباً فِي ٱلْأَرْضِ. ٩ مُسَكِّنُ ٱلْحُرُوبِ إِلَى
أَقْصَى ٱلْأَرْضِ. يَكْسِرُ ٱلْقَوْسَ وَيَقْطَعُ ٱلرُّمْحَ. ٱلْمَرْكَبَاتِ يُحْرِقُهَا بِٱلنَّارِ. ١٠ كُفُّوا
وَٱعْلَمُوا أَنِّي أَنَا ٱللهُ. أَتَعَالَى بَيْنَ ٱلْأُمَمِ. أَتَعَالَى فِي ٱلْأَرْضِ. ١١ رَبُّ ٱلْجُنُودِ مَعَنَا.
مَلْجَأُنَا إِلٰهُ يَعْقُوبَ. سِلَاهْ.

الله ملجأ وقوة

المزامير الثلاثة ٤٦–٤٨ ثلاثية تسبيح للرب على نجاة أورشليم من أعدائها، فالمزمور ٤٦ يعلن حضور الله وسط مدينته ليعطي الاطمئنان والسلام، ويعلن مزمور ٤٧ مُلك الله على كل الأرض، ويتضح ذلك من هزيمة أعدائه. ويعلن مزمور ٤٨ سلامة أورشليم لأن الله حاضرٌ وسط شعبه.

أما مناسبة كتابة هذه المزامير الثلاثة فهي نجاة أورشليم زمن الملك حزقيا (٧٠١ ق.م) من هجوم سنحاريب ملك أشور (٢مل ١٨ و١٩ وإش ٣٦ و٣٧) الذي كان حزقيا ملك يهوذا مستعبَداً له، ثم رفض أن يدفع له الجزية (غالباً بتحريض من ملك بابل). فهاجم سنحاريب حزقيا وهزمه، فاضطُرَّ أن يدفع ٣٠٠ وزنة من الفضة و٣٠ وزنة من الذهب كغرامة، حتى أنه قشّر الذهب الذي كان يغشي أبواب الهيكل وأعطاه لسنحاريب. فاتجه سنحاريب جنوباً نحو مصر ليحاربها. وفجأة لسبب لا نعرفه، قرر أنه لا يجب أن يترك أورشليم في يد حزقيا الذي لا يطمئن إليه. وكان حزقيا قد أوصل المياه لأورشليم في نفقٍ تحت الأرض من نبع جيحون (٢مل ٢٠:٢٠) فأرسل سنحاريب فرقة من جيشه

لتحاصر أورشليم بقيادة «ربشاقى» وقائدَيْن آخَرين معه، فنادى على الملك، فخرج له ثلاثة ممثلين للملك، فسخر من الملك حزقيا، وقال باللغة العبرانية إن اعتماد حزقيا على مصر كالاتكال على عصا مسنونة تخرق كف من يتوكأ عليها، وإن الثقة بيهوه لا نفع فيها، لأن يهوه لن يخلص من يعبدونه، كما عجزت آلهة الشعوب المحيطة بهم ولم تقدر أن تساعد شعوبها، فدمرَّ سنحاريب مدنها وحطم آلهتها، ولن يكون إله يهوذا أفضل من تلك الآلهة!

لقد أراد «ربشاقى» أن يثير شعب أورشليم ضد حزقيا، ولكنهم لم يستجيبوا له، فأرسل له رسائل سخرية منه ومن إلهه، فأخذ حزقيا الرسائل ودخل بها بيت الرب وصلى: «يا رب الجنود.. خلِّصنا من يده، فتعلم ممالك الأرض كلها أنك أنت الرب وحدك» (إش ٣٧:١٦-٢٠). فأرسل الله إليه النبي إشعياء ليطمئنه بأن النصر آتٍ لا ريب فيه، وأنه سيدافع عنهم، وأن سنحاريب المتكبر سينهزم. وقد كان، فقد ضرب ملاك الرب من جيش أشور ١٨٥ ألف جندي. ولا نعرف من التوراة كيف مات كل هؤلاء في ليلة واحدة، ولكن المؤرخ اليوناني هيرودوت قال إن جيشاً جراراً من الفئران زحف ليلاً وقرض كل سهام وأقواس الأشوريين، فلم يجدوا سلاحاً يحاربون به، أو يدافعون به عن أنفسهم. وعندما رأى سنحاريب ما حلّ بجيشه، جمع بقية جنوده وعاد إلى بلاده. وبينما هو ساجدٌ في هيكل صنمه «نسروخ» قتله اثنان من أولاده وهربا، وملك ابنه الثالث أسرحدون بدلاً منه.

وبمناسبة هذه النجاة كُتبت ثلاثية التسبيح هذه (مز ٤٦-٤٨). ويتكون مزمور ٤٦ من ثلاثة أعداد من الترنيم تتحدث عن قوة الله، يقول العدد الأول منها إن قوة الله تمنح شعبه الاطمئنان فيقولون «لا نخشى» (آية ٢). ويقول العدد الثاني إن قوة الله تفرح شعبه «نهر سواقيه تفرّح مدينة الله» (آية ٤). ويقول العدد الثالث إن قوة الله تُسكت أعداءه، وتأمرهم «كفّوا واعلموا أني أنا الله» (آية ١٠). وينتهي العددان الثاني والثالث بالقول: «رب الجنود معنا. ملجأنا إله يعقوب» (آيتا ٧ و ١١)

في هذا المزمور نجد:

أولاً - قوة الله تطمئن شعبه (آيات ١-٣)

ثانياً - قوة الله تفرّح شعبه (آيات ٤-٧)

ثالثاً - قوة الله تُسكت أعداءه (آيات ٨-١١)

أولاً - قوة الله تطمئن شعبه

(آيات ١-٣)

«الله لنا ملجأ وقوة. عوناً في الضيقات وُجد شديداً. لذلك لا نخشى ولو تزحزحت الأرض، ولو انقلبت الجبال إلى قلب البحار. تعج وتجيش مياهها. تتزعزع الجبال بطموها» (آيات ١-٣). وتوضح هذه الآيات أن حماية الله لشعبه تعطيهم الاطمئنان والسلام، مهما تزعزعت الثوابت! لقد هاجم الجيش الأشوري الهادر المدينة الوادعة، فامتلأت قلوب أهلها بالرعب، لأن الأرض والجبال اهتزت وتزلزلت

من وقع حوافر الخيل وصيحات الجنود. لقد قلب العدو الموازين، وكأنه يزحزح الأرض ويقلب الجبال إلى قلب البحار، فتصيح ويعلو صوتها، فتُرعب الشعب الآمن.

ولكن صوت الإيمان ارتفع يعلن أن الله ملجأ وقوة، وأنه عونٌ وُجد دائماً شديداً في الضيقات، فعمَّر السلام القلوب الخائفة! فليكن الرب نصيبك، عندما تكون أنت نصيب الرب، فيكون الرب ملجأك أنت، فتقول عن اختبار: «هذا إلهنا، انتظرناه فخلَّصنا. هذا هو الرب انتظرناه. نبتهج ونفرح بخلاصه» (إش ٢٥:٩). في وسط المخاوف يدعو المؤمنون: «يا رب، تراءف علينا. إياك انتظرنا.. خلاصنا أيضاً في وقت الشدة» (إش ٣٣:٢) فيجيب الرب: «الجبال تزول والآكام تتزعزع، أما إحساني فلا يزول عنك، وعهد سلامي لا يتزعزع، قال راحمك الرب» (إش ٥٤:١٠) وهكذا يتحقق القول الكريم: «ضجيج شعوب كثيرة تضج كضجيج البحر، وهدير قبائل تهدر كهدير مياه غزيرة.. ولكنه ينتهرها فتهرب بعيداً، وتُطرَد كعصافة الجبال أمام الريح، وكالجُل أمام الزوبعة. في وقت المساء إذا رعبٌ. قبل الصبح ليسوا هم» (إش ١٧:١٢-١٤). «عندما يأتي العدو كنهر، فنفخة الرب تدفعه» (إش ٥٩:١٩). «كل آلة صُوِّرت ضدك لا تنجح، وكل لسان يقوم عليك في القضاء تحكمين عليه. هذا هو ميراث عبيد الرب وبرهم من عندي، يقول الرب» (إش ٥٤:١٧).

قد يكون في كل ما حولنا تهديدٌ لنا، ولكننا يجب أن نطمئن ولا نخشى لأن في وجود الرب معنا حماية لنا. «إن كان الله معنا، فمن علينا؟» (رو ٨:٣١). قال المسيح: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت ١٨:٢٠). مساكينٌ من يكنزون في الأرض، فإنها تتزعزع، وسيجيء اليوم الذي فيه تحترق الأرض والمصنوعات التي فيها (٢بط ٣:١٠). وسعداء هم من يكنزون في السماء. كم نحتاج لعائلات تجتمع باسم المسيح للصلاة معاً، فتتَّحد معاً في مواجهة الظروف القاسية، مهما كانت قسوتها. وكم نحتاج لكنائس متحدة في الصلاة، فتتمكن من مواجهة الاضطهادات مهما كانت عنيفة.

الله لنا ملجأ وقوة، يعيننا في الضيق عندما يهاجمنا العدو، فهو فلك نجاتنا، ومدينة ملجإنا، يرد الظلم عنا، ويهبنا القوة الداخلية لنواجه مصاعب الحياة. ونحن نقول: «في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا» (رو ٨:٣٧). وهو لنا ملجأ وقوة عندما تلقي خطايانا علينا ثقل الإحساس بالذنب، فنُهرع إليه معترفين ليغفر لنا ويطهرنا من كل خطية. وهو لنا ملجأ وقوة عندما يصيبنا الضعف، فنسمعه يقول: «تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تُكمَل» (٢كو ١٢:٩).

ثانياً - قوة الله تفرِّح شعبه

(آيات ٤-٧)

في هذه الآيات يصف المرنم الله بأنه العلي، فهو صاحب السلطان الأعلى في الكون الذي خلقه. ولا سلطان لملك أرضي إلا بإذنه، فلا شك أن «قلب الملك في يد الرب كجداول مياه. حيثما شاء يُميله» (أم ٢١:١). ومن الغريب أن هذا السلطان الإلهي لا يوقف الأعداء عن مهاجمة جماعة الله،

ففي عالمنا مملكتان: مملكة إبليس ومملكة الله. وهناك حرب مستمرة بين جيوش الشر وجيش البر. وتعج مملكة إبليس بصيحاتها الفارغة ضد مملكة الله، ولكن النصرة النهائية هي للخير. إن الله يسمح بقيام حزب معارضة في دنيانا، ولكن المسيح هو الذي خرج غالباً ولكي يغلب، كما قال لتابعيه: «في العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم» (يو ١٦:٣٣).

ويعطي الرب الغلبة لشعبه بالأمور الآتية:

١ – الله يروي شعبه: «نهر سواقيه تفرح مدينة الله، مقدس مساكن العلي» (آية ٤). صحيحٌ أن مياه البحار المالحة تحيط بالمؤمن وهي تعج وتجيش، ولكن هناك نهرٌ من ماء حلو يفيض ليروي النفس العطشانة والأرض المقفرة، فتصير صحراء المؤمن بستاناً، لأن ربه يورده إلى مياه الراحة الخالية من الأمواج المكدرة، فيرتوي في سلام وبسلام (مز ٢٣:٢). ويصف النبي إشعياء مياه شيلوه أنها «جاريةٌ بسكوت» (إش ٨:٦) أي تجري بهدوء، فلا تعكر أمواجُها صفْوَ الشاربين. وشيلوه هي المدينة التي بقي فيها التابوت من أيام يشوع إلى أيام النبي صموئيل، وكانت مركز عبادة بني إسرائيل. فالرب يفيض على المؤمنين بماء نهرٍ تفرّح ينابيعه نفوسهم ومدينتهم.

أجرى الملك حزقيا الماء في نفق تحت الأرض، فشرب أهل أورشليم أثناء الحصار (٢أخ ٣٢:٣٠) فكان الماء العذب فرحاً لهم. وبالمعنى الروحي يروي الله شعبه بالماء الحي، الذي هو الروح القدس (يو ٧:٣٩). قال المسيح: «مَن يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماءٍ ينبع إلى حياة أبدية» (يو ٤:١٤). ويقول يوحنا الرائي إنه رأى سماءً جديدة وأرضاً جديدة، لا يوجد فيها بحر عجاج ولا ماء ملح، ولكن رأى فيها «نهراً صافياً من ماء حياةٍ لامعاً كبلّورٍ، خارجاً من عرش الله والحمل» (رؤ ٢٢:١).

٢ – الله يسكن وسط شعبه: «الله في وسطها فلن تتزعزع يعينها الله عند إقبال الصبح» (آية ٥). وحضور الرب العلي وسط شعبه يملأ نفوسهم بالفرح، مهما كانت قسوة الظروف المحيطة بهم، لأنهم يستمدون فرحهم من وجوده معهم، ومن النعمة التي يمنحها لهم، فيقولون: «أليس الرب في وسطنا؟ لا يأتي علينا شر» (مي ٣:١١).

كان المسيح نائماً في سفينة يعبر بها مع تلاميذه بحيرة طبرية. وهاجت الأمواج فجأة وأخذت تضرب السفينة حتى كادت تمتلئ بالماء، فأيقظ التلاميذ المسيح صارخين: «أما يهمُّك أننا نهلك؟» فقام وانتهر الريح والبحر، فصار هدوءٌ عظيم. ثم قال المسيح للتلاميذ: «ما بالكم خائفين هكذا؟ كيف لا إيمان لكم؟» (مر ٤:٣٥-٤١). وهل يمكن أن تغرق سفينةٌ فيها المسيح؟ «الله في وسطها فلن تتزعزع. يُعينها الله عند إقبال الصبح» وقت أشدّ ساعات الليل ظلاماً، فتختبر ما جرى وقت الخروج «فدفع الرب المصريين في وسط البحر» (خر ١٤:٢٧). ويتكرر معها ما جرى للجيش الأشوري، فإن بني إسرائيل «لما بكّروا صباحاً إذا هم (الأشوريون) جثثٌ ميتة» (إش ٣٧:٣٦). عندما تضيق الحياة في وجوهنا، ونفقد كل أملٍ في النجاة يعيننا الله عند إقبال الصبح. «إذا اجتزتَ في المياه فأنا معك، وفي الأنهار فلا تغمرك. إذا مشيتَ في النار فلا تُلذع، واللهيب لا يحرقك» (إش ٤٣:٢).

٣ - **صوت الله يشجع شعبه:** «عجَّت الأمم. تزعزعت الممالك. أعطى صوته. ذابت الأرض» (آية ٦). ما يقوله الله يكون، وما يأمر به يصير! «ويُسمِع الرب جلال صوته، ويُري نزول ذراعه بهَيَجان غضبٍ ولهيب نارٍ آكلة، نوءٍ وسيلٍ وحجارة بَرَدٍ، لأنه من صوت الرب يرتاع أشور» (إش ٣٠:٣٠ و٣١). «قال العدو: أتبع. أدرك، أُقسم غنيمة. تمتلئ منهم نفسي. أُجرِّد سيفي. تُفنيهم يدي! نفختَ بريحك فغطاهم البحر. غاصوا كالرصاص في مياهٍ غامرة» (خر ١٥:٩ و١٠). «والعالم يمضي وشهوته. وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد» (١يو ٢:١٧).

ويُختم هذا العدد الثاني من ترنيمة هذا المزمور بقرار يتكرر في نهاية المزمور، ويقول: «رب الجنود معنا. ملجأنا إله يعقوب» (آيتا ٧ و١١). هو الذي قال عنه داود لجليات الجبار: «أنت تأتي إليَّ بسيف وبرمح وبترس، وأنا آتي إليك باسم رب الجنود» (١صم ١٧:٤٥). وجنوده هم كل الخلائق (تك ٢:١). وهم شعبه الذين اختارهم (خر ٧:٤). وهم الشمس والقمر والنجوم (تث ٤:١٩ و١٧:٣). وهم الملائكة (لو ٢:١٣). إنه رب المجد، صاحب كل سلطان في السماء والأرض. وجنود الشر هم جنوده بمعنى آخر، فهُم يحققون مقاصده الإلهية بالرغم منهم.

«رب الجنود معنا» فهو «عمانوئيل» الذي تفسيره «الله معنا» (مت ١:٢٣) وهو «إله يعقوب» بمعنى أنه إله العهد، الذي أنعم على يعقوب أبي الأسباط، فأدخله في عهدٍ معه عندما كان هارباً من وجه أخيه عيسو ومسافراً إلى بيت خاله لابان، ووعده أن يكون معه ويحفظه ويعيده إلى أرضه (تك ٢٨:١٠-٢١). ومع أن يعقوب أخطأ وغشَّ مرات، إلا أن الرب لم يرفضه، بل جدَّد له الوعد القديم (تك ٣٢:٢٢-٢٩) لأن العهد لم يكن متوقِّفاً على صلاح يعقوب، بل على أمانة الرب لكلمته.

هذا هو إله يعقوب، ملجأنا، الذي تنازل وأدخلنا معه في عهدٍ لم يكن يخطر لنا على بال.

ثالثاً - قوة الله تُسكِت أعداءه

(آيات ٨-١١)

١- **الله يُخضع أعداءه:** «هلم انظروا أعمال الله، كيف جعل خِرباً في الأرض، مُسكِّن الحروب إلى أقصى الأرض. يكسر القوس ويقطع الرمح. المركبات يحرقها بالنار» (آيتا ٨ و٩). هذه دعوة لأن نتعلم درساً من أعمال الله الذي يُخضع أعداءه. إنها تكرر الأمر الإلهي: «اسمعوا أيها البعيدون ما صنعتُ. واعرفوا أيها القريبون بطشي» (إش ٣٣:١٣). هزم الرب جيش سنحاريب بطريقة غير متوقَّعة. ويقول المؤرخ المقدس: «فخرج ملاك الرب وضرب من جيش أشور مئة وخمسة وثمانين ألفاً. فلما بكروا صباحاً إذا هم جميعاً جثث ميتة، فانصرف سنحاريب ملك أشور وذهب راجعاً» (إش ٣٧:٣٦ و٣٧). فلنتأمل كيف يُخضع الرب أعداءه! وهذا التأمل الحكيم دعوةٌ للنفس البعيدة عن الرب لترجع إليه بالتوبة، ولتسلم له الحياة، ولتخضع له بكامل رغبتها. «قولوا لله: ما أهيب أعمالك! من عظم قوتك تتملَّق لك أعداؤك» (مز ٦٦:٣).

وهذا الذي جرى مع جيش أشور عربون لما سيحدث في المستقبل، فيقول الوحي: «ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه كل الأمم. وتسير شعوب كثيرة ويقولون: هلم نصعد إلى جبل الرب، إلى بيت إله يعقوب، فيعلّمنا من طرقه ونسلك في سبُله. لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب. فيقضي بين الأمم، وينصف لشعوب كثيرين، فيطبعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل. لا ترفع أمةٌ على أمةٍ سيفاً، ولا يتعلمون الحرب فيما بعد» (إش ٢:٢-٤ وميخا ٤:١-٥).

٢ - **الله يوقف مقاومة أعدائه:** «كفّوا واعلموا أني أنا الله. أتعالى بين الأمم، أتعالى في الأرض» (آية ١٠). قد ينهزم العدو، ولكن مرارة الهزيمة تدفعه للمزيد من الكراهية. فيطلب الله من أعدائه المهزومين أن يتوقفوا عن عدائهم لشعبه، ويطالبهم أن يعترفوا به سيداً صاحب سلطان. ويناديهم المرنم: «فالآن يا أيها الملوك تعقّلوا. تأدبوا يا قضاة الأرض. اعبدوا الرب بخوف، واهتفوا برعدة» (مز ٢:١٠ و١١). ولا بد أن تخضع كل الشعوب للرب، وتجثو له كل ركبة «ويكون الرب ملكاً على كل الأرض. في ذلك اليوم يكون الرب وحده واسمه وحده» (زك ١٤:٩).

وينتهي العدد الثالث من ترنيمة هذا المزمور بالقرار الذي انتهى به العدد الثاني، والذي يقول: «رب الجنود معنا. ملجأنا إله يعقوب» (آية ١١). فليهتف المؤمنون جميعاً بعد أن جاءهم الانتصار السماوي. صحيحٌ أن جنود العدو قد يعودون لحصارهم، لكن رب الجنود معهم. أمامهم وخلفهم، فوقهم وحولهم. إنه ملجأهم، وكما فعل مع يعقوب سيفعل معهم، فيقولون: «نترنم بخلاصك، وباسم إلهنا نرفع رايتنا» (مز ٢٠:٥).

المزمور السابع والأربعون

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ. لِبَنِي قُورَحَ. مَزْمُورٌ
١ يَا جَمِيعَ ٱلْأُمَمِ صَفِّقُوا بِٱلْأَيَادِي. ٱهْتِفُوا لِلهِ بِصَوْتِ ٱلِٱبْتِهَاجِ. ٢ لِأَنَّ ٱلرَّبَّ عَلِيٌّ
مَخُوفٌ، مَلِكٌ كَبِيرٌ عَلَى كُلِّ ٱلْأَرْضِ. ٣ يُخْضِعُ ٱلشُّعُوبَ تَحْتَنَا وَٱلْأُمَمَ تَحْتَ أَقْدَامِنَا.
٤ يَخْتَارُ لَنَا نَصِيبَنَا، فَخْرَ يَعْقُوبَ ٱلَّذِي أَحَبَّهُ. سِلَاهْ.
٥ صَعِدَ ٱللهُ بِهُتَافٍ، ٱلرَّبُّ بِصَوْتِ ٱلصُّورِ. ٦ رَنِّمُوا لِلهِ رَنِّمُوا. رَنِّمُوا لِمَلِكِنَا
رَنِّمُوا. ٧ لِأَنَّ ٱللهَ مَلِكُ ٱلْأَرْضِ كُلِّهَا رَنِّمُوا قَصِيدَةً. ٨ مَلَكَ ٱللهُ عَلَى ٱلْأُمَمِ. ٱللهُ
جَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ قُدْسِهِ. ٩ شُرَفَاءُ ٱلشُّعُوبِ ٱجْتَمَعُوا. شَعْبُ إِلَهِ إِبْرَاهِيمَ. لِأَنَّ لِلهِ مَجَانَّ
ٱلْأَرْضِ. هُوَ مُتَعَالٍ جِدّاً.

صعد الله بهتاف

المزامير ٤٦-٤٨ ثلاثية تسبيح للرب الذي نجى أورشليم من سنحاريب ملك أشور (راجع مقدمة مز ٤٦). قال الله: «كفّوا واعلموا إني أنا الله.. أتعالى في الأرض» (مز ١٠:٤٦). وقال النبي إشعياء: «ينزل ربُّ الجنود للمحاربة عن جبل صهيون» (إش ٤:٣١). ولقد نزل وأنقذ شعبه، ثم صعد. وفي مزمورنا يؤكد ذلك بقوله: «صعد الله بهتاف» (آية ٥). وقد اعتبرت الكنيسة هذه الآية نبوّة عن صعود المسيح الذي نزل أرضنا، وصُلب عنا، وقام بعد أن هزم العدو، وصعد إلى مجده الأبدي. فكان هذا المزمور يُقرأ أثناء الاحتفال بعيد صعود المسيح.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – تسبيح الرب الذي اختار بني إسرائيل (آيات ١-٤)

ثانياً – تسبيح الرب الذي أظهر قوته (آيات ٥-٧)

ثالثاً – تسبيح الرب الذي أخضع أعداءه (آيات ٨ و٩)

أولاً - تسبيح الرب الذي اختار بني إسرائيل
(آيات ١-٤)

١ - كيفية التسبيح:

(أ) **بالتصفيق:** «يا جميع الأمم صفّقوا بالأيادي» (آية ١أ). كانوا يحيّون الملك عند تنصيبه بالتصفيق، كما حدث مع يوآش بن أخزيا، فيقول المؤرخ المقدس: «وأخرج (يهوياداعُ رئيسُ الكهنة) ابنَ الملك، ووضع عليه التاج، وأعطاه الشهادة (سفر الشريعة). فملّكوه ومسحوه، وصفّقوا وقالوا: ليحيَ الملك» (٢مل ١١:١٢). وقال موسى: «تهللوا أيها الأمم، شعبُه» (تث ٣٢:٤٣). فالدعوة موجّهةٌ إلى جميع الأمم ليصفقوا بالأيادي معلنين أن «الرب هو الله» وهو الملك الجالس على عرشه.

(ب) **بالهتاف:** «اهتفوا لله بصوت الابتهاج» (آية ١ب). والهتاف هو الصوت الذي ينطلق من القلوب قبل أن ينطلق من الحناجر تحية للملك، كما هتفوا لشاول عندما قال صموئيل لجميع الشعب: «أرأيتُم الذي اختاره الرب، أنه ليس مثله في جميع الشعب؟» فهتف كل الشعب وقالوا: «ليحيَ الملك» (١صم ١٠:٢٤).

فلنهتف بصوت الابتهاج قائلين: ليحيَ الملك الحي المنتصر، الذي خرج غالباً ولكي يغلب، ولا يمكن أن ينهزم أبداً.

٢ - سبب التسبيح:

(أ) **لأنه ملك الأرض كلها:** «لأن الرب عليٌّ مخوف، ملك كبير على كل الأرض» (آية ٢). إنه أعلى من كل الأوثان، ومن كل إله ومعبود يتخذه البشر الخطاؤون. من مثله معتزٌ في القداسة، مخوفٌ بالتسابيح، صانع عجائب؟ (خر ١٥:١١). قال المسيح: «الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع، والذي من الأرض هو أرضي، ومن الأرض يتكلم. الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع» (يو ٣:٣١). والمسيح هو فوق الجميع لأنه جاء عالمنا بعد أن حُبل به بالروح القدس.. ولا يمكن أن نقارنه بأي شخص سواه، في القداسة وسموّ التعليم، وإجراء المعجزات، وفي أنه سيعود إلى أرضنا ديّاناً للأحياء والأموات. لقد وُصف سنحاريب بأنه «الملك العظيم» (إش ٣٦:٤). لكن أين عظمته الفانية من عظمة الرب ملك كل الأرض؟ لقد انهزم سنحاريب وهرب عائداً إلى بلاده، حيث انتهت حياته على يد ولديه!

(ب) **لأنه يُخضع الأعداء:** «يُخضع الشعوب تحتنا والأمم تحت أقدامنا» (آية ٣). يخضعهم بكلمته وبسلطانه خضوعاً كاملاً. «تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب، لمجد الله الآب» (في ٢:١٠ و١١). وواضح أن أعتى عدو للمؤمن هو «الشرير» ولكن «أسلحة محاربتنا ليست جسدية، بل قادرة بالله على هدم حصون، هادمين ظنوناً وكل علوٍّ يرتفع ضد معرفة الله، ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح» (٢كو ١٠:٤ و٥).

(ج) **لأنه يختار نصيبنا:** «يختار لنا نصيبنا، فخر يعقوب الذي أحبّه» (آية ٤). اختار الرب يعقوب لأنه أحبَّ يعقوب، لا لأن يعقوب يستحق. وأعطاه الوعد بالأرض، وحقق وعده لنسله، فقال لهم موسى: «حين قسم العلي للأمم، حين فرّق بني آدم، نصب تخوماً لشعوب حسب عدد بني إسرائيل». لقد وزّع الله أمم العالم وهو يفكر في جماعة المؤمنين! وعندما عيَّن حدود مسكن الوثنيين جعل «قِسْم الرب هو شعبه، يعقوب حبل نصيبه. وجده في أرض قفر وفي خلاء مستوحش خَرِب. أحاط به ولاحظه وصانه كحدقة عينه» (تثنية ٣٢:٨-١٠).

ويختار الرب لنا دوماً ما نفتخر به. قد يتذمر البعض عندما يوزّع الله الأنصبة عليهم. لكن بعد وقتٍ، عندما يراجعون حياتهم الماضية يكتشفون روعة اختيار الله لهم، فيطلبون غفرانه على تذمُّرهم، ويشكرونه على ما اختار. فلنشكره ولنسبحه لأنه يختار لنا الأفضل والأنسب دائماً.

ثانياً - تسبيح الرب الذي أظهر قوته

(آيات ٥-٧)

١- **أظهر قوته بالهتاف:** «صعد الله بهتاف، الرب بصوت الصُّور. رنّموا لله رنموا. رنموا لملكنا رنموا» (آيتا ٥ و٦). نزل الله لينقذ شعبه، وصعد بهتاف الانتصار. وهذه تعبيرات إنسانية (كقولك: يد الله) ومعناها أن الله يهتم اهتماماً كبيراً بشعبه، حتى «ينزل» من سماواته إلى أرضهم لينقذهم، ويربت على أكتافهم ليعزيهم ويشجعهم، كما قال لموسى: «أنا إله أبيك، إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب». فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله. فقال الرب: «إني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعتُ صراخهم من أجل مسخريهم. إني علمت أوجاعهم، فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين، وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة، إلى أرضٍ تفيض لبناً وعسلاً» (خروج ٣:٦-٨). ولما أنجز العمل الذي جاء من أجله «نزل»، صعد بالهتاف وموسيقى الصور، تلك الآلات الموسيقية التي يعزف عليها شعبُه شكراً لجلاله. وقد كانوا يُصعِدون تابوت الرب (رمز حضوره وسط شعبه) «بالهتاف وبصوت البوق» (٢صم ٦:١٥).

وفي روح الإنجيل نسبّح المسيح الذي نزل إلينا نحن الخطاة الضالين، إلى أقسام الأرض السفلى، وأتمَّ خلاصنا، وقام من الأموات منتصراً، ثم صعد إلى مجده. و«إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا. وأما أنه صعد فما هو إلا إنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى» (مز ٦٨:١٨ وأف٤:٨-١٠).

إن كان بنو إسرائيل هتفوا: «رنّموا لله رنموا. رنموا لملكنا رنموا» لأنه أنقذهم من فرعون وسنحاريب، فإننا نهتف أكثر جداً، شكراً لله على محبته لنا، وهي محبةٌ «فائقة المعرفة» (أف ٣:١٩). فإلهُنا لا يتعالى علينا، لكنه يتنازل ليخلّصنا، فيملأ قلوبنا بالفرح والتهليل لأنه ينقذنا من عار خطيتنا، ومن سلطانها، ومن عقابها. ويسير معنا رحلة حياتنا راعياً صالحاً يهتم بحاضرنا، ويخطط لمستقبلنا، ويصاحبنا في كل خطواتنا.

٢ – أظهر قوته بالمُلك على الأرض كلها: «لأن الله ملك الأرض كلها، رنموا قصيدة» (آية ٧). الله هو المالك، لأنه الخالق، والمدبّر. فلنكتب قصيدة بليغة، نعبّر له فيها عن شكرنا وتقديرنا، ونعترف له بمديونيتنا، فهو أول من يستحق الشكر والثناء: «متكلّمٌ أنا بإنشائي للملك» (مز ٤٥: ١). «وأنتم بكل حكمة معلِّمون ومنذرون بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية، بنعمة، مترنمين في قلوبكم للرب» (كو ٣: ١٦).

ما أكثر من يختبرون عناية الله، ويرون سلطانه على الأرض، فهو يسمع صلاتهم وينجيهم من ضيقاتهم ويمنحهم النجاح والصحة والولد والمال. وحسناً يفعلون، فهو سامع الصلاة، الذي إليه يأتي كل بشر (مز ٦٥: ٢). ولكن قليلين يختبرون سلطانه في السماء بإنقاذهم من خطاياهم ونقلهم إلى الحرية التي في المسيح. وهذا أفضل ما يفعلون لحاضرهم ومستقبلهم، فهو القائل: «التفتوا إليَّ واخلُصوا يا جميع أقاصي الأرض، لأني أنا الله، وليس آخر» (إش ٤٥: ٢٢). وندعو القارئ الكريم أن يرنم قصيدة شكر لإله العناية، ثم يرنم قصيدة شكر لإله الخلاص، قائلاً: «باركي يا نفسي الرب.. الذي يغفر جميع ذنوبك.. الذي يفدي من الحفرة حياتك» (مز ١٠٣: ١-٥).

• ثالثاً - تسبيح الرب الذي أخضع أعداءه
(آيتا ٨ و٩)

١ – أخضع الشعوب: «ملك الله على الأمم. الله جلس على كرسي قدسه» (آية ٨). إنه الملك، الذي يعطي كل يوم برهاناً جديداً على أنه صاحب السلطان الكامل على الجميع. إنه على عرشه المقدس. «الرب في السماوات ثبَّت كرسيه، ومملكته على الكل تسود» (مز ١٠٣: ١٩). يسود الرب على الملائكة المقتدرين، فينفذون أوامره، ويسود على جميع جنوده الذين يخدمونه ويعملون مرضاته، ويسود على جميع أعماله في كل مواضع سلطانه (مز ١٠٣: ٢٠-٢٢). لهذا هتف الملاك عند البوق السابع : «صارت ممالك العالم لربنا ولمسيحه. فسيملك إلى أبد الآبدين. والأربعة والعشرون شيخاً الجالسون أمام الله على عروشهم خرّوا على وجوههم وسجدوا لله، قائلين: نشكرك أيها الرب الإله القادر على كل شيء، الكائن والذي كان والذي يأتي، لأنك أخذت قدرتك العظيمة وملكتَ. وغضبت الأمم فأتى غضبك وزمان الأموات ليُدانوا ولتعطَى الأجرة لعبيدك الأنبياء والقديسين والخائفين اسمك الصغار والكبار» (رؤ ١١: ١٥ و١٨).

أخضع الله الأمم، وملك عليهم، و«جلس». كما جلس المسيح في يمين العظمة في الأعالي (عب ١: ٣) بعد أن أكمل العمل الفدائي، وقام من بين الأموات، وصعد إلى السماء. لقد نزل إلى أرضنا وتمم عمل الخلاص ورجع إلى المجد الذي جاء منه، وقال: «العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملتُه» (يوحنا ١٧: ٤).

٢ – أخضع الشرفاء: «شرفاء الشعوب اجتمعوا، شعب إله إبراهيم» (آية ٩أ). تحقق هنا ما قاله المرنم في مطلع المزمور من أن جميع الأمم تصفّق بالأيادي، وتهتف لله بصوت الابتهاج. والقول

«شعب إله إبراهيم» يحمل معنيين: إن أمراء الشعوب الذين يمثلون ممالكهم جاءوا إليه وصاروا شعب إله إبراهيم، ولذلك يقول: «مبارك شعبي مصر، وعمل يديَّ أشور، وميراثي إسرائيل» (إش ٢٥:١٩). لقد أظهر سلطانه للجميع، فتعبَّد الجميع له. وقد يعني: إن شرفاء الشعوب اجتمعوا ليسجدوا لله مع

شعب إله إبراهيم، لأنهم أدركوا أنه هو الإله الحقيقي وحده.

٣ - الجميع في حمايته: «لأن لله مجان الأرض. هو متعالٍ جداً» (آية ٩ب). والمجان جمع «مجن» أي الترس الكبير، وهو قطعة خشب مغطاة بالجلد، يحمي بها الجندي نفسه من طلقات السهام. والمعنى أن الله يحمي الأرض كلها. ولأنه متعالٍ جداً فإنه يرى الجميع ويحمي الكل. وكانوا يُطلقون على الأمير أو الملك أنه «المجن» لأنه يحمي شعبه. فالله يحمينا لأنه الملك العظيم. حاصر سنحاريب أورشليم بجيشه الجرار، وسخر من إلهها وهددها، فكان الله المتعالي ترساً ومجناً حمى شعبه وبدَّد أعداءه. فلنرنم ترنيمة الخلاص: «يا جميع الأمم، صفقوا بالأيادي. اهتفوا لله بصوت الابتهاج» «لأن الرب مجننا، وقدوس إسرائيل ملكنا» (مز ١٨:٨٩).

المزمور الثامن والأربعون

تَسْبِيحَةٌ. مَزْمُورٌ لِبَنِي قُورَحَ
١ عَظِيمٌ هُوَ ٱلرَّبُّ وَحَمِيدٌ جِدّاً فِي مَدِينَةِ إِلٰهِنَا جَبَلِ قُدْسِهِ. ٢ جَمِيلُ ٱلِٱرْتِفَاعِ، فَرَحُ
كُلِّ ٱلْأَرْضِ جَبَلُ صِهْيَوْنَ. فَرَحُ أَقَاصِي ٱلشِّمَالِ مَدِينَةُ ٱلْمَلِكِ ٱلْعَظِيمِ. ٣ اَللّٰهُ فِي قُصُورِهَا
يُعْرَفُ مَلْجَأً.
٤ لِأَنَّهُ هُوَذَا ٱلْمُلُوكُ ٱجْتَمَعُوا. مَضَوْا جَمِيعاً. ٥ لَمَّا رَأَوْا بُهِتُوا، ٱرْتَاعُوا، فَرُّوا.
٦ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّعْدَةُ هُنَاكَ وَٱلْمَخَاضُ كَوَالِدَةٍ، ٧ بِرِيحٍ شَرْقِيَّةٍ تَكْسِرُ سُفُنَ تَرْشِيشَ.
٨ كَمَا سَمِعْنَا هٰكَذَا رَأَيْنَا فِي مَدِينَةِ رَبِّ ٱلْجُنُودِ فِي مَدِينَةِ إِلٰهِنَا. ٱللّٰهُ يُثَبِّتُهَا إِلَى ٱلْأَبَدِ.
سِلَاهْ.
٩ ذَكَرْنَا يَا اَللّٰهُ رَحْمَتَكَ فِي وَسَطِ هَيْكَلِكَ. ١٠ نَظِيرُ ٱسْمِكَ يَا اَللّٰهُ تَسْبِيحُكَ إِلَى
أَقَاصِي ٱلْأَرْضِ. يَمِينُكَ مَلْآنَةٌ بِرّاً. ١١ يَفْرَحُ جَبَلُ صِهْيَوْنَ، تَبْتَهِجُ بَنَاتُ يَهُوذَا مِنْ أَجْلِ
أَحْكَامِكَ.
١٢ طُوفُوا بِصِهْيَوْنَ وَدُورُوا حَوْلَهَا. عُدُّوا أَبْرَاجَهَا. ١٣ ضَعُوا قُلُوبَكُمْ عَلَى مَتَارِسِهَا.
تَأَمَّلُوا قُصُورَهَا لِكَيْ تُحَدِّثُوا بِهَا جِيلًا آخَرَ. ١٤ لِأَنَّ ٱللّٰهَ هٰذَا هُوَ إِلٰهُنَا إِلَى ٱلدَّهْرِ
وَٱلْأَبَدِ. هُوَ يَهْدِينَا حَتَّى إِلَى ٱلْمَوْتِ.

كما سمعنا هكذا رأينا

المزامير ٤٦–٤٨ ثلاثية تسبيح للرب الذي نجى أورشليم من سنحاريب ملك أشـور (راجـع مقدمـة مز ٤٦). ويتحدث هذا المزمور عن عظمة الله ومجد كنيسته.

في هذا المزمور نجد،

أولاً – مجد الكنيسة (آيات ١–٨)

ثانياً – كرازة الكنيسة (آيات ٩–١١)

ثالثاً – واجب الشعب من نحو الكنيسة (آيات ١٢–١٤)

أولاً - مجد الكنيسة

(آيات ١-٨)

١ – **مجدها في انتمائها:** «عظيم هو الرب وحميد جداً في مدينة إلهنا جبل قدسه» (آية ١). هي «مدينة إلهنا، جبل قدسه» وهي «مدينة الملك العظيم» (آية ٢ ومت ٣٥:٥) وهي «مدينة رب الجنود» (آية ٨) التي قال عنها: «هذه هي راحتي إلى الأبد. ههنا أسكن لأني اشتهيتُها» (مز ١٣٢: ١٣ و١٤). ونتيجةً لهذا الانتماء تعبد وتسبّح وتحمّد إلهها العظيم الذي ظهرت عظمته في إنقاذها، والذي تظهر عظمته دائماً في هيكله المقدس حيث يقدمون له ذبائح الشكر، ويجتمعون باسمه ليعبدوه، فيتمتعون بجلال حضوره المقدس بينهم، حسب وعده: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت ١٨: ٢٠). «الرب إلهك تتّقي، وإياه تعبد وبه تلتصق.. هو فخرك وهو إلهك الذي صنع معك تلك العظائم والمخاوف التي أبصرتها عيناك» (تث ١٠: ٢٠ و٢١).

٢ – **مجدها في ارتفاعها:** «جميل الارتفاع. فرح كل الأرض جبل صهيون. فرح أقاصي الشمال مدينة الملك العظيم» (آية ٢). بُني الهيكل على جبل صهيون المرتفع، في مدينة أورشليم المرتفعة، فكان يُرى من كل مكان، تلمع قبته الذهبية واضحة للكل. ولا يقصد المرنم الارتفاع الجغرافي فقط، بل الارتفاع الروحي أيضاً، فما أرفع شريعة الله! ولعل المسيح كان يفكر في أورشليم وهو يقول: «لا يمكن أن تُخفى مدينة موضوعة على جبل، ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة، فيضيء لجميع الذين في البيت. فليضئ نوركم هكذا قدام الناس، لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات» (مت ٥: ١٤-١٦)، فيشعّ نور المؤمنين على المحيطين بهم، ويصيرون مصدر «فرح أقاصي الشمال» لكل الأرض من أقصاها إلى أقصاها. فلنكن كالجبال ارتفاعاً في قامتنا الروحية، مجاهدين أن نصل إلى «قياس قامة ملء المسيح» (أف ٤: ١٣) لأن مبادئ ملكوت السموات تحكم تصرفنا اليومي. ولنتصرّف باعتبار أننا هيكلٌ مقدّس للرب، ملكٌ له، نعلن مجد قداسته لكل من يرانا، فيتحقّق معنا الوعد: «جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه كل الأمم» (إش ٢: ٢ ومي ٤: ١).

٣ – **مجدها في انتصارها:** «الله في قصورها يُعرَف ملجأ. هوذا الملوك اجتمعوا. مضوا جميعاً. لما رأوا بُهتوا، ارتاعوا. فرّوا. أخذتهم الرعدة هناك والمخاض كوالدة. بريح شرقية تكسر سفن ترشيش» (آيات ٣-٧). بالرغم من مجد الكنيسة، وبسبب مجدها، يهاجمها الأعداء من داخلها ومن خارجها. فقد تتجرَّب من داخلها بالشك، والكسل، ومحبة العالم والتشبُّه به، ولكن الروح القدس يوقظها لتنفض عنها شكها وكسلها وضعفها. وقد يهاجمها الأعداء من خارجها. ولكن حتى إن أحاط بها الأعداء من كل جانب، فالروح القدس في قصورها يحميها، ويدمّر عدوها، فلا تقوى عليها أبواب الجحيم (مت ١٦: ١٨). والمؤمنون يعرفون هذه الحقائق المطمئنة من إعلان الرب عن نفسه، ومن اختباراتهم الكثيرة معه، فهم جنس مختار، كهنوت ملوكي، أمة مقدسة، شعب اقتناء (١بط ٢: ٩). لما اتّحد الموآبيون والعمونيون ليحاربوا الملك يهوشافاط، ووجد نفسه عاجزاً عن مقاومتهم، صلّى.

ونصحه النبي يَحْزِئيل (من بني آساف) أن يلاقي العدو بالترنيم والهتاف: «احمدوا الرب لأن إلى الأبد رحمته». ولما ابتدأوا في الغناء والتسبيح هاجم الأعداء بعضهم بعضاً، فتبدَّد شملهم فجأة في رعب، ونصر الله شعبه (٢أخ ٢٠).. وقال الملك سنحاريب في جهالته للملك حزقيا: «لا يخدعك إلهك الذي أنت متوكل عليه» (إش ٣٧:١٠). لكن حزقيا والنبي إشعياء كانا يدركان أن «الله في قصورها يُعرَف ملجأ». وتعامل الله مع سنحاريب بطريقته الخاصة، فهرب مع جنوده فجأة في خوف. وهذا ما حدث عبر كل العصور مع كل من يهاجم جماعة الله، مهما كانت قوته وسطوته. وهو أيضاً ما زال يحدث.

وينتصر المؤمنون بقوة ليست منهم «بريح شرقية تكسر سفن ترشيش». وسفن ترشيش (جنوب غرب أسبانيا) سفن ضخمة مشهورة ببحارتها المختبرين العارفين بالبحر (إش ٢:١٦). ولكن الريح الشرقية تفوق قدرتهم على المواجهة، فتكسِّر سفنهم، ولا يملكون لأنفسهم نجاة. والريح الشرقية عاتية مدمِّرة، وترمز للقضاء الإلهي كما قيل: «أزالها بريحه العاصفة، في يوم الشرقية» (إش ٢٧:٨). حقاً «عندما يأتي العدو كنهر فنفخة الرب تدفعه» (إش ٥٩:١٩).

٤ - مجدها في ماضيها وحاضرها: «كما سمعنا هكذا رأينا في مدينة رب الجنود، في مدينة إلهنا. الله يثبتها إلى الأبد» (آية ٨). سمعوا عن أعمال الله من آبائهم، ففي كل عيد فصح كان الآباء يروون للأبناء والأحفاد قصة الخروج المعجزية (خر ١٣:٨-١٠). ويُعيد التعامل الإلهي نفسه، فما حدث في الماضي يتكرر في وقتنا الحاضر، والمعجزة الجديدة تُصدِّق على المعجزات السابقة. (انظر تعليقنا على «رب الجنود» في مز ٤٦:٧).

ثانياً - كرازة الكنيسة

(آيات ٩-١١)

١- الكنيسة تكرز في بيت الرب: «ذكرنا يا الله رحمتك في وسط هيكلك» (آية ٩). في هيكل الرب تتّضح الأمور الروحية للسامعين بصورة أفضل، كما قال آساف: «حتى دخلتُ مقادس الله وانتبهتُ إلى آخرتهم» (مز ٧٣:١٧). في بيت الرب تليق القداسة (مز ٩٣:٥). هناك رأى إشعياء قداسة الرب، ومسَّ واحدٌ من السرافيم شفتيه فانتُزع إثمه وكُفِّر عن خطيته (إش ٦:٦ و٧). وفي بيت الرب يقدمون ذبائح الخطية اعترافاً لإله الغفران، وذبائح السلامة شكراً لإله العطاء. وفي بيت الرب تُقرأ كلمة الله سراجاً ونوراً لسبيل السامعين (لو ٤:١٧). والكنيسة التي تمتعت بأمجاد الله تعلن فضله وتذيع حقه في بيته.

٢ - الكنيسة تكرز للعالم: «نظير اسمك يا الله تسبيحك إلى أقاصي الأرض، يمينك ملآنة براً» (آية ١٠). تكرز الكنيسة في بيت الرب لمن يأتون إلى بيته. ولكن ما أكثر من لا يأتون، فتذهب إليهم الكنيسة حيث يكونون، تعلن لهم محبة الله وأمانته، وتقول: «جاء وبشَّركم بسلام، أنتم البعيدين والقريبين» (أف ٢:١٧). إنها تشبه راعيها الصالح الذي ذهب يفتش عن الواحد الضال ليردّه

(لو ٤:١٥) فتنادي بالنيابة عنه: «اسمعوا أيها البعيدون ما صنعتُ» (إش ١٣:٣٣). إنهـا تعلّم أن اسم الله ومجده يملآن السماء والأرض، تعلنه الأفلاك والكلمة المقدسة وسلوك المؤمنين، ولـو أن العيـون العمياء لا تبصر، والآذان الصماء لا تسمع، فتذيـع الكنيسـة تسبيح اللـه إلـى أقـاصي الأرض، تسـبيحاً يليق باسمه المحب الكريم. وتعلن أن يمينه ملآنة بالبر (أي العدالة) فيهتـف شـعبه بعدالتـه، كمـا غنـت مريـم (خـر ١٥) ودبـورة (قض ٥) وحنـة (١صـم ٢) وأليصابـات والعـذراء مريـم (لـو ٢)، ليُسـمِعوا الأرض كلها أخبار إحسانه وأمانته وبرّه وعدالته. فلنعترف أمـام الجميـع بإلـه الخـلاص. «اذهـب إلـى بيتك وإلى أهلك وأخبِرهم كم صنع الرب بك ورحمك» (مر ١٩:٥) لأن «من يعترف بـي قـدام النـاس أعترف أنا أيضاً به قدام أبي الذي في السموات. ولكن من ينكرني قدام الناس، أنكره أنا أيضاً قدام أبي الذي في السموات» (مت ٣٢:١٠ و٣٣).

٣ – **الكنيسة تكرز برسالة الفرح:** «يفرح جبل صهيون. تبتهج بنات يهوذا من أجل أحكـامك» (آية ١١). يفرح جبل صـهيون حيث العاصمة الدينية والسياسية بأحكام الرب وشريعته، وتبتهج القـرى الصغيرة (التي يسمّيها «بنات يهوذا») لأن شريعة الرب العادلة سادت في الأرض، فيكون فرح الـرب مصدر قوة للمؤمنين (نح ١٠:٨) وسبب إقبال الحزانـى والمتعَبين إلـى الـرب مصـدر الفـرح الحقيقـي والدائم. ولا بد أن نسمع الهتاف: «هللويا! الخلاص والمجد والكرامة والقدرة للرب إلهنا، لأن أحكامـه حقٌ وعادلةٌ» (رؤ ١:١٩ و٢).

ثالثاً - واجب الشعب من نحو الكنيسة

(آيات ١٢-١٤)

١ – **أن يعرف أحوالها:** «طوفـوا بصـهيون ودوروا حولهـا. عُدُّوا أبراجهـا» (آيـة ١٢). حـاصر العدو أورشليم وأرعب سكانها، وعدّ أبراج الدفاع عنهـا (إش ١٨:٣٣)، فـأجلاه اللـه وأبعده. ويطـالب المرنم المؤمنين أن يدوروا حول أسوار مدينتهم المحرَّرة، ليعرفوا أحوالها، ويشكروا الله الذي نجاهـا، محقّقين الأمر النبوي: «انظُر صـهيون مدينة أعيادنا. عيناك تريـان أورشـليم مسـكناً مطمئنـاً، خيمـة لا تنتقل. لا تُقلع أوتادها إلى الأبد، وشيء من أطنابها لا ينقطـع» (إش ٢٠:٣٣).. وهـذا مـا فعلـه نحميـا بعد أن قاد شعبه في بناء سور أورشليم ودشَّنوه، فاجتمعوا حول المدينة، وأقاموا فرقتين عظيمتين مـن المرنمين يميناً على السور (نح ٢٧:١٢-٣١).

٢ – **أن يفكر فيها:** «ضعوا قلوبكم على متارسها» (آية ١٣أ). المتاريس هـي الحصـون. ويطلـب المرنم من المؤمنين أن يضعوا قلوبهم عليها ويتأملوها، شـاكرين اللـه الـذي دافـع عنهـا بعـد أن حـاول العدو هدمها، أو استخدامها لمهاجمة المدينة. فيقول شـعب الـرب: «لنـا مدينـةٌ قويـة. يجعـل الخـلاص أسواراً ومترسة» (إش ١:٢٦). من المؤلم أن بعض المؤمنين لا يذكرون إلا ضعفات كنيسـتهم. وهـي فعلاً لها ضعفاتها، لكن لا يجب أن ننسى أبداً أن الله جعل لمدينته متاريس وحصوناً، وأنه يدافع عنهـا

وينصرها. فلنذكر بالشكر لله خدمة الكنيسة لمجتمعنا، ولنقدّر قيمة إخوتنا من المؤمنين، مهما اختلفنا معهم، لأنهم ملح الأرض ونور العالم والخميرة التي تُخمّر العجين كله. ودعونا نحيا على المستوى الذي يطلبه الله منا، فإن البعيدين عن الكنيسة يريدون أن يروا في المؤمنين القداسة التي لا يرونها في العالم.

٣ - **أن يشهد لسيدها:** «تأملوا قصورها لكي تحدّثوا بها جيلاً آخر» (آية ١٣ب). بعد أن يطوف المؤمنون بأسوار الكنيسة شاكرين الله الذي يحميها وينصرها، يحدّثون الجيل القادم بما حدث معهم ومعها. فليتحدَّث كل جيل عن الجيل العظيم الذي سبقه، وليحدّث الجيل الحالي الجيل القادم، فنمجد إلهنا على عمله العظيم. لنركز النظر على جمال كنيستنا، كما نركزه على نقصاتها، فيقبل الله شكرنا على جمال كنيسته، ويكمل نقصاتها بعمل الروح القدس الذي لا بد سيأتي بنهضة روحية، بدءاً من كل واحد منا.

٤ - **أن يفتخر بإلهها:** «لأن الله هذا هو إلهنا إلى الدهر والأبد. هو يهدينا حتى إلى الموت» (آية ١٤). يفتخر بعلاقته الشخصية بالرب، وباختباراته العظيمة والعميقة معه. لقد أعلن شعبُه انتماءه له، وهو يعزم أن يكمل المسيرة معه، معلناً أن الله هو إلهه إلى الدهر والأبد، وأنه واثق في إرشاده وهدايته له، بكلمته، وبروحه، وبعنايته، وبالمرشدين الروحيين الذين يفصّلون كلمة الحق بالاستقامة (٢تي ٢:١٥).

ويعلن شعب الرب فخرهم بالرب «حتى إلى الموت» وهذا يعني أن الله سيهديهم حتى يصلوا إلى بيتهم الأبدي، كما أنه يهديهم مهما كانت خطورة الحالة التي هم فيها. فهو لا يتركهم لحظة واحدة.

رأى النبي إشعياء والملك حزقيا نهاية الحصار وهزيمة العدو بعين الإيمان، وأدركا أن الخلاص قادم. فلتمتلئ نفوسنا بالثقة والتأكد أن إلهنا يُعرَف ملجأ، وأنه يدبر أمرنا ويبارك حياتنا، مهما كانت خطورة موقفنا.

المزمور التاسع والأربعون

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ. لِبَنِي قُورَحَ. مَزْمُورٌ
١ اِسْمَعُوا هٰذَا يَا جَمِيعَ ٱلشُّعُوبِ. أَصْغُوا يَا جَمِيعَ سُكَّانِ ٱلدُّنْيَا ٢ عَالٍ وَدُونٍ،
أَغْنِيَاءَ وَفُقَرَاءَ، سَوَاءً. ٣ فَمِي يَتَكَلَّمُ بِٱلْحِكَمِ، وَلَهَجُ قَلْبِي فَهْمٌ. ٤ أُمِيلُ أُذُنِي إِلَى مَثَلٍ،
وَأُوضِّحُ بِعُودٍ لُغْزِي.
٥ لِمَاذَا أَخَافُ فِي أَيَّامِ ٱلشَّرِّ عِنْدَمَا يُحِيطُ بِي إِثْمُ مُتَعَقِّبِيَّ؟ ٦ ٱلَّذِينَ يَتَّكِلُونَ عَلَى
ثَرْوَتِهِمْ، وَبِكَثْرَةِ غِنَاهُمْ يَفْتَخِرُونَ. ٧ ٱلْأَخُ لَنْ يَفْدِيَ ٱلْإِنْسَانَ فِدَاءً، وَلَا يُعْطِيَ ٱللهَ
كَفَّارَةً عَنْهُ. ٨ وَكَرِيمَةٌ هِيَ فِدْيَةُ نُفُوسِهِمْ، فَغَلِقَتْ إِلَى ٱلدَّهْرِ ـ ٩ حَتَّى يَحْيَا إِلَى ٱلْأَبَدِ فَلَا
يَرَى ٱلْقَبْرَ. ١٠ بَلْ يَرَاهُ! ٱلْحُكَمَاءُ يَمُوتُونَ. كَذٰلِكَ ٱلْجَاهِلُ وَٱلْبَلِيدُ يَهْلِكَانِ، وَيَتْرُكَانِ
ثَرْوَتَهُمَا لِآخَرِينَ. ١١ بَاطِنُهُمْ أَنَّ بُيُوتَهُمْ إِلَى ٱلْأَبَدِ، مَسَاكِنَهُمْ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ. يُنَادُونَ
بِأَسْمَائِهِمْ فِي ٱلْأَرَاضِي. ١٢ وَٱلْإِنْسَانُ فِي كَرَامَةٍ لَا يَبِيتُ. يُشْبِهُ ٱلْبَهَائِمَ ٱلَّتِي تُبَادُ.
١٣ هٰذَا طَرِيقُهُمُ ٱعْتِمَادُهُمْ، وَخُلَفَاؤُهُمْ يَرْتَضُونَ بِأَقْوَالِهِمْ. سِلَاهْ. ١٤ مِثْلَ ٱلْغَنَمِ لِلْهَاوِيَةِ
يُسَاقُونَ. ٱلْمَوْتُ يَرْعَاهُمْ، وَيَسُودُهُمُ ٱلْمُسْتَقِيمُونَ. غَدَاةً وَصُورَتُهُمْ تَبْلَى. ٱلْهَاوِيَةُ مَسْكَنٌ
لَهُمْ. ١٥ إِنَّمَا ٱللهُ يَفْدِي نَفْسِي مِنْ يَدِ ٱلْهَاوِيَةِ لِأَنَّهُ يَأْخُذُنِي. سِلَاهْ.
١٦ لَا تَخْشَ إِذَا ٱسْتَغْنَى إِنْسَانٌ، إِذَا زَادَ مَجْدُ بَيْتِهِ. ١٧ لِأَنَّهُ عِنْدَ مَوْتِهِ كُلَّهُ لَا
يَأْخُذُ. لَا يَنْزِلُ وَرَاءَهُ مَجْدُهُ. ١٨ لِأَنَّهُ فِي حَيَاتِهِ يُبَارِكُ نَفْسَهُ. وَيَحْمَدُونَكَ إِذَا أَحْسَنْتَ
إِلَى نَفْسِكَ. ١٩ تَدْخُلُ إِلَى جِيلِ آبَائِهِ ٱلَّذِينَ لَا يُعَايِنُونَ ٱلنُّورَ إِلَى ٱلْأَبَدِ. ٢٠ إِنْسَانٌ فِي
كَرَامَةٍ وَلَا يَفْهَمُ يُشْبِهُ ٱلْبَهَائِمَ ٱلَّتِي تُبَادُ.

نصيحة للأغنياء

هذا المزمور وعظي تعليمي يعالج موضوعاً يهم الناس جميعاً، هو الغِنى، فالمال هو القوة المسيطرة على تفكير معظم الناس، يرتعب الفقراء أمامه بسبب عجزهم، ويتباهى الأغنياء به بسبب حظهم. مع أن الله يقول للفقراء: «انظروا إلى طيور السماء. إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السماوي يقوتها. ألستم أنتم بالحري أفضل منها؟» (مت ٦:٢٦) ويقول للأغنياء:

«انظروا وتحفَّظوا من الطمع، فإنه متى كان لأحدٍ كثير، فليست حياته من أمواله» (لو ١٢:١٥). لكن المرنم الحكيم يوضح لنا محدودية قوة المال، فهو لا يقدر أن يمنع الموت، كما أن صاحبه يتركه كله عند موته!

كما يعلمنا أن المستقيمين هم الغالبون (آية ١٤) وأن الله سيفدي نفوسهم من القبر (آية ١٥). ويذكِّرنا هذا المزمور بمثَلين رواهما المسيح عن غنيٍّ غبي ظنَّ أن حياته من أمواله، فمات من ليلته تاركاً كل ما كنز (لو ١٢:١٦-٢١) ومثل غني لم يهتم بفقيرٍ مطروح عند بابه، فانتهت حياة الغني في الجحيم والعذاب (لو ١٦:١٩-٣١).

ولا يعني هذا أن كل الأغنياء أغبياء، ولا أن كل الفقراء حكماء، فهناك أغنياء حكماء يكرمون الرب من أموالهم، مثل أيوب إمام الصابرين، وإبراهيم خليل الله. وهناك فقراء أغبياء بعيدون عن الرب. وليس المال في حد ذاته شراً ولا خيراً، ولكن استعمال الإنسان للمال هو الاستعمال الصالح أو الشرير. المال سيد قاس لكنه خادم نافع. فإن سيَّدناه على حياتنا صار صنماً، وإن استخدمناه استخداماً صالحاً صار خادماً نافعاً لنا ولعائلاتنا وجيراننا.

في هذا المزمور نجد:

أولاً - الواعظ الحكيم (آيات ١-٤)

ثانياً - الأغنياء الأغبياء (آيات ٥-١٥)

ثالثاً - موقف المؤمن من الأغنياء الأغبياء (آيات ١٦-٢٠)

أولاً - الواعظ الحكيم
(آيات ١-٤)

اكتشف المرنم أمراً أراد إبلاغه لكل الناس، عن تقييم الغِنى والثراء والشرف. ونرى في هذا الواعظ الحكيم:

١ - أنه واعظ لكل الناس: «اسمعوا هذا يا جميع الشعوب. أصغوا يا جميع سكان الدنيا، عالٍ ودون، أغنياء وفقراء، سواء» (آيتا ١ و٢). فموضوع حديث المرنم يهم الناس جميعاً، وهو ما يقوله الله عن الثروة لسكان «الدنيا» الفانية العابرة. «من له أذنان للسمع فليسمع» (مت ١٣:٩). والناس بالنسبة للمال «عال ودون، أغنياء وفقراء». ومهما كانت حالة الناس الاقتصادية فهم يحتاجون لمعرفة المبادئ الإلهية، ليقيِّموا الثراء والغِني تقييماً سليماً، فلا يضع الأغنياء عليه قلوبهم، ويتعلم الفقراء أن يكونوا مُكتفين بما عندهم، ويشكروا الله على ما منحه لهم من ثروات لا يقدر المال أن يشتريها من صحة وحكمة وعائلة ونعمة، مدركين أن «لقمة يابسة ومعها سلامة خير من بيت ملآن ذبائح مع خصام» (أم ١٧:١). وفي هذا تحذير للأغنياء وتشجيع للفقراء.

٢ - **هو يعظ بعد تأمل وتفكير:** «فمي يتكلم بالحِكم ولَهج قلبي فهمٌ» (آية ٣). لقد أخذ الحكمة من الله، فكل ما يقوله ويكرره ويلهج به هو الحكمة والفهم عينهما. لقد طلب إرشاد الرب ورأى أن يقدم للجميع الحكمة التي تعلّمها من الله. يقول: «روح الرب تكلم بي وكلمته على لساني» (٢صم ٢٣:٢) و«طوبى للإنسان الذي يجد الحكمة.. لأن تجارتها خيرٌ من تجارة الفضة» (أم ٣:١٣ و١٤). وكلمة الحكمة في لغة التوراة لا تعني المعرفة فقط، بل تعني أيضاً تطبيقها على الحياة، فهناك فرق بين المعرفة والحكمة. المعرفة معلومات تملأ العقل، لكن الحكمة سلوكٌ يومي، يطبّق الفكر الإلهي على الواقع المُعاش.

٣ - **هو يعالج مواضيع صعبة:** «أميل أذني إلى مثلٍ، وأوضح بعودٍ لغزي» (آية ٤). بعد سنين طويلة اكتشف المرنم مما اختبره وعرفه وسمعه ورآه حقيقة هامة، فضربها للناس مثلاً، لأن المثل يوضح حقيقة صاغها عارفوها في عبارة مختصرة مسجوعة ليحفظها الجميع. وقد رأى المرنم أن تلك الحقيقة لغزٌ مبهم عند كثيرين، فأراد أن يوضّحها بالترنيم والموسيقى حتى يسهُل على الناس حفظها، فاستخدم المواهب المختلفة التي أعطاها الله له، من إعلان سماوي، وقدرة على نظم الشعر، ووضع الألحان الموسيقية لكتابة هذا المزمور.

ومن مشاعر المرنم هذه نتعلم أنه عندما يعلن الله لنا فكرة أو اختباراً يجب أن نشارك فيه الناس، كما قال الرسول بولس لقسوس كنيسة أفسس: «لم أؤخِّر شيئاً من الفوائد إلا وأخبرتُكم وعلمتكم به جهراً وفي كل بيت، شاهداً لليهود واليونانيين بالتوبة إلى الله والإيمان الذي بربنا يسوع المسيح.. لم أؤخِّر أن أخبركم بكل مشورة الله» (أع ٢٠:٢٠ و٢١ و٢٧) وكما قال لأهل كولوسي عن الإنجيل: «الذي ننادي به منذرين كل إنسان ومعلمين كل إنسان بكل حكمة لكي نُحضر كل إنسان كاملاً في المسيح يسوع» (كو ١:٢٨).

ثانياً - الأغنياء الأغبياء

(آيات ٥-١٥)

١ - **هم أغبياء في موقفهم من المال:** «لماذا أخاف في يوم الشر، عندما يحيط بي إثم متعقبيَّ، الذين يتكلون على ثروتهم، وبكثرة غناهم يفتخرون؟» (آيتا ٥ و٦). يعلن المرنم أنه لا داعي لأن يخاف من الأغنياء الظالمين الذين يتعقّبون الفقراء ويستغلونهم، ويبذلون جهدهم ليحصلوا على المال بكل وسيلة، ضاربين بوصايا الله عرض الحائط، فإنهم يرتكبون خطيتين: اتكلوا على المال مع أنه لا يمنع عنهم الموت، وافتخروا به مع أن الفخر لا يكون إلا بالله وحده، مصدر المال، وبالمسيح الفادي الكريم، قائلين: «حاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح، الذي به قد صُلب العالم لي وأنا للعالم» (غل ٦:١٤). وعلى هذا فلا داعي للخوف من الأغنياء الأغبياء الظالمين، لأن الخاطئ لا بد سيدفع أجرة خطيته إن آجلاً أو عاجلاً. ويقول الله للمؤمنين: «أنا أنا هو معزّيكم. من أنتِ حتى تخافي من إنسانٍ يموت، ومن ابن الإنسان الذي يُجعَل كالعشب» (إش ٥١:١٢).

٢ – هم أغبياء في موقفهم من الموت: «الأخ لن يفدي الإنسان فداءً، ولا يعطي الله كفارة عنه، وكريمة هي فدية نفوسهم، فغلقت إلى الدهر، حتى يحيا إلى الأبد، فلا يرى القبر. بل يراه. الحكماء يموتون، كذلك الجاهل والبليد يهلكان، ويتركان ثروتهما لآخرين» (آيات ٧-١٠). جعل الأغنياء الأغبياء المال إلهاً يفتخرون به وكأنه سيفديهم من الموت والقبر، أو ينقذهم من أجرة الخطية التي هي موت روحي بالانفصال عن الله! وفي جهلهم ظنوا أن ثروتهم تقدر أن تحميهم من المخاطر والصعوبات فجعلوها محل ثقتهم، وكأنها تقدر أن تشتري لهم كل شي بما في ذلك الحياة التي لا نهاية لها! وكل عابد وثن (مهما كان ذلك الوثن: صنماً أو مالاً أو عائلة أو عِلماً أو علاقة اجتماعية) ميتٌ بذنوبه وخطاياه، لأنه منفصل عن الله الحي مصدر الحياة الأبدية. «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه، أو ماذا يعطي الإنسان فداءً عن نفسه؟» (مت ١٦: ٢٦). فلن يفدي الإنسان نفسه بنفسه، وحتى الأخ لن يفدي أخاه من الموت، لأن كل ما يملكه من مال لا يقدر أن يشتريه ليفكّه، ويعجز عن أن يقدم لله كفارة عن نفسه ولا عن أخيه، لأن تكلفة الفدية كبيرة جداً يعجز الإنسان عن أن يدفعها، حتى لو عمل إلى الدهر في سبيل الحصول عليها! فالإنسان لا يحيا إلى الأبد بمجهوده الشخصي، ولا بما عنده من ثروة. والقبر هو النهاية الحتمية للحكماء والجهلاء على السواء، فالجاهل والبليد يهلكان، ويتركان ثروتهما للآخرين.

إذاً كيف يتم الفداء؟ شرَّعت التوراة ذبائح للحصول على الفداء، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة (عب ٩: ٢٢) وافتُدي إسحاق بن إبراهيم بذبح عظيم. وكل هذه الذبائح كانت ترمز للمسيح الفادي، «افتديتم لا بأشياء تفنى، بفضة أو ذهب، من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم» (١بط ١: ١٨-٢٠).

ولندرك هذه الحقيقة الخطيرة، والتي عليها يتعلق مصيرنا الأبدي، دعونا نتخيَّل الملاك الذي أرسله الله إلى بيوت مصر ليلة خروج بني إسرائيل، فيمرُّ هذا الملاك ببيت فرعون ليُهلك ابنه البكر. ولنفترض أن الفرعون العظيم يرى ابنه البكر يموت أمامه، فيريد طبعاً أن يفتديه، فيستدعي الجيش كله ليدافع عن ابنه. لكن غَلَقت محاولاته إلى الدهر، أي يتعذَّر عليه الدفاع عن ابنه مدى الحياة، ولا يمكن أن ينقذ أحد ابن الفرعون العظيم الذي يتلوّى في فراشه. ثم يمرُّ الملاك المهلك نفسه ببيت طفل فقير من أطفال بني إسرائيل، ويرى الدم على عتبة باب البيت العليا وقائمتيه، فيعبر عن البيت، وينجو الابن البكر فيه من الموت، لأن الملاك المهلك يرى فدية كريمة من الدم تنجي ابنه البكر.. لم تكن النجاة ليلة الخروج بالمال ولا بالقوة، بل بالفداء بالذبح العظيم الذي دبَّره الله وأمر به.

فما أغبى موقف الإنسان الذي يفتخر بماله، لأنه يظن أنه حصل عليه بذكائه، فيفتخر به معتقداً أنه سيفتح له أبواب الفداء! ولكنه سرعان ما يدرك أن القبر مفتوحٌ له، فقد «وُضع للناس أن يموتوا مرة، ثم بعد ذلك الدينونة» (عب ٩: ٢٧). ولكن الفداء موجود في الإيمان بالمسيح الذي لنا فيه حياة أبدية (١يو ٥: ١٣) والذي قال: «أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا. وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد» (يو ١١: ٢٥ و٢٦).

٣ - أغنياء في موقفهم من صوت الله: «باطنهم أن بيوتهم إلى الأبد، مساكنهم إلى دور فدور. ينادون بأسمائهم في الأراضي. والإنسان في كرامة لا يبيت يشبه البهائم التي تُباد. هذا طريقهم اعتمادهم، وخلفاؤهم يرتضون بأقوالهم» (آيات ١١-١٣). قال الله إن الإنسان تراب، وإلى تراب يعود، ولكن الأغنياء الأغبياء يعتقدون في باطنهم وقلوبهم وأعماقهم أن بيوتهم ستبقى مكان سكناهم إلى الأبد، وفيها سيُخلَّدون. ظنوا أن الكرامة هي في سكنى القصور، مع أن الكرامة الحقيقية هي في السكن في ستر العلي وفي ظل القدير (مز ٩١) ولكن سرعان ما تنتهي حياتهم، ويهجرون قصورهم ويصبحون من ساكني القبور، فيبيد ذكرهم وينتهي من الأرض. لقد أعطاهم الله بيوتاً ومساكن وشهرة. وبدل أن يشكروا الله على عطاياه، ظنوا أن هذه العطايا ستحفظ أسماءهم إلى الدهر. فما أحمق الإنسان الفاني! صحيح أن «مُنْتَظر الصديقين مفرح، أما رجاء الأشرار فيبيد» (أم ١٠:٢٨) لكن «الصديق يكون إلى لذكرٍ أبدي» (مز ١١٢:٦).

ويقول المرنم إن الغني الغبي لا يبيت في الكرامة، فهي لا تدوم له، شأنها شأن كل متاع الدنيا. والغني الغبي يشبه البهائم التي تُباد، لأن الله أعطاه كرامة وثروة، فلم يستخدمها بالطريقة الصحيحة. أعطاه البركة ليفتح عينيه على معطيها، فلم يحس بفضل الخالق. لقد أوضح المسيح أن كل ما عندنا من مواهب ووزنات هو عطية منه، يجب أن نتصرف فيه بأمانة وحكمة (مت ١٤:٢٥-٢٩).

«هذا طريقهم اعتمادهم» فهم يثقون في طريقة تفكيرهم وفي سلامتها، ويعتمدون على ذكائهم، ويرفضون النصائح المقدَّمة لهم، لأنهم يعتقدون أنهم في غير حاجة إليها. «وخلفاؤهم يرتضون بأقوالهم» فضللوا الجيل الآتي. ضللوا أنفسهم أولاً، وضللوا من يتبعونهم أيضاً! وحقَّ عليهم القول: «هم عميان قادة عميان. وإن كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما في حفرة» (مت ١٥:١٤).

٤ - أغبياء في موقفهم من الآخرة: «مثل الغنم للهاوية يُساقون. الموت يرعاهم، ويسودهم المستقيمون. غداةً وصورتهم تَبلى. الهاوية مسكنٌ لهم، إنما الله يفدي نفسي من يد الهاوية، لأنه يأخذني» (آيتا ١٤ و١٥). لم يُحسنوا فهم معنى بركات الله لهم، ولم يدركوا أنها يجب أن تقودهم للتوبة والرجوع إلى الله، فتصرَّفوا كالأغنام الغبية التي لا تعرف إلا كيف تضل. فلا بد أن ينزلوا للهاوية كالأغنام التي تُساق للذبح. ولا بد أن يصبح المستقيمون سادة الموقف، يقولون: «الذي يفدي من الحفرة حياتك. الذي يكللك بالرحمة والرأفة» (مز ١٠٣:٤) وما أن تشرق شمس الصباح «غداةً» حتى تُبلى صورة الأغنياء الأغبياء، ويصبح القبر والهاوية مسكناً لهم! ويقارن المرنم بين الفدية الفاشلة في قوله: «الأخ لن يفدي الإنسان» (آية ٧) والفدية الصحيحة في قوله: «إنما الله يفدي نفسي» (آية ١٥). فلا فداء للإنسان إلا من عند الله وحده، فهو الذي يفدينا بذبح عظيم.

ويقدم المرنم لنا سبيل الفداء في قوله: «لأنه يأخذني» إشارة إلى يوم التوبة، أو إشارة إلى يوم القيامة، إذ يقول المؤمن: «برأيك تهديني، وبعدُ إلى مجد تأخذني» (مز ٧٣:٢٤). ففي يوم التوبة يأخذ الله النفس من الضلال ويردُّها إليه وإلى سُبل البر، فيفتديها من الموت الأبدي، لأنه «لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد، بل حسب الروح»

(رو ٨:١). وفي يوم القيامة يأخذ الله النفس من هاوية القبر ويرفعها وينقذها بالقيامة المجيدة. فعند مجيء المسيح ثانية يُضرب بالبوق، فيُقام الأموات عديمي فساد (١كو ٥٢:١٥) ويأمر الرب بقيامة المؤمنين الذين ماتوا غرقى وأكلت أسماكُ البحر أجسادَهم، فيعطي البحرُ الأمواتَ الذين فيه (رؤ ١٣:٢٠). وفي وقت مجيء المسيح يجمع الرب المؤمنين الأحياء من كل مكان في الأرض ليأخذهم إليه، وهكذا نكون كل حين مع الرب (١تس ١٣:٤-١٨).

ثالثاً - موقف المؤمن من الأغنياء الأغبياء

(آيات ١٦-٢٠)

١ - **المؤمن لا يخاف من الغني الغبي:** «لا تخشَ إذا استغنى إنسانٌ، إذا زاد مجد بيته، لأنه عند موته كله لا يأخذ. لا ينزل وراءه مجده، لأنه في حياته يبارك نفسه. ويحمدونك إذا أحسنت إلى نفسك» (آيات ١٦-١٨). كان المرنم قد تساءل: لماذا أخاف؟ (آية ٥) فلم يجد لخوفه سبباً، لأن الآثمين الذين يتعقّبونه لا بد هالكون، فعاد يشجع نفسه، ويشجع الفقراء معه قائلاً: «لا تخشَ» فإن مجد الغني الغبي الذي طالما ظلمك، والذي تعقّبك وأحاط إثمُه بك لن يستمر يؤذيك، لأن ثراءه لا ينتقل معه إلى الحياة المستقبلة. وصدَق أيوب: «عرياناً خرجت من بطن أمي، وعرياناً أعود إلى هناك. الرب أعطى والرب أخذ، فليكن اسم الرب مباركاً» (أي ٢١:١). «كما خرج من بطن أمه عرياناً يرجع ذاهباً كما جاء، ولا يأخذ شيئاً من تعبه فيذهب به في يده» (جا ١٥:٥) وصدق الرسول بولس: «لأننا لم ندخل العالم بشيء، وواضحٌ أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء» (١تي ٧:٦). وقيل للغني الغبي الذي ظن أنه سيتمتع بثروته لسنين طويلة: «يا غبي، هذه الليلة تُطلَب نفسك منك. فهذه التي أعددتها لمن تكون؟» (لو ٢٠:١٢). كم كان الإسكندر الأكبر حكيماً عندما طلب قبل موته أن يُخرجوا جيبه خارج الكفن، ليعلن أن ماله لم يرافقه إلى قبره، وكذلك كان الرئيس حسني مبارك، يوم تولى رئاسة جمهورية مصر، وهو يقول: «ليس للكفن جيوب». أما الغني الغبي فهو «في حياته يبارك نفسه» ويغبّطها، كما قال الغبي لنفسه: «يا نفسي، لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة. استريحي وكُلي واشربي وافرحي» (لو ١٩:١٢) فمات من ليلته!

أما المؤمن فيجلب البركة لنفسه، فيحمده الناس ويطوّبونه «ويحمدونك إذا أحسنت إلى نفسك». فالمؤمن يبارك حياته ونفسه عندما يتوب ويقبل خلاص المسيح، وعندما يمد يده ليتناول من عشاء الرب، وعندما يشهد بنعمة المسيح لإنسان بعيد عن الرب، وعندما يتابع مؤمناً ضعيفاً ليبني حياته الإيمانية، وعندما يختلي مع الله بانتظام واستمرار في الصلاة فيشبع قلبه بالرب، وهكذا يتبارك قلبه ونفسه. صحيح أن ثروة المؤمن لن تنزل وراءه إلى القبر، شأنه شأن الغني الغبي. ولكن أعمال المؤمن الصالحة تتبعه إلى ما وراء القبر «طوبى للأموات الذين يموتون في الرب.. لكي يستريحوا من أتعابهم وأعمالهم تتبعهم» (رؤ ١٣:١٤) فيسمع الصوت الإلهي يقول: «نِعمّا أيها العبد الصالح والأمين. كنت أميناً في القليل، فأقيمك على الكثير. ادخل إلى فرح سيدك» (مت ٢١:٢٥).

٢ – **المؤمن يعرف مصير الغني الغبي:** «تدخل إلى جيل آبائه الذين لا يعاينون النور إلى الأبد. إنسان في كرامة ولا يفهم يشبه البهائم التي تُباد» (آيتا ١٩ و٢٠). ما أرهب مصير الغني الغبي! فإن نفسه تدخل إلى جيل آبائه الذين سبقوه في الغباء الروحي، والذين ماتوا، والآن يعيشون في عالم الظلام الأبدي، ولن تكون لهم فرصة لرؤية النور. لقد عاشوا في ظلمة روحية هنا، وانتهى بهم الأمر إلى ظلمة روحية هناك. وسيكون مصير الغني الغبي كمصير سابقيه من الأغنياء الأغبياء. لقد أعطاهم الله العقول ليفهموا أنه مصدر بركتهم، وأنهم ملكه.. منحهم الكرامة ليحيوا فيها، ولكنهم لم يفهموا فصاروا مثل البهائم، لأنهم لم يعرفوا كيف يفرّقون بين الغِنى الصحيح والغِنى الكاذب، ولأنهم اعتبروا الغِنى المؤقّت أعظم من الغِنى الروحي الذي هو العلاقة بالله، وأفضل من الغِنى الأبدي بالوجود في حضرته في الحياة الأبدية. وكل من يظن أن حياته من أمواله يكون عديم العقل، فليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله (مت ٤:٤).

فما أجمل نصيحة المسيح: «لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ، وحيث ينقب السارقون ويسرقون. بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ، وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون، لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً» (مت ٦:١٩-٢١).

مَزْمُورٌ لآسَافَ

١ إِلهُ ٱلآلِهَةِ ٱلرَّبُّ تَكَلَّمَ، وَدَعَا ٱلأَرْضَ مِنْ مَشْرِقِ ٱلشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا. ٢ مِنْ
صِهْيَوْنَ، كَمَالِ ٱلْجَمَالِ، ٱللهُ أَشْرَقَ. ٣ يَأْتِي إِلهُنَا وَلَا يَصْمُتُ. نَارٌ قُدَّامَهُ تَأْكُلُ وَحَوْلَهُ
عَاصِفٌ جِدّاً. ٤ يَدْعُو ٱلسَّمَاوَاتِ مِنْ فَوْقُ وَٱلأَرْضَ إِلَى مُدَايَنَةِ شَعْبِهِ. ٥ ٱجْمَعُوا إِلَيَّ
أَتْقِيَائِي ٱلْقَاطِعِينَ عَهْدِي عَلَى ذَبِيحَةٍ. ٦ وَتُخْبِرُ ٱلسَّمَاوَاتُ بِعَدْلِهِ، لأَنَّ ٱللهَ هُوَ ٱلدَّيَّانُ.
سِلَاهْ.

٧ اِسْمَعْ يَا شَعْبِي فَأَتَكَلَّمَ. يَا إِسْرَائِيلُ فَأَشْهَدَ عَلَيْكَ. اَللهُ إِلهُكَ أَنَا. ٨ لَا عَلَى
ذَبَائِحِكَ أُوَبِّخُكَ، فَإِنَّ مُحْرَقَاتِكَ هِيَ دَائِماً قُدَّامِي. ٩ لَا آخُذُ مِنْ بَيْتِكَ ثَوْراً، وَلَا مِنْ
حَظَائِرِكَ أَعْتِدَةً. ١٠ لأَنَّ لِي حَيَوَانَ ٱلْوَعْرِ وَٱلْبَهَائِمَ عَلَى ٱلْجِبَالِ ٱلأُلُوفِ. ١١ قَدْ عَلِمْتُ
كُلَّ طُيُورِ ٱلْجِبَالِ، وَوُحُوشُ ٱلْبَرِّيَّةِ عِنْدِي. ١٢ إِنْ جُعْتُ فَلَا أَقُولُ لَكَ لأَنَّ لِي ٱلْمَسْكُونَةَ
وَمِلأَهَا. ١٣ هَلْ آكُلُ لَحْمَ ٱلثِّيرَانِ أَوْ أَشْرَبُ دَمَ ٱلتُّيُوسِ؟ ١٤ اِذْبَحْ لِلّهِ حَمْداً، وَأَوْفِ
ٱلْعَلِيَّ نُذُورَكَ، ١٥ وَٱدْعُنِي فِي يَوْمِ ٱلضِّيقِ أُنْقِذْكَ فَتُمَجِّدَنِي.

١٦ وَلِلشِّرِّيرِ قَالَ ٱللهُ: «مَا لَكَ تُحَدِّثُ بِفَرَائِضِي وَتَحْمِلُ عَهْدِي عَلَى فَمِكَ، ١٧ وَأَنْتَ
قَدْ أَبْغَضْتَ ٱلتَّأْدِيبَ وَأَلْقَيْتَ كَلَامِي خَلْفَكَ. ١٨ إِذَا رَأَيْتَ سَارِقاً وَافَقْتَهُ وَمَعَ ٱلزُّنَاةِ
نَصِيبُكَ. ١٩ أَطْلَقْتَ فَمَكَ بِٱلشَّرِّ وَلِسَانُكَ يَخْتَرِعُ غِشّاً. ٢٠ تَجْلِسُ تَتَكَلَّمُ عَلَى أَخِيكَ.
لاِبْنِ أُمِّكَ تَضَعُ مَعْثَرَةً. ٢١ هذِهِ صَنَعْتَ وَسَكَتُّ. ظَنَنْتَ أَنِّي مِثْلُكَ. أُوَبِّخُكَ وَأَصُفُّ
خَطَايَاكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ. ٢٢ اِفْهَمُوا هذَا يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُونَ ٱللهَ، لِئَلَّا أَفْتَرِسَكُمْ وَلَا مُنْقِذَ.
٢٣ ذَابِحُ ٱلْحَمْدِ يُمَجِّدُنِي، وَٱلْمُقَوِّمُ طَرِيقَهُ أُرِيهِ خَلَاصَ ٱللهِ».

اسمع يا شعبي فأتكلم

هذا مزمور تعليمي مثل مز ٤٩، ولو أن مز ٤٩ يخاطب البشر جميعاً، بينما هذا المزمور يخاطب بني إسرائيل، وفيه يحاكمهم الله مستشهداً عليهم قوى الطبيعة، كما فعل في إشعياء ١ وميخا ٦. لقد أعطاهم الشريعة من فوق جبل سيناء ليحفظوها، وها هو يجيء بمجد عظيم يشبه مجد حضوره على

جبل سيناء، ليسألهم عن مدى طاعتهم له، وعن أسلوب تلك الطاعة، فقد كانت عبادتهم مظهرية طقسية، لا قلبية روحية. وهو يؤكد لهم أنه يفضّل القلب الحامد على تقديم الذبائح، ويحذّر المنافقين من سوء مصيرهم إن لم يتوبوا، ويطالبهم بالديانة العملية التي تتّضح في حبهم له وللقريب، وهو ما سبق أن طالبهم به في الوصايا العشر التي كتبها على لوحي حجر. وليس معنى هذا أن الله يرفض شريعة الذبائح، فإنه «بدون سفك دمٍ لا تحصل مغفرة» (عب ٩:٢٢). ولكن المقصود أن تُقدَّم الذبائح من قلب مخلص نقي.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – الله يدين شعبه (آيات ١–٦)

ثانياً – العبادتان الطقسيَّة والروحية (آيات ٧–١٥)

ثالثاً – الله يوبّخ المنافقين (آيات ١٦–٢٣)

أولاً - الله يدين شعبه

(آيات ١-٦)

١ – **القاضي:** «إله الآلهة الرب تكلم، ودعا الأرض من مشرق الشمس إلى مغربها. من صهيون كمال الجمال الله أشرق» (آيتا ١ و٢). يقدم الله نفسه باعتباره رب الأرباب، وقاضي القضاة، الإله العادل القدوس، كامل الجمال الذي يشرق بشخصه وتعليمه على شعبه من عاصمة مملكته، فمن صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب (إش ٢:٣)، وفي هيكلها تُقدَّم ذبائح الكفارة والسلامة. ويستدعي هذا القاضي شعبه ليمثُل أمامه ليقدّم كل واحد منهم حساباً عما فعل. لقد سكت عن عقابهم فظنوه غير موجود، أو غير عابئ بشرورهم (آية٢١ من مزمورنا). إلا أنه إله الآلهة التي صنعها الناس، لأنه هو الذي صنع المواد التي صُنعت منها تلك الأوثان (ذهباً أو حجارة). وهو «إله الآلهة» أي رب القضاة، لأن من سلطة القاضي أن يصدر حكماً بالبراءة أو الإدانة. بهذا المعنى قال الله للقضاة إنهم آلهة (مز ٨٢:١–٤). فنحن إذاً أمام قاضي القضاة، إله الآلهة، الرب الذي يدعو كل الأرض من مشرق الشمس إلى مغربها لتشهد المحاكمة التي يحاكم بها شعبه، ويقول: «احكموا بيني وبين كرمي» (إش ٥:٣) «لأننا جميعاً سوف نقف أمام كرسي المسيح.. فإذاً كل واحدٍ منّا سيعطي عن نفسه حساباً لله» (رو ١٤:١٠ و١٢). بهذا سيفرح المؤمنون لأنه «لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح» (رو ٨:١). أما الأشرار فسيفزعون لأنه «أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل، برجلٍ (المسيح) قد عيَّنه. مقدّماً للجميع إيماناً إذ أقامه من الأموات» (أع ١٧:٣١).

٢ – **عظمة المحاكمة:** «يأتي إلهنا ولا يصمت. نار قدامه تأكل وحوله عاصف جداً» (آية ٣). ترمز النار إلى عدالة الله التي تحرق أعداءه وتبيدهم. ويرمز العاصف إلى قوته التي تبددهم

كالعصافة. «حينئذ يبصرون ابن الإنسان آتياً في سحابٍ بقوة كثيرة ومجد، فيرسل حينئذ ملائكته ويجمع مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء الأرض إلى أقصاء السماء» (مر ١٣: ٢٦ و٢٧). «إلهنا نار آكلة.. ركب على كروب وطار، وهفَّ على أجنحة الرياح.. من الشعاع قدامه عبرت سحبه: بَرَدٌ وجمر نار» (عب ١٢: ٢٩ ومز ١٨: ١٠ و١٢). «إذ هو عادلٌ عند الله أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً، وإياكم الذين تتضايقون راحةً معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته، في نار لهيب، معطياً نقمةً للذين لا يعرفون الله، والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح، الذين سيُعاقَبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوته» (٢تس ١: ٦-٩).

٣ - **شهود المحاكمة:** «يدعو السماوات من فوق، والأرض، إلى مُداينة شعبه» (آية ٤). لقد شهدت السماء والأرض عظمة معجزات عنايته بشعبه، فقد شقَّ لهم البحر الأحمر، وأمر عمود السحاب أن يظللهم من الشمس المحرقة. وها هو يدعوهما لتشهدا محاكمته العادلة لشعبه، ويقول: «اسمعي خصومة الرب أيتها الجبال، ويا أسس الأرض الدائمة، فإن للرب خصومة مع شعبه وهو يحاكم إسرائيل» (مي ٦: ٢).

٤ - **المدانون:** «اجمعوا إليَّ أتقيائي القاطعين عهدي على ذبيحة. وتُخبر السماوات بعدله لأن الله هو الديّان» (آيتا ٥ و٦). يأمر الله ملائكته أن يجمعوا «أتقياءه» (مت ٢٤: ٣١) وقد أطلق عليهم هذا اللقب لأنهم خاصته، ولو أن سلوكهم لم يكن مطابقاً للقبهم.

لقد دعا الرسول بولس أهل كورنثوس «قديسين» لأن هذا مقامهم في المسيح، مع أن القداسة لم تكن واقع حالهم، فوبّخ أخطاءهم ودعاهم لحياة التوبة والقداسة. ويبدأ الرب المحاكمة دوماً من أهل بيته المتعبّدين له، لأنه ينتظر منهم أن يكونوا أكثر الناس إدراكاً للعبادة الروحية، فقد قطعوا العهد معه على ذبيحة وتعهّدوا أن يطيعوه «وأرسل (موسى) فتيان بني إسرائيل فأصعدوا محرقات وذبحوا ذبائح سلامة للرب.. فأخذ موسى نصف الدم.. ورشّه على المذبح، وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب» (خر ٢٤: ٣-٨). وقال لشعبه: «إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب.. مملكة كهنة وأمة مقدسة» (خر ١٩: ٥ و٦). ولقد أدخلنا المسيح في عهد جديد بدمه (مت ٢٦: ٢٨)، هو ضامنه. وما دامت لنا امتيازات العهد فعلينا أيضاً مسؤولياته، وستشهد السماء للعدالة الإلهية «أخبرت السماوات بعدله، ورأى جميع الشعوب مجده» (مز ٩٧: ٦).

ثانياً - العبادتان الطقسيّة والروحية

(آيات ٧-١٥)

١ - **الله يعاتب شعبه:** «اسمع يا شعبي فأتكل، يا إسرائيل فأشهد عليك. الله إلهك أنا» (آية ٧). يعاتب الله شعبه لأنه صاحب الشريعة وصاحب العهد، ومع ذلك عصوه. ومع أنه أدخلهم في عهد معه فصاروا منتمين إليه، ومع أنهم قطعوا معه عهداً على ذبيحة، إلا أنهم خانوا العهد، فعاتبهم.

٢ - موضوع العتاب: (آيات ٨-١٣).

يعاتب الرب شعبه لأن عبادتهم كانت طقسية خالية من الروح. وهو لا يعاتبهم لأنهم قصّروا في تقديم الذبائح له، فقد قاموا بواجباتهم الطقسية كاملة.. طالبهم بتقديم خروفين يومياً، واحداً في الصباح وآخر في المساء (عدد ٢٨:٣ و٤)، ففعلوا. ولم يطالبهم بذلك لأنه محتاجٌ إلى الذبائح، بل إلى القلوب التي تنشغل به، وتتعبّد له حباً وطواعية. إنه يملك ألوف الحيوانات على ألوف الجبال، ويملك ألوف الطيور التي تملأ الفضاء، لأنه خالقها، ويعرف عددها. فليست الذبائح في ذاتها هي المهمة، بل القلوب المُحبّة هي التي تعنيه. لقد عاتبهم على فم النبي إرميا قائلاً: «لم أكلم آباءكم ولا أوصيتهم، يوم أخرجتهم من أرض مصر من جهة محرقة وذبيحة، بل إنما أوصيتهم بهذا الأمر قائلاً: اسمعوا صوتي فأكون لكم إلهاً وأنتم تكونون لي شعباً، وسيروا في كل الطريق الذي أوصيكم به» (إر ٧:٢٢ و٢٣). وقد تساءل النبي ميخا: «بِمَ أتقدَّم إلى الرب وأنحني للإله العلي؟.. هل يُسرُّ الرب بألوف الكباش..؟» فيجيب الرب: «تصنع الحق وتحب الرحمة، وتسلك متواضعاً مع إلهك» (مي ٦:٦-٨). إنه يطلب القلب المحب الذي يقدم الذبيحة، مثل قلب داود الذي قال: «مبارك أنت أيها الرب.. لأن لك كل ما في السماء والأرض.. وأنت تتسلّط على الجميع.. ولكن من أنا ومن هو شعبي حتى نستطيع أن ننتدب هكذا! لأن منك الجميع، ومن يدك أعطيناك» (اأخ ٢٩:١٠-١٤).

٣ - ضرورة العبادة الروحية: (آيتا ١٤ و١٥) يوضح الله أن العبادة الروحية تتطلب ثلاثة أشياء:

(أ) أن نحمده: «اذبح لله حمداً» (آية ١٤أ). «فلنقدّم به في كل حينٍ لله ذبيحة التسبيح، أي ثمر شفاهٍ معترفة باسمه» (عب ١٣:١٥). «فلك أذبح ذبيحة حمد، وباسم الرب أدعو» (مز ١١٦:١٧).

(ب) أن نوفي النذر: «أوفِ العلي نذورك» (آية ١٤ب). «أوفي نذوري للرب مقابل شعبه» (مز ١١٦: ١٨). «أما أنا فبصوت الحمد أذبح لك، وأوفي بما نذرته. للرب الخلاص» (يون ٢:٩). وكانت في العهد القديم ثلاثة أنواع من النذور:

* نذر النفس: فيمتنع عن أشياء محلّلة لغيره من المؤمنين لأنه «انفرز.. لينتذر للرب» (عدد ٦:٢-٢١).

* نذر الابن: «إذا أفرز إنسانٌ نذراً.. لذكرٍ.. لأنثى» (لا ٢٧:١-٨) كما نذرت حنة ابنها البكر الذي سيعطيه الرب لها، وقالت: «يا ربَّ الجنود، إذا نظرتَ نظراً إلى مذلة أَمَتك وذكرتني ولم تنسَ أمتَك، بل أعطيت أمتك زرع بشرٍ، فإني أعطيه للرب كل أيام حياته» (اصم ١:١١).

* نذر حيوان: «وإذا كان (النذر) بهيمة مما يقربونه قرباناً للرب، فكلُّ ما يعطي منه للرب يكون قدساً. لا يغيّره ولا يبدّله» (لا ٢٧:٩-١٣ و٢٧-٢٩).

(ج) أن نصلي: «ادعُني في يوم الضيق، أُنقذك فتمجدني» (آية ١٥). «اسألوا تعطوا».. ثم «اطلبوا تجدوا».. ثم «اقرعوا يُفتَح لكم» (مت ٧:٧). هذه ثلاث درجات للصلاة. «ادعُني في يوم الضيق» هذا تشجيع إلهي لنا. «أنقذك» فستجيء الاستجابة. «فتمجدني». حياة المؤمن تسير في دائرة متكاملة. نذبح

للعلي حمداً، ونوفيه نذورنا، وندعوه في يوم الضيق فينقذنا.. فنعود نذبح للعلي حمداً من جديد! «لك قال قلبي: قلتَ اطلبوا وجهي. وجهك يا رب أطلب» (مز ٢٧:٨).

ثالثاً - الله يوبّخ المنافقين

(آيات ١٦-٢٣)

١ – توبيخ النفاق: (آيات ١٦–٢١).

في الآيات السابقة (٧–١٥) وبّخ الله صاحب الديانة الطقسية، وطالبه أن تكون عبادته بالروح والحق. ثم أخذ في آيات ١٦–٢١ يوبّخ المنافق الذي يعلن بفمه الولاء لله، ولكن قلبه بعيدٌ عنه، فهو يكسر وصايا اللوح الأول من الوصايا العشر التي تتحدّث عن واجبات الإنسان من نحو الله، ووصايا اللوح الثاني، التي تتعلق بواجباته من نحو البشر.

(أ) **كسر وصايا اللوح الأول**: «وللشرير قال الله: ما لك تحدث بفرائضي وتحمل عهدي على فمك، وأنت قد أبغضت التأديب وألقيت كلامي خلفك؟» (آيتا ١٦ و١٧). عندما سمع الشعب المكتوبَ في «كتاب العهد» قالوا: «كل ما تكلم به الرب نفعل، ونسمع له» (خر ٢٤:٧). ولكنهم لم ينفذوا ما وعدوا به، فقال الله: «هذا الشعب قد اقترب إليَّ بفمه، وأكرمني بشفتيه، وأما قلبه فأبعده عني» (إش ٢٩:١٣. راجع مر ٧:٦).

(ب) **كسر وصايا اللوح الثاني**: (آيات ١٨–٢٠).

* سرقوا: «إذا رأيت سارقاً وافقته» (آية ١٨أ). فكسروا الوصية الثامنة (خر ٢٠:١٥).

* زنوا: «ومع الزناة نصيبك» (آية ١٨ب). فكسروا الوصية السابعة (خر ٢٠:١٤).

* شهدوا زوراً: «أطلقت فمك بالشر ولسانك يخترع غشاً. تجلس تتكلم على أخيك. لابن أمك تضع معثرة» (آيتا ١٩ و٢٠). فكسروا الوصية التاسعة (خر ٢٠:١٦).

٢ – عواقب النفاق: «هذه صنعتَ، وسكتُّ. ظننتَ أني مثلك. أوبّخك وأصفُّ خطاياك أمام عينيك» (آية ٢١). أطال الله أناته على المنافق، ولم يسرع بعقابه ليعطيه فرصة ليتوب، فظنَّ المنافق أن الله ينسى، أو لا يبالي. ولعله شارك القائلين: «إن الرب لا يُحسِن ولا يسيء» (صف ١:١٢). ويقدم الإنجيل نصيحة لهذا المنافق: «أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالمٍ أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة؟ ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة، الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله» (رو ٢:٤–٦).

٣ – علاج الطقسيّة وعلاج النفاق: (آيتا ٢٢ و٢٣).

في هاتين الآيتين يخاطب الله أصحاب الديانة الروتينية الخالية من الروح، كما يخاطب المنافقين، مقدّماً لهم علاج خطيتهم:

(أ) ذِكر الله: «افهموا هذا أيها الناسون الله لئلا أفترسكم ولا منقذ» (آية ٢٢). نسيان الله هو أساس الخطايا، وعاقبته وخيمة، لأن الإنسان يتصرف وكأن الله غير موجود! فإن لم يذكروا الله في كل ما يفعلون فإنه يفترسهم كأسد، ولا منقذ لهم.

(ب) شُكر الله: «ذابح الحمد يمجدني والمقوّم طريقه أُريه خلاص الله» (آية ٢٣). تنتج العبادة الروحية دائماً الخلاص من الخطية ومن كل ضيق، من الماضي وفي الحاضر وفي المستقبل أيضاً.

يعلّمنا هذا المزمور أن الله لا يهتم بكمية العطايا التي نعطيها، ولكن بحالة قلب المعطي. وهو لا يهتم بجمال صوت المرنمين، لكن بمقدار الحب الموجود في قلوبهم. ولا تعنيه مظاهر العبادة الخارجية، لكن حالة القلب الداخلية. «الله روح، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا» (يو ٤: ٢٤). «ذابح الحمد يمجّدني، والمقوّم طريقه أريه خلاص الله» (مز ٥٠: ٢٣).

المزمور الحادي والخمسون

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ عِنْدَمَا جَاءَ إِلَيْهِ نَاثَانُ ٱلنَّبِيُّ بَعْدَ مَا دَخَلَ إِلَى بَثْشَبَعَ
١ اِرْحَمْنِي يَا اَللّٰهُ حَسَبَ رَحْمَتِكَ. حَسَبَ كَثْرَةِ رَأْفَتِكَ ٱمْحُ مَعَاصِيَّ. ٢ ٱغْسِلْنِي كَثِيراً
مِنْ إِثْمِي وَمِنْ خَطِيَّتِي طَهِّرْنِي. ٣ لِأَنِّي عَارِفٌ بِمَعَاصِيَّ وَخَطِيَّتِي أَمَامِي دَائِماً. ٤ إِلَيْكَ
وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ وَٱلشَّرَّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ، لِكَيْ تَتَبَرَّرَ فِي أَقْوَالِكَ وَتَزْكُوَ فِي قَضَائِكَ.
٥ هَئَنَذَا بِٱلْإِثْمِ صُوِّرْتُ وَبِالْخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمِّي.
٦ هَا قَدْ سُرِرْتَ بِٱلْحَقِّ فِي ٱلْبَاطِنِ، فَفِي ٱلسَّرِيرَةِ تُعَرِّفُنِي حِكْمَةً. ٧ طَهِّرْنِي بِٱلزُّوفَا
فَأَطْهُرَ. ٱغْسِلْنِي فَأَبْيَضَّ أَكْثَرَ مِنَ ٱلثَّلْجِ. ٨ أَسْمِعْنِي سُرُوراً وَفَرَحاً فَتَبْتَهِجَ عِظَامٌ
سَحَقْتَهَا. ٩ ٱسْتُرْ وَجْهَكَ عَنْ خَطَايَايَ وَٱمْحُ كُلَّ آثَامِي.
١٠ قَلْباً نَقِيّاً ٱخْلُقْ فِيَّ يَا اَللّٰهُ وَرُوحاً مُسْتَقِيماً جَدِّدْ فِي دَاخِلِي. ١١ لَا تَطْرَحْنِي مِنْ
قُدَّامِ وَجْهِكَ، وَرُوحَكَ ٱلْقُدُّوسَ لَا تَنْزِعْهُ مِنِّي. ١٢ رُدَّ لِي بَهْجَةَ خَلَاصِكَ، وَبِرُوحٍ
مُنْتَدِبَةٍ ٱعْضُدْنِي. ١٣ فَأُعَلِّمَ ٱلْأَثَمَةَ طُرُقَكَ، وَٱلْخُطَاةُ إِلَيْكَ يَرْجِعُونَ.
١٤ نَجِّنِي مِنَ ٱلدِّمَاءِ يَا اَللّٰهُ إِلٰهَ خَلَاصِي فَيُسَبِّحَ لِسَانِي بِرَّكَ. ١٥ يَا رَبُّ ٱفْتَحْ شَفَتَيَّ
فَيُخْبِرَ فَمِي بِتَسْبِيحِكَ. ١٦ لِأَنَّكَ لَا تُسَرُّ بِذَبِيحَةٍ وَإِلَّا فَكُنْتُ أُقَدِّمُهَا. بِمُحْرَقَةٍ لَا تَرْضَى.
١٧ ذَبَائِحُ ٱللّٰهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ. ٱلْقَلْبُ ٱلْمُنْكَسِرُ وَٱلْمُنْسَحِقُ يَا اَللّٰهُ لَا تَحْتَقِرُهُ.
١٨ أَحْسِنْ بِرِضَاكَ إِلَى صِهْيَوْنَ. ٱبْنِ أَسْوَارَ أُورُشَلِيمَ. ١٩ حِينَئِذٍ تُسَرُّ بِذَبَائِحِ ٱلْبِرِّ،
مُحْرَقَةٍ وَتَقْدِمَةٍ تَامَّةٍ. حِينَئِذٍ يُصْعِدُونَ عَلَى مَذْبَحِكَ عُجُولاً.

إليك وحدك أخطأت

هذا واحد من مزامير التوبة السبعة (هي ٦ و٣٢ و٣٨ و٥١ و١٠٢ و١٣٠ و١٤٣). كتبه داود اعترافاً بخطية مؤلمة، انتزع فيها لنفسه نعجة الرجل الفقير، ونام فيها ضميره حتى أيقظه ناثان النبي، فاكتشف خطأه واعترف به، وقال: «قد أخطأتُ إلى الرب». فقال له ناثان: «الرب أيضاً قد نقل عنك خطيئتك. لا تموت» (٢صم ١٢:١٣). وقيل عن داود: «عمل ما هو مستقيم في عيني الرب، ولم يحِدْ عن شيء مما أوصاه به كل أيام حياته، إلا في قضية أوريا الحثي» (١مل ١٥:٥).

وكثيراً ما يسأل الإنسان نفسه: لماذا سجّل لنا الوحي أخطاء المؤمنين المتقدمين في الإيمان؟ ولماذا يبدأ هذا المزمور بذكر السبب السيئ الذي دعا لكتابته؟ أما كان يجب أن نخفي أخبار هذه الخطية؟ (القصة في ٢صم ١١). فتأتينا الإجابة:

١ – سجّل لنا الوحي هذه الخطايا ليعلّمنا أننا جميعاً خطاة. «كلنا كغنم ضللنا. ملنا كل واحد إلى طريقه» (إش ٦:٥٣). وأن مخلّصنا الوحيد هو المسيح، الذي زار أرضنا مدة ثلاث وثلاثين سنة، لم يخطئ أبداً، ولذلك فهو الواحد الوحيد الذي يمكن أن يكون شفيعنا وغافر خطايانا، لأنه هو ذاته في غير حاجة إلى شفيع. عنه قال الإنجيل: «ليس بأحدٍ غيره الخلاص، لأن ليس اسمٌ آخر تحت السماء قد أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص» (أع ١٢:٤). هو الذي قدّم نفسه عنا فديةً وكفارةً فوجد لنا فداءً أبدياً (عب ٢٥:٧-٢٨).

٢ – يريد الله أن يشجعنا، فلا توجد خطية أكبر من أن تُغفر بفضل كفارة المسيح. فإن كانت خطايانا كالقرمز تبيضُّ كالثلج، وإن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف (إش ١٨:١). والله أمينٌ لحبه وعادلٌ لقضائه، لذلك استوفى أجرة الخطية في كفارة المسيح. فإن اعترفنا له بخطايانا، واحتمينا في فدائه، يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم (١يو ٩:١). فلنأت إلى مخلصنا الذي قال: «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى.. لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة» (متى ١٢:٩ و١٣).

هذا هو الإنجيل: الخبر المفرح! إن الله في محبته جاء إلينا ونحن في هوّة خطايانا، ومدَّ لنا يد الحب. «الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه، غير حاسبٍ لهم خطاياهم» (٢كو ١٩:٥). لم يقل إن الله يتصالح معنا، لأن الله لم يكن أبداً في خصام معنا، فالله هو الحب الغافر دائماً. لكن نحن احتجنا إلى المصالحة لأننا أخطأنا وعوّجنا المستقيم، فجاءنا في حبه الأزلي الكامل ليقدم لنا المغفرة. ومزمورنا ترتيلة نرتلها كلنا مهما أخطأنا وابتعدنا، واثقين أن الله المحب يقبل التائبين.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – طلب التطهير من العمل الشرير (آيات ١-٤)

ثانياً – طلب التطهير من الطبيعة الشريرة (آيات ٥-٨)

ثالثاً – عودة لطلب الغفران والتجديد (آيات ٩-١٢)

رابعاً – عهود المرنم بعد الغفران (آيات ١٣-١٩)

أولاً - طلب التطهير من العمل الشرير

(آيات ١-٤)

يطلب المرنم من الرب أن يغفر له وأن يطهره، لأنه معترفٌ بخطيته، تائب عنها، وهو يحتمي في رحمة الله وحدها، لأن «من يكتم خطاياه لا ينجح، ومن يُقرُّ بها ويتركها يُرحَم» (أم ١٣:٢٨).

في هذه الآيات الأربع نجد وصفاً للشر، ثم نجد علاجه:

١ - وصف الشر:

(ا) **إنه معصية:** «امحُ معاصيَّ» (آية ١) «لأني عارفٌ بمعاصيَّ» (آية ٣). والمعصية في اللغة العبرية هي ثورة ضد الله. والعاصي هو الذي يحسب وصايا الله ظالمة، فيرتكب ما تمنعه عنه. المعصية تقول لله: أنا غير راضٍ عما وضعته لي من قوانين. أنا ثائرٌ ضدك!.. كانت معصية آدم أنه أكل من الشجرة المنهيّ عنها، وجاء من نسله من يقول لله: «ابعُد عنا. بمعرفة طرقك لا نُسرّ» (أي ٢١:١٤ و٢٢:١٧).

(ب) **إنه إثم:** «اغسلني كثيراً من إثمي» (آية ٢) «هأنذا بالإثم صُوّرت» (آية ٥). والإثم هو العَوَج، والأعوج هو الأثيم. ونلاحظ العوَج في حالة داود، فقد خرج الجيش ليحارب بينما بقي القائد الأعلى للجيش في قصره! وعندما كان شعبه يجاهد كان هو على سطح بيته يجيل بصره في ما حوله. واشتهى ما رأى، وحاول أن يموّه، واستدعى زوج السيدة ثم أمر بقتله. واستخدم سلطانه الملكي ليحاول تغطية خطيته.

(ج) **إنه خطية:** «من خطيتي طهّرني» (آية ٢) «إليك وحدك أخطأت» (آية ٤) «بالخطية حبلت بي أمي» (آية ٥). الخطية هي أن يخطئ الإنسان الهدف فلا يصيبه. لكل منا هدف أوجدنا الله في العالم لنحققه. وعندما نخطئ تحقيقه نكون قد ارتكبنا الخطية. وقد يكون سبب ذلك أننا قصيرو النظر، فلا ننظر إلى بعيد. لم يفكر داود في آثار الخطأ الذي سيرتكبه على نفسه كنبي وقائد وملك، وعلى شعبه الذي سيُصدَم في بطله، وعلى الأجيال القادمة. لقد استولت اللحظة الآنيّة على مشاعره، فلم يعد يرى ما هو أبعد مما تحت رجليه. والإنسان يخطئ الهدف أيضاً بسبب سوء التقدير، وما أكثر ما نسيء تقدير مقامنا في المسيح بعد أن أنعم علينا بالتبني فلا نقوم بما ينتظره منا (١يو ٣:١). ونسيء تقدير كرامة الإنسان الآخر الذي يجب أن نحبه كنفوسنا (مر ١٢:٣١).

(د) **إنه عمل الشر:** «الشرَّ قدام عينيك صنعتُ» (آية ٤). والشر هو عبور الحدود التي رسمها الله وأمرنا ألا نتعداها. وعندما نتخطاها نرتكب الشر. من المؤسف أن الجانب الآخر من السور يبدو أكثر خضرة، والإنسان دائماً يشتهي ما ليس له، فإن «المياه المسروقة حلوة، وخبز الخفية لذيذ» (أم ٩:١٧). فالخطية هي التعدي (١يو ٣:٤).

٢ - علاج الشر: لعلاج الشر جانبان، جانب إنساني وجانب إلهي:

(أ) **الجانب الإنساني:** كم نحترم داود لأنه كتب هذا المزمور وكان فيه صادقاً مع نفسه ومع الله:

(١) اعترف بخطيته: «لأني عارفٌ بمعاصيَّ، وخطيتي أمامي دائماً» (آية ٣). اعترف أن الخطية خطيته هو. لم يلقِ باللوم في ما ارتكب على الآخرين، ولكنه لوّم نفسه قبل كل شيء وقبل كل شخص. والإنسان الذي يريد أن يعترف للرب لا يجب أن يجيء بأعذار، بل يأتي معترفاً بخطيته في صدق حقيقي.

(٢) اعترف أنه أخطأ ضد الله: «إليك وحدك أخطأت، والشر قدام عينيك صنعت» (آية ٤). اعترف بعظمة الجُرم لأنه عصى وصية الله، ولم يحاول أن يُنقِص بشاعة ما فعل. ومن قبله قال يوسف الصدّيق، وهو يرفض خطية كالتي وقع فيها داود: «كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله!» (تك ٩:٣٩). ولا ينكر داود بهذا أنه أخطأ ضد السيدة بثشبع، وضد أوريا زوجها، وضد يوآب قائد الجيش الذي أمره أن يقتل أوريا. ولكنه اعتبر خطيته أولاً وقبل كل شيء ضد الله، لأن الذي يحب الله يحب أخاه أيضاً. ثم أنه كملكٍ اعتبر نفسه وكيلاً عن الله ليحكم بالعدل والشريعة. وعندما تعداهما اعتبر نفسه وكيلاً خائناً.

(٣) واعترف بعدالة الله: «لكي تتبرر في أقوالك وتزكو في قضائك» (آية ٤). إن أية عقوبة يوقّعها الله عليه هي عدالة إلهية يستحقها، ويقبلها بغير مناقشة ولا تذمر، فلا مجال للخطأ في إعلان قضاء الله على الخاطئ، ولا في تنفيذ ذلك القضاء، كما قال اللص المصلوب التائب: «أما نحن فبعدلٍ (نُعاقَب) لأننا ننال استحقاق ما فعلنا» (لو ٤١:٢٣). وقد اقتبس الرسول بولس هذه الآية (عن الترجمة السبعينية) «لكي تتبرر في كلامك، وتغلب متى حوكمت» (رو ٤:٣).

(ب) الجانب الإلهي:

(١) رحمة الله: «ارحمني يا الله حسب رحمتك. حسب كثرة رأفتك» (آية ١). فالغفران يتوقّف على الرحمة وحدها، بدون أي فضل للإنسان. الرب رحيم ورؤوف، طويل الروح وكثير الرحمة. مثل ارتفاع السماوات فوق الأرض قويت رحمته على خائفيه (مز ٨:١٠٣ و١١). «الله الذي هو غني في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أموات بالخطايا، أحياناً مع المسيح.. لأنكم بالنعمة مخلّصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم. هو عطية الله. ليس من أعمال كي لا يفتخر أحد» (أف ٤:٢ و٥ و٨ و٩).

(٢) ما يعمله الله:

(أ) يمحو المعصية: «امْحُ معاصيَّ» (آية ١). تُكتب الخطية في سفر الرب، ويطلب المعترف مَحْوها حتى لا تعود توجد، ليتحقّق وعدُ الله أن كل خطية نعترف بها لا يعود يذكرها فيما بعد، لأن المسيح يسدّد عن الخاطئ المعترف التائب ديون خطاياه، ولا يمكن أن عدالة الله تستوفي الدَّين مرتين. «إذ كنتم أمواتاً في الخطايا.. أحياكم معه، مسامحاً لكم بجميع الخطايا، إذ محا الصك الذي علينا.. الذي كان ضداً لنا» (كو ١٣:٢ و١٤). «يرحمنا. يدوس آثامنا، وتُطرح في أعماق البحر جميع خطاياهم» (مي ١٩:٧). فلا يحاسبنا عليها. ينسى خطايانا فلا توجد أمام عينيه، ويقول لنا: «أنا أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي. وخطاياك لا أذكرها.. قد محوتُ كغيمٍ ذنوبك، وكسحابة خطاياك. ارجع إليَّ لأني فديتك» (إش ٢٥:٤٣ و٢٢:٤٤). وعندما يتم هذا الرجوع بالتوبة إلى الله يقول التائب مع الملك حزقيا: «طرحتَ وراء ظهرك كل خطاياي» (إش ١٧:٣٨).

(ب) يغسل القلب: «اغسلني كثيراً من إثمي» (آية ٢) بمعنى: انفُض عني كل خطإٍ، وأخرج من داخلي كل ما علق بي من أقذار وشهوات، وما تخلل نسيج حياتي من شرور. وقد استوحى المرنم

فكرته من طريقة تنظيف الثياب بخَبْطها على حجر إلـى جوار ماء جارٍ. وهو يطـالب الرب بغسل أقذار الخطية عنه مهما كان هذا مؤلماً له، فإن آلام التطهير أقل من آلام الأقذار، و«الذي يحبه الرب يؤدّبه، ويجلد كل ابن يقبله» (عب ١٢:٦).

(ج) **يطهّر**: «من خطيتي طهّرني» (آية ٢). وهو تعبير مستعار من شريعة تطهير الأبرص، الذي إذا اقترب منه سليم يجب أن يصرخ: «نجس! نجس!» حتى لا يُصاب السليم بالعدوى. وعندما يكرم الله أبرصاً بالشفاء كان يأخذ من الكاهن شهادة تطهير ليقدر أن يعود إلى مجتمع الأصحاء (لا ١٣). وقد شعر المرنم أنه نجسٌ كالأبرص، يحتاج إلى شفاء، وإلى إعلان ذلك الشفاء.

ثانياً - طلب التطهير من الطبيعة الشريرة

(آيات ٥-٨)

١ - الطبيعة الإنسانية الشريرة: «هأنذا بالإثم صُوِّرت، وبالخطية حبلت بي أمي» (آية ٥). عندما ارتكب داود خطيته حاول أن يخفيها، ولما كشفها الله له أدرك شناعتها، واعترف بها وتاب عنها، وقبل الله توبته. وفتح هذا الإدراك عينيه إلى أن خطأه لم يكن مجرد نزوة عابرة، لكنه الفساد الذي وُلد به، والكامن في طبيعته.

ولا يقصد داود أن يوجّه لوالدته أية تهمة أخلاقية، وهو القائل إنها «أَمَة الله» (مز ٨٦:١٦ و١١٦:١٦). ولا يمكن أن يكون قد رأى شراً في عملية التناسل التي خلقها الله في الإنسان وأمر أن «أثمروا واكثروا واملأوا الأرض» (تك ١:٢٨) ما دام هذا يتم بالطريق الصحيح، الذي يقول فيه: «ليكن الزواج مكرّماً عند كل واحد، والمضجع غير نجس» (عب ١٣:٤). ولكنه يرى ميوله المناقضة لمشيئة الله، كما قال إشعياء النبي: «ويلٌ لي إني هلكت، لأني إنسان نجس الشفتين، وأنا ساكنٌ بين شعبٍ نجس الشفتين» (إش ٦:٥). وكما قال الرسول بولس: «فإني أعلم أنه ليس ساكناً فيَّ، أي في جسدي، شيء صالح.. لأني لستُ أفعل الصالح الذي أريده، بل الشر الذي لست أريده فإياه أفعل!» (رو ٧:١٨ و١٩).

٢ - علاج الطبيعة الإنسانية الشريرة: (آيات ٦-٨).

(ا) **الحكمة السماوية**: «ها قد سُررتَ بالحق في الباطن، ففي السريرة تعرّفني حكمة» (آية ٦). لم تكن هناك حكمة في كل ما فعله داود ببتشبع، فالخطية جهالة، وهي لا تستحق الثمن المدفوع فيها. ولكن «مخافة الرب هي الحكمة، والحيدان عن الشر هو الفهم» (أي ٢٨:٢٨). لقد ظل داود يؤدي كل فروض العبادة الشكلية، بغير علاقة سليمة مع الله، دون أن يدري حجم مأساته، وهذه جهالة. كانت هناك هوّة واسعة بين ما يُرضي الله وما ارتكبه، وهذه أيضاً جهالة منه. أما مسرّة الله فهي بأمانة نيّة الإنسان وصدق مشاعره اللذين يظهران في الإخلاص الكامل إنسان القلب الخفي (١بط ٣:٤)، والعبادة الحقيقية، وليس في مجرد أداء فروض العبادة الشكلية. ولا يحصل الإنسان عليهما إلا بالحكمة «التي من فوق، فهي أولاً طاهرة، ثم مسالمة، مترفّقة، مذعنة، مملوّة رحمة وأثماراً»

(يع ٣:١٧). فإن كان أحدنا تعوزه حكمة «فليطلب من الله الذي يعطي الجميع بسخاء ولا يعيّر، فسيُعطى له» (يع ١:٥). و«بدء الحكمة مخافة الرب، ومعرفة القدوس فَهمٌ» (أم ٩:١٠).

في كل مرة نتصرف تصرفاً سيئاً، أو نجرح مشاعر إنسان بكلمة قاسية، أو نؤذي أنفسنا بما نرتكبه من خطأ، نحتاج أن ندعو الله ليعرّفنا حكمة في سريرة (أعماق) نفوسنا لنُصلح الخطأ، ولا نعود إليه.

(ب) **الطهارة**: «طهّرني بالزوفا فأطهُر. إغسلني فأبيضّ أكثر من الثلج» (آية ٧). والزوفا نبات عشبي عطري الرائحة، ينمو على الحوائط، وكان يُستخدم في حُزم صغيرة، ويُستعمل للتطهير من البرص (لا ١٤:٤ و٦) ومن الأوبئة (لا ١٤:٤٩ و٥١) وللطهارة الطقسية (عد ١٩:٦ و١٨). كما كانوا يرشّون به الدم (خر ١٢:٢٢ وعب ٩:١٩). وكانوا يغسلون الثياب دلالة على التطهير. ويقصد المرنم أن يطهره الله من الداخل بعمل النعمة، لا بيد كاهنٍ وطقوس. وكانت كل هذه الأعمال التطهيرية التي ذكرتها التوراة ترمز إلى التطهير بدم المسيح «حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو ١:٢٩). ويقول المسيح عن الأتقياء الذين رفع خطيتهم: «لم ينجّسوا ثيابهم، فسيمشون معي في ثياب بيض لأنهم مستحقّون» (رؤ ٣:٤).

(ج) **الاستماع لصوت الرب**: «أسمِعني سروراً وفرحاً فتبتهج عظامٌ سحقتها» (آية ٨). وكلمات السرور والفرح هي كلمات الله التي تؤكد الحب والقبول والغفران، وعندها تبتهج العظام المنسحقة تحت تأنيب الضمير. وكم نفرح ونحن نسمع المسيح يقول: «من يُقبل إليَّ لا أخرجه خارجاً» (يو ٦:٣٧). «تعالوا إليَّ يا جميع المتعَبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (متى ١١:٢٨). «فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة، لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه» (عب ٤:١٦).

ثالثاً - عودة لطلب الغفران والتجديد

(آيات ٩-١٢)

في هذه الآيات يعود المرنم لطلب الغفران والتجديد. ويطلب من الله أربعة أمور:

١ - **الستر**: «استُر وجهك عن خطاياي، وامحُ كل آثامي» (آية ٩). والستر والمحو هما نتيجة للكفارة والفداء. وكأن المرنم يقول: «ضع دمك عليَّ لتكفّر عني». وكلمة «كفارة» في اللغة العبرية هي «كافار» التي أُخذت منها الكلمة الإنجليزية cover وتعني الستر والتغطية.

ومهما بلغت درجة طهارة المؤمن الذي منحه الله الغفران، سيظل محتاجاً إلى المزيد من الغفران، كما قال المسيح لبطرس: «الذي قد اغتسل ليس له حاجة إلا إلى غسل رجليه، بل هو طاهر كله» (يو ١٣:١٠). فالذي يطهّره المسيح بكفارته هو طاهر، وصاحب موقف سليم أمام الله، ولكنه يحتاج إلى غسلٍ يومي جديد، ويحتاج أن يستر الله وجهه عن خطاياه وآثامه المتناثرة على ثوبه الأبيض. هناك خطايا وضعفات شخصية تُثقل كاهل الإنسان منا، وهناك خطايا اجتماعية تحيط بنا بسهولة.

ونحتاج أن نتخلّص منها كلها (عب ١٢:١). ونشكر الله أنه دبّر لنا الخلاص والإنقاذ، فإنه «إن حرَّركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يو ٨:٣٦).

٢ – **القلب النقي:** «قلباً نقياً اخلُق فيَّ يا الله، وروحاً مستقيماً جدّد في داخلي» (آية ١٠). لا يكتفي المرنم بالغفران والتطهير، فيطلب من قوة الله الخالقة أن تمنحه قلباً جديداً نقياً، وأن تجدد في داخله روحاً مستقيماً، بحسب وعده: «أعطيكم قلباً جديداً، وأجعل روحاً جديدة في داخلكم، وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم، وأجعل روحي في داخلكم» (حز ٣٦:٢٦ و٢٧). وهذا ما قاله المسيح لنيقوديموس: «ينبغي أن تولدوا من فوق» (يو ٣:٧). وهو ما وُصف بالقول: «إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً» (٢كو ٥:١٧).

لما يعطينا الله حكمة في «السريرة»، وهي أعماق النفس (آية ٦) نفهم كلمة الله فنقول: «خبأت كلامك في قلبي لكيلا أخطئ إليك» (مز ١١٩:١١) ونصبح مستعدين لأن يكون فينا القلب النقي المغتسل بكفارة دم المسيح، وبعمل الروح القدس، فندرك مع داود أن خطية واحدة نرتكبها تؤدي بنا إلى ارتكاب مزيد من الخطايا لنستر خطيتنا الأولى، لأن الخطية سلسلة متصلة من العوَج والإثم. ولكن عندما يخلق الله فينا القلب النقي والروح المستقيم، نسلك باستقامة بحسب قلبه.

٣ – **طلب استمرار عمل الروح القدس فيه:** «لا تطرحني من قدام وجهك، وروحك القدوس لا تنزعه مني» (آية ١١). الطرح من أمام وجه الرب هو النفي من الأرض المقدسة، ومن جماعة الرب، ومن عهده، ومن رضاه. ويالها من عقوبة قاتلة، تجعل الإنسان ضمن الوثنيين الغرباء عن عهود الموعد، الذين لا رجاء لهم، وبلا إله في العالم (أف ٢:١٢). ويطلب داود أن يقيه الله هذا المصير السيئ، ليستمر ضمن جماعة الرب.

ويطلب المرنم أن يستمر الروح القدس عاملاً فيه، يبكته على خطاياه، ويجدد حياته الروحية، ويطهره ويقدسه. وكان روح الله قد فارق شاول الملك العاصي فهلك منتحراً، وكان قد حلّ على داود (اصم ١٦:١٣ و١٤). فخشي داود أن يفارقه روح الرب لأنه أحزنه ولم يطِع توجيهاته، فيكون مصيره مثل مصير سابقه شاول، فطلب من الله ألا ينزع منه ذلك الروح المقدّس.

وقد أعطى الرب المؤمنين بالمسيح مسحة الروح القدس ابتداءً من يوم الخمسين (أع ٢:٤ و ايو ٢:٢٧). وعلى المؤمنين أن يحترسوا من أن يطفئوا عمل الروح فيهم (اتس ٥:١٩). فلنمثُل في حضرته السماوية ليكون ماثلاً أمام عيوننا باستمرار، يبكتنا روحه القدوس على خطايانا ويعلمنا طريقه والمسحة التي أخذناها منه هي تعلمنا كل شيء، وتذكّرنا بكل ما قاله المسيح لنا (ايو ٢:٢٠).

٤ – **فرح الخلاص:** «رُدّ لي بهجة خلاصك، وبروحٍ منتدبة اعضُدني» (آية ١٢). يطلب المرنم بهجة الخلاص التي ضاعت منه، ويطلب روحاً منتدبة تعطي الآخرين طوعاً وبسخاء، بغير إلزام من أحد. وواضح من طلب «رد بهجة الخلاص» أن المرنم لم يفقد خلاصه لما أخطأ، لكنه فقد فقط «بهجة خلاصه» فلم يُعد بعد قادراً أن يختبر أن الرب نوره وخلاصه، ولا أن يخاطبه بدالة البنين: «أحبك يا رب يا قوتي.. قرن خلاصي وملجإي» (مز ١٨:١). صحيحٌ أن انتماءه للرب باقٍ وسيظل، لأن الله

سبق وأنعم عليه بالتبني، وهو الذي اختاره (يو ١٥:١٦). ولكن استمتاعه بالرب هو الذي ضاع منه بسبب الخطية التي فصلته عن متعة التواجد في حضرة الرب. «آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم، وخطاياكم سترت وجهه عنكم» (إش ٢:٥٩). وعندما يردّ الرب لنا بهجة خلاصنا تكون لنا شركة دائمة ومستمرة معه، لا يعطلها شيء، فنسمع بركته: «نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله، وشركة الروح القدس مع جميعكم» (٢كو ١٤:١٣)، وننال قوته «لأن فرح الرب هو قوتكم» (نح ١٠:٨).

وعندما يعطينا الرب الروح المنتدبة نتبرَّع بسخاء، لأن المعطي المسرور يحبه الله (٢كو ٧:٩)، فلا نأخذ ما لا يحق لنا، بل نعطي مما أعطانا الله. أخذ داود نعجة جاره الفقير، وهو هنا يطلب أن يتغيّر إلى منتدب معطاء، يتحقق فيه الوصف: «لا يسرق السارق فيما بعد، بل بالحري يتعب عاملاً الصالح بيديه، ليكون له أن يعطي من له احتياج» (أف ٢٨:٤).

رابعاً - عهود المرنم بعد الغفران

(آيات ١٣-١٩)

بعد أن شعر داود بخطيته طلب من الله أن يرحمه ويطهره من عمله الشرير ومن طبيعته الشريرة. ثم عاد يكرر الطلب ليحصل على الغفران والتجديد. وبعد أن اطمأن لاستجابة دعائه، أخذ يفكر في ردّ شيء بسيط من ديونه لله، لا بالكلام فقط، بل بالعمل أيضاً، فتعهد لله بأربعة أمور:

١ - **تعهدٌ بالكرازة:** «فأعلّم الأثمةَ طرقك، والخطاةُ إليك يرجعون» (آية ١٣). بعد أن شفاه الله من لوثة الخطية، أراد أن ينقذ الملوثين. لقد شاعت أخبار خطية داود في الجيش وفي كل البلاد. فهل يقدر بعد ذلك أن يعلّم الأثمةَ طريق الله فيَرجع الخطاة؟ نعم، لأن هذا واجبه وامتيازه. عندما نخطئ نختبر ضعفنا الإنساني، وندرك الحب الإلهي الذي يصفح ويغفر، فنصبح أكثر رقّة مع الخطاة، وأكثر رأفةً مع البعيدين. فعندما نرى شخصاً يخطئ لا نهاجمه وندينه لأننا أفضل منه، بل نتعاطف معه لأننا سبق وأخطأنا كما أخطأ، واعترفنا فحصلنا على الغفران، فنقدم للمخطئ رسالة الحب الإلهي التي لا زلنا نتمتع بها، نحن و«كل الذين قبلوه، فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه» (يو ١٢:١).

إننا مطالبون أن نعطف على الخطاة الساقطين، كما أحب المسيح العشارين والخطاة الذين لا يحبهم أحد (لو ٣٤:٧)، لأن «من ردَّ خاطئاً عن ضلال طريقه يخلِّص نفساً من الموت، ويستر كثرة من الخطايا» (يع ٢٠:٥). ويجب أن نطيع الوصية: «كونوا لطفاء بعضكم نحو بعض، شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضاً في المسيح» (أف ٣٢:٤). ونذهب لنتلمذ جميع الأمم (متى ١٩:٢٨).

٢ - **تعهدٌ بالتسبيح:** «نجّني من الدماء يا الله إله خلاصي، فيسبح لساني برّك. يا رب افتح شفتيَّ فيخبر فمي بتسبيحك» (آيتا ١٤ و١٥). يطلب داود من إله خلاصه أن يؤكد له النجاة والخلاص من

عقوبة الدم البريء الذي سفكه، وعندها يرتفع صوت التسبيح والتمجيد لله إله البر، الأمين لعهوده وكلمته. لقد وعد أن يغفر للمعترف المحتمي في الفداء الإلهي العظيم، ولا بد أن يحقّق الوعد لداود (ايو ٩:١). وسواء عاقب الله أو عفا، فهو إله البر والعدالة والأمانة. لقد انغلقت شفتا داود عن التسبيح بسبب الشعور بالذنب، فطلب من الرب الذي منحه الغفران أن يمنح شفتيه نعمة الترتيل. كان شبيهاً بالأبرص المعزول عن جماعة الرب. أما وقد رجع فسينضم مع العابدين الذين يُخبرون بفضل الذي دعاهم من الظلمة إلى نوره العجيب (١بط ٩:٢).

٣ - **تعهدٌ بتقديم ذبيحة مقبولة:** «لأنك لا تُسرّ بذبيحة، وإلا فكنت أقدمها، بمحرقة لا ترضى. ذبائح الله هي روح منكسرة. القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره» (آيتا ١٦ و١٧). لم تكن في شريعة موسى ذبيحة أو محرقة عن الخطية التي يرتكبها صاحبها متعمّداً، خصوصاً خطيتي الزنا والقتل. ولو كانت هناك مثل هذه الذبائح أو المحرقات لقدّمها داود. أما وقد غفر الله له، فإنه يشعر بالتواضع والانكسار والانسحاق أمام الله. وهو يدرك أن الله لا يحتقر القلب الخاضع التائب، الخجلان من خطيته، الذي يقف من بعيد، لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء، بل يقرع على صدره قائلاً: «اللهم ارحمني أنا الخاطئ» (لو ١٣:١٨). وهو الذي يقول: «بذبيحة وتقدمة لم تُسرّ. أذنيَّ فتحت. محرقةً وذبيحة خطية لم تطلب» (مز ٦:٤٠). إنه الحزين على خطاياه وعلى خطايا الآخرين، الذي يطوّبه المسيح بالقول: «طوبى للحزانى لأنهم يتعزون» (متى ٤:٥).

٤ - **تعهدٌ بتشجيع الشعب على العبادة:** «أحسِن برضاك إلى صهيون. ابنِ أسوار أورشليم. حينئذٍ تُسرّ بذبائح البر، محرقة وتقدمة تامة. حينئذ يُصعدون على مذبحك عجولاً» (آيتا ١٨ و١٩). لم تكن أسوار أورشليم قد اكتملت في أيام داود وسليمان، فقام كلاهما بالكثير من البناء (٢صم ٩:٥ و١مل ١:٣ و١٥:٩ و١٩). ولعل داود شعر أن الله ربما يمنعه من البناء بسبب خطاياه، فطلب أن يسمح له بتكملة بناء أسوار أورشليم. إنه ينتقل من الصلاة لأجل نفسه إلى الصلاة لأجل شعبه وعاصمته، القائمة على عدة تلال منها جبل صهيون. وهو يرى في سلامة العاصمة سلامة البلاد كلها. ويرى أن اكتمال البناء سيملأ قلب الشعب بالفرح، فيقدمون العجول، ذبائح برّ من قلوب بارة، وذبائح شكر وتهليل لله من قلوب شاكرة على كمال العمل، والذي سيكون مصدراً لحماية العاصمة وسكانها. وستكون هذه التسبيحات كالبخور العطر الذي يفرّح قلب الله.

ونقدر أن نرى في طلبة داود «ابنِ أسوار أورشليم» معنى روحياً، فالخطية تهدم سور التقوى الذي يحمي النفس ويحمي الكنيسة. وعندما أخطأ داود تهدّم سورٌ روحي كبير في نفوس المعجبين به، الذين كانوا يتّخذونه مثلاً لهم، وربما هان ارتكاب الخطية في نظرهم، فطلب من الله أن يعيد إقامة هذا السور، وأن يقيم بناءً روحياً حياً من المؤمنين المتعبّدين. وعلينا نحن أن نشترك في إقامة بيوت روحية ومادية لله في كل مكان، لترتفع تسبيحات الشكر له من كل جنبات أرضنا.

لنطلب منه أن يغفر خطايانا وأن يطهّرنا، وعندها تتطهّر قلوبنا وندخل في عهد مقدس مع الله، هو عهد الكرازة والعبادة وبناء كنيسته.

المزمور الثاني والخمسون

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ. قَصِيدَةٌ لِدَاوُدَ عِنْدَمَا جَاءَ دُوَاغُ ٱلْأَدُومِيُّ وَأَخْبَرَ شَاوُلَ وَقَالَ لَهُ: «جَاءَ
دَاوُدُ إِلَى بَيْتِ أَخِيمَالِكَ».
١ لِمَاذَا تَفْتَخِرُ بِٱلشَّرِّ أَيُّهَا ٱلْجَبَّارُ؟ رَحْمَةُ ٱللهِ هِيَ كُلَّ يَوْمٍ! ٢ لِسَانُكَ يَخْتَرِعُ مَفَاسِدَ.
كَمُوسَى مَسْنُونَةٍ يَعْمَلُ بِٱلْغِشِّ. ٣ أَحْبَبْتَ ٱلشَّرَّ أَكْثَرَ مِنَ ٱلْخَيْرِ، ٱلْكَذِبَ أَكْثَرَ مِنَ
ٱلتَّكَلُّمِ بِٱلصِّدْقِ. سِلَاهْ. ٤ أَحْبَبْتَ كُلَّ كَلَامٍ مُهْلِكٍ وَلِسَانِ غِشٍّ. ٥ أَيْضاً يَهْدِمُكَ ٱللهُ
إِلَى ٱلْأَبَدِ. يَخْطَفُكَ وَيَقْلَعُكَ مِنْ مَسْكَنِكَ، وَيَسْتَأْصِلُكَ مِنْ أَرْضِ ٱلْأَحْيَاءِ. سِلَاهْ. ٦ فَيَرَى
ٱلصِّدِّيقُونَ وَيَخَافُونَ، وَعَلَيْهِ يَضْحَكُونَ: ٧ «هُوَذَا ٱلْإِنْسَانُ ٱلَّذِي لَمْ يَجْعَلِ ٱللهَ حِصْنَهُ،
بَلِ ٱتَّكَلَ عَلَى كَثْرَةِ غِنَاهُ وَٱعْتَزَّ بِفَسَادِهِ».
٨ أَمَّا أَنَا فَمِثْلُ زَيْتُونَةٍ خَضْرَاءَ فِي بَيْتِ ٱللهِ. تَوَكَّلْتُ عَلَى رَحْمَةِ ٱللهِ إِلَى ٱلدَّهْرِ
وَٱلْأَبَدِ. ٩ أَحْمَدُكَ إِلَى ٱلدَّهْرِ لِأَنَّكَ فَعَلْتَ، وَأَنْتَظِرُ ٱسْمَكَ فَإِنَّهُ صَالِحٌ قُدَّامَ أَتْقِيَائِكَ.

رحمة الله هي كل يوم

هناك سبعة مزامير أطلق عليها القديس أغسطينوس اسم «مزامير الطريد» (هي ٧ و٣٤ و٥٢ و٥٤ و٥٦ و٥٧ و١٤٢) كتبها داود أثناء هروبه من مطاردات الملك شاول له، متنقّلاً من بلد إلى بلد، ومن كهف إلى كهف، وحتى إلى بلاد الفلسطينيين.

عندما يكون الإنسان طريداً تتشوّش أفكاره ويصعب عليه أن يكتب شعراً ويضع له موسيقى. لكن قلب داود الطريد كان مُمَكّناً في الرب، احتل الله فيه مكاناً كبيراً، فكان رجل الترنيم والصلاة. ونحن نشكر الله من أجل الذين يحبون الرب حباً يملك عليهم قلوبهم، فينفعلون معه ويحدّثونه، ويشكون له همومهم، ويشرحون له ظروفهم وأحوالهم.

كتب داود هذا المزمور عندما عرف من صديقه يوناثان بن شاول أن شاول سيطارده ليقتله، ففضّل أن يهرب إلى «جت» عاصمة الفلسطينيين، ليكون بعيداً عن متناول يد شاول. وفي الطريق إلى جت كان محتاجاً إلى طعام وإلى سيف، فذهب إلى مدينة الكهنة «نوب» والتقى بأخيمالك رئيس الكهنة، فأعطاه خبز الوجوه المقدس الذي لا يحل أكله إلا للكهنة، وأعطاه أيضاً سيف جليات (١صم ٢١:١-٩ ومر ٢:٢٦). ونقل دواغ الأدومي (من نسل عيسو، وكان مشرفاً على ثروة شاول الحيوانية) خبر هذا الأمر إلى الملك، وفسّره بأنه خيانة من الكهنة، فأمر شاول بقتلهم، وهرب داود ناجياً، واستمر شاول

يطارد داود. وشعر داود بالمعاناة والضغط، مع الإحساس بالذنب، لأنه تسبَّب في قتل الكهنة الذين عاونوه، فكتب هذا المزمور.

في هذا المزمور نجد،

أولاً - حالة الشرير (آيات ١-٥)

ثانياً - حالة المؤمن (آيات ٦-٩)

أولاً - حالة الشرير

(آيات ١-٥)

١ - وصف الشرير: (آيات ١-٤).

(أ) **يفتخر بالشر:** «لماذا تفتخر بالشر أيها الجبار؟ رحمة الله هي كل يوم» (آية ١). يبدأ المرنم مزموره بالاحتجاج على الشرير الذي يفتخر بشرّه، ويذكّره برحمة الله الدائمة، ويسأله: لماذا يفتخر؟ هل لأنه جبار متجبّر متكبّر يظن نفسه بطلاً؟ «ويلٌ للأبطال على شُرب الخمر!» (إش ٢٢:٥) «لا للحق قَووا في الأرض» (إر ٣:٩). إن فوق العالي عالياً يلاحظ، والأعلى فوقهما (جا ٨:٥). والرب الأعلى هو الرحيم، الذي تسع رحمته الخاطئ ليتوب.

(ب) **يخترع الشر:** «لسانك يخترع مفاسد» (آية ٢أ). اختراع اللسان هو الكذب. ولا يكتفي الشرير بالفخر بالشر لكنه يتحدث عنه حديث إفكٍ وكذب. وبعد وقت يصيبه الملل من تكرار الكذب الذي يردّده، فيخترع كذباً جديداً، أكثر حماقة من الأول، لأن من فضلة القلب يتكلم الفم (مت ٣٤:١٢)، ولسان الشرير «شر لا يُضبَط مملوٌّ سماً مميتاً (يع ٨:٣)، فيجرح سُمعة الأبرياء، كما جرح دواغ الأدومي سُمعة داود وأخيمالك، وتسبّب في قتل الكهنة ومطاردة داود. قال شاعر عربي:

جراحات السِّنان (السيوف) لها التئام ولا يلتام ما جرح اللسان!

(ج) **يرتكب الشر:** «كموسى مسنونة يعمل بالغش» (آية ٢ب). يمزق سمعة الناس ويؤذي نفوسهم، ويجرح أجسادهم، ويصيبهم ويقطعهم.

(د) **يحب الشر:** «أحببتَ الشر أكثر من الخير، الكذب أكثر من التكلم بالصدق. أحببت كل كلام مُهلك، ولسان غش» (آيتا ٣ و٤). محبة الشرير للشر والأذى أكثر من محبته للخير، وحبه للكذب أكثر من حبه للتكلم بالصدق، فهو من أبٍ هو إبليس الكذاب وأبو الكذاب (يو ٤٤:٨). الخاطئ خاطئ بطبيعته الفاسدة، وخاطئ بما يفعله، نتيجةً لتأثير طبيعته الفاسدة.

٢ - نهاية الشرير: «أيضاً يهدمك الله إلى الأبد، يخطفك ويقلعك من مسكنك، ويستأصلك من أرض الأحياء» (آية ٥). لا بد أن يدْفع الشرير أجرة خطيته. وهو ضعيف مهما كانت قوته في الشر، وليست له جذور، فلا بد أن يُقتَلع. ويذكر المرنم الأوصاف التالية لنهاية الشرير:

* «يهدمك»: يُهدَم كبناء عظيم مرتفع يتدمَّر ولا تقوم له قائمة.. كان دواغ الأدومي يشغل مركزاً مرموقاً في بلاط الملك، وكانت مكانته رفيعة، ولكنه هلك.

* «يخطفك»: كثروة ضائعة.

* «يقلعك»: كخيمة بلا أوتاد تطيّرها الرياح!

* «يستأصلك»: كشجرة تُقتلع من الجذور، مهما تأصّلت جذورها. «أما الأشرار فينقرضون من الأرض، والغادرون يُستأصلون منها» (أم ٢:٢٢).

* «إلى الأبد»: فإنه بالكيل الذي به يكيلون يُكال لهم (مت ٧:٢) و«أجرة الخطية هي موت» (رو ٦:٢٣).

ثانياً - حالة المؤمن

(آيات ٦-٩)

١ - ردّ فعل المؤمن لمعاقبة الشرير: (آيتا ٦ و٧).

(أ) **المؤمن يرى:** «فيرى الصديقون» (آية ٦أ). يرون ويتأملون. وجديرٌ بالمؤمن دائماً أن لا يترك شيئاً يراه من ظروف حسنة أو سيئة دون أن يتأمله ويسأل عنه، ويفكر فيه، لأن مع الله لا يحدث شيء قط بمحض الصدفة، بل جميع أعماله مرتَّبة منذ الأزل. فلنسأل الرب: ما هو قصدك؟ ماذا ستفعل، وماذا تريدني أن أفعل؟ لماذا أدخلتني في أتون النار؟ لماذا سبّبتَ لي الخسارة؟ لماذا ضاع أملي؟

(ب) **المؤمن يخاف:** «يخافون» (آية ٦ب). يعلم المؤمن أن الله حي وموجود، وأنه لن يترك شيئاً بدون مجازاة، خيراً كان أم شراً، فيتّقي الرب من كل قلبه. وهناك فرق بين خوف الأشرار من الرب وخوف المؤمنين للرب، فالأشرار يخافون من العقاب، أما المؤمنون فيهابون الله ويحترمونه، وهذا «رأس الحكمة».

(ج) **المؤمن يضحك:** «وعليه يضحكون» (آية ٦ج). لا ضحك التشفّي في ما حلّ بالشرير من عقاب، بل ضحك الفرح بالعدالة الإلهية. «عادلةٌ وحقٌّ هي طرقك يا ملك القديسين» (رؤ ١٥:٣).

(د) **المؤمن يتعلم:** «هوذا الإنسان الذي لم يجعل الله حصنه، بل اتكل على كثرة غناه، واعتزَّ بفساده» (آية ٧). يتعلم المؤمن من عقاب الأشرار أن الشر يميت الشرير «لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه، أو ماذا يعطي الإنسان فداءً عن نفسه؟» (مت ١٦:٢٦). لقد أثمرت أرض الغني الغبي وكثُرت محاصيله، ولكن غناه كان لنفسه وليس لله، فمات دون أن يأخذ شيئاً مما كنز، وقد علّق المسيح على هذا بقوله: «ليست حياة الإنسان من أمواله» (لو ١٢:١٦-٢١). وينقل المؤمن ما تعلّمه لغيره من المؤمنين، كما يعلّمه للخطاة راجياً توبتهم، فإنه «إن زاد الغنى فلا تضعوا عليه قلباً» (مز ٦٢:١٠). «أوصِ الأغنياء في الدهر الحاضر ألاّ يستكبروا، ولا يلقوا رجاءهم على غير يقينية الغِنى، بل على الله الحي» (١تي ٦:١٧).

٢ - وصف سلوك المؤمن:

(أ) **شخصية المؤمن**: «أما أنا فمثل زيتونة خضراء في بيت الله» (آية ٨أ). فالمؤمن يحب بيت الرب ويريد أن يسكن فيه إلى مدى الأيام (مز ٢٣:٦). ولا بد أن المرنم كان يفكر في شجرة زيتون مزروعة في ساحة الهيكل، فرآها، ورأى نفسه فيها:

* الزيتونة دائمة الخضرة: فالمؤمن كشجرة مغروسة عند المياه الجاريّة، تعطي ثمرها في أوانه، وورقها لا يذبل، وكل ما يصنعه ينجح (مز ١:١-٣. راجع إر ١٧:٧ و٨).

* الزيتونة معمِّرة: تعيش الزيتونة مئة سنة أو أكثر. ولا بد أن الزيتونة المزروعة في فناء الهيكل تنال حراسة أفضل فتُعمِّر أكثر، لأنه لا يصيبها أذى. وهذا هو حال المؤمن. تنظر إلى الشرير فلا تجده، أما المؤمن فإن الله يمتعه بطول الأيام وعمقها.

* الزيتونة تعطينا الزيت: ليُستخدم في الإضاءة وإنارة الهيكل، ويقول الرب للمؤمنين: «أنتم نور العالم» (متى ٥:١٤).. كما كان الزيت يُضاف إلى التقدمات (لا ٢:١-٧)، ويقول بولس إنه يُسكب على ذبيحة إيمان المؤمنين (في ٢:١٧).. ويُستخدم الزيت كدواء (لو ١٠:٣٤)، ويشفي المؤمن آلام الآخرين بكلمة حلوة يقولها تغيث المعيي (إش ٥٠:٤) لأنها كالبلسم الشافي، تطيّب القلب المجروح. والمتعلم من الله يعرف كيف يغيث بكلمة حكمة من عند الله. والمؤمن يُشبع الآخرين ويُنير لهم ويغيثهم، وهو رمز للسلام والنجاح. وحتى عندما يُعصَر يبارك ويضيء (في ١:٢٩).. واستُخدِم خشب شجرة الزيتون في صنع بعض أجزاء الهيكل (١مل ٦:٢٣ و٣٣)، والمؤمن كالزيتونة يبني بيت الله.. وحملت حمامة نوح ورقة زيتون عندما عادت من رحلتها الاستكشافية للأرض (تك ٨:١١) لتحمل رمز السلام والاستقرار، والمؤمن يحمل دائماً في قلبه سلاماً للآخرين يفيض به عليهم، كما يحمل فمه أخباراً مفرحة، لأنه يسعى كسفير عن المسيح يطلب من الجميع أن يتصالحوا مع الله ومع بعضهم البعض، و«طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون» (متى ٥:٩).. وترمز الزيتونة للنجاح، فيقول المرنم: «إمرأتك مثل كرمة مثمرة في جوانب بيتك. بنوك مثل غروس الزيتون حول مائدتك» (مز ١٢٨:٣).. واتّخذ المسيح من أشجار الزيتون مخدعاً للصلاة في بستان جثسيماني، ركع تحتها.

(ب) **اعتماد المؤمن**: «توكّلتُ على رحمة الله إلى الدهر والأبد» (آية ٨ب). اعتمد المؤمن على الرب فرأى ما لا يُرى. إن عين الإيمان لا ترى فقط ما هو هنا والآن، ولكن ما لا يُرى وما هو آتٍ. اختار المسيح مجموعة تلاميذ ضعفاء لأنه كان يعلم ما سيكونون عليه عندما يملأهم روح الله، فينالون قوة ويكونون له شهوداً في أورشليم وفي كل مكان (أع ١:٨).

(ج) **حمد المؤمن**: «أحمدك إلى الدهر لأنك فعلتَ» (آية ٩أ). المؤمن الذي يحب الله يشكر دائماً. فلنطوِّر حياة الشكر فينا قائلين: «باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته. باركي يا نفسي الرب وكل ما في باطني ليبارك اسمه القدوس» (مز ١٠٣:٢ و٣).

(د) انتظار المؤمن: «وأنتظر اسمك فإنه صالح قدام أتقيائك» (آية ٩ب). يعلن المرنم أمام كل الأتقياء أن الرب صالح، وأنه ينتظره بكل الثقة «ففي طريق أحكامك يا رب انتظرناك. إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس» (إش ٢٦:٨). وانتظار المؤمن للرب ليس انتظار الخمول والكسل، بل انتظار العمل والأمل، لأنه وهو ينتظر يهيئ قلبه لينال البركة. عندما خرج ملوك إسرائيل ويهوذا وأدوم يحاربون، نسوا تدبير أمر المياه اللازمة لجيوشهم الثلاثة، فاستدعوا النبي أليشع، فقال لهم إن المياه ستأتيهم من أدوم، وطلب منهم تجهيز حُفر في الأرض لتخزين الماء فيها. ولم يضيّع الملوك وقت الانتظار عبثاً، بل كلّفوا الجنود بالحَفْر وهم لا يرون أي دليل على مجيء الماء، فكان انتظارهم إيجابياً، نال جزاءه عندما جاءت مياه المطر الذي تساقط في أدوم وملأ كل الحُفر التي سبق أن جهّزوها (٢مل ٣:١٦-١٨). وهكذا يجب أن ينتظر المؤمن الرب، عاملاً واجبه، متوقعاً بركة السماء.

المزمور الثالث والخمسون

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ عَلَى ٱلْعُودِ. قَصِيدَةٌ لِدَاوُدَ

١ قَالَ ٱلْجَاهِلُ فِي قَلْبِهِ: «لَيْسَ إِلٰهٌ». فَسَدُوا وَرَجِسُوا رَجَاسَةً. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ
صَلَاحاً. ٢ اَللّٰهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ أَشْرَفَ عَلَى بَنِي ٱلْبَشَرِ لِيَنْظُرَ: هَلْ مِنْ فَاهِمٍ طَالِبِ ٱللّٰهِ؟
٣ كُلُّهُمْ قَدِ ٱرْتَدُّوا مَعاً، فَسَدُوا، لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلَاحاً، لَيْسَ وَلَا وَاحِدٌ.
٤ أَلَمْ يَعْلَمْ فَاعِلُو ٱلْإِثْمِ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ شَعْبِي كَمَا يَأْكُلُونَ ٱلْخُبْزَ، وَٱللّٰهَ لَمْ يَدْعُوا؟
٥ هُنَاكَ خَافُوا خَوْفاً وَلَمْ يَكُنْ خَوْفٌ، لِأَنَّ ٱللّٰهَ قَدْ بَدَّدَ عِظَامَ مُحَاصِرِكَ. أَخْزَيْتَهُمْ لِأَنَّ
ٱللّٰهَ قَدْ رَفَضَهُمْ. ٦ لَيْتَ مِنْ صِهْيَوْنَ خَلَاصَ إِسْرَائِيلَ. عِنْدَ رَدِّ ٱللّٰهِ سَبْيَ شَعْبِهِ يَهْتِفُ
يَعْقُوبُ وَيَفْرَحُ إِسْرَائِيلُ.

انظر تعليقاتنا على مزمور ١٤ - فالمزموران متشابهان.

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ عَلَى ذَوَاتِ ٱلأَوْتَارِ. قَصِيدَةٌ لِدَاوُدَ عِنْدَمَا أَتَى ٱلزِّيفِيُّونَ وَقَالُوا لِشَاوُلَ: «أَلَيْسَ دَاوُدُ مُخْتَبِئاً عِنْدَنَا؟»

١ اَللَّهُمَّ بِٱسْمِكَ خَلِّصْنِي وَبِقُوَّتِكَ ٱحْكُمْ لِي. ٢ ٱسْمَعْ يَا اَللهُ صَلَاتِي. اصْغَ إِلَى كَلَامِ
فَمِي. ٣ لِأَنَّ غُرَبَاءَ قَدْ قَامُوا عَلَيَّ وَعُتَاةً طَلَبُوا نَفْسِي. لَمْ يَجْعَلُوا ٱللهَ أَمَامَهُمْ. سِلَاهْ.
٤ هُوَذَا ٱللهُ مُعِينٌ لِي. ٱلرَّبُّ بَيْنَ عَاضِدِي نَفْسِي. ٥ يَرْجِعُ ٱلشَّرُّ عَلَى أَعْدَائِي. بِحَقِّكَ
أَفْنِهِمْ. ٦ أَذْبَحُ لَكَ مُنْتَدِباً. أَحْمَدُ ٱسْمَكَ يَا رَبُّ لِأَنَّهُ صَالِحٌ. ٧ لِأَنَّهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ
نَجَّانِي، وَبِأَعْدَائِي رَأَتْ عَيْنِي.

غرباء قاموا عليَّ

هناك سبعة مزامير أطلق عليها القديس أغسطينوس اسم «مزامير الطريد» (هي ٧ و٣٤ و٥٢ و٥٤ و٥٦ و٥٧ و١٤٢) كتبها داود أثناء هروبه من مطاردات الملك شاول له، متنقِّلاً من بلد إلى بلد، ومن كهف إلى كهف، وحتى إلى بلاد الفلسطينيين. وقد كتب داود هذا المزمور عندما أبلغ الزيفيون شاول أن داود مختبئ عندهم، فطارده شاول ليقتله (١صم ٢٣:١٩). وقد اعتادت الكنيسة أن تقرأ هذا المزمور يوم الجمعة العظيمة.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – صلاة لطلب الإنقاذ (آيات ١-٣)

ثانياً – الثقة في العون الإلهي (آيات ٤-٧)

أولاً - صلاة لطلب الإنقاذ

(آيات ١-٣)

١ – يرفع داود ثلاث طلبات: (آيتا ١ و٢).

(أ) طلب الخلاص: «اللهم باسمك خلِّصني» (آية ١أ). يدل الاسم على القدرة، فاسم الشخص يحمل قدرته وسلطانه وصفاته المُعلَنة. ويتوجَّه المرنم إلى الله صاحب هذه الصفات العظيمة ليخلِّصه، فإن «اسم الرب برجٌ حصين، يركض إليه الصدّيق ويتمنّع» (أم ١٨:١٠). «الرب إلهك في وسطك جبار

يخلِّص» (صف ٣:١٧). والله يخلِّص الخاطئ بأن يمنحه الغفران (اتي ٢:٤)، والمريض بأن يعطيه الشفاء (لو ٨:٣٦)، والمتضايق بأن يهبه الإنقاذ (مز ٢٧:١-٣). فالخلاص شامل، يغطي كل نواحي حياة الإنسان، ولذلك طلب داود: «اللهم باسمك خلصني» من يد شاول والزيفيين الذين وشوا بي، وأرادوا أن يسلِّموني له (اصم ٢٣:١٩).

(ب) **طلب العدالة:** «بقوَّتك احكم لي» (آية ١ب). لجأ داود في هذه الطلبة إلى الله كقاضٍ أمين يحكم بعدالته، وينفِّذ أحكامه بقوته. كان داود واثقاً من براءته، ومتأكداً من ظلم شاول والزيفيين، فلجأ إلى الله لينقذه وينجّيه، عالماً أن نجاة الله تأتي بقوة وبهدوء يذهلان الجميع، كما حدث مع بطرس الذي لم يصدِّق المؤمنون أنه نجا من سجن هيرودس (أع ١٢:١٦).

(ج) **طلب الاستجابة:** «اسمع يا الله صلاتي. اصغَ إلى كلام فمي» (آية ٢). لم تمنع الآلام ولا الضيقات داود من أن يلجأ إلى الله. كثيرون عندما يتضايقون يتذمرون أو يلومون الله ويمتنعون عن الحديث معه، أما الواثقون في محبته فيتقرَّبون إليه أكثر في وقت الضيق، كما في وقت النجاح، فهناك «هلاك يُفسد في الظهيرة» (مز ٩١:٦) عندما ينجح الإنسان، فيظن أنه قد ملَك مقادير نفسه، وأنه قادرٌ أن يسيِّر سفينة حياته بيده. فلنلجأ للصلاة وقت الفشل كما في وقت النجاح، لأنه «ينبغي أن يُصلَّى في كل حين ولا يُمل» (لو ١٨:١). «صلوا بلا انقطاع» (اتس ٥:١٧). وليكن شعارنا: «أما أنا فصلاة» (مز ١٠٩:٤) فيكون لنا تواصل دائم بالله لا ينقطع أبداً، ولا نتوقف عن الحديث معه مهما كانت ظروف الحياة. ويطلب داود أن يصغي الله إلى كلمات فمه، بعد أن استجاب طلبته: «لتكن أقوال فمي وفكر قلبي مرضيَّةً أمامك يا رب، صخرتي ووليي» (مز ١٩:١٤).

٢ – ثلاثة أسباب لطلبات داود: (آية ٣).

(أ) **لأن أعداءه غرباء:** «لأن غرباء قد قاموا عليَّ» (آية ٣أ). لم يكن أهل برية زيف غرباء عن داود بحسب الجسد، فهم من سبط يهوذا، وأبناء عمومته. ولكنهم قاموا عليه لأنهم اغتربوا عنه بوقوفهم ضد قضيته، والوشاية به إلى شاول الذي من سبط بنيامين. وهذا ما فعله يهوذا الإسخريوطي الذي خان المسيح سيده ومعلِّمه، فتمَّت النبوَّة «آكل خبزي رفع عليَّ عقبه» (مز ٤١:٩). وقال المسيح لتلاميذه: «سوف تُسلَّمون من الوالدين والإخوة والأقرباء والأصدقاء» (لو ٢١:١٦). وكثيراً ما نتألم من أخٍ نتوقع منه المحبة فنجد منه الجفاء أو الخيانة، ونكتشف أن أعداء الإنسان أحياناً يكونون أهل بيته، لأنهم لا يدركون معنى إيمانه (مي ٧:٦ ومت ١٠:٣٦).

(ب) **لأن أعداءه ظالمون:** «لأن عتاةً طلبوا نفسي» (آية ٣ب). العتاة هم الظالمون، الذين لم يكتفوا بأن يغتربوا عنه، ولكنهم هاجموه في قسوة لم يتوقَّعها. لقد أنقذ داود أهل مدينة قعيلة من يد الأعداء، مع ذلك عزموا أن يسلِّموه إلى شاول. فهل يُكافأ الإحسان بالإساءة؟ ومع أن الزيفيين عرفوا بالإنقاذ الإلهي على يد داود، إلا أنهم أرادوا أن يسلِّموه لشاول! (اصم ٢٣).

(ج) **لأن أعداءه أشرار:** «لم يجعلوا الله أمامهم» (آية ٣ج). طلبوا نفس داود، ولم يدركوا خطة الله

لحياتهم وحياته. وكل من يقاوم فاعل الخير، يقاوم أهداف الله، عن جهلٍ أو عن شر، ولذلك كانت أول كلمة للمسيح على الصليب: «يا أبتاه، اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لو ٢٣: ٣٤).

ثانياً - الثقة في العون الإلهي

(آيات ٤-٧)

في هذه الآيات الأربع يعلن داود ثقته في محبة الرب وعدالته، كما يعلن ثقته أن له صلة شخصية قديمة بالله.

١ - الثقة في محبة الله: «هوذا الله معين لي. الرب بين عاضدي نفسي» (آية ٤). يعلن داود ثقته في الرب العاضد، الرافع، المعين، المساعد، الذي يهب النصر. ويدل وصف الله بأنه «معين» و«عاضد» على تعاطُف الله مع داود وإحساسه بتجربته، كما قال المسيح للطرسوسي: «أنا يسوع الذي أنت تضطهده» (أع ٩:٥). وكما قال إشعياء: «في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلّصهم» (إش ٦٣:٩). كما يدل الوصفان على ثقة داود في معونة الرب وإسناده. إنه يثق أن الرب سينصفه، لأنه إن كان الله معنا فمن علينا؟ (رو ٨:٣١). إن رحمته أفضل من الحياة (مز ٦٣:٣) وهو يساعد داود بنفسه، كما أنه يكلّف بشراً أو ملائكة ليساعدوه. وكم منحنا الرب المساعدة عن طريق آبائنا، وشريك الحياة، ومرشدينا الذين يعلموننا كلمة الله، وكل من يقدّم لنا كلمة أو خبراً مفرّحاً عن الرب.

٢ - الثقة في عدالة الله: «يرجع الشر على أعدائي. بحقّك أفنِهم» (آية ٥). يثق داود في قانون العدالة السماوية، فمن يخطئ لا بد أن ينال عقوبته، وهو يلجأ إلى الله ليفعل هذا، عملاً بالوصية «لي النقمة والجزاء.. لأن الرب يدين شعبه، وعلى عبيده يشفق» (تث ٣٢:٣٥ و٣٦).

٣ - الثقة في الصلة الشخصية بالله: «أذبح لك مُنتدِباً. أحمد اسمك يا رب لأنه صالح» (آية ٦). الانتداب هو ما يقدّمه الإنسان لله طوعاً، والمعطي المسرور يحبه الله (٢كو ٩:٧). هناك ذبائح أمرت شريعة موسى بتقديمها، ولكن الذي يقدّم ذبيحةً منتدباً هو الذي يقدّم غير المفروض عليه، وأكثر مما تأمر به الشريعة، ليشهد لصلاح الرب ورحمته معه، ويقول: «بروح منتدبة اعضُدني، فأعلِّم الأثَمةَ طرقك، والخطاةُ إليك يرجعون» (مز ٥١:١٢ و١٣). وقد ورد ذكر هذا النوع من الذبائح في العدد ١٥:٣ ويسمّيه «نافلة».

٤ - الثقة في خلاص الله: «لأنه من كل ضيقي نجاني، وبأعدائي رأت عيني» (آية ٧). كم تعامل الله مع داود، وكم عاونه في كل المواقف السابقة، فوقف بينما سقط أعداؤه، وثبت بينما انهار مقاوموه. قال المسيح: «أليس عصفوران يُباعان بفلس، وواحدٌ منها لا يسقط على الأرض بدون أبيكم؟ وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها مُحصاة» (مت ١٠:٢٩ و٣٠). فطوبى لمن يختبر خلاص الله لأنه «إذا سقط لا ينطرح، لأن الرب مُسنِدٌ يده» (مز ٣٧:٢٤). فلنصل صلاة الواثقين متوقّعين الانتصار. «انتظاراً انتظرت الرب فمال إليّ وسمع صراخي.. لأنه من كل ضيق نجّاني» (مز ٤٠:١ و٥٤:٧).

المزمور الخامس والخمسون

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ عَلَى ذَوَاتِ ٱلْأَوْتَارِ. قَصِيدَةٌ لِدَاوُدَ

١ اِصْغَ يَا اَللّٰهُ إِلَى صَلَاتِي وَلَا تَتَغَاضَ عَنْ تَضَرُّعِي. ٢ اَسْتَمِعْ لِي وَٱسْتَجِبْ لِي. أَتَحَيَّرُ
فِي كُرْبَتِي وَأَضْطَرِبُ ٣ مِنْ صَوْتِ ٱلْعَدُوِّ، مِنْ قِبَلِ ظُلْمِ ٱلشِّرِّيرِ. لِأَنَّهُمْ يُحِيلُونَ عَلَيَّ
إِثْماً، وَبِغَضَبٍ يَضْطَهِدُونَنِي. ٤ يَمْخَضُ قَلْبِي فِي دَاخِلِي، وَأَهْوَالُ ٱلْمَوْتِ سَقَطَتْ عَلَيَّ
٥ خَوْفٌ وَرَعْدَةٌ أَتَيَا عَلَيَّ، وَغَشِيَنِي رُعْبٌ. ٦ فَقُلْتُ: «لَيْتَ لِي جَنَاحاً كَٱلْحَمَامَةِ فَأَطِيرَ
وَأَسْتَرِيحَ! ٧ هَئَنَذَا كُنْتُ أَبْعُدُ هَارِباً وَأَبِيتُ فِي ٱلْبَرِّيَّةِ. سِلَاهْ. ٨ كُنْتُ أُسْرِعُ فِي نَجَاتِي
مِنَ ٱلرِّيحِ ٱلْعَاصِفَةِ وَمِنَ ٱلنَّوْءِ».

٩ أَهْلِكْ يَا رَبُّ، فَرِّقْ أَلْسِنَتَهُمْ، لِأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ ظُلْماً وَخِصَاماً فِي ٱلْمَدِينَةِ. ١٠ نَهَاراً
وَلَيْلًا يُحِيطُونَ بِهَا عَلَى أَسْوَارِهَا، وَإِثْمٌ وَمَشَقَّةٌ فِي وَسَطِهَا. ١١ مَفَاسِدُ فِي وَسَطِهَا، وَلَا
يَبْرَحُ مِنْ سَاحَتِهَا ظُلْمٌ وَغِشٌّ. ١٢ لِأَنَّهُ لَيْسَ عَدُوٌّ يُعَيِّرُنِي فَأَحْتَمِلَ. لَيْسَ مُبْغِضِي تَعَظَّمَ عَلَيَّ
فَأَخْتَبِئَ مِنْهُ. ١٣ بَلْ أَنْتَ إِنْسَانٌ عَدِيلِي، إِلْفِي وَصَدِيقِي، ١٤ ٱلَّذِي مَعَهُ كَانَتْ تَحْلُو لَنَا
ٱلْعِشْرَةُ. إِلَى بَيْتِ ٱللّٰهِ كُنَّا نَذْهَبُ فِي ٱلْجُمْهُورِ. ١٥ لِيَبْغَتْهُمُ ٱلْمَوْتُ. لِيَنْحَدِرُوا إِلَى
ٱلْهَاوِيَةِ أَحْيَاءً، لِأَنَّ فِي مَسَاكِنِهِمْ، فِي وَسَطِهِمْ شُرُوراً.

١٦ أَمَّا أَنَا فَإِلَى ٱللّٰهِ أَصْرُخُ وَٱلرَّبُّ يُخَلِّصُنِي. ١٧ مَسَاءً وَصَبَاحاً وَظُهْراً أَشْكُو وَأَنُوحُ
فَيَسْمَعُ صَوْتِي. ١٨ فَدَى بِسَلَامٍ نَفْسِي مِنْ قِتَالٍ عَلَيَّ، لِأَنَّهُمْ بِكَثْرَةٍ كَانُوا حَوْلِي.
١٩ يَسْمَعُ ٱللّٰهُ فَيُذِلُّهُمْ وَٱلْجَالِسُ مُنْذُ ٱلْقِدَمِ. سِلَاهْ. ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ تَغَيُّرٌ وَلَا يَخَافُونَ
ٱللّٰهَ. ٢٠ أَلْقَى يَدَيْهِ عَلَى مُسَالِمِيهِ. نَقَضَ عَهْدَهُ. ٢١ أَنْعَمُ مِنَ ٱلزُّبْدَةِ فَمُهُ وَقَلْبُهُ قِتَالٌ.
أَلْيَنُ مِنَ ٱلزَّيْتِ كَلِمَاتُهُ وَهِيَ سُيُوفٌ مَسْلُولَةٌ.

٢٢ أَلْقِ عَلَى ٱلرَّبِّ هَمَّكَ فَهُوَ يَعُولُكَ. لَا يَدَعُ ٱلصِّدِّيقَ يَتَزَعْزَعُ إِلَى ٱلْأَبَدِ. ٢٣ وَأَنْتَ
يَا اَللّٰهُ تُحَدِّرُهُمْ إِلَى جُبِّ ٱلْهَلَاكِ. رِجَالُ ٱلدِّمَاءِ وَٱلْغِشِّ لَا يَنْصُفُونَ أَيَّامَهُمْ. أَمَّا أَنَا
فَأَتَّكِلُ عَلَيْكَ.

ليت لي جناحاً

يعبّر هذا المزمور عن يأس داود وحزنه لأن صديقاً خانه، وقد يكون الصديق هو أخيتوفل الذي هجر داود وانضمَّ إلى ابنه أبشالوم يوم قام بانقلابٍ فاشل ضد أبيه (٢صم ١٥:١٠-٣٧). وقد أطلق القديس إيرونيموس على هذا المزمور: «صوت المسيح ضد شيوخ اليهود وضد يهوذا الخائن».

في هذا المزمور نجد:

أولاً - صرخة نفس حزينة (آيات ١-٨)

ثانياً - ذكريات نفس حزينة (آيات ٩-١٥)

ثالثاً - ثقة نفس منتصرة (آيات ١٦-٢٣)

أولاً - صرخة نفس حزينة

(آيات ١-٨)

١ - صرخة داود: «اصغَ يا الله إلى صلاتي، ولا تتغاضَ عن تضرعي. استمع لي واستجب لي» (آية ١ و٢أ). قال عالِم النفس إريك برن إن في داخل كلٍّ منا طفلاً، يصرخ عندما نواجه مشكلة أكبر منا لا نستطيع أن نعالجها بأنفسنا. وكطفلٍ خائف يبحث عن الأمان دعا داود الشخص الأقرب إلى نفسه (وهو الله) ليساعده، عالماً أنه لن يتأخر أبداً في مدّ يد العون إليه، بل إنه سيعينه بقوة من عنده، كما سيرشده إلى الإمكانيات والمواهب الكامنة داخله، ويعبئها ويوجّهها الوُجهة السليمة ليتمكن داود من الخروج من مأزقه، والقيام بعمل كل ما هو صالح.

٢ - حزن داود: (آيات ٢ب-٥).

(أ) حزين حائر: «أتحيَّر في كربتي وأضطرب من صوت العدو، من قِبَل ظلم الشرير، لأنهم يُحيلون عليَّ إثماً، وبغضبٍ يضطهدونني» (آية ٢ب و٣). أصابه الخوف بما يشبه الشلل، فعجز عن التفكير السليم، ولم يعُد قادراً على توظيف إمكانياته! كيف يقوم أبشالوم ابنه عليه؟ وكيف يساعد أخيتوفلُ الصديقُ المخلصُ هذا الابنَ العاق؟! أسئلة لم يجد داود لها إجابات مقنعة!

(ب) حزين خائف: «يمخض قلبي في داخلي، وأهوال الموت سقطت عليَّ. خوف ورعدة أتيا عليَّ، وغشيني رعبٌ» (آيتا ٤ و٥). ارتعب من أن شعبه رفضه، وخاف من المستقبل المجهول، ورأى أهوال الموت قادمةً عليه، وضاعت ثقته في نفسه، ولعله ظنَّ أن الرب رفضه.

٣ - خواطر داود: «ليت لي جناحاً كالحمامة فأطير وأستريح. ها أنذا كنتُ أبعد هارباً وأبيت في البرية. كنت أسرع في نجاتي من الريح العاصفة ومن النوءِ» (آيات ٦-٨). أراد أن يكون كحمامة، رمز البراءة والضعف والطيران العالي. هرب داود بسرعة قبل أن يجيئه الموت على يدي أقرب الناس إليه، وهو ولده الذي انقلب عليه، تاركاً قصره وسلطانه، حافي القدمين، يسند رأسه على حجر!

لكن رجلاً مثل داود لا يجب أن يهرب. ولقد جاز إرميا اختباراً مشابهاً فقال: «يا ليت رأسي ماء وعينيّ ينبوع دموع، فأبكي نهاراً وليلاً قتلى بنت شعبي. يا ليت لي في البرية مبيت مسافرين، فأترك شعبي وأنطلق من عندهم لأنهم جميعاً زناة، جماعة خائنين، يمدّون ألسنتهم كقسيّهم للكذب، لا للحق قووا في الأرض» (إر ٩:١-٣). و«بيت المسافرين» يشبه الفندق في الطريق الصحراوي بعيداً عن كل الناس. إلى هناك أراد إرميا أن يذهب، وإلى مكان بعيد أراد داود أن يهرب، بعيداً عن أبشالوم وعن أخيتوفل! ولكن ليس هذا هو الحل، فهذه رغبة عفوية، وليدة المشكلة والموقف! ولكن حالما يفكر داود في الأمر ملياً، وحالما يستريح في حضرة الله يقول ما قاله نحميا: «أرجلٌ مثلي يهرب!» (نح ٦:١١). لقد رفع الله داود بالرغم من ثورة ابنه ضده وهجران أصحابه له. وأحسن هو استخدام الصعوبة فباركه الله من خلالها، فلم تعُد حملاً ثقيلاً عليه يسقط تحته. وشكراً لله لأن منتظري الرب «يجدّدون قوة، يرفعون أجنحةً كالنسور. يركضون ولا يتعبون. يمشون ولا يعيون» (إش ٤٠:٣١).

ثانياً - ذكريات نفس حزينة

(آيات ٩-١٥)

حاول داود أن يهرب من الواقع لمرارته، فرجع إلى ذكرياته، وتذكر شيئين:

١ - عاصمة ظالمة: (آيات ٩-١١). تذكر الشر والظلم الذي حلَّ بالعاصمة أورشليم بعد أن طُرد منها، فانتشر فيها النهب والسلب، وتفشّت فيها الثورة ضد السلطة المدنية، والغش في التجارة، والظلم في الأحكام، حتى شَمَل الخراب كل شيء. «كيف صارت القرية الأمينة زانية؟.. كان العدل يبيت فيها، وأما الآن فالقاتلون» (إش ١:٢١). ولا شك أن شيئاً من هذا كان يحدث أثناء وجود داود في أورشليم. فلو أن داود أنصف لوزّع مسؤوليات القضاء على عدد كبير من القضاة في إسرائيل، ولم يدع كل صاحب حاجة يجيء إليه هو بمشكلته، مما جعل أبشالوم يستغل الموقف ويقول إن داود غير قادر على الإنصاف. وجدير بنا أن نتعلم كيف ننظم مسؤولياتنا فنوجد مزيداً من المحبة، ونوقف التصادم، فلا يتكرر ما حدث بين أبشالوم وأبيه، ويقلّ الظلم.

٢ - أصدقاء ظالمون: (آيات ١٢-١٥).

(أ) كان قريباً منه: «لأنه ليسَ عدوٌ يعيّرني فأحتمل. ليس مبغضي تعظم عليّ فأختبئ منه! بل أنت إنسان عديلي. إلفي وصديقي» (آيتا ١٢ و١٣). جاءت الخيانة من «إلفه» صاحب العِشرة الطويلة معه، ومن «صديقه» الذي كان يتفاهم معه، وليس من عدو له.

(ب) كان مفرحاً له: «معه كانت تحلو لنا العِشرة» (آية ١٤أ).

(ج) كان عابداً معه: «إلى بيت الله كنا نذهب في الجمهور» (آية ١٤ب). أفاضت العبادة على تلك الصداقة بُعداً روحياً مقدساً «فرحتُ بالقائلين لي: إلى بيت الرب نذهب» (مز ١٢٢:١). ولكن ذلك الصديق ارتدّ عن محبة الله ومحبة داود.

(د) فطلب له العقاب: (آية ١٥).

ثالثاً - ثقة نفس منتصرة

(آيات ١٦-٢٢)

١ - وصف الثقة: (آيات ١٦-٢١).

(أ) ثقة مستمرة: «أما أنا فإلى الله أصرخ والرب يخلصني. مساءً وصباحاً وظهراً أشكو وأنوح فيسمع صوتي» (آيتا ١٦ و١٧). كان يحدّث الله بانتظام مساءً وصباحاً وظهراً، واثقاً فيه، فانتصر. وكل من يدعو باسم الرب يخلص من خطاياه ومن كل ضيقاته (رو ١٠:١٣). كان دانيال يصلي ثلاث مرات في اليوم (دا ٦:١٠)، وكان الرسول بطرس يصلي ظهراً (أع ١٠:٩). كان داود يصلي في المساء لأن أحداث الغد تبدأ من مساء اليوم السابق له، فيضع داود أمام الله مشاكل يومه وما جرى فيه، لينام بدون أن تختمر مشاكل أمسه في رأسه، فتدمّر غده. وكان يصلي في الصباح ليبدأ يوماً جديداً بروح جديدة، ومحبة جديدة وغفران جديد. وكان يصلي في الظهر ليستمد قوة جديدة من الله، فلا تغرب الشمس على غيظه ولا يحتل إبليس مكاناً في قلبه (أف ٤:٢٦ و٢٧).

(ب) ثقة فاهمة: «فدى بسلامٍ نفسي من قتالٍ عليّ، لأنهم بكثرة كانوا حولي. يسمع الله فيذلّهم والجالس منذ القِدم» (آيتا ١٨ و١٩أ). فدى الرب داود لأنه فاديه ووليُّ أمره، فنال السلام الذي يحفظ فكره وقلبه في الرب الجالس على عرشه منذ القِدم. «ألستَ أنت منذ الأزل يا رب إلهي قدوسي؟» (حب ١:١٢). يبني داود ثقته الحاضرة في الرب على أساس أعمال الرب في الماضي معه، ويبني المستقبل على كليهما.

(ج) ثقة بالرغم من الصعوبة: (آيات ١٩ب-٢١). لم يبن داود ثقته المنتصرة على سهولة موقفه، بل بالرغم من صعوبته. لم تكن في قلوب أعدائه رحمة، بل كانوا مخادعين منافقين. وبالرغم من ذلك أعلن داود ثقته الظافرة بالله.

٢ - أساس الثقة: (آيتا ٢٢ و٢٣). أسّس ثقته على أمرين:

(أ) إلقاء همه على الرب: «ألقِ على الرب همك فهو يعولك. لا يدع الصدّيق يتزعزع إلى الأبد» (آية ٢٢). «الهمُّ في قلب الرجل يحنيه» (أم ١٢:٢٥). ومن الغريب أن كلمة «همّ» في الأصل العبري تحمل معنى آخر هو «عطية أو هدية» فأحياناً يرسل الله لنا بركات من الألم. وكأن داود يدعونا أن نسلّم للرب ما أعطاه لنا من نِعم، وما سمح لنا به من ألم، وأن نلقي نفوسنا وهمومنا عليه فيدبر أمرنا، لأنه يريد ويقدر أن يخلصنا من كل هم وضيق وتجربة. إنه الإله المتخصّص في المستحيلات، وكل ما هو غير مستطاع عند الناس مستطاع عنده وحده (مت ١٩:٢٦). «ملقين كل همكم عليه لأنه هو يعتني بكم» (١بط ٥:٧).

(ب) يعاقب الرب الخطاة: (آية ٢٣).

هذا الإله الذي يعاقب الخاطئ هو موضوع ثقة داود، الذي يقول: «أما أنا فأتّكل عليك».

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ عَلَى «ٱلْحَمَامَةِ ٱلْبَكْمَاءِ بَيْنَ ٱلْغُرَبَاءِ». مُذَهَّبَةٌ لِدَاوُدَ عِنْدَمَا أَخَذَهُ
ٱلْفِلِسْطِينِيُّونَ فِي جَتَّ.
١ اِرْحَمْنِي يَا اَللّٰهُ لِأَنَّ ٱلْإِنْسَانَ يَتَهَمَّمُنِي، وَٱلْيَوْمَ كُلَّهُ مُحَارِباً يُضَايِقُنِي. ٢ تَهَمَّمَنِي
أَعْدَائِي ٱلْيَوْمَ كُلَّهُ، لِأَنَّ كَثِيرِينَ يُقَاوِمُونَنِي بِكِبْرِيَاءٍ. ٣ فِي يَوْمِ خَوْفِي أَنَا عَلَيْكَ أَتَّكِلُ.
٤ اَللّٰهُ أَفْتَخِرُ بِكَلَامِهِ. عَلَى ٱللّٰهِ تَوَكَّلْتُ فَلَا أَخَافُ. مَاذَا يَصْنَعُهُ بِي ٱلْبَشَرُ! ٥ ٱلْيَوْمَ كُلَّهُ
يُحَرِّفُونَ كَلَامِي. عَلَيَّ كُلُّ أَفْكَارِهِمْ بِٱلشَّرِّ. ٦ يَجْتَمِعُونَ يَخْتَفُونَ يُلَاحِظُونَ خَطَوَاتِي عِنْدَمَا
تَرَصَّدُوا نَفْسِي. ٧ عَلَى إِثْمِهِمْ جَازِهِمْ. بِغَضَبٍ أَخْضِعِ ٱلشُّعُوبَ يَا اَللّٰهُ. ٨ تَيَهَانِي
رَاقَبْتَ. ٱجْعَلْ أَنْتَ دُمُوعِي فِي زِقِّكَ. أَمَا هِيَ فِي سِفْرِكَ؟
٩ حِينَئِذٍ تَرْتَدُّ أَعْدَائِي إِلَى ٱلْوَرَاءِ فِي يَوْمِ أَدْعُوكَ فِيهِ. هٰذَا قَدْ عَلِمْتُهُ لِأَنَّ ٱللّٰهَ لِي.
١٠ اَللّٰهُ أَفْتَخِرُ بِكَلَامِهِ. ٱلرَّبُّ أَفْتَخِرُ بِكَلَامِهِ. ١١ عَلَى ٱللّٰهِ تَوَكَّلْتُ فَلَا أَخَافُ. مَاذَا
يَصْنَعُهُ بِي ٱلْإِنْسَانُ؟ ١٢ اَللّٰهُمَّ عَلَيَّ نُذُورُكَ. أُوفِي ذَبَائِحَ شُكْرٍ لَكَ. ١٣ لِأَنَّكَ نَجَّيْتَ
نَفْسِي مِنَ ٱلْمَوْتِ. نَعَمْ، وَرِجْلَيَّ مِنَ ٱلزَّلَقِ، لِكَيْ أَسِيرَ قُدَّامَ ٱللّٰهِ فِي نُورِ ٱلْأَحْيَاءِ.

يقاومونني بكبرياء

هناك سبعة مزامير أطلق عليها القديس أغسطينوس اسم «مزامير الطريد» (هي ٧ و٣٤ و٥٢ و٥٤ و٥٦ و٥٧ و١٤٢) كتبها داود أثناء هروبه من مطاردات الملك شاول له، متنقلاً من بلد إلى بلد، ومن كهف إلى كهف، وحتى إلى بلاد الفلسطينيين. أما مناسبة كتابة هذا المزمور فهي نفس مناسبة كتابة مزمور ٣٤، فنرجو أن يرجع القارئ الكريم إلى مقدمته.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – شكوى من ملاحقة العدو وعلاجها (آيات ١–٤)

ثانياً – شكوى من مؤامرات العدو وعلاجها (آيات ٥–٨)

ثالثاً – الاطمئنان مع الله (آيات ٩–١٣)

أولاً - شكوى من ملاحقة العدو وعلاجها

(آيات ١-٤)

١ - سبب الشكوى: (آيتا ١ و٢).

(أ) العدو يلاحقه: «ارحمني يا الله لأن الإنسان يتهمَّمني.. تهمَّمني أعدائي» (آية ١ و٢أ). يطلب رحمة الله، ويشكو من تهمُّم العدو الذي يطارده ويلاحقه، مع أن العدو «إنسان» مائتٌ باطل، مأخوذ من التراب وإلى التراب يعود، ولكنه في شره يظن أنه قوي قادرٌ على ملاحقة داود وقتله. ولا شك أن رحمة الله أعظم جداً من الإنسان الفاني، ولا بد أن تنقذ المرنم الطريد.

(ب) العدو لا يتوقَّف عن ملاحقته: «اليوم كله محارباً يضايقني. تهممني أعدائي اليوم كله» (آية ١ب و٢أ).

(ج) الأعداء كثيرون: «لأن كثيرين يقاومونني بكبرياء » (آية ٢ب). والمؤمن الذي لا يتوقَّع الشر والمقاومة مؤمن ساذج، فإبليس كأسدٍ زائر يجول ملتمساً من يبتلعه (١بط ٥:٨). قال المسيح لبطرس: «هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة. ولكني طلبتُ من أجلك لكي لا يفنى إيمانك» (لو ٢٢:٣١ و٣٢).

٢ - علاج شكوى الملاحقة: (آيتا ٣ و٤).

(أ) الاعتماد على الله: « في يوم خوفي أنا عليك أتَّكل.. على الله توكلت فلا أخاف» (آيتا ٣ و٤ب). لا يسجِّل الوحي أن داود خاف من العدو إلا وهو في جت (١صم ٢١:١٢). وفي خوفه سلَّم قضيته لمن لا يُرى ولكنه يرى، القادر على كل شيء. فصار من «المتكلين على الرب مثل جبل صهيون الذي لا يتزعزع، بل يسكن إلى الدهر. أورشليم الجبال حولها، والرب حول شعبه من الآن وإلى الدهر» (مز ١٢٥:١ و٢).

(ب) الافتخار بكلمة الله ومواعيده: «الله أفتخر بكلامه» (آية ٤أ). «انتظرتُك يا رب. انتظرَت نفسي، وبكلامه رجوت» (مز ١٣٠:٥). «لم تسقط كلمةٌ من جميع الكلام الصالح الذي كلَّم به الرب بيت إسرائيل، بل الكل صار» (يش٢١:٤٥).

(ج) معرفة ضعف البشر: «ماذا يصنعه بي البشر!» (آية ٤ج).

ثانياً - شكوى من مؤامرات العدو وعلاجها

(آيات ٥-٨)

١ - سبب الشكوى من المؤامرات: (آيتا ٥ و٦).

(أ) تحريف كلامه: «اليوم كله يحرِّفون كلامي» (آية ٥أ). عندما وقع شاول بيد داود سأله: «لماذا تسمع كلام الناس القائلين: هوذا داود يطلب أذيَّتك؟» (١صم ٢٤:٩). وقد حرَّف دواغ الأدومي

كلام داود، وحرّف تفسير ما فعله رئيس الكهنة، واشتكى عليهما بالباطل، فقُتل خمسة وثمانون كاهناً، وضُربت مدينتهم «نوب» بمن فيها من رجال ونساء وأطفال ورضعان وبهائم (١صم ٢٢:١٨ و١٩).

(ب) **تفكيرهم بالشر**: «عليَّ كل أفكارهم بالشر» (آية ٥ب). إنهم من أب هو إبليس، و«مصارعتنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم، على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات» (أف ٦:١٢).

(ج) **يكمنون للشر**: «يجتمعون، يختفون، يلاحظون خطواتي عندما ترصّدوا نفسي» (آية ٦). كجواسيس اجتمعوا ليراقبوه، فإذا انتبه لاجتماعهم اختفوا، ولكنهم استمروا يلاحظونه ويرصدون تحرُّكاته ليبلغوا بها شاول الذي أمرهم: «اذهبوا أكِّدوا أيضاً، واعلموا وانظروا مكانه حيث تكون رِجْله، ومَن رآه هناك. لأنه قيل لي إنه مكراً يمكر. فانظروا واعلموا جميع المختبآت التي يختبئ فيها. ثم ارجعوا إليَّ على تأكيدٍ فأسير معكم. ويكون إذا وُجد في الأرض أني أفتش عليه بجميع ألوف يهوذا» (١صم ٢٣:٢٢ و٢٣).

٢ - طلبتان لعلاج الشكوى: (آيتا ٧ و٨).

(أ) **عقاب المتآمرين**: «على إثمهم جازِهم. بغضبٍ أخضِع الشعوب يا الله» (آية ٧). يبني داود ثقته على أن عدالة الله لا بد ستنجيه من المتآمرين عليه، فهي تجازي كل واحد حسب عمله.

(ب) **الإنقاذ الإلهي**: «تيَهاني راقبتَ. اجعل أنت دموعي في زِقّك. أما هي في سِفْرك؟» (آية ٨). كلمة «راقبتَ» في الأصل العبري تعني الإحصاء، فالرب يُحصي حتى شعور رأس المؤمن (مت ١٠:٣٠). لقد أحصى عدد مرات تيهان داود، وعدد الكهوف التي اختبأ فيها، وعدد الصعوبات التي اجتازها، وفي كل ضيقه تضايق، وملاك حضرته خلَّصه. بمحبته ورأفته فكّه ورفعه، وحمله (إش ٦٣:٩)، وحفظ دموعه في الزقّ الإلهي (وهو وعاءٌ من الجلد، أو قِرْبة). وهذا التعبير مأخوذٌ من عادةٍ قديمة، هي أنه عندما يذهب صديقٌ لزيارة صديقٍ حزين، يبكي معه، ثم يمسح دموعه بمنديل، يعصره في زجاجة صغيرة، يحتفظون بها تذكاراً للصداقة التي تواسي المتألم وقت الحزن. وداود يثق أن الرب صديقه، يواسيه ويتألم معه ويسجّل كل أحزانه ودموعه في سِفره! «حينئذ كلَّم متّقو الرب كلٌّ واحد قريبه، والرب أصغى وسمع، وكُتب أمامه سفر تذكرة للذين اتّقوا الرب وللمفكرين في اسمه» (ملا ٣:١٦)، وكأن الله يسجل حالة كل مؤمن يصلي إليه في مذكرة خاصة، فلا يحتاج المصلي أن يعيد الطلب ويكرره كالذين يظنون إنه بكثرة كلامهم يُستجاب لهم (مت ٦:٧).

ثالثاً - الاطمئنان مع الله

(آيات ٩-١٣)

بناءً على حقائق الإعلان الإلهي، وعلى الاختبارات السابقة يجد المؤمن الاطمئنان والسلام والراحة. ويرجع اطمئنانه إلى:

١ – **تأكيد هزيمة العدو:** « حينئذ ترتدُّ أعدائي إلى الوراء في يوم أدعوك فيه. هذا قد علِمتُـهُ لأن الله لي» (آية ٩). يجيء الاطمئنان أولاً من تأكيد هزيمة العدو، فيحصل المؤمن على النجاة، ويقـول: «أدعو الرب الحميد فأتخلّص من أعدائي» (٢صم ٢٢:٤).

٢ – **تأكيد النصر:** «الله أفتخر بكلامه. الرب أفتخر بكلامـه. علـى اللـه توكّلتُ فـلا أخـاف. مـاذا يصنعه بي الإنسـان!» (آيتـا ١٠ و١١). صحيحٌ أن «مـن ازدرى بالكلمـة يُخـرب نفسـه، ومـن خشـي الوصيَّة يُكافأ» (أم ١٣:١٣). يطمئن التقي لأنه يثق أن النصر قادم، بنـاءً علـى مواعيد اللـه. وهـو لا ينجو فقط بل سينتصر! ويكرر المرنم هنا ما قاله في آية ٤، فهو يفتخر بكلام اللـه ومواعيـده، ويتكـل عليه فلا يخاف ماذا يصنع به الإنسان، فـالرب ملـك السـماوات والأرض يقـول فـي مطلـع كـل يـوم: «اسـألوا تعطـوا. اطلبـوا تجـدوا. اقرعـوا يُفتـح لكـم.. اطلبـوا تـأخذوا ليكــون فرحكــم كــاملاً» (مت ٧:٧ ويو ١٦:٢٤).

٣ – **تأكيد الصلة بالرب:** (آيتا ١٢ و١٣).

تظهر صلة داود بالرب من نذرٍ يوفيه، وشكر يؤدّيه.

(أ) وفاء النذر: «اللهمَّ عليَّ نذورك» (آية ١٢أ). فبالرغم مـن أنـه متغـرِّبٌ فـي أرض الفلسـطينيين، لكنه يثق أنه سيعود إلى مكان العبادة في أورشليم ليوفي نـذوره. «أدخـل إلـى بيتـك، بمحرقـاتٍ أوفيـك نذوري التي نطقَت بها شفتاي، وتكلم بها فمي في ضيقي» (مز ٦٦:١٣ و١٤).

(انظر تعليقنا على مز ٥٠:١٤ بخصوص النذور).

(ب) ذبائح الشكر: «أوفي ذبائح شكرٍ لك» (آية ١٢ب). بالإضافة إلـى الوفـاء بـالنذور يقدّم تقدمـة شكر على نجاةٍ قادمةٍ لا شكَّ فيها. « أُصعد لك محرقاتٍ سمينة مع بخور كباش» (مز ٦٦:١٥).

٤ – **تأكيد النجاة:** «لأنك نجَّيْتَ نفسي من الموت، نعم ورجليَّ من الزَّلق، لكي أسير قدام الله في نور الأحياء» (آية ١٣). يتحدث داود عن المستقبل بصيغة الماضي، لأنه واثقٌ من النجاة. لقد اختـبر الإنقاذ الإلهي مرات بلا عدد، فقد أنقذه وهـو صبـي مـن افتراس الأسـد، وأنقذه وشـعبه مـن جليـات الجبار. وكم أراد العدو أن يدفع به لينزلق ويسقط، ولكن الرب أقامه على صخرة حصينـة. وكـم أراد أن يلقي به في ظلمة القبر ولكن الرب منعه، فقال داود لعدوّه: «دَحَرْتَنـي دُحـوراً لأسـقط، أمـا الـرب فعَضَدَني» (مز ١١٨:١٣). إنه يثق أنه سيسير قدام الله في نور الأحياء، لا في ظلمة القبر، فيحيا فـي محضر الرب، تحت حمايته، يقدّم له الخدمة المرضيَّـة، فـإن كـل مـن يتبـع نـور العـالم لا يمشـي فـي الظلمة، بل يكون له نور الحياة (يو ٨:١٢).

دعونا نركز أنظارنا على الله، فنختبر مع داود صلاحه وعنايتـه ومحبتـه وفضلـه الـذي لا ينقص ولا يتوقّف:

المزمور السابع والخمسون

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ. عَلَى «لَا تُهْلِكْ». مُذَهَّبَةٌ لِدَاوُدَ عِنْدَمَا هَرَبَ مِنْ قُدَّامِ شَاوُلَ فِي ٱلْمَغَارَةِ.
١ اِرْحَمْنِي يَا اَللّٰهُ اَرْحَمْنِي، لِأَنَّهُ بِكَ ٱحْتَمَتْ نَفْسِي، وَبِظِلِّ جَنَاحَيْكَ أَحْتَمِي إِلَى أَنْ
تَعْبُرَ ٱلْمَصَائِبُ. ٢ أَصْرُخُ إِلَى ٱللّٰهِ ٱلْعَلِيِّ، إِلَى ٱللّٰهِ ٱلْمُحَامِي عَنِّي. ٣ يُرْسِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ
وَيُخَلِّصُنِي. عَيَّرَ ٱلَّذِي يَتَهَمَّمُنِي. سِلَاهْ. يُرْسِلُ ٱللّٰهُ رَحْمَتَهُ وَحَقَّهُ. ٤ نَفْسِي بَيْنَ ٱلْأَشْبَالِ.
أَضْطَجِعُ بَيْنَ ٱلْمُتَّقِدِينَ بَنِي آدَمَ. أَسْنَانُهُمْ أَسِنَّةٌ وَسِهَامٌ، وَلِسَانُهُمْ سَيْفٌ مَاضٍ. ٥ ٱرْتَفِعِ
ٱللّٰهُمَّ عَلَى ٱلسَّمَاوَاتِ. لِيَرْتَفِعْ عَلَى كُلِّ ٱلْأَرْضِ مَجْدُكَ. ٦ هَيَّأُوا شَبَكَةً لِخَطَوَاتِي. ٱنْحَنَتْ
نَفْسِي. حَفَرُوا قُدَّامِي حُفْرَةً. سَقَطُوا فِي وَسَطِهَا. سِلَاهْ.
٧ ثَابِتٌ قَلْبِي يَا اَللّٰهُ ثَابِتٌ قَلْبِي. أُغَنِّي وَأُرَنِّمُ. ٨ ٱسْتَيْقِظْ يَا مَجْدِي. ٱسْتَيْقِظِي يَا
رَبَابُ وَيَا عُودُ. أَنَا أَسْتَيْقِظُ سَحَراً. ٩ أَحْمَدُكَ بَيْنَ ٱلشُّعُوبِ يَا رَبُّ. أُرَنِّمُ لَكَ بَيْنَ
ٱلْأُمَمِ. ١٠ لِأَنَّ رَحْمَتَكَ قَدْ عَظُمَتْ إِلَى ٱلسَّمَاوَاتِ، وَإِلَى ٱلْغَمَامِ حَقُّكَ. ١١ ٱرْتَفِعِ
ٱللّٰهُمَّ عَلَى ٱلسَّمَاوَاتِ. لِيَرْتَفِعْ عَلَى كُلِّ ٱلْأَرْضِ مَجْدُكَ.

إلى أن تعبر المصائب

هناك سبعة مزامير أطلق عليها القديس أغسطينوس اسم «مزامير الطريد» (هي ٧ و٣٤ و٥٢ و٥٤ و٥٦ و٥٧ و١٤٢) كتبها داود أثناء هروبه من مطاردات الملك شاول له، متنقلاً من بلد إلى بلد، ومن كهف إلى كهف، وحتى إلى بلاد الفلسطينيين. ويقول عنوان هذا المزمور إن داود كتبه «عندما هرب من قدام شاول في المغارة». ولا ندري إن كانت تلك المغارة (الكهف) مغارة عدلام (١صم ٢٢) أو مغارة عين جدي على الشاطئ الغربي للبحر الميت (١صم ٢٤). ويبدأ هذا المزمور كما بدأ سابقه بالقول «ارحمني يا الله». وقد اعتبرت الكنيسة هذا المزمور مناسباً لصباح القيامة، وانتصار المسيح على قوى الموت والجحيم (١كو ١٥:٢٤-٢٨)، كما تقول الآية الأخيرة منه: «ارتفع اللهمَّ على السموات. ليرتفع على كل الأرض مجدك».

في هذا المزمور نجد،

أولاً – الله هو الحماية في المصائب (آيات ١-٦)

ثانياً – تسبيح المنجّي من المصائب (آيات ٧-١١)

أولاً - الله هو الحماية في المصائب

(آيات ١-٦)

منذ نصر الله شعبه بيد داود حقد شاول عليه، فصار دائم التنقّل، حتى قال لشاول: «وراء من أنت مُطارِد؟.. وراء برغوثٍ واحد!» (١صم ٢٤:١٤). والبرغوث حشرة صغيرة كثيرة القفز ويصعب إمساكها. وكأن داود يريد أن يقول إنه لا يستحق كل مطاردة شاول، الذي لن يمسك به!

قد لا نمرُّ بنفس ظروف داود، ولكن مَن منا لم يطارده الإحساس بالذنب، فيحتاج إلى ملجإ الكفارة الذي يستر خطاياه؟ ومَن لم يجربه إبليس الذي لا يترك أحداً بدون تجربة؟ لله ابنٌ وحيد بلا خطية، لكنه لم يكن بلا تجربة. ومن لم يدخل في صعوبة الاضطهاد، ويقاسي الضيق من العالم الحاضر الشرير؟ قال الرسول بولس: «جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يُضطَهدون» (٢تي ٣:١٢). نحن في ذات السفينة التي ركبها داود، والتي تضربها العواصف! وفي الآيات الست الأولى من مزمورنا نجد خمس حقائق:

١ - **طلب الحماية:** «ارحمني يا الله ارحمني لأنه بك احتمت نفسي، وبظل جناحيك أحتمي إلى أن تعبر المصائب. أصرخ إلى الله العلي، إلى الله المحامي عني» (آيتا ١ و٢). يطلب داود الرحمة اعتماداً على رأفة الله وأمانته لوعوده الكريمة. وهو يكرر دعاءه «ارحمني» مرتين، لإحساسه بعدم الاستحقاق. وقد جاء المسيح لا للذين يظنون أنهم أبرار، بل للأشرار الذين يحسّون بذنوبهم ويعترفون بها (مت ٩:١٣). ويطلب داود الحماية في ظل جناحي الرب إلى أن تعبر المصائب القادمة عليه كموجات متتالية تكاد تغرقه. وهو تعبير يحمل معاني الحب، والسرعة، والرفعة، والراحة، والظل، والأمان، فعندما تحسُّ الأفراخ الصغيرة بالخطر تُهرَع لتحتمي تحت جناحي أمها. «كما يترأف الأبُ على البنين يترأف الرب على خائفيه» (مز ١٠٣:١٣).

يحمي الرب المؤمن من المصاعب، ومن أشعة الشمس المحرقة. وهذا ما أراد المسيح أن يفعله بأورشليم، فقال: «كم مرة أردتُ أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها» (مت ٢٣:٣٧). وقال بوعز لراعوث: «ليكن أجرُكِ كاملاً من عند الرب إله إسرائيل، الذي جئتِ لكي تحتمي تحت جناحيه» (را ٢:١٢). وقد طلب داود الحماية من الله العلي ملك العالم، الجالس على كرسي عال ومرتفع، وأذياله تملأ الهيكل (إش ٦:١). وهو أعلى بكثير من كل أعداء المرنم، وهو المحامي عنه والشفيع الذي يقدر أن يعين المجرَّبين. «فإذْ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات: يسوع ابن الله، فلنتمسَّكْ بالإقرار، لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا، بل مجرّب في كل شيء مثلنا بلا خطية. فلنتقدَّم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة، ونجد نعمةً، عوناً في حينه» (عب ٤:١٤-١٦). إنه صاحب السلطان في السماء وعلى الأرض، وسيحمي محبّيه كل الأيام إلى انقضاء الدهر (مت ٢٨:١٨ و٢٠).

٢ - **انتظار الحماية:** «يرسل من السماء ويخلّصني. عيَّر الذي يتهممني. يرسل الله رحمته وحقّه» (آية ٣). طرق الرب كثيرة للإنقاذ، وكلها سماوية، عامرة بالحكمة في التوقيت والأداء. يرسل

مَن يشاء، متى يشاء، وفي وقته يسرع به. إنه يرسل «رحمته وحقّه» وهما ملاكان حارسان يخدمان الأتقياء الذين يصرخون طالبين النجاة، فيعيّران العدو الذي يتهمَّم المرنم ويخزيانه ويسلمانه للعار.

٣ - خطورة الموقف: «نفسي بين الأشبال. أضطجع بين المتّقدين بني آدم. أسنانهم أسنَّةٌ وسهامٌ، ولسانهم سيفٌ ماضٍ» (آية ٤). كان الأعداء كالأسود الجائعة المحيطة بداود من كل جانب تريد أن تلتهمه، وكأنه مع دانيال في الجب الخطير (دا ٦). ومع ذلك فهو يضطجع وينام رغم نيران الحقد والعداء المتّقدة في نفوسهم ضده! لقد قال عندما هرب أمام أبشالوم: «بسلامةٍ أضطجع، بل أيضاً أنام، لأنك أنت يا رب منفرداً في طمأنينةٍ تسكنني» (مز ٤:٨). وقد نام في مغارة عدلام كما نام بطرس نوماً عميقاً في السجن، رغم علمه أن غضب هيرودس يتّقدّ ضدّه (أع ١٢:٦). قد ينام الخائف هروباً من الخطر، لكن المؤمن يضطجع وينام مطمئناً لأنه يثق في كمال محبة الرب له. صحيحٌ أنهم نهشوا نفسه بكلامهم الخشن، الشبيه بالأسنّة (جمع سِنان، وهو نصل الرمح) أو كالسيوف الحادة، ولكنه يعلم أن نجاته لا بد قادمة، لأن المؤمن يحكم على كل لسان يقوم ضده في القضاء (إش ٥٤:١٧).

٤ - طلب مجد الله: «ارتفع اللهمَّ على السماوات. ليرتفع على كل الأرض مجدك» (آية ٥). يطلب المرنم أن يعلن الله مجده «ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم، فإن لرب الجنود يوماً على كل متعظِّمٍ وعالٍ، وعلى كل مرتفعٍ فيوضَع» (إش ٢:١١ و١٢).

٥ - الحصول على الحماية: «هيَّأوا شبكةً لخطواتي. انحنت نفسي. حفروا قدّامي حفرةً. سقطوا في وسطها» (آية ٦). ما أكثر ما نصَب شاول الشِّباك وحفر الحُفر ليقتنص داود، الذي انحنت نفسه وانكسرت من شدة المطاردة التي لا تتوقّف. ولكن الرب أنقذه منها جميعها، وحصد أعداؤه ما زرعوه، فإن «من يحفر هُوَّةً يقع فيها، ومن ينقض جداراً تلدغه حيّةٌ» (جا ١٠:٨).

ثانياً - تسبيح المنجي من المصائب
(آيات ٧-١١)

١ - روح التسبيح: «ثابتٌ قلبي يا الله، ثابتٌ قلبي. أغني وأرنم» (آية ٧). كنا نتوقّع أنه بسبب كل المخاوف التي وصفها في الآيات السابقة يقول: «خائفٌ قلبي». ولو أنه قالها لكان له كل الحق بحسب المقاييس البشرية. ولكنه ثبّت قلبه في الله بالرغم من كل المصائب. لقد وعده الله وعوداً صادقة، وتعامل معه معاملات عظيمة. ولايمكن أن ينسى يوم زيارة صموئيل النبي لبيت أبيه يسّى ليمسح للرب ملكاً. وجاء يسّى بأبنائه الستة، ولكن صموئيل سأل: «هل كملوا الغلمان؟». فأجاب يسى: «بقي بعد الصغير وهوذا يرعى الغنم». قال: «لا نجلس حتى يأتي إلى ههنا». وانتظر صموئيل حتى جاء داود، فمسحه ملكاً بناءً علي تكليف الله، فحلَّ روح الرب على داود (١صم ١٦:١-١٣). وبسبب ثبات داود في الرب لم يتوقّف عن التسبيح. لم يوقفه إبليس، ولا مطاردة شاول، ولا غدر الفلسطينيين. لقد جعل داود حوائط مغارة عدلام تردّد صدى ترتيله، وشعاره: «أسبّح الرب في حياتي، وأرنّم لإلهي ما دمتُ موجوداً» (مز ١٤٦:٢). «الرب نوري وخلاصي، ممن أخاف؟ الرب حصن حياتي، ممن

أرتعب؟» (مز ٢٧: ١). «لا يخشى من خبر سوء. قلبه ثابت متكلاً على الرب» (مز ١١٢: ٧). «ثبتّم على الإيمان، متأسّسين وراسخين وغير منتقلين عن رجاء الإنجيل» (كو ١: ٢٣).

٢ - **حماس التسبيح:** «استيقِظْ يا مجدي. استيقظي يا رباب ويا عود. أنا أستيقظُ سحراً» (آية ٨). يدعو داود أمجد ما فيه ليسبح الرب، فيدعو عقله الذي يفكر، وقلبه الذي يحب، ولسانه الذي ينطق، وخياله الشعري الذي يكتب المزامير، وقدراته الفنية ليضع اللحن المناسب لتمجيد الرب. ويدعو كل آلاته الموسيقية من ربابٍ وعود لتستيقظ معه في الفجر. جاء في التلمود اليهودي أنه كان من عادة داود أن يعلّق عوداً فوق رأسه. وبعد منتصف الليل كانت ريح الشمال تضرب أوتار العود فتنبعث الأنغام، فينهض على صوتها يقرأ الشريعة إلى أن يحين الفجر. واقتبسوا عن داود قوله: «يوقظ الفجرُ الملوكَ، أما أنا فأوقظ الفجر!».

وما أجمل قول الشاعر:

قُم في الدُّجَى يا أيها المُتعبّدُ   حتى متى فوق الأسرّة ترقد؟!

٣ - **مكان التسبيح:** «أحمدك بين الشعوب يا رب، أرنّم لك بين الأمم» (آية ٩). سبّح داود الرب بين الشعوب فهذه روح كرازية، تتخطى حواجز الأمم والجنس، ليشهد لإلهه أمام من لا يعرفونه. وتحققت رغبته، فإن العابدين في كل الكنائس ينشدون مزاميره، وكأنه قائد فرق الترنيم فيها كلها!

٤ - **دوافع التسبيح:** «لأن رحمتك قد عظمت إلى السموات، وإلى الغمام حقك» (آية ١٠). دفعت الرحمة والحق داود للتسبيح. لقد طلب الرحمة من الله في أول المزمور، وفي آخره يؤكد أنها ارتفعت إلى السموات، فوق ظلم شاول وجميع مقاوميه، فإنه مثل ارتفاع السماوات فوق الأرض قويت رحمته على خائفيه (مز ١٠٣: ١١). رأى داود الله من داخل المغارة، وعندما خرج منها رأى الغيوم العالية وفيها قوس قزح، علامة عهد الله مع جدّه الأكبر نوح، فتأكد من أمانة الله. ولما هطل المطر الذي يروي الإنسان والزرع أدرك رحمة الله. صحيحٌ أن الحق يحتجب أحياناً وراء غيوم الباطل، لكن احتجاب أشعة الشمس خلف الغيوم لا يعني عدم وجودها، فهي خلف الغيمة. والله موجود وراء كل تجارب الحياة، ولن يعطّل وصول رحمته إلينا أي شيء.

٥ - **تواضع صاحب التسبيح:** «ارتفع اللهم على السموات. ليرتفع على كل الأرض مجدك» (آية ١١). يرى داود أن ترنيمه وتمجيده لله ليس كافياً، فيدعو الملائكة، وأرواح الأبرار المُكمَّلين، أن يكملوا ترتيله المحدود بترتيلهم العظيم. ويدعو البشر جميعاً أن يعلّوا اسم الرب في كل الأرض، فتكون مشيئته كما في السماء كذلك على الأرض «وليتبارك اسم جلالك المتعالي على كل بركة وتسبيح» (نح ٩: ٥).

فليعطنا الرب أن نختبر دوماً مراحمه التي لا تنتهي، ليرتفع على كل الأرض مجده! «وسمعتُ كصوت جمعٍ كثير، وكصوت مياهٍ كثيرة، وكصوت رعودٍ شديدة، قائلة: هللويا، فإنه قد ملك الرب الإله القادر على كل شيء» (رؤ ١٩: ٦).

المزمور الثامن والخمسون

لإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ. عَلَى «لاَ تُهْلِكْ». لِدَاوُدَ. مُذَهَّبَةٌ

١ أَحَقّاً بِٱلْحَقِّ ٱلأَخْرَسِ تَتَكَلَّمُونَ، بِٱلْمُسْتَقِيمَاتِ تَقْضُونَ يَا بَنِي آدَمَ؟ ٢ بَلْ بِٱلْقَلْبِ
تَعْمَلُونَ شُرُوراً فِي ٱلأَرْضِ. ظُلْمَ أَيْدِيكُمْ تَزِنُونَ. ٣ زَاغَ ٱلأَشْرَارُ مِنَ ٱلرَّحِمِ. ضَلُّوا مِنَ
ٱلْبَطْنِ، مُتَكَلِّمِينَ كَذِباً. ٤ لَهُمْ حُمَةٌ مِثْلُ حُمَةِ ٱلْحَيَّةِ. مِثْلُ ٱلصِّلِّ ٱلأَصَمِّ يَسُدُّ أُذْنَهُ،
٥ ٱلَّذِي لاَ يَسْتَمِعُ إِلَى صَوْتِ ٱلْحُوَاةِ ٱلرَّاقِينَ رُقَى حَكِيمٍ.
٦ اَللّٰهُمَّ كَسِّرْ أَسْنَانَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمِ. اهْشِمْ أَضْرَاسَ ٱلأَشْبَالِ يَا رَبُّ. ٧ لِيَذُوبُوا
كَٱلْمَاءِ، لِيَذْهَبُوا. إِذَا فَوَّقَ سِهَامَهُ فَلْتَنْبُ. ٨ كَمَا يَذُوبُ ٱلْحَلَزُونُ مَاشِياً. مِثْلَ سِقْطِ
ٱلْمَرْأَةِ لاَ يُعَايِنُوا ٱلشَّمْسَ. ٩ قَبْلَ أَنْ تَشْعُرَ قُدُورُكُمْ بِٱلشَّوْكِ، نِيئاً أَوْ مَحْرُوقاً،
يَجْرُفُهُمْ. ١٠ يَفْرَحُ ٱلصِّدِّيقُ إِذَا رَأَى ٱلنَّقْمَةَ. يَغْسِلُ خَطَوَاتِهِ بِدَمِ ٱلشِّرِّيرِ. ١١ وَيَقُولُ
ٱلإِنْسَانُ: «إِنَّ لِلصِّدِّيقِ ثَمَراً. إِنَّهُ يُوجَدُ إِلٰهٌ قَاضٍ فِي ٱلأَرْضِ».

يوجد إله قاضٍ في الأرض

يقدّم لنا داود في هذا المزمور الإنسان الخاطئ في أعماله، وفي مصيره السيئ، ويدعونا للتوبة، مؤكداً أن الله يريد إنقاذنا من مصير الأشرار. ويبدأ بتوبيخ المسؤولين الذين لا يقضون بالعدل، ويقول إنهم أسوأ من المتّهمين المقدّمين للمحاكمة أمامهم. ويقول إن الله سيجعل الظالمين عاجزين عن إيقاع الأذى بالأبرياء، وسيبيدهم من الأرض. عند هذا «يقول الإنسان إن للصدّيق ثمراً. إنه يوجد إله قاضٍ في الأرض».

ولعل هذا المزمور كُتب وقت ثورة أبشالوم الفاشلة على والده داود (٢صم ١٥).

في هذا المزمور نجد:

أولاً – مظاهر شر الشرير (آيات ١-٥)

ثانياً – نتائج شر الشرير (آيات ٦-٩)

ثالثاً – درسان من دمار الشرير (آيتا ١٠ و١١)

أولاً - مظاهر شر الشرير

(آيات ١-٥)

١ - يسكت عن الحق: «أحقاً بالحق الأخرس تتكلمون؟ بالمستقيمات تقضون يا بني آدم؟» (آية ١) يوبّخ داود الحكام الأشرار الذين يسكتون عن الحق ويخرسون عن إعلانه، ولا يحكمون بالعدل والصواب الذي كان يجب أن يعلنوه، ويسألهم في استفهام استنكاري: «بالمستقيمات تقضون يا بني آدم؟» والتعبير «بني آدم» يُطلَق على الإنسان لضعفه وقابليته للموت. وبهذا يذكّرهم داود أنهم لن يستمروا في مناصبهم إلى الأبد، فلماذا يسكتون عن الحق، مع أنه «من يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل، فذلك خطية له» (يع ٤:١٧)؟

٢ - يُدبّر الظلم: «بل بالقلب تعملون شروراً في الأرض. ظلم أيديكم تَزِنون» (آية ٢). لقد عزموا بكل قلوبهم أن يخطئوا، لأن طبيعتهم فاسدة، فبدل أن يزنوا الأمور بدقّة ليحكموا بالعدل، يزنون الأمور بميزان الظلم. والميزان يمثّل العدالة، فكان يجب أن يكونوا عادلين، لكنهم عوضاً عن ذلك ملأوا كفة الميزان ظلماً، ورجّحوا كفّة الظلم على الناس. تظاهروا بالعدل ومارسوا الظلم، وأبدلوا البر بالشر، فإذا الظلم في مكان العدل، والشر في مكان البر!

٣ - طبيعة فاسدة: «زاغ الأشرار من الرَّحم، ضلّوا من البطن، متكلمين كذباً» (آية ٣). منذ بداية الخليقة وشر الإنسان كثير «لأن تصوُّر قلب الإنسان شرير منذ حداثته» (تك ٨:٢١). «يسلك سائر الأمم أيضاً ببُطل ذهنهم، إذ هم مظلمو الفكر، ومتجنّبون عن حياة الله لسبب الجهل الذي فيهم، بسبب غلاظة قلوبهم. الذين إذ هم قد فقدوا الحِسّ، أسلموا نفوسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسة في الطمع» (أف ٤:١٧-١٩). أما الذين تابوا وفتحوا قلوبهم لنعمة الله فيقول لهم: «وأما أنتم فلم تتعلموا المسيح هكذا» (أف ٤:٢٠) لأنهم قاموا مع المسيح إلى حياة جديدة.

٤ - يرفضون التوبة: «لهم حُمة مثل حُمة الحية، مثل الصلّ (نوع خبيث من الحيات) الأصمّ يسدّ أذنه، الذي لا يستمع إلى صوت الحُواة الرَّاقين رُقَى حكيم» (آيتا ٤ و٥). الأشرار أعداءٌ للناس، وكالحيَّة يسمّمون حياة البشر. يرفضون كلام الله ولا يتوبون. ويشبّههم المرنم بالصلّ الأصمّ الذي يسدّ أذنه فلا يسمع صوت الحُواة الحكماء الذين يزمّرون للحية الخبيثة فتنتشي وتستسلم لهم ليخلعوا أسنانها السامة، فيبقى السمُّ فيهم.

وهناك خطاة لا يرفضون عمل الله فقط، بل يقاومون روحه القدوس. لهؤلاء قال الشهيد المسيحي الأول استفانوس: «يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان، أنتم دائماً تقاومون الروح القدس. كما كان آباؤكم كذلك أنتم! أيُّ الأنبياء لم يضطهده آباؤكم، وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجيء البار الذي أنتم الآن صرتم مسلّميه وقاتليه؟» (أع ٧:٥١-٥٣). فكم من مرة يدعونا الله للتوبة عن طريق آية من الكتاب المقدس، أو بمعاملاته اليومية معنا إذ يلمس حياتنا بلمسة حب أو بتأديب محبة، أو من خلال صديق يحدثنا عن التغيير الذي جرى في حياته. بهذه الطرق وغيرها يقدم لنا الله دعوة مفتوحة

للتوبة ويقول: «إن سمع أحد صوتي وفتح الباب، أدخل إليه» (رؤ ٣: ٢٠) لأُشبع قلبه بمغفرة خطاياه، وبمنحه نعمة التبنّي التي تضمن له حياته الأبدية.

ثانياً - نتائج شر الشرير
(آيات ٦-٩)

لما كانوا خطاة يرفضون التوبة، يعلن داود أن الله سيكسر قوتهم الشريرة.

١ - **قوتهم تتحطم:** «اللهمَّ كسّر أسنانهم في أفواههم. اهشِم أضراس الأشبال يا رب» (آية ٦). لا بد أن الله سيحطم القوة التي تريد افتراس الصدّيق. وكم من مرة هشَّم فيها الله أسنان الشرير فقاده للتوبة، لأنه كشف له عجزه وألجأه إلى هجر ظلمه وطاعة ربّه.

٢ - **عملهم سيفشل:** «ليذوبوا كالماء. ليذهبوا. إذا فوّق سهامه فلْتَنْبُ» (آية ٧). فإن كانوا جامدين كالثلج سيذوبون وتبتلعهم الأرض. ربما ظنوا أن قوتهم باقية صلبة، ولكن لا بد أن تبتلعهم الأرض ويختفوا، فتخيب سهامهم ولا تصيب الهدف الذي هو قلب الصدّيق. إنهم يريدون أن يحطموا المؤمن، ويقضوا عليه، ولكن الله سيقف إلى جواره ليضمن سلامته، ويخيّب مهاجمات الأشرار، ويُنهي من الأرض ذكرهم.

٣ - **نهايتهم الدمار الكامل:** (آيتا ٨ و٩).

في هاتين الآيتين ثلاث صور عن نهاية الأشرار:

(أ) «**كما يذوب الحلزون ماشياً**» (آية ٨أ): والحلزون حيوان رخو يعيش في صَدَفة. ما أكثر الأصداف التي نجدها على الشاطئ ولا شيء في داخلها، لأن الحلزون الذي كان فيها ترك الصدفة ولم يعد له وجود.

(ب) «**مثل سقْط المرأة لا يعاينوا الشمس**» (آية ٨ب): يطلب للشرير أن يولد قبل الأوان ناقصاً، فيموت ولا يرى الشمس، فتستريح الأرض من شرّه.

(ج) «**قبل أن تشعر قدوركم بالشوك نيئاً أو محروقاً يجرفهم**» (آية ٩): يطلب من الله أن يسرع بإهلاك الأشرار، قبل أن تصل الحرارة إلى قدر الطعام، وقبل أن ينضج اللحم، وقبل أن يظهر إن كان شوك الوقود أخضر أو يابساً، فيتم فيهم القول: «قد رأيتُ الشرير عاتياً، وارفاً مثل شجرة شارقة ناضرة. عَبَر فإذا هو ليس بموجود، والتمستُه فلم يوجد» (مز ٣٧: ٣٥ و٣٦). «يا هؤلاء جميعكم، القادحين ناراً، المتنطّقين بشرار، بنور ناركم، وبالشرار الذي أوقدتموه.. في الوجع تضطجعون» (إش ٥٠: ١١). والمعنى من هذا أنه من قبل أن يتذوّق القضاة الظالمون ثمار ظلمهم يحل بهم غضب الله كطوفان يجرفهم «ولكن بني بليَّعال جميعهم (بليعال اسم عبري معناه شرير، يلقّبون به من لا يخاف الله) كشوكٍ مطروح.. فيحترقون بالنار في مكانهم» (٢صم ٢٣: ٦ و٧).

ثالثاً - دروس من دمار الشرير

(آيتا ١٠ و١١)

١ – **فرح البار المضطهَد بالعدالة:** « يفرح الصدّيق إذا رأى النقمة. يغسل خطواته بدم الشرير» (آية ١٠). بقدر ما يتأسف البار على هلاك الشرير بقدر ما يفرح أن الله أجرى عدالته الإلهية، وأنه هو نجا من شرّ الشرير. يقف المؤمن أمام هلاك الشرير موقف الحائر: هل يفرح أم هل يحزن؟ إنه يمشي في أرض المعركة التي انتهت ويتأمل آثارها، فيرى الشرير ساقطاً ومجد الرب عالياً، فيقول: «يعظم انتصارُنا بالذي أحبنا» (رو ٨:٣٧). وسيجيء اليوم الذي يُعلَن فيه انتصار المسيح، والغالبون يملكون معه. «بعد هذا سمعت صوتاً عظيماً من جمعٍ كثيرٍ في السماء قائلاً: هللويا! الخلاص والمجد والكرامة والقدرة للرب إلهنا، لأن أحكامه حقٌّ وعادلةٌ» (رؤ ١:١٩ و٢).

٢ – **انتصار العدالة الإلهية:** «ويقول الإنسان إن للصديق ثمراً. إنه يوجد إله قاضٍ في الأرض» (آية ١١). عندما تأخذ العدالة الإلهية مجراها نرى ثمار الحياة التقية، فإن ما يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً (غل ٦:٧). ولو أن ملاحظة معاناة الصديق ونجاح الشرير قد تجعلنا نظن أن الله لم يعُد يهتم بالبشر. والحقيقة أنه إله محب وقاضٍ عادل في كل الأرض. لن تكون الغلبة للشرير ولا لجنوده، لأن المؤمنين سيغلبون العدو بدم الحمل، وبكلمة شهادتهم (رؤ ١٢:٧-١٧).

يقدم هذا المزمور دعوةً للنفس البعيدة عن الله لتتوب قبل أن تتهشَّم وتتحطم وتتدمَّر. «اليوم إن سمعتُم صوته فلا تقسّوا قلوبكم» (عب ٣:٧ و٨). فصوت الله يجيء إلينا يدعونا للتوبة، كما أن مزمار الراقي يدعو الحية السامة لينزع أنيابها. فلنسمع الصوت ونتجاوب معه، ولنرجع إلى الله بكل قلوبنا ونقبل دعوته المقدسة، فيكون لنا النصيب الصالح الذي لن يُنزع منا (لو ١٠:٤٢).

المزمور التاسع والخمسون

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ. عَلَى «لَا تُهْلِكْ». مُذَهَّبَةٌ لِدَاوُدَ لَمَّا أَرْسَلَ شَاوُلُ وَرَاقَبُوا ٱلْبَيْتَ
لِيَقْتُلُوهُ.

١ أَنْقِذْنِي مِنْ أَعْدَائِي يَا إِلٰهِي. مِنْ مُقَاوِمِيَّ ٱحْمِنِي. ٢ نَجِّنِي مِنْ فَاعِلِي ٱلْإِثْمِ، وَمِنْ
رِجَالِ ٱلدِّمَاءِ خَلِّصْنِي، ٣ لِأَنَّهُمْ يَكْمُنُونَ لِنَفْسِي. ٱلْأَقْوِيَاءُ يَجْتَمِعُونَ عَلَيَّ، لَا لِإِثْمِي وَلَا
لِخَطِيَّتِي يَا رَبُّ. ٤ بِلَا إِثْمٍ مِنِّي يَجْرُونَ وَيُعِدُّونَ أَنْفُسَهُمْ. ٱسْتَيْقِظْ إِلَى لِقَائِي وَٱنْظُرْ.
٥ وَأَنْتَ يَا رَبُّ إِلٰهَ ٱلْجُنُودِ إِلٰهَ إِسْرَائِيلَ ٱنْتَبِهْ لِتُطَالِبَ كُلَّ ٱلْأُمَمِ. كُلَّ غَادِرٍ أَثِيمٍ لَا
تَرْحَمْ. سِلَاهْ. ٦ يَعُودُونَ عِنْدَ ٱلْمَسَاءِ، يَهِرُّونَ مِثْلَ ٱلْكَلْبِ وَيَدُورُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ.
٧ هُوَذَا يُبِقُّونَ بِأَفْوَاهِهِمْ. سُيُوفٌ فِي شِفَاهِهِمْ. لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: «مَنْ سَامِعٌ؟» ٨ أَمَّا أَنْتَ يَا
رَبُّ فَتَضْحَكُ بِهِمْ. تَسْتَهْزِئُ بِجَمِيعِ ٱلْأُمَمِ. ٩ مِنْ قُوَّتِهِ إِلَيْكَ أَلْتَجِئُ، لِأَنَّ ٱللهَ مَلْجَإِي.

١٠ إِلٰهِي رَحْمَتُهُ تَتَقَدَّمُنِي. ٱللهُ يُرِينِي بِأَعْدَائِي. ١١ لَا تَقْتُلْهُمْ لِئَلَّا يَنْسَى شَعْبِي. تَيِّهْهُمْ
بِقُوَّتِكَ وَأَهْبِطْهُمْ يَا رَبُّ تُرْسَنَا. ١٢ خَطِيَّةُ أَفْوَاهِهِمْ هِيَ كَلَامُ شِفَاهِهِمْ. وَلْيُؤْخَذُوا
بِكِبْرِيَائِهِمْ، وَمِنَ ٱللَّعْنَةِ وَمِنَ ٱلْكَذِبِ ٱلَّذِي يُحَدِّثُونَ بِهِ. ١٣ أَفْنِ بِحَنَقٍ أَفْنِ وَلَا يَكُونُوا،
وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ ٱللهَ مُتَسَلِّطٌ فِي يَعْقُوبَ إِلَى أَقَاصِي ٱلْأَرْضِ. سِلَاهْ. ١٤ وَيَعُودُونَ عِنْدَ
ٱلْمَسَاءِ. يَهِرُّونَ مِثْلَ ٱلْكَلْبِ، وَيَدُورُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ. ١٥ هُمْ يَتِيهُونَ لِلْأَكْلِ. إِنْ لَمْ
يَشْبَعُوا وَيَبِيتُوا.

١٦ أَمَّا أَنَا فَأُغَنِّي بِقُوَّتِكَ، وَأُرَنِّمُ بِٱلْغَدَاةِ بِرَحْمَتِكَ، لِأَنَّكَ كُنْتَ مَلْجَأً لِي وَمَنَاصاً فِي
يَوْمِ ضِيقِي. ١٧ يَا قُوَّتِي لَكَ أُرَنِّمُ، لِأَنَّ ٱللهَ مَلْجَإِي إِلٰهُ رَحْمَتِي.

يجتمعون عليَّ، لا لإثمي!

كتب داود هذا المزمور بعد أن أرسل الملك شاول رجاله ليقبضوا عليه في بيته، عند زوجته ميكال ابنة الملك (١صم ١٩). لقد توقَّع التشجيع من والد زوجته، لا القتل. وتوقَّع الإكرام من ملكه، لا المطاردة. وكثيراً ما يكون أعداء الإنسان أهل بيته (مت ١٠:٣٦). ولكن سيظل الآب السماوي أميناً دائماً، وإلى الأبد، صادقاً في وعوده، يفتح بابه للمتضايقين ولا يغلقه في وجوههم أبداً. فعندما

تهتزُّ ثقتنا في القريبين منا يبقى هو ملجأنا الأمين. وكلما زادت عداوة البشر لنا دفعتنا دفعاً للاحتماء بالعناية الإلهية.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – المطارَد يطلب الحماية (آيات ١–٩)

ثانياً – المطارَد يطالب بالجزاء (آيات ١٠–١٧)

أولاً - المطارَد يطلب الحماية

(آيات ١-٩)

١ – **يطلب الحماية من مقاوميه:** «أنقِذني من أعدائي يا إلهي. من مقاوميَّ احمِني. نجِّني من فاعلي الإثم، ومن رجال الدماء خلِّصني» (آيتا ١ و٢). ما أكثر ما عانى داود من أعدائه المقاومين، فاعلي الإثم، المتعطشين للدماء والقتل. وما أكثر ما حماه الله منهم في حصنه وتحت ظل جناحيه، فهو الحصن والقلعة.

٢ – **يطلب الحماية من رجال الدسائس:** «لأنهم يكمنون لنفسي. الأقوياء يجتمعون عليَّ، لا لإثمي ولا لخطيتي يا رب. بلا إثمٍ مني يَجْرون ويُعِدّون أنفسهم. استيقِظ إلى لقائي وانظر» (آيتا ٣ و٤). مع أن داود لم يرتكب شراً في حق أعدائه، إلا أنهم اجتمعوا حوله مسرعين، وقد أعدّوا له الشر، وحفروا له الحُفر ونصبوا له الشِّبّاك. ولذلك ظنَّ أن الرب نائم، فطلب منه أن يستيقظ ليلاقيه بجيش قوي يحميه.

٣ – **يطلب الحماية ممَّن يعاودون الهجوم:** «وأنت يا رب إله الجنود، إله إسرائيل، انتبِه لتطالب كل الأمم. كل غادرٍ أثيم لا ترحم. يعودون عند المساء يهرّون (ينبحون بصوت منخفض) مثل الكلب، ويدورون في المدينة. هوذا يُبقّون بأفواههم (يتكلمون كلاماً بلا معنى). سيوفٌ في شفاههم، لأنهم يقولون: من سامع؟» (آيات ٥–٧). يلجأ المرنم إلى «إله الجنود» الذي يستخدم جنوده من الملائكة والأفلاك والطبيعة والبشر ليدافعوا عنه. ويلجأ إلى «إله إسرائيل» الذي لا ينعس ولا ينام، ولا يرضى بالظلم، ويطالبه بالانتباه إليه لينقذه من أعدائه الذين يصفهم بأنهم من «الأمم». إنهم مولودون من نسل إبراهيم، ولكن تفكيرهم وأعمالهم مثل تفكير «الأمم» وأعمالهم. إنهم يعيشون في جاهلية، غادرون لا يستحقون رحمة الله، غارقون في الشر، يشبِّههم بكلاب ضالة متوحشة تنام نهاراً في الشمس في كسل، وتتجمَّع ليلاً تجول في الشوارع تفتش على طعامها، وبسبب جوعها تنبح بأصوات منخفضة لا تكاد تُسمع. ويقول إنهم «يبقّون» كلاماً فارغاً سخيفاً بلا معنى، و«فم الجهّال يُنبع حماقة.. فم الأشرار يُنبع شروراً» (أم ١٥:٢ و٢٨). يؤذون داود بكلامهم ويحسبون أن الله لا يسمع ولا يهتم، ولن يساعد داود بشيء. «يقولون: الرب لا يبصر، وإله يعقوب لا يلاحظ. افهموا أيها البُلداء في الشعب.. الغارس الأذن ألا يسمع؟ الصانع العين ألا يبصر؟» (مز ٩٤:٧–٩).

٤ - **يطلب الحماية ممّن نهايتهم الخزي:** «أما أنت يا رب فتضحك بهم. تستهزئ بجميع الأمم. من قوّته (قوة العدو) إليك ألتجئ، لأن الله ملجإي» (آيتا ٨ و٩). العدو أقوى من داود، فيلجأ إلى ملجإه الذي اختبره عشرات المرات. حقاً «تفكّر الشعوب في الباطل.. الساكن في السماوات يضحك. الرب يستهزئ بهم.. طوبى لجميع المتّكلين عليه» (مز ٢: ١ و٤ و١٢).

ثانياً - المطارَد يطالب بالجزاء

(آيات ١٠-١٧)

١ - **يطلب أن يرى جزاءهم:** «إلهي رحمته تتقدّمني. الله يُريني بأعدائي» (آية ١٠). يعلن داود أن رحمة الله ستتقدّمه لتدافع عنه وتهيّئ طريق نجاته، فيرى عقاب أعدائه. يتلفّت وراءه فلا يراهم لأن الرب أفناهم. فالرحمة التي تتقدّمه تعاقب من يتعقّبونه.

٢ - **يطلب أن يدفعوا أجرة خطيتهم:** (آيات ١١-١٥).

(أ) **بأن يتيهوا:** «لا تقتلهم لئلا ينسى شعبي. تيِّهْهُم بقوتك وأهبطهم، يا رب ترسنا» (آية ١١). لا يطلب قتل أعدائه فوراً، بل أن يتيههم الله ويهبطهم حتى يرى الشعب إنقاذ الرب لعبده، وسوء مصير عدوه، فيذكرون عظمة الإنقاذ الإلهي. ما أكثر المعجزات التي لا يذكرها الناس لأنها حدثت في الخفاء! لذلك يطلب داود معجزة واضحة لا تُنسى. فبوجود شاول ومطارداته المتلاحقة يظهر للناس مدى عناية الله بداود، ومدى تيهان أعدائه. إنهم يتوهون كقايين، الذي قال الله له: «متى عملْتَ الأرض لا تعود تعطيك قوتها. تائهاً وهارباً تكونُ في الأرض» (تك ٤: ١٢) وكتيهان بني إسرائيل الذين قيل عنهم: «فحمي غضب الرب على إسرائيل وأتاههم في البرية أربعين سنة، حتى فني كل الجيل الذى فعل الشر في عيني الرب» (عد ٣٢: ١٣). ويطلب داود أن يضرب الرب أعداءه ضربات شديدة وأن يُهْبطهم، لأن «الرب ترسنا» فيظهرون بلا قوة ولا سلطان، ويتّضح أن فوق العالي عالياً يلاحظ، والأعلى فوقهما (جا ٥: ٨).

ولا شك أن روح الإنجيل تختلف عن روح التوراة بالنسبة للأعداء، فالإنجيل يطالب بالغفران للمسيئين إلينا (مت ٥: ٣٨-٤٢)، أما التوراة فتعلّم أن العين بالعين والسن بالسن (لا ٢٤: ٢٠). ويطالب داود بتطبيق الشريعة التي يعرفها في وقته.

(ب) **بأن يفنوا:** «خطية أفواههم هي كلام شفاههم. وليُؤخَذوا بكبريائهم ومن اللعنة ومن الكذب الذي يحدّثون به. أفْنِ بحنَق أفْنِ ولا يكونوا، وليعلموا أن الله متسلّطٌ في يعقوب إلى أقاصي الأرض» (آيتا ١٢ و١٣). بعد أن يطلب البؤس والعذاب الطويل في التيهان والضربات الشديدة، يطالب بفناء مؤامراتهم ودمارها، وعقابهم على «خطية أفواههم» وهجومهم الكلامي عليه، وكذبهم وكبريائهم، ويكرر طلب فنائهم: «أفْنِ.. أفن» فينتهي سلطانهم وجبروتهم. «أما الغادرون فيُؤخَذون بفسادهم» (أم ١١: ٦). قد يستخفُّ البعض بخطايا الكلام، لكن الله لا بد سيدين المتكلم بالشر «من فمك أدينك أيها العبد الشرير» (لو ١٩: ٢٢).

(ج) **بأن يفشلوا:** «ويعودون عند المساء يهِرّون مثل الكلب ويدورون في المدينة. هم يتيهون للأكل. إن لم يشبعوا ويبيتوا» (آيتا ١٤ و١٥). يستريح أعداء داود طيلة اليوم، كالكلاب الوحشية، وعند المساء ينبحون نباحهم الخافت ويدورون في المدينة يطلبون نفس داود ليفترسوه (راجع آية ٦). إنهم متعطشون لسفك الدماء، ولكنهم لن يحققوا هدفهم بقتل داود، فعندما يطلع الفجر يكون داود لا يزال آمناً، وهم لا يزالون يطلبون دمه، فيبيتون منتظرين مساء اليوم التالي ليعاودوا محاولاتهم الفاشلة في قتله!

٣ – **يقدم الشكر لله منقذه:** «أما أنا فأغني بقوتك، وأرنم بالغداة برحمتك، لأنك كنتَ ملجأً لي ومناصاً في يوم ضيقي. يا قوتي لك أرنم، لأن الله ملجإي، إله رحمتي» (آيتا ١٦ و١٧). يختم داود مزموره بالحديث عن مصير التقي الذي يثق في خلاص الله. إنه يسبّح الرب ويحمده لأنه وهبه النجاة وقدّم له الحماية. كان يتحصّن في الكهوف التي صنعها الله. وكم من حصون طبيعية نعرفها فنلجأ إليها. ولكن كم من حصون فوق طبيعية لا نحلم بها ولا تدركها عقولنا يحمينا الله فيها! «والقادر أن يفعل فوق كل شيء، أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر، بحسب القوة التي تعمل فينا. له المجد في الكنيسة في المسيح يسوع» (أف ٣:٢٠ و٢١). إنه الملجأ والمناص (المفرُّ والخلاص) الذي نهرب إليه وقت محنتنا. فنهتف: «يا قوتي لك أرنم، لأن الله ملجإي، إله رحمتي» (آية ١٧).

المزمور الستون

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ عَلَى السَّوْسَنِّ. شَهَادَةٌ مُذَهَّبَةٌ لِدَاوُدَ لِلتَّعْلِيمِ. عِنْدَ مُحَارَبَتِهِ أَرَامَ
ٱلنَّهْرَيْنِ وَأَرَامَ صُوبَةَ، فَرَجَعَ يُوآبُ وَضَرَبَ مِنْ أَدُومَ فِي وَادِي ٱلْمِلْحِ ٱثْنَيْ عَشَرَ أَلْفاً.
١ يَا اَللّٰهُ رَفَضْتَنَا. ٱقْتَحَمْتَنَا. سَخِطْتَ. أَرْجِعْنَا. ٢ زَلْزَلْتَ ٱلْأَرْضَ. فَصَمْتَهَا. ٱجْبُرْ
كَسْرَهَا لِأَنَّهَا مُتَزَعْزِعَةٌ. ٣ أَرَيْتَ شَعْبَكَ عُسْراً. سَقَيْتَنَا خَمْرَ ٱلتَّرَنُّحِ. ٤ أَعْطَيْتَ خَائِفِيكَ
رَايَةً تُرْفَعُ لِأَجْلِ ٱلْحَقِّ. سِلَاهْ. ٥ لِكَيْ يَنْجُوَ أَحِبَّاؤُكَ. خَلِّصْ بِيَمِينِكَ وَٱسْتَجِبْ لِي.
٦ اَللّٰهُ قَدْ تَكَلَّمَ بِقُدْسِهِ. أَبْتَهِجُ. أَقْسِمُ شَكِيمَ وَأَقِيسُ وَادِيَ سُكُّوتَ. ٧ لِي جِلْعَادُ وَلِي
مَنَسَّى، وَأَفْرَايِمُ خُوذَةُ رَأْسِي. يَهُوذَا صَوْلَجَانِي. ٨ مُوآبُ مِرْحَضَتِي. عَلَى أَدُومَ أَطْرَحُ
نَعْلِي. يَا فَلَسْطِينُ ٱهْتِفِي عَلَيَّ.
٩ مَنْ يَقُودُنِي إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ٱلْمُحَصَّنَةِ؟ مَنْ يَهْدِينِي إِلَى أَدُومَ؟ ١٠ أَلَيْسَ أَنْتَ يَا اَللّٰهُ
ٱلَّذِي رَفَضْتَنَا وَلَا تَخْرُجُ يَا اَللّٰهُ مَعَ جُيُوشِنَا؟ ١١ أَعْطِنَا عَوْناً فِي ٱلضِّيقِ، فَبَاطِلٌ هُوَ
خَلَاصُ ٱلْإِنْسَانِ. ١٢ بِٱللّٰهِ نَصْنَعُ بِبَأْسٍ، وَهُوَ يَدُوسُ أَعْدَاءَنَا.

راية تُرفع لأجل الحق

يمجّد هذا المزمور الرب بسبب الانتصار الذي منحه لشعبه بعد هزيمة أليمة. وهذا اختبار كل المؤمنين، فإبليس وجنوده من الشياطين والبشر لا يكفّون عن مهاجمة المؤمنين، وهم دائمو الشكوى على أولاد الله. فإبليس يشكو الله لنا قائلاً إنه لم يعُد يحبنا، ويشكونا لأنفسنا قائلاً إننا غير نافعين روحياً، ليفشّلنا، فنفقد الثقة في أنفسنا ونتقاعس عن طاعة الرب. ولكن في الرب لنا نصرة على إبليس وجنوده، فنغلب التجربة والمرض والضيق. ولا شك أن في حياتنا الإيمانية انتصارات وهزائم، والهزائم لا يجب أن تفشّلنا، كما أن الانتصارات لا يجب أن تجعلنا نتكبّر ونتعالى، بل إن الانتصار السابق يُلهم ويشجّع دائماً للحصول على انتصارات قادمة. وعلينا أن نحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا، وأن نقاوم حتى الدم مجاهدين ضد الخطية (عب ١٢: ١ و٤).

هذا المزمور شهادة للأجيال القادمة، تعلن أن النصر النهائي هو للرب ولكل من هم له. أما مناسبة كتابته فنجدها في ٢صم ٨ لما حارب داود أرام النهرين وأرام صوبة في الشمال، فهاجمه الأدوميون من الجنوب، فرجع من الشمال إلى الجنوب وحارب وانتصر، وهو نصرٌ تكرّر على الأدوميين بعد ذلك (٢مل ١٤: ٧).

في هذا المزمور نجد:

أولاً – حيرة المرنم (آيات ١–٣)

ثانياً – انتظار المرنم (آيتا ٤ و٥)

ثالثاً – مواعيد الله للمرنم (آيات ٦–٨)

رابعاً – أمل المرنم (آيات ٩–١٢)

أولاً - حيرة المرنم

(آيات ١-٣)

تحيَّر داود من أن العدو غزا بلده من الجنوب بينما هو يحارب في الشمال، فلم تكن لديه القوة على الحرب في جبهتين. وأحسَّ أن الله رفضه وسمح لأعدائه أن يهاجموه بسبب سخطه عليه، فتزلزلت الأرض من تحته، وانفصمت (تصدَّعت) فلم يعُد قادراً على الوقوف عليها ولا على قدميه، ورأى عُسراً وشدائد، وشرب خمر الترنُّح، وصار كالسُّكارى، عاجزاً عن إدراك حجم الكارثة، ومحل سخرية الناظرين، ولا يدري كيف يدافع عن نفسه.

ولكن المرنم الحائر أدرك سبب ما حاق به، وأدرك علاجه، فقال: «أرجِعنا» لأن البُعد عن الله هو سبب الهزيمة، وإعادة العلاقة مع الله هو علاجها. وقال: «اجبُر كسرها» فإن الذي زلزل الأرض فكسّرها هو وحده القادر أن يجبرها. وهذه ثقة عظيمة في الله المنقذ من الحيرة.. قد يتوقَّف بعضنا عند الحيرة ولا يصلّون، فيظلمون أنفسهم، مع أنه لا شفاء للحائر إلا بالصلاة!

ثانياً - انتظار المرنم

(آيتا ٤ و٥)

يقول المرنم إن الله أعطى خائفيه رايةً تُرفع لأجل الحق. والراية هي محبة الله لهم «علَمُه فوقي محبة» (نش ٢:٤) فلا بد أن ينتصروا، لأن محبة الله لا تنقص ولا تتغيَّر، وهي تنجي أحباءه إذ تخلِّصهم يمينه. كما أن الرب نفسه هو راية شعبه، لأن لقبه: «يهوه نِسّي» (اسم المذبح الذي بناه موسى تذكاراً لانتصاره على العمالقة، خر ١٥:١٧).

وقد أدخل الله شعبه في عهدٍ معه، وينتظر شعبُه منه أن يحقِّق هذا العهد، فالعهد حق. والحرب ضُد عدو الرب هي من أجل الحق وبأسلحة الحق. ولما كان داود حبيب الرب (معنى اسم داود «محبوب» وهو الوحيد الذي حمل هذا الاسم في الكتاب المقدس) فلا بد أن ينجو براية الرب، حتى لو هاجمه الوثنيون، فإن «حبيب الرب يسكن لديه آمناً» (تث ١٢:٣٣)، يقول الرب له: «محبةً أبديةً أحببتُك، من أجل ذلك أدمتُ لك الرحمة» (إر ٣:٣١).. ومن رحمة الله أن الضيق ينقي المؤمن ويتوِّبه، وفي الضيق ينال بركات «ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله، الذين

هم مدعوون حسب قصده» (رو ٨:٢٨). وهو قادر بنعمة الله أن يحتمل الضيق حسب الوعد: «تكفيك نعمتي، لأن قوتي في الضعف تُكمَل» (٢كو ١٢:٩).

ثالثاً - مواعيد الله للمرنم

(آيات ٦-٨)

١ - مواعيد بقسمة الأرض: «الله قد تكلم بقُدسه» (آية ٦) ووعد إبراهيم ونسله بالأرض (تك ١٥:١٨-٢١)، وأخرج شعبه من أرض العبودية، وعبَّرهم البحر الأحمر، وأعطاهم الأرض، فاستسلمت لهم تحصينات العدو. سقط شرق الأردن: سكوت وجلعاد (عجلون) ومنسى، كما سقط غرب الأردن: شكيم (نابلس) وأفرايم ويهوذا، ثم قسم يشوع الأرض للشعب (يش ١٨:١٠).

وانتصارات شعب الله في الماضي تعطي المؤمنين في كل عصر شجاعةً وثقة وإيماناً. فلن ننسى إعطاء المنّ يومياً للشعب في صحراء سيناء مدة أربعين سنة (خر ١٦:٤-١١)، ولا الغربان وهي تطعم إيليا (١مل ١٧:٢-٧)، ولا الأرملة ودهنة الزيت التي ملأت الأوعية (٢مل ٤:١-٧)، ولا فتح أبواب السجن وخروج بطرس حُراً (أع ١٢). فالرب دائماً يُخرج من الآكل أكلاً ومن الجافي حلاوة (قض ١٤:١٤)، ويعطي من أصعب الظروف أكبر البركات، ويجعل أقسى الأيام اختبارات عظيمة للمحبة الإلهية. ففي الظروف القاسية يكتشف المؤمن ضعفه، كما يكتشف نعمة الروح القدس التي تقوّيه. حتى الخطية التي يسقط فيها تعلِّمه أن الرب غفور، يعطي التائب فرصة ثانية.

٢ - مواعيد برفعة الشعب: «لي جلعاد ولي منسّى، وأفرايم خوذة رأسي، يهوذا صولجاني» (آية ٧). يعلن الله أن له «جلعاد ومنسى» وهي أرض باشان، شرق نهر الأردن، والتي أُعطيت لنصف سبط منسى.. وأن له أفرايم المحارب، أقوى الأسباط بعد سبط يهوذا، ويشبّهه بالخوذة التي تحمي رأس المحارب، والذي باركه موسى بقوله: «قَرْناه قرنا رِئم (غزال أبيض)، بهما ينطح الشعوب معاً إلى أقاصي الأرض» (تث ٣٣:١٧). ولله سبط يهوذا الذي يشبّهه بالصولجان، فمنه الملك داود، وعنه تنبأ يعقوب: «لا يزول قضيب (صولجان) من يهوذا.. وله يكون خضوع شعوب» (تك ٤٩:١٠). وفوق الكل جاء منه المسيح «الأسد الذي (الخارج) من سبط يهوذا» (رؤ ٥:٥).

٣ - مواعيد بسقوط العدو: (آية ٨). يسقط أعداؤه الثلاثة:

(أ) موآب: «موآب مرحضتي» (آية ٨أ). المرحضة هي الوعاء الذي يوضع فيه ماء الاغتسال، أي أن المرنم يغسل رجليه بعد تعب السفر على موآب، ويستعبده، قال إشعياء: «سمعنا بكبرياء موآب المتكبِّرة جداً، عظمتِها وكبريائها وصَلَفها، بُطل افتخارها.. يُهان مجد موآب» (إش ١٦:٦ و١٤).

(ب) أدوم: «على أدوم أطرح نَعْلي» (آية ٨ب). أي أن أدوم يصير عبداً للمرنم، يخلع نعله من رجْليه ليغسلهما. أو أنه يقصد أنه سيمتلك أرضه. وكانت العادة أن الذي يشتري بيتاً أو أرضاً يخلع نعله ويضعه على البيت أو الأرض، بمعنى أنه امتلكه وصار له.

(ج) **فلسطين**: «يا فلسطين اهتفي عليَّ» (آية ٨ج). بمعنى أن فلسطين تهتف له هتاف الانتصار، لأنها استسلمت له. «إذا أرضت الرب طرق إنسان، جعل أعداءه أيضاً يسالمونه» (أم ١٦:٧). ولا يسالمونه فقط بل يخدمونه أيضاً!

وللمؤمن ثلاثة أعداء: الجسد، والعالم، وإبليس. فأجسادنا تشدُّنا إلى الخطأ. والعالم يغوينا بشهوته التي تستمر. وإبليس يزيّن لنا الخطية. ولكن الذي أعطى داود انتصاراً في الماضي هو الذي ينصرنا على أعدائنا الثلاثة، فلنطلب من الله ثقةً وقوة وانتصاراً. ولنلبس سلاح الله الكامل لنقدر أن نثبت ضد مكايد إبليس (أف ٦:١٠-١٣).

رابعاً - أمل المرنم

(آيات ٩-١٢)

١ – **سيقوده الله إلى سالع (البتراء)**: «مَن يقودني إلى المدينة المحصَّنة؟ من يهديني إلى أدوم؟ أليس أنت يا الله الذي رفضتنا ولا تخرج يا الله مع جيوشنا؟» (آيتا ٩ و١٠). المدينة المحصَّنة هي عاصمة أدوم، المعروفة الآن في الأردن باسم البتراء، وهي مدينة حصينة جداً وعالية، مبنيّة على صخور، لا يمكن أن يهزمها أحد. والمرنم يثق أن الله هو الذي سيهديه إلى أدوم وينصره، بالرغم من أنه رفضه ولم يعُد يخرج مع جيشه. وبالمعنى الروحي نستطيع نحن أن نحصل من الله على الامتيازات التي وعدنا بها، فيغفر خطايانا، ويمنحنا سلام القلب وقداسة الحياة، وأخيراً يُدخِلنا إلى مجده الأبدي، فنقول بلغة داود: مَن يقودنا يا رب إلى كل هذه البركات؟ أليس أنت يا الله؟ وبالرغم من أنك تركتنا لأننا أفلتنا يدنا من يدك، لكنك تعود تمسك بنا وتقودنا من جديد. «هوذا يقتلني. لا أنتظر شيئاً، فقط أُزكّي طريقي قدامه» (أي ١٣:١٥).

٢ – **بالرب الخلاص**: «أعطنا عوناً في الضيق، فباطلٌ هو خلاص الإنسان. بالله نصنع ببأس، وهو يدوس أعداءنا» (آيتا ١١ و١٢). تعلّم داود درساً من الهزيمة. كان قد اتكل على نفسه وعلى حلفائه، لكنه تعلَّم أن خلاص الإنسان باطل، وأن الله وحده هو العون في الضيق. وفي هذه الآية درسٌ لرابح النفوس، هو أنه بيسوع وحده نصل إلى قلب الخاطئ، المتحصّن ضد معرفة الله، والذي يقاوم الاستسلام لمحبة الله.

بدأ داود مزموره حائراً، ولكنه أنهاه بطلاً منتصراً. بدأه يشتكي متزعزعاً ساقطاً، ولكنه أنهاه وقد صنع الله به ببأس. ولا زالت هذه القوة العظيمة من حق كل مؤمن ليصنع ببأس، وينتصر على كل من يدوس عليه، سواء داسته الخطية، أو المواقف الصعبة، أو الأعداء، أو التجربة. فلنتعلم كيف نقرع باب الرب في ثقةٍ ومحبة وطاعة، فينفتح لنا باب الانتصار العظيم. ويعظُم انتصارُنا بالذي أحبَّنا، ولا يفصلنا عن محبة المسيح شيء، فنكون دائماً في صُحبة الغالب، الذي أبطل الموت وأنار لنا الحياة والخلود بواسطة الإنجيل (رو ٨:٣٧ و٣٩ و٢تي ١:١٠).

المزمور الحادي والستون

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ عَلَى ذَوَاتِ ٱلأَوْتَارِ. لِدَاوُدَ
١ اِسْمَعْ يَا اَللهُ صُرَاخِي وَٱصْغَ إِلَى صَلاَتِي. ٢ مِنْ أَقْصَى ٱلأَرْضِ أَدْعُوكَ إِذَا غُشِيَ عَلَى
قَلْبِي. إِلَى صَخْرَةٍ أَرْفَعَ مِنِّي تَهْدِينِي. ٣ لأَنَّكَ كُنْتَ مَلْجَأً لِي، بُرْجَ قُوَّةٍ مِنْ وَجْهِ ٱلْعَدُوِّ.
٤ لأَسْكُنَنَّ فِي مَسْكَنِكَ إِلَى ٱلدُّهُورِ. أَحْتَمِي بِسِتْرِ جَنَاحَيْكَ. سِلاَهْ. ٥ لأَنَّكَ أَنْتَ يَا اَللهُ
ٱسْتَمَعْتَ نُذُورِي. أَعْطَيْتَ مِيرَاثَ خَائِفِي ٱسْمِكَ. ٦ إِلَى أَيَّامِ ٱلْمَلِكِ تُضِيفُ أَيَّاماً. سِنِينُهُ
كَدَوْرٍ فَدَوْرٍ. ٧ يَجْلِسُ قُدَّامَ ٱللهِ إِلَى ٱلدَّهْرِ. ٱجْعَلْ رَحْمَةً وَحَقّاً يَحْفَظَانِهِ. ٨ هٰكَذَا
أُرَنِّمُ لٱسْمِكَ إِلَى ٱلأَبَدِ. لِوَفَاءِ نُذُورِي يَوْماً فَيَوْماً.

صخرة أرفع منّي

كتب داود عدّة مزامير بمناسبة انقلاب أبشالوم الفاشل ضده (٢صم ١٥-١٨، راجع مقدمة مز ٣) وهذا المزمور أحدها، كتبه وهو في طريق عودته إلى قصره من مكان هروبه في شرق الأردن. وفيه يعبّر عن حاله في وقتٍ عصيب، يعجز فيه العقل عن التفكير والتعبير، ولكن سلام الله داخله جعله يرنم.

في هذا المزمور نجد،

أولاً - صرخة قلب متعَب (آيات ١-٤)

ثانياً - ثقة قلب متعَب (آيات ٥-٨)

أولاً - صرخة قلب متعَب

(آيات ١-٤)

١ - **صلاة القلب المتعَب:** «اسمع يا الله صراخي واصْغَ إلى صلاتي. من أقصى الأرض أدعوك إذا غُشي على قلبي. إلى صخرةٍ أرفع مني تهديني» (آيتا ١ و٢). يوجّه داود صلاته إلى «الله» السيد الذي له كل سلطان في السماء وعلى الأرض، كما أنه إله العهد، الذي تعهّد لشعبه بالرعاية والحماية، وقبل أن يُدعى اسمُه عليه. أحياناً نركز على المشكلة، ونشكو من ضخامة حجمها وضآلة قدراتنا أمامها. ولكننا نتعلّم من داود كيف نتّجه إلى الرب الذي يملك الحل،

ونقـول لـه: «اسمع». «اصغ». «أدعوك». صلّى بصوت خافت، وصرخ بصوت مرتفع بإلحاح وحرارة طالباً من الله ألاّ يسكت حتي ينقذه ويباركه (تك ٣٢:٢٦). والله يحتملنا في انفعالاتنا، ويُميل أذنه إلينا. فلنشكره على الفضل، ولنعترف له بالخطأ، ولنطلب منه سداد احتياجاتنا الصحية والمالية والعائلية والروحية.

نُفي داود من قصره، ومكان عبادته، ومقرّ عرشه، فهرب إلى «أقصى الأرض» إلى شرق الأردن بعيداً عن أورشليم، فغشي على قلبه، بمعنى أن الحزن غلّفه، بسبب بُعده عن بيت الله، وصدمته في ابنه الغالي أبشالوم، وفي أصحابه الذين كانوا أوفياء.

ولكنه أدرك أن هناك «صخرة أرفع منه» يهديه الله إليها. لقد عجز عن هداية نفسه، وحار مشيروه في اقتراح حل مناسب، فاتّجه إلى ربّه، صخرتِه الذي يعطي الإحساس بالقوة، وبالدوام. «إنما هو صخرتي وخلاصي، ملجإي. لا أتزعزع كثيراً.. على الله خلاصي ومجدي، صخرة قوتي، محتماي في الله» (مز ٦٢:٢ و٧). فإن اهتدينا إلى صخرة أرفع منا سنعلو على أعدائنا، ولكننا سنحتاج إلى قوة للتسلّق إليها، وإلى مُرشد يرينا سبُل تسلّقها.نحتاج إلى أذرع الله الأبدية لترفعنا، وإلى قوة داخلية ينشئها فينا روحه لتتجاوب مع قوة جذب تلك الأذرع الإلهية (تث ٣٣:٢٧).

٢ – **صلاة مبنيّة على ذكريات حلوة:** «لأنك كنت ملجأ لي. بُرج قوة من وجه العدو» (آية ٣). «اسم الرب برج حصين يركض إليه الصدّيق ويتمنّع» (أم ١٨:١٠). اتّجه المرنم للرب واثقاً أن الذي وقف بجواره في الماضي سيقف معه في الحاضر، ودائماً. «كنتُ فتى وقد شخت، ولم أرَ صديقاً تُخلّي عنه ولا ذرية له تلتمس خبزاً» (مز ٣٧:٢٥). كان الله برج حماية لداود من الأسد والدب اللذين هاجما قطيعه فقتلهما، ومن جليات الجبار، ومن محاولات شاول لقتله، ومن انقلاب أبشالوم الفاشل عليه.

٣ – **صلاة فيها وعدان:** «لأسكننّ في مسكنك إلى الدهور. أحتمي بستر جناحيك» (آية ٤). في الصلاة وعدان، أولهما: أن يتعبَّد لله دائماً في مسكنه، قائلاً: «واحدةً سألتُ من الرب وإياها ألتمس: أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي، لكي أنظر إلى جمال الرب، وأتفرّس في هيكله» (مز ٢٧:٤).

بعد أن اختبر محبة الله التي أعطته ثقةً ومنحته سلاماً في وقت ضيقه، وعد الربَّ أن يسكن متعبّداً في بيته دائماً. والعابد هو الذي يستعبد نفسه لله بحياة الطاعة والخدمة، فليست العبادة مجرّد كلمات تُتلى، ولكنها حياة تُعاش في خدمة الرب والعبودية الطوعيّة له.

أما وعد داود الثاني للرب فهو أن «يحتمي بستر جناحيه» ليشعر بالاطمئنان كأنه فرخٌ صغير، يلجأ إلى الجناحين الكبيرين ليحتمي بهما، فيشعر بالمحبة والدفء والاستقرار والراحة، ويتحقّق معه الوعد: «سلاماً أترك لكم. سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب» (يو ١٤:٢٧).

ثانياً - ثقة قلب متعَب

(آيات ٥-٨)

١ - ثقة مبنيَّة على معاملات الله السابقة: «لأنك أنت يا الله استمعتَ نذوري. أعطيتَ ميراث خائفي اسمك» (آية ٥). ثقتنا في الإله الذي ساندنا بالأمس تنعشنا فنثق فيه اليوم وغداً. وضع داود ثقته في الرب الذي نذر إليه نذره، فنظر إليه وسمع طلبه. وكان يعقوب جدُّه قد نذر نذراً وهو يهرب من وجه أخيه عيسو (تك ٢٨: ٢٠-٢٢) ولما واجه شقيقه عيسو (تك ٣١: ١٣)، واستجاب الرب طلبة يعقوب. ومضت اثنتان وأربعون سنة دون أن يفي يعقوب بنذره، فذكَّره الله به (تك ٣٥: ١). وداود هنا يعِدُ الربَّ أنهَ لن يتأخر بالوفاء بالنذر، لأن الرب لم يتأخَّر قط عن الوفاء بالوعد. لقد أعطى نسل إبراهيم ميراثاً هو أرض كنعان، بالرغم من استحالة حصولهم عليه بقوتهم العسكرية، لأنه وعد وحقق وعده. ووعد المسيح تلاميذه بسداد أعوازهم، وفعل، ثم سألهم: «حين أرسلتكم بلا كيس ولا مذود ولا أحذية، هل أعوزكم شيء؟» فقالوا: «لا!» (لو ٢٢: ٣٥).

(انظر التعليق على النذر في تفسيرنا لمزمور ٥٠: ١٤).

٢ - ثقة مطمئنة لاستمرار محبة الله: «إلى أيام الملك تضيف أياماً. سنينُه كدَوْرٍ فدور. يجلس قدام الله إلى الدهر. اجعل رحمة وحقاً يحفظانه» (آيتا ٦ و٧). يطمئن داود إلى محبة الله التي ستستمر، ويثق أنه سيعطيه أياماً وعمراً مديداً. سيرجع إلى عرشه بعد انقلاب ابنه الفاشل ضده لأنه «إذا سقط لا ينطرح لأن الرب مسندٌ يده» (مز ٣٧: ٢٤). وليس داود هو المقصود بأن سنينه كدور فدور «لأن داود بعدما خدم جيله بمشورة الله رقد» (أع ١٣: ٣٦)، لكن المقصود هو الملك ابن داود الذي قيل فيه قبل ميلاده بسبعمئة سنة: «لأنه يولد لنا ولد ونُعطى ابناً، وتكون الرياسة على كتفه، ويُدعى اسمه عجيباً، مشيراً، إلهاً قديراً، أبا أبدياً، رئيس السلام. لنموّ رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته، ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد. غيرة رب الجنود تصنع هذا» (إش ٩: ٦ و٧).

ويقول داود إن الرحمة والحق يحفظانه.. الرحمة أولاً، فالرب يرحمنا دون أن نستحق. والحق هو أمانة الله مع المؤمنين وتحقيق وعوده لهم. فبرحمته دخل في عهد مع شعبه، وبحقه يضمن لهم استمرار ذلك العهد (يو ١٠: ٢٨-٣٠ ورو ٨: ٣٥-٣٩).

٣ - ثقة تعبِّر عن نفسها بالترتيل: «هكذا أرنِّم لاسمك إلى الأبد، لوفاء نذوري يوماً فيوماً» (آية ٨). يختم داود صلاته الواثقة بالتسبيح الذي هو جزء من نذره. وكلما سبّح الإنسان امتلأ قلبه بالفرح. «أعلى أحدٍ بينكم مشقَّات؟ فليُصلِّ. أمسرورٌ أحد؟ فليرتل» (يع ٥: ١٣). بدأ مزموره يصرخ مصلياً لأنه كان في مشقَّة، وختمه بالشكر والترنيم. امتلأ قلبه بالفرح فعبَّر عن ثقته في الرب بالترتيل.

«سبِّحوا الرب لأن الترنّم لإلهنا صالح، لأنه مُلَذّ. التسبيح لائق» (مز ١٤٧: ١).

المزمور الثاني والستون

لإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ عَلَى «يَدُوثُونَ». مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ
١ إِنَّمَا لِلّٰهِ ٱنْتَظَرَتْ نَفْسِي. مِنْ قِبَلِهِ خَلاَصِي. ٢ إِنَّمَا هُوَ صَخْرَتِي وَخَلاَصِي مَلْجَإِي. لاَ
أَتَزَعْزَعُ كَثِيراً.
٣ إِلَى مَتَى تَهْجِمُونَ عَلَى ٱلإِنْسَانِ؟ تَهْدِمُونَهُ كُلُّكُمْ كَحَائِطٍ مُنْقَضٍّ، كَجِدَارٍ وَاقِعٍ!
٤ إِنَّمَا يَتَآمَرُونَ لِيَدْفَعُوهُ عَنْ شَرَفِهِ. يَرْضَوْنَ بِٱلْكَذِبِ. بِأَفْوَاهِهِمْ يُبَارِكُونَ وَبِقُلُوبِهِمْ
يَلْعَنُونَ. سِلاَهْ.
٥ إِنَّمَا لِلّٰهِ ٱنْتَظِرِي يَا نَفْسِي، لأَنَّ مِنْ قِبَلِهِ رَجَائِي. ٦ إِنَّمَا هُوَ صَخْرَتِي وَخَلاَصِي.
مَلْجَإِي فَلاَ أَتَزَعْزَعُ. ٧ عَلَى ٱللّٰهِ خَلاَصِي وَمَجْدِي. صَخْرَةُ قُوَّتِي مُحْتَمَايَ فِي ٱللّٰهِ.
٨ تَوَكَّلُوا عَلَيْهِ فِي كُلِّ حِينٍ يَا قَوْمُ. ٱسْكُبُوا قُدَّامَهُ قُلُوبَكُمْ. ٱللّٰهُ مَلْجَأٌ لَنَا. سِلاَهْ.
٩ إِنَّمَا بَاطِلٌ بَنُو آدَمَ. كَذِبٌ بَنُو ٱلْبَشَرِ. فِي ٱلْمَوَازِينِ هُمْ إِلَى فَوْقُ. هُمْ مِنْ بَاطِلٍ
أَجْمَعُونَ. ١٠ لاَ تَتَّكِلُوا عَلَى ٱلظُّلْمِ وَلاَ تَصِيرُوا بَاطِلاً فِي ٱلْخَطْفِ. إِنْ زَادَ ٱلْغِنَى فَلاَ
تَضَعُوا عَلَيْهِ قَلْباً. ١١ مَرَّةً وَاحِدَةً تَكَلَّمَ ٱلرَّبُّ، وَهَاتَيْنِ ٱلاثْنَتَيْنِ سَمِعْتُ، أَنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلّٰهِ.
١٢ وَلَكَ يَا رَبُّ ٱلرَّحْمَةُ، لأَنَّكَ أَنْتَ تُجَازِي ٱلإِنْسَانَ كَعَمَلِهِ.

إنما الثقة في الرب وحده

يتحدّث هذا المزمور عن الثقة الحقيقية بالله وحده، كانت ترنّمه جوقة الترنيم بقيادة إمام المغنين يدوثون اللاوي، «على يدوثون» أي على اللحن الذي وضعه يدوثون. مثله مثل مزموري ٣٩ و٧٧ وكان أولاد يدوثون بوابين لمسكن الرب (١أي ١٦:٤٢) ولكنهم كانوا أيضاً أفضل المرنمين، لأن الذي يُحسن عمله يحسن تسبيحه وشكره لله. والمرنمون حسناً لا يخجلون من القيام بأية خدمة للرب، وشعارهم «اخترتُ الوقوف على العتبة في بيت إلهي على السكن في خيام الأشرار!» (مز ٨٤:١٠).

يتميّز هذا المزمور بورود كلمة «إنما» ست مرات، أربعٌ عن الله، هي: «إنما لله انتظرت نفسي» (آية ١). «إنما هو صخرتي» (آية ٢). «إنما لله انتظري يا نفسي» (آية ٥). «إنما هو صخرتي» (آية ٦). ومرتان عن أعداء المرنم: «إنما يتآمرون» (آية ٤). «إنما باطل بنو آدم» (آية ٩). وتحتمل

كلمة «إنما» معنيين: «بالتأكيد أو بالحقيقة» كما تعني «وَحْدَهُ». فداود يقول إنه بالتأكيد سيجوز الأزمات ويفوز بعون الله وحده، ولذلك يضع ثقته في الله وحده.

عندما كان شاول يطارد داود ليقتله جاءه صديقه يوناثان بن شاول «وشدّد يده بالله» (١صم ٢٣:١٦). وعندما غضب وثار أصحاب داود عليه وأرادوا أن يرجموه «تشدَّد بالرب إلهه» (١صم ٣٠:٦). والمزمور تعبير شعري عن الثقة الجميلة المطمئنة بالرب خصوصاً في أوقات اليأس.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – الثقة الصادقة (آيتا ١ و٢)

ثانياً – الثقة الشاكية (آيتا ٣ و٤)

ثالثاً – الثقة المعلّمة (آيات ٥-١٢)

أولاً - الثقة الصادقة

(آيتا ١ و٢)

١ – الثقة تنتظر الله: «إنما لله انتظرَت نفسي. مِن قِبله خلاصي» (آية ١). ينتظر المرنم الله الذي يحقِّق وعوده، كما قال عنه موسى: «فاعلم أن الرب إلهك هو الله الإله الأمين، الحافظ العهد والإحسان للذين يحبّونه ويحفظون وصاياه إلى ألف جيل» (تث ٧:٩). وقال عنه يشوع: «لم تسقط كلمة من جميع الكلام الصالح الذي كلّم به الرب بيت إسرائيل، بل الكل صار» (يش ٢١:٤٥ و٢٣:١٤). وقال عنه سليمان: «مباركٌ الرب الذي أعطى راحةً لشعبه حسب كل ما تكلم به، ولم تسقط كلمة واحدة من كل كلامه الصالح الذي تكلم به عن يد موسى عبده» (١مل ٨:٥٦). وقال عنه بولس: «أمين هو الله الذي به دُعيتم إلى شركة ابنه، يسوع المسيح ربنا» (١كو ١:٩). وتتحدث رسالة العبرانيين عن وعد الله لشعبه وقَسَمه لهم، ثم تقول: «حتى بأمرين عديمي التغيُّر (هما الوعد والقَسَم) لا يمكن أن الله يكذب فيهما، تكون لنا تعزية قوية، نحن الذين التجأنا لنُمسك بالرجاء الموضوع أمامنا» (عب ٦:١٨).

وفي انتظار المرنم للرب يعلن ثقته أن الخلاص آتٍ لا شك فيه. وفي الانتظار أيضاً تأملٌ بهدوء وخشوع، إذ يتذكر المرنم معاملات الله السابقة معه. وفيه أيضاً راحة، لأن القلق يفارق الإنسان الذي يسكب قلبه أمام الله. لقد أعدَّ الله لنا الخلاص، ويُعدُّنا له، ويحفظنا للخلاص المستعَد أن يُعلَن في الزمان الأخير (١بط ١:٥). والمرنم ابنٌ ينتظر أباه باطمئنان الواثق وتوقُّعه، مردّداً مع المسيح: «يا أبتاه، إن شئت أن تُجيز عني هذه الكأس. ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك» (لو ٢٢:٤٢). وهو ينتظر كتلميذ يتعلم من أستاذه، جالساً عند قدميه يصغي لكلمات النعمة الخارجة من فمه، كما كان التلاميذ يتبعون المسيح، يتعلمون من كلماته، وإجاباته، وأفعاله، وردود أفعاله. وهو ينتظر كإناء في يد الفخاري الأعظم يشكّله ويجمّله (إر ١٨:٤). وهو ينتظر كعبدٍ لله تتّجه عيناه نحو يد سيده «كما أن

عيون العبيد نحو أيدي سادتهم. كما أن عيني الجارية نحو يد سيدتها، هكذا عيوننا نحو الرب إلهنا حتى يتراءف علينا» (مز ١٢٣:٢). فالعيون تشخص إليه عالمة أنه «القادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر، بحسب القوة التي تعمل فينا» (أف ٣:٢٠).

٢ - **الثقة تطمئن بالله:** «إنما هو صخرتي وخلاصي، ملجإي. لا أتزعزع كثيراً» (آية ٢). تشجّع داود وانتظر الرب مطمئناً لأنه يثق في محبة الله له، وفي توقيته الرائع ليعطي البركة. وانتظر الرب لفائق حكمته التي ترى ما لا يراه داود. وانتظر الرب لأنه القوي القادر أن يحقق وعوده. وتتضح هذه الثقة من الصفات الثلاث التي يطلقها على الله:

(أ) **إنه صخرة:** «إنما هو صخرتي». مرتفع، أمين، لا يتغير، ثابت، نجد فيه الحماية. له يقول إشعياء: «يا رب، أنت إلهي أعظّمك. أحمد اسمك لأنك صنعت عجباً.. كنتَ حصناً للمسكين. حصناً للبائس في ضيقه. ملجأً من السيل. ظلاً من الحر» (إش ٢٥:١ و٤). «أصعدني من جُب الهلاك، من طين الحمأة، وأقام على صخرةٍ رجليَّ. ثبَّت خطواتي» (مز ٤٠:٢).

(ب) **فيه وبه الخلاص:** «إنما هو.. خلاصي». «من قِبَله خلاصي» (آية ١ب). يخلّص من المرض «وجميع المرضى شفاهم» (متى ٨:١٦). ويخلّص من الضيق «وملاك حضرته خلّصهم» (إش ٦٣:٩). «أما خلاص الصديقين فمن قِبَل الرب، حصنهم في زمان الضيق» (مز ٣٧:٣٩). ويخلّص من القلق: «فلا تهتموا للغد، لأن الغد يهتم بما لنفسه. يكفي اليومَ شرُّه» (متى ٦:٣٤). ويخلّص من الخطية «لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلّص ما قد هلك» (لو ١٩:١٠). وهو يخلّص دائماً: من الماضي بالغفران، وفي الحاضر بالتقديس، وفي المستقبل يكمل الخلاص بدخول عبده الواثق إلى مجده الأبدي.

(ج) **إنه الملجأ:** «ملجإي». الوحيد الذي يحمي اللاجئ إليه. إنه ملجأ منيع لمن يريد الإنقاذ والاحتماء من بحر هائج وأمواج مرعبة «فلا أتزعزع كثيراً». وإتمام الخلاص الذي يتوقّعه المرنم يزيد ثقته في الله، فيعود يقول «فلا أتزعزع» (آية ٦). وبعد أن أنقذ الرب داود من أيدي كل أعدائه، ومن يد شاول، قال: «الرب صخرتي وحصني ومنقذي. إله صخرتي به أحتمي. ترسي قرن خلاصي. ملجإي ومناصي. مخلّصي، من الظلم تخلّصني» (٢صم ٢٢:١-٣).

ثانياً - الثقة الشافية

(آيتا ٣ و٤)

يدرك كل مؤمن حقيقي أنه يعيش في عالم معادٍ، وكلما زاد قربه من الله زادت مقاومة الشرير له، لأن إبليس لن يرضى بضياع أتباعه منه لينضموا إلى ملكوت الله. ولذلك لا تخلو حياتنا من المتاعب والضيقات «وجميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يُضطهَدون» (٢تي ٣:١٢). وقال المسيح: «لو كنتُم من العالم لكان العالم يحبُّ خاصته. ولكن لأنكم لستُم من

العالم، بل أنا اخترتُكم من العالم، لذلك يبغضكم العالم» (يو ١٥: ١٩). ولكن في وسط هذه المتاعب كلها يُظهر الله لنا محبته بوضوح. «الله أمين، الذي لا يدعكم تُجرَّبون فوق ما تستطيعون، بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ، لتستطيعوا أن تحتملوا» (١كو ١٠: ١٣). ولهذا يرفع المرنم شكواه إلى الله واثقاً أنه سيُستجاب. وترجع شكوى داود إلى:

١ - **استمرار المتاعب وكثرتها:** إنه يسأل: «إلى متى تهجمون على الإنسان وتهدمونه؟ تهدمونه كلكم كحائطٍ منقضّ، كجدار واقع؟» (آية ٣). لقد هاجموه في عنف، ولكن في جُبن، لأن كثيرين اجتمعوا ضد واحد! وكانوا يظنون أنه ضعيف واهٍ كحائط يتهدّم، تكفيه دفعة واحدة ليقع! هاجموه من قبل وفشلوا، ولكنهم لم ييأسوا فعاودوه بالهجوم، كما هاجم إبليس المسيح وفشل، و«لما أكمل إبليس كل تجربة فارقه إلى حين» (لو ٤: ١٣). فلنكن مستعدين دائماً لهجوم الشرير علينا حتى لا نُفاجأ به.

٢ - **تآمرٌ شرير منافق، بهدف إبعاده عن أخلاقياته:** «إنما يتآمرون ليدفعوه عن شرفه. يرضون بالكذب. بأفواههم يباركون وبقلوبهم يلعنون» (آية ٤). ما أكثر التجارب التي تجيء بعد الانتصار على الخطية ونوال الخلاص. فلا يجب أن نطمئن للعدو المهزوم، بل لنحمل في كل حين سلاح الله الكامل، ولنتسلّح به، لأن إبليس سيفاجئنا دائماً بهجوم يتجدد، وبأعداد كبيرة (أف ٦: ١٣). «يتآمرون» على الإنسان الواحد «ليدفعوه عن شرفه». ولكن الواحد مع الرب هو القوي الثابت في الحق والبر. «يرضون بالكذب» ليشكّكوا المؤمن في فائدة إيمانه، وليقنعوه باستحالة الانتصار، فإبليس هو الكذاب وأبو الكذاب (يو ٨: ٤٤). فلنسمع الحكمة السماوية: «يا ابني لا تسلك في الطريق معهم. امنع رجلك عن مسالكهم» (أم ١: ١٥).

ثالثاً - الثقة المعلِّمة

(آيات ٥-١٢)

بعد أن عبّر عن ثقته في الرب، ورفع شكواه إليه، عاد يقدم النصائح لنفسه، ولأتباعه، ولأعدائه:

١ - **المرنم الواثق في الله يعلّم نفسه:** (آيات ٥-٧).

(أ) **يعلّمها انتظار الرب:** «إنما لله انتظري يا نفسي، لأن من قبله رجائي. إنما هو صخرتي وخلاصي، ملجأي فلا أتزعزع» (آيتا ٥ و٦). أعلن داود هذه الحقيقة في آيتي ١ و٢ ويكرّرها لنفسه ثانيةً. إنه يحضّ نفسه على انتظار الله، لأنه كان قد بدأ يتململ من طول الانتظار، فعاد يشجّع نفسه على مزيد من الصبر وطول الأناة، لأن نور الصباح لا بد سيشرق مهما بدا أن الليل طال! ويقول لنفسه: «من قِبله رجائي» فهو يحيا في الأمل، ولهذا قلّ تزعزعه، وزاد ثباته. وواضح لكل من ينتظر الرب أن مستقبل المؤمن أفضل من ماضيه، وغده أفضل من حاضره. وفي هذا الاتجاه يثق أنه مهما جاءت الرياح والأمطار بالمتاعب، فالحماية والمجد والخلاص نصيبه من عند الرب. «حين أعيَتْ فيَّ نفسي ذكرتُ الربَّ، فجاءت إليك صلاتي إلى هيكل قُدسك» (يون ٢: ٧).

فليقُل كل واحد منا لنفسه: لا تيأسي يا نفسي، ولا تشكّي في محبة الله، ولا تتركي موقعك. استمرّي في انتظار الرب، واستمدّي رجاءك منه «لنكون لمدح مجده، نحن الذين قد سبق رجاؤنا في المسيح» (أف ١:١٢).

(ب) **يعلّمها الاحتماء بالرب:** «على الله خلاصي ومجدي، صخرة قوتي مُحتماي في الله» (آية ٧). يشجع المرنم نفسه بصفات الله العظيمة، ويعلّمها أن صاحب هذه الصفات هو الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه. هو الخلاص، والمجد، وصخرة القوة، وموضع الاحتماء الآمِن. إنه مخلّصنا وموضوع افتخارنا ومجدنا. ولما كان الخلاص على الله ومنه، فإن المجد والكرامة هي منه وإليه. ويكمل الله خلاص المؤمن بالمجد الذي يُستَعلن فيه. فلنحتَمِ دوماً به.

٢ - المرنم الواثق في الله يعلّم أتباعه: (آية ٨).

(أ) **يعلّمهم الاعتماد على الله دائماً:** «توكلوا عليه في كل حين يا قوم» (آية ٨أ). يريدهم أن يختبروا ما اختبره هو، وأن يطمئنوا كما اطمأن هو. ينصحهم بعدم الخوف، وبالاتكال الكامل على الرب، في وقت الراحة كما في وقت التعب. «ذو الرأي الممكّن تحفظه سالماً سالماً لأنه عليك متوكل. توكلوا على الرب إلى الأبد، لأن في ياه الرب صخر الدهور» (إش ٢٦:٣ و٤).

(ب) **يعلّمهم الصلاة والانفتاح على الله:** «اسكبوا قدامه قلوبكم. الله ملجأ لنا» (آية ٨ب). في محضره يُفرِغون كل ما في قلوبهم من قلق، وعند عرش نعمته يسكبون قلوبهم ويعبّرون عن مخاوفهم فيتخلّصون منها، ولا يُخفون عنه شيئاً، بل يحدّثونه بكل شيء. «مُلقين كلَّ همّكم عليه لأنه هو يعتني بكم» (١بط ٥:٧) كما أخذ الملك حزقيا رسائل القائد الأشوري ربشاقى، وهي مليئة بالسخرية والتعيير، وبسطها أمام الله، فوجد عنده الملجأ والملاذ والإنقاذ (إش ٣٧:١٤).

٣ - المرنم الواثق في الله يعلّم أعداءه: (آيات ٩-١٢).

(أ) **يعلّمهم أن الإنسان باطل وتراب:** «إنما باطل بنو آدم. كذبٌ بنو البشر. في الموازين هُم إلى فوق. هُم من باطل أجمعون» (آية ٩). آدم مخلوق من تراب، ومعنى اسمه «مولود الأرض- أديم» واسم ابن آدم الثاني «هابيل» ومعناه بخار أو باطل. ولا بد أن يموت ويرجع التراب إلى التراب الذي أُخذ منه. يوجد اليوم ولا يوجد غداً. «كل جسد عشب، وكل جماله كزهر الحقل. يبس العشب، ذبل الزهر، لأن نفخة الرب هبّت عليه. حقاً الشعب عشب» (إش ٤٠:٦ و٧). «في الموازين هم إلى فوق» خفيف الثقل، ليس فيه ما نرجوه. «هكذا قال الرب: ملعون الرجل الذي يتّكل على الإنسان، ويجعل البشر ذراعه، وعن الرب يحيد قلبه. مبارك الرجل الذي يتكل على الرب، وكان الرب متّكله» (إر ١٧:٥ و٧). «لا تتكلوا على الرؤساء ولا على ابن آدم حيث لا خلاص عنده. تخرج روحه فيعود إلى ترابه. في ذلك اليوم نفسه تهلك أفكاره» (مز ١٤٦:٣ و٤). فالبشريُّ باطل لا ينفع ولا يضر، وليس فيه ما نرتجيه، ولا ما يُخيفنا منه، مهما كان حجم ما نظن أنه يستطيع أن يؤذينا به.

(ب) **يعلّمهم أن الغِنى ليس كل شيء:** «لا تتّكلوا على الظلم، ولا تصيروا باطلاً في الخطف» (آية ١٠أ). قد يظن الإنسان أنه عندما يظلم غيره يرتفع، ولكن الظلم لا بد أن يرجع على صاحبه

بالدمار. ومن الظلم أن يخطف إنسانٌ من إنسانٍ كرامته أو حقوقه، كما أن هذا لا يمكن أن يُغني الخاطف «الأشبال احتاجت وجاعت. وأما طالبو الرب فلا يعوزهم شيء من الخير» (مز ٣٤:١٠). «محصِّل الغِنى بغير حق في نصف أيامه يتركه، وفي آخرته يكون أحمق» (إر ١٧:١١). وقد نصح الرسول يعقوب الأغنياء الذين حصلوا على ثرائهم بطرق ظالمة قائلاً: «هلموا الآن أيها الأغنياء، ابكوا مولولين على شقاوتكم القادمة.. أجرة الفعلة الذين حصدوا حقولكم.. تصرخ، وصياح الحصَّادين قد دخل إلى أذني رب الجنود» (يع ٥:١-٤).

«إذا زاد الغنى فلا تضعوا عليه قلباً» (آية ١٠ب) فقد يظن إنسانٌ أنه صنع الثروة بنفسه وذكائه، وأن صحته وذكاءه باقيان، وأن إقبال الظروف عليه سيستمر. ولكن كل ما على الأرض لا يدوم. ويقول المرنم لمن يخطف ويعتمد على غناه: «يهدمك الله إلى الأبد. يخطفك ويقلعك من مسكنك، ويستأصلك من أرض الأحياء، فيرى الصديقون ويخافون، وعليه يضحكون. هوذا الإنسان الذي لم يجعل الله حصنه بل اتكل على كثرة غناه واعتزّ بفساده» (مز ٥٢:٥-٧).

(ج) **يعلّمهم أن العزة لله:** «مرة واحدة تكلم الرب، وهاتين الاثنتين سمعتُ: أن العزة (القوة) لله» (آية ١١). وهناك ترجمة أخرى لهذه الآية تقول: «مرة تكلم الله، ومرتين سمعت: أن العزة لله». فقد طرقَت كلمة الرب أذني المرنم بقوة، جعلت صداها يتردَّد في أعماق قلبه، و«مَن له أذنان للسمع فليسمع» (متى ١٣:٩). وما أعظم الفرق بين المرنم الذي يسمع صوت الله ويميّزه (يو ١٠:٤) والخاطئ الذي يصفه أليهو بالقول: «الله يتكلم مرة، وباثنتين لا يلاحظ الإنسان» (أي ٣٣:١٤).

كلمة الرب مرة واحدة نافذة المفعول، لها السلطان، ولذلك لا يكرر الله كلامه باطلاً. ولكن هذه الكلمة الواحدة ترددت في مسامع المرنم مرتين: عندما خلقه، وعندما يعتني به.. عندما أعطاه الولادة الجديدة، وعندما نصره على الخطية.. عندما أعطاه الخطوة الأولى من الخلاص بالغفران فور توبته، وعندما يعطيه الخطوة الثانية للخلاص بالتقديس، وهذا يستغرق عمره كله.

ونحن نرى قوة الله وعزّته مرتين: في محبة الصليب وقوة القيامة. لا يجسر أحد أن يضع نفسه عنا. «ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضاً أن يموت، ولكن الله بيّن محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا» (رو ٥:٧ و٨). هذه هي قوة الحب الباذل. ثم هناك قوة القيامة الظافرة، فلم يكن ممكناً أن يمسك الموتُ المسيحَ، فهزم الموت والقبر وقام، و«أبطل الموت وأنار الحياة والخلود» (٢تي ١:١٠).. ونرى عزّة الله مرتين: في أنه يضمُّ للكنيسة كل يوم الذي يخلُصون (أع ٢:٤٧). فعل هذا في القرن الأول، ويفعله اليوم في الذين يُرجعهم إليه. كما تظهر قوته في استمرار كنيسته وسط كل الظروف التي تحاربها وتريد تحطيمها، لكن أبواب الجحيم لن تقوى عليها (إش ٥٤:١٧ ومتى ٦:١٨).

كم من خاطئ لا يسمع صوت الله ولا يرى قوته، فيتحدى الإرادة الإلهية ولا يستسلم لها، ولا يدعو الله، ويحاول أن يسيّر أموره بنفسه، فإن «طريق الجاهل مستقيم في عينيه» (أم ١٢:١٥).. وكم من خاطئ قَلِق يائس من رحمة الله، يقيم بعدم إيمانه حاجزاً بينه وبين إلهه.

(د) **يعلّمهم أن الله هو المجازي الرحيم:** «ولك يا رب الرحمة، لأنك تجازي الإنسان كعمله» (آية ١٢). يكافئ الله الأبرار برحمته، ويعاقب الأشرار بعدالته، ويعطي الجميع ما يستحقونه. قال له سليمان وقت تدشين الهيكل: «تحكم على المذنب فتجعل طريقه على رأسه، وتبرّر البار إذ تعطيه حسب بره» (امل ٨:٣٢). ومن رحمة الله أنه لا يوقِّع عقابه إلا بعد أن يعطي الخاطئ فرصة ليتوب، ولذلك يقول الرسول بولس لمن لا يتوب: «تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة. ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب، تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة، الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله.. الذين.. يطاوعون للإثم، فسخط وغضب.. ومجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح» (رو ٢:٤-١٠).

أما الذين يعملون العمل الصالح فيكافئهم الله من رحمته، لأنهم مهما عملوا من خير فقد عملوا مجرد المطلوب منهم. وهم لا يردّون إلا أقل القليل مما أعطاهم. فالمال الذي أعطوه هو من عطاياه. والجهد الذي بذلوه هو من فضله! ورحمته وحدها هي التي تجازي الصالح على العمل الصالح.

فليعطنا الرب أن نعتمد عليه وحده، لأنه وحده الجدير بالثقة، وهو القوي الرحيم العادل، الذي يستحق أن نقول عنه «إنما لله انتظرت نفسي. من قِبَله خلاصي».

المزمور الثالث والستون

مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ لَمَّا كَانَ فِي بَرِّيَّةِ يَهُوذَا

١ يَا اَللّٰهُ إِلٰهِي أَنْتَ. إِلَيْكَ أُبَكِّرُ. عَطِشَتْ إِلَيْكَ نَفْسِي، يَشْتَاقُ إِلَيْكَ جَسَدِي فِي أَرْضٍ
نَاشِفَةٍ وَيَابِسَةٍ بِلَا مَاءٍ، ٢ لِكَيْ أُبْصِرَ قُوَّتَكَ وَمَجْدَكَ كَمَا قَدْ رَأَيْتُكَ فِي قُدْسِكَ. ٣ لِأَنَّ
رَحْمَتَكَ أَفْضَلُ مِنَ ٱلْحَيَاةِ. شَفَتَايَ تُسَبِّحَانِكَ. ٤ هٰكَذَا أُبَارِكُكَ فِي حَيَاتِي. بِٱسْمِكَ أَرْفَعُ
يَدَيَّ. ٥ كَمَا مِنْ شَحْمٍ وَدَسَمٍ تَشْبَعُ نَفْسِي، وَبِشَفَتَيْ ٱلِٱبْتِهَاجِ يُسَبِّحُكَ فَمِي. ٦ إِذَا
ذَكَرْتُكَ عَلَى فِرَاشِي، فِي ٱلسُّهْدِ أَلْهَجُ بِكَ، ٧ لِأَنَّكَ كُنْتَ عَوْناً لِي، وَبِظِلِّ جَنَاحَيْكَ أَبْتَهِجُ.
٨ ٱلْتَصَقَتْ نَفْسِي بِكَ. يَمِينُكَ تَعْضُدُنِي. ٩ أَمَّا ٱلَّذِينَ هُمْ لِلتَّهْلُكَةِ يَطْلُبُونَ نَفْسِي
فَيَدْخُلُونَ فِي أَسَافِلِ ٱلْأَرْضِ. ١٠ يُدْفَعُونَ إِلَى يَدَيِ ٱلسَّيْفِ. يَكُونُونَ نَصِيباً لِبَنَاتِ
آوَى. ١١ أَمَّا ٱلْمَلِكُ فَيَفْرَحُ بِٱللهِ. يَفْتَخِرُ كُلُّ مَنْ يَحْلِفُ بِهِ. لِأَنَّ أَفْوَاهَ ٱلْمُتَكَلِّمِينَ
بِٱلْكَذِبِ تُسَدُّ.

عطشت إليك نفسي

كتب داود هذا المزمور عندما كان في برية يهوذا، بعيداً جغرافياً عن بيت الرب، وفيه يعلن شوقه البالغ لحضور العبادة في بيت الرب، حيث يرى المجد الإلهي ويجد القوة الروحية. إنه يحب الرب جداً، ويأنس إليه ويأتنس به، ويتحدث إليه. وكانت له اختبارات روحية كثيرة وهو هارب في برية يهوذا، التي اختبأ في كهوفها مرات كثيرة من شاول، ومرة من ابنه أبشالوم لما قام بالانقلاب الفاشل ضده. وكانت عبادة اليهودي تقترن دوماً بتقديم ذبيحة في هيكل الرب، كما فعلت حنة أم صموئيل النبي (اصم ١). ولكن عبادة داود لم تكن قاصرة على الطقوس، بل على العلاقة الشخصية العميقة بالله، فقد كان بينه وبين الرب وُدٌّ وحُب. وعندما هرب من أمام ابنه أبشالوم أحضر الكاهن صادوق ومعه اللاويون تابوت عهد الرب إلى حيث كان داود، فقال للكاهن: «أرجع تابوت الله إلى المدينة، فإن وجدتُ نعمة في عيني الرب فإنه يُرجعني ويريني إياه ومسكنه» (٢صم ١٥:٢٥).

في برية يهوذا كان داود في «برية نفسية» وعطش روحي إلى الله. وفي بُعده الجغرافي عن بيت الرب عبّر عن شوقه للرب، فكتب هذا المزمور، الذي قال عنه القديس يوحنا فم الذهب: «يجب أن يُقرأ هذا المزمور كل صباح لأنه دواءٌ يمحو الخطية، ويوقد في قلوبنا حرارة الشوق إلى الله ويشعل

فيها نار التعبُّد له، فتفيض حياتنا بالصلاح والمحبة، ونتجهّز للاقتراب من الله والتواجُد في حضرته».

في هذا المزمور نجد:

أولاً – شوق المؤمن للرب (آيات ١-٤)

ثانياً – شبع المؤمن بالرب (آيات ٥-٧)

ثالثاً – عهد المؤمن مع الرب (آيات ٨-١١)

أولاً - شوق المؤمن للرب

(آيات ١-٤)

١ – سبعة أسباب لشوق المرنم للرب:

(أ) **لأنه إلهه:** «يا الله إلهي» (آية ١أ). انتمى المرنم للرب فلا يمكن أن يجد راحته بعيداً عنه، كما قال القديس أغسطينوس: «اللهم لقد خلقتنا لذاتك، فلن تجد نفوسنا راحةً إلا إذا استراحت فيك». هو الإله القوي الذي نلجأ إليه بثقة وقت أزماتنا.

(ب) **لأنه الأول في حياته:** «إليك أبكّر» (آية ١ب). الله هو الأول في حياة المرنم والمتقدّم في كل شيء بالنسبة له. يبدأ يومه بالحديث معه لأنه يحبه من كل قلبه وفكره ونفسه وقدرته، كما قيل: «كان كل الشعب يبكرون إليه (إلى المسيح) في الهيكل ليسمعوه» (لو ٢١:٣٨). وكما قال النبي: «بنفسي اشتهيتُك في الليل. أيضاً بروحي في داخلي إليك أبتكر» (إش ٢٦:٩).

(ج) **لأنه عطشان إليه:** «عطشت إليك نفسي. يشتاق إليك جسدي» (آية ١ج). لقد شبع بالرب، ومع ذلك فإن نفسه متعطشة إليه من جديد. لا تُغني الوجبة الروحية عن الجوع والحاجة إلى تناول الوجبة الروحية التالية، كما أن الوجبة الجسدية لا تُغني عن وجبة بعدها. إن المؤمن الذي يذوق حلاوة الرب يطلب أن يذوق منها أكثر ويشبع بها أكثر. وكلما اقترب منه وعاش معه اكتشف أنه لا يستطيع أن يبتعد عنه، بل يريد أن يتمتع به أكثر. قال أحد الأتقياء: «نخطئ كثيراً عندما نحاول أن نطعم الأموات، لأن موتى الذنوب والخطايا لا يعطشون ولا يجوعون لكلمة الله. لكن الإنسان الحي روحياً هو الذي يعطش للارتواء الروحي ويجوع للشبع السماوي»! والحي روحياً يقول: «تشتاق بل تتوق نفسي إلى ديار الرب. قلبي ولحمي يهتفان بالإله الحي» (مز ٨٤:٢).

(د) **لأن العالم لا يرويه:** «في أرض ناشفة ويابسة بلا ماء» (آية ١د). العِلم يُشبع العقل والطعام يشبع الجسد، لكنهما لا يُشبعان الروح التي تظل ظمآنة جائعة إلى الله، لأنه الوحيد الذي يشبع النفس. الله هو «كسواقي ماء في مكان يابس، كظلّ صخرةٍ عظيمة في أرض مُعْيِية» (إش ٣٢:٢).

(هـ) **لأنه إله القوة والمجد:** «لكي أبصر قوّتك ومجدك» (آية ٢أ). المرنم في ذاته ضعيف لا يقدر أن يواجه متطلبات الحياة التي تضغطه بضغوط أكبر من طاقته، وهو يحتاج إلى قوة الرب

ومجده. وكان تابوت عهد الرب رمز حضور الرب وسط شعبه بقوته ومجده. ولكنه وقتها كان بعيداً عن تابوت العهد، فأراد أن يرجع إليه ليحسّ بحضور إله القوة والمجد.

ونحن اليوم ندرك أن حرمان المؤمن من الوجود بين المؤمنين لا يعني حرمانه من حضور إله المؤمنين معه. كان النبي حزقيال مسبياً في بابل عند نهر خابور، لكنه تمتع بيد الرب الحانية عليه، ورأى رؤى الرب (حز ١). وكان يوحنا منفياً في جزيرة بطمس من أجل شهادة المسيح، لكنه كان في الروح، ورأى رؤياه (رؤ ١).

(و) **لأنه إله القداسة:** «كما رأيتك في قدسك» (آية ٢ب). أسَرَت قداسة الله داود كما أسَرَت إشعياء النبي وهو يسمع السرافيم يهتفون: «قدوس! قدوس! قدوس! رب الجنود، مجده ملء كل الأرض» فقال: «ويلٌ لي لأني هلكت، لإني إنسان نجس الشفتين وساكنٌ أنا بين شعب نجس الشفتين، لأن عينيَّ قد رأتا الملك ربَّ الجنود» (إش ٦:٣ و٥). وفي إحساس داود بخطاياه اشتاق إلى لمسة من الله القدوس في بيته المقدس، تطهِّر حياته وتنقّي قلبه.

(ز) **لأنه إله الرحمة:** «لأن رحمتك أفضل من الحياة» (آية ٣أ). أراد المرنم أن يبصر قوة الله ومجده في هيكله المقدس، لكن الذي يمنحه الحياة هو الرحمة الإلهية. عندما طلب موسى أن يرى مجد الله أراه الله جودته (خر ٣٣:١٨-٢٠).

ورحمة الله هي أفضل من الحياة التي هي أعزّ شيء على الإنسان، لأنه بدون الرحمة تكون الحياة قفراً بل موتاً أكيداً! لقد كانت حياة المرنم مهدَّدة، ولكن الخطر تلاشى عندما أظهر الله له رحمته.

٢ - أسلوب التعبير عن الشوق للرب:

(أ) **بترتيل الشكر:** «شفتاي تسبحانك. هكذا أباركك في حياتي» (آيتا ٣ب و٤أ). عبّر عن اشتياقه للرب بالتسبيح. شفتاه تسبّحان وحياته أيضاً تسبح شكراً وحمداً للإله الصالح القوي المجيد القدوس الرحيم. «هكذا» بسبب رحمتك أباركك وأمدحك وأرنّم لك ما دمتُ موجوداً. وكلما ذكرنا حسنات الرب باركناه بكل ما في باطننا (مز ١٠٣:١ و٢). إن مراحمه علينا لا تزول، وهي جديدة في كل صباح (مرا ٣:٢٢ و٢٣) لذلك نرنم له بتسبيح لا يزول، وفي كل صباح.

(ب) **بالصلاة:** «باسمك أرفع يديّ» (آية ٤ب). نرفع أيدينا للصلاة باسم الرب الذي يعلن لنا ذاته، ويقول: «إن سألتمْ شيئاً باسمي فإني أفعله» (يو ١٤:١٤). فنقول: «استمع صوت تضرُّعي إذ أستغيث بك، وأرفع يديّ إلى محراب قدسك» (مز ٢٨:٢). هكذا بسط الملك سليمان يديه وهو يرفع لله صلاة تدشين الهيكل، وقال: «أيها الرب إلهُ إسرائيل، ليس إلهٌ مثلَك في السماء من فوقُ وعلى الأرض من أسفلُ، حافظ العهد والرحمة لعبيدك السائرين أمامك بكل قلوبهم» (١مل ٨:٢٢). وقال الرسول بولس: «أريد أن يصلي الرجال في كل مكان رافعين أيادي طاهرة بدون غضب ولا جدال» (١تي ٢:٨). ففي الصلاة نرفع اليدين لله ونبسطهما، رمزاً للقلب المصلي المرفوع أمام عرش الرب: «إليك يا رب

أرفع نفسي» (مز ٢٥:١). والذي يرفع يديه يعبّر عن يقظته للصلاة، وعدم انشغاله إلا بالصلاة، وتركيزه على الرب الذي يخاطبه.

ثانياً - شبع المؤمن بالرب

(آيات ٥-٧)

١ - سبب الشبع: «كما من شحم ودسم تشبع نفسي» (آية ٥أ). فيعترف أن الله أشبع قلبه. ولا يقصد داود الشحم والدسم حرفياً، فهو يقول «كما» من شحم ودسم. بل يقصد أن الرب يُشبعه بالسماويات والإلهيات والروحيات، وبكل ما هو للرب.

وللتعبير «شحم ودسم» معنيان:

(أ) **غِنى ودسامة تُشبعان لوقت طويل:** كان الشحم أغلى أجزاء الذبيحة، لأنه أكثر أجزائها إشباعاً للإنسان. وعطية الله هي الأفضل وتعطي الشبع المستمر.. في النشيد الذي رنمه موسى بعد كتابة التوراة، يصف بركات الرب على شعبه بقوله إنه أعطاهم «زُبدة بقرٍ ولبنَ غنم، مع شحمِ خرافٍ وكباش» (تث ٣٢:١٤). ويقول النبي إشعياء إن الشحم والدسم هما وليمة الله القادمة لشعبه «دَردي سمائن ممخّة» (إش ٢٥:٦). وقال الرب: «أُروي نفس الكهنة من الدسم، ويَشبَع شعبي من جودي، يقول الرب» (إر ٣١:١٤).

(ب) **شبع الإنسان بالإلهيات:** فقد أمرت شريعة موسى بإحراق شحم الذبيحة كله لله: «كل الشحم للرب، فريضة دهرية في أجيالكم في جميع مساكنكم. لا تأكل شيئاً من الشحم» (لا ٣:١٦ و١٧). ويصف المرنم الشبع السماوي بقوله: «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب. طوبى للرجل المتوكل عليه» (مز ٣٤:٨). «طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يُشبَعون» (متى ٥:٦) «يَروَوْن من دسم بيتك. من نهر نِعَمك تسقيهم» (مز ٣٦:٨). ونحن دائماً ضيوف الملك الذي يرتب لنا مائدة، ويجعل كأسنا ريا (مز ٢٣).

٢ - نتيجة الشبع: «بشفتَي الابتهاج يسبّحك فمي. إذا ذكرتُك على فراشي، في السُّهد ألهج بك، لأنك كنت عوناً لي، وبظل جناحيك أبتهج» (آيات ٥ب-٧). عندما شبعت نفس المرنم بالإلهيات فاضت شفتاه بالتسبيح. «فلنُقدِّم به في كل حين لله ذبيحة التسبيح، أي ثمر شفاه معترفة باسمه» (عب ١٣:١٥). وهو يسبح «إذا ذكرتك». و«إذا» هنا ظرفية وليست شرطية، وتعني أن المرنم كلما جافاه النوم أخذ يتأمل مراحم الرب ويتذكرها شاكراً، فتطمئن نفسه وهو مستمرٌّ في تفكيره وحمده ليلاً ونهاراً. إن عقله الواعي والباطن لا يكفّان عن التأمل في العناية الماضية التي تجعله يذكر الرب بفرح، فيشكره لأنه كان عوناً له ويبتهج بظل جناحيه. والمرنم يفكر في النسر ذي الجناحين الكبيرين القويين اللذين يحميان صغاره، والذي وصفه موسى بقوله: «كما يحرّك النسر عشّه وعلى فراخه يرفُّ، ويبسط جناحيه ويأخذها ويحملها على مناكبه، هكذا الرب» (تث ٣٢:١١ و١٢). أو لعله يفكر في جناحي دجاجة حانية على فراخها «كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها» (متى ٢٣:٣٧).

ثالثاً - عهد المؤمن مع الرب

(آيات ٨-١١)

نتيجة لشبع أشواق المرنم بالرب قرر أن يجدّد عهده في الالتصاق بالرب. ثم ذكر نتيجة قيامه بمتطلبات هذا العهد:

١ - **موضوع العهد:** «التصقَت نفسي بك» (آية ٨أ). تمّم المرنم الوصية: «الربَّ إلهك تتّقي. إياه تعبد، وبه تلتصق» (تث ١٠:٢٠). فكانت علاقته بالرب عميقة ومستمرة، كما يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسداً واحداً (تك ٢:٢٤). يلتصق المرنم بالرب كما التصقت راعوث بنُعمي وهي تقول: «حيثما بتّ أبيت» (را ١:١٦)، وكما يلتصق الغصن بالكرمة ليأخذ العصارة فيأتي بالثمر. التصقت نفس داود بالرب بدون معطّل يمنع وصول البركة إليه، فكان الرب رأسه وقائده، وصار هو الخاضع المطيع. وكما لا ينفصل الجسد عن رأسه التصق داود بالرب وثبت فيه، فثبت الرب في داود والتصق به. ومحبة المسيح لن تنفصل عنك وأنت تقول: «من سيفصلنا عن محبة المسيح؟» (رو ٨:٣٥).

٢ - **نتيجة العهد:** (آيات ٨ب-١١). ذكر المرنم نتيجتين لثبوته في عهده مع الله:

(أ) **ارتفاع المؤمن:** «يمينك تعضدني. أما الذين هم للتهلُكة يطلبون نفسي فيدخلون في أسافل الأرض. يُدفَعون إلى يدي السيف. يكونون نصيباً لبنات آوى» (آيات ٨ب-١٠). يقول الرب للمرنم: «لا تخَفْ لأني معك. لا تتلفَّت لأني إلهك. قد أيَّدتُك وأعنتُك وعضَدتُك بيمين برّي» (إش ٤١:١٠). يُهلك الرب أعداء المرنم فيدخلون في أسافل الأرض بأن يموتوا ويُدفنوا. ولعل المرنم يذكر ما حدث لمساكن قورح وداثان وأبيرام الذين رفضوا قيادة موسى وقاموا بثورة وانقلاب فاشل ضده، ففتحت الأرض فاها وابتلعتهم، فهبطوا أحياء إلى الهاوية (عد ١٦:٢٥-٣٠) وتحقّق معهم إنذار الرب للخطاة: «أجعلهم يسقطون بالسيف أمام أعدائهم وبيد طالبي نفوسهم، وأجعل جثثهم أكلاً لطيور السماء ولوحوش الأرض» (إر ١٩:٧). هكذا سقط شاول على سيفه، و«كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون» (متى ٢٦:٥٢).

(ب) **فرح المؤمن:** «أما الملك فيَفرح بالله. يفتخر كل من يحلف به. لأن أفواه المتكلمين بالكذب تُسَدّ» (آية ١١). عبَّر الملك داود عن شوقه لبيت الرب، وتعهَّد لله أن يلتصق به، فاختبر الفرح الحقيقي. وكل من يدخل في عهد الرب يفتخر بالرب، ويمتلئ قلبه بالفرح. لقد زرع داود بالدموع، ولا بد سيحصد بالابتهاج (مز ١٢٦:٥). «فالذي يتبرَّك في الأرض يتبرَّك بإله الحق، والذي يحلف في الأرض يحلف بإله الحق، لأن الضيقات الأولى قد نُسيت» (إش ٦٥:١٦). «يفرح الصدّيق بالرب ويحتمي به، ويبتهج كل المستقيمي القلوب» (مز ٦٤:١٠). أما أعداء المرنم، المتكلمون بالكذب، فسيسدُّ الله أفواههم «لكي يستدَّ كل فم ويصير كل العالم تحت قصاص من الله» (رو ٣:١٩).

لقد عطشت نفس المرنم إلى الله، وأروى الله نفسه بشخصه الكريم، ففرح قلبه بالرب، وافتخر به. فهل تشتاق للرب ليفرّحك بشخصه؟

المزمور الرابع والستون

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ
١ اِسْتَمِعْ يَا ٱللّٰهُ صَوْتِي فِي شَكْوَايَ. مِنْ خَوْفِ ٱلْعَدُوِّ ٱحْفَظْ حَيَاتِي. ٢ ٱسْتُرْنِي مِنْ
مُؤَامَرَةِ ٱلْأَشْرَارِ، مِنْ جُمْهُورِ فَاعِلِي ٱلْإِثْمِ ٣ ٱلَّذِينَ صَقَلُوا أَلْسِنَتَهُمْ كَٱلسَّيْفِ. فَوَّقُوا
سَهْمَهُمْ كَلَاماً مُرّاً ٤ لِيَرْمُوا ٱلْكَامِلَ فِي ٱلْمُخْتَفَى بَغْتَةً. يَرْمُونَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ. ٥ يُشَدِّدُونَ
أَنْفُسَهُمْ لِأَمْرٍ رَدِيءٍ. يَتَحَادَثُونَ بِطَمْرِ فِخَاخٍ. قَالُوا: «مَنْ يَرَاهُمْ؟» ٦ يَخْتَرِعُونَ إِثْماً،
تَمَّمُوا ٱخْتِرَاعاً مُحْكَماً. وَدَاخِلُ ٱلْإِنْسَانِ وَقَلْبُهُ عَمِيقٌ.
٧ فَيَرْمِيهِمِ ٱللّٰهُ بِسَهْمٍ. بَغْتَةً كَانَتْ ضَرْبَتُهُمْ. ٨ وَيُوقِعُونَ أَلْسِنَتَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ. يُنْغِضُ
ٱلرَّأْسَ كُلُّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ. ٩ وَيَخْشَى كُلُّ إِنْسَانٍ وَيُخْبِرُ بِفِعْلِ ٱللّٰهِ، وَبِعَمَلِهِ يَفْطَنُونَ.
١٠ يَفْرَحُ ٱلصِّدِّيقُ بِٱلرَّبِّ وَيَحْتَمِي بِهِ، وَيَبْتَهِجُ كُلُّ ٱلْمُسْتَقِيمِي ٱلْقُلُوبِ.

شكوى لعدالة الله

هذا المزمور شكوى إلى العدالة الإلهية. ولا بد أننا جميعاً مررنا بمثل هذا الاختبار، سواء كانت شكوانا من الله إلى الله، أو من أصدقاء كنا نتوقع معونتهم ولم يفعلوا، أو من أصدقاء آذونا، أو من أعداء أساءوا إلينا. وربما شكونا نفوسنا إلى الله، لأننا لم نرتفع إلى المستوى الروحي الذي توقَّعناه من نفوسنا، فخاب أملنا في أنفسنا!

ونشكر الله إلهنا لأنه ملجأنا في كل موقف، وهذا ما وجده المرنم، فقد كانت حياته حياة أُنس جميل بالله وصُحبة سماوية مستمرة، وكان يؤمن أن الله موجود معه دائماً في مختلف ظروفه. ويتميَّز المؤمن المولود من الروح القدس بأن عينيه تتَّجهان إلى الله دوماً، فلا منقذ إلا أمانته. ونتيجة لاختبارات المرنم السابقة تأكد أن الرب هو المنقذ الأول والوحيد، فتدرَّب على أن يقرع بابه الكريم أول كل شيء. ثم من خلال الرب يتوجه إلى مصادر المعونة الأخرى، مطيعاً الأمر الرسولي: «تغيَّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم» (رو ١٢: ٢). فتغيَّر ذهنه وصار يحوّل نظره فوراً من المشكلة إلى الله.

في هذا المزمور نجد:

أولاً - مؤامرة العدو (آيات ١-٦)

ثانياً - عدالة الله (آيات ٧-١٠)

أولاً - مؤامرة العدو

(آيات ١-٦)

يرفع المرنم صلاته لينقذه الله من أعدائه الماكرين المتآمرين المراوغين، المصرّين على الإيقاع به، وهو يثق أن الله لا بد سيتدخّل لحمايته.

١ - يشكو من مؤامرات العدو: (آيتا ١ و٢).

(أ) **يشكو من عجزه:** «اسمع يا الله صوتي في شكواي» (آية ١أ). هذه استغاثة عاجز عن مواجهة الموقف، يطلب المعونة السريعة.

(ب) **يشكو من خوفه:** «من خوف العدو احفظ حياتي» (آية ١ب). إنه لا يتوهَّم مشكلة، لكنه يحيا فيها! وهو لا يُنقِص من تقدير قيمة العدو ابن إبليس، الذي يجول كأسدٍ زائر ملتمساً من يبتلعه (١بط ٥:٨). ولكنه يعرف قيمة المعونة الإلهية التي له في الرب القادر أن يحفظ حياته، منتظراً الإنصاف الإلهي.

(ج) **يشكو من الأشرار:** «استُرني من مؤامرة الأشرار» (آية ٢أ). الأشرار هم أصحاب السلوك الأعوج، وهم يخططون العوّج ثم يفاجئونه بالهجوم. ولن يحميه من مكايدهم ومؤامراتهم السرية إلا الستر الإلهي، فإن «الساكن في ستر العلي في ظل القدير يبيت» (مز ٩١:١). يستر الله المرنم ويخبئه حتى لا يجده أعداؤه، كما خبأ الرب إرميا النبي وباروخ الكاتب من الملك الشرير يهوياقيم (إر ٣٦:٢٦).

(د) **يشكو من الأثمة:** «من جمهور فاعلي الإثم» (آية ٢ب). وفاعلو الإثم هم الذين يتعدّون حدود الله، وليست مخافة الله أمام عيونهم. كان أعداء داود أذكياء لا بسطاء، متمرّسين في الإثم، يدبّرون المكايد. أما عيناه فقد شخصتا نحو السماء، وكان قلبه مع الرب.

٢ - يشكو من كلام العدو: (آية ٣).

استخدم العدو سلاح الحرب الكلامية ضد المرنم ليزعزع ثقته في قوة الصلاة:

(أ) **كلام كالسيف:** «الذين صقلوا ألسنتهم كالسيف» (آية ٣أ). كلامهم كسيفٍ مصقول مسنون يذبح، وكثيراً ما يكون جرح الكلام أبلغ من جرح السيف. ويصف المرنم اللسان الذي يذبح بتملّق فيقول: «أنعم من الزبدة فمه وقلبه قتّال. ألين من الزيت كلماته وهي سيوفٌ مسلولة» (مز ٥٥:٢١). ويصف أيضاً اللسان الذي يذبح بهجومه الذي لا يرحم، فيقول: «نفسي بين الأشبال. أضطجع بين المتّقدين (أي: المشتعلين بنيران الغضب). بني آدم، أسنانهم أسنّةٌ وسهامٌ، ولسانهم سيفٌ ماضٍ» (مز ٥٧:٤).

(ب) **كلام كالسهم:** «فوّقوا سهمهم كلاماً مُراً» (آية ٣ب). قال شاعر عربي:

جراحات السّنان لها التئام ... ولا يلتام ما جرح اللسان

«وأما اللسان فلا يستطيع أحدٌ من الناس أن يذلّله. هو شرّ لا يُضبط، مملوٌ سماً مميتاً. به نبارك الله الآب، وبه نلعن الناس الذين قد تكوّنوا على شِبْه الله» (يع ٣: ٨ و٩). وفي جراحات اللسان يلجأ المؤمن لمعونة السماء، عالماً أنه «إن عُيِّرتم باسم المسيح فطوبى لكم، لأن روح المجد والله يحل عليكم» (١بط ٤: ١٤).

٣ - **يشكو من فخاخ العدو:** (آيتا ٤ و٥).

(أ) **يتفقون ضده:** «ليرموا الكامل في المُختفى. بغتةً يرمونه ولا يخشون. يشدّدون أنفسهم لأمرٍ رديء» (آية ٤). «أهل الدماء يبغضون الكامل» (أم ٢٩: ١٠). إنهم لا يملكون شجاعة المواجهة فيجيئون متخفّين. ويأتون بغتة بغير توقُّع لينالوا مُبتغاهم. إنهم لا يخافون الله ولا يهابون إنساناً، فيتآمرون ويتفقون ويشجعون بعضهم بعضاً ضد المرنم.

(ب) **يتكلمون ضده:** «يتحادثون بطمر فخاخ. قالوا: من يراهم؟» (آية ٥). كلامهم كالفخ المطمور المختفي الذي يُمسك بالمرنم، وهم يظنون أن لا أحد يراهم، وكأن لا عدالة إلهية تنصف المظلوم، وينسون أن فوق العالي عالياً يلاحظ، والأعلى فوقهما (جا ٥: ٨). «ويلٌ للذين يتعمّقون ليكتُموا رأيهم عن الرب، فتصير أعمالهم في الظلمة، ويقولون: من يبصرنا ومن يعرفنا؟» (إش ٢٩: ١٥).

٤ - **يشكو من اختراعات العدو:** (آية ٦).

(أ) **اختراع محكم:** «يخترعون إثماً. تمّموا اختراعاً محكماً» (آية ٦أ). يخترع الأشرار كل يوم فخاً أقوى من سابقه، فمهما حاول أن ينجو يسدّون في وجهه كل باب للنجاة، بمؤامرة سرية مُحكمة.

(ب) **مكر عميق:** «وداخل الإنسان وقلبه عميق» (آية ٦ب). مكرالأعداء عميق «اليدان إلى الشر مجتهدتان» (مي ٧: ٣). ولكن الله يعرف خفايا القلوب «القلب أخدع من كل شيء، وهو نجيس. من يعرفه؟ أنا الرب فاحص القلب.. لأعطي كل واحد حسب طرقه، حسب ثمر أعماله» (إر ١٧: ٩ و١٠).

تعب المرنم وطلب الإنقاذ. لقد علّم إبليس الأعداء كيف يحيكون مؤامراتهم، ويطلب المرنم أن يعلّمه الروح القدس مواهب جديدة ليستطيع أن يواجه أعداءه وينتصر عليهم.

ثانياً - عدالة الله

(آيات ٧-١٠)

١ - **عدالة الله تعاقب الأشرار:** «فيرميهم الله بسهم. بغتةً كانت ضربتُهم» (آية ٧). يرمي الأشرار سهامهم في المختفى (آية ٤) أما سهم الرب فواضح وسريع ويصيب بغتة. فالسهم الموجّه للمؤمن لا بد أن يرتد إلى أعدائه. وسهام الله أسرع وأقوى، فنقول: «لأنك تجعلهم يتولّون. تفوّق

السهامَ على أوتارك تِلقاء وجوههم» (مز ٢١ :١٢). «لي النقمة، أنا أجازي» (تث ٣٢ :٣٥ و٣٦ ورو ١٢ :١٩).

عندما جاء ربشاقى يقود جيش أشور العظيم ليهاجم بني إسرائيل، سخر من الملك حزقيا وكتب له: «لا يخدعك إلهك الذي أنت متوكل عليه قائلاً: لا تُدفَع أورشليم إلى يد ملك أشور». فحمل حزقيا الرسالة معه إلى الهيكل وصلى: «يا ربَّ الجنود إله إسرائيل، الجالس فوق الكاروبيم، أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض. أنت صنعت السموات والأرض. أمِل يا رب أذنك واسمع. افتح يا رب عينيك وانظر، واسمع كل كلام سنحاريب الذي أرسله ليعيّر الله الحي». فخرج ملاك الرب وقتل من جيش أشور ١٨٥ ألفاً. فعادت بقية جيش أشور من حيث أتوا (إش ٣٧ :١٠ و١٦ و١٧ و٣٦ و٣٧).

٢ – **يؤذي الأشرار أنفسهم:** «يوقِعون ألسنتَهم على أنفسهم. يُنغِض الرأس كلُّ من ينظر إليهم» (آية ٨). السيف الكلامي المسلول المصقول الذي يدين، لا بد أن يرجع على من حاول أن يصيب به. إنه يدين نفسه ويرتدُّ على أصحابه. أما المحيطون بهم فيحركون رؤوسهم سخرية وتعجباً مما جرى لأعداء المرنم الذين كانوا في الظاهر منتصرين. كان الشرير موجوداً وقوياً، ولكنه لم يعد كما كان!

٣ – **عدالة الله تُعلِّم البشر:** «ويخشى كل إنسان ويخبر بفعل الله، وبعمله يَفطنون» (آية ٩). يدرك البشر أن قوة الله تعمل لصالح المؤمنين به، ويفطن الناس للعمل الإلهي، إذ يرون يد الله من وراء نجاة المؤمن وهلاك الشرير. قد يبدو الشر ناجحاً لفترة، لكن لا بد أن ينهار على رؤوس أصحابه. وقد يحيا المؤمنون أقلية تحت ضغوط خارجية كبيرة، لكن الإله الصالح يعمل وسطهم وبهم ولهم بكل قوة وسلطان. قال الله على فم هوشع: «مَن هو حكيم حتى يفهم هذه الأمور، وفهيم حتى يعرفها؟ فإن طرق الرب مستقيمة، والأبرار يسلكون فيها، وأما المنافقون فيعثرون فيها» (هو ١٤ :٩).

٤ – **عدالة الله تفرّح الصدّيقين:** «يفرح الصدّيق بالرب ويحتمي به، ويبتهج كل المستقيمي القلوب» (آية ١٠). بدأ المرنم مزموره مشتكياً خائفاً، وختمه بفرحة التبرير الذي يمنحه الله للمؤمن فيجعل منه صدّيقاً، لأنه اختبر الصلاح والعدل الإلهيين، ونال النجاة من عند الله.

هذا اختبار الكنيسة واختبار أفرادها، فكل مؤمن يعيش قصة هذا المزمور دائماً. فدعونا نحيا بفرح الصدّيق بالرب، واثقين محتمين به أكثر، فيخزى الأشرار ويتشجع المؤمنون جميعاً ويفرحون معاً.

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ. تَسْبِيحَةٌ
١ لَكَ يَنْبَغِي ٱلتَّسْبِيحُ يَا اَللّٰهُ فِي صِهْيَوْنَ، وَلَكَ يُوفَى ٱلنَّذْرُ. ٢ يَا سَامِعَ ٱلصَّلَاةِ،
إِلَيْكَ يَأْتِي كُلُّ بَشَرٍ. ٣ آثَامٌ قَدْ قَوِيَتْ عَلَيَّ. مَعَاصِينَا أَنْتَ تُكَفِّرُ عَنْهَا. ٤ طُوبَى لِلَّذِي
تَخْتَارُهُ وَتُقَرِّبُهُ لِيَسْكُنَ فِي دِيَارِكَ. لَنَشْبَعَنَّ مِنْ خَيْرِ بَيْتِكَ، قُدْسِ هَيْكَلِكَ.
٥ بِمَخَاوِفَ فِي ٱلْعَدْلِ تَسْتَجِيبُنَا يَا إِلٰهَ خَلَاصِنَا، يَا مُتَّكَلَ جَمِيعِ أَقَاصِي ٱلْأَرْضِ
وَٱلْبَحْرِ ٱلْبَعِيدَةِ. ٦ ٱلْمُثْبِتُ ٱلْجِبَالَ بِقُوَّتِهِ، ٱلْمُتَنَطِّقُ بِٱلْقُدْرَةِ، ٧ ٱلْمُهَدِّئُ عَجِيجَ ٱلْبِحَارِ،
عَجِيجَ أَمْوَاجِهَا وَضَجِيجَ ٱلْأُمَمِ. ٨ وَتَخَافُ سُكَّانُ ٱلْأَقَاصِي مِنْ آيَاتِكَ. تَجْعَلُ مَطَالِعَ
ٱلصَّبَاحِ وَٱلْمَسَاءِ تَبْتَهِجُ. ٩ تَعَهَّدْتَ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلْتَهَا تَفِيضُ. تُغْنِيهَا جِدّاً. سَوَاقِي ٱللّٰهِ
مَلْآنَةٌ مَاءً. تُهَيِّئُ طَعَامَهُمْ لِأَنَّكَ هٰكَذَا تُعِدُّهَا. ١٠ أَرْوِ أَتْلَامَهَا. مَهِّدْ أَخَادِيدَهَا. بِٱلْغُيُوثِ
تُحَلِّلُهَا. تُبَارِكُ غَلَّتَهَا. ١١ كَلَّلْتَ ٱلسَّنَةَ بِجُودِكَ، وَآثَارُكَ تَقْطُرُ دَسَماً. ١٢ تَقْطُرُ
مَرَاعِي ٱلْبَرِّيَّةِ، وَتَتَنَطَّقُ ٱلْآكَامُ بِٱلْبَهْجَةِ. ١٣ ٱكْتَسَتِ ٱلْمُرُوجُ غَنَماً، وَٱلْأَوْدِيَةُ تَتَعَطَّفُ
بُرّاً. تَهْتِفُ وَأَيْضاً تُغَنِّي.

ترنيمة شكر على الحصاد

كُتب هذا المزمور ليُنشَد في عيد الحصاد، أو عيد الباكورة، الذي كان بنو إسرائيل يعيّدونه حسب أمر الرب: «متى جئتُم إلى الأرض التي أنا أعطيكم وحصدتم حصيدها، تأتون بحُزمة أول حصيدكم إلى الكاهن، فيردّد الحزمة أمام الرب للرضا عنكم» (لا ٢٣:٩-١٤). فكانوا يحتفلون في عيد الباكورة احتفالاً خاصاً، ينشدون أثناءه هذا المزمور، ويجتمعون معاً للعبادة والشكر ليقدموا للرب أول الحصاد اعترافاً بفضله عليهم. ونحن نقرأ هذا المزمور في نهاية كل عام، لنرفع الشكر لله على بركاته التي أنعم بها علينا في سنة مضت.

في هذا المزمور نجد:

أولاً - المؤمنون يسبّحون الله (آيات ١-٥)

ثانياً - الطبيعة تسبّح الله (آيات ٦-٨)

ثالثاً - الحصّادون يسبّحون الله (آيات ٩-١٣)

أولاً - المؤمنون يسبّحون الله

(آيات ١-٥)

يليق بالمؤمنين أن يجتمعوا في بيت الرب ليرفعوا تسابيح الشكر لسامع الصلاة الذي يسمع ويستجيب لكل خليقته. صحيحٌ أن خطاياهم تفصل بينهم وبينه، لكنه يكفّر عنهم، فيجدون أعظم سعادة في بيته ومحضره.

١ - **يسبح المؤمنون سامع الصلاة:** «لك ينبغي التسبيح يا الله في صهيون، ولك يُوفَى النذر. يا سامع الصلاة، إليك يأتي كل بشر» (آيتا ١ و٢). يسبّح المؤمنون الرب ويوفونه نذورهم، لأنه أعطاهم ما طلبوه، قائلين: «من قِبلك تسبيحي في الجماعة العظيمة. أوفي بنذوري قدام خائفيه» (مز ٢٢:٢٥). (انظر تعليقنا على النذور في مزمور ٥٠:١٤).

قال جون كلفن إن الله لا يكف عن سماع الصلاة إلا عندما يكفُّ أن يكون الله! وهو يسمع لأنه يقدر أن ينتبه لطلبات طالبيه ويحقق منها ما هو لخيرهم «وهذه هي الثقة التي لنا عنده: أنه إن طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا. وإن كنا نعلم أنه مهما طلبنا يسمع لنا، نعلم أن لنا الطلبات التي طلبناها منه» (١يو ٥:١٤ و١٥). فينبغي أن يُصلى في كل حين ولا يُمل (لو ١٨:١) فلنسأل لنأخذ ولنطلب لنجد ولنقرع فيفتح لنا (متى ٧:٧). إنه يسمع جميع البشر ويعطيهم، وهم ينقسمون إلى قسمين: أبناءٍ يطلبون من أبيهم السماوي، وشحاذين يطلبون من سيدهم المنعِم. لكن السيد المنعم يريد أن يرفعنا من مقام الشحاذين إلى مقام الأبناء، فقد أنعم بالتبنّي على كل الذين يقبلون المسيح المخلّص ويضعون ثقتهم في فدائه (يو ١:١٢)، فيقولون بعضهم لبعض: «انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى نُدعى أولاد الله» (١يو ٣:١). فهم لم يعودوا عبيداً، بل أبناء وورثة (رو ٨:١٧). ومن منطلق البنويَّة نأتي إليه في وقت الاحتياج كما في وقت عدم الاحتياج، نعبّر له عن محبتنا، ونبثُّه أشواقنا ونسكب نفوسنا أمامه قائلين: «عطشَت نفسي إلى الله، إلى الإله الحي» (مز ٤٢:٢). فنزداد اقتراباً إليه في كل وقت، لتشبع نفوسنا بثمر محبته وسلامه، ونستمتع بالأُنس به، دون أن تمل النفس من الحديث معه.

٢ - **يسبّح المؤمنون الغفور الرحيم:** «آثام قد قويَت عليَّ. معاصينا أنت تكفِّر عنها» (آية ٣). يغفر الله كل ذنوب التائب المعترِف، مهما كان ثقلها. ويصفها المرنم مرة بأنها آثامه، في قوله: «آثام قد قويت عليَّ». والآثام هي كل سلوك أعوج. ويصفها مرة أخرى بأنها آثامه وآثام شعبه، في قوله: «معاصينا أنت تكفّر عنها». والمعاصي هي كل سلوك يخالف الإرادة الإلهية ويقاومها. ومن صيغتَي المفرد والجمع نرى أن كل عابد يجب أن يعترف اعترافاً فردياً بخطيته الشخصية، كما يعترف عن الجماعة كلها، فنحن نقف أمام الله كأفراد، كما نقف أمامه كجماعة، يعترف كل واحد منا عن نفسه، وهو يحس بتقصير كل المؤمنين «إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله. متبرّرين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قدمه الله كفارة» (رو ٣:٢٣-٢٥). وقد أوصت شريعة موسى بالاعتراف الفردي والجماعي، ففي يوم الكفارة العظيم كان رئيس الكهنة يدخل إلى قُدس الأقداس، أولاً بدمٍ عن نفسه هو، فيقبل الرب توبته، ثم يدخل ثانيةً بدمٍ عن جميع الشعب ليغفر الرب لكل شعبه (لا ١٦).

وهكذا فعل نحميا لما قال: «فإني أنا وبيت أبي قد أخطأنا» (نح ١:٦). وهكذا صلى دانيال واعترف بخطيته وخطية شعبه (دا ٩:٢٠).

والمعاصي والآثام هم الأعداء الذين لا نقدر أن نهزمهم وحدنا، فقد «قويت علينا». ولا يقدر أحدٌ مهما كان صالحاً أن يكفِّر عن معاصيه. فلنلجأ جميعاً للرب قائلين: اغفر لنا ذنوبنا، وكفِّر عنا سيئاتنا، بمعنى أن يسترها ويمحوها. فبعد أن نعترف لله تائبين يكفِّر عنّا ويستر خطايانا فلا تعود تقوم ضدنا أمامه. ونلاحظ أن الغفران والتكفير يسيران معاً، فيعلّمنا الإنجيل أن الذبائح الكفارية التي أمرت بها شريعة موسى كانت رمزاً لكفارة المسيح الكاملة، فهو «حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو ١:٢٩). وهو الذي غسلنا من خطايانا بذبحه العظيم، وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه (رؤ ١:٥ و٦). ويوفي المسيح ديوننا بفضل كفارته «وهو مجروحٌ لأجل معاصينا، مسحوقٌ لأجل آثامنا» (إش ٥٣:٥). وفي صليبه أعطى العدالة الإلهية حقّها، كما أوضح لنا رحمة الله بأوضح برهان، وبكفارته «الرحمة والحق التقيا. البرُّ والسلام تلاثما» (مز ٨٥:١٠).

٣ – يسبّح المؤمنون الله المعبود: «طوبى للذي تختاره وتقرّبه ليسكن في ديارك» (آية ٤أ). اختار الرب سبط لاوي ونسل هارون ليخدموا بيته، وأراد لكل بني إسرائيل أن يكونوا مملكة كهنة وأمة مقدسة (خر ١٩:٦) وبهذا جعلهم ضيوفه الذين يُشبِعهم من نعمته، كما اعتبرهم أهلَ بيته. ووضع عليهم مسؤولية تبليغ رسالة حبه وصلاحه إلى جيرانهم. ولكنهم تقاعسوا، واحتفظوا بأخبار نعمة الله لأنفسهم وحدهم. فمنح الله هذا الامتياز لكل من يقبل المسيح مخلّصاً وفادياً. طوبى لمن يختاره الرب ليسكن في دياره، لأن الساكن في ستر العلي في ظل القدير يبيت (مز ٩١:١). هذا هو الآمن الذي ينتهي اغترابه، فيستقر ويهدأ نفساً، ويوصف بالقول: «هداهم طريقاً مستقيماً ليذهبوا إلى مدينة سكن. فليحمدوا الرب على رحمته وعجائبه لبني آدم» (مز ١٠٧:٧ و٨). والذي يسكن في ديار الرب يتعبَّد للرب في زينة القداسة (مز ٩٣:٥)، ويستمع لكلمته التي تنقّي القلب (يو ١٥:٣)، ويحظى بالوجود القريب من الرب، ويتحقّق له قول المسيح: «الذي يحبني يحبه أبي، وأنا أحبه وأُظهر له ذاتي.. إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبي، وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً» (يو ١٤:٢١ و٢٣).

أما البركة الكبرى فهي: «لنَشبعنَّ من خير بيتك ومن قُدس هيكلك» (آية ٤ب) ففي هيكل الله المقدس شبع النفس «إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس» (إش ٢٦:٨). «يُرْوَوْن من دسم بيتك، ومن نهر نِعمك تسقيهم» (مز ٣٦:٨). فليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بإشباع روحه من كلمة الرب. و«طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يُشبَعون» (متى ٥:٦).

٤ – يسبّح المؤمنون صاحب السلطان: «بمخاوف في العدل تستجيبنا يا إلهَ خلاصنا» (آية ٥أ). نخاف الله ونهابه، وتبهرنا عنايته وهو يستجيبنا برعايته التي تُذهلنا. ومن نماذج ذلك ما حدث مع بني إسرائيل في معجزات الخروج، وعمود النار، وعمود السحاب، وانشقاق البحر الأحمر، والماء الذي خرج من الصخر، والسماء التي كانت تمطر المنّ في مطلع كل صباح، والثياب والنعال التي لم تبْلَ مدة أربعين سنة. ونظر المصريون ما أنزله الله بهم من عقاب، وما أنزله إلى بني إسرائيل من

بركات، فارتعبوا. وهذه هي المخاوف العادلة. فالله يُخيف الأعداء لأنه عادل، ويُنقذ خاصته لأنه رحيم.

ونحن اليوم نختبر عدل إلهنا ورحمته، فهو يجازي كل واحد حسب عمله، وهو يغفر ذنوب كل المعترفين بخطاياهم المحتمين في كفارة المسيح. فلنسلك في طاعة الله متمّمين خلاصنا بخوف ورعدة، لأن الله هو العامل فينا أن نريد وأن نعمل من أجل المسرة (في ٢: ١٢ و١٣).

٥ - يسبّح المؤمنون إله العالم كله: «يا متّكل جميع أقاصي الأرض والبحر البعيدة» (آية ٥ب). حتى إن كانوا لا يعرفونه ولا يعبدونه حقّ عبادته. إنهم يعتمدون على نور شمسه، وكريم مطره. والمرنم هنا يخرج من تفكيره المحلي المحدود بشعبه بني إسرائيل ليتحدث عن الله إله العالم كله، فرآه رب العالمين، مُتّكل كل البشر الذي يصرخ إليه الجميع. «تذكر وترجع إلى الرب كل أقاصي الأرض، وتسجد قدامك كل قبائل الأمم، لأن للرب المُلك، وهو المتسلّط على الأمم» (مز ٢٢: ٢٧ و٢٨). الرب يُحسِن إلى البشر جميعاً بمحبة حقيقية، ولا يُعيّر. «كلها إياك تترجّى لترزقها قوتها في حينه.. تفتح يدك فتشبع خيراً» (مز ١٠٤: ٢٧ و٢٨). وقال بولس لأهل أثينا الذين كانوا يعبدون الأصنام: «فالذي تتّقونه وأنتم تجهلونه، هذا أنا أنادي لكم به. الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه، إذ هو رب السماء والأرض.. يعطي الجميع حياة ونفساً وكل شيء» (أع ١٧: ٢٣-٢٥).

ثانياً - الطبيعة تسبّح الله

(آيات ٦-٨)

خلق الله الكون ويضبطه، وهو المتحكّم في كل قوى الطبيعة ويحفظها. قال له نحميا: «أنت هو الرب وحدك. أنت صنعت السماوات وسماء السماوات وكل جندها، والأرض وكل ما عليها، والبحار وكل ما فيها. وأنت تحييها كلها. وجند السماء لك يسجد» (نح ٩: ٦).

١ - الطبيعة تسبّح الذي يثبتها: «المُثبِت الجبال بقوّته، المتنطق بالقدرة» (آية ٦). هو الخالق الذي لا ينسى خليقته. خلقها ويهتم بها، فالأفلاك تدور والنجوم ثابتة في مداراتها، والجبال راسخة في أماكنها. «إلى دور فدور أمانتك. أسّستَ الأرض فثبتت» (مز ١١٩: ٩٠) لذلك تُدعى «الجبال الدهرية» (حب ٣: ٦). قال المسيح: «أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل» (يو ٥: ١٧). صحيحٌ أن عمل الله في خلْق العالم قد انتهى، ولكنه لا يزال يضبط الأكوان. فلنهتف له: «أنت مستحقٌ أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة، لأنك أنت خلقت كل الأشياء، وهي بإرادتك كائنة وخُلقت» (رؤ ٤: ١١).

٢ - الطبيعة تسبح الذي يهدئها: «المهدئ عجيج البحار، عجيج أمواجها، وضجيج الأمم» (آية ٧). قال الرب: «أنا الذي وضعتُ الرمل تخوماً للبحر فريضة أبدية لا يتعدّاها، فتتلاطم ولا تستطيع، وتعجّ أمواجه ولا تتجاوزها» (إر ٥: ٢٢). الرب هو الذي «انتهر بحر سوف فيبس، وسيّرهم في اللجج كالبرية، وخلّصهم من يد المبغض، وفداهم من يد العدوّ» (مز ١٠٦: ٩ و١٠). والرب هو

الذي يُسكت العاصفة. تهيج العواصف فتثور الأمواج، فيُسكِت الرب العاصفة ليهدأ الموج. وهذا ما فعله المسيح، لأنه صاحب السلطان على الطبيعة (متى ٨:٢٦ و٢٧). وقد وصف إشعياء سلطان الله على الشعوب الثائرة ضد شعبه، كثورة الطبيعة الهائجة، فقال: «ضجيج شعوب كثيرة تضج كضجيج البحر، وهدير قبائل تهدر كهدير مياه غزيرة!.. ولكنه ينتهرها فتهرب بعيداً، وتُطرَد كعُصافة الجبال أمام الريح، وكالجُلّ أمام الزوبعة. في وقت المساء إذا رعبٌ! قبل الصبح ليسوا هم! هذا نصيب ناهبينا وحظ سالبينا» (إش ١٧:١٢-١٤).

عندما تضج أمواج البحر يجيء الكرب، وتصيب الحيرةُ الأمم. وأحياناً تقوم أممٌ على شعب الرب، حتى نتساءل: «لماذا ارتجّت الأمم وتفكّر الشعوب في الباطل؟» (مز ٢:١). ولكن الله يهدئ العجيج والضجيج، فتسبّح الطبيعة الرب الذي يهدئها، ويشاركها المؤمنون!

٣ - **الطبيعة تسبّح الرب الذي يعلّم البشر منها:** «وتخاف سكان الأقاصي من آياتك. تجعل مطالع الصباح والمساء تبتهج» (آية ٨). فعندما يتأمل الناس عمل الله في الطبيعة، يرون «السموات تحدّث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه. يومٌ إلى يوم يذيع كلاماً، وليلٌ إلى ليل يُبدي علماً. لا قول ولا كلام. لا يُسمَع صوتُهم، في كل الأرض خرج منطقهم» (مز ١٩:١-٤). فالله يشرق شمسه، فيجعل مطالع الصباح تبتهج ببدء يوم جديد. وعندما تغرب الشمس تأتي مطالع الليل، فيبتهج الناس لأن الله كلّل عمل اليوم بالنجاح، وأعطى عبيده المشتغلين راحة بعد تعب عمل اليوم وعنائه.

ويكلل الله بدء حياة الخاطئ التائب بفرح الغفران، فيجعل مطالع حياته تبتهج. ويكلل نهاية حياته بإكليل الحياة، فيجعل نهاية حياته تبتهج «يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم» (متى ١٣:٤٣).

ثالثاً - الحصادون يسبحون الله

(آيات ٩-١٣)

يهدف المرنم من مزموره أن يشكر الله على المحصول الوفير الذي أعطاه لشعبه في سنة زراعية، بفضل المطر الغزير الذي روى الأرض، فأعطت ثمرها المبهج للقلوب، واخضرّت المراعي فكثرت الأغنام، وانطلقت ألسنة الحصادين والرعاة تلهج بالتهليل.

١ - **الحصّادون يسبّحون مروي الأرض:** «تعهّدتَ الأرض وجعلتها تفيض. تُغنيها جداً. سواقي الله ملآنة ماءً. تهيّئ طعامهم لأنك هكذا تُعِدُّها. أروِ أتلامها. مهّد أخاديدها. بالغيوث تحلّلها، تبارك غلّتها» (آيتا ٩ و١٠). يرسل الله المطر المبكر في أول الشتاء ليجهز الأرض للبذار، كما يرسل المطر المتأخر في نهاية الشتاء ليجهّز المحصول للحصاد. ولا يمكن أن يحصل الحصّادون على حصاد وفير إلا إذا أمطرهم الله في الوقت المناسب وبالكمية المناسبة. وعند الرب مخازن الماء (تث ١١:١١ وأي ٣٨:٢٥-٢٨). وهكذا هيّأ لهم طعامهم بأن هيأ الأرض بالمطر المبكر الذي جهّزها للبذار، ثم روى أتلامها (وهو ما يشقّه محراث الفلاح من الأرض) ومهّد أخاديدها (أي حُفَرها المستطيلة) وحلّل تربتها ليسهُل نزول جذور النبات فيها، فتباركت غلتُها. وبعد أن يقوم الفلاح بدوره

من حرث الأرض وبذر البذور فيها، لن تنبت إلا بالعمل الإلهي، «إذاً ليس الغارس شيئاً ولا الساقي، بل الله الذي يُنمي» (١كو ٣:٧). «ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك، بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتُنبِت، وتعطي زرعاً للزارع وخبزاً للآكل» (إش ٥٥:١٠). ولا يمكن أن يحصد الحصادون لو لم تحتضن الأرض البذور، فتُخرج نباتاً ثم سنبلاً ثم قمحاً ملآن في السنبل (مر ٤:٢٨).

ويبتهج المؤمنون بالماء الحي الذي يُحيي به المسيح نفوس محبّيه، وهو يقول لهم: «مَن يشرب مِن الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية» (يو ٤:١٤). ويُشبع المسيح نفوس محبّيه بحسب قوله: «أنا هو خبز الحياة. من يُقبِل إليَّ فلا يجوع، ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً» (يو ٦:٣٥).

٢ - **الحصّادون يسبّحون مُنبِت الزرع:** «كللتَ السنة بجودك، وآثارك تقطر دسماً، تقطر مراعي البرية وتتنطق الآكام بالبهجة» (آيتا ١١ و١٢). أعطت الحقول ثمارها، وحصد الناس الخير، وكلل الله السنة، فإكليل السنة هو حصاد محصولها. وظهرت آثار عطايا الله واضحة في آثار عجلات العربات المحمّلة بالمحصول الوفير، وفي ما تساقط على جانبي الطريق من بعض ما حملته. فمن فرط ما حملت بركةً ودسماً أخذ الدسم يقطر منها. وهذا يعني أن الله أعطى بركة أكبر مما طلبوا أو افتكروا، وأنعم عليهم بأكثر من احتياجاتهم، لأنه يعطي بفيضٍ وغِنى. وكثُر العشب في المراعي فقطرت غذاءً للحيوان، فتنطّقت التلال والآكام بالبهجة، أي شدّت وسطها بحزام لترقص فرحاً. «لأنكم بفرحٍ تَخرُجون، وبسلام تُحضَرون. الجبال والآكام تُشيد أمامكم ترنُّماً، وكل شجر الحقل تصفّق بالأيادي» (إش ٥٥:١٢).

٣ - **الحصّادون يسبّحون راعي الأغنام والبشر:** «اكتست المروج غنماً، والأودية تتعطّف بُرّاً، تهتف وأيضاً تُغنّي» (آية ١٣). لقد كثُر عدد الأغنام حتى غطت المراعي، فكأنها اكتست غنماً! وارتوت الأرض فأنبتت عشباً، ونبت القمح وغطى الأودية، فكأنها لبست معطفاً من القمح. «الذي يجعل تخومك سلاماً ويُشبعك من شحم الحنطة» (مز ١٤٧:١٤). وفي تمايُل النباتات الوفيرة مع نسمات الريح بدا وكأن الأودية تتمايل معها، موحيةً لمن يراها بأنها ترقص، لأن المحصول غطى كل جزء في الوادي، فهتفت الأودية وغنّت شكراً وحمداً لله على البركة الموهوبة لها من عنايته.

فلنسبح الله راعينا الذي يفتش عن الواحد الضال حتى يجده، ومتى وجده يحمله على كتفيه محتفياً بنجاته وعودته سالماً. ولنسبح الله راعينا الذي معه لا يعوزنا شيء (مز ٢٣:١). ولنسبح الذي يعلّي المسكين من الذل (مز ١٠٧:٤١). ولنرنم هذا المزمور، لأن الله دائماً يسمع ويغفر ويعطينا فرص التوبة والعبادة، ويستجيب لنا ويمتّعنا دائماً بالطبيعة التي يثبتها ويهدئها لتعلّمنا أنها تحت أمره. وهو الذي يُروي ويُشبع دائماً بأكثر مما نحتاج، ويعطي ما لا نستطيع أن نحصل عليه بمجهودنا الشخصي. فله ينبغي التسبيح. «يحمدك يا رب كل أعمالك، ويباركك أتقياؤك. بمجد مُلكك ينطقون» (مز ١٤٥:١٠ و١١).

المزمور السادس والستون

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ. تَسْبِيحَةٌ. مَزْمُورٌ

١ اِهْتِفِي لِلّٰهِ يَا كُلَّ ٱلْأَرْضِ. ٢ رَنِّمُوا بِمَجْدِ ٱسْمِهِ. ٱجْعَلُوا تَسْبِيحَهُ مُمَجَّداً. ٣ قُولُوا
لِلّٰهِ: «مَا أَهْيَبَ أَعْمَالَكَ. مِنْ عِظَمِ قُوَّتِكَ تَتَمَلَّقُ لَكَ أَعْدَاؤُكَ. ٤ كُلُّ ٱلْأَرْضِ تَسْجُدُ لَكَ
وَتُرَنِّمُ لَكَ. تُرَنِّمُ لِٱسْمِكَ». سِلَاهْ.
٥ هَلُمَّ ٱنْظُرُوا أَعْمَالَ ٱللّٰهِ. فِعْلَهُ ٱلْمُرْهِبَ نَحْوَ بَنِي آدَمَ. ٦ حَوَّلَ ٱلْبَحْرَ إِلَى يَبَسٍ، وَفِي
ٱلنَّهْرِ عَبَرُوا بِٱلرِّجْلِ. هُنَاكَ فَرِحْنَا بِهِ. ٧ مُتَسَلِّطٌ بِقُوَّتِهِ إِلَى ٱلدَّهْرِ. عَيْنَاهُ تُرَاقِبَانِ
ٱلْأُمَمَ. ٱلْمُتَمَرِّدُونَ لَا يَرْفَعُنَّ أَنْفُسَهُمْ. سِلَاهْ.
٨ بَارِكُوا إِلٰهَنَا يَا أَيُّهَا ٱلشُّعُوبُ، وَسَمِّعُوا صَوْتَ تَسْبِيحِهِ. ٩ ٱلْجَاعِلَ أَنْفُسَنَا فِي
ٱلْحَيَاةِ، وَلَمْ يُسَلِّمْ أَرْجُلَنَا إِلَى ٱلزَّلَلِ. ١٠ لِأَنَّكَ جَرَّبْتَنَا يَا ٱللّٰهُ. مَحَصْتَنَا كَمَحْصِ ٱلْفِضَّةِ.
١١ أَدْخَلْتَنَا إِلَى ٱلشَّبَكَةِ. جَعَلْتَ ضَغْطاً عَلَى مُتُونِنَا. ١٢ رَكَّبْتَ أُنَاساً عَلَى رُؤُوسِنَا.
دَخَلْنَا فِي ٱلنَّارِ وَٱلْمَاءِ، ثُمَّ أَخْرَجْتَنَا إِلَى ٱلْخِصْبِ.
١٣ أَدْخُلُ إِلَى بَيْتِكَ بِمُحْرَقَاتٍ، أُوفِيكَ نُذُورِي ١٤ ٱلَّتِي نَطَقَتْ بِهَا شَفَتَايَ وَتَكَلَّمَ بِهَا
فَمِي فِي ضِيقِي. ١٥ أُصْعِدُ لَكَ مُحْرَقَاتٍ سَمِينَةً مَعَ بَخُورِ كِبَاشٍ. أُقَدِّمُ بَقَراً مَعَ تُيُوسٍ.
سِلَاهْ.
١٦ هَلُمَّ ٱسْمَعُوا فَأُخْبِرَكُمْ يَا كُلَّ ٱلْخَائِفِينَ ٱللّٰهَ بِمَا صَنَعَ لِنَفْسِي. ١٧ صَرَخْتُ إِلَيْهِ
بِفَمِي وَتَبْجِيلٌ عَلَى لِسَانِي. ١٨ إِنْ رَاعَيْتُ إِثْماً فِي قَلْبِي لَا يَسْتَمِعُ لِيَ ٱلرَّبُّ. ١٩ لٰكِنْ قَدْ
سَمِعَ ٱللّٰهُ. أَصْغَى إِلَى صَوْتِ صَلَاتِي. ٢٠ مُبَارَكٌ ٱللّٰهُ ٱلَّذِي لَمْ يُبْعِدْ صَلَاتِي وَلَا رَحْمَتَهُ
عَنِّي.

ما صنع لنفسي

مزمور ٦٥ مزمور شكر على الحصاد، وانتهاء السنة الزراعية، وهذا المزمور شكرٌ على الانتصار والنجاة، فيه يذكر المرنم فضل الله على أُمَّته وعليه في الماضي والحاضر. ويتحدَّث المرنم في النصف الأول من هذا المزمور بصيغة الجمع (آيات ١-١٢) وفي نصفه الثاني بصيغة المفرد (آيات ١٣-٢٠). ولعل مناسبة كتابة المزمور كانت نجاة الملك حزقيا وشعبه من هجوم

الأشوريين، فيشكر الملك الله أولاً بالنيابة عن الشعب، ثم يشكره بالأصالة عن نفسه. وعنوان هذا المزمور «تسبيحةٌ. مزمورٌ» يقدّم المرنم فيه الشكر لله بالكلام والنَّغَم. والمرنم ونحن نشكر الله بكلماتنا، كما نشكره بترتيلنا.

وبالمزمور نظرة للماضي، فالله عاملٌ في التاريخ، يقول المرنم إنه «حوَّل البحر إلى يَبَس» (آية ٦) ثم «أخرجتَنا إلى الخصب» (آية ١٢). وبناءً على الخبرة المباركة الماضية يؤكد المرنم علاقته العميقة بالله وحرصه أن يكون مستقبله في مخافة الله والخضوع له. ويتعهَّد لله في مستقبل أيامه بأن: «أوفيك نذوري» (آية ١٣) ثم يعلن التزامه بالشهادة لله «فأخبركم بما صنع لنفسي» (آية ١٦).

ويعلّمنا هذا المزمور أن نشكر الرب على إنقاذه لنا ومعونته التي لا تتوقَّف، في المرض والضيق والعوز والحيرة والاكتئاب، سواء كنا نحن مصدر ما يحيق بنا من متاعب، أو كان غيرنا السبب فيه.

في هذا المزمور نجد:

أولاً - إعلان نفس شاكرة (آيات ١-٧)

ثانياً - اعترافات نفس شاكرة (آيات ٨-١٢)

ثالثاً - وعود نفس شاكرة (آيات ١٣-٢٠)

أولاً - إعلان نفس شاكرة
(آيات ١-٧)

١ - دعوة للشكر: (آيتا ١ و٢).

(أ) **يطلب المرنم من كل الأرض أن تهتف:** «اهتفي لله يا كل الأرض» (آية ١). هو الذي إليه يأتي كل بشر، لأنه متَّكل جميع أقاصي الأرض (مز ٦٥:٢ و٥). ليهتف له كل سكان المسكونة بالحمد والترنيم بمختلف لغاتهم.

(ب) **وليكن الهتاف بنشوة الفرح:** «رنِّموا بمجد اسمه» (آية ٢أ). وليكن صوت الترنيم مرتفعاً يوقظ أهل الأرض جميعاً، ليعلنوا أفضال خالقهم عليهم، فما أكثر ما أغدق عليهم من خير!

(ج) **وليكن الهتاف مصحوباً بالموسيقى:** «اجعلوا تسبيحه ممجَّداً» (آية ٢ب). نشكره بالغناء والهتاف على شخصه كما نشكره على إحسانه، بصورة مجيدة تليق بمجده. ليهتف القلب واللسان وكل الكيان معلناً عظمة شخصه وعظمة عمله وشدة محبته. ولنشترك مع السرافيم في الهتاف: «قدوس! قدوس! قدوس» (إش ٦:٣).

٢ - الدافع على إعلان الشكر: (آيتا ٣ و٤). أعماله التي تُفرح عبيده تُرهب أعداءه، فتسبحه جميع أعماله (مز ١٠٣:٢٢).

(أ) أعماله مهيبة وقورة: «ما أهيب أعمالك!» (آية ٣أ). إنها غريبة ومدهشة وغير متوقَّعة. كذلك كانت، وهكذا هي كائنة وستكون. «لا مثلَ لك بين الآلهة يا رب، ولا مثلَ أعمالك» (مز ٨٦:٨) «عجيبةٌ هي أعمالك أيها الرب الإله القادر على كل شيء. عادلةٌ وحقٌ هي طرقك يا ملك القديسين. مَن لا يخافك يا رب ويمجد اسمك، لأنك وحدك قدوس! لأن جميع الأمم سيأتون ويسجدون أمامك، لأن أحكامك قد أُظهِرت» (رؤ ١٥:٣ و٤).

(ب) أعماله قوية: «من عِظَم قوتك تتملَّق لك أعداؤك» (آية ٣ب). يُخضِعهم بقوَّته فيتذلَّلون ويتملقون! «فيتذلل لك أعداؤك، وأنت تطأ مرتفعاتهم» (تث ٣٣:٢٩). ومن مصلحة الأعداء أن يتصالحوا معه ويطلبوا رضاه.. هناك من لا تربطهم بالرب صلة إيمان قلبي ولا حب، ولكنهم يتملقونه ويطلبون عونه ورضاه لأنهم يخشون قوته وعقابه. غير أن محبة الله تجعل شعبه يتعبَّدون له بالمحبة والخضوع، وهكذا «كل الأرض تسجد لك وترنّم لك. ترنّم لاسمك» (آية ٤).

٣ - تأمل في أعمال الله: (آيات ٥-٧).

(أ) هناك أعمال عامة للجميع: «هلمَّ انظروا أعمال الله، فعله المرهب نحو بني آدم» (آية ٥). يدعو المرنم سامعيه للتأمل في أعمال الله العجيبة في الماضي مع البشر جميعاً بكل أجناسهم، سواء كانت أعمال إحسان لمحبّيه، أو عقاب لمبغضيه. لقد منح الله البشر حرية الاختيار، وهو يسمح لهم بإقامة حزب معارضة، ويعطيهم البركات التي يستخدمونها لمقاومة ملكوته، إن شاءوا! ويشرق عليهم بشمسه كل صباح، ويمنحهم الحياة، ويطيل أناته عليهم لعلهم يتوبون. وعندما يتمردون يحوّل شرّهم إلى خيرٍ لملكوته (تك ٥٠:٢٠).

(ب) هناك أعمال خاصة لشعبه: «حوَّل البحر إلى يَبَس، وفي النهر عبروا بالرِّجل. هناك فرحْنا به» (آية ٦). «مدَّ موسى يده على البحر، فأجرى الرب البحر بريحٍ شرقية شديدة كل الليل، وجعل البحرَ يابسةً وانشقَّ الماء، فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة، والماء سورٌ لهم عن يمينهم وعن يسارهم. وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم، جميع خيل فرعون ومركباته وفرسانه.. فقال الرب لموسى: مُدّ يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين.. فدفع الرب المصريين في وسط البحر» (خر ١٤:٢١-٢٩). حينئذ رنم موسى وبنو إسرائيل: «أرنم للرب فإنه قد تعظم. الفرس وراكبه طرحهما في البحر.. نفختَ بريحك فغطّاهم البحر. غاصوا كالرَّصاص في مياهٍ غامرة» (خر ١٥:١ و١٠). وفي أيام يشوع انشقَّ نهر الأردن، وعبر بنو إسرائيل في اليابسة «وقفت المياه المنحدرة من فوق، وقامت نداً واحداً» (يش ٣:٩-١٧).

(ج) أعمال الله مستمرة: «متسلِّطٌ بقوته إلى الدهر. عيناه تراقبان الأمم. المتمرّدون لا يَرْفَعُنَّ أنفسهم» (آية ٧). له ذراع القوة وسلطانه أزلي أبدي، لا يضعف ولا يتغيّر. ما سبق أن فعله سيستمر يفعله. لا تغيير فيه. هو الإله العظيم الذي شقَّ المياه لخدمة شعبه، تجُول عيناه في الأرض ليكرم الذين هم له، ويعاقب الذين يقاومون إرادته الصالحة. كل شيء عريان ومكشوف أمامه، ولا يختفي عنه أمر. يرى مؤامرة الشرير في الظلام، ويحفظ المؤمن بسلام حتى عندما ينام. إنه يقاوم

المستكبرين ويعطي نعمةً للمتواضعين (أم ٣:٣٤ ويع ٤:٦ و١بط ٥:٥). ولا بد أن تجثو باسم يسوع كل ركبة ممَّن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب (في ٢:١٠ و١١). «هوذا يأتي مع السحاب، وستنظره كل عين، والذين طعنوه، وينوح عليه جميع قبائل الأرض» (رؤ ١:٧). ولكن هناك فرقاً بين دموع الرعب من المتمردين، فلا يرفعُنّ أنفسهم، وبين دموع الفرح من المنتظرين، فيرتلون ألحان الهتاف والتمجيد، ويجعلون تسبيحه ممجداً.

ثانياً - اعترافات نفس شاكرة

(آيات ٨-١٢)

بدأ المرنم مزموره بأن دعا كل الأرض لتهتف للرب، ثم دعا كل الشعوب لتشكره: «باركوا إلهنا يا أيها الشعوب، وسمّعوا صوت تسبيحه» (آية ٨). أعلن فضل الله على أجداده عندما شقّ البحر الأحمر ونهر الأردن، واعترف بفضل الله عليه هو شخصياً.

ويذكر المرنم ثلاثة براهين على فضل الله عليه:

١ - **خلّصه من الزلل:** «الجاعل أنفسنا في الحياة، ولم يُسلّم أرجلنا إلى الزلل» (آية ٩). أراد أعداؤهم لهم الموت ولكن الله حزم أنفسهم في حزمة الحياة (١صم ٢٥:٢٩). أرادوا أن تـزلّ أرجلُهم في شبكة العبودية والعذاب، فأنقذهم لأنه متسلط بقوته إلى الدهر! هو الذي يلدنا ثانيةً فينقذنا من عبودية إبليس، ثم بقوّته يحرسنا لنستمر في حياة الحرية (١بط ١:٣ و٥). فالمؤمنون هم المدعوّون والمحفوظون (يه ١). «من قِبَل الرب تتثبّت خطوات الإنسان، وفي طريقه يُسَرُّ. إذا سقط لا ينطرح لأن الرب مسندٌ يده» (مز ٣٧:٢٣ و٢٤).

٢ - **خلّصه من التجارب:** «لأنك جرّبتنا يا الله. محصتنا كمحص الفضة» (آية ١٠). سمح الرب للعدو أن يضايق شعبَه ليزداد شعبُه قرباً إليه. كانت نيران الألم تصفيةً وتنقيةً ليكونوا ممحوصين كالفضة النقية، التي احترق كل زغلها (غِشّها) بالنار، وتحقّق معهم القول الإلهي: «أردُّ يدي عليك وأُنقّي زغلك كأنه بالبورق (مادة قلوية تدخل في صناعة الصابون)، وأنزع كل قصديرك» (إش ١:٢٥) ليت العدوَّ يعرف أن نيران اضطهاده للمؤمنين لا تحرقهم بل تنقيهم! ليته يعرف أن دماء الشهداء هي بذار الكنيسة! ليته يعرف أن النار لا تحرق العليقة بل تزيدها اخضراراً!.. فهل عرف المؤمنون أن هدف كل تجربة وتعب هو التنقية، لنوجد «للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح» (١بط ١:٧).

٣ - **خلّصه من الضغوط:** «أدخلتَنا إلى الشبكة. جعلتَ ضغطاً على متوننا (أثقلْتَ كواهلنا). ركّبت أناساً على رؤوسنا. دخلنا في النار والماء» (آيتا ١١ و١٢أ). سمح الله أن يصطاد العدوُّ شعبَه فصاروا مثل سمكة في شبكة، أو سجين في جب، ووضع عليهم أثقالاً كبيرة نفسية ومالية فنُهبت ثرواتهم ودفعوا الجزية. أصابتهم الهزيمة في الحروب. دخلوا في النار والماء، وصرخوا مع إرميا

النبي الباكي: «مِن العُلاء أرسل ناراً إلى عظامي فسَرَت فيها. بسط شبكةً لرجليَّ» (مرا ١:١٣). ولكن الرب وعد: «إذا اجتزتَ في المياه فأنا معك، وفي الأنهار فلا تغمرك. إذا مشيتَ في النار فلا تُلذَع، واللهيب لا يحرقك» (إش ٤٣:٢). فهو يسمح بدخول شعبه في شبكة الصيادين، وفي نار المقاومين، وفي ماء المُغرقين.. لكنه معهم وسط هذه كلها، يخرجهم أشدَّ طُهراً ونقاءً.

ويُنهي هذا كله بما يصفه المرنم بالقول: «ثم أخرجتنا إلى الخصب» (آية ١٢ب). وهذه نهاية سعيدة لموقفٍ حزين. لقد أخرج شعبه من العبودية القاسية ومن سوء العذاب إلى أرضٍ تفيض لبناً وعسلاً. أخرج يوسف من سجن فرعون إلى منصب الرجل الثاني في مصر. إن بعد كل صليب أليم قيامةً مجيدة. بدل الضغط على المتون يضع الله تاجاً على الرأس، وبدل أن يركب الأعداء رؤوس شعبه يملّكهم على الأمم. «عند المساء يبيت البكاء وفي الصباح ترنم» (مز ٣٠:٥).

ثالثاً - وعود نفس شاكرة

(آيات ١٣-٢٠)

الذي فعل في الماضي مع آبائنا فوهبنا تراثاً رائعاً، والذي يفعل في الحاضر فيمنحنا خلاصاً عظيماً، يستحق أن نكرس له الحياة، ونعيش بأمانة في العهد الذي قطعه معنا، ونجدد عهود خضوعنا وطاعتنا له كل يوم. ثم نشهد له ونعلن أمام الجميع فضله. وهذا ما فعله المرنم.

١ - **وعدٌ بوفاء النذر:** «أدخُل إلى بيتك بمحرقات. أوفيك نذوري التي نطقَت بها شفتاي وتكلّم بها فمي في ضيقي. أُصعِد لك محرقات سمينة مع بَخور كباش. أقدّم بقراً مع تيوس» (آيات ١٣-١٥). شعر المرنم بمديونيته لرحمة الله ونعمته. ولم يشأ أن يحضر أمام الرب فارغاً (تث ١٦:١٦) فقرَّر أن يقدّم أفضل ما عنده لله، وأن يوفي نذوره. (انظر تعليقنا على النذور في مزمور ٥٠:١٤).

قرَّر المرنم أن يقدم لله ذبائح شكر كما سبق ووعد، وهو يصف هنا محرقة الكباش بأنها بَخورُ ذبيحة سلامة ذات رائحة عطرة، كما قالت شريعة موسى: «توقد كل الكبش على المذبح. هو محرقةٌ للرب. رائحة سرور. وقودٌ هو للرب» (خر ٢٩:١٨). وليس هذا إتلافاً، لكنه تعبير عن الحب للرب، كما سكبت المرأة التائبة الناردين الكثير الثمن على رأس المسيح، فمدح محبتها (مر ١٤:٣-٩). وكل من يفعل هذا يكنز لنفسه كنزاً في السماء (متى ٦:٢٠).

ويعلمنا العهد الجديد أن نحب الرب فنقدم له نفوسنا، وعائلاتنا فنقول: «أما أنا وبيتي فنعبد الرب» (يش ٢٤:١٥) كما نقدم له كل مقتنياتنا قائلين: «أنا لحبيبي وإليَّ اشتياقه» (نش ٧:١٠). ونحن اليوم نقدم للرب أجسادنا، ذبيحة حية مقدسة، عبادتنا العقلية، فالرب سيد الحياة كلها لأنه خلقنا، ولما ضللنا اشترانا (رو ١٢:١).

٢ - **وعدٌ بالشهادة للفضل:** (آيات ١٦-٢٠).

يعترف المرنم بفضل مثلّث، ويدعو المؤمنين ليستمعوا له وهو يشهد بفضل الله عليه:

(أ) الفضل لسامع الصلاة: «هلم اسمعوا فأخبركم يا كل الخائفين الله بما صنع لنفسي. صرختُ إليه بفمي، وتبجيلٌ على لساني» (آيتا ١٦ و١٧). في آية ٥ دعا الجميع لينظروا، ويدعوهم هنا ليسمعوا، فالإيمان بالخبر، والخبر بكلمة الله، وها هو يخبرهم ليؤمنوا (رو ١٠:١٧). وعندما يؤمنون يحيون «أميلوا آذانكم وهلمّوا إليّ. اسمعوا فتحيا أنفسكم» (إش ٥٥:٣). إنه ينقل اختباراته لسامعيه، وعندما يسمع الودعاء يفرحون (مز ٣٤:٢). وبغير فخرٍ أمام الناس يفتخر المؤمن بإلهه، ويرفعه ويعظمه، فقد صرخ إليه فوجده القريب المجيب لصراخه. قال الملك حزقيا: «هوذا للسلامة قد تحوَّلت لي المرارة، وأنت تعلّقتَ بنفسي من وهدة الهلاك، فإنك طرحتَ وراء ظهرك كل خطاياي» (إش ٣٨:١٧).

(ب) الفضل لمن ينقّي القلب: «إن راعيتُ إثماً في قلبي لا يستمع لي الرب. لكن قد سمع الله. أصغى إلى صوت صلاتي» (آيتا ١٨ و١٩). فالله يكره صلاة الشرير «مَن يحوّل أذنه عن سماع الشريعة فصلاته أيضاً مكرهة» (أم ٢٨:٩) إلا إذا كانت صلاة الشرير صلاة توبة. ولو راعى الإنسان خطية في قلبه فنمّاها وطوّرها فإن الرب لا يسمع صلاته، لأن الخطية تقوم حاجزاً بينه وبين الرب، كما قال النبي: «بل آثامكم صارت فاصلةً بينكم وبين إلهكم، وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع» (إش ٥٩:٢). لكن الله سمع للمرنم وأصغى إلى صوت صلاته، بعد أن نقّى قلبه وبرَّره وجعله مستحقاً أن تكون صلاته مُستجابة ودعاؤه مقبولاً. ويعود الفضل كله لمن يبررنا بالإيمان، فيصير لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح، فندخل بالإيمان إلى نعمةٍ نقيم فيها (رو ٥:١).

(ج) الفضل لصاحب الرحمة: «مبارك الله الذي لم يُبعِد صلاتي ولا رحمته عني» (آية ٢٠). لم تكن استجابة الصلاة لاستحقاق في المصلّي إنما لرحمة الله التي لم تهمل تلك الصلاة بل قبلتها. هذا هو أساس ثقتنا وموضوع رجائنا، وبهجة تسبيحنا. لم يحرم الله المرنم من المثول في محضره، ولا حرمه من استجابة صلاته، لأنه برحمته نقّى قلبه. «إنه من إحسانات الرب أننا لم نَفْنَ، لأن مراحمه لا تزول. هي جديدة في كل صباح. كثيرة أمانتك» (مرا ٣:٢٢ و٢٣). «من هو إلهٌ مثلك غافرٌ الإثم وصافحٌ عن الذنب.. يعود يرحمنا، يدوس آثامنا» (مي ٧:١٨ و١٩).

«هلم اسمعوا فأخبركم يا كل الخائفين الله بما صنع لنفسي.. مبارك الله»!

المزمور السابع والستون

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ عَلَى ذَوَاتِ ٱلْأَوْتَارِ. مَزْمُورٌ. تَسْبِيحَةٌ
١ لِيَتَحَنَّنِ ٱللّٰهُ عَلَيْنَا وَلْيُبَارِكْنَا. لِيُنِرْ بِوَجْهِهِ عَلَيْنَا. سِلَاهْ. ٢ لِكَيْ يُعْرَفَ فِي ٱلْأَرْضِ
طَرِيقُكَ وَفِي كُلِّ ٱلْأُمَمِ خَلَاصُكَ. ٣ يَحْمَدُكَ ٱلشُّعُوبُ يَا ٱللّٰهُ. يَحْمَدُكَ ٱلشُّعُوبُ كُلُّهُمْ.
٤ تَفْرَحُ وَتَبْتَهِجُ ٱلْأُمَمُ لِأَنَّكَ تَدِينُ ٱلشُّعُوبَ بِٱلِاسْتِقَامَةِ، وَأُمَمَ ٱلْأَرْضِ تَهْدِيهِمْ. سِلَاهْ.
٥ يَحْمَدُكَ ٱلشُّعُوبُ يَا ٱللّٰهُ. يَحْمَدُكَ ٱلشُّعُوبُ كُلُّهُمْ. ٦ ٱلْأَرْضُ أَعْطَتْ غَلَّتَهَا. يُبَارِكُنَا
ٱللّٰهُ إِلٰهُنَا. ٧ يُبَارِكُنَا ٱللّٰهُ، وَتَخْشَاهُ كُلُّ أَقَاصِي ٱلْأَرْضِ.

المؤمنون بركة للعالم

هذا مزمور فرح، كانوا ينشدونه بعد الحصاد، فيه يقول المرنم: «الأرض أعطت غلَّتها. يباركنا الرب إلهنا» (آية ٦). ففي قمة الابتهاج، بعد الاحتفال بعيدي الخمسين والمظال، يصف المرنم بركة الله للعالم بواسطة المؤمنين، فيطلب وجهه ليعرِّف الناسَ الربَّ وخلاصه وسلطانه، فيتحقق وعد الله لإبراهيم: «أجعلك أُمَّة عظيمة، وأباركك، وأعظِّم اسمك وتكون بركة، وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض» (تك ١٢: ٢ و٣)..

وترتفع في هذا المزمور صلاة لأجل العالم، لأن المؤمنين عندما يتباركون يباركون غيرهم، فيصيرون مثل الملح المملِّح الذي يملِّح المجتمع، ومثل النور المستنير الذي ينير العالم!

عادة تسقط الأمطار على القمم، فتغمر الوديان. والمؤمنون هم قمم العالم، لأنهم الأكثر قرباً من الله. وهم الذين ينالون البركة من الله أولاً ثم يوزّعونها على الآخرين، كما أخذ التلاميذ الطعام من المسيح ليقدموه للجياع.

في هذا المزمور نجد:

أولاً - طلب البركات للمؤمنين (آية ١)

ثانياً - المؤمنون يباركون العالم (آيات ٢-٧)

أولاً - طلب البركات للمؤمنين

(آية ١)

يبدأ المزمور بطلب ثلاث بركات وَعَد اللهُ أن يمنحها لشعبه في البركة الكهنوتية، والتي تقول: «يباركك الرب ويحرسك، يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك. يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً» (عد ٦:٢٤-٢٦). وكنتيجة لنوالها يذكر المرنم سبع بركات يقدّمها المؤمنون للعالم. وعلى المؤمنين أن يعرفوا أنهم كلما فكروا في غيرهم أكثر تضاعفت البركات لهم. وكلما شاركوا غيرهم في البركات التي عندهم استمتعوا بها أكثر! وإليك هذه البركات الثلاث:

١ - **حنان الله:** «ليتحنَّن الله علينا» (آية ١أ). يطلب حنان الله عليه وعلى إخوته لأنه يدرك أنه لا يستحق، فالرحمة تمنع عنا العقاب الذي نستحقه، والنعمة تمنحنا البركة التي لا نستحقها.. وأول ما يحتاجه الإنسان من مراحم الله هو غفران خطاياه، ولن يصير الإنسان أهلاً للحنان الإلهي إلا بعد أن يصلي: «اللهم ارحمني أنا الخاطئ» (لو ١٨:١٣). وقد دعا الله شعبه مجازاً: «رُحامة» فقال: «قولوا لإخوتكم عمّي (شعبي) ولأخَواتكم رُحامة (مرحومون)» (هو ٢:١). كانوا غير مستحقين الرحمة ولكنه تحنن عليهم ورحمهم، فصار لقب «رُحامة» كلمة تحية بين المؤمنين وبعضهم.

٢ - **بركة الله:** «ليباركنا» (آية ١ب). يطلب البركة لنفسه وللمؤمنين، وهي بركة النصر على عدو النفوس. عندما جاء الموآبيون والعمونيون لمحاربة الملك يهوشافاط خاف، فصام وصلى، فأرسل له الرب النبي يَحْزَئيل ليشجعه. وخرج بنو إسرائيل يهتفون ويرتلون: «احمدوا الرب لأن إلى الأبد رحمته» فأعطى الرب نصرةً لشعبه القديم على أعدائهم، فشبع الجائعون، واغتنى المُفلسون، وتشجَّع الخائفون، وأطلقوا على المكان اسم «وادي بركة، لأنهم هناك باركوا الرب» فباركهم الرب! (٢أي ٢٠).

ويتناول المؤمنون اليوم كأس البركة كلما جلسوا حول مائدة عشاء الرب، يشبعون بالمسيح، ويقولون: «كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح؟» (١كو ١٠:١٦) فيتباركون بالرب، وبالشركة بعضهم مع بعض، وبالحضور الإلهي وسطهم.

٣ - **رضى الله:** «لِيُنر بوجهه علينا» (آية ١ج). يطلب رضى الرب بأن ينير عليه وعلى سائر المؤمنين، فيبتسم لهم ليدركوا أنه راضٍ عنهم، ويتحقق لهم الوعد «يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك» بنور المسيح الذي قال: «أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة.. ما دمتُ في العالم فأنا نور العالم» (يو ٨:١٢ و٩:٥).

وينير الرب بوجهه علينا عندما يرشدنا، لأن الله الذي قال أن يشرق نورٌ من ظلمة، هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح (٢كو ٤:٦). لقد أشرق الله على الأرض الخربة والخالية بنوره فغمرها بالحياة والجمال، وهكذا يفعل بالخاطئ التائب.

ثانياً - المؤمنون يباركون العالم

(آيات ٢-٧)

ما أهمَّ وجود المؤمنين في العالم. إنهم ملح الأرض ونور العالم. ولو كان هناك عشرة أتقياء في سدوم وعمورة لما حلَّ بهما الخراب والدمار بالنار والكبريت! (تك ١٨:٣٢) وكل الذين تحنن الله عليهم وباركهم وأنار حياتهم يباركون غيرهم ببركة سُباعية:

١ - يعرّفون العالم طريق الرب: «لكي يُعرَف في الأرض طريقُك» (آية ٢أ). كما يسقط المطر أولاً فوق التلال، فيصير أنهاراً تجري في الوديان، هكذا بركات الله لا تصل إلى البشر إلا بواسطة حياة المؤمنين المباركة، الذين أضاء نورهم قدام الناس، فرأوا أعمالهم الحسنة ومجّدوا أباهم الذي في السماوات (متى ٥:١٦) و«يُعرَف في الأرض طريقُه» لما يرونه يحمل أولاده على أجنحة النسور (خر ١٩:٤ وتث ٣٢:١١) ويعتني بهم كما تعتني الأم برضيعها، فيحملهم من الرحم وإلى الشيخوخة، فيرفع ويحمل وينجي (إش ٤٩:١٥ و٤٦:٣-٥).

٢ - يعرّفون العالم خلاص الرب: «لكي يُعرَف.. في كل الأمم خلاصُك» (آية ٢ب). هذه نبوّة عن وصول خلاص الله إلى كل العالم، لأن الأرض تمتلئ من معرفة مجد الرب كما تغطي المياه البحر (إش ١١:٩ وحب ٢:١٤). وعندما يرى الأمم كيف تغيَّرت حياة المؤمن يفهمون معنى خلاص الله، ويدركون معنى الولادة الجديدة. وخلاص الله يظهر في الفداء، والعناية، والنصر. ويقول الله عن خلاص شعبه: «أردُّ سبي.. إسرائيل وأبنيهم كالأوّل، وأطهّرهم من كل إثمهم الذي أخطأوا به إليَّ، وأغفر كل ذنوبهم التي أخطأوا بها إليَّ وعصوا بها عليَّ، فتكون لي اسم فرح للتسبيح وللزينة لدى كل أمم الأرض الذين يسمعون بكل الخير الذي أصنعه معهم، فيخافون ويرتعدون من أجل كل الخير، ومن أجل كل السلام الذي أصنعه لها» (إر ٣٣:٧-٩).

٣ - يُلهِمون العالم حمد الرب: «يحمدك الشعوب يا الله. يحمدك الشعوب كلهم» (آية ٣). وتتكرر الكلمات نفسها في الآية ٥. فعندما يرى العالم رحمة الله وبركته وإشراقه على شعبه يسبِّحونه، وعندما يتمتعون بخلاصه يحمدونه. لهذا يدعو المرنم الناس في مز ١١٧ «سبحوا الرب يا كل الأمم. حمّدوه يا كل الشعوب، لأن رحمته قد قويت علينا وأمانة الرب إلى الدهر. هللويا». «ترنّمي أيتها السماوات وابتهجي أيتها الأرض. لتُشِد الجبال بالترنُّم، لأن الربَّ قد عزّى شعبه وعلى بائسيه يترحَّم» (إش ٤٩:١٣).

٤ - يفرّحون العالم بعدالة الرب: «تفرح وتبتهج الأمم لأنك تدين الشعوب بالاستقامة» (آية ٤أ). يسمع الله المسكين الصارخ من الظلم فينصفه، فيفرح المعذَّبون في الأرض بالعدالة الإلهية. يجلس الرب على عرشه ويملك بالبر والعدل، ويدين الشعوب. «يملك ملكٌ وينجح، ويُجري حقاً وعدلاً في الأرض.. وهذا هو اسمه الذي يدعونه به: الرب برُّنا» (إر ٢٣:٥ و٦). ولقد تنبأ إشعياء بأنه «يخرج قضيبٌ من جذع يسى وينبُت غصنٌ من أصوله، ويحل عليه روح الرب: روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب. ولذّته تكون في مخافة الرب فلا يقضي بحسب نظر

عينيه، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه، بل يقضي بالعدل للمساكين ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض.. ويكون البر منطقة متنيه والأمانة منطقة حقويه» (إش ١١:١-٥).

٥ - يفرِّحون العالم بهداية الرب: «أمم الأرض تهديهم» (آية ٤ب). البشر بطبيعتهم جُهَّال، ظلومون، كفارون، مائتون بالخطايا، منفصلون عن الرب. وعندما يهتدي خاطئٌ بفضل تحنن الله وبركته ورضاه يكون نموذجاً حياً ملموساً للنعمة المخلّصة، يعطي النفس البعيدة الأمل في الخلاص والاهتداء، لأنه يبرهن أن ليس عند الرب مستحيلات في الرحمة، وأن باب النعمة مفتوح لا ينغلق أبداً، وأن مَن يُقبل إلى الرب لا يُخرجه خارجاً، كما قال الرسول بولس: «رُحِمتُ لأني فعلتُ بجهلٍ في عدم إيمان.. ليُظهِر يسوعُ المسيحُ فيَّ أنا أولاً كل أناةٍ، مثالاً للعتيدين أن يؤمنوا به للحياة الأبدية» (اتي ١:١٣-١٦).

٦ - يفرِّحون العالم بعطايا الرب: «الأرض أعطت غلّتها. يباركنا الله إلهنا» (آية ٦). لما دخلت الخطية إلى العالم لُعنت الأرض، ولكن الخليقة ستُعتَق من عبودية الفساد (رو ٨:٢١). ويقول الله: «إذا سلكتم في فرائضي وحفظتم وصاياي وعملتم بها، أُعطي مطركم في حينه، وتعطي الأرض غلّتها. وتعطي أشجار الحقل أثمارها، ويلحَق دِراسُكم بالقطاف، ويلحَقُ القطافُ بالزرع، فتأكلون خبزكم للشبع، وتسكنون في أرضكم آمِنين» (لا ٢٦:٣-٥). «الرب يعطي الخير، وأرضنا تعطي غلّتها. البرُّ قدامه يسلك، ويطأ في طريق خطواته» (مز ٨٥:١٢ و١٣).

٧ - يباركون العالم بخوف الرب: «يباركنا الله، وتخشاه كل الأرض» (آية ٧). هناك نعمة عامة وأخرى خاصة. النعمة العامة تشمل الشعب كله، أما النعمة الخاصة فهي العلاقة الشخصية بالرب. ونتيجة لحياة المؤمنين الصالحة يعرف بعض الناس الرب معرفةً شخصية خلاصية، ويدرك الباقون أن حياة الصلاح هي الجديرة بالاحترام، ولو أنهم لا يسعون للحصول عليها!

أقام إسحق في جرار، وأعطاه الله مئة ضعف من الحصاد «فتعاظم الرجل وكان يتزايد في التعاظُم حتى صار عظيماً جداً». فحسده جيرانه وقاوموه، ولكن الله باركه أكثر، فجاءه أعداؤه يقولون: «رأينا أن الرب كان معك، فقُلنا ليكن بيننا حِلفٌ بيننا وبينك، ونقطع معك عهداً» (تك ٢٦:٢٨).

ولا بد أن الأرض كلها تخشى الرب، فتتحقَّق هذه الطلبة، ويجيء الوقت الذي تجثو فيه للمسيح كل ركبة في السماء وعلى الأرض، فهو المخلِّص، والقاضي العادل.

هل نلت نِعَمَ الله الثلاث من تحنُّنٍ وبركةٍ واستنارة، حتى تصبح بركةً للعالم من حولك؟

المزمور الثامن والستون

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ. لِدَاوُدَ. مَزْمُورٌ. تَسْبِيحَةٌ

١ يَقُومُ ٱللهُ. يَتَبَدَّدُ أَعْدَاؤُهُ وَيَهْرُبُ مُبْغِضُوهُ مِنْ أَمَامِ وَجْهِهِ. ٢ كَمَا يُذْرَى ٱلدُّخَانُ
تُذْرِيهِمْ. كَمَا يَذُوبُ ٱلشَّمْعُ قُدَّامَ ٱلنَّارِ يَبِيدُ ٱلْأَشْرَارُ قُدَّامَ ٱللهِ. ٣ وَٱلصِّدِّيقُونَ
يَفْرَحُونَ. يَبْتَهِجُونَ أَمَامَ ٱللهِ وَيَطْفِرُونَ فَرَحاً.

٤ غَنُّوا لِلهِ. رَنِّمُوا لِٱسْمِهِ. أَعِدُّوا طَرِيقاً لِلرَّاكِبِ فِي ٱلْقِفَارِ بِٱسْمِهِ يَاهْ، وَٱهْتِفُوا
أَمَامَهُ. ٥ أَبُو ٱلْيَتَامَى وَقَاضِي ٱلْأَرَامِلِ ٱللهُ فِي مَسْكَنِ قُدْسِهِ. ٦ ٱللهُ مُسْكِنُ ٱلْمُتَوَحِّدِينَ
فِي بَيْتٍ. مُخْرِجُ ٱلْأَسْرَى إِلَى فَلَاحٍ. إِنَّمَا ٱلْمُتَمَرِّدُونَ يَسْكُنُونَ ٱلرَّمْضَاءَ.

٧ اَللّٰهُمَّ عِنْدَ خُرُوجِكَ أَمَامَ شَعْبِكَ، عِنْدَ صُعُودِكَ فِي ٱلْقَفْرِ - سِلَاهْ. ٨ ٱلْأَرْضُ
ٱرْتَعَدَتِ. ٱلسَّمَاوَاتُ أَيْضاً قَطَرَتْ أَمَامَ وَجْهِ ٱللهِ. سِينَاءُ نَفْسُهُ مِنْ وَجْهِ ٱللهِ إِلٰهِ
إِسْرَائِيلَ. ٩ مَطَراً غَزِيراً نَضَحْتَ يَا ٱللهُ. مِيرَاثُكَ وَهُوَ مُعْيٍ أَنْتَ أَصْلَحْتَهُ. ١٠ قَطِيعُكَ
سَكَنَ فِيهِ. هَيَّأْتَ بِجُودِكَ لِلْمَسَاكِينِ يَا ٱللهُ. ١١ ٱلرَّبُّ يُعْطِي كَلِمَةً. ٱلْمُبَشِّرَاتُ بِهَا جُنْدٌ
كَثِيرٌ: ١٢ «مُلُوكُ جُيُوشٍ يَهْرُبُونَ يَهْرُبُونَ. ٱلْمُلَازِمَةُ ٱلْبَيْتَ تَقْسِمُ ٱلْغَنَائِمَ. ١٣ إِذَا
ٱضْطَجَعْتُمْ بَيْنَ ٱلْحَظَائِرِ فَأَجْنِحَةُ حَمَامَةٍ مُغَشَّاةٌ بِفِضَّةٍ وَرِيشُهَا بِصُفْرَةِ ٱلذَّهَبِ». ١٤ عِنْدَمَا
شَتَّتَ ٱلْقَدِيرُ مُلُوكاً فِيهَا أَثْلَجَتْ فِي صَلْمُونَ.

١٥ جَبَلُ ٱللهِ جَبَلُ بَاشَانَ. جَبَلُ أَسْنِمَةٍ جَبَلُ بَاشَانَ. ١٦ لِمَاذَا أَيَّتُهَا ٱلْجِبَالُ ٱلْمُسَنَّمَةُ
تَرْصُدْنَ ٱلْجَبَلَ ٱلَّذِي ٱشْتَهَاهُ ٱللهُ لِسَكَنِهِ؟ بَلِ ٱلرَّبُّ يَسْكُنُ فِيهِ إِلَى ٱلْأَبَدِ. ١٧ مَرْكَبَاتُ
ٱللهِ رِبْوَاتٌ، أُلُوفٌ مُكَرَّرَةٌ. ٱلرَّبُّ فِيهَا. سِينَا فِي ٱلْقُدْسِ. ١٨ صَعِدْتَ إِلَى ٱلْعَلَاءِ.
سَبَيْتَ سَبْياً. قَبِلْتَ عَطَايَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ، وَأَيْضاً ٱلْمُتَمَرِّدِينَ لِلسَّكَنِ أَيُّهَا ٱلرَّبُّ ٱلْإِلٰهُ.

١٩ مُبَارَكٌ ٱلرَّبُّ يَوْماً فَيَوْماً. يُحَمِّلُنَا إِلٰهُ خَلَاصِنَا. سِلَاهْ. ٢٠ اَللهُ لَنَا إِلٰهُ خَلَاصٍ،
وَعِنْدَ ٱلرَّبِّ ٱلسَّيِّدِ لِلْمَوْتِ مَخَارِجُ. ٢١ وَلٰكِنَّ ٱللهَ يَسْحَقُ رُؤُوسَ أَعْدَائِهِ، ٱلْهَامَةَ
ٱلشَّعْرَاءَ لِلسَّالِكِ فِي ذُنُوبِهِ. ٢٢ قَالَ ٱلرَّبُّ: «مِنْ بَاشَانَ أُرْجِعُ. أُرْجِعُ مِنْ أَعْمَاقِ ٱلْبَحْرِ
٢٣ لِكَيْ تَصْبِغَ رِجْلَكَ بِٱلدَّمِ. أَلْسُنُ كِلَابِكَ مِنَ ٱلْأَعْدَاءِ نَصِيبُهُمْ». ٢٤ رَأَوْا طُرُقَكَ يَا
ٱللهُ طُرُقَ إِلٰهِي مَلِكِي فِي ٱلْقُدْسِ. ٢٥ مِنْ قُدَّامٍ ٱلْمُغَنُّونَ. مِنْ وَرَاءٍ ضَارِبُو ٱلْأَوْتَارِ. فِي
ٱلْوَسَطِ فَتَيَاتٌ ضَارِبَاتُ ٱلدُّفُوفِ. ٢٦ فِي ٱلْجَمَاعَاتِ بَارِكُوا ٱللهَ ٱلرَّبَّ أَيُّهَا ٱلْخَارِجُونَ

مِنْ عَينِ إِسْرَائِيلَ. ٢٧ هُنَاكَ بِنْيَامِينُ ٱلصَّغِيرُ مُتَسَلِّطُهُمْ، رُؤَسَاءُ يَهُوذَا جُلُّهُمْ، رُؤَسَاءُ
زَبُولُونَ، رُؤَسَاءُ نَفْتَالِي. ٢٨ قَدْ أَمَرَ إِلٰهُكَ بِعِزِّكَ. أَيِّدْ يَا ٱللهُ هٰذَا ٱلَّذِي فَعَلْتَهُ لَنَا.
٢٩ مِنْ هَيْكَلِكَ فَوْقَ أُورُشَلِيمَ لَكَ تُقَدِّمُ مُلُوكٌ هَدَايَا. ٣٠ ٱنْتَهِرْ وَحْشَ ٱلْقَصَبِ، صِوَارَ
ٱلثِّيرَانِ مَعَ عُجُولِ ٱلشُّعُوبِ ٱلْمُتَرَامِينَ بِقِطَعِ فِضَّةٍ. شَتِّتِ ٱلشُّعُوبَ ٱلَّذِينَ يُسَرُّونَ
بِٱلْقِتَالِ. ٣١ يَأْتِي شُرَفَاءُ مِنْ مِصْرَ. كُوشُ تُسْرِعُ بِيَدَيْهَا إِلَى ٱللهِ.
٣٢ يَا مَمَالِكَ ٱلْأَرْضِ غَنُّوا لِلّٰهِ. رَنِّمُوا لِلسَّيِّدِ. سِلَاهْ. ٣٣ لِلرَّاكِبِ عَلَى سَمَاءِ
ٱلسَّمَاوَاتِ ٱلْقَدِيمَةِ. هُوَذَا يُعْطِي صَوْتَهُ صَوْتَ قُوَّةٍ. ٣٤ أَعْطُوا عِزّاً لِلّٰهِ. عَلَى إِسْرَائِيلَ
جَلَالُهُ وَقُوَّتُهُ فِي ٱلْغَمَامِ. ٣٥ مَخُوفٌ أَنْتَ يَا ٱللهُ مِنْ مَقَادِسِكَ. إِلٰهُ إِسْرَائِيلَ هُوَ ٱلْمُعْطِي
قُوَّةً وَشِدَّةً لِلشَّعْبِ. مُبَارَكٌ ٱللهُ!

انتصار في الماضي والمستقبل

هذا المزمور تسبيحة شكر على انتصارٍ حدث، يؤكد فيه المرنم أن الرب الذي منح شعبه النصر في الماضي سيهزم كل مقاوميهم في المستقبل، حتى تصبح ممالك العالم كلها للرب، تتعبَّد له. ففي الماضي شقّ لهم طريقاً في البحر، وقادهم في البرية أربعين سنة إلى أن جاء بهم إلى أرض الموعد، وقسّم لهم الأرض، ثم اختار أورشليم لتكون عاصمة مملكة داود، وفيها بنى سليمان هيكل الرب. وهذه الانتصارات المجيدة برهانٌ على أمانة الله لوعوده التي لا تتغيَّر، فسينصر الله شعبه لينتقم من أعدائه، ويُظهر قوته ليسبّحه الجميع.

يؤكد لنا هذا المزمور أن النصر النهائي هو للرب، فكل سلطان في السماء وعلى الأرض هو سلطانه وحده. وكل من يجعل قضية الرب قضيته ينتصر بقوة الرب.

كان اليهود يرنمون هذا المزمور في مجامعهم في أعياد الخمسين، وكانت الكنيسة الأولى تدعوه «مزمور يوم الخمسين» لأن الرسول بولس اقتبس الآية ١٨ منه (في أف ٤:٨) ليخبر عن البركات التي منحها المسيح الذي قام من الأموات وصعد إلى السماء، لكنيسته. إنه مزمور حلول البركات، ومزمور الانتصارات القادمة، ومزمور إقبال الشعوب إلى ملكوت الله. إنه مزمور التسبيح للرب الذي يسير معنا، ويرثي لضعفاتنا، ويهيئ لنا البركات الحاضرة والمجد الأبدي.

في هذا المزمور نجد:

أولاً - نَصْرٌ في الماضي (آيات ١-١٨)

ثانياً - نَصْرٌ في المستقبل (آيات ١٩-٣٥)

أولاً - نصرٌ في الماضي

(آيات ١-١٨)

١ - مقدمة: (آيات ١-٦).

(أ) مجيء الرب يُفرح شعبه ويُرعب أعداءه: (آيات ١-٣).

اقتبس المرنم هذه الآيات الثلاث التي افتتح بها مزموره من كلمات موسى عند ارتحال تابوت العهد: «قُم يا رب، فلتتبدد أعداؤك، ويهرب مبغضوك من أمامك» (عد ١٠:٣٥). والتابوت رمزٌ لحضور الرب وسط شعبه، والله نارٌ آكلة، يجعل أعداءه دخاناً يتبدَّدون في الهواء، ويذوبون كالشمع أمام النار التي لا يقدرون أن يقاوموها! يتبددون فيختفون «كسحاب الصبح وكالندى الماضي باكراً. كعُصافة تُخطَف من البيدر، وكدخانٍ من الكوَّة» (هو ١٣:٣). أما شعبه المنتمي إليه، المحتمي به، الثابت فيه، فيفرحون ويبتهجون ويقفزون شكراً وتهليلاً.

وإن كان الأبرار يحزنون كثيراً بتجارب متنوعة، لكنهم أمام الرب يفرحون كالفرح في الحصاد، وكالذين يقتسمون غنيمة، لأنه يمتعهم بفرح لا يُنطَق به ومجيد «نورٌ قد زُرع للصدِّيق، وفرحٌ للمستقيمي القلب» (مز ٩٧:١١). سيُعاقَب الأشرار بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوته، متى جاء ليتمجَّد في قديسيه، ويُتعجَّب منه في جميع المؤمنين (٢تس ١:٩ و١٠). وعندما يجيء المسيح لا بد أن ينهزم العدو القوي، إذ يقيّده الأقوى منه ويطلق أسراه أحراراً «أم كيف يستطيع أحدٌ أن يدخل بيت القوي وينهب أمتعته إن لم يربط القوي أولاً؟» (متى ١٢:٢٩).

(ب) فليسبِّحه الجميع: (آيات ٤-٦).

يطلب المرنم أن يسبّح الجميع الرب. «غنوا لله. رنموا لاسمه» (آية ٤أ). ويذكر أسباب ذلك:

* يسبّحونه لأنه «الراكب في القفار» (آية ٤ب) ليصل إلى مقاومي شعبه، وأمامه «صوت صارخٍ في البرية: أعِدّوا طريق الرب. قوّموا في القفر سبيلاً لإلهنا» (إش ٤٠:٣). «يركب السماءَ في معونتك والغمامَ في عظمته» (تث ٣٣:٢٦).

* يسبّحونه لأنه «ياه» (مختصر يهوه) (آية ٤ج). هو الكائن منذ الأزل، الدائم الوجود، الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران. «ياه» نبع الحياة، الذي يحمل اسمه معنى القوة والمحبة معاً. هو «ياه» الخروج والتحرير، الذي غنوا له: «الرب قوّتي ونشيدي وقد صار خلاصي» (خر ١٥:٢).

* يسبّحونه لأنه «أبو اليتامى وقاضي الأرامل» (آية ٥أ). فمع كل هذه العظمة الإلهية يعتني بمن لا يعتني بهم أحد، وبمن لا أصدقاء لهم، وليس لهم من يحميهم، ويقيم وزناً لمن لا قيمة اجتماعية لهم! كان بنو إسرائيل كاليتامى في صحراء سيناء، فكان أباهم الذي أطعمهم، وسدَّ أعوازهم، حتى أن ثيابهم ونعالهم لم تَبْلَ (تث ٢٩:٥).

* يسبّحونه لأنه «في مسكن قدسه» (آية ٥ب) الذي هو السماء، فيقولون له: «اطَّلِع من مسكن قدسك من السماء وبارك شعبك» (تثنية ٢٦:١٥). الرب في هيكل قدسه. الرب في السماء كرسيُّه

(مز ١١:٤) «فلنتقدّم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة (فلا يعاقبنا بما نستحق) ونجد نعمة (فيمنحنا ما لا نستحق) عوناً في حينه» (عب ٤:١٦).

* يسبّحونه لأنه «مُسكِن المتوحّدين في بيت» (آية ٦أ) الذي يبدّد وحدة الوحيد ويُسكنه في بيت عامر بمن يحبونه. كان بنو إسرائيل غرباء في مصر، وسكنوا وسط شعوب وثنية، فأسكنهم الله في أمن وطمان. وكان داود مطروداً غريباً فأجلسه على العرش وبنى له بيتاً.

* يسبّحونه لأنه «مُخرِج الأسرى إلى فلاح» (آية ٦ب) فيعطيهم الحرية والرخاء. وهذا ما جرى في الخروج عندما نقلهم من عبودية فرعون إلى حرية عبادته، و«إن حرَّركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يو ٨:٣٦).

* يسبّحونه لأنه عادل يعاقب الأشرار «إنما المتمرّدون يسكنون الرمضاء» (آية ٦ ج). والرمضاء هي الأرض القاحلة ذات الحجارة الحامية التي سخّنتها أشعة الشمس المحرقة، فتكتوي بها قدما المتمرّد ولا يجد راحة!

٢ - نَصَر اللهُ شعبَه عبر العصور: (آيات ٧-١٨).

ذكر المرنم ثلاثة أمثلة من تاريخ بني إسرائيل عن نصرة الله لشعبه:

(أ) النصرة الأولى - نصرة الخروج: (آيات ٧-١٠).

عندما أخرج الرب شعبه ارتعدت الأرض، وقطرت السماء. «كان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق، وليلاً في عمود نار ليضيء لهم، لكي يمشوا نهاراً وليلاً». «أنت يا رب قد ظهرتَ لهم عيناً لعين، وسحابتك واقفة عليهم، وأنت سائرٌ أمامهم بعمود سحاب نهاراً وبعمود نار ليلاً» (خر ١٣:٢١ وعد ١٤:١٤). وعندما أعطاهم الشريعة تجلى على جبل سيناء فصارت رعودٌ وبروقٌ وسحابٌ ثقيل على الجبل وصوت بوقٍ شديد (خر ١٩:١٦). وترنّمت دبورة وباراق بعد نصرهما قائلين: «يا رب بخروجك.. الأرضُ ارتعدت. السماوات أيضاً قطرت» (قض ٥:٤) فقد صاحب المطرُ الغزيرُ البرقَ والرعدَ. يسير الرب معك في كل درب تسير فيه، فإذا تعبت يحملك كما يحمل الأب ابنه!

«ميراثك وهو مُعْيٍ أنت أصلحتَه» (آية ٩) فلما كان الشعب في قمة الإعياء، أمطر عليهم المن وأعطاهم السلوى (خر ١٦:٤) فأشبعهم من السماء بعد جوع، ورواهم من الصخرة بعد عطش، وقادهم بعمود السحاب والنار في طريقٍ لم يسبق لهم أن جازوا فيها (تث ٨:٢).

ويُختتَم هذا الجزء بالقول: «هيّأتَ بجودك للمساكين يا الله» (آية ١٠) فمنحهم من فرط جوده وإحسانه كل ما احتاجوا إليه، وهم المستضعَفون في الأرض، الذين سامهم فرعون سوء العذاب.

(ب) النصرة الثانية - امتلاك أرض كنعان: (آيات ١١-١٤).

بعد أن عبر بنو إسرائيل صحراء سيناء، ووصلوا مشارف أرض الموعد، قال الرب كلمةً حملت كل سلطانه، فجاءت النصرة في الحال لشعبٍ قليل يحارب أمماً كبيرة العدد عظيمة العتاد الحربي،

فنصرهم وهم أذِلّة. ولما جاءهم النصر خرج جيشٌ من السيدات يبشّرن بالنصر مرنّمات، كما سبق أن رنمت مريم النبيّة أخت هارون وموسى ترنيمة «الفرس وراكبه» (خر ١٥) وكما رنمت دبورة قاضية إسرائيل بعد ذلك نشيدها «أنا أنا، للرب أترنّم» (قض ٥:٣) وكما رنمت ابنة يفتاح الجلعادي بالدفوف والرقص (قض ١١:٣٤) وكما رنمت نساء بني إسرائيل بعد موت جليات «ضرب شاول ألوفه وداود ربواته» (١صم ١٨:٧). والنساء عادةً يفرحن بالنصر، لأن رجالهن انتصرن في الحرب، ولأنهن صرن في أمان من خطورة الأعداء، ولأنهن سيقتسمن الغنائم التي عاد بها رجالهن.

ويقول المرنم: «إذا اضطجعتم بين الحظائر فأجنحة حمامة مُغشّاةٌ بفضة، وريشها بصُفرة الذهب» (آية ١٣) فيشبّه المرنم شعب الله المنتصر بالحمامة الوديعة وقد تحلّت وتزيّنت بما ربحته من غنائم فضية وذهبية، فاستلقت استلقاء المنتصر المطمئن. وسطعت أشعة شمس الصباح على الغنيمة الثمينة فلمعت على بشرة المبشّرات بالنصر، فكان لون بشرتهن كريش الحمامة.

ثم يقول: «عندما شتّت القدير ملوكاً فيها، أثلجَت في صلمون» (آية ١٤). وربما يشير المرنم بهذا إلى موقعة حربية لا نعرف قصتها، شتّت الله فيها الأعداء بعاصفة ثلجية غطت جبل صلمون، وهو جبل بالقرب من شكيم (نابلس) كانت تغطيه الغابات الكثيفة. ومعنى كلمة «صلمون» مظلم، ولعله استمد اسمه من كثرة أشجار غاباته وتشابكها، فصار غابة سوداء. ولكن في يوم المعركة تحوّل الجبل إلى بياض الثلج!

ولعل المرنم يشير بالثلج الذي نزل على صلمون إلى قوة الله ونقاء أفعاله، فالثلج يشير للبياض والنقاء. وقد شتّت الله الملوك بقداسته وقوته ومهابته.

وقد يشير إلى تغيير قلوب بني إسرائيل بعد أن غيّر ظلمة متاعبهم إلى نور، وجعل القلوب الخاطئة الخائفة السوداء تبيّضّ كالثلج (إش ١:١٨).

وقد يشير الثلج إلى عِظام جنود الأعداء البيضاء الذين سقطوا قتلى في المعركة، فتغطت بهم قمة صلمون. «فيخافون مِن المغرب اسمَ الرب، ومِن مشرق الشمسِ مجدَه. عندما يأتي العدو كنهر فنفخة الرب تدفعه» (إش ٥٩:١٩).

(ج) النصرة الثالثة - اختيار جبل صهيون: (آيات ١٥-١٨).

يتحدث المرنم عن نصرة داود في الحصول على جبل صهيون من اليبوسيين، ثم إقامة سليمان الهيكل عليه. لقد كانت في الأرض المقدسة جبال شامخة يمكن أن يُقام الهيكل عليها. كان هناك «جبل باشان» الذي يدعوه المرنم هنا «جبل إلوهيم» (ومن معاني إلوهيم: شامخ). وكان هناك «جبل حوران» بقممه العالية وصخوره البركانية السوداء. وكان هناك «جبل سيناء» الذي كان يحتل مكانة خاصة في تاريخ بني إسرائيل لأن موسى تلقّى عليه الشريعة، ولكنه كان مسكناً مؤقتاً لله، غطاه السحاب «ستة أيام» (خر ٢٤:١٦). ولكن الله في نعمته اختار «جبل صهيون» بصخوره الطباشيرية. فأخذت الجبال القوية الجرانيتية «ترصد» الجبل الطباشيري بحسدٍ، لأن هيكل الرب بُني عليه ولم يُبنَ عليها، وفي الهيكل حل مجد الرب. وهذا درسٌ لنا في اختيار النعمة، فقد اختار الله ضعفاء العالم

وأدنياءه ليُخزي مَن يظنّون أنفسهم أغنياء عظمـاء حكمـاء (١كو ١:٢٧-٣٠) وهذا من عمل نعمته (أف ٤:٨).

وتقول آية ١٧ «مركبات الله ربْوات، ألوفٌ مكرَّرة. سينا في القُدس» ومركبات الله هم الملائكة الذين رآهم أليشع (٢مل ٦:١٧) يُظهِر الرب فيهم قوته إذ يخدمون المؤمنين. أما القول «سينا في القدس» فتعني أن جبل صهيون صار مثل جبل سيناء في القداسة، وفي أنهما كليهما مصدر الشريعة. كما تعني أن جبل صهيون حل محل جبل سيناء. «لأنه مِن صهيون تخرج الشريعة ومِن أورشليم كلمة الرب» (إش ٢:٣).

أما الآية ١٨ فتقول: «صعِدتَ إلى العلاء. سبيتَ سبياً. قبلتَ عطايا بين الناس، وأيضاً المتمردين للسكن أيها الرب الإله» . ربما قصد المرنم بكلمة «العلاء» «مرتفع صهيون» (إر ٣١:١٢) حيث يوجد تابوت العهد بعد أن أصعدوه إلى جبل صهيون الذي أخذه داود من اليبوسيين بعد أن هزمهم (٢صم ٦:١٢-١٩ و١أي ١٥:١١-٢٨). وربما قصد بها «السماء» فيكون المعنى أن الله «نزل» لينصر شعبه، ثم صعد إلى سماواته بانتصار، بعد أن سبى أعداء شعبه وأخذهم أسرى، أو بعد أن جعل شعبه أسرى محبته الفائقة، أو للسبيين معاً.. فقَبِل عطايا بين الناس: إمّا بمعنى أنه قَبِل الجزية التي يدفعها المغلوب للمنتصر، أو أنه قَبِل عطايا الحب التي قدّمها شعب الله لبناء الهيكل، أو أنه قبِل الاثنين. وقد قبِل الله المتمرّدين الوثنيين الذين خضعوا طوعاً أو كَرْهاً، فصاروا تحت الحماية الإلهية. ولعل المرنم يقصد بالمتمرّدين الجيل الذي تاه في الصحراء أربعين سنة، فأماتهم الله في البرية، وجاء أبناؤهم من بعدهم يعترفون بفضل الله الذي نصر شعبه.

وقد اقتبس الرسول بولس معاني آية ١٨ في قوله: «إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا. وأما أنه صعد فما هو إلا إنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى. الذي نزل هو الذي صعد أيضاً فوق جميع السماوات لكي يملأ الكل. وهو أعطى البعض أن يكونوا..» (أف ٤:٨-١١). وهو يقصد أن المسيح الذي نزل ليفدي شعبه، أخذ صورة عبد، وصار في شبه الناس، ومات موت الصليب. وبالصليب انتصر جهاراً على عدوه إبليس وأشهره وجنوده (كو ٢:١٥) بالقيامة من الأموات وبالصعود إلى «العلاء» فخضع له شعبه وأعداؤه، وسجد له الجميع واعترفوا بألوهيته. ومنح شعبه عطايا روحية، منها عطية الروح القدس الذي يمنحهم النصرة الروحية على أعدائهم (أعمال ١:٨) ومواهب النعمة الإلهية، والصُحبة السماوية (مت ٢٨:٢٠). «مضى إلى السماء وملائكة وسلاطين وقوات مخضعَة له» (١بط ٣:٢٢).

ثانياً - نصر في المستقبل

(آيات ١٩-٣٥)

تعيش بعض الشعوب في أمجاد الماضي وبؤس الحاضر. تتغنّى بأمجاد الأجداد التي صارت تاريخاً، دون أن تُبدِع حاضراً لنفسها ولا مستقبلاً لأبنائها! أما الشعب الذي ينتمي للرب حقاً فإنه يتغنى

بالماضي المجيد والحاضر العظيم والمستقبل الموعود، لأن الله هو هو أمساً واليوم إلى الأبد (عب ١٣:٨). والمرنم الذي عاش عظمة الماضي في مزمورنا، يعيش عظمة الحاضر، ويقول: «مبارك الرب يوماً فيوماً».

ويتغنى المرنم بأربعة أمور عن المستقبل:

١ - سينصر الرب شعبه على أعدائهم: (آيات ١٩-٢٣).

(أ) يخلّص الله شعبه: «يُحمّلنا إلهُ خلاصنا. الله لنا إله خلاص، وعند الرب السيد للموت مخارج» (آيتا ١٩ و٢٠). الفعل «يُحمّلنا» قد يعني أنه يسمح لنا أن نحتمل ألماً. فهو يسمح لنا بالألم والصعوبة، لكنه لا يتركنا نحمل وحدنا، بل يحمل معنا. في العالم متاعب ولكننا نثق أننا نغلب العالم، وذلك بفضل خلاصه لنا من أعدائنا فيُخرجنا بطرق عديدة من الموت الذي يدبرونه لنا (يو ١٦:٣٣). فإن له مفاتيح الهاوية والموت (رؤ ١:١٨) وهو «الذي نجانا من موتٍ مثل هذا، وهو ينجي، الذي لنا رجاءٌ فيه أنه سينجي أيضاً فيما بعد» (٢كو ١:١٠).

وقد يعني المرنم بالفعل «يحمّلنا» أنه يضع علينا نيره الهيّن وحمله الخفيف، فيطالبنا أن نحمل مسؤولية خدمته، وأن نطيع وصاياه، وهي ليست ثقيلة لأننا نحبه، وذلك بفضل خلاصه لنا من خطايانا، فينقذنا من أجرة الخطية التي هي موت، وينقذنا من سطوة الخطية وسلطانها (مت ١١:٢٩). وقد يعني المرنم أن الله يحمّلنا بالعطايا والبركات، كشجرة مثمرة تعطي مئة ضعف، فيجعلنا مثمرين، وينقّينا لنأتي بثمر أكثر، وذلك بفضل خلاصنا من ضعفاتنا الروحية بملء الروح لنا، فلا نُطرح خارجاً كالغصن غير المثمر، فنجف ونُطرح في النار فنحترق (يو ١٥:٢).

(ب) سيخلّصهم بالرغم من ضراوة الأعداء: (آيات ٢١-٢٣).

ما أشدّ ضراوة العدو، فرؤوسهم «شعراء» بمعنى أنهم لم يحلقوا شعورهم. وهذا ما كان يفعله النذير الذي يخصص نفسه لهدفٍ نوى أن يحقّقه، فلا يحلق شعره إلا بعد أن يوفي نذره ويحصل على مراده. والنذر هنا هو قتل شعب الرب، فيسلك الأعداء في ذنوبهم. يسحق الرب رؤوس الأعداء المغطاة بالشعر العالي رمز التصميم وعلامة الكبرياء.

ويقول الرب: «من باشان أرجِع (الأعداء فلا يهربون). أُرجِع من أعماق البحر» (آية ٢٢). لقد هاجم فرعون شعب الله فغرق جيشه في لجّة البحر (خر ١٥) وهاجمهم عوج ملك باشان فدمّره الله (تث ٣:١-١١) والتاريخ يعيد نفسه. لا بد أن تنسحق قوة فرعون وعوج وأمثالهما أمام خلاص الرب، فتصطبغ أرجل شعب الرب بدم أعدائهم، وتلحس ألسنة كلابهم تلك الدماء، كما حدث في موت أخآب وإيزابل (١مل ٢١:١٩ و٢٢:٣٨ و٢مل ٩:٣٦). لن ينجو الأعداء من عقاب الرب. «إن نقبوا إلى الهاوية فمن هناك تأخذهم يدي، وإن صعدوا إلى السماء فمن هناك أُنزلهم. وإن اختبأوا في رأس الكرمل فمن هناك أفتّش وآخذهم، وإن اختفوا من أمام عينيَّ في قعر البحر فمن هناك آمر الحيّة فتلدغهم» (عا ٩:٢ و٣).

٢ - سيشكر الشعبُ الرب على النصر: (آيات ٢٤-٢٧).

تصف هذه الآيات موكب شكر يتّجه نحو هيكل الله ليشكر على الانتصارات القديمة، والجديدة والمستقبَلِيَّة. لقد أنقذهم الله من أعداء قساة جبابرة، مثل فرعون وعوج، كانوا مُصمّمين على إهلاكهم، وأنقذهم أخيراً بما وصفوه في الآيات ٢١-٢٣. ولا بد أن ينقذهم مستقبلاً، فإن طرق الرب هي طرق الانتصار والقداسة، وهي طرق صاحب السلطان في السماء وعلى الأرض.

وإذ يحتفل الشعب بالشكر يتقدّم المغنون، تتبعهم الراقصات، فالعازفون، كما فعلت مريم النبية يوم الاحتفال بالخروج، وهم يباركون الرب الذي يدعوه المرنم «عين إسرائيل» (آية ٢٦) بمعنى أنهم به يحيون ويتحركون ويوجدون، لأنه خالقهم وضامنهم (أع ١٧:٢٨).

ووسط الشاكرين الهاتفين «بنيامين الصغير» ومنه الملك الأول شاول، و«يهوذا الحاكم» ومنه داود وسليمان والمسيا الآتي، وكانت أرض سبطي بنيامين ويهوذا تقع في الجنوب. وبين الشاكرين الهاتفين سبطا زبولون ونفتالي، وكانت أرضاهما تقع في الشمال، وهما المتخصّصان في الحرب، وقد مدحتهما دبورة في نشيدها المشهور (قض ٥:١٨). وهنا نلاحظ كيف يرى المرنم حاضره في نور ماضيه، متأكداً من مستقبله، فيُنهض القلوب بقوله: «في الجماعات باركوا الله» (آية ٢٦).

٣ - سيصلي الشعبُ طالبين إظهار قوة الله للأمم: (آيات ٢٨-٣١).

في آيتي ٢٨ و٢٩ يطالب المرنم الرب أن يؤيد ما فعله لشعبه، فالذي أعطانا الحياة يؤيدنا بأن يهبنا حياةً أفضل. إنه يبدأ عملاً صالحاً ويكمله بتأييده «لأنه إن كنّا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه، فبالأَولى كثيراً ونحن مُصالحون، نخلُص بحياته» (رو ٥:١٠). وكلما قبِلنا النعمة التي يعطيها الله لنا يعطينا نعمة أكبر «ونعمة فوق نعمة» (يو ١:١٦).

يؤكد المرنم أن الله قد أمر بالعزّ والقوة لشعبه، ويطلب التأييد الإلهي ليستمرّ النصرُ لشعب الله، بأن يُخضِع كل المقاومين، فيجيء الملوك المهزومون يقدمون هداياهم للرب في هيكله تعبيراً عن خضوعهم، كما تنبأ النبي إشعياء: «في ذلك اليوم تُقدَّم هدية لرب الجنود من شعبٍ طويل وأجرد، ومن شعب مخوف منذ كان فصاعداً، من أمة ذات قوة وشدّة ودَوْسٍ قد خرقت الأنهارُ أرضَها، إلى موضع اسم رب الجنود، جبل صهيون» (إش ١٨:٧).

ويطلب المرنم من الرب أن ينتهر «وحش القصب» (آية ٣٠) أي التمساح أو فرس النهر، وهو كناية عن مصر بلاد القصب والبَردي، وأن ينتهر «صِوار الثيران مع عجول الشعوب» وهم الملوك الصغار مع شعوبهم، الذين يتنازعون ويتقاتلون للحصول على الفضة والغنائم. ويرمز الثور للكبرياء والتحدّي، بينما ترمز العجول للتّبَعية والانقياد، مما يعني انقياد الشعوب لملوكهم المتكبرين الذين يقودونهم للحروب أملاً في الغنائم.

وتقول آية ٣١ إن شرفاء مصر ونبلاءها يأتون مع أهل كوش خاضعين لله. وترمز مصر لأعداء الشعب، وترمز كوش (الحبشة) للبلاد البعيدة. فيكون أن الأعداء، والبعيدين، يخضعون لله.

وقد تحقق هذا كله يوم الخمسين عندما جاء ممثلو هذه الشعوب للمسيح، وسيتحقّق بصورة أوضح عندما «تجثو باسم يسوع كل رُكبة ممَّن في السماء ومَن على الأرض ومَن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب» (في ٢: ١٠ و١١).

٤ - يدعو المرنم كل الشعوب لتسبّح الرب: (آيات ٣٢-٣٥).

يدعوهم المرنم لينضموا مع بني إسرائيل في ترتيلهم لله، فيقول: «يا ممالك الأرض غنّوا لله. رنّموا للسيد» (آية ٣٢). إنه الأزلي الأبدي الخالق صاحب السلطان في سمائه وعلى أرضه، فهو الخالق وضابط الكل، وحاملٌ كل الأشياء بكلمة قدرته. وهو الآمِر الناهي في كل مكان.

يستحق الإله الصالح كل التسبيح، فهو الإله القدير، صاحب السلطان الأزلي، الذي خلق السماوات والأرض وثبّتها «الراكب على سماء السماوات القديمة» (آية ٣٣). وهو إله العهد «إله إسرائيل» (آية ٣٥) الذي أعطى قوةً وشدة لشعبه. «مبارك الله» القادر على كل شيء. «عادلة وحق هي طرقك يا ملك القديسين.. لأن جميع الأمم سيأتون ويسجدون أمامك» (رؤ ١٥: ٣ و٤).

المزمور التاسع والستون

لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ. عَلَى ٱلسَّوْسَنِّ. لِدَاوُدَ

١ خَلِّصْنِي يَا ٱللهُ لِأَنَّ ٱلْمِيَاهَ قَدْ دَخَلَتْ إِلَى نَفْسِي. ٢ غَرِقْتُ فِي حَمْأَةٍ عَمِيقَةٍ وَلَيْسَ
مَقَرٌّ. دَخَلْتُ إِلَى أَعْمَاقِ ٱلْمِيَاهِ وَٱلسَّيْلُ غَمَرَنِي. ٣ تَعِبْتُ مِنْ صُرَاخِي. يَبِسَ حَلْقِي. كَلَّتْ
عَيْنَايَ مِنِ ٱنْتِظَارِ إِلٰهِي. ٤ أَكْثَرُ مِنْ شَعْرِ رَأْسِي ٱلَّذِينَ يُبْغِضُونَنِي بِلَا سَبَبٍ. ٱعْتَزَّ
مُسْتَهْلِكِيَّ أَعْدَائِي ظُلْماً. حِينَئِذٍ رَدَدْتُ ٱلَّذِي لَمْ أَخْطَفْهُ.

٥ يَا ٱللهُ أَنْتَ عَرَفْتَ حَمَاقَتِي، وَذُنُوبِي عَنْكَ لَمْ تَخْفَ. ٦ لَا يَخْزَ بِي مُنْتَظِرُوكَ يَا
سَيِّدُ رَبَّ ٱلْجُنُودِ. لَا يَخْجَلْ بِي مُلْتَمِسُوكَ يَا إِلٰهَ إِسْرَائِيلَ. ٧ لِأَنِّي مِنْ أَجْلِكَ ٱحْتَمَلْتُ
ٱلْعَارَ. غَطَّى ٱلْخَجَلُ وَجْهِي. ٨ صِرْتُ أَجْنَبِيّاً عِنْدَ إِخْوَتِي وَغَرِيباً عِنْدَ بَنِي أُمِّي. ٩ لِأَنَّ
غَيْرَةَ بَيْتِكَ أَكَلَتْنِي، وَتَعْيِيرَاتِ مُعَيِّرِيكَ وَقَعَتْ عَلَيَّ. ١٠ وَأَبْكَيْتُ بِصَوْمٍ نَفْسِي، فَصَارَ
ذٰلِكَ عَاراً عَلَيَّ. ١١ جَعَلْتُ لِبَاسِي مِسْحاً، وَصِرْتُ لَهُمْ مَثَلاً. ١٢ يَتَكَلَّمُ فِيَّ ٱلْجَالِسُونَ فِي
ٱلْبَابِ، وَأَغَانِيُّ شَرَّابِي ٱلْمُسْكِرِ.

١٣ أَمَّا أَنَا فَلَكَ صَلَاتِي يَا رَبُّ فِي وَقْتِ رِضًى. يَا ٱللهُ بِكَثْرَةِ رَحْمَتِكَ ٱسْتَجِبْ لِي،
بِحَقِّ خَلَاصِكَ. ١٤ نَجِّنِي مِنَ ٱلطِّينِ فَلَا أَغْرَقَ. نَجِّنِي مِنْ مُبْغِضِيَّ وَمِنْ أَعْمَاقِ ٱلْمِيَاهِ.
١٥ لَا يَغْمُرَنِّي سَيْلُ ٱلْمِيَاهِ، وَلَا يَبْتَلِعَنِّي ٱلْعُمْقُ، وَلَا تُطْبِقِ ٱلْهَاوِيَةُ عَلَيَّ فَاهَا. ١٦ ٱسْتَجِبْ
لِي يَا رَبُّ لِأَنَّ رَحْمَتَكَ صَالِحَةٌ. كَكَثْرَةِ مَرَاحِمِكَ ٱلْتَفِتْ إِلَيَّ. ١٧ وَلَا تَحْجُبْ وَجْهَكَ عَنْ
عَبْدِكَ، لِأَنَّ لِي ضِيقاً. ٱسْتَجِبْ لِي سَرِيعاً. ١٨ ٱقْتَرِبْ إِلَى نَفْسِي. فُكَّهَا. بِسَبَبِ أَعْدَائِي
ٱفْدِنِي. ١٩ أَنْتَ عَرَفْتَ عَارِي وَخِزْيِي وَخَجَلِي. قُدَّامَكَ جَمِيعُ مُضَايِقِيَّ. ٢٠ ٱلْعَارُ قَدْ
كَسَرَ قَلْبِي فَمَرِضْتُ. ٱنْتَظَرْتُ رِقَّةً فَلَمْ تَكُنْ وَمُعَزِّينَ فَلَمْ أَجِدْ. ٢١ وَيَجْعَلُونَ فِي طَعَامِي
عَلْقَماً، وَفِي عَطَشِي يَسْقُونَنِي خَلّاً.

٢٢ لِتَصِرْ مَائِدَتُهُمْ قُدَّامَهُمْ فَخّاً وَلِلْآمِنِينَ شَرَكاً. ٢٣ لِتُظْلِمْ عُيُونُهُمْ عَنِ ٱلْبَصَرِ وَقَلْقِلْ
مُتُونَهُمْ دَائِماً. ٢٤ صُبَّ عَلَيْهِمْ سَخَطَكَ، وَلْيُدْرِكْهُمْ حُمُوُّ غَضَبِكَ. ٢٥ لِتَصِرْ دَارُهُمْ خَرَاباً
وَفِي خِيَامِهِمْ لَا يَكُنْ سَاكِنٌ. ٢٦ لِأَنَّ ٱلَّذِي ضَرَبْتَهُ أَنْتَ هُمْ طَرَدُوهُ، وَبِوَجَعِ ٱلَّذِينَ
جَرَحْتَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ. ٢٧ اِجْعَلْ إِثْماً عَلَى إِثْمِهِمْ وَلَا يَدْخُلُوا فِي بِرِّكَ. ٢٨ لِيُمْحَوْا مِنْ سِفْرِ
ٱلْأَحْيَاءِ، وَمَعَ ٱلصِّدِّيقِينَ لَا يُكْتَبُوا.

٢٩ أَمَّا أَنَا فَمِسْكِينٌ وَكَئِيبٌ. خَلاَصُكَ يَا اَللهُ فَلْيُرَفِّعْنِي. ٣٠ أُسَبِّحُ ٱسْمَ ٱللهِ بِتَسْبِيحٍ،
وَأُعَظِّمُهُ بِحَمْدٍ. ٣١ فَيُسْتَطَابُ عِنْدَ ٱلرَّبِّ أَكْثَرَ مِنْ ثَوْرٍ بَقَرٍ ذِي قُرُونٍ وَأَظْلاَفٍ.
٣٢ يَرَى ذلِكَ ٱلْوُدَعَاءُ فَيَفْرَحُونَ، وَتَحْيَا قُلُوبُكُمْ يَا طَالِبِي ٱللهِ. ٣٣ لأَنَّ ٱلرَّبَّ سَامِعٌ
لِلْمَسَاكِينِ وَلاَ يَحْتَقِرُ أَسْرَاهُ. ٣٤ تُسَبِّحُهُ ٱلسَّمَاوَاتُ وَٱلأَرْضُ، ٱلْبِحَارُ وَكُلُّ مَا يَدِبُّ
فِيهَا. ٣٥ لأَنَّ ٱللهَ يُخَلِّصُ صِهْيَوْنَ وَيَبْنِي مُدُنَ يَهُوذَا، فَيَسْكُنُونَ هُنَاكَ وَيَرِثُونَهَا.
٣٦ وَنَسْلُ عَبِيدِهِ يَمْلِكُونَهَا، وَمُحِبُّو ٱسْمِهِ يَسْكُنُونَ فِيهَا.

صرخة وسط الاضطهاد

مزمور ٦٨ نشيد انتصار، ومزمور ٦٩ صرخة أمل وسط الاضطهاد، فالحياة نسيجٌ من انتصار وضيق، نهارٍ وليل، صليب وقيامة. يوماً نحقق النجاح ويوماً يصيبنا الفشل. ولكننا في هذه جميعها نلجأ إلى الله صارخين، فيعظم انتصارنا بالذي أحبنا (رو ٨:٣٧). والمرنم يشكر الله على ما وهبه من نصر، ويعترف بالفضل لصاحب الفضل. وعندما تهاجمه المتاعب يلجأ لصاحب المراحم يطلب عونه، فإن بوصلة المؤمن مثبَّتة نحو السماء. في نجاحه يتَّجه إليها بالشكر، وفي ضعفه يلجأ إليها يلتمس العون.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – آلام المرنم (آيات ١–٢١)

ثانياً – ضعف المرنم (آيات ٢٢–٢٨)

ثالثاً – آمال المرنم (آيات ٢٩–٣٦)

أولاً - آلام المرنم
(آيات ١-٢١)

١ – شكوى من المتاعب: (آيات ١–٤).

(أ) **إنه غريق:** «خلِّصني يا الله لأن المياه قد دخلت نفسي» (آية ١). يشبِّه المرنم نفسه بغريق أحاطت به الأمواج، وعلَت مياهها على رأسه، ودخلت إلى نفسه، فصار كسفينة مثقوبة. إنه كيونان الذي صلى: «اكتنفتني مياهٌ إلى النفس. أحاط بي غمرٌ. التفَّ عشبُ البحر برأسي» (يون ٢:٥) وكإرميا الذي قال: «طفَت المياه فوق رأسي. قلتُ قد قُرضتُ» (مرا ٣:٥٤).

(ب) **إنه في طين حماة:** وفي آية ٢ يشكو المرنم من غرقه في حمأة عميقة، ومن أن السيل غمره. والحمأة هي الطين المختلط بالقذارة، كلما حاول الخروج منه غاص فيه! توالت أمواج الحزن عليه وزادت، حتى بعد أن كانت تحيطه صارت فوقه، ثم انتقلت من خارجه إلى داخله. ولكن سيظل

الوعد صادقاً «إذا اجتزت في المياه فأنا معك، وفي الأنهار فلا تغمرك» (إش ٤٣:٢).

(ج) **صلاته غير مستجابة:** وفي آية ٣ يقول إن جسده ونفسه تعبا من انتظار استجابة صلاة تأخَّرت، حتى أن حلقه يبس من كثرة الصراخ لإلهه الذي يبدو أنه لا يسمعه. وهو في هذا يشترك مع إرميا في قوله لباروخ: «قلتَ ويلٌ لي لأن الرب قد زاد حزناً على ألمي. قد غُشيَ عليَّ في تنهُّدي ولم أجد راحةً» (إر ٤٥:٣).

(د) **أعداؤه كثيرون:** وفي آية ٤ يقول إن أعداءه كثيرون جداً، أقوياء ومتجبِّرون. ورغم براءته عاملوه كمذنب، وأرادوا أن يهلكوه، وأجبروه أن يَرُدّ ما لم يخطفه!

٢ - مصدر المتاعب: (آيات ٥-١٢).

(أ) **المرنم هو المصدر الأول لمتاعبه:** في آية ٥ يعترف بحماقته وذنوبه التي لا تخفى عن إلهه. والخطية حماقة، ولكن الأحمق يصبح حكيماً عندما يعترف لله ويتوب. وفي آية ٦ يطلب أن يحفظ الرب المؤمنين الذين ينتظرونه ويلتمسون وجهه، فلا يخزون ولا يخجلون وهم يراقبون حماقته، وهو قائدهم وقدوتهم! ففي اعترافه يذكر تأثير ما ارتكبه على المؤمنين من إخوته، ويطلب لهم رفعة الرأس وعدم الخجل. (انظر تعليقنا على «رب الجنود» في مز ٢٤:١٠).

(ب) **حب المرنم لله سببٌ آخر لمتاعبه:** كان المرنم يحب الله ويغار على هيكله، فسخر الناس منه (آيات ٧-١٢). وهو في هذا يشارك إرميا مشاعره في صلاته: «اعرِف احتمالي العار لأجلك» (إر ١٥:١٥). كانت غيرة المرنم على بيت الله مثل نار متقدة في داخله، وهو يرى نفاق العابدين، فبكى وصام وصلى ولبس المسوح. وكان هؤلاء المنافقون من عائلته وإخوته وأشقائه بني أمه، فلم يتوبوا، بل سخروا منه وقاطعوه. كما كان المنافقون من غير عائلته، ومنهم القادة والقضاة الجالسون في باب المدينة، ومنهم المنحطون والسكيرون. وهؤلاء جميعاً جعلوه موضع أغانيهم الهاذرة!

وقد ظهرت غيرة داود على بيت الرب في إقامة خيمة الاجتماع على الجبل المقدس (٢صم ٦:١٢) وفي رغبته أن يبني بيتاً للرب بدل الخيمة (٢صم ٧:٢). ولما لم يقبل الرب طلبه في البناء جمع الكثير من مواد البناء ليعاون في إقامته (١أي ٢٨:١١-١٨).

وعندما طهَّر المسيح الهيكل (يو ٢:١٧) وطرد منه الصيارفة وباعة الحمام، الذين جعلوا بيت الله بيت تجارة، تذكر تلاميذه كلمات آية ٩ من هذا المزمور.

٣ - صلاة وسط المتاعب: (آيات ١٣-٢١).

(أ) **يصلي المرنم معتمداً على رحمة الله:** (آيات ١٣-١٧).

صحيحٌ أنه كان غيوراً على بيت الله غيرةً أكلته، ولكنه كان محتاجاً للرحمة الإلهية، فطلب من الله ثلاثة أمور: «وقت رضى» و«كثرة رحمة» و«حق خلاصه» (آية ١٣).

* **وقت رضى:** وهو وقت استجابة طِلبة «ارتضِ يا رب بأن تنجّيني. يا رب إلى معونتي أسرِع»

(مز ٤٠ :١٣) ويجيب الله المرنم: «في وقت القبول استجبتُك. وفي يوم الخلاص أعنتُك، فأحفظك وأجعلك عهداً للشعب» (إش ٤٩ :٨). فلا بد أن يستجيب الله الصلاة في الموعد المناسب الذي يعيّنه بحسب محبته وحكمته، وفي وقته يسرع به (إش ٦٠ :٢٢).

* كثرة رحمتك: ويشرحها في آية ١٦ «استجب لي يا رب لأن رحمتك صالحة. ككثرة مراحمك التفت إليَّ». ولا بد أن يلتفت إليه لأنه الرحيم الرؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء (خر ٣٤ :٦). وقد ظهر غنى رحمته في أنه من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح (أف ٢ :٤ و٥). «لأننا كنّا نحن أيضاً قبلاً أغبياء، غير طائعين، ضالين، مستعبدين لشهواتٍ ولذاتٍ مختلفة، عائشين في الخبث والحسد، ممقوتين، مبغِضين بعضُنا بعضاً. ولكن حين ظهر لطفُ مخلّصنا الله وإحسانه، لا بأعمالٍ في برٍّ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته، خلّصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلّصنا، حتى إذا تبرّرنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية» (تي ٣ :٣-٧).

* حق خلاصك: وهو صدق مواعيده في الإنقاذ فإن «كل من يدعو باسم الرب يخلُص» (أع ٢ :٢١). وهو ما يشرحه في آية ١٧ «لا تحجُب وجهك عن عبدك لأن لي ضيقاً. استجب لي سريعاً».

وفي آيتي ١٤ و١٥ يكرر المرنم الشكوى التي سبق أن رفعها في آيتي ٢ و٤ من الطين، ومن أعماق المياه، ومن السيل، حتى لا «تُطبق الهاوية عليَّ فاها». وقد تكون «الهاوية» قبراً (مز ٥٥ :٢٣) وقد تكون جُباً (مرا ٣ :٥٣ و٥٥). وربما أُلقي المرنم في الجب مجازاً، أو ربما كان الجب حرفياً، كما حدث مع إرميا (٣٨ :٦).

(ب) **يصلي طالباً الفداء والفكاك:** (آيات ١٨-٢١).

«اقترب إلى نفسي. فُكَّها. بسبب أعدائي افدِني» (آية ١٨). والفكاك هو وقوف الوليّ الأقرب إلى جوار المديون لسداد دَيْنه، والفداء هو سداد الدَّين، أو الإنقاذ من العبودية. ويستجيب الله، فيقول المرنم مع إرميا: «دنَوْتَ يوم دعوتُك. قلتَ: لا تخف.. فككتَ حياتي» (مرا ٣ :٥٧ و٥٨). ويقول الله: «أُنقذك من يد الأشرار، وأفديك من كفّ العُتاة» (إر ١٥ :٢١). اعتبر المرنم نفسه عبداً أسيراً مديوناً، يطلب من الرب أن يدفع عنه الفدية لينال الحرية. وكان الذي يفك عادة هو القريب الأقرب، الذي يطلقون عليه لقب «الولي» (را ٤ :٤). وما أجمل أن يعتبر المرنم أن الرب هو وليُّ أمره، والقريب الأقرب له، فيطالبه بأن يقترب منه ويفكه ويفديه.

ويعود المرنم في الآيات ١٩-٢١ يذكر آلامه ولاإنسانية أعدائه التي يعرفها الله. لقد بلغوا من اللاإنسانية درجة إعطائه العلقم المُرّ السام لجوعه، والخل الذي لا يُشرَب لعطشه.

ومع أنه في مرارة، إلا أنه يدرك أن النجاة قادمة. وقد اجتاز المسيح هذه الآلام، فاقتُبست آية ٢١ في يو ١٩ :٢٨ عن عطش المسيح على الصليب وشُربه الخل.. ولكن النصرة كلها كانت للمسيح المُقام الذي صعد إلى السماء.

ثانياً - ضعف المرنم

(آيات ٢٢-٢٨)

عندما ذكر المرنم لاإنسانية أعدائه لم يقدر أن يضبط نفسه، فأخذ يطلب لهم العقاب والخراب والدمار من كل نوع. وبسبب قسوة هذه الكلمات ظنَّ بعض المفسرين أنها كلمات أعداء المرنم عنه، طالبين له ولصحبه الهلاك. والحقيقة أن آية ٢٢ وما بعدها تُفهَم في نور قرينة آية ٢١ «يجعلون في طعامي علقماً، وفي عطشي يسقونني خلاً». إذاً يطلب المرنم خراب أعدائه، لأنهم أضافوا آلاماً جديدة إلى الآلام التي أوقعها الله عليه بسبب خطيته، فقال: «الذي ضربتَه أنت (الرب ضرب المرنم) هم طردوه (الأعداء طردوا المرنم)» (آية ٢٦). ثم يمضي في بقية الآية فيقول إنهم فرحوا في آلامه وشمتوا فيه وطعنوا سيرته: «بوجع الذين جرحتَهم (يا رب) يتحدَّثون» (آية ٢٦).

وقد قيل إن الويلات المذكورة في هذه الآيات هي نبوّات عما سيحل بالأعداء الظالمين، كنتيجة طبيعية لظلمهم.. وقيل أيضاً إن المرنم يطلب أن تحل الويلات بأعدائه، بحسب روح ناموس موسى «عيناً بعينٍ، وسناً بسنٍ» (خر ٢١:٢٤). والواضح أن الصدّيقين يضعُفون أحياناً، ولا يريدون أن يتركوا النقمة للرب ليوقعها بأعدائهم في موعده وبحسب حكمته، فيطلبون من الرب أن يوقّع بأعدائهم عقوبات بعينها في وقت يحددونه. وقد سجّل لنا الوحي المقدس طلبات المرنم بأمانة كاملة ليعلن لنا المصير المخيف الذي ينتظر الأشرار، وليعلن لنا ضعف المرنم الروحي، واحتياجه أن يتعلم روح المسيح، روح الصفح والغفران.

أوقع الله بالمرنم آلاماً، هدفها «للتقويم والتأديب الذي في البر» (٢تي ٣:١٦). أما الأعداء فقد أوقعوا به آلاماً ليبأس ويهلك.

* طلب أن تصير مائدتهم فخّاً بينما هم يأكلون آمنين، لأنهم أطعموه العلقم وسقوه الخل (آية ٢٢) كما قيل في رو ١١:٩.

* وطلب أن تعمى عيونهم التي راقبت البار لتؤذيه، وأن يرتعشوا مرضاً أو رعباً (آية ٢٣).

* وطلب أن يصبَّ الله عليهم غضبه (آية ٢٤) كما قيل في إر ١٠:٢٥.

* وطلب أن تخرب ديارهم وأن يموتوا (آية ٢٥) كما حدث للإسخريوطي الخائن (أع ١:٢٠).

وذكر داود سبب طلب هذه اللعنات الأربع في آية ٢٦، وهي أنهم طردوه بعد أن عاقبه الرب، وسخروا منه بعد أن جرحه الرب.

* وطلب أن تتكدّس آثام أعدائه فوق رؤوسهم فلا ينالون غفراناً من الله الذي يبرر الخاطئ (آية ٢٧) كما قيل في إر ١٨:٢٣.

* وطلب حذف أسمائهم من سجلات الأحياء، بالموت.. أو طلب محوها من سفر الحياة الأبدية.. أو طلب الاثنين معاً (آية ٢٨).

ثالثاً - آمال المرنم
(آيات ٢٩-٣٦)

يفرّق المرنم بين المصير الذي يستحقه الأشرار (في آيات ٢٢-٢٨) وبين مصيره ومصير شعبه العامر بالخلاص والإنقاذ. سيرفعه الله وسيُسكِن شعبه التقي في أورشليم، كما قيل: «رنِّموا للرب. سبّحوا الرب، لأنه قد أنقذ نفس المسكين من يد الأشرار» (إر ٢٠:١٣).

١ - المرنم يتوقّع الخلاص: (آيات ٢٩-٣١).

«خلاصك يا الله فليُرفِّعني» (آية ٢٩). هذه صلاة، كما أنها إعلانٌ واثق في أن الله سيعلّيه في برج أو قلعة لا يقدر الأعداء أن يدنوا منها. إنه مؤمن أن الله لا بد سيخلصه ويرفعه فوق أزمته النفسية، فتخرج منه «المياه التي دخلت إلى نفسه» (التي ذكرها في آية ١) ويغفر حماقته وذنوبه (التي ذكرها في آية ٥)، ويستجيب صلاته (التي رفعها في آية ١٣). صحيح إن البار بإيمانه يحيا (حب ٢:٤). وعندها يسبح الرب تسبيحاً أحبّ إلى الرب من تقديم «ثور بقر ذي قرون وأظلاف» (آية ٣١). والقرون تعني أن الثور قد بلغ عمره سنة، فهو صالح للذبيحة. وهو ذو أظلاف بمعنى أنه من الحيوانات الطاهرة المناسبة للأكل ولتقديمها كذبيحة (لا ١١:٣).

٢ - المرنم يفرح بالخلاص: (آيات ٣٢-٣٤).

وعندما يتم الخلاص للمرنم يفرح، ويفرح معه جميع الودعاء. لقد تألموا معه في شكواه، ورفعوا صلواتهم لأجله، وبعد إنقاذه تنتعش قلوبهم بالفرح لأن الله سمع له ولهم.

في هذا الجزء الأخير من المزمور خرج المرنم من مجال الشكوى الكئيب إلى مجال الأمل المفرح، فأعلن فضل الله القادم إليه، وأدرك أن طالبي الله لا بد تحيا قلوبهم ولا تموت حزناً (آية ٣٢) لأن الله يقبل توبة التائبين الذين أوقعتهم خطاياهم في أسر العقاب. وبعد النجاة وقعوا في أسر رحمة الله وحُبّه (آية ٣٣).

وهنا تهتز الطبيعة كلها من أرضٍ وسماوات وبحار، وكل ما يدب فيها، مترنّمة بخلاص الرب «ترنّمي أيتها السماوات لأن الرب قد فعل. اهتفي يا أسافل الأرض. أشيدي أيتها الجبال ترنُّماً، الوعر وكل شجرة فيه» (إش ٤٤:٢٣).

٣ - جماعة الله تفرح بالخلاص: (آيتا ٣٥ و٣٦).

يخلّص الرب شعبه الصارخ إليه، وأبواب الجحيم لن تقوى عليه (متى ١٦:١٨). ويبني الرب كنيسته ويضمُّ إليها كل يوم الذي يخلصون (أع ٢:٤٧)، والودعاء يرثون الأرض (مز ٣٧:١١ ومت ٥:٥)، ويتأصّلون إلى أسفل ويصنعون ثمراً إلى ما فوق (إش ٣٧:٣١) ويكون نسل الصديقين ناجحاً (مز ٣٧:٢٥) فيبنون الخرب القديمة، ويقيمون الأساسات، ويرمّمون الثغرات، ويُرجِعون المسالك للسكنى (إش ٥٨:١٢).

المزمور السبعون

لإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ. لِدَاوُدَ لِلتَّذْكِيرِ

١ اَللّٰهُمَّ إِلَى تَنْجِيَتِي، يَا رَبُّ إِلَى مَعُونَتِي أَسْرِعْ. ٢ لِيَخْزَ وَيَخْجَلْ طَالِبُو نَفْسِي.
لِيَرْتَدَّ إِلَى خَلْفٍ وَيَخْجَلِ ٱلْمُشْتَهُونَ لِي شَرّاً. ٣ لِيَرْجِعْ مِنْ أَجْلِ خِزْيِهِمُ ٱلْقَائِلُونَ: «هَهْ
هَهْ!» ٤ وَلْيَبْتَهِجْ وَيَفْرَحْ بِكَ كُلُّ طَالِبِيكَ، وَلْيَقُلْ دَائِماً مُحِبُّو خَلاَصِكَ: «لِيَتَعَظَّمِ
ٱلرَّبُّ!» ٥ أَمَّا أَنَا فَمِسْكِينٌ وَفَقِيرٌ. اَللّٰهُمَّ أَسْرِعْ إِلَيَّ. مُعِينِي وَمُنْقِذِي أَنْتَ. يَا رَبُّ لاَ
تَبْطُؤْ.

صرخة استعجال

هذا المزمور ذو الخمس آيات صرخة استعجال، لأن صاحبه يبدأ بالقول: «إلى معونتي أسرع!» ويختمه بالصرخة نفسها: «يا رب، لا تبطُؤْ». فعندما تكون موارد الإنسان كافية بصورة معقولة يطلب المعونة من الله وينتظر. ولكن عندما تنتهي موارده، أو يظن أنها انتهت، وعندما تضعف قوته ويجد نفسه يخور، يصرخ صرخة الاستعجال: «إلى معونتي أسرع».

وعنوان المزمور «للتذكير». وربما يعني أن المرنم يذكّر نفسه بوجود الرب المنقذ معه، وبفضله المتجدّد المستمر. وربما يعني أنه بصلاته يذكّر الله بضيقة نفسه، لا لأن الله ينسى، لكن ليطمئن قلب المرنم. وربما يعني أن هذا مزمورٌ تذكاري لنجاةٍ من كارثة ألمّت بالمرنم أو بالأُمَّة أو بكليهما، كما قيل «في يوم فرحكم وفي أعيادكم.. تضربون بالأبواق.. فتكون لكم تذكاراً أمام إلهكم» (عد ١٠:١٠).

وكلمات هذا المزمور هي تقريباً كلمات مزمور ٤٠:١٣-١٧. ويبدأ مزمور ٤٠ بالشكر على المراحم السابقة (آيات ١-١٢) ويُختم بصلاة (آيات ١٣-١٧). ويحتوي مز ٧٠ على الصلاة وحدها. الأغلب أن أحد الأنبياء أخذ الآيات الخمس الأخيرة من مز ٤٠ ولحّنها لترتيلها في العبادة الجمهورية.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – المرنم يطلب لنفسه (آيات ١-٣)

ثانياً – المرنم يطلب للمؤمنين (آية ٤)

ثالثاً – المرنم يعود يطلب لنفسه (آية ٥)

أولاً - المرنم يطلب لنفسه

(آيات ١-٣)

هناك أمران يدفعان المحتاج ليلجأ إلى الله طالباً عونه السريع: معرفته وإيمانه أنه عزيزٌ على الله، فلا بد أن الله يهتم به. وثانياً شدة حاجته، وعدم قدرته على مساعدة نفسه، وضغط إلحاح مشكلته عليه. ونجد الأمرين معاً في حالة كاتب مزمورنا.

١ - معرفة المرنم وإيمانه بأن الله يهتم به، وأنه عزيز في عيني إلهه: «اللهمَّ، إلى تنجيتي يا رب، إلى معونتي أسرِع.. اللهمَّ أسرِع إليَّ. معيني ومنقذي أنت. يا رب، لا تبطُؤ» (آيتا ١ و٥).

(أ) **يعرف أن الله هو إلوهيم:** فيناديه «اللهم». وإلوهيم هو الخالق الذي بدأ ويكمل، الذي خلق كل الأشياء بإرادته، وهو ضابطها، فلا تزال كائنة (رؤ ٤: ١١).

(ب) **يعرف أن الله هو يهوه:** فيناديه «الرب». ويهوه هو إله العهد، الذي قدَّم المواعيد لشعبه ويلتزم بها. واليوم ندرك بطريقة أفضل أن لنا عهداً جديداً مختوماً ومضموناً بدم المسيح (مت ٢٦: ٢٨)، الذي هو وسيط العهد الجديد (عب ١٢: ٢٤)، ونثق في صدق هذا العهد ودوامه لأن دم المسيح يضمنه.

٢ - شدة حاجة المرنم: «ليخزَ ويخجلْ طالبو نفسي. ليرتدَّ إلى خلف ويخجل المشتهون لي شراً. ليرجع من أجل خزيهم القائلون: هه! هه!» (آيتا ٢ و٣). ترجع شدة الحاجة إلى شدة الهجوم. ويذكر المرنم ثلاثة أنواع من الأعداء الذين هاجموه: الذين سعوا وراءه، والذين اكتفوا بأن يتمنَّوا له الأذى، والذين سخروا منه:

(أ) **«طالبو نفسي»:** مثل شاول الذي سعى وراء داود من مكان إلى مكان ليقتله. ويطلب المرنم أن يُخزي الرب مطارديه ويخجلهم ليتوقَّفوا عن «طلب نفسه».

(ب) **«المشتهون لي شراً»:** وهم الحاسدون الذين يريدون له الأذى، بأيديهم أو بأيدي غيرهم. وهو يطلب أن يتراجعوا عن ذلك ويخجلوا من سوء نيتهم، ومن عدم تنفيذ ما تمنَّوه له.

(ج) **«القائلون: هه! هه!»:** وهي صيحة الفرح الخبيث وهم يرون آلام المرنم. يقولونها بسخرية وهم يترقَّبون سقوطه وهلاكه. كما أنها صرخة الوعيد والتهديد. ويطلب المرنم أن يرجعوا عن سخريتهم وتهديدهم بالخزي.

ثانياً - المرنم يطلب للمؤمنين

(آية ٤)

في هذه الآية يقدّم المرنم وصفاً للمؤمنين الذين يصلي لأجلهم، ثم يرفع الصلاة لأجلهم. يقول: «ليبتهجْ ويفرح بك كلُّ طالبيك. وليقُل دائماً محبّو خلاصك: ليتعظم الرب».

١ – وصف المؤمنين:

(أ) **إنهم «طالبو الرب»**: قال الرب: «تطلبونني فتجدونني إذ تطلبونني بكل قلبكم» (إر ٢٩:١٣). وقال موسى: «إن طلبتَ الرب إلهك تجده، إذا التمستَه بكل قلبك وبكل نفسك» (تث ٤:٢٩). وقال الرسول بولس لأهل أثينا عن طالبي الرب: «لكي يطلبوا الله لعلهم يتلمّسونه فيجدوه، مع أنه عن كل واحدٍ منّا ليس بعيداً» (أع ١٧:٢٧).

(ب) **إنهم «محبّو خلاصك»**: قال المرنم عنهم: «ليهتِفْ ويفرح المبتغون حقّي، وليقولوا دائماً: ليتعظم الرب المسرور بسلامة عبده» (مز ٣٥:٢٧) وهم «محبو اسمه» الذين يسكنون بيته (مز ٦٩:٣٦). وفي العهد الجديد هم الذين يحبون ظهوره أيضاً (٢تي ٤:٨).

وهاتان الصفتان «طالبوه»، و«محبّو خلاصه» تكشفان لنا نوعية حياة الإيمان. إنها حياة طلب الرب بالصلاة والانتظار، كما أنها حياة الخلاص من كل ما يعكر الصفو ويضيّع السلام. والخطية هي أول ما يعكر الصفو، والرب يخلّصنا منها بكفارته الكريمة. والقلق يعكر الصفو، والرب يعطي نفوسنا سلاماً وراحة. والأعداء يسبّبون لنا الانزعاج، والرب ينقذنا منهم ويعطينا الطمأنينة.

٢ – ما يطلبه المرنم للمؤمنين:

(أ) **يطلب لهم الفرح**: «ليبتهج ويفرح بك كل طالبيك». وهذا إحساس داخلي ينتج عن سكنى المسيح في القلب، وعن تأكيد غفران الخطية، وعن صُحبة المسيح لنا كل الأيام. وهو ثمر الروح القدس عندما يمتلك حياة المؤمن. وهذا الفرح ليس نتيجة الظروف، لكنه يسمو فوقها، وينمو حتى وسط الصعوبات، فتُنفَّذ النصيحة الرسولية: «افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا» (في ٤:٤) ويصبح فرح الرب قوة المؤمن (نح ٨:١٠).

(ب) **يطلب أن يعظموا الرب**: «ليقُل دائماً محبّو خلاصك: ليتعظم الرب». وهذا تعبير خارجي عن الفرح القلبي «أمسرورٌ أحد؟ فليرتل» (يع ٥:١٣) وتعظيم الرب يكون بالاعتراف بفضله وخلاصه. ويكون بتقديم الشكر له في مخادعنا بالصلاة الشاكرة. ويكون بإعلان فضله علينا في كنائسنا بالترتيل. ويكون بدعوة غيرنا ليختبروا الفرح الذي اختبرناه.

فليعلّمنا الله أن نطلب لأنفسنا، وأن نطلب لغيرنا، كما فعل أيوب عندما ردّ الرب سبيه لما صلى لأجل أصحابه، وزاد الرب على كل ما كان لأيوب ضِعفاً (أي ٤٢:١٠).

ثالثاً – المرنم يعود يطلب لنفسه

(آية ٥)

«أما أنا فمسكين وفقير. اللهم أسرِع إليّ. معيني ومنقذي أنت. يا رب لا تبطؤ» (آية ٥). مرة أخرى يدعو المرنم الله ليقدم له العون السريع، ويبني الطلبة على سببين (كما فعل في آيات ١–٣).

إنه يعرف الرب المعين المنقذ، وهو في شديد الحاجة السريعة للعون والإنقاذ. والرب لا يمل من سماع صلاة المؤمن واستجابتها، كما أنه يطالب المؤمن أن يصلي في كل حين ولا يمل (لو ١٨:١).

١ - الرب هو المعين والمنقذ:

(أ) **ينادي «معيني»**، الذي ارتبط به بصورة شخصية، فقال له: «إلى معونتي أسرع» (آية ١). والمعين هو الذي يوفر احتياجات الإنسان التي يعجز عن الحصول عليه بنفسه، ويكون ناقصاً بدونها، كما لم يكن جيداً أن يكون آدم وحده بدون معونة حواء (تك ١٨:٢). ويقول الله المعين لك: «لا تخف لأني معك. لا تتلفت لأني إلهك. قد أيدتك وأعنتك وعضدتك بيمين بري» (إش ١٠:٤١). فنقول مع المرنم: «طوبى لمن إله يعقوب معينه» (مز ٥:١٤٦).

(ب) **ينادي «منقذي»**، بحسب وعده: «لا تخفْ من وجوههم لأني أنا معك لأنقذك، يقول الرب» (إر ٨:١) «الذي نجّانا من موتٍ مثل هذا، وهو ينجي. الذي لنا رجاءٌ فيه أنه سينجي أيضاً فيما بعد» (٢كو ١٠:١).

٢ - شدة حاجة المرنم للرب، لسببين:

(أ) **بؤس نفس المرنم**، «أما أنا فمسكين». إنه يحس بالوحدة، وكم كان وحيداً وهو يهرب من مغارة إلى مغارة، ولم يستطع أحدٌ من أهله أن يرافقه أو يعاونه خوفاً من بطش الملك. وانضمَّ إلى داود كل مُرّي النفس. ولكن إحساس الوحدة القاسي قاده لطلب العون الإلهي السريع.

(ب) **فقر المرنم المادي**، «أما أنا.. فقير». فكيف يستطيع المطرود أن يكسب رزقه؟ لقد اضطرّته الحاجة يوماً أن يقول لنابال اللئيم: «أعطِ ما وجدتْهُ يدُك.. لابنك داود» (١صم ٨:٢٥) ومع ذلك رفض نابال أن يعطيه. لقد انتهت موارد داود المالية، فطالب الله بسرعة التدخُّل لتقديم المعونة.

ولكن المرنم اكتشف أن ضعفه هو سر قوته، لأن قوة الله في الضعف تُكمل (٢كو ٩:١٢). واكتشف أن فقره هو سرُّ غناه، لأن المسيح افتقر لنستغني نحن بفقره (٢كو ٩:٨).

فلندْعُ الله دوماً كلما أعوزنا العون والإنقاذ: «إلى معونتي أسرِع.. يا رب لا تبطُؤ».

المزمور الحادي والسبعون

١ بِكَ يَا رَبُّ ٱحْتَمَيْتُ فَلَا أَخْزَى إِلَى ٱلدَّهْرِ. ٢ بِعَدْلِكَ نَجِّنِي وَأَنْقِذْنِي. أَمِلْ إِلَيَّ
أُذْنَكَ وَخَلِّصْنِي. ٣ كُنْ لِي صَخْرَةَ مَلْجَإٍ أَدْخُلُهُ دَائِماً. أَمَرْتَ بِخَلَاصِي لِأَنَّكَ صَخْرَتِي
وَحِصْنِي. ٤ يَا إِلٰهِي نَجِّنِي مِنْ يَدِ ٱلشِّرِّيرِ، مِنْ كَفِّ فَاعِلِ ٱلشَّرِّ وَٱلظَّالِمِ. ٥ لِأَنَّكَ أَنْتَ
رَجَائِي يَا سَيِّدِي. ٱلرَّبَّ مُتَّكَلِي مُنْذُ صِبَايَ. ٦ عَلَيْكَ ٱسْتَنَدْتُ مِنَ ٱلْبَطْنِ، وَأَنْتَ مُخْرِجِي
مِنْ أَحْشَاءِ أُمِّي. بِكَ تَسْبِيحِي دَائِماً. ٧ صِرْتُ كَآيَةٍ لِكَثِيرِينَ. أَمَّا أَنْتَ فَمَلْجَإِي ٱلْقَوِيُّ.
٨ يَمْتَلِئُ فَمِي مِنْ تَسْبِيحِكَ، ٱلْيَوْمَ كُلَّهُ مِنْ مَجْدِكَ.

٩ لَا تَرْفُضْنِي فِي زَمَنِ ٱلشَّيْخُوخَةِ. لَا تَتْرُكْنِي عِنْدَ فَنَاءِ قُوَّتِي. ١٠ لِأَنَّ أَعْدَائِي
تَقَاوَلُوا عَلَيَّ، وَٱلَّذِينَ يَرْصُدُونَ نَفْسِي تَآمَرُوا مَعاً ١١ قَائِلِينَ: «إِنَّ ٱللهَ قَدْ تَرَكَهُ.
ٱلْحَقُوهُ وَأَمْسِكُوهُ لِأَنَّهُ لَا مُنْقِذَ لَهُ». ١٢ يَا اَللهُ لَا تَبْعُدْ عَنِّي. يَا إِلٰهِي إِلَى مَعُونَتِي
أَسْرِعْ. ١٣ لِيَخْزَ وَيَفْنَ مُخَاصِمُو نَفْسِي. لِيَلْبِسِ ٱلْعَارَ وَٱلْخَجَلَ ٱلْمُلْتَمِسُونَ لِي شَرّاً.
١٤ أَمَّا أَنَا فَأَرْجُو دَائِماً وَأَزِيدُ عَلَى كُلِّ تَسْبِيحِكَ. ١٥ فَمِي يُحَدِّثُ بِعَدْلِكَ، ٱلْيَوْمَ كُلَّهُ
بِخَلَاصِكَ، لِأَنِّي لَا أَعْرِفُ لَهَا أَعْدَاداً. ١٦ آتِي بِجَبَرُوتِ ٱلسَّيِّدِ ٱلرَّبِّ. أَذْكُرُ بِرَّكَ
وَحْدَكَ.

١٧ اَللّٰهُمَّ قَدْ عَلَّمْتَنِي مُنْذُ صِبَايَ، وَإِلَى ٱلْآنَ أُخْبِرُ بِعَجَائِبِكَ. ١٨ وَأَيْضاً إِلَى
ٱلشَّيْخُوخَةِ وَٱلشَّيْبِ يَا اَللهُ لَا تَتْرُكْنِي، حَتَّى أُخْبِرَ بِذِرَاعِكَ ٱلْجِيلَ ٱلْمُقْبِلَ، وَبِقُوَّتِكَ كُلَّ
آتٍ. ١٩ وَبِرُّكَ إِلَى ٱلْعَلْيَاءِ يَا اَللهُ ٱلَّذِي صَنَعْتَ ٱلْعَظَائِمَ. يَا اَللهُ مَنْ مِثْلُكَ! ٢٠ أَنْتَ
ٱلَّذِي أَرَيْتَنَا ضِيقَاتٍ كَثِيرَةً وَرَدِيئَةً، تَعُودُ فَتُحْيِينَا، وَمِنْ أَعْمَاقِ ٱلْأَرْضِ تَعُودُ فَتُصْعِدُنَا.
٢١ تَزِيدُ عَظَمَتِي وَتَرْجِعُ فَتُعَزِّينِي. ٢٢ فَأَنَا أَيْضاً أَحْمَدُكَ بِرَبَابٍ، حَقَّكَ يَا إِلٰهِي. أُرَنِّمُ
لَكَ بِٱلْعُودِ يَا قُدُّوسَ إِسْرَائِيلَ. ٢٣ تَبْتَهِجُ شَفَتَايَ إِذْ أُرَنِّمُ لَكَ، وَنَفْسِي ٱلَّتِي فَدَيْتَهَا
٢٤ وَلِسَانِي أَيْضاً ٱلْيَوْمَ كُلَّهُ يَلْهَجُ بِبِرِّكَ. لِأَنَّهُ قَدْ خَزِيَ، لِأَنَّهُ قَدْ خَجِلَ ٱلْمُلْتَمِسُونَ لِي
شَرّاً.

شهادة شيخ تقي

يعبّر هذا المزمور عن مشاعر شيخ تقي يشهد لاختباراته الماضية، ويتذكر معاملات الله معه. إنه يعترف بضعفاته ويسترجع التجارب التي مرَّ بهـا، لكنـه لا ينسـى العطايـا والمواهب الطبيعيـة وفـوق الطبيعية التي منحها الرب له. وإذ يذكر الماضي يمتلئ قلبه بالأمل في المستقبل.

هذا المزمور تذكرةٌ للشيوخ ليرنّموا مع صاحبه ترنيمة شهادة عن ماضيهم مع الرب، كما يُلهِم الشباب ليعرفوا ما يمكن أن يقولوه عندما يتقدّم بهم العمر. إنــه مزمـور الجميـع، مـن شباب وشيوخ. وكثيراً ما يقرأ رعاة الكنائس هذا المزمور للمرضى أثناء زيارتهم لهم.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – ثقة الشيخ التقي (آيات ١-٤)

ثانياً – ذكريات الشيخ التقي (آيات ٥-٨)

ثالثاً – متاعب الشيخ التقي (آيات ٩-١٣)

رابعاً – انتصار الشيخ التقي (آيات ١٤-٢٤)

أولاً - ثقة الشيخ التقي
(آيات ١-٤)

الآيات الثلاث الأولى من هذا المزمور مقتبسة من مطلع المزمـور الحـادي والثلاثيـن. الأغلـب أن كلمات داود في مز ٣١ كانت الترنيمة المفضّلة عند كاتب مزمورنا، الشيخ التقـي، منـذ مطلـع حياتـه، فبدأ بها معلناً ثقته في الرب في آيتي ١ و٣، وفي آيتي ٢ و ٤ يطلب من الله.

١ – طمأنينة الشيخ التقي: «بك يا رب احتميتُ فلا أخزى إلى الدهر.. كُن لـي صخـرة ملجإ أدخله دائماً. أمرتَ بخلاصي لأنك صخرتي وحصني» (آيتا ١ و٣). هذا إعلان الثقة في الرب وفـي حمايته، فلا يخزى إلى الدهر، كما قال الرسول بولس: «حسب انتظـاري ورجـائي أنـي لا أُخـزى فـي شيء» (في ١: ٢٠). إنه يثبت في الله فلا يتزعزع، ويختبئ في ستره كما كان داود يختبئ في الكهـف من مطاردة شاول. ويعلن المرنم أن الله صخرة ملجإ دائم له، وأمر بخلاصه ووعد بنجاتـه. لقد أمـر أن يكون نور فكان نور، وعندما يأمر بالخلاص يأتي الخلاص. إنه دائم الوجـود مـع عبـده، فيركض إليه الصديق ويتمنّع (أم ١٨: ١٠). إنه رب الطبيعة يأمرها لتخدم عبيده، وهو رب العناية يكلفها لتعمل لخيرهم، وهو رب الملائكة يوجّههم ليحرسوهم.

وهنـاك صلـة خاصـة شـخصية بين المرنـم وبيـن اللـه، فيخاطبـه بلهجـة اليقين: «لأنـك صخرتـي وحصني». وحصن الرب مُحكم الغلق في وجه كل المهاجمين، ولو أن له كـوَّة مفتوحـة دومـاً لـترتفع منها الصلاة إلى السماء كالبَخور العطر.

٢ - **طلبة الشيخ التقي:** «بعدلك نجّني وأنقذني. أمِل إليَّ أذنك وخلّصني.. يا إلهي نجّني من يد الشرير، من كفّ فاعل الشر والظالم» (آيتا ٢ و٤). يطلب من الرب أن ينقذه من الشرير الظالم، لأنه الإله العادل الذي يعطي كل صاحب حق حقّه، ويجازي بعدلٍ كل واحد حسب أعماله. ويطلب أن يمنحه طمأنينة القُرب منه، قائلاً: «أمِل إليَّ أذنك» لا لأن الرب بعيد، لكن ليطمئن قلبه.

ولنا في طلبة الشيخ التقي درسان:

(أ) **الصلاة الحقيقية هي صلاة الإيمان:** فالذي يأتي إلى الله يجب أن يؤمن أنه موجود وأنه يجازي الذين يطلبونه (عب ١١:٦). فليطلب المؤمن «من الله الذي يعطي الجميع بسخاء ولا يعيّر، فسيُعطى له. ولكن ليطلب بإيمان غير مرتاب البتة، لأن المرتاب يشبه موجاً من البحر تخبطه الريح وتدفعه، فلا يظن ذلك الإنسان أنه ينال شيئاً من عند الرب» (يع ١:٥-٧).

(ب) **الصلاة الحقيقية هي الصلاة التي تنتظر الاستجابة:** لأن الصارخ يدرك أن أباه السماوي يهب خيرات للذين يسألونه (مت ٧:١١) فهو سامع الصلاة الذي يأتي إليه كل بشر (مز ٦٥:٢). أنت إذاً تكلم من تثق أنه يستمع لك، ويقدر أن يقدم لك العون، والحكيم في تقديم النُصح، لأنه العجيب، المشير، الإله القدير (إش ٩:٦).

ثانياً - ذكريات الشيخ التقي

(آيات ٥-٨)

أورد المرنم ثلاث ذكريات، أتبعها بكلمات الشكر والتسبيح:

١ - **ذِكر أيام الصبا:** «لأنك أنت رجائي يا سيدي الرب، مُتّكلي منذ صباي» (آية ٥). ما أجمل أن نعود بالذاكرة إلى تعاملات الله معنا، فنقول: «الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء» (مز ٢٣:١) كما قال يعقوب لابنه يوسف في أواخر أيامه: «الله الذي سار أمامه أبواي إبراهيم وإسحاق. الله الذي رعاني منذ وجودي إلى هذا اليوم» (تك ٤٨:١٥). اختبر المرنم زمن شبابه عناية إلهه الصالح به إذ حفظه من ساعة التجربة، وكأنه يقول له: «لأنك حفظت كلمة صبري، أنا أيضاً سأحفظك من ساعة التجربة العتيدة أن تأتي على العالم كله لتجرّب الساكنين على الأرض» (رؤ ٣:١٠) وأقام على صخرة رجليه وثبّت خطواته (مز ٤٠:٢). وحتى عندما سقط لم ينطرح، لأن الرب أسند يده (مز ٣٧:٢٤). حفظ الله داود من جليات ومن شاول، وعمل به أعمالاً بطولية، وسيحفظه في شيخوخته من كل خطر، ويعمل به أعمالاً أعظم.

٢ - **ذِكر كيف أبدأه:** «عليك استندتُ من البطن، وأنت مُخرجي من أحشاء أمي. بك تسبيحي دائماً» (آية ٦). «نسجتني في بطن أمي.. رأت عيناك أعضائي، وفي سفرك كلها كُتِبت يوم تصوّرَتْ، إذ لم يكن واحدٌ منها» (مز ١٣٩:١٣ و١٦). من قبل أن يشعر المرنم بوجوده، وهو بعد جنين، وبعد ولادته قبل أن يقوى على عمل شيء، أحياه الله وأسنده، كما قال لإرميا: «قبلما صوَّرتُك

في البطن عرفتُك، وقبلما خرجتَ من الرحم قدَّستُك» (إر ١:٥) وكما قال لشعبه: «اسمعوا لي يا بيت يعقوب.. المحمَّلين عليَّ من البطن، المحمولين من الرَّحم. وإلى الشيخوخة أنا هو، وإلى الشَّيْبة أنا أحمل. قد فعلتُ وأنا أرفع وأنا أحمل وأنجِّي» (إش ٤٦:٣ و٤).

٣ - ذَكَر كيف كان في آلامه وتجاربه «كآيةٍ لكثيرين»: «صرتُ كآية لكثيرين. أما أنت فملجإي القوي. يمتلئ فمي من تسبيحك. اليوم كله من مجدك» (آيتا ٧ و٨). رأوه في بلاياه وظنوا أن إلهه تركه، لكن البلايا زادته تمسُّكاً بإلهه، وبقي الله ملجأه القوي. لقد جاز اختبار المسيا المتألم فاندهش منه كثيرون (إش ٥٢:١٤) بسبب ما حلّ به. ولكن النصرة الإلهية كانت من نصيبه.

كان الله مع الشيخ التقي منذ كان جنيناً، وحمله بحب واقتدار في صباه، وكان له الملجأ القوي في المصاعب، حتى اندهش أصدقاؤه وأعداؤه على السواء. لذلك امتلأ فم الشيخ التقي من تسبيح الله، وكان اليوم كله يتأمل عمل إله المجد السماوي معه بالشكر والحمد والتمجيد.

ثالثاً - متاعب الشيخ التقي
(آيات ٩-١٢)

يذكر الشيخ التقي نوعين من المتاعب التي جازها، وكيف انتصر بالصلاة عليهما:

١ - متاعب الضعف الجسدي: «لا ترفُضني في زمن الشيخوخة. لا تتركني عند فناء قوتي» (آية ٩). وهذه مشكلة كل شيخ تقدَّمت به الأيام، يوضحها الجامعة ١٢:١-٨ في قصيدة بليغة تصوِّر لنا الشيخوخة بالاستعارات، يصف فيها الكاتب السنين التي ليس للإنسان فيها سرور، إذ «تُظلم الشمس والنور والقمر والنجوم» بمعنى انتهاء السرور لقدوم الموت، و«ترجع السحب بعد المطر» وقد تساقط كل ما فيها من خير. في الشيخوخة تتزعزع الذراعان وهما «حفظة البيت» والقدمان وهما «رجال القوة»، والأسنان وهي «الطواحن» وتظلم العينان وهي «النواظر» وتنغلق الآذان والعيون وهي «الأبواب» التي يدخل منها الصوت والضوء، وينخفض صوت الأسنان وهي «المطحنة»، ويقل النوم ويخف فيستيقظ الإنسان على صوت عصفور! ولا يتلذّذ الشيخ لصوت الغناء وبالنسبة له «تُحَط كل بنات الغناء». و«يخاف من العالي» إذ تضعف ساقاه فلا يقوى على الصعود للأدوار العليا. و«يُزهر اللوز» بمعنى أن شعر رأسه يبيضّ، و«الجندب يُستثقل» فتكون الحشرة الشبيهة بالجرادة ثقيلة إذا حاول أن يحملها! وتنتهي الشهية للطعام «الشهوة تَبْطُل لأن الإنسان ذاهبٌ إلى بيته الأبدي». وعندما يموت يتبع النادبون النعش، لأنه قد انقطع الأنبوب الفضي الذي يوصل زيت الزيتون الذهبي إلى شُعب المنارة، وانكسر كوز الزيت الذهبي الذي كانت المنارة تتغذى منه. لقد انكسرت الجرَّة وانقصفت البَكَرة، وسقط الحبل والدلو معاً في البئر، فرجع التراب إلى الأرض كما كان، ورجعت الروح إلى الله الذي أعطاها.

لم يرفض الله أحبّاءه زمن شيخوختهم وفناء قوّتهم، فقد قيل عن موسى: «كان ابن مئة وعشرين

سنة حين مات، ولم تكلّ عينه ولا ذهبت نضارته» (تث ٣٤:٧) وقال كالب: «أنا اليوم ابن خمس وثمانين سنة، فلم أزل اليوم متشدّداً كما في يوم أرسلني موسى. كما كانت قوتي حينئذ هكذا قوتي الآن للحرب وللخروج وللدخول» (يش ١٤:١٠ و١١). صدق القول الكريم: «أما منتظرو الرب فيجدّدون قوة، يرفعون أجنحة كالنسور، يركضون ولا يتعبون، يمشون ولا يُعيون» (إش ٤٠:٣١).

٢ – متاعب من البشر حوله: (آيتا ١٠ و ١١). هناك من يفرحون وهم يرون غيرهم يتعبون. وقد أخذ أعداء الشيخ التقي يرصدون أحواله وخطواته، وتقوّلوا عليه بكل كلام سيء. ولما سمعوا بمتاعبه الصحية وبلاياه ظنوا أن الله تركه ولم يعُد له منقذاً، فقرروا أن يَلحقوا به ويؤذوه في شخصه وماله، وولده. إنهم يذكّروننا بربشاقى، قائد الجيش الأشوري، الذي جاء ليغزو مملكة يهوذا، وأرسل للملك حزقيا يقول: «هل بدون الرب صعدتُ إلى هذه الأرض لأُخربها؟ الرب قال لي: اصعد إلى هذه الأرض وأخربها» (إش ٣٦:١٠). وربشاقى كاذبٌ في كل ما قال. ولم يكن أمام حزقيا إلا اللجوء إلى الرب، فمزّق ثيابه وتغطى بمسح، ودخل بيت الرب يطلب العون (إش ٣٧:١). وهذا ما فعله الشيخ التقي في ضيقه من ضعفه الجسدي ومن أعدائه، فقد وجد طريق النجاة في الصلاة فنادى مخلّصه السماوي: «يا الله لا تبعُد عني. يا إلهي إلى معونتي أسرِع. ليخزَ ويَفنَ مخاصمو نفسي. ليلبس العار والخجل الملتمسون لي شراً» (آيتا ١٢ و١٣). ولا بد أن الله استمع لصرخة طلب العون، وأرسل النجدة السريعة كعهده دوماً، فأعلن الشيخ التقي في الجزء الأخير من مزموره أن إيمانه انتصر. أما مقاوموه فقد غطاهم العار والخجل كرداء، وهم يرون الله يرفع مَن اضطهدوه. لقد ظنوا أن الله تركه، لكنه كان «الساكن في ستر العلي، في ظل القدير يبيت» (مز ٩١:١).

رابعاً - انتصار الشيخ التقي

(آيات ١٤-٢٤)

كم هو رائع أن تتغيَّر نبرة المزمور من خائف يطلب العون السريع إلى مطمئن يعلن ثقته المنتصرة بالله. ويشغل هذا الإعلان نحو نصف المزمور.

١ – الشيخ التقي يعلن انتصاره بعدة طرق: (آيات ١٤-١٧).

(أ) يعلنه بالتسبيح: «أما أنا فأرجو دائماً، وأزيد على كل تسبيحك» (آية ١٤). وبقوله «أما» يشرح الفرق بين ما فعله أعداؤه وما يفعله هو. لقد حاولوا أن يفشّلوه، ولكن رجاءه في الله بقي قوياً، لأن الله لم يعطه روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنُّصح (٢تي ١:٧).

لم تكن هناك نهاية لمراحم الرب للمرنم، ولن تكون، فهي جديدة في كل صباح (مرا ٣:٢٣). وهكذا ضاعف المرنم تسبيحه للرب، لأنه انبهر به وبأفعاله، فرتّل شاكراً ترتيلاً يزيد ولا ينقص.

(ب) يعلنه في الاعتراف اليومي به في قلبه ووسط عائلته: (آيتا ١٥ و١٦). كانت مناسبات إنقاذ الرب له كثيرة جداً، أكثر من أن يحصيها، فأخذ طول اليوم يتحدث بها في انبهار وتأثُّر. ويقول

في ذلك: «آتي بجبروت السيد الرب، أذكر برّك وحدك» (آية ١٦) بمعنى أنه يتحدث عن مآثر السيد الرب، وعن بره وعدالته الفريدة، فطالما أنقذه من أعدائه وردّ له حقوقه. وقد برّره من خطاياه وأعطاه الموقف السليم منه، حتى يقول مع بولس: «وليس لي برّي الذي من الناموس، بل الذي بإيمان المسيح: البر الذي من الله بالإيمان» (في ٣:٩).

(ج) **يعلنه في الكلام اليومي عن الرب أمام أصدقائه ومعارفه:** «اللهم قد علّمتني منذ صباي، وإلى الآن أخبر بعجائبك» (آية ١٧) إذ يتحدث بما علّمه الرب له منذ صباه، وما أجراه معه من عجائب. فما أعظم المعلّم وما أمجد المدرسة! إنها مدرسة الدروس النظرية واللاهوتية التي فيها يعرف من هو الرب. وهي في الوقت نفسه مدرسة الدروس العملية التي يعرف فيها ما يفعله الرب، في الصحة والمرض، وفي الوفرة والعوز، وفي الشباب والشيخوخة. ونتعلم من المرنم أن نشهد دوماً لكل من نقابله عن أمانة الرب، ونخبر بفضائل الذي دعانا من الظلمة إلى نوره العجيب، وبكم صنع الرب بنا ورحمنا.

٢ – **الشيخ التقي المنتصر يطلب واثقاً:** (آيات ١٨-٢١).

ينتقل المرنم من إعلان انتصاره إلى الصلاة، فيدعو الله ألاّ يتركه (آية ١٨). وفي دعائه يعتمد على الله البار الذي يعطي كل ذي حق حقّه، والمقتدر الذي لا يعسر عليه أمر (آية ١٩) والذي عمل معه في الماضي، ولا بد أنه سيعمل معه في المستقبل فيعود يعزّيه (آيتا ٢٠ و٢١).

«وأيضاً إلى الشيخوخة والشَّيْب يا الله لا تتركني حتى أُخبر بذراعك الجيل المقبل، وبقوّتك كل آتٍ» (آية ١٨). يطلب الشيخ التقي من الله أن يحفظ عليه صحته، لينقل إلى أولاده وأحفاده والجيل الجديد اختباراته عن عمل الله معه، وليعلّمهم عن أمانة الرب ومحبته، فيستعيدون ذكرى معجزة الخروج في واقع حياتهم المعاصرة، فيتحقّق مع الشيخ التقي ما قاله صموئيل: «أنا فقد شختُ وشِبتُ، وهوذا أبنائي معكم. وأنا قد سِرْتُ أمامكم منذ صباي إلى هذا اليوم» (١صم ١٢:٢).

ويعتمد هذا الطلب في استجابته على الله الفريد في برّه، والفريد في ارتفاعه، فهو ساكن السماء الذي ليس كمثله أحد «وبرُّك إلى العلياء يا الله الذي صنعت العظائم. من مثلك؟» (آية ١٩). «مَن مثلُك بين الآلهة يا رب؟ مَن مثلك معتزّاً في القداسة، مخوفاً بالتسابيح، صانعاً عجائب؟» (خر ١٥:١١). صحيح أن الرب سمح لشعبه أن يرى ضيقاً، لكنه لا بد أن يرفعهم من أعماق الهاوية، ليتمتّعوا بشمس البر والشفاء في أجنحتها. يزيد الرب عظمة المرنم ويعزيه، فيجعله يقول: «أحمدك يا رب، لأنه إذ غضبْتَ عليَّ ارتدَّ غضبُك فتعزّيني» (إش ١٢:١). وكل من ينال بر الله بالإيمان بالمسيح يرى علوّ الله وأعماله، فيختبر معجزةً بعد معجزة، وينال نعمةً فوق نعمة، ويقول مع الشيخ التقي: «أنت الذي أريتَنا ضيقات كثيرة ورديئة، تعود فتُحيينا، ومن أعماق الأرض تعود فتُصعِدنا» (آية ٢٠) فإن الله أمين، الذي لا يدعكم تُجرَّبون فوق ما تستطيعون، بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا (١كو ١٠:١٣). إن خفّة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثِقل مجدٍ أبدياً (٢كو ٤:١٧). فإذا سمح الله لنا بتأديبٍ في الحاضر فإنه سيعطينا أخيراً ثمر برٍّ للسلام

(عب ١٢ :١١) كما قال صاحب مزمورنا: «تزيد عظمتي، وترجع فتُعزّيني» (آية ٢١). هذا ما حدث مع داود الذي أخذه الرب من وراء الغنم ونصّبه ملكاً، وعمل له اسماً عظيماً كاسم العظماء الذين في الأرض (٢صم ٧:٩). وهو ما حدث مع مُردَخاي البوّاب الذي سُرَّ الملك بأن يكرمه، ثم صار رئيس وزراء أعظم مملكة في زمانه (أس ٦ و٨). أما أعظم من تألم فهو المسيح فدخل إلى مجده، فقد «تألم مرّةً واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة، لكي يقرّبنا إلى الله، مماتاً في الجسد ولكن مُحيىً في الروح» (١بط ٣:١٨).

٣ - الشيخ التقي يرتّل مبتهجاً بانتصاره: (آيات ٢٢-٢٤).

كردّ فعل طبيعي لرحمة الله المعزية يرتفع صوت الشيخ التقي بالتسبيح له: «فأنا أيضاً أحمدك برباب، حقَّك يا إلهي. أرنّم لك بالعود يا قدوس إسرائيل» (آية ٢٢) مرنماً: «مَن هو إلهٌ مثلك غافرٌ الإثم وصافحٌ عن الذنب لبقية ميراثه! لا يحفظ إلى الأبد غضبه، فإنه يُسرُّ بالرأفة. يعود يرحمنا، يدوس آثامنا. وتُطرح في أعماق البحر جميع خطاياهم» (مي ٧:١٨ و١٩).

وينبعث ترتيل الابتهاج من عُمق النفس المفدية، فتقول: «تبتهج شفتاي إذ أرنم لك ونفسي التي فديتَها» (آية ٢٣) فإن «الرب فادي نفوس عبيده، وكل من اتكل عليه لا يُعاقَب» (مز ٣٤:٢٢). «فدى بسلام نفسي من قتالٍ عليَّ» (مز ٥٥:١٨). وبسبب عظمة هذا الفداء تتغنّى النفس هاتفة: «الذي أحبَّنا وقد غسّلنا من خطايانا بدمه، وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه. له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين» (رؤ ١:٥ و٦).

وينبعث الترتيل من قلبٍ واثق بالنصر والسلام «ولساني أيضاً اليوم كله يلهج ببرّك. لأنه قد خزي.. الملتمسون لي شراً» (آية ٢٤) فيلهج لسان الشيخ التقي ببر الله وعدالته، لأنه يدرك أن أعداءه لا بد سيخزون، وأنه لا بد ناجٍ. هذا نصيب كل من يقول: «أنت رجائي يا سيدي الرب، متَّكلي منذ صباي» (آية ٥).

المزمور الثاني والسبعون

لِسُلَيْمَانَ

١ اَللَّهُمَّ أَعْطِ أَحْكَامَكَ لِلْمَلِكِ وَبِرَّكَ لِٱبْنِ ٱلْمَلِكِ. ٢ يَدِينُ شَعْبَكَ بِٱلْعَدْلِ وَمَسَاكِينَكَ
بِٱلْحَقِّ. ٣ تَحْمِلُ ٱلْجِبَالُ سَلَاماً لِلشَّعْبِ وَٱلْآكَامُ بِٱلْبِرِّ. ٤ يَقْضِي لِمَسَاكِينِ ٱلشَّعْبِ. يُخَلِّصُ
بَنِي ٱلْبَائِسِينَ وَيَسْحَقُ ٱلظَّالِمَ. ٥ يَخْشُونَكَ مَا دَامَتِ ٱلشَّمْسُ وَقُدَّامَ ٱلْقَمَرِ إِلَى دَوْرٍ
فَدَوْرٍ. ٦ يَنْزِلُ مِثْلَ ٱلْمَطَرِ عَلَى ٱلْجُزَازِ، وَمِثْلَ ٱلْغُيُوثِ ٱلذَّارِفَةِ عَلَى ٱلْأَرْضِ. ٧ يُشْرِقُ
فِي أَيَّامِهِ ٱلصِّدِّيقُ وَكَثْرَةُ ٱلسَّلَامِ، إِلَى أَنْ يَضْمَحِلَّ ٱلْقَمَرُ. ٨ وَيَمْلِكُ مِنَ ٱلْبَحْرِ إِلَى
ٱلْبَحْرِ، وَمِنَ ٱلنَّهْرِ إِلَى أَقَاصِي ٱلْأَرْضِ.

٩ أَمَامَهُ تَجْثُو أَهْلُ ٱلْبَرِّيَّةِ، وَأَعْدَاؤُهُ يَلْحَسُونَ ٱلتُّرَابَ. ١٠ مُلُوكُ تَرْشِيشَ وَٱلْجَزَائِرِ
يُرْسِلُونَ تَقْدِمَةً. مُلُوكُ شَبَا وَسَبَإٍ يُقَدِّمُونَ هَدِيَّةً، ١١ وَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ ٱلْمُلُوكِ. كُلُّ ٱلْأُمَمِ
تَتَعَبَّدُ لَهُ ١٢ لِأَنَّهُ يُنَجِّي ٱلْفَقِيرَ ٱلْمُسْتَغِيثَ وَٱلْمِسْكِينَ إِذْ لَا مُعِينَ لَهُ. ١٣ يُشْفِقُ عَلَى
ٱلْمِسْكِينِ وَٱلْبَائِسِ وَيُخَلِّصُ أَنْفُسَ ٱلْفُقَرَاءِ. ١٤ مِنَ ٱلظُّلْمِ وَٱلْخَطْفِ يَفْدِي أَنْفُسَهُمْ،
وَيُكْرَمُ دَمُهُمْ فِي عَيْنَيْهِ. ١٥ وَيَعِيشُ وَيُعْطِيهِ مِنْ ذَهَبِ شَبَا. وَيُصَلِّي لِأَجْلِهِ دَائِماً. ٱلْيَوْمَ
كُلَّهُ يُبَارِكُهُ.

١٦ تَكُونُ حُفْنَةُ بُرٍّ فِي ٱلْأَرْضِ فِي رُؤُوسِ ٱلْجِبَالِ. تَتَمَايَلُ مِثْلَ لُبْنَانَ ثَمَرَتُهَا،
وَيُزْهِرُونَ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ مِثْلَ عُشْبِ ٱلْأَرْضِ. ١٧ يَكُونُ ٱسْمُهُ إِلَى ٱلدَّهْرِ. قُدَّامَ ٱلشَّمْسِ يَمْتَدُّ
ٱسْمُهُ. وَيَتَبَارَكُونَ بِهِ. كُلُّ أُمَمِ ٱلْأَرْضِ يُطَوِّبُونَهُ. ١٨ مُبَارَكٌ ٱلرَّبُّ ٱللهُ إِلٰهُ إِسْرَائِيلَ،
ٱلصَّانِعُ ٱلْعَجَائِبَ وَحْدَهُ. ١٩ وَمُبَارَكٌ ٱسْمُ مَجْدِهِ إِلَى ٱلدَّهْرِ، وَلْتَمْتَلِئِ ٱلْأَرْضُ كُلُّهَا مِنْ
مَجْدِهِ. آمِينَ ثُمَّ آمِينَ.

تَمَّتْ صَلَوَاتُ دَاوُدَ بْنِ يَسَّى

ملكوت المسيا

تحدَّث مز ٧١ عن بر الله، ويتحدث هذا المزمور عن البركات التي ستفيض من ممثّله في الأرض، والذي ظن الشعب القديم أنه سليمان بن داود، ولكنه في الحقيقة المسيا المخلّص المنتظر الآتي من نسل داود. وقد رأينا مزامير كثيرة يصرخ فيها صاحبها من الظلم، ولكننا في هذا المزمور نرى الملك العادل الذي يناصر المظلومين ويوقف أخطاء الظالمين.

وعنوان هذا المزمور لسليمان، بمعنى أنه خاصٌ به ولأجله. وعنوانه في الترجمات السريانية: «مزمورٌ لداود لما ملّك سليمان، ونبوّة خاصة بمجيء المسيا، ونداء للأمم». والأغلب أن داود هو الذي كتب هذا المزمور، وأن سليمان سمعه من والده وسجّله قبل وفاة داود، أو بعدها بوقت قليل.

في هذا المزمور يرى داود مُلك سليمان القادم رمزاً لمُلك المسيح المسيا الملك المخلّص الآتي. وواضحٌ أن سليمان بدأ بداية عظيمة وانتهى نهاية أليمة، وكان قاسياً على شعبه حتى قالوا بعد موته لابنه رحبعام، الذي كان سيتولى المُلك من بعده: «إن أباك قسّى نيرنا، فالآن خفّف من عبودية أبيك القاسية ومن نيره الثقيل الذي جعله علينا، فنخدمك» (٢أخ ١٠:٤). ولما رفض رحبعام رجاء الشعب انقسمت المملكة، فلم يتحقق انتظار داود في سليمان. إذاً ستتحقّق نبوة مزمورنا في المسيا الملك، ابن الملك، الذي قيل عنه: «هوذا ملكك يأتي إليك. هو عادلٌ ومنصور، وديع.. ويتكلم بالسلام للأمم، وسلطانه من البحر إلى البحر، ومن النهر إلى أقاصي الأرض» (زك ٩:٩ و١٠). وقد اختارت الكنيسة الأولى هذا المزمور كمزمور خاص بالميلاد، لأن المجوس جاءوا من بعيد ليقدموا السجود للملك الوليد، وقدموا له الذهب واللبان والمُر (مت ٢:١١). فلنُصلِّ أن تتحقّق كلمات هذا المزمور في حياتنا، فيملك المسيح علينا.

في هذا المزمور نجد:

أولاً - ملكوت المسيا ملكوت عادل (آيات ١-٧)

ثانياً - ملكوت المسيا ملكوت شامل (آيات ٨-١٥)

ثالثاً - ملكوت المسيا ملكوت أبدي (آيات ١٦-١٩)

أولاً - ملكوت المسيا ملكوت عادل

(آيات ١-٧)

في هذه الآيات السبع ثلاثة أفكار:

١ - **الشعب يطلب الملكوت العادل:** «اللهم أعطِ أحكامك للملك، وبرك لابن الملك» (آية ١). إن «القضاء لله» (تث ١:١٧) ولكنه أعطى أحكامه للملك ابن الملك. وللملك الأرضي سلطان نابع من أبيه الملك السابق، كما أن له سلطاناً في شخصه. وقد تراءى الله للملك سليمان ابن الملك داود في جبعون في حُلم وسأله ماذا يعطيه، فطلب سليمان قلباً فهيماً ليميّز بين الخير والشر (١مل ٣:٦-٩). وآتاه الله ما طلب. ومع أن سليمان أحب أن يسير في فرائض داود أبيه، إلا أنه كان يذبح ويوقد في المرتفعات، كما يفعل الوثنيون، فلم تتحقق نبوات هذا المزمور فيه، فكان لا بد أن تتحقق في المسيا الملك الآتي، المسيح، الملك ابن الملك، الذي له عرش داود، والذي قال عنه الملاك جبرائيل للعذراء من قبل الحبَل به: «هذا يكون عظيماً، وابن العلي يُدعى، ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية» (لو ١:٣٢ و٣٣). وقد قيل عنه بروح النبوّة:

«يحل عليه روح الرب.. فلا يقضي بحسب نظر عينيه، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه، بل يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويُميت المنافق بنفخة شفتيه» (إش ١١:٢-٤). وسيتحقق هذا الانتظار أيضاً في المسيح الذي سيأتي أرضنا قاضياً عادلاً «لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي، كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء». (يو ٥:٢١). وهذا دعاؤنا اليوم: «ليأتِ ملكوتك. لتكن مشيئتك، كما في السماء كذلك على الأرض» (متى ٦:١٠).

٢ - وصف الملكوت العادل: (آيات ٢-٦).

(أ) ملكوت عدل يمنح السلام: «يدين شعبك بالعدل ومساكينك بالحق. تحمل الجبالُ سلاماً للشعب، والآكامُ بالبر» (آيتا ٢ و٣). هو ملكوت العدالة لمنكسري القلوب، المحتاجين لحماية حكومة عادلة (إش ١٤:٣ و١٥). وهذا بيان المسيح الرسمي في مجمع الناصرة، حين قال: «روح الرب عليَّ، لأنه مسحني لأبشّر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب» (لو ٤:١٦-١٩) وقد جاء المسيح بسنة يوبيل حقيقية، هي «سنة الرب المقبولة» التي فيها تسقط الديون، وتعود الأراضي المرهونة لأصحابها، ويُطلق العبيد أحراراً. وهذه دعوته الدائمة: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعَبين والثقيلي الأحمال، وأنا أريحكم» (متى ١١:٢٨).

وكنتيجةٍ للعدالة التي تسود الجميع «تحمل الجبالُ سلاماً للشعب، والآكامُ بالبر». والجبال والآكام كناية عن أكابر البلاد وأعيانها. فعندما يسود المُلك العادل يسود السلام، لأن الملك يُطمئن شعبه، فيحمل أصحاب المناصب الكبيرة والهامات العالية للشعب سلاماً، لأن الجبل العالي يرى حاجة الوادي المنخفض، فيفيض عليه مما أفاض الله به عليه. «ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه كل الأمم.. فيقضي بين الأمم.. لا ترفع أمةٌ على أمةٍ سيفاً.. فيسكن في البرية الحق، والعدل في البستان يقيم، ويكون صُنع العدل سلاماً، وعملُ العدل سكوناً وطمأنينة إلى الأبد» (إش ٢:٢-٤ و٣٢:١٦ و١٧). إنه المسيح، الذي هو الملك والكاهن، على رتبة ملكي صادق، ملك البر والعدل بفضل سداده لديوننا على الصليب، كما أنه ملك السلام بفضل أنه صالحنا مع الله بموته. وعندما يجيء إلى أرضنا سيفتقد شعبه برحمته، ويكافئ أمانتهم، ويعاقب أعداءهم الذين ظلموهم.

(ب) ملكوت يعلّم التقوى: «يقضي لمساكين الشعب. يخلّص بني البائسين، ويسحق الظالم. يخشَوْنك ما دامت الشمس، وقدام القمر إلى دور فدور» (آيتا ٤ و٥). أهمل قضاة بني إسرائيل العدالة «لم يقضوا في الدعوى، دعوى اليتيم. وقد نجحوا. وبحق المساكين لم يقضوا» (إر ٥:٢٨). فجاء المسيا لينقذهم، لأن ملكوته ملكوت العدالة للمظلومين من الأطفال واليتامى والأرامل، والمحتاجين لحمايةٍ خاصة، والذين يشعرون بالوحدة، والعاجزين عن مواجهة الحياة، والمهمَّشين، والذين لا يجدون من يعتنون بهم (إش ١٠:٢). «لأن الحكم هو بلا رحمة لمن لم يعمل رحمة، والرحمة تفتخر على الحكم» (يع ٢:١٣).

وعندما يكون الملك عادلاً يرى الناس عدالة السماء واضحة، فتمتلئ القلوب بمخافة الرب

«يخشَونك ما دامت الشمس، وقدام القمر إلى دور فدور». وتستمر أنوار التقوى ساطعة من القلوب ما دامت أنوار الشمس والقمر قائمة. ويخشى الناس الله تحت الشمس والقمر من جيل إلى جيل.

(ج) **ملكوت وفرة يفرِّح القلوب:** «ينزل مثل المطر على الجُزاز، ومثل الغيوث الذارفة على الأرض. يشرق في أيامه الصدّيق وكثرة السلام، إلى أن يضمحل القمر» (آيتا ٦ و٧). وجاءت آية ٦ في ترجمة «دار المشرق»: «ينزل كالمطر على العشب، وكالرذاذ الذي يروي الأرض». والأصل العبري يحتمل معنى «الجُزاز» أو «العُشب». فكلمة «الجُزاز» جمع جزة وهي صوف الغنم، وربما تشير إلى جزة جدعون (قضاة ٦:٣٧). والعُشب رمز وفرة الطعام للحيوان والإنسان. وفي عهد الملك العادل يرتوي الشعب من محبة الله الذي «يأتي إلينا كالمطر. كمطرٍ متأخرٍ يروي الأرض» (هو ٦:٣) والعدالة تقود إلى النجاح، فالملك العادل يتولى دوماً مملكةً تتوفر فيها كل احتياجات مواطنيها. وهذا ما قاله داود النبي في نشيده الأخير: «إذا تسلّط على الناس بارٌّ يتسلط بخوف الله، وكنور الصباح إذا أشرقت الشمس. كعُشب من الأرض في صباحٍ صحوٍ مضيء بعد المطر» (٢صم ٢٣:٣ و٤). فتكون «أمطار بركة» (حز ٣٤:٢٦) و«تأتي أوقات الفرج من وجه الرب» (أع ٣:١٩).

وبسبب عدالة الملك «يشرق في أيامه الصدّيق وكثرة السلام، إلى أن يضمحل القمر». فيكونون فرحين مشرقي الوجوه، أصحاب مكانة عالية، فيكثر السلام إلى أن ينتهي الزمان ويضمحل القمر، ويتحقق القول «أما الصدّيقون فيزهون كالورق» (أم ١١:٢٨).

ثانياً - ملكوت المسيا ملكوت شامل

(آيات ٨-١٥)

عندما يعرف الناس عن هذا الملك العادل، ويتمتعون بعدالة حكمه، يحبون أن يجتمعوا تحت لوائه، فيصبح مُلكه شاملاً.

١ - امتداد ملكوت المسيا: (آيات ٩-١١).

(أ) **هو ملكوت يصل إلى كل الأرض:** «يملك من البحر إلى البحر، ومن النهر إلى أقاصي الأرض» (آية ٨). وهذا وصف رمزي لاتساع المملكة، مقتبَس من حدود أرض الميعاد: «أجعل تخومك من بحر سوف إلى بحر فلسطين، ومن البرية إلى النهر» (خر ٢٣:٣١) ومقتبَس أيضاً من حدود مملكة سليمان: «وكان سليمان متسلطاً.. من النهر إلى أرض فلسطين وإلى تخوم مصر.. على كل ما عَبْر النهر من تَفْسَح إلى غزة، على كل ملوك عبر النهر. وكان له صلحٌ من جميع جوانبه حواليه» (١مل ٤:٢١ و٢٤). ويوصف هذا الامتداد بالقول: «يأتون إليك من أشور ومن مدن مصر، ومن مصر إلى النهر، ومن البحر إلى البحر، ومن الجبل إلى الجبل» (مي ٧:١٢). فالعالم كله ملكٌ للرب، يعطيه لمسيحه «وسلطانه من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض» (زك ٩:١٠).

(ب) **هو ملكوت تخضع له الشعوب**: «أمامه تجثو أهلُ البرية، وأعداؤه يلحسون التراب» (آية ٩). أهل البرية بدوٌ رُحّل، أحرار في حركتهم، لا يلتزمون بحدود. ولكنهم يرتمون على الأرض أمام صاحب الملكوت الشامل في خضوع كامل «يلحسون التراب كالحيَّة. كزواحف الأرض يخرجون بالرِّعدة من حصونهم. يأتون بالرعب إلى الرب إلهنا» (مي ٧:١٧). وهذا ما سيتمُّ عند مجيء المسيح ثانيةً عندما «تجثو باسم يسوع كل ركبة ممَّن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو ربٌّ لمجد الله الآب» (في ٢:١٠ و١١).

(ج) **هو ملكوت تخضع له الملوك**: «ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمة. ملوك شبا وسبإ يقدمون هدية. ويسجد له كل الملوك. كل الأمم تتعبَّد له» (آيتا ١٠ و١١). هدايا أولئك الملوك الأغنياء واجب عليهم، يجيئون بها، تعبيراً عن الخضوع للملك المسيّا، من كل مكان بعيد وقريب: من ترشيش التي كانت مستعمرة فينيقية غنية في جنوب أسبانيا، وهي أبعد جزء من العالم المعروف وقتها. ومن الجزائر المتناثرة في البحر الأبيض والتي كان يصعب الوصول إليها. ومن شبا في جنوب شرق شبه الجزيرة العربية المعروفة بغناها وتجارتها، ومن سبإ وهي الحبشة. وعندما يقدم الملوك تقدماتهم وهداياهم، ويسجدون لصاحب الملكوت الشامل، تتعبَّد له كل شعوبهم. وقد تحققت هذه الكلمات جزئياً في سليمان، فقيل: «كان سليمان متسلطاً على جميع الممالك.. كانوا يقدمون الهدايا ويخدمون سليمان كل أيام حياته.. وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان، من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته» (١مل ٤:٢١ و٣٤). وستتحقَّق هذه النبوّة بكاملها، روحياً ومادياً، في المسيح عند مجيئه ثانية إلى أرضنا: «فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض مُلكاً لك» (مز ٢:٨).

٢ - **أسباب امتداد ملكوت المسيا**: (آيات ١٢-١٥).

(أ) **شفقة المسيا**: «لأنه ينجي الفقير المستغيث والمسكين إذ لا معين له. يشفق على المسكين والبائس، ويخلّص أنفس الفقراء» (آيتا ١٢ و١٣). لا يمتد مُلك المسيح (المسيا الملك) بالسيف، بل بالعدالة والمحبة وتقديم المعونة للأتباع، فإن هذا الملكوت روحي وانتصاره أيضاً روحي، وقلب مَلِكِه عامر بالشفقة والمحبة والحنان والرحمة، وهو قادر لا يعسر عليه أمر، وعادل لا يقبل الظلم، ويقدِّر احتياج الفقير الصارخ إليه العاجز عن إنقاذ نفسه، وليس له من ينقذه. ينجيه الرب المشفِق عليه من ظلم الآخرين له، ومن ظلمه لنفسه. «ويزداد البائسون فرحاً بالرب، ويهتف مساكين الناس بقدوس إسرائيل» (إش ٢٩:١٩).

(ب) **فداء المسيا**: «من الظلم والخطف يفدي أنفسهم، ويُكرَم دمُهم في عينيه» (آية ١٤). ينقذ المسيا الراعي الصالح حملانه من الذئاب، ويفدي أنفسهم لأنه يبذل نفسه عنهم، ويكرم دمهم الذي هو حياتهم (لا ١٧:١١) ويراهم مستحقين أن يفديهم بذبح عظيم. ويعطيهم كل احتياجهم، ويقول: «البائسون والمساكين طالبون ماءً ولا يوجد. لسانهم من العطش قد يبس. أنا الرب أستجيب لهم. أنا إله إسرائيل لا أتركهم» (إش ٤١:١٧).

عندما كان الملك شاول يطارد داود، وقع في يد داود، فلم يقتله داود بل غفر له، فقال شاول

لداود: «نفسي كانت كريمة في عينيك اليوم» (١صم ٢٦ :٢١). ونحن أسأنا للرب بخطايانا، ونستحق أن يهلكنا، ولكنه في رحمته يحسب نفوسنا كريمة في عينيه ويفدينا من ظلمنا لأنفسنا ومن ظلم الخطية لنا، ويخلّصنا. وما أعظم الفداء الذي جاءنا المسيح به بصليبه. «الذي فيه لنا الفداء. بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته» (أف ١: ٧).

(ج) **عطاء المسيا**: «ويعيش ويعطيه من ذهب شبا. ويصلي لأجله دائماً. اليوم كله يباركه» (آية ١٥). يفدي المسيح حياة المؤمن، ويعطيه عطايا عظيمة، يصفها بأنها «من ذهب شبا» الذي هو أغلى أنواع الذهب ثمناً وأندرها وجوداً. وتقديراً للفضل الإلهي يقدم المؤمن للمسيح أغلى ما عنده، كما قدّم له المجوس هداياهم (مت ٢ :١١).

ويصلي المسيح لأجل المؤمن قائلاً: «لستُ أسأل من أجل هؤلاء فقط، بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم» (يو ١٧ :٢٠). إنه حي في كل حين يشفع فيهم (عب ٧ :٨ و٢٥). وتقديراً للفضل الإلهي يصلي المؤمن بلا انقطاع ولا ملل.

واليوم كله يبارك المسيح المؤمن، من شروق الشمس إلى غروبها، ويحفظه من أخطار الليل، فيبارك المؤمن الرب اليوم كله قائلاً: «باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته» (مز ١٠٣ :٢).

ثالثاً - ملكوت المسيا ملكوت أبدي

(آيات ١٦-١٩)

في هذه الآيات الأربع يقول المرنم إن ملكوت المسيا ينمو ويزيد، ويلقى التمجيد والتسبيح من الأرض كلها.

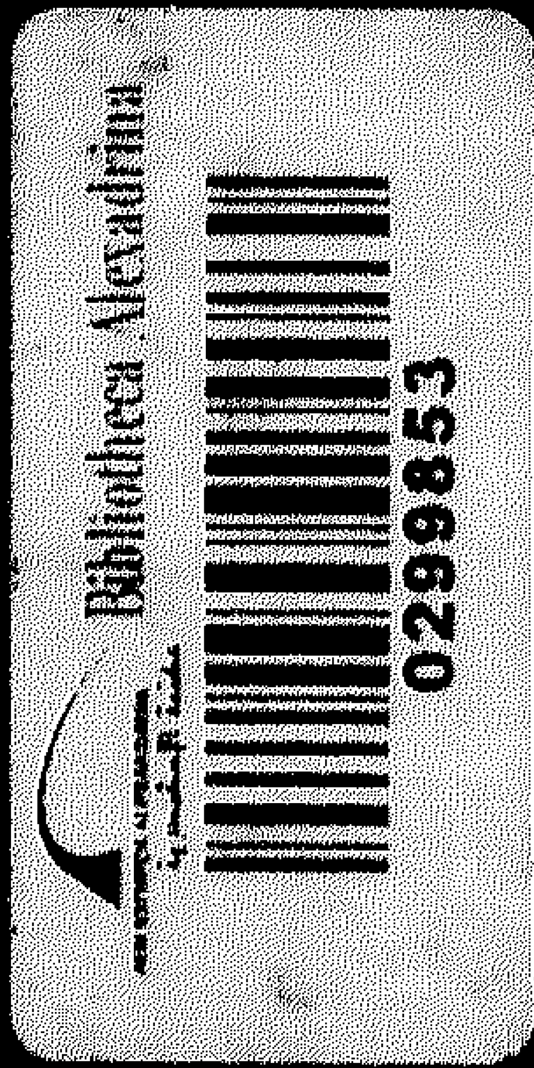
١ - **ينمو ملكوت المسيا الأبدي بغير توقف**: «تكون حُفنة بُرٍّ (قمح) في الأرض في رؤوس الجبال، تتمايل مثلَ لُبنان ثمرتُها، ويُزهِرون من المدينة مثل عُشب الأرض. يكون اسمه إلى الدهر. قدّام الشمس يمتدّ اسمه، ويتباركون به. كل أمم الأرض يطوّبونه» (آيتا ١٦ و١٧). يبدأ ملكوت المسيا كحُفنة قمح مبذورة على رؤوس الجبال، سرعان ما تنمو نباتاً، ثم سُنبلاً، ثم قمحاً ملآن في السنبل (مر ٤ :٢٨). يهبُّ عليها الريح فيزيد جذورها ثبوتاً وعمقاً في الأرض، فتكون كأرز لبنان، في القوة والجمال والارتفاع، ومثل عشب الأرض النديّ المنعش لمن يراه ويسير فوقه. «أكون لإسرائيل كالندى، يزهر كالسوسن (في جماله ورائحته). ويضرب أصوله كلبنان (في العمق). تمتد خراعيبه (أغصانه)، ويكون بهاؤه كالزيتونة، وله رائحة كلبنان. يعود الساكنون في ظلّه يُحيُون حنطة، ويزهِرون كجَفنة (شجرة العنب)» (هو ١٤ :٥-٧). «في المستقبل يتأصّل يعقوب. يُزهِر ويُفرِع إسرائيل ويملأون وجه المسكونة ثماراً» (إش ٢٧ :٦). و«يشبه ملكوت السماوات حبة خردل، أخذها إنسان وزرعها في حقله، وهي أصغر جميع البذور. ولكن متى نَمَت فهي أكبر البقول، وتصير شجرة، حتى إن طيور السماء تأتي وتتآوى في أغصانها» (متى ١٣ :٣١ و٣٢). هناك قوة كامنة في

بذرة كلمة الله، ولا بد أن تعمل وتمتد ويظهر عملها بفعل الروح القدس. وتستمر قوتها في العمل بين الجميع إلى الأبد، فيتوب كثيرون ويرجعون إلى الرب، فيتحقق قوله: «هكذا قال السيد الرب: ها إني أرفع إلى الأمم يدي، وإلى الشعوب أُقيم رايتي، فيأتون بأولادك في الأحضان، وبناتك على الأكتاف يُحمَلن.. فتعلمين أني أنا الرب الذي لا يخزى منتظروه» (إش ٤٩:٢٢ و٢٣). وهكذا «يكون اسم المسيا إلى الدهر» ولا يكون لملكه نهاية. «قدّام الشمس يمتد اسمه» من بلد إلى بلد. «ويتباركون به» لأنه المنعِم الجوّاد. «كل أمم الأرض يطوّبونه» بكلمات ترنيم تمجيد جاءت في الآيتين التاليتين.

٢ - **تسبّح كل الأرض ملكوت المسيا الأبدي:** «مبارك الرب الله إله إسرائيل الصانع العجائب وحده، ومبارك اسم مجده إلى الدهر. ولتمتلئ الأرض كلها من مجده. آمين ثم آمين» (آيتا ١٨ و١٩). يسبحونه على عجائبه الفريدة التي قال أيوب عنها: «فاعلُ عظائمَ لا تُفحص، وعجائبَ لا تُعدّ» (أي ٩:١٠). يفعل العظائم في الطبيعة التي تُحدّث بمجده وفي الفَلك الذي يخبر بعمل يديه. ويفعل العظائم لشعبه «مخبرين بتسابيح الربّ وقوّته وعجائبه التي صنع» (مز ٧٨:٤) فيعلن قوته ومحبته. ومَن غيره يقدر أن يفعل العجائب! وحده المتفرّد بهذا العمل، فنباركه لأنه وحده المستحق. وستظل الأرض كلها تسبّح الرب إلى الأبد، فتمتلئ الأرض من مجده، منحنية أمام مَن قال: «حيٌّ أنا، فتُملأ كل الأرض من مجد الرب» (عد ١٤:٢١).

ويسمع الشعب هذه الدعوة للتسبيح في كل مكان «قوموا باركوا الرب إلهكم من الأزل إلى الأبد، وليتبارك اسم جلالك المتعالي على كل بركة وتسبيح» (نح ٩:٥). فيجيبون: «آمين آمين» رافعين أيديهم، ويخرّون ويسجدون للرب على وجوههم إلى الأرض (نح ٨:٦). «مبارك الرب إلى الدهر. آمين. آمين» (مز ٨٩:٥٢). «مبارك الرب.. من الأزل وإلى الأبد. ويقول كل الشعب آمين. هللويا» (مز ١٠٦:٤٨).

كم نهنئ أنفسنا بهذا الملك العظيم، صاحب الملكوت العادل الشامل الأبدي، لأنه اختارنا شعباً له. فلنكن بحقٍّ شعبَه وغنم مرعاه!


Bibliotheca Alexadrina
0299853